



صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ

الاستاذ المحقق

الشيخ جعفر السبجاني

الجزء الثاني

مؤسسة النشر الإسلامي  
التابعة لجماعة المدرسين بضم المشرف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مميّزات النهضة الالهية وخصائصها

خصيصة « الخلود » والعمق في شخصية رسول الاسلام

المصادر الاولي والأصيلة للكتابة عن سيرة النبي :

تشبه نهضة « الأنبياء » الالهية التي قام بها رسل الله وسفراؤه لتخليص البشرية من براثن الأوهام ، والخرافات ، ولانقاذها من جور المستكبرين وظلم الظالمين أكثر شيء بأمواج البحر التي تبدأ بدوائر صغيرة محدودة ، ولكنها كلما ابتعدت عن مركز الدائرة ازدادت اتساعا واتساعا ، واشتدت قوتها أكثر فأكثر .

إن الانقلاب المعنوي العريض والتحوّل الروحي العظيم الذي وضعت أسسه في أرض مكة على يدي رسول الاسلام العظيم أضاء بشعاعه ونوره الباهر في اليوم الأوّل غار حراء ثم منزل خديجة وبعض البيوت المتواضعة في مكة فقط ، ولكنه اتسع نطاقه بمرور الزمان ، حتى عمّ في مدة ليست بالطويلة شرق الارض وغربها ، ودوّى نداء التوحيد في منطقة واسعة جدا من العالم ( ابتداء من فرنسة وانتهاء بجدار الصين وما وراءه )<sup>(١)</sup> .

(١) لقد كتبت هذه المقدمة وما بعده خلال تواجدي في الصين عام ١٤٠٨ وقد جئت إليها في مهمة استطلاعية وتبليغية اسلامية ، وقد زرت في نفس الفترة التي كنت فيها مشتغلا بكتابة هذه المقدمة المسجد الجامع في بكين . العاصمة ، والتقيت بامام ذلك المسجد الذي رخب بي وبمن كان معي أشد ترحيب ، وانحفي بنسخة من ترجمة القرآن الكريم باللغة الصينية ، وزرت خلال وجودي في ذلك المسجد قبر رجلين مسلمين من ايران أحدهما تاجر ، والآخر عالم جاءا إلى الصين في القرن السادس الهجري ، ونشرا الاسلام في بكين وما حولها ، وقد نصبت عند قبرهما لوحتان من المرمر نقش عليهما اسمهما ، وخصوصياتهما بالاحرف العربية .

وهناك تذكرت حديث رسول الله ﷺ « اطلبوا العلم ولو بالصين » .

قلت في نفسي : لعل رسول الله ﷺ كان يقصد فيما يقصد في هذا الحديث دفع

إن مؤسسي هذا النوع من النهضات الدينية<sup>(١)</sup> يتمتعون . من حيث الاخلاق والفضائل الانسانية . بخصيصة الخلود والالائية فان الزمن يكشف باستمرار عن أبعاد أوسع وآفاق جديدة من شخصياتهم فهي تتسع كلما تقادم بها العهد تماما كأمواج البحر ، وكأن الأنبياء نسخة ثانية من الطبيعة ، فكما أننا كلما أمعنا أكثر في الطبيعة ظهرت لنا منها حقائق أكثر ، وانكشفت لنا رموز وأسرار جديدة لم نعهد لها من قبل فهكذا شخصيات الأنبياء والمرسلين ، وسفراء الله الى البشرية.

وتتجلى هذه الحقيقة أكثر . فأكثر كلما تعاضمت شخصية من تلك الشخصيات ..  
وخلاصة القول أننا كلما ازددنا تعمقا وامعانا فيهم . اكتشفنا أسراراً كثيرة ، وحقائق جديدة عن حياتهم.

ويدل على كلامنا هذا تلك المؤلفات الكثيرة الوافرة التي كتبها علماء التاريخ وأصحاب السير ، قديماً وحديثاً ، حول رسول الاسلام العظيم ﷺ ولكن مع ذلك كله كلما تقادم العهد به ، وكلما اتسعت النظرات وازدادت عمقا

---

المسلمين إلى نشر مبادئ الاسلام في تلك البلاد العريضة التي تضم خمس سكان العالم .  
وقد قام المسلمون الغبارى على دينهم ، الحريصون على نشره وبثه بهذه المهمة فيما سبق وأدوا ما كان عليهم .  
فما ذا فعلنا نحن؟

وهل ترى يجوز أن يجهل خمس سكان العالم دين الله ، ولا ينعموا بخيراته؟!  
أم هل ترى يجوز في شريعة الانصاف أن يعاني ذلك الشعب الكبير من الاباطرة الطغاة في الماضي ، ومن الانظمة والايديولوجيات الجائرة الملحدة في الحاضر ، هذا والنبي ﷺ كان يحرص على هداية فرد واحد ،  
والقرآن يقول : « من احياها فكأنما أحى الناس جميعا »؟؟  
هل خصصت نهضة الأنبياء الالهية برقعة صغيرة من الارض هي الجزيرة العربية ، وما حولها؟ أم أنها رحمة للعالمين جميعاً؟

سؤال نظرحه على ابناء الاسلام دعاة ورعايا ، حكومات وشعوبا لعلمهم يتفكرون؟ ( جعفر الهادي ) .  
(١) المقصود من الدين هو المنهاج الواسع الشامل الذي يتكفل سعادة البشرية في الحياتين الدنيا والأخرى وليس مجرد سلسلة من الطقوس الفارغة الخاوية كما هو الحال في المسيحية الحاضرة.

اكتشف المحققون مزيدا من الآفاق ، وجديدا من الابعاد في هذه الشخصية الإلهية .  
ولقد كان تعاطي السيرة النبوية والحديث حولها في البداية منحصرًا ( أو بالاحرى مقتصرًا )  
( على مشاهدات أصحاب النبي ﷺ ومسموعاتهم .  
ومع ظهور جيل جديد يدعى بالتابعين بعد وفاة النبي ﷺ اتخذت الاحاديث والسنن  
الاسلامية ، وتفاصيل الحياة النبوية ، وقصص غزواته وحروبه رونقا جديدا ، وأحسن الجيل  
الجديد برغبة شديدة في أخذ الاحاديث الاسلامية ، والتعرف على الحوادث التي وقعت في  
عصر النبي ﷺ ، وأيام حياته من مولده إلى وفاته .  
وكلما ازدادت حالات الوفاة ، في أوساط الصحابة والتابعين الذين كانوا يشكّلون المنبع  
الأوّل والمصدر الأصيل لهذا النوع من العلوم الاسلامية ، اتسع الاهتمام بالسيرة وما شابهها  
وتعاضمت الرغبة فيها وتزايد عطش المسلمين إلى اخذ ومعرفة الأحاديث التي تتضمن بيان  
خصوصيات حياة رسول الاسلام ﷺ ، وجزئيات سيرته الطاهرة . هذا من جانب .  
ومن جانب آخر كان تشدّد الخليفة الثاني (١) ، ومنعه عن كتابة أحاديث النبي  
ﷺ قد أوجب أن يندثر كثير من الأحاديث الاسلامية ، التي سمعها بعض أصحاب النبي  
ﷺ وتدفن تحت التراب بموتهم .  
ولقد استمر منع الخليفة عن كتابة الحديث النبوي وبقي ساري المفعول لمدة طويلة بعد  
وفاته (٢) ، حتى أتى الى الحكم خليفة معتدل السيرة من الأمويين هو : « عمر بن عبد العزيز  
« فأمر . في رسالة وجهها الى أبي بكر بن حزم حاكم المدينة

(١) تقييد العلم : ص ٤٨ . ٥٣ .

(٢) لم يترك نهي الخليفة أي أثر على علماء الشيعة الذين كانوا يتبعون عليا عليه السلام ، فقد عمدوا في فترة محدودة  
الى تدوين وضبط الأحاديث ، وحفظوا كنوزا عظيمة من علوم اهل البيت النبوي ، للتوسع في هذا المجال راجع  
كتاب « تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام » .

وقاضيتها . بكتابة احاديث النبي ﷺ خوفا من اندراس العلم وزواله (١) .

### أئمة السيرة :

ومن حسن الحظ أن الخليفة الثاني لم يمنع إلا من تدوين وكتابة الأحاديث النبوية ، فلم يشمل هذا المنع كتابة الحوادث والوقائع التي وقعت في عصر الرسالة .

ولهذا ألفت في تلك الفترة كتب كثيرة عن حياة رسول الاسلام ﷺ ، وأول من كتب حول وقائع عصر الرسالة ، وأرخ حوادث الصدر الأول من الاسلام هو : « عروة بن الزبير بن العزم » الصحابي المعروف الذي توفي عام ٩٢ أو ٩٦ من الهجرة (٢)

ثم عمدا بعد جماعة في المدينة وآخرون في البصرة الى جمع وتدوين تفاصيل السيرة ، وحرّوب رسول الله ﷺ وغزواته ، وبيان هذا الأمر على نحو التفصيل خارج عن نطاق هذه الدراسة .

ولقد كانت هذه الكتب والمؤلفات هي المنبع والاساس للكتب التي دوّنت فيما بعد في صورة كتب السيرة النبوية ، أو تاريخ الاسلام .

وقد بدأ تدوين سيرة النبي الاكرم ﷺ بشكل جميل وبصورة بدیعة منذ أوائل المنتصف الثاني من القرن الثاني الاسلامي ، وكان من بين من قام بجهد مشرف ومشكور في هذا المجال العالم الشيعي الكبير محمد بن اسحاق المتوفى عام ١٥١ فهو أول من استخراج تفاصيل الوقائع الاسلامية من كتب الماضين ، ومن

---

(١) ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري : ج ١ ص ١٩٥ و ١٩٦ .

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام : ص ٢٣٣ .

اختلفت الاقوال في من هو أول من صنف في علم المغازي والسير في الاسلام .

فقال السيوطي في كتاب الاوليات بأنه عروة بن الزبير .

وقال الافندي في كشف الظنون أنه محمد بن اسحاق .

والحق انه لا الاول ولا الثاني بل عبيد الله بن أبي رافع فانه تقدمهما في التصنيف في السير والمغازي .

ثانيا روياتهم ومنقولاتهم وألّفها واخرج شيئا جامعاً حول السيرة النبوية إلى عالم الكتب والمؤلفات.

كما أن أوّ من ضبط ودوّ غزوات رسول الإسلام بشكل مفصّل هو الواقدي صاحب « المغازي » و « فتوح الشام » المتوفى عام ٢٠٧ هـ (١).

وقد لخصت سيرة ابن اسحاق على يد ابن هشام أبي محمد عبد الملك المتوفى عام ٢١٨ هـ وعرفت فيما بعد بسيرة ابن هشام ( أو السيرة الهشامية ) وهو الآن معدود من مصادر التاريخ الاسلامي وسيرة النبي الاكرم ﷺ الموثقة.

ولو أننا تجاوزنا هذه الشخصيات لكان لشخصيتين اخريين سهم كبير في تدوين وتسجيل تاريخ حياة رسول الاسلام ، وهما :

١ . محمد بن سعد الكاتب الواقدي المتوفى عام ٢٣٠ هـ مؤلف « الطبقات الكبرى » الذي أورد فيه سيرة النبي الإكرام ﷺ وأصحابه على نحو التفصيل.

وقد طبع هذا الكتاب في لندن مؤخرًا ، كما اعيد طبعه في لبنان في ٩ مجلدات.

٢ . محمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠ هـ مؤلف كتاب « تاريخ الامم والملوك » . على أن تتمين جهود هذه الثلة من الكتّاب والمؤلفين لا يعني بالضرورة أن كل ما أدرجوه في مؤلفاتهم هو الثابت الصحيح ، بل تحتاج مؤلفاتهم . كغيرها من المؤلفات ، والكتب . إلى التحقيق الواسع والتمحيص الدقيق.

ثم ان حركة التأليف حول شخصية رسول الاسلام ﷺ

---

(١) عد الشيخ الطوسي في رجاله ابن اسحاق من تلامذة الامام جعفر الصادق عليه السلام ، وتوجد نسخة خطية من سيرته في مكتبة مدرسة الشهيد المطهري بطهران حسب ما كتب صاحب الذريعة في ج ١٢ ص ٢٨١ فيها.

وسيرته استمرت بعد ذلك طيلة القرون الاسلامية اللاحقة. ونحن اليوم أمام مكتبة زاخرة من الكتب ، والدراسات ، المختلفة في أحجامها ومستوياتها ، والمتنوعة في طرائقها وأساليبها ، التي ألفت حول رسول الله ﷺ وهذا إنما يدل على خصيصة العمق واللانهاية التي اتسمت بها شخصية النبي ﷺ الخالدة العظيمة.

وقد أراد صاحب هذه الدراسة أن يقدم للجيل الحاضر شرحا ناطقا عن حياة رسول الاسلام العظيم ، في حدود ما تسمح به إمكاناته المحدودة ، ولم يأل جهدا . لتحقيق هذا الهدف على وجه أفضل . في مراجعة كتب الفريقين المعتمدة ، وان اكتفى بذكر عدد قليل من المصادر عند التأليف ، وقد بيّنا عذرنا من هذا في الجزء الأوّل من هذه الدراسة. ولقد تناول الجزء الأوّل من هذا الكتاب حوادث مكة من بدء نشأتها إلى نهاية السنوات الثلاث عشرة الأولى من عصر الرسالة أي ما قبل الهجرة ، وها هو الجزء الثاني وهو يتناول حوادث العشر سنوات للهجرة الشريفة ، ومن الله التوفيق.

قم المقدّسة . الحوزة العلمية

جعفر السبحاني

٢١ شعبان ١٣٩٢ هـ



## حوادث السنة الأولى من الهجرة (١)

٢٦ (١)

### أوَّ عمل ايجابي للنبي في المدينة

عقد ميثاق تعايش بين المسلمين وغيرهم :

حملت وجوه فتية الانصار المستبشرة ، المبتهجة ، بمقدم رسول الله ﷺ والاستقبال العظيم الذي قام به أغلبية الأوسيين والخزرجيين له حملته ﷺ ، على أن يعمد قبل أي شيء إلى تأسيس مركز عام لتجميع المسلمين فيه في الأوقات المختلفة ، وللقيام بالاعمال التربوية والتنقيفية ، والسياسية والعسكرية في رحابه.

كما أن عبادة الله الواحد تقع في طليعة البرامج التي جاء بها رسول الاسلام ولذا رأى من اللازم أن يعمد قبل أي عمل آخر الى بناء معبد للمسلمين حتى يتسنى لهم أن يعبدوا الله ويذكروه فيه في أوقات الصلوات.

أجل كانت الحاجة إلى مثل هذا المركز شديدة فلا بد من مكان ليجتمع اعضاء حزب الاسلام ( حزب الله ) كل اسبوع في يوم معين فيه ، ويتشاوروا في

---

(١) لا بد أنك أيها القارئ الكريم تتذكر جيداً أننا قصدنا من السنة الأولى للهجرة الأشهر العشرة المتبقية التي قضى رسول الله شهرين منها في مكة وحط في الباقي من شهرها الثالث ( أي ربيع الأول ) على أرض يثرب ، بناء على هذا تكون السنة الأولى من الهجرة تسعة أشهر فقط ، وتبدأ السنة الهجرية الثانية من شهر محرم الحرام ( وليس من اثني عشر ربيع الأول ) .

شئون الاسلام والمسلمين ومصالحهم ، وليجتمع فيه عامة المسلمين مضافا إلى هذا اللقاء الاسبوعي مرتين كل عام لأداء صلاة العيد ، فكان المسجد الذي بناه كأول عمل قام به بعد قدومه المدينة .

فلم يكن المسجد على عهد رسول الله ﷺ للعبادة فقط بل كانت تلقى فيه كل أنواع العلوم والمعارف الاسلامية الشاملة للأمور التربوية وغيرها .

لقد كان يعلم فيه كل التعاليم والمواد الدينية والعلمية ، حتى الأمور المرتبطة بالقراءة والكتابة .

وقد بقيت أغلب المساجد على هذا المنوال حتى مطلع القرن الرابع الهجري الاسلامي ، فقد كانت في غير أوقات الصلاة تتحول الى مراكز لتدريس العلوم المتنوعة (١) .

وربما اتخذ مسجد المدينة صورة المركز الأدبي ، عند ما كان يلقي فيه كبار فصحاء العرب وبلغاؤهم قصائدهم المنسجمة مع التعاليم الاخلاقية والمعايير الاسلامية بين يدي رسول الله ﷺ وسلم كما فعل « كعب بن زهير » إذ ألقى قصيدته المعروفة « بانت سعاد » عند النبي ﷺ في المسجد ، وأعطاه النبي الكريم ﷺ صلة جيدة ، وخلع عليه بخلعة عظيمة (٢) .

أو كما كان يفعل « حسان بن ثابت » الذي كان يدافع بشعره عن حوزة الاسلام والمسلمين اذ كان يلقي بعض قصائده في المسجد عند رسول الله ﷺ .

---

(١) راجع صحيح البخاري : ج ١ كتاب العلم ، بل حتى عند فصل المراكز العلمية عن المساجد في ما بعد ، بقيت المدارس تبنى وتشيد الى جانب المساجد فكان هذا العمل يجسد الصلة الوثيقة بين العلم بالدين .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٠٣ قال أنشد كعب بن زهير رسول الله ﷺ في المسجد : بانت سعاد .

ولقد كانت مجالس الدرس والتعليم في مسجد المدينة على عهد رسول الله ﷺ تتسم بروعة كبيرة بحيث عند ما شاهد وفد ثقيف مشهدا من مشاهدها انبهروا به ، وعجبوا بشدة لاهتمام المسلمين بتعلم الاحكام واكتساب المعارف والعلوم <sup>(١)</sup> .

كما انه كانت تمارس الامور القضائية والفصل بين الخصومات ، واصدار الحكم على المجرمين في المسجد ، فكان المسجد يومذاك بمنزلة محكمة ( بكل معنى الكلمة ) أي أنها تقوم بكل ما تقوم بها المحاكم اليوم.

هذا مضافا إلى أن رسول الله ﷺ كان يلقي خطبه الحماسية والجهادية لتعبئة المسلمين من أجل مجاهدة الكفار والمشركين في المسجد.

ولعل من حكمة الاجتماع في المسجد لاجل تحصيل المعارف وتعلم العلوم هو أن رسول الله ﷺ أراد بذلك أن يثبت عمليا أن العلم والدين توأمان لا ينفكان فكلما كان هناك مركز للإيمان وجب ان يكون محلا للعلم أيضا.

وأما ممارسة القضاء والقيام بالخدمات الاجتماعية ، واتخاذ القرارات العسكرية في المسجد فقد كان لأجل أن يعلن للجميع بأن دينه ليس مجرد أمر معنوي لا يتصل بالامور الدنيوية ولا تمه قضايا الحياة وشئون المعيشة المادية ، بل هو دين شامل كامل لا يحض الناس على التقوى ، ولا يدعوهم إلى الايمان إلا ويهتم أيضا بشؤونهم المعيشية وإصلاح أوضاعهم الاجتماعية. فليس هو بالتالي يهتم بجانب ويغفل جانبا ، بل هو دين شامل جامع يتكفل الأمور المادية والمعنوية معا.

ولقد كان هذا التلاقي والانسجام ( بين العلم والإيمان ) محط اهتمام المسلمين ونصب أعينهم دائما حتى بعد ما اتخذت المراكز التعليمية والمؤسسات العلمية البحتة شكلا مستقلا وصار لها محل خاص تدرس فيه ، فانهم ظلوا يبنون

---

(١) تاريخ الخميس : ج ٢ ص ١٣٦ .

الجامعات الى جانب الجوامع ويشيّدون المعاهد الى جانب المساجد ليثبتوا للعالم أن هذين الأمرين اللذين يكفلاّن إسعاد الحياة والانسان لا يمكن أن ينفصلا ، ويتعد بعضها عن بعض.

### مع عمار بن ياسر في بناء المسجد النبوي :

لقد ابتاع رسول الله ﷺ الأرض التي بركت فيها ناقته يوم قدومه المدينة ، من أصحابها بعشرة دنانير لإقامة مسجد فيها. واشترك كافة المسلمين في تهيئة موادّه الانشائية وبناءه ، وعمل رسول الله ﷺ نفسه في تشييدها أيضا. فكان ﷺ ينقل معهم اللبن ، والحجارة ، وبينما هو ﷺ ذات مرة ينقل حجرا على بطنه استقبله « أسيد بن حضير » فقال : يا رسول الله اعطني أحمله عنك.

قال ﷺ : لا ، اذهب فاحمل غيره <sup>(١)</sup>.

وبهذا الاسلوب العملي كشف رسول الاسلام العظيم عن جانب من برنامجهِ الرفيع ، إذ بين بعمله أنه رجل عمل وليس رجل قول ، رجل فعل وليس رجل كلام ، وكان لهذا أثره الفعّال في نفوس أتباعه.

فقد أنشد أحد المسلمين بهذه المناسبة يقول :

لئن قعدنا والنبي يعمل فذاك منّا العمل المضلل <sup>(٢)</sup>  
وكان رسول الله ﷺ يردّ وهو يني ويعمل : لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة.

وقد كان « عثمان بن عفان » ممن يهتمّ بنظافة ثيابه ، ويحرص على أن يمنع عنها الغبار والتراب ، فلم يعمل في بناء المسجد لهذا السبب ، فاخذ عمار ينشد أبياتا تعلّمها من أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وفيها تعريض بمن لا يعمل ويحرص على ثيابه أن لا تتسخ بالغبار :

(١) بحار الأنوار : ج ١٩ ص ١١٢ .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٤٩٦ .

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا<sup>(١)</sup>

وقد أغضب مفاد هذه الايات عثمان بن عفان ، فقال لعمار مهلداً : قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية ، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك أي أضربك بها ، وفي يده عصا!!

فلما عرف رسول الله ﷺ بكلام عثمان غضب وقال :

« ما لهم ولعمار ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونهم إلى النار .

إن عمارا جلدة ما بين عيني وأنفي .. »<sup>(٢)</sup> .

وكان « عمار » فتى الاسلام القوي ، يحمل قدرا كبيرا من اللبن والاحجار في بناء المسجد ولا يكتفي بحمل شيء قليل منها .

فكان البعض يستغل طيب قلبه واخلاصه فيثقله باللبن والاحجار .

ويروى أن اصحاب النبي ﷺ جعل يحمل كل واحد لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين

لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي ﷺ محبة منه لرسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> .

وذات مرة رآه رسول الله ﷺ وقد حملوه ثلاث لبن أو احجار ثقيلة فشكا إليه عملهم

وقال : يا رسول الله قتلوني يحملون علي ما لا يحملون فنفض رسول الله ﷺ وفرته<sup>(٤)</sup>

وكان رجلا جعدا وهو يقول قولته التاريخية :

« ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك ، انما تقتلك الفئة الباغية »<sup>(٥)</sup> .

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٤٩٦ ، وتاريخ الخميس : ج ١ ص ٣٤٥ والسيرة الحلبية : ج ٢ ص ٧٦ ومع ان

ابن اسحاق صحح باسم عثمان بن عفان ولكن ابن هشام الذي لخص سيرة ابن اسحاق امتنع عن تسمية عثمان .

وقال صاحب المواهب الدنية : المراد في هذه الايات عثمان بن مظعون ، راجع هامش سيرة ابن هشام أيضا .

(٢) تاريخ الخميس : ج ١ ص ٣٤٥ .

(٣) السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٧١ ، البداية والنهاية : ج ٢ ص ٢١٧ .

(٤) اي شعر راسه .

(٥) المصدران السابقان

وقد كان هذا الخبر الغيبي من الدلائل القوية على نبوة الرسول الكريم ﷺ وصدق دعواه ، وصحة إخباراته ، فقد وقع ما أخبره كما أخبر ، فقد قتل « عمّار » وهو في التسعين من عمره في معركة صفين عند ما كان يقاتل جيش الشام بين يدي علي عليه السلام ، فقتله أنصار معاوية ، وقد أحدث هذا الخبر الغيبي أثرا عجيبا في حياة المسلمين فقد جعله المسلمون معيارا لمعرفة الحق ، أي كانوا يعرفون حقانية أي جهة من الجهات وأي طرف من الأطراف في الصراعات والنزاعات بانضمام عمّار إليه .

وعند ما قتل عمّار في ساحة القتال بصفين ، دبّ في أهل الشام اضطراب عجيب . فالذين كانوا في شك في حقانية « علي » عليه السلام وموقفه في هذه الحرب بفعل الدعاية المضادة التي كان يقوم بها معاوية ومساعدته عمرو بن العاص ضد الامام قد انتبهوا على خطائهم وعرفوا بمقتل « عمّار » على أيدي أنصار معاوية بأن عليا على حق وأن معاوية وجماعته هي الفئة الباغية التي أخبر عنها رسول الله ﷺ .

ومن هؤلاء « خزيمه بن ثابت » الأنصاري الذي خرج مع الإمام علي عليه السلام لقتال معاوية ، ولكنّه كان مترددا في مقاتلته ، بيد أنه جرد سيفه بعد مقتل « عمّار » على أيدي أهل الشام ، وحمل عليهم <sup>(١)</sup> .

ومنهم « ذو الكلاع » الحميري الذي خرج على رأس عشرين ألف مقاتل وهم تمام رجال قبيلته ، مع معاوية لمحاربة الامام علي عليه السلام وكان معاوية يعتمد على نصرته اعتمادا كبيرا ، حتى أنه لم يقدم على اتخاذ قرار الحرب إلا بعد أن اطمأنّ الى تأييده له ، ومشاركته في قتال علي عليه السلام .

فقد صدم القائد المخدوع بشدة عند ما سمع بوجود « عمّار » في معسكر الامام « علي

» .

---

(١) المستدرك على الصحيحين : ج ٣ ص ٣٨٥ ووقعة صفين لابن مزاحم .

فأراد رجال معاوية أن يموهوا الأمر ، ويشوشوه عليه فقالوا : ما لعمار ولصفين؟ فذلك ما يقوله أهل العراق وما يبالون من الكذب .

ولكن ذا الكلاع لم يقتنع بهذا فقال لعمرو بن العاص : يا أبا عبد الله أما قال رسول الله ﷺ : « إن عمارا تقتله الفئة الباغية »؟

فقال عمرو : أجل ، ولكن ليس عمار في رجال علي .

فقال ذو الكلاع : فلا بد اذن أن أعرف ذلك بنفسي .

ثم أمر رجالا بأن يتحققوا من الأمر . وفي هذه اللحظة الحساسة ادرك معاوية وعمرو خطورة الموقف اذ لو تحقق ذو الكلاع من وجود عمّار في معسكر « علي » أو عرف بمقتله بين يديه عليه السلام إذن لأحدث ذلك شرخا كبيرا وتمزقا فضيعا في جيش الشام ، من هنا تمت تصفية ذو الكلاع فورا اذ قتل بصورة غامضة <sup>(١)</sup> .

إن اشتهار هذا الحديث لدى محدثي السنة والشيعة ليغنيانا عن استعراض مصادره ، واسناده .

فقد روى الامام احمد بن حنبل أنه لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال قتل عمّار وقد قال رسول الله ﷺ : تقتله الفئة الباغية فقام عمرو بن العاص فزعا يرجع ( أي يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ) حتى دخل على معاوية ، فقال معاوية : ما شأنك؟ قال : قتل عمّار فقال معاوية : قد قتل عمّار فما ذا؟ قال عمرو : سمعت رسول الله ﷺ يقول : تقتله الفئة الباغية فقال له معاوية : أو نحن قتلناه انما قتله علي وأصحابه جاءوا به حتى القوه بين رماحنا ( وسيوفنا ) <sup>(٢)</sup> .

ولكن لا يخفى أن هذا التأويل الباطل الذي لجأ إليه ابن أبي سفيان لتهدئة جنود الشام ، ليس مقبولا عند الله تعالى قط ، كما لا يقبل به أي عاقل لبيب .

فإنّ هذا هو الاجتهاد في مقابلة النص ، وهو مما لا قيمة له أبدا ، فان هذا

(١) وقعة صفين : ٣٧٧ و ٣٨٧ .

(٢) مسند الامام احمد بن حنبل : ج ٤ ص ١٩٨ .

النوع من الاجتهاد في مقابلة الآيات والروايات الصريحة هو الذي سبب في أن يعمد فريق من المجرمين والجناة إلى تبرير جرائمهم وفضائعهم بحجة « الاجتهاد » ، وتحت غطاءه .  
وإليك نموذجاً من هذا الأمر :

### ضئر أراف من والدة!!

لا يجد المرء عبارة أفضل من هذه تعرّ " حقيقة مؤرخ القرن الثامن الهجري ( ابن كثير الشامي مؤلف البداية والنهاية ) .

فقد انبرى هذا الرجل الى الدفاع عن معاوية في كتابه اذ قال : لا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم ، لأنهم وان كانوا بغاة في نفس الأمر فانهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال وليس كل مجتهد مصيباً ، بل المصيب له أجران ، والمخطئ له أجر واحد ( ثم يقول ) وأما قوله : يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار فان عمّاراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الالفه واجتماع الكلمة ، وأهل الشام يريدون ان يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به ، وان يكون الناس أوزاعاً على كل قطر امام برأسه ، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة فهو لازم مذهبهم وناشئ عن مسلكتهم وان كانوا لا يقصدونه!!<sup>(١)</sup>  
ونحن لم نجد اسماً يناسب هذا العمل إلا التحريف للحقائق .

فان مؤيدي الفئة الباغية مع كل ما اوتوا من قدرة على إخفاء الحقائق وطمسها لم يستطيعوا إنكار هذه الحقيقة ، ولكن مؤرخنا مثل ابن كثير عمد . رغم ورود هذا الحكم الغيبي في شأن تلك الفئة . الى تحريف بارد قد غفلت تلك الفئة هي ذاتها عنه!!

يقول أحمد بن حنبل : دخل رجلان على معاوية يختصمان في رأس عمّار يقول

---

(١) البداية والنهاية : ج ٢ ص ٢١٨ .



كل واحد منهما أنا قتلته ، فقال عبد الله بن عمرو : ليطيب به أحدكما نفسا لصاحبه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : تقتله الفئة الباغية قال معاوية : فما بالك معنا؟ قال : ان أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال : اطع أباك ما دام حيا ، ولا تعصه ، فأنا معكم ولست اقاتل (١) .

إن اعتذار « عبد الله بن عمرو بن العاص » يشبه تأويل ابن كثير الشامي الذي يقول : إن معاوية قاتل « عليا » في صفين اجتهادا وإيمانا ، وإن أخطأ في اجتهاده ، وذلك لأن إطاعة الوالد واجبة ما لم تخر إلى مخالفة الشرع ، فهذا هو القرآن الكريم يقول :  
« إِنِّي جَاهِدُكَ لِتُشْكِرَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا » (٢) .

كما ان الاجتهاد إنما يصح إذا لم يكن في المقام نص صريح ، ورد عن النبي ﷺ ، ولهذا كان اجتهاد معاوية وعمرو بن العاص وامثالهما باطلا مرفوضا ، لكونه في مقابلة النص النبوي.

ولو أننا فتحنا باب الاجتهاد هكذا بدون أية ضوابط لكان جميع المشركين والمنافقين معذورين في معارضتهم ، ومحاربتهم لرسول الله ﷺ ، كما لا بد . حينئذ . أن نقول : إن يزيد والحجاج وأشباههما كانوا معذورين في سيفكهم لدماء الأئمة المعصومين ، والصالحين من المسلمين ، بل ومأجورين في عملهم هذا.

انتهى النبي ﷺ والمسلمون من بناء المسجد ، وظل يوسّع فيه كل عام شيئا فشيئا . وقد بني الى جانب المسجد صفة ليسكن فيها الفقراء والمهاجرون المحرومون . وكلف « عبادة بن الصامت » بأن يعلمهم الكتابة ، وقراءة القرآن .

(١) مسند احمد بن حنبل : ج ٢ ص ١٦٤ و ١٦٥ .

(٢) العنكبوت : ٨ .

## التآخي ؛ أو أعظم معطيات الايمان :

لقد فتح تمرکز المسلمين في المدينة فصلا جديدا في حياة رسول الله ﷺ .  
فقد كان ﷺ قبل دخوله المدينة لا يهّمه إلاّ جذب القلوب والدعوة إلى دينه ، ولكنه اليوم عليه أن يعمل . كصاحب دولة محنّك . على حفظ كيانه وكيان جماعته ، ولا يسمح للأعداء الداخلين والخارجيين بالتسلّل والنفوذ في صفوفهم ، ولكنه كان يواجه في هذا السبيل ثلاث مشاكل كبرى :

- ١ . خطر قريش وعامة الوثنيين في شبه الجزيرة العربية .
  - ٢ . خطر يهود يثرب الذين كانوا يقطنون داخل أو خارج المدينة ويمتلكون ثروة كبيرة .
  - ٣ . الاختلاف الذي كان بين أتباعه من المهاجرين وبين الأوس والخزرج .
- وحيث إن المهاجرين والانصار قد نشعوا في بيئتين مختلفتين ، لهذا كان من الطبيعي أن يختلفوا في طريقة المعاشرة ، وآداب السلوك ، واسلوب التفكير اختلافا كبيرا .  
هذا مضافا إلى أن الأوس والخزرج الذين كانوا يشكّلون جماعة الأنصار كانوا هم يعانون من رواسب عداة قديم وبقايا ضغائن نشأت خلال حروب موية طويلة استغرقت مائة وعشرين سنة بلا انقطاع .  
ومع وجود مثل هذه التناقضات والأخطار المحتملة لم يكن مواصلة الحياة الدينية ، والسياسية المستقرة أمرا ممكنا قط .  
ولكن رسول الله ﷺ تغلّب على كل هذه المشكلات بطريقة حكيمة ، غاية في الحنكة والابداع .

فبالنسبة إلى المشكلتين الأوليين فقد عاجلهما بالقيام بأعمال سيأتي ذكرها في المستقبل .  
وأما بالنسبة إلى مشكلة التناقضات بين فئات وأصناف جماعته فقد عاجل

تلك المشكلة بمذق كبير ، وتدبير رائع جدا.  
فقد امر من جانب الله تعالى بأن يؤاخي بين المهاجرين والأنصار.  
فجمعهم رسول الله ﷺ ذات يوم وقال لهم :  
« تأخوا في الله أخوين أخوين » .  
وقد ذكرت المصادر التاريخية الاسلامية ، مثل « السيرة النبوية » لابن هشام <sup>(١)</sup> اسماء كل  
متآخين من المهاجرين والأنصار.  
وبهذا الاسلوب كرّس رسول الله ﷺ الوحدة السياسية والمعنوية بين المسلمين وقوّ  
اسسها ودعائمها.  
وقد سببت هذه الوحدة ، وهذا التآخي الواسع في أن يقرّر حلا للمشكلتين الاوليين  
بسرعة وسهولة.

### منقبتان عظيمتان :

ولقد ذكر أكثر مؤرّخي السنة والشيعه ومحدثيهم في هذا الموضوع منقبتين عظيمتين ،  
نذكرهما نحن هنا أيضا : لقد آخى رسول الله ﷺ بين ثلاثمائة من أصحابه من المهاجرين  
والأنصار وهو يقول : يا فلان أنت أخ لفلان .  
ولما فرغ من المؤاخاة ، قال له علي ؑ ، وهو يبكي :  
« يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد ؟ »  
فقال له رسول الله ﷺ وقد أخذ بيده :  
« أنت أخي في الدنيا والآخرة » <sup>(٢)</sup> .  
وقد ذكر القندوزي الحنفي هذه القضية بنحو أكثر تفصيلا اذ قال :  
فقال رسول الله ﷺ لعلي :  
« والذي بعثني بالحق نبيا ما آخرتك إلا لنفسي ، فأنت مني بمنزلة هارون من

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٥٠٤ . ٥٠٧ .

(٢) المستدرک علی الصحیحین : ج ٣ ص ١٤ .

موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي ، وأنت أخي ووارثي » (١) .

غير ان ابن كثير شكك في صحة هذا الرواية (٢) ، وحيث إن هذه التشكيك نابع من نفسيته الخاصة ، ولا يقلّ تفاهة وبطلانا من اعتذاره ودفاعه عن معاوية وزمرته الباغية عن قتل الصحابي العظيم عمار بن ياسر لهذا نرجح أن نصرف النظر عن النقاش فيه ، ونترك القضاء والحكم عليه للقارئ المنصف ، والمتتبع العدل .

### منقبة أخرى لعلي عليه السلام :

فرغ رسول الله ﷺ من بناء المسجد ، وقد بنيت منازل ومنازل أصحابه حول المسجد ، وكلّ شرع منه بابا إلى المسجد ، وخطّ لحمزة خطا فبنى منزله فيه ، وشرع بابه الى المسجد وخط لعلي بن أبي طالب مثل ما خط لهم فبنى منزله فيه وشرع بابه إلى المسجد ، فكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد من تلك الابواب .

وفجأة نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ وقال :

« يا محمد إن الله يأمرك أن تأمر كل من كان له باب إلى المسجد أن يسدّه ولا يكون لأحد باب إلى المسجد إلا لك ولعلي عليه السلام . »

يقول ابن الجوزي : فأوجد هذا الامر ضجة عند البعض ، وظنوا أنّ هذا الاستثناء قد

نشأ عن سبب عاطفي ، فخطب رسول الله ﷺ في الناس وقال فيما قال :

« والله ما أنا أمرت بذلك ، ولكنّ الله أمر بسدّ أبوابكم وترك باب عليّ » (٣) .

وخلاصة القول أن رسول الله ﷺ قضى عن طريق المؤاخاة

(١) ينابيع المودة : ص ٥٦ ، ونظيره في السيرة النبوية .

(٢) البداية والنهاية : ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٣) تذكرة الخواص : ص ٤٦ ، بتصرف بسيط .

الاسلامية بين أصحابه من الأنصار والمهاجرين على الاختلافات القديمة التي كانت رواسيها باقية بين المسلمين إلى ذلك اليوم ، وبذلك حل مشكلة من المشاكل الثلاث التي مرّ ذكرها .

### معاهدة الدفاع المشترك بين المسلمين ويهود يثرب :

كانت المشكلة الثانية التي يواجهها رسول الله ﷺ في المدينة هي مشكلة يهود يثرب الذين كانوا يقطنون المدينة وخارجها وكانوا يمسون بأزمة التجارة والاقتصاد في تلك المنطقة . لقد كان رسول الله ﷺ يدرك جيدا أنه ما لم تصلح الأوضاع الداخلية في المدينة وما لم يضمّ الى صفوفه يهود يثرب ، وبالتالي ما لم يقيم وحدة سياسية عريضة في مركز حكومته ، لم تنهياً لشجرة الاسلام أن تنمو ، ولن يتهيأ له ﷺ أن يفكر في أمر الوثنيين والوثنية في شبه الجزيرة العربية ولا يستطيع معالجة المشكلة الثالثة أعني قريش بخاصة . وبكلمة واحدة ما لم يستتب الأمن والاستقرار في مقر القيادة لن يمكن الدفاع ضد العدو الخارجي .

ولقد قام بين يهود المدينة والمسلمين في بداية هجرتهم إليها نوع من التفاهم لأسباب خاصة ، لأنّ كلا الجانبين كانا موحدتين يعبدان الله ، ويرفضان الأوثان ، وكان اليهود يتصوّرون أنهم يستطيعون . إذا اشتد ساعد المسلمين ، وقويت شوكتهم . أن يأمنوا حملات المسيحيين الروم ، هذا من جانب ، ومن جانب كان بينهم وبين الأوس والخزرج علاقات عريقة وموثيق قديمة .

من هنا حاول النبي ﷺ أن يكرّس هذا التفاهم ، ويبلوره بعقد معاهدة تعايش ، ودفاع مشترك بين الأنصار والمهاجرين وقّع عليها يهود المدينة أيضا <sup>(١)</sup> .

---

(١) المقصود منهم يهود الأوس والخزرج ، وأما يهود بني النضير ، وبني قينقاع ، وبني قريظة فقد عقد

وقد احترم رسول الله ﷺ في تلك المعاهدة دين اليهود وثروتهم في اطار شرائط معينة. وقد أدرج كتاب السيرة والمؤرخون النص الكامل لهذه المعاهدة في كتبهم<sup>(١)</sup>. ونظرا لأهميتها الخاصة ، ولأنها تعتبر مستندا تاريخيا حيا ، قوي الدلالة ، ولكونها تكشف عن مدى التزام رسول الاسلام العظيم ﷺ بمبادئ الحرية والنظم والعدالة ، ومبلغ مراعاته واحترامه لها في الحياة ، ولأنها تكشف لنا كيف أنها أوجدت جبهة متحدة قوية في وجه الحملات الخارجية نذكر هنا نقاطها الحساسة ونسجلها كواحد من أكبر الانتصارات السياسية التي أحرزتها الحكومة الاسلامية الناشئة في العالم ذلك اليوم.

### أعظم معاهدة تاريخية :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم.

#### « البند الاول »

١ . إثم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ريعتهم ( أي على الحال التي جاء الاسلام وهم عليها ) يتعاقلون بينهم ( أي يدفعون دية الدم ) وهم يقدون عانيهم ( أسيرهم ) بالمعروف والقسط بين المؤمنين .  
٢ . وبنو عوف على ريعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى ، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وهكذا بنو ساعدة وبنو الحارث ، وبنو جشم ، وبنو النجار ، وبنو عمرو بن عوف وبنو النبيت ، وبنو الأوس كل على ريعتهم

---

. النبي ﷺ معهم معاهدة مستقلة سنذكرها.

(١) مثل السيرة النبوية : ج ١ ص ٥٠١ .

- ( والحال التي جاء الاسلام وهم عليها من حيث التعاون على الدييات الى اولياء المقتول ،  
 ودفع الفدية معا لفك الأسير ).
- ٣ . وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا ( أي مثقلا بالدين وكثير العيال ) بينهم أن يعطوه  
 بالمعروف في فداء أو عقل ( أي دفع دية او فداء أسير ).
- ٤ . وإن المؤمنين المتقين ( يد واحدة ) على من بغى منهم ، او ابتغى دسيعة ( عظيمة )  
 ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد احدهم .
- ٥ . وأن لا يحالف مؤمن مؤمن مولى ( أي عبد ) مؤمن دونه ( أي دون إذنه ).
- ٦ . وأن لا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ( أي قصاصا لمقتل كافر على يدي ذلك المؤمن )  
 ولا ينصر كافرا على مؤمن .
- ٧ . وان ذمة الله واحدة ( تشمل جميع المسلمين بلا استثناء ) يجير عليهم أذناهم ( فاذا  
 أجاز عبد مسلم كافرا قبلت إجارته واحترم أمانه ).
- ٨ . وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .
- ٩ . وإِنَّه من تبعنا من يهود فإنّ له النصر والاسوة غير مظلومين ، ولا متناصرين عليهم .
- ١٠ . وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على  
 سواء وعدل بينهم ( فلا يجوز لأحد أن ينفرد بعقد معاهدة صلح مع أحد من غير المسلمين  
 إلا بموافقة المسلمين ).
- ١١ . وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ( أي يتناوب المسلمون في المشاركة  
 في الجهاد ) ، وإنّ المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله ( أي يراق  
 منهم الدم على السواء لا أن يتعرض للقتل بعض دون بعض ).
- ١٢ . وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .
- ١٣ . وأن لا يجير مشرك ( من مشركي المدينة ) مالا لقريش ، ولا نفسا ، ولا يحول دونه  
 على مؤمن ( أي لا يمنعه من مؤمن ).

- ١٤ . وإنه من اعتبط مؤمنا ( أي قتل من المؤمنين مؤمنا بلا جناية منه توجب قتله ) قتلا عن بيّنة فإنه قود به ( أي يقتل بقتله قصاصا ) إلا أن يرضى ولي المقتول .  
وانّ المؤمنين عليه كافة ، ولا يحلّ لهم إلا قيام عليه .
- ١٥ . وإنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر محدثا ( صاحب بدعة ) ولا يؤويه وأنه من نصره ، وآواه فعليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .
- ١٦ . وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ .

### « البند الثاني »

- ١٧ . وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ( ودفاعا عن المدينة ) .
- ١٨ . وإن يهود بني عوف أمة من المؤمنين ( وبنو عوف قبيلة من قبائل الأنصار ) لليهود دينهم وللمسلمين دينه ، موليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ ( لا يهلك ) إلا نفسه وأهل بيته ( والسبب في هذا هو أن أهل بيت الرجل يتبعونه ويؤيدونه في فعله غالبا وعادة ) .
- والمراد من هذا الاستثناء هو أن العلاقات والاتحاد يبقى قائما بين تلك الطائفة من اليهود وبين المسلمين ما دام لم يكن ثمة ظالم ومعتد .
- ١٩ . وإنّ ليهود بني النجار ، وبني الحارث وبني ساعدة ، وبني جشم ، وبني الأوس وبني ثعلبة ، وبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ، من الحقوق والامتيازات .
- وإن جفنة بطن من ثعلبة ( أي تلك القبيلة فرع من هذه ) ، وإنّ لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف .
- ٢٠ . وإن البر دون الإثم ( أي أن يغلب حسناتهم على سيئاتهم ) .
- ٢١ . وإن موالى ثعلبة ( أي المتحالفين معهم ) كأنفسهم .



- ٢٢ . وإن بطانة يهود ( أي خاصتهم ) كأَنفسهم .
- ٢٣ . وأَنه لا يخرج منهم أحد ( من هذه المعاهدة ) إلا باذن مُحَمَّد ﷺ .
- ٢٤ . وإِنَّه لا ينحجر على ثأر جرح ( اي لا يضيع دم حتى الجرح ) ، وان من فتك ( بأحد ) فبنفسه فتك ، وأهل بيته إلا من ظلم ( أي إلا إذا كان المفتوك به ظلماً ) .
- ٢٥ . وإنَّ على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأنَّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ( أي أن على كل جماعة من المسلمين واليهود أن يقوم بنصيبه من نفقات الحرب ) .
- ٢٦ . وإن بينهم النصح والنصيحة ( أي أن تكون العلاقات على هذا الاساس ) والبر دون الاثم .
- ٢٧ . وإِنَّه لم يأثم امرؤ بحليفه ( أي لا يحق لأحد أن يظلم حليفه وأن النصر للمظلوم ) لو فعل أحد ذلك ) .
- ٢٨ . وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ( أي أن داخل المدينة حرم ومأمن لجميع من وقَّع على هذه الصحيفة ) .
- ٢٩ . وإن الجار ( وهو من يدخل في أمان أحد ) كالنفس غير مضار ولا آثم ، ( فلا يجوز إلحاق ضرر به ) .
- ٣٠ . وإِنَّه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها .
- ٣١ . وإِنَّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مردّه إلى الله عز وجل وإلى مُحَمَّد رسول الله ﷺ وسلم ، وإنَّ الله على اتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه ( أي أنه تعالى ناصر وولي لمن التزم بهذه المعاهدة ) .
- ٣٢ . وإِنَّه لا تجار قريش ولا من نصرها .

### « البند الثالث »

- ٣٣ . وإن بينهم ( أي بين اليهود والمسلمين ) النصر على من دهم يثرب

( فعليهم معا أن يدافعوا عن المدينة ضد المعتدين ).

٣٤ . واذا دعوا ( أي دعى المسلمون اليهود ) الى صلح يصلحونه ، ويلبسونه ، فانهم يصلحونه ويلبسونه .

وإنهم اذا دعوا ( أي اذا دعى اليهود المسلمين ) الى مثل ذلك ( الصلح ) فانه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين .

فعلى اليهود أن يوافقوا على كل صلح يعقده المسلمون مع الأعداء ، وهكذا على المسلمين أن يقبلوا بكل صلح يعقده اليهود مع الأعداء إلا إذا كان ذلك العدو ممن يخالف الاسلام ويعاديه ويتآمر عليه .

٣٥ . وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة .

#### « البند الرابع »

٣٦ . وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وأثم . ( فلا يمكن لأحد أن يتستر وراءه ليتخلص من العقاب إذا ارتكب خطيئة وجناية ) .

٣٧ . وإنه من خرج ( من المدينة ) آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم .

ثم ختمت هذه المعاهدة بالعبارة التالية :

« وإن الله جار لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله ﷺ »<sup>(١)</sup> .

إن هذه المعاهدة السياسية التاريخية التي أدرجنا هنا أهم مقاطعها تعد نموذجاً كاملاً لرعاية الاسلام ، وحرصه على مبدأ حرية الفكر والاعتقاد ، ومبدأ الرفاه الاجتماعي العام ، وضرورة التعاون في الامور العامة ، بل وتوضّح هذه المعاهدة . فوق كل ذلك . حدود صلاحيات واختيارات القائد ، ومسئولية كلّ الموقعين عليها ، وعلى أمثالها .

على أنه وإن لم يشترك يهود « بني قريظة » و « بني النضير » و « بني قينقاع »

---

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٥٠٣ و ٥٠٤ ، الاموال : ص ١٢٥ . ٢٠٢ .

في إبرام هذه المعاهدة والتوقيع عليها ، بل شارك فيها يهود الأوس والخزرج فقط ، إلا أنّ تلك الطوائف اليهودية ( الثلاث ) قد وقعت فيما بعد مع قائد المسلمين وزعيمهم على معاهدات مماثلة أهم بنودها هي :

أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ ولا على أحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا بسلاح ولا بكرع ( أي الخيل وغيرها من المراكب ) في السر والعلانية لا بليل ولا بنهار ، الله بذلك عليهم شهيد ، فإن فعلوا فرسول الله في حلّ من سفك دمائهم ، وسي ذراريهم ، ونسائهم ، وأخذ أموالهم .

وقد كتب رسول الله ﷺ لكلّ قبيلة منهم كتابا على حدة على هذا الغرار ، ثم وقع عليها « حي بن أخطب » عن قبيلة بني النضير ، و « كعب بن أسد » عن بني قريظة ، و « المخزيم » عن قبيلة بني قينقاع <sup>(١)</sup> .

وبهذا ساد الأمن يثرب وضواحيها بعد أن اعتبرت المنطقة حرما آمنا .  
والآن جاء دور أن يعالج رسول الله ﷺ المشكلة الأولى ، يعني قريش لأنه ما دام هذا العدو يعرقل حركة الدعوة ، ويقف سداً أمام تبليغ الاسلام ، فلن يوفّق لنشر هذا الدين وتطبيق أحكامه ، وتعاليمه المباركة .

### ممارسات اليهود الإجهاضية :

لقد تسببت تعاليم الاسلام الرفيعة وأخلاق الرسول العظيم في أن يتزايد عدد المنتسبين الى الاسلام يوماً بعد يوم ، وتزداد بذلك قوة الاسلام العسكرية والاقتصادية والسياسية .  
وقد أحدث هذا التقدم المتزايد الباهر قلقاً وضجة عمجية في الأوساط اليهودية الدينية ، لأنهم كانوا يتصوّرون أنهم يستطيعون بدعمهم رسول الله ﷺ وتقويته وتأييده جرّه إلى صفوفهم ، ولم يكونوا يتصوّرون قط أنّ

---

(١) بحار الأنوار : ج ١٩ ص ١١٠ و ١١١ . احتفظ في ذاكرتك أيها القارئ الكريم هذا القسم من المعاهدة الثانية لأن رسول الله ﷺ عاقب اليهود بسبب نقضهم لهذه المعاهدة .

النبي ﷺ سيحصل بذاته على قوة تفوق قوة اليهود والنصارى ، من هنا بدءوا بممارسة الأعمال الاجهاضية مثل طرح الاسئلة الدينية العويصة على رسول الله ﷺ بغية زعزعة إيمان المسلمين بنبيهم ، ولكن جميع هذه المخططات باءت بالفشل ولم تترك أي أثر في صفوف المسلمين المتراصة وإيمانهم العميق برسول الاسلام.

وقد جاءت بعض هذه المناظرات والمجادلات في سورة البقرة وسورة النساء. ويستطيع القارئ العزيز . من خلال قراءة . آيات هاتين السورتين والتمعن فيهما أن يقف على مدى العناد واللجاج الذي كان يبيده اليهود.

فمع أنهم كانوا يتلقون من رسول الله ﷺ على أجوبة واضحة لكل واحد من اسئلتهم كانوا يتهزبون من الانضواء تحت راية الاسلام ، ويحجمون عن الاعتراف به ، وكانوا يقولون في مقام الرد على دعوة النبي إياهم إلى اعتناق الاسلام :

« قلوبنا غلف » .

أي لا نفهم ما تقول!!<sup>(١)</sup> .

اسلام عبد الله بن سلام :

هذه المناظرات والمجادلات وان كانت لا تزيد غالبية اليهود إلا تعنتا وعنادا ، ولكنها كانت تسبب أحيانا يقظة البعض وإقبالهم على الاسلام ، مثل « عبد الله ابن سلام » . فقد أسلم ابن سلام الذي كان من علماء اليهود وأحبارهم ، برسول الله ﷺ بعد سلسلة من المناظرات والمجادلات المطولة<sup>(٢)</sup> .

ولم يمض وقت كبير على اسلام ابن سلام إلا والتحق به عالم آخر من علماء

---

(١) و (٢) للوقوف على نص هذه المناظرات راجع السيرة النبوية : ج ١ ص ٥٣٠ - ٥٧٢ ، بحار الأنوار : ج ٩ ص ٣٠٣ فما بعد.

اليهود هو « المخيريق » .

وكان عبد الله بن سلام يعلم بأنه سيذمه قومه من اليهود اذا عرفوا باسلامه وترك دينهم ، من هنا طلب من رسول الله ﷺ أن يكتف عن الناس إسلامه ، ريثما يحصل أولاً على اعتراف من قومه بعلمه وتقواه ، وبمعرفة صلاحه قائلاً : « يا رسول الله إن يهود قوم بهت ، وأبي أحب أن تدخلني في بعض بيوتك ، وتعييني عنهم ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني » .

فأدخله رسول الله ﷺ في بعض بيوته وأخفاه عن الانظار ثم قال لليهود الداخلين عليه :

« أي رجل الحصين بن سلام فيكم؟ » .

قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا وعالمنا ، فخرج عليهم « عبد الله بن سلام » من محبأه وقال لهم : يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فو الله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ ، وأؤمن به وصدقته وأعرفه .

فغضب اليهود من مقالته ، وقالوا له : كذبت ووقعوا فيه ، وعابوه ، وبهتوه <sup>(١)</sup> .

### خطة أخرى للقضاء على الحكومة الإسلامية :

لم تضعف مجادلات اليهود واستغلتهم العويصة عقيدة المسلمين وإيمانهم برسول الله ﷺ فحسب ، بل تسببت في أن تتضح مكانته العلمية ، وقيمة معارفه الغيبية للجميع أكثر من ذي قبل .

ففي ظل هذه المجادلات والمحاورات رغب جماعات كبيرة من الوثنيين واليهود في الاسلام فآمنوا برسول الله ﷺ وصدقوه .

من هنا دبّر اليهود مؤامرة أخرى وهي التدرجّ بأسلوب « فخرّ تسد » ، لالقاء

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٥١٦ .

الفرقة في صفوف المسلمين.

فقد رأى دهاة اليهود وساستهم أن يستغلوا رواسب الاختلافات ، ويؤججوا نيران العداة القديم بين الأوس والخزرج الذي زال بفضل الاسلام ، وبفضل ما أرساه من قواعد الاخوة والمساواة والمواساة والمحبة ، بعد أن كانت مشتتة طوال مائة وعشرين عاما متوالية ، ليستطيعوا بهذه الطريقة تمزيق صفوف المسلمين بإثارة الحروب الداخلية بينهم ، والتي من شأنها ابتلاع الاخضر واليابس والقضاء على الجميع دون ما استثناء.

ففيما كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم ، يتحدثون فيه إذ مر عليهم « شاس بن قيس » وهو يهودي شديد العداة للإسلام ، عظيم الكفر ، شديد الضغن على المسلمين ، فغاضه ما رأى من الفة الأوس والخزرج ، واجتماعهم وتواددهم ، وصالح ذات بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة الطويلة في الجاهلية ، فأمر فتى من يهود كان معهم فقال له : اعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعث (١) وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا وتبادلوا فيه من الاشعار!! ايقاعا بين هاتين الطائفتين من الأنصار ، وإثارة لنيران الاحقاد الدفينة ، والعداوات الغابرة.

ففعل ذلك الغلام اليهودي ما أمره به « شاس » فتكلم القوم عند ذلك ، وتنازعوا ، وتفاخروا ، وتوآب رجالان من القبيلتين على الركب وأخذ كل منهما يهدد الآخر ، وتفاقم النزاع ، وغضب الفريقان وتصايحا ، وقاما إلى السلاح وكاد أن يقع قتال ودم بعد أن ارتفعت النداءات القبلية بالاستغاثة والاستنجاد على عادة الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وعرف بمكيدة اليهود ، ومؤامرتهم الخبيثة هذه ، فخرج الى تلك الجماعة المتصايحة من الأوس والخزرج في جمع من أصحابه المهاجرين فقال :

---

(١) قد مر ذكر هذه الوقعة وقلنا : هو يوم اقتتل في الأوس والخزرج وكان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج.

« يا معشر المسلمين ، الله الله أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهليّة ، واستنقذكم به من الكفر ، وألّف بين قلوبكم؟؟؟ » .

فعرف القوم أنّها مؤامرة مبيّنة من اليهود اعداء الاسلام والمسلمين ، وكيد خبيث منهم ، فندموا على ما حدث ، وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، وأطفأ الله عنهم كيد أعدائهم<sup>(١)</sup> .

إلا أن مؤامرات اليهود لم تتوقف عند هذا الحدّ ، ولم تنته بهذا ، فقد اتسعت دائرة خيانتهم وجنابتهم ، ونقضهم للعهد وأقاموا علاقات سرية وخاصة مع مشركي الأوس والخزرج ، ومع المنافقين والمترددين في اسلامهم واعتقادهم ، واشتركوا بصورة صريحة في اعتداءات قريش على المسلمين ، وفي الحروب التي وقعت بين الطرفين ، وكانوا يقدّمون كل ما أمكنهم من الدعم والمساعدة للوثنيين ، ويعملون لصالحهم!!

وقد جرت هذه النشاطات السريّة والعلنية المضادّة المعادية للاسلام والمسلمين ، وهذا التعاون المشؤوم مع مشركي قريش ، جرت إلى وقوع مصادمات وحروب دامية بين المسلمين والطوائف اليهودية أدت في المآل إلى القضاء على الوجود اليهودي في المدينة.

وسياقي ذكر هذه الحوادث في وقائع السنة الثالثة والرابعة من الهجرة ، وسيتضح هناك كيف أن الجماعة اليهودية ردت على الجميل الذي تعكسه كلتا المعاهدتين من أولهما الى آخرهما ، بنقض العهد ، ومعاداة الاسلام والمسلمين ، والتآمر ضدّ رسول الله ﷺ خاصة ، وبنصرة أعدائه ، ودعم خصومه ، الأمر الذي أجبر النبي ﷺ على تجاهل تلك المعاهدات الودية والانسانية ومن ثم محاربتهم ، وإخراجهم من المدينة وما حولها والقضاء على

---

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٥٥٥ . ٥٥٧ .

ما تبقى من كياناتهم الشريرة.

لقد أقام رسول الله ﷺ في المدينة من ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة إلى شهر صفر من السنة الثانية حتى بنى المسجد والبيوت والمنازل المحيطة بها ، وقد أسلم في هذه الفترة كل من تبقى من الأوس والخزرج ، ولم يبق دار من دور الانصار إلاّ أسلم أهلها ، ما عدا بعض العوائل والفروع ممن بقوا على شركهم ، ولكنهم أسلموا بعد معركة بدر <sup>(١)</sup>.

---

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٥٠٠.



## مناورات عسكرية

### واستعراضات حربية

المهدف من هذا الفصل هو شرح وبيان الأسرار الكامنة وراء سلسلة الاستعراضات الحربية ، والمناورات العسكرية ، التي قام وأمر بها رسول الله ﷺ .  
فقد بدأت هذه المناورات منذ الشهر الثامن من الهجرة واستمرت حتى شهر رمضان من السنة الثانية ، وتعد في الحقيقة أول مناورات عسكرية ، وعروض حربية قام بها المسلمون .  
إن التفسير الصحيح لهذه الوقائع ، وبيان رموزها وأسرارها انما يتيسر اذا طالعنا نص ما كتب حول هذه الوقائع في المصادر التاريخية من دون زيادة أو نقصان ثم نعرض على القارئ الكريم رأي المحققين من المؤرخين فيها .

وإليك فيما يأتي خلاصة هذه الحوادث :

١ . لم يكن يمض على إقامة رسول الله ﷺ في المدينة أكثر من ثمانية أشهر عند ما عقد النبي أو لواء لقائد عسكري شجاع هو « حمزة بن عبد المطلب » وقد أمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين بعثهم الى سواحل البحر الأحمر حيث الطرق التجارية التي تمر فيها قافلة قريش التجارية ، فالتقوا قافلة قريش في « العيص » فيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل من أهل مكة ، فاصطفوا

للقِتال ، ولكنهما تفرقا ولم يقع قتال لوساطة قام بها « مجدي بن عمرو » الذي كان حليفاً للفريقين ، فانصرف حمزة راجعاً الى المدينة ، وتوجّه أبو جهل في غيره وأصحابه إلى مكة<sup>(١)</sup> .

### تهديد خطوط قريش التجارية

#### غزوة بدر :

انقضت السنة الاولى من الهجرة بكل حوادثها الحلوة والمرّة ، والمسرة والمحزنة ، ودخل النبي وأصحابه العام الثاني من الهجرة .

والسنة الثانية من الهجرة تتضمن حوادث عظيمة وباهرة ، ومن أبرزها حادثتان تحظيان بمزيد من الاهمية احدهما : تغيير القبلة والأخرى وقعة بدر الكبرى .

ولكي تتضح أسباب وعلل معركة بدر نذكر سلسلة من الوقائع التي وقعت قبلها ، اذ بتحليلها ودراستها تتضح أسباب معركة بدر .

لقد كان من بين الحوادث التي وقعت في أواخر السنة الاولى وبدايات السنة الثانية من الهجرة : بعث « الدوريات العسكرية » الى خطوط قريش التجارية<sup>(٢)</sup> والآن يجب أن نرى ما هو هدف الحكومة الاسلامية من هذه البعث

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٢٢ فما بعد ، بحار الأنوار : ج ١٩ ص ١٨٦ . ١٩٠ . ، امتاع الاسماع : ص ٥١ ، الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ٧٧ و ٧٨ والمغازي للواقدي : ج ١ ص ١٩٠ . ٩ .

(٢) لقد بعث رسول الله ﷺ دوريات عسكرية عديدة إلى ضواحي المدينة وأطرافها لتهديد قوافل قريش التجارية .

وقد كان ينبغي . طبقاً للترتيب الموضوعي والتسلسل التاريخي . أن نذكر بعض السرايا مثل سرية حمزة وسرية عبدة بن الحارث في فصل وقائع السنة الاولى للهجرة ، بيد أنه لوجود مناسبة بينها وبين حوادث السنة الثانية ذكرناها في أحداث السنة الثانية .

هذا مضافاً الى أن ابن هشام . تبعاً لابن إسحاق . يرى وقوع هذه الحوادث في السنة الثانية من الهجرة وان كان الواقدي يعتبر بعضها من حوادث السنة الاولى .

العسكرية.

هناك مصطلحان رائجان في كتابات المؤرخين وكتاب السيرة أكثر من أي مصطلح آخر وهما لفظة : « الغزوة » و « السريّة »<sup>(١)</sup>.

والمقصود من « الغزوة » تلك العمليات العسكرية التي كان رسول الله ﷺ يشارك فيها بنفسه ، ويتولى قيادتها بشخصه.

على حين يكون المقصود من « السريّة » إرسال مجموعات عسكرية وفرق وكثائب نظاميّة لا يشترك فيها رسول الله بنفسه بل يؤمّر عليها أحد قاداته العسكريين ويوجّهها إلى الوجهة التي يريدّها.

وقد احصيت غزوات النبي ﷺ فكانت (٢٧) أو (٢٦) غزوة.

ويعود الاختلاف في العدد الى أن بعض المؤرخين يعتبر غزوة « خيبر » وغزوة « وادي القرى » اللتين حدثتا تباعا ومن دون فاصلة غزوتين والبعض الآخر عدّهما غزوة واحدة<sup>(٢)</sup>.

وقد وقع نظير هذا الخلاف في تعداد سرايا النبي ﷺ أيضا فأحصى المؤرخون (٣٥) ، (٣٦) ، (٤٨) ، وحتى (٦٦) سريّة.

ويعود هذا الاختلاف إلى أن بعض السرايا لم يحسب لها حساب لقلّة أفرادها ، ولهذا حدث هذا الاختلاف في العدد.

من هنا كلّما ذكرنا لفظ السريّة قصدنا منه ما لم يشارك فيه النبي ، وكلما ذكرنا لفظ الغزوة قصدنا منه ما شارك فيه رسول الله ﷺ بنفسه.

وقد أحجمنا عن ذكر السرايا إلا سرايا السنوات الاولى من الهجرة لأن في بيان هذه الطائفة من السرايا أثرا مهما في تفسير بعض الغزوات مثل غزوة « بدر ».

وإليك بيان هذه السرايا والغزوات وشرح تفاصيلها.

(١) راجع المخبر : ص ١١٠. ١١٦.

(٢) مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٨٧ و ٢٨٨.

٢ . في نفس الوقت الذي بعث فيه رسول الله سرية حمزة ، عقد لواء آخر لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وبعثه في ستين راكبا من المهاجرين بهدف التعرض لقافلة قريش التجارية ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل « ثنية المرة »<sup>(١)</sup> .

فلقي بها جمعا عظيما من قريش يبلغ مائتين بقيادة أبي سفيان ، ولكن لم يكن بينهم قتال إلا أن « سعد بن أبي وقاص » رمي يومئذ بسهم ، كما أنه التحق رجالان مسلمان كانا في صفوف أبي سفيان بالمسلمين وقد خرجا مع الكفار وجعلوا ذلك وسيلة للوصول الى المسلمين والالتحاق بهم<sup>(٢)</sup> .

٣ . بعث رسول الله ﷺ وسلم في شهر ذي القعدة في السنة الاولى من الهجرة سرية اخرى بقيادة « سعد بن أبي وقاص » على رأس ثمانية أشخاص آخرين من المهاجرين للتحقيق في تنقلات قريش ورصد تحركاتها خارج المدينة ، فخرجوا حتى بلغوا منطقة « الخهر » ولكنهم لم يجدوا أحدا فعادوا إلى المدينة<sup>(٣)</sup> .

#### النبي ﷺ يلاحق قريشا بنفسه :

٤ . في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة استعمل رسول الله ﷺ على المدينة « سعد بن عباد » وأناط إليه ادارة امورها الدينية وخرج بنفسه مع جماعة من المهاجرين والأنصار ، لملاحقة ركب قريش التجاري واعتراضه ، وعقد معاهدة مودعة مع « بني ضمرة » حتى بلغ الابواء ، ولكنه لم يلق أحدا من قريش ، فرجع ﷺ هو ومن معه إلى المدينة<sup>(٤)</sup> .

٥ . وفي شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة استعمل ﷺ مرة اخرى على المدينة : « السائب بن عثمان » أو « سعد بن معاذ » وخرج نحو على رأس مائتين من الرجال يريد قريشا حتى بلغ بواط ( وهو جبل من جبال

(١) المحبر : ص ١١٦ .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٥٩١ .

(٣) المحبر : ص ١١٦ .

(٤) تاريخ الخميس : ج ١ ص ٣٦٣ نقلا عن ابن اسحاق .

بقرب ينبع على بعد ٩٠ كيلومترا من المدينة تقريبا ) ولكنه لم يظفر بقافلة قريش التي كان يقودها « أمية بن خلف » وعلى رأس مائة رجل من قريش ، فرجع الى المدينة .

٦ . وفي منتصف شهر جمادى الاولى من السنة الثانية للهجرة جاء الخبر أن قافلة قريش التجارية تخرج من مكة بقيادة أبي سفيان تريد الشام للتجارة ، وقد جمعت قريش كل أموالها في تلك القافلة ، فخرج رسول الله ﷺ في جمع من أصحابه لاعتراضها حتى بلغ « ذات العشيرة » وقد استعمل على مكة هذه المرّة « أبا سلمة بن عبد الأسد » ، وبقي ﷺ في ذات العشيرة إلى أوائل شهر جمادى الآخرة ينتظر قافلة قريش ، ولكنه لم يظفر بها ، ثم وادع فيها بني مدلب وعقد معاهدة عدم اعتداء ذكرتها المصادر التاريخية بالنص <sup>(١)</sup> .

وقال ابن الأثير : في هذه الغزوة ( والمكان ) نزل رسول الله ﷺ وجماعته في بواط عند عين فنام علي وعمار فوجدهما رسول الله ﷺ نائمين في رقعاء من التراب فايقظهما ، وحرّ عليّا فقال : قم يا أبا تراب ألا اخبرك باشقى الناس : أحيمر ثمود عاقر الناقة ، والذي يضربك على هذه [ يعني قرنه ] فيخضّب هذه منها [ يعني لحيته ] <sup>(٢)</sup> .

٧ . بعد أن رجع رسول الله ﷺ الى المدينة بعد اليأس من قافلة قريش لم يقيم بالمدينة الا ليالي قلائل لا تبلغ العشر حتى هاجم « كرز بن جابر الفهري » على ابل أهل المدينة ومواشيهم التي كانت قد سرحت للرعى بالغداة .

فخرج رسول الله ﷺ في طلبه وقد استعمل على المدينة زيد بن حارثة حتى بلغ واديا من ناحية بدر وفاته كرز بن جابر فلم يدركه ثم رجع ﷺ ومن معه الى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجبا

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٥٩٨ ، تاريخ الخميس : ج ١ ص ٣٦٣ .

(٢) الكامل : ج ٢ ص ١١٢ والمستدرک على الصحيحين : ج ٣ ص ١٤٠ و ١٤١ .

وشعبان<sup>(١)</sup> .

٨ . وفي شهر رجب من السنة الثانية للهجرة بعث رسول الله ﷺ « عبد الله بن جحش » على رأس ثمانية رجال من المهاجرين لملاحقة قافلة قريش التجارية ، وقد كتب له كتابا بالمهمة التي يجب ان ينقذها ، وأمره أن لا ينظر فيه قائلا له :  
« قد استعملتك على هؤلاء النفر فامض حتى إذا سرت ليلتين فانشر ( إي افتح ) كتابي ثم امض ( اي نقذ ) لما فيه » .

ثم عين له رسول الله ﷺ الوجهة التي يجب أن يتوجه إليها .  
فانطلق عبد الله ورفقاؤه وساروا يومين كاملين كما أمرهم رسول الله ﷺ ثم فتح عبد الله كتاب النبي ﷺ وقرأ ما فيه ، فاذا فيه :  
« إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف على اسم الله وبركته فترصد بها قريشا ، وتعلم ( أي حصّل ) لنا من أخبارهم ولا تكرهن أحدا من أصحابك<sup>(٢)</sup> وامض لأمري فيمن تبعك » .

فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله ﷺ أن امضي إلى نخلة أرسد بها قافلة قريش حتى آتية منهم بخبر ، وقد نحاني أن استكره أحدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ ، ومن أراد الرجعة فمن الآن .

---

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٠١ ، الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٩ ، وقد عدّ بعض المؤرخين هذه الحادثة ضمن الغزوة التي عرفت في التاريخ باسم غزوة صفوان أو غزوة بدر الاولى .  
(٢) يقال إنه كان الجنود . الى حين الحرب العالمية الثانية . إذا انتهوا من خدمتهم العسكرية تسلّم إليهم مع وثيقة الانتهاء من الخدمة العسكرية رسالة مغلقة محتومة يؤمر الجندي فيها بالمحافظة عليها كأمانة عسكرية لا يجوز له فتحها إلا عند حالات النفي العام ، والعمل بمضمونها وقد سبق النبي ﷺ إلى هذا التكتيك العسكري في أعماله النظامية .

فقال أصحابه اجمعون : نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك فسر على بركة الله حيث شئت ، فسار هو ومن معه لم يتخلف منهم أحد حتى جاء نخلة فوجد قافلة لقريش يرأسها « عمرو بن الحضرمي » وهي عائدة من الطائف الى مكة ، فنزل المسلمون بالقرب منهم ، ولكي لا يكتشفهم العدو ، ولا يعرف بأمرهم ومهمتهم حلقوا رؤوسهم ليتصوّر العدو أنهم عمّار يعتزمون الذهاب الى مكة للعمرة

فلما رأهم رجال قريش على هذه الحال اطمأنوا وأمنوا جانبهم وقالوا : عمّار لا بأس عليكم منهم.

ثم تشاور المسلمون فيما بينهم في جلسة عسكرية للنظر فيما يجب عمله فتبين لهم : أنهم إذا تركوا القوم ( أي قريشا ) في تلك الليلة ( وكانت آخر ليلة من شهر رجب ) لدخلوا الحرم ، ولم يمكن قتالهم فيه ، وان خرج الشهر الحرام.

فأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ، من هنا باغتوا تلك القافلة ، ورمى « واقد بن عبد الله » قائدها « عمرو بن الحضرمي » بسهم فقتله ، وفرّ رجاله إلا نفرين هما : « عثمان بن عبد الله » و « الحكم بن كيسان » حيث أسرهما المسلمون ، وعاد عبد الله بن جحش وأصحابه بالقافلة مع ما فيها من أموال قريش والاسيرين إلى المدينة . ولما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة وأخبروه بأنهم قاتلوا القوم في الشهر الحرام ( رجب ) انزعج رسول الله ﷺ من تصرف قائد المجموعة وعدم استفساره لما يجب أن يفعله بشئ وقال :

« ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ».

وقد استخدمت قريش هذه القضية كسلاح دعائي ضد رسول الله ﷺ واشاعت بأن « محمّدا » وأصحابه قد استحلّوا الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا الاموال كما أنه تشاءم اليهود بهذه القضية وأرادوا أن يثيروا فتنة ، وعاب المسلمون على « عبد الله بن جحش وأصحابه » فعلتهم هذه. هذا من جانب ومن جانب آخر وقّف النبي ﷺ الاموال والأسيرين

وإبي أن يأخذ من كل ذلك شيئا وبقي ينتظر الوحي.

وفجأة نزل جبرئيل بهذه الآية :

« يَسْبِغُكَ نَبِيُّ اللَّهِ لِحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُبُلٌ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ  
مَلْمَسٌ حَرَامٌ مَخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَلِفِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ »<sup>(١)</sup>.

أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام ، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وصدكم  
عن المسجد الحرام ، واخراجكم منه وأنتم اهله أكبر عند الله من قتل من قتل منهم « والفتنة  
أكبر من القتل » أي ما كانوا يرتكبونه من فتنة المسلم في دينه حتى يردَّه إلى الكفر بعد  
إيمانه أكبر عند الله من القتل.

ولما نزل القرآن بهذا الأمر ، وفرّج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الخوف والحيرة  
قبض رسول الله ﷺ الأموال ، والأسيرين وقسمها بين المسلمين ، وكانت أول غنيمة  
غنمها المسلمون.

وبعثت قريش إلى النبي ﷺ في فداء أصحابهم فقال النبي ﷺ :

« لن نفديهما حتى يقدم صاحبانا ».

يعني رجلين من المسلمين كانا قد اسرا من قبل قريش ، قد اشتركا في هذه العملية  
ولكنهما أضلا طريقهما في الصحراء فأسرتهما رجال من قريش.

وهكذا أبا رسول الله ﷺ أن يطلق سراح أسيري قريش لقاء فدية إلا إذا أطلق

المشركون أسيري المسلمين. قائلا لموفدي قريش :

« إني أخاف على صاحبي فإن قتلتم صاحبي قتلت صاحبيكم ».

فاضطرت قريش إلى الافراج عن المسلمين الأسيرين ، ومع وصولهما إلى المدينة أفرج رسول

الله ﷺ عن أسيري قريش.

ومن حسن الحظ أن إحدى ذينك الأسيرين أسلم ورجع الآخر إلى مكة<sup>(٢)</sup>.

(١) البقرة : ٢١٧.

(٢) المغازي : ج ١ ص ١٣-١٨ ، السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٠٣-٦٠٥.



## ما إذا كان الهدف من المناورات العسكرية؟

لقد كان الهدف الاساسي من بعث وتوجيه السرايا ، وعقد الاتفاقيات والمعاهدات العسكرية مع القبائل القاطنة على خطوط التجارة المكية هو ايقاف قريش على قوة المسلمين العسكرية ، واشتداد ساعدتهم ، وخاصة عند ما كان النبي ﷺ يشترك بنفسه في العمليات ، ويتصد مع مجموعات كبيرة من أنصاره تحركات قريش الاقتصادية ، ويعترض قوافلها التجارية .

لقد كان رسول الاسلام ﷺ يريد بذلك إفهام حكومة مكة الوثنية بأن جميع طرق التجارة المكية هي في متناول يده ، وأنه يستطيع . متى شاء . أن يشل اقتصاد المكيين بتعرض خطوطهم وطرقهم التجارية ، للتهديد الجدّي .

ولقد كانت التجارة أمراً حيويًا وحساسا جدا بالنسبة إلى أهل مكة ، وكانت البضائع التي تنقل منها إلى الطائف والشام تشكّل اساس الاقتصاد المكي ، فاذا كانت هذه الخطوط تتعرض للتهديد من قبل العدو وحلفائه مثل « بني ضمرة » و « بني مدلج » فان ذلك كان يعني اهدام وانحيار حياتهم .

لقد كان الهدف من بعث تلك الدريّات العسكرية هو : أن تعرف قريش بأن طريق تجارتها الرئيسية هي الآن تحت رحمة المسلمين ، فاذا استمروا في معادتهم للاسلام وللمسلمين وحالوا دون انتشار الاسلام ، والدعوة إليه ، واستمروا في ايداء من تبقى من المسلمين المستضعفين والعجزة في مكة واضطهادهم ، قطع المسلمون شريان اقتصادهم .

والخلاصة أنّ الهدف كان هو أن تعيد قريش النظر في مواقفها في ضوء الحالة الجديدة ، والتهديد العسكري الاسلامي الجدّي ، وتترك للمسلمين الحرية في الدّعوة إلى عقيدتهم ، وتفتح الطريق لزيارة بيت الله الحرام ، ونشر التوحيد ليستطيع الاسلام بمنطقه القوي ، والمحكم أن ينفذ في القلوب ، ويتجلّى نور الاسلام ويشعّ على جميع نقاط شبه الجزيرة العربية ، وربوعها ، وبخاصة منطقة

الحجاز مركز الجزيرة ، وقلبها النابض.

فان المتكلم مهما كان قوي المنطق ، سديد البرهان وأن المرّي والمرشد مهما كان مخلصا مجدا فانه لا يستطيع أن يحرز اي نجاح في تنوير العقول ، وتهذيب النفوس وبث الفكر الصحيح إذا لم تتوفر له حرية العمل ، ولم تنهيا له البيئة المطمئنة وأجواء الحرّية والديمقراطية. ولقد كان الاضطهاد والكبت وسلب الحريات التي كانت تمارسها قريش هي الموانع الكبرى أمام تقدّم الاسلام وسرعة انتشاره ونفوذه ، وكان الطريق الى كسر هذا السدّ ، وإزالة هذا المانع ينحصر في تهديد اقتصادها وتعريض خطوطها التجارية ، للخطر ، وكانت هذه الخطة تتحقق فقط عن طريق القيام بتلك المناورات العسكرية والاستعراضات الحربية ، والعمليات الاعتراضية.

### نظرية المستشرقين :

ولقد وقع المستشرقون عند تحليلهم لهذه العمليّات في خطأ كبير ، وتفوّهوا نتيجة ذلك بكلام يخالف القرائن والشواهد الموجودة في التاريخ. فهم يقولون : لقد كان هدف النبي ﷺ من مصادرة أموال قريش ، والسيطرة عليها هو تقوية نفسه.

في حين أنّ هذا الرأي لا يلائم نفسيّة أهل يثرب لأنّ الغارة ، وقطع الطريق ، واستلاب الأموال ، من شيم الاعراب أهل البوادي ، البعيدين عن روح الحضارة ، وقيم المدنية وأخلاقها ، بينما كان مسلمو يثرب عامة ، أهل زرع ، وفلاحة ، ولم يعهد منهم أن قطعوا الطرق على القوافل ، أو سلبوا أموال القبائل التي كانت تعيش خارج حدودها. وأما حروب الأوس والخزرج فقد كان لها أسباب وعلل محلّية ، وقد كان اليهود هم الذين يؤججون نيرانها ، بغية إضعاف القوى والصفوف العربية وتقويه نفسها وموقعها. ومن جانب آخر لم يكن المسلمون المهاجرون الذين كانوا حول الرسول

ﷺ ينوون ملافاة ما خسروه ، رغم أنّ ثرواتهم وممتلكاتهم كانت قد صودرت من قبل المكيين ، ويدل على ذلك أنهم لم يتعرضوا بعد معركة « بدر » لأية قافلة تجارية لقريش . كيف لا وقد كان الهدف وراء أكثر هذه البعث والارساليات العسكرية هو تحصيل وجمع المعلومات ، عن العدوّ وتحركاته وخططه ، والمجموعات التي لم يكن يتجاوز عدد أفرادها غالبا الثمانية أو الستين أو الثمانين رجلا لا يمكنها قطع الطريق ، واستلاب الاموال ، ومصادرة القوافل التجارية الكبرى التي كان يقوم بحراستها رجال أكثر عددا وأقوى عدّة من تلك السرايا ، بأضعاف المرات غالبا .

فاذا كان الهدف هو الحصول على المال والثروة من هذا الطريق فلما ذا خصّبت قريش بذلك ، ولم يعترض المسلمون تجارة غيرهم من القبائل المشركة؟ ولما ذا لم يمس المسلمون شيئا من أموال غير قريش .

واذا كان الهدف هو الغارة ، وقطع الطريق واستلاب الأموال ، فلما ذا كان النبيّ ﷺ يبعث المهاجرين فقط ، ولا يستعين بأحد من الأنصار في هذا المجال غالبا؟ وربما قال هؤلاء المستشرقون : ان المقصود من هذه العمليات الاعتراضية كان هو الانتقام من قريش ، لأنّ النبيّ ﷺ وأصحابه تعرّضوا على أيدي المكيين لألوان التعذيب والاضطهاد والأذى ، فدفعتهم غريزة الانتقام والثأر . بعد أن حصلوا على القوة . الى تجريد سيوفهم ، للانتقام من الذين طالما اضطهدوهم ، وليسفكوا منهم دما!! ولكن هذا الرأي لا يقل في الضعف والوهن والسخافة عن سابقه ، لأنّ الشواهد والقرائن التاريخية الحيّة العديدة ، تكذّبه وتفنّده ، وتوضّح . بجلاء . أن الهدف من بعث تلك السرايا والدوريات العسكرية لم يكن أبدا القتال والحرب ، والانتقام وسفك الدماء . وإليك ما يدل على بطلان هذه النظرية :

أولا : اذا كان هدف النبي ﷺ من بعث تلك المجموعات العسكرية هو القتال واستلاب الاموال واخذ المغنم ، وجب أن يزيد في عدد أفراد تلك المجموعات ، ويبحث كتائب . عسكرية مسلحة ، ومجهزة تجهيزا قويا ، إلى سيف البحر ، وشواطئه على حين نجد أنه ﷺ بعث مع « حمزة بن أبي طالب » ثلاثين شخصا ، ومع « عبيدة بن الحارث » ستين شخصا ، ومع « سعد بن أبي وقاص » أفرادا معدودين لا يتجاوزون العشرة ، بينما كانت قريش قد أناطت حراسة قوافلها إلى أعداد كبيرة جدا من الفرسان ، تفوق عدد أفراد المجموعات العسكرية الاسلامية.

فقد واجه « حمزة » ثلاثمائة ، وعبيدة مائتين رجلا من قريش ، وقد ضاعفت قريش من عدد المحافظين والحرس على قوافلها خاصة بعد أن عرفت بالمعاهدات والتحالفات التي عقدها رسول الله ﷺ مع القبائل القاطنة على الشريط التجاري؟!!

هذا مضافا إلى أنه لو كان قادة هذه البعث والدوريات مكلفين بمقاتلة العدو فلما ذا لم يسفك من أحد قطرة دم في أكثر تلك البعث والعمليات ولما ذا انصرف بعضهم لوساطة قام بها « مجدي بن عمرو » بين الطرفين؟!!

ثانيا : ان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لعبد الله بن جحش شاهد حي على أن الهدف لم يكن هو القتال ، والحرب .

فقد جاء في ذلك الكتاب : « انزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم ( اي حصّل ) لنا من أخبارهم » .

إن هذه الرسالة توضح بجلاء أنّ مهمة عبد الله وجماعته لم تكن القتال قط ، بل كانت جمع المعلومات حول العدو وتنقلاته وتحركاته ، أي مهمة استطلاعية حسب .

واما سبب الصدام في « نخلة » ومصرع عمرو الحضرمي فقد كان القرار الذي أخذته الشورى العسكرية التي عقدتها نفس المجموعة ، وليس بقرار وأمر من رسول الله

ﷺ .

ومن هنا انزعج رسول الله ﷺ بمجرد سماعه نبأ هذا الصدام الدموي ولا مهم على فعلتهم وقال :

« ما أمرتكم بقتال ».

ويؤيد هذا ما ورد في مغازي الواقدي عن سليمان بن سحيم أنه قال : ما أمرهم رسول الله ﷺ بالقتال في الشهر الحرام ، ولا غير الشهر الحرام إنما أمرهم أن يتحسّسوا أخبار قريش (١) .

والعلة في أن النبي ﷺ كان يختار لهذه الدوريات والبعوث رجالا من المهاجرين دون الأنصار هي أن الانصار قد بايعوا في العقبة على الدفاع ، أي أن معاهدتهم مع رسول الله ﷺ كانت معاهدة دفاعية تعهدوا بموجبها بأن يمنعوهم من أعدائه ويدافعوا عنه إذا قصده عدو .

من هنا ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يفرض عليهم مثل هذه المهمات ، ويبقى هو في المدينة ، ولكنه عند ما خرج . فيما بعد . بنفسه أخذ معه جماعة من رجال الانصار تقوية لروابط الاخوة والوحدة بين المهاجرين والأنصار ، ولهذا كان رجاله في غزوة « بواط » أو « ذات العشيرة » يتكونون من الأنصار والمهاجرين .

وعلى هذا الاساس يتضح بطلان نظرية المستشرقين حول الهدف من بعث الدوريات العسكرية .

كما أنّ بالتأمل والامعان في ما قلناه يتضح أيضا بطلان ما قالوه في هذا المجال في تلك العمليات التي شارك فيها رسول الله ﷺ بنفسه ، إذ أن الذين خرجوا معه ما كانوا ينحصرون في المهاجرين خاصة بل كانوا خليطا من المهاجرين والأنصار ، والحال أن الأنصار لم يبايعوا النبي ﷺ على القيام بأية عملية هجومية ابتدائية ، بل كل ما بايعوا عليه النبي ﷺ كما قلنا هو : العمل الدفاعي ،

---

(١) المغازي : ج ١ ص ١٦ .

فكيف يصح أن يدعوهم النبي ﷺ إلى عمليات قتالية ابتدائية هجومية. وتشهد بما نقول حادثة وقعة بدر التي سنشرحها في ما بعد ، فما لم يعلن الأنصار عن موافقتهم على قتال قريش لم يقرر النبي ﷺ الحرب ، في تلك الواقعة. هذا والسبب في تسمية أصحاب السير والتواريخ هذا النوع من العمليات التي خرج فيها النبي بنفسه ( غزوة ) وان لم يقع فيها قتال وغزو ، هو أنهم أرادوا أن يجمعوا كل الحوادث تحت عنوان واحد ، وإلا فلم يكن الهدف الاساسي من هذه العمليات هو الحرب والقتال ، أو السيطرة على الأموال وسلبها.

## تحويل القبلة

### من بيت المقدس الى الكعبة

لم يكن قد مضى على هجرة النبي ﷺ إلى المدينة عدة أشهر إلا وبدأت نعمة معارضة اليهود للنبي ﷺ تظهر شيئاً فشيئاً!!  
وفي الشهر السابع عشر من الهجرة بالضبط (١) أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالأمر المؤكّد القاطع بأن يتحول إلى الكعبة ويتخذها من الآن فصاعداً قبلة له وللمسلمين كافة ، فيتوجهون إلى المسجد الحرام في أوقات الصلوات.  
هذا هو مجمل القصة ، وإليك بيانها على وجه التفصيل.  
صلّى رسول الله ﷺ ثلاثاً عشر عاماً كاملة في مكة نحو بيت المقدس.  
وبعد الهجرة إلى المدينة كان الأمر الإلهي له هو أن يبقى على الحالة من حيث القبلة ، أي بأن يصلي إلى بيت المقدس ، كما كان يفعل في مكة.  
وقد كان هذا الاجراء نوعاً من المحاولة لاقامة التعاون والتقارب بين الدينين

---

(١) الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٤١ و ٢٤٢ ، إعلام الورى باعلام الهدى : ص ٧١ و ٧٢ . ويقول ابن هشام في السيرة النبوية : ان القبلة صرفت عن الشام إلى الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة ( السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٠٦ ) ويرى ابن الاثير أن ذلك حدث في منتصف شهر شعبان ( الكامل : ج ٢ ص ٨٠ ) .

القديم والجديد ، ولكن تنامي قوة المسلمين واشتداد ساعدتهم أحدث رعبا كبيرا ، وأوجد قلقا واسعا في أوساط اليهود القاطنين في المدينة لأن تقلب الاسلام والمسلمين المطرد كان يدل على أن الدين الاسلامي سيعم في أقرب وقت كل أنحاء شبه الجزيرة العربية ، وستتقلص ( بل تزول ) في المقابل قوة اليهود وسلطانهم ، ومكانتهم ، من هنا نصب أحبار اليهود العداوة لرسول الله ﷺ ، وعمدوا إلى ممارسة سلسلة من الأعمال الإجهاضية والإيدائية. لقد أخذوا يؤذون رسول الله ﷺ والمسلمين بمختلف أنحاء الطرق وبشتى الوسائل والسبل ، والمعاذير والحجج ومن جملتها التذرع بقضية صلاة النبي ﷺ والمسلمين الى بيت المقدس.

فكانوا يقولون معيّرين إياه : أنت تابع لنا تصلي الى قبلتنا!!

أو كانوا يقولون : نخالفنا يا محمد في ديننا وتتبع قبلتنا (١).

فشق هذا الكلام على رسول الله ﷺ واغتم لذلك غما شديدا فكان يخرج من بيته في منتصف الليل ويتطلع في آفاق السماء ينتظر من الله أمرا ووحيا في هذا المجال كما تفيد الآية الآتية :

« قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا » (٢).

ويستفاد من الآيات القرآنية في هذا المجال أنه كان لتغيير القبلة مضافا إلى الرد على دعوى اليهود سبب آخر أيضا.

وهو أن هذه المسألة كانت من المسائل الاختبارية التي اراد الله تعال بها ان يمتحن المسلمين ، ويميز المؤمن الواقعي الحقيقي عن أذعياء الايمان ، المنتحلين له كذبا ونفاقا ، وأن يعرف النبي ﷺ به من حوله معرفة جيدة لأن إتباع النبي ﷺ في الأمر الثاني الذي نزل على رسول الله ﷺ في أثناء الصلاة ( وهو التوجه إلى المسجد الحرام ) كان علامة قوية

(١) مجمع البيان : ج ١ ص ٢٥٥ أو : ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم.

(٢) البقرة : ١٤٤.



من علامات الايمان والتسليم ، والاخلاص والوفاء للدين الجديد.  
بينما كانت مخالفته علامة قوية من علامات النفاق والتردد كما يصحّ القرآن الكريم  
بنفسه بذلك اذ يقول :

« وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلٰى عَقْبَيْهِ  
فِي كَانَتْ لَكَبِيرًا إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ » <sup>(١)</sup>.

ومن المسلم أنه يمكن الوقوف على حكم اخرى لهذا الأمر ( أي صرف القبلة من الشام  
الى الكعبة ) إذا تتبعنا تاريخ الاسلام بشكل أوسع ، وطلعنا أوضاع شبه الجزيرة العربية.  
ويمكن الاشارة الى بعض هذه الحكم مضافا الى ما ذكرناه :

أولا : أن الكعبة التي رفعت قواعدها على يدي بطل التوحيد وناشر لوائه النبي العظيم «  
ابراهيم الخليل » عليه السلام كانت موضع احترام وتقديس من المجتمع العربي ، فقد كان العرب  
يجنون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم على ما هم عليه من الشرك والفساد ، فكان اتخاذه  
قبلة من شأنه كسب رضا العرب ، واستمالة قلوبهم ، وترغيبهم في الاسلام تمهيدا لاعتناق  
دين التوحيد ونبد الاوثان والاصنام.

وأى هدف ، وأية غاية ترى أسمى وأجلّ من أن يؤمن المشركون المعاندون المتخلفون عن  
ركب الحضارة والمدنية ، وينتشر الاسلام بسببهم في كل أنحاء العالم.

ثانيا : أن الابتعاد عن اليهود الذين لم يكن يؤمل في إذعائهم للاسلام ، وإيمانهم برسالة ( محمد  
محمّد ) ذلك اليوم كان يبدو أمرا ضروريا ، لأنهم كانوا يقومون بأعمال ايدائية ضد الاسلام  
والمسلمين ويطلعون على رسول الله صلّى الله عليه

---

(١) البقرة : ١٤٣ . ويمكن بيان هذه العلة بصورة أخرى وهي إنما أمر بالصلاة الى بيت المقدس لأن مكة وبيت  
الله الحرام كانت العرب آفة بحجها فأراد الله أن يمتحن بغير ما آلفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه. ( راجع  
مجمع البيان : ج ١ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ ) .

وآله بن الفينة والأخرى بأسئلة عويصة يشغلونه بها ، يظهرون بها . حسب تصورهم . أنهم يعرفون أمورا كثيرة وأنهم علماء ، وبذلك يضيِّعون على رسول الله ﷺ الوقت ، ويشغلونه عن مهامه الكبرى .

فكان تغيير القبلة واحدا من مظاهر الابتعاد عن اليهود واجتناهم ، تماما مثل نسخ صوم يوم عاشوراء الذي تم لنفس هذا الغرض .

فقد كانت اليهود تصوم يوم عاشوراء قبل الاسلام ، فأمر النبي ﷺ المسلمون بأن يصوموا هذا اليوم أيضا ، ثم نسخ الأمر بصوم عاشوراء وفرض مكانه صوم شهر رمضان <sup>(١)</sup> . وعلى كل حال فان الاسلام الذي يتفوق على جميع الأديان ، يجب أن تتجلى فيه هذه الحقيقة بحيث يغدو أمر تكامله وتفوقه باديا للعيان ، واضحا للجميع .

وفي هذه الحالة تصوّر بعض المسلمين أن ما أتوا به من صلاة وعبادة وهم متجهين إلى بيت المقدس كان باطلا إذ قالوا : كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الأولى ، أو حال من مضى من أمواتنا وهم كانوا يصلون الى بيت المقدس؟!

فنزل الوحي الإلهي يقول :

« وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَعَلِيمٌ رَحِيمٌ » <sup>(٢)</sup> .

ومع ملاحظة هذه الاعتبارات وبينما كان النبي ﷺ قد انتهى من الركعة الثانية من صلاة الظهر ، نزل عليه جبرئيل ، وأمره بأن يتوجه بالمصلين معه حذب المسجد الحرام . وجاء في بعض الاخبار أن جبرئيل أخذ بيد النبي ﷺ وأداره نحو المسجد الحرام ، فتبعه الرجال والنساء الذين كانوا يأتمون به في

(١) مجمع البيان : ج ١ ص ٢٧٣ .

(٢) البقرة : ١٤٣ . والمراد من الايمان هنا هو العمل وهو من الموارد التي استعمل فيها لفظ الايمان واريده العمل .

المسجد<sup>(١)</sup> .

فتحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فكان أول صلاته الى بيت المقدس ،  
وأخرها الى الكعبة .

ومنذ ذلك الحين جعلت الكعبة المعظمة . زاد الله من شرفها . قبلة مستقلة للمسلمين  
يتوجهون إليها في كثير من واجباتهم وشعائهم الدينية<sup>(٢)</sup> .

هذا والغريب أن اليهود الذين كانوا قبل نزول الأمر بالتحوّس من بيت المقدس الى الكعبة  
المعظمة يفتخرون على المسلمين بأنهم يصلّون على قبلة اليهود ، لما حوّل المسلمون إلى  
الكعبة المعظمة ، وامروا بالصلاة إليها دون بيت المقدس أخذوا يعيرون على المسلمين التوجه  
إلى نقطة ما في الأرض فرد الله عليهم بقوله :

« سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِيقُ  
وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »<sup>(٣)</sup> .

أي ان الله فوق الزمان والمكان ، والتوجه إلى نقطة خاصة في حالة العبادة انما هو لمصالح  
اجتماعية خاصة فالصلاة الى الكعبة توجّه الى الله كالصلاة الى بيت المقدس سواء بسواء .

### كرامة علمية لرسول الله ﷺ :

وما ينبغي الاشارة إليه هنا هو : أن العرض الجغرافي للمدينة . طبقا لمحاسبات علماء  
الفلك القدامى . هو ٢٥ درجة ، وطولها ٧٥ درجة و ٢٠ دقيقة ، ولهذا كانت قبلة المدينة لا  
توافق محراب رسول الله ﷺ الباقي على حالته السابقة الى الآن في مسجده الشريف ،  
وقد سبّب هذا الاختلاف حيرة لدى بعض المتخصصين في هذا العلم ، وربما دفعهم إلى  
ارتكاب توجيهات وتبريرات لرفع هذا الاختلاف .

(١) بحار الأنوار : ج ١٩ ص ٢٠١ عن من لا يحضره الفقيه .

(٢) كالصلاة والذبح ودفن الموتى ، والدعاء وغير ذلك .

(٣) البقرة : ١٤٢ .

ولكن القائد المعروف بسردار الكابلي أثبت في الآونة الأخيرة . طبقا للمقاييس المعروفة اليوم . أن خط المدينة الجغرافي على عرض ٢٤ درجة و ٥٧ دقيقة وطول ٣٩ درجة و ٥٩ دقيقة (١) .

وتكون نتيجة هذه المحاسبة هي أن قبلة المدينة تكون في نقطة الجنوب تماما وتنحرف عن نقطة الجنوب ب ٤٥ دقيقة فقط .

وهذا الاستخراج الفلكي للقبلة ينطبق على محراب رسول الله ﷺ أفضل تطبيق ، ويعد هذا من كرامات النبي الاكرم ﷺ حيث توجه في حالة الصلاة (٢) من بيت المقدس الى الكعبة بصورة دقيقة ومن دون أي انحراف ولا جزئي مغتفر وذلك من دون أية محاسبة فلكية ، وعلمية .

وقد أخذ جبرئيل بيده وحوّ وجهه نحو الكعبة المعظمة كما أسلفنا (٣) .

---

(١) تحفة الأجلّة في معرفة القبلة : ص ٧١ طبعة ١٣٥٩ .

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق : ج ١ ص ١٧٨ .

(٣) وقد نقل الحر العاملي في وسائل الشيعة : في أبواب القبلة ج ٣ ص ٢١٥ و ٢١٦ حادثة تحوّل النبي ﷺ في الصلاة من بيت المقدس الى المسجد الحرام فراجع .

## معركة بدر

معركة « بدر » من معارك الاسلام الكبرى ومن حروبه البارزة ، وقد اكتسب الذين شاركوا في هذه المعركة منزلة خاصة بين المسلمين فيما بعد.

فالواقعة التي كان يشارك فيها فرد أو عدة أفراد من المجاهدين في « بدر » أو اذا كانوا يشهدون على أمر قال المسلمون : ووافقنا عليه البديون.

أجل إن الذين شاركوا في معركة بدر من أصحاب النبي ﷺ يدعون بالبدرين ، ولم يكن هذا إلا لأهمية تكلم الواقعة التاريخية.

وتتضح علة هذه الأهمية إذا نحن استعرضنا تفاصيل هذه الواقعة.

لقد قلنا في ما سبق أنه بلغ رسول الله ﷺ في منتصف جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة ، أن قافلة قريش التجارية خرجت من مكة إلى الشام بقيادة « أبي سفيان بن حرب ».

فخرج رسول الله ﷺ لملاحقتها إلى « ذات العشيرة » وتوقف هناك إلى مطلع الشهر التالي ، ولم يعثر على تلك القافلة ، وقد كان وقت عودة القافلة معلوما تقريبا ، فقد كانت قافلة قريش تعود من الشام إلى مكة في أوائل الخريف.

ومن المعلوم أن أو خطوة على طريق الانتصار في مثل هذه المحالات هو

تحصيل أكبر قدر من المعلومات حول العدو لأن قائد الجيش ما لم يعرف شيئاً عن استعدادات العدو ، ونقطة تمركزه وتواجده ، ومعنويات أفراده ، فإنه ربما يهزم وينكسر في أول مواجهة.

ولقد كان من أساليب النبي الأكرم ﷺ الرائعة في جميع الحروب والمعارك التي ستقرأ تفاصيلها هو جمع المعلومات حول مدى استعداد العدو ، ومبلغ تهيؤه ومكان تواجده ، وتمركزه ، وهذه مسألة تحظى والى اليوم بأهمية خاصة في الحروب العالمية والمحلية ، بل وترصد لها ميزاتٍ كبرى ، وتستخدم أجهزة عريضة في عالمنا الحاضر ، كما هو معلوم للجميع ، وكما أشرنا الى ذلك فيما سبق.

وقد بعث رسول الله ﷺ علينا له على قافلة قريش اسمه « عدي » . حسب رواية المجلسي <sup>(١)</sup> . أو « طلحة بن عبيد الله » و « سعيد بن زيد » حسب ما قال صاحب « حياة محمد » نقلاً عن المصادر التاريخية <sup>(٢)</sup> ، لإخباره عن مسير تلك القافلة ، وعدد حراسها ورجالها ونوعية البضائع المحملة.

فلما عاد العين أخبر رسول الله ﷺ :

١ . بأن قافلة قريش قافلة كبرى شارك فيها كل أهل مكة ، حتى أنه ما من قرشيٍّ أو قرشية بمكة له مثقال فصاعداً إلا بعث به في تلك القافلة.

٢ . إن البضائع يحملها ألف بعير وأن قيمتها تبلغ خمسين ألف دينار.

٣ . وأنه يقودها « أبو سفيان بن حرب » في أربعين رجلاً.

وحيث إن أموال المسلمين المهاجرين إلى المدينة كانت قد صودرت في مكة على أيدي قريش من هنا كان الوقت مناسباً جداً لأن يأخذ المسلمون أموال قريش في تلك القافلة ، ويحتفظوا بها ريثما تفرج قريش عن أموال المسلمين المهاجرين المصادرة بمكة ، فإذا جئوا وأصروا في مصادرة أموال المسلمين قسم

(١) بحار الأنوار : ج ١٨ ص ٢١٧ .

(٢) المغازي : ج ١ ص ١٩ .

المسلمون في المقابل أموال قريش المأخوذة فيما بينهم وتصرفوا فيها كغنائم حرب من هنا قال رسول الله ﷺ لهم :

« هذا عير قريش ( أي قافلتهم ) فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها »<sup>(١)</sup> .  
من هنا استخلف رسول الله ﷺ في المدينة « عبد الله بن أم مكتوم » للصلاة بالناس ، والقيام بالشؤون الدينية ، و « أبا لبابة » للقيام بالشؤون السياسية .  
ثم خرج من المدينة في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا لمصادرة أموال قريش أو بالاحرى توقيفها وحبسها .

### النبي يتوجه الى منطقة ذفران (٢) :

لقد ترك رسول الله ﷺ المدينة بعد أن أتاه خبر عن تحرك قافلة قريش ، قاصدا وادي ذفران حيث طريق القافلة في يوم الاثنين ، الثامن من شهر رمضان ، وقد عقد رابتين سلم إحداهما إلى مصعب بن عمير ، والاخرى ( وتسمى العقاب ) إلى علي بن أبي طالب عليه السلام .  
ولقد كانت المجموعة التي خرج بها النبي ﷺ تتألف من اثنين وثمانين من المهاجرين ، ومائة وسبعين من الخزرج ، وواحد وستين من الأوس ، وكان عندهم ثلاثة أفراس فقط .

---

(١) المغازي : ج ١ ص ٢٠ .

(٢) وادي ذفران الذي كان يمر به قافلة قريش التجارية يقع على مرحلتين من بدر .

وقد ذكر ابن هشام في سيرته جميع المراحل التي طواها رسول الله ﷺ من المدينة إلى ذفران ومنه إلى بدر الذي ارتحل إليه رسول الله بعد أن بلغه نبأ تحرك قافلة قريش .

وبدر كان موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام يتبايعون فيه ويتفاحرون على غرار سوق عكاظ ، وكان يقع على طريق مكة والمدينة والشام . ( راجع السيرة النبوية : ج ١ ص ٦١٣ . ٦١٨ ) .

ولقد بلغ حبّ الشهادة عند الاشخاص في المجتمع الاسلامي يومئذ مبلغا عجيبا حتى أنّ فتيانا دون الحلم اشتركوا في هذه المعركة ، وردّ النبي ﷺ بعضهم إلى المدينة لما استصغروهم .<sup>(١)</sup>

إن كلام رسول الله ﷺ يفيد بانه ﷺ قد وعدهم بالرخاء والانفراج في المعيشة وذلك عن طريق السيطرة على أموال قريش ، وأخذ بضائعها ، وكان المسوّغ لهذا العمل هو ما سبق أن ذكرناه ، وهو أن قريشا كانت قد صادرت كل أموال المهاجرين المسلمين في مكة ، منقولها وغير منقولها ، ومنعت من دخولهم مكة ، وخروجهم منها .  
ومن الواضح أن يسمح العاقل لنفسه . أيّا كان . بأن يعامل عدوه بمثل هذه المعاملة التي عامله بها العدو .

وأساسا يجب أن نعلم أن سبب هجوم المسلمين على قافلة قريش هو أنهم قد ظلموا وقهروا ، الأمر الذي يذكره القرآن الكريم أيضا ، ولذلك يسمح للمسلمين بأن يقاتلوا عدوّهم ويعترضوا تجارتهم إذ يقول :

« **لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا مِنْ اللَّهِ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** »<sup>(٢)</sup> .

ولقد كان أبو سفيان قد عرف . عند توجهه بالقافلة إلى الشام . أن رسول الله ﷺ يترصّد القافلة ، ولهذا اتخذ كافة الاحتياطات عند قفوله ورجوعه من الشام ، فكان يسأل القوافل عن رسول الله ﷺ وكان إذا رأى أحدا منهم سأله : هل أحسست أحدا؟!!

(١) المغازي : ج ١ ص ٢١ .

وروي أنه كان الرجل يساهم أباه في الخروج مع النبي ﷺ رغبة في الجهاد في سبيل الله والشهادة فكان ممن ساهم « سعد بن خيثمة » وأبوه في الخروج إلى بدر ، فقال سعد لأبيه : انه لو كان غير الجنة آثرتك به ، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا .

فقال خيثمة : آثرتي ، وقرّ مع نسائك! فإبي سعد .

فقال خيثمة : إنه لا بدّ لأحدنا من أن يقيم ، فاستهما ( أي اقترعا ) فخرج سهم سعد فقتل ببدر ( المصدر

).

(٢) الحج : ٣٩ .



وكان رسول الله ﷺ قد خرج مع أصحابه من المدينة ، يلاحق قافلة قريش ، وقد نزل في وادي ذفران .

ولما أحس أبو سفيان بذلك أحجم عن الاقتراب الى منطقة بدر ولم ير به من أن يخبر قريشا بالخطر الذي يحرق بتجارتهم ، وأمواهم ، ويطلب مساعدتهم ، فاستأجر رجلا يدعى « ضمضم بن عمرو الغفاري » وأمره بأن يجده بعيره ( يقطع أنفه ) ويجوّل رحله ، ويشقّ قميصه من قبله ودبره ويصيح الغوث! الغوث ، ويخبر قريشا أنّ محمدا تعرّض لتجارتهم!! فخرج ضمضم سريعا إلى مكة ، ولما قدمها وقف ببطن الوادي يصيح بأعلى الصوت : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة (١) ، أموالكم مع أبي سفيان قد تعرّض لها محمّد في أصحابه ، لا أرى ان تدركوها ، الغوث الغوث (٢) .

فأثار هذا المنظر المثير ، واستغاثات ضمضم المتابعة أهل مكة ، فتجهزوا سريعا ، وتهيّأوا للخروج ، وأعدّ كل صناديد قريش ورجالها المقاتلون أنفسهم للتحرك نحو المدينة إلا أبو لهب الذي لم يشترك في هذا الخروج ، وارسل مكانه « العاصي بن هشام » لقاء أجر قدره أربعة آلاف درهم .

وأراد « أمية بن خلف » هو الآخر أن يتخلّف لاسباب خاصّة ، فقد قيل له : أن محمدا يقول : لأقتلن أمية بن خلف (٣) .

فرأى أشراف قريش وسادات مكة أن تخلّف رجل مثله يضر بقريش ويوهن من عزيمة الجيش ، فقرروا إثارتة وتحريكه فأناه عقبة بن أبي معيط وأبو جهل وهو جالس في المسجد بين ظهريّ قومه ، بمحمرة يجملانه فيها نار وعود يتبخّر به حتى وضعها بين يديه ثم قالوا له :

« يا أمية استحمر فإمّا أنت من النساء! »

(١) اللطيمة : الابل التي تحمل الاقمشة والعمود ، والنداء يعني : ادركوا اللطيمة ادركوها .

(٢) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ٨١ ، المغازي : ج ١ ص ٣١ ، بحار الانوار : ج ١٩ ص ٢١٦ .

(٣) المغازي : ج ١ ص ٣٥ .

فغضب أمية ، وهاجت به الحمية ، فتجهز من فوره ، وخرج مع الناس <sup>(١)</sup> .  
وخلاصة القول أنه اوعبت قريش لما سمعت بتعرض قافلتها وأموالها للخطر من قبل النبي  
ﷺ وأصحابه ، فكانوا بين رجلين إما خارج أو باعث مكانه رجلا ، وما بقي أحد من  
عظماء قريش إلا أخرج مالا لتجهيز الجيش ، وأخرجوا معهم المغنيات يضرين بالدفوف  
ويهيجن الرجال للقتال.

### المشكلة التي كانت تواجهها قريش :

ولما اعلن عن موعد الرحيل تذكرت قريش بأن بينهم وبين قبيلة « بني بكر » عداة قديما  
، فخافوا أن يوجهوا إليهم ضربة من الخلف ، أو يحملوا على نسائهم وذريهم في مكة في  
غياب منهم فكاد ذلك يثنيهم عن الخروج.  
وقد كان العداة بين قريش وبني بكر يعود إلى دم سفك بينهم في قصة ذكرها ابن هشام  
وغيره من كتّاب السيرة <sup>(٢)</sup> .

ولكن سراقه بن جعشم المدلجي . وكان من أشرف بني كنانة وهم من بني بكر . طمأنهم ،  
ووعدهم بأن لا تأتيهم بنو بكر من خلفهم بشيء يكرهونه ، ولما اطمأنوا خرجوا صوب  
المدينة سراعا.

وكان النبي ﷺ وأصحابه قد خرجوا من المدينة لاعتراض قافلة قريش التجارية ،  
وهبطوا في وادي ذفران ، وبقوا هناك ينتظرون مرورها ، ولكنه فجأة بلغه خبر جديد غير  
أفكار قادة الجيش الاسلامي ، وفتح . في الحقيقة . فصلا جديدا في حياتهم .  
فقد أتاه الخبر عن مسير قريش باتجاه المدينة لحماية قافلتها التجارية ، وأن جيشها قد  
وصل إلى مشارف المنطقة التي يتواجد فيها رسول الله ﷺ وأصحابه ، وأن طوائف  
متعددة قد ساهمت وشاركت في تكوين هذا الجيش.

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٣٨ ، الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ٨٢ ، المغازي : ج ١ ص ٣٥ و ٣٦ .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦١٠ و ٦١١ ، المغازي : ج ١ ص ٣٨ و ٣٩ .

فوجد رسول الله ﷺ والقائد الاعلى للمسلمين نفسه أمام خيارين :  
إما أن يقاتل ، ولكنّه لم يخرج هو أو أصحابه الذين مرّ ذكرهم إلا لمصادرة أموال قريش ،  
فلم يكونوا متهيئين لمقاتلة الجيش المكي الكبير ، لا من حيث العدد ، ولا من حيث العدة .  
وإما أن يرجع إلى المدينة من حيث أتى ، وهذا يعني أن ينهار كل ما كسبوه من الهيبة  
والمهابة ، بفضل المناورات العسكرية ، والعروض النظامية السابقة .  
وبخاصة إذا تقدم العدو نحو المدينة في ظل هذا الانسحاب واجتاح مركز الإسلام »  
المدينة المنورة .»

فرأى النبي ﷺ أن لا ينسحب ، بل يقاتل العدو بما عنده من العدة القليلة والعدد  
القليل ويقاوم حتى اللحظة الأخيرة والنفس الأخير .  
والجدير بالذكر أن أكثر الذين كانوا مع رسول الله ﷺ كانوا من شبّان الأنصار وكان  
عدد المهاجرين لا يتجاوز ٨٢ شخصا .  
وكانت بيعة العقبة التي بايع فيها الأنصار رسول الله ﷺ بيعة على الدفاع عن رسول  
الله ﷺ وحمايته لا القتال والحرب .  
اي انهم بايعوه ﷺ على أن يمنعونه في المدينة فلا يصل إليه أحد من أعدائه وهو  
بينهم .

أما أن يخرجوا معه الى خارج المدينة لقتال العدو فلم يبايعوا النبي ﷺ على مثل ذلك  
فما ذا يفعل القائد الأعلى للمسلمين .  
إنه لم ير مناصا من استشارة الناس الذين معه ، ومعرفة رأيهم في ما يجب اتخاذه من  
طريقة حل لهذه المشكلة .

### النبي يعقد شورى عسكرية :

وهنا وقف رسول الله ﷺ في تلك الجماعة وقال : أشيروا

علي أيها الناس .

فقام أبو بكر وقال : يا رسول الله إنها قريش ، وخيلائها ما آمنت منذ كفرت ، ولا دلت منذ عنزّ ولم نخرج على أهبة الحرب!!

وهذا يعني أنه رأى من الصالح ان ينسحبوا الى المدينة ، ولا يواجهوا قريشا .  
فقال له رسول الله : اجلس .

ثم قام عمر بن الخطاب ، وكرّر نفس مقالة أبي بكر ، فأمره النبي ﷺ بالجلوس أيضا .  
ثم قام « المقداد بن عمرو » وقال : يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون .  
ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، وإنا معكما مقاتلون .

فو الذي بعثك بالحق لو سرت الى برك الغماد ( وهو موضع بناحية اليمن ) لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه ، ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا ( أي النار المتقدة ) وشوك الهراس ( وهو شجر كبير الشوك ) لخصناه معك .  
فقال له رسول الله ﷺ خيرا ودعا له به .

### إخفاء الحقائق وكتمانها :

إذا كان إخفاء الحقائق ، والتعتيم عليها وسترها ، والتعصب الباطل أمرا مشينا من كل من ألف وكتب ، فإنه ولا شك أقبح من المؤرخ ، المؤمن على التاريخ وحقائقه .  
فان على المؤرخ أن يكون مرآة صادقة للأجيال القادمة لا يكدرها غبار التعصب ، وغشاوة التحريف والتبديل والكتمان للحقائق .

ولقد ذكر ابن هشام <sup>(١)</sup> والمقرئزي <sup>(٢)</sup> والطبري <sup>(٣)</sup> ما وقع في الشورى

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦١٥ .

(٢) إمتاع الاسماع : ص ٧٤ .

(٣) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٤٠ .

العسكرية التي عقدها رسول الله ﷺ وأدرج فيها ما قاله المقداد ، وقاله سعد بن معاذ في كتبهم على وجه التفصيل ، ولكنهم أحجموا عن إدراج ما قاله أبو بكر وعمر وإنما قالوا : وقال فلان وأحسن ، وقال فلان واحسن!!

وهنا نسأل ذينك المؤرخين اذا كان ما قاله فلان وفلان حسنا أرضى رسول الله ﷺ فلما ذا تركوا ذكره على نحو التفصيل كما فعلوا بالنسبة إلى كلام مقداد وسعد. بلى ؛ إنهما لم يقولوا إلا ما ذكرناه قبل قليل ، ليس غير. وإذا كان أولئك المؤلفون يكتمون الحقائق ، فقد أظهرها الآخرون وسجلوا نص ما قاله الرجلان (١) ، ولم يكن قولاً حسناً ولا كلاماً طيباً ، بل كان كلامهما مثبطين ، ينم عن خوف ، ووحشة ، فهما صوّرا قريشاً قوة لا تقهر ، وجيشاً لا يدحر ، غير آبهين بما تترك كلماتهم من الأثر السيئ في نفوس المسلمين في ذلك الظرف الدقيق ، واللحظة الخطيرة!!

وإنك أيها القارئ لتستطيع أن تعرف مدى انزعاج النبي ﷺ من مقالتهما ، مما ذكره الطبري نفسه في الصفحة ذاتها ، فان الشيخين كما تلاحظ ، كانا أول من نطقا في تلك الشورى ، ثم تكلم بعدهما المقداد ، وسعد بن معاذ.

فان الطبري يروي عن ابن مسعود أنه قال : لقد شهدت من المقداد مشهداً لئن أكون أنا صاحبه احب إلي مما في الارض من شيء كان رجلاً فارساً وكان

---

(١) المغازي : ج ١ ص ٤٨ ، السيرة الحلبية : ج ٢ ص ١٦٠ ، بحار الأنوار : ج ١٩ ص ٢١٧ .  
قال الواقدي : ثم قال عمر : يا رسول الله أنما والله قريش وعزها ، والله ما دلت منذ عزت ، والله ما آمنت منذ كفرت ، والله لا تسلم عزها أبدا ، ولتقاتلنك فأتهب لذلك أهبتة ، وأعدّ لذلك عدته!!!  
كما جاء في صحيح مسلم : ج ٥ ص ١٧٠ باب غزوة بدر ومسند أحمد : ج ٣ ص ٢١٩ بطريقتين انه حين بلغ النبي ﷺ اقبال ابي سفيان شاور أصحابه ، فتكلم أبو بكر فاعرض عنه ، ثم تكلم عمر فاعرض عنه.

رسول الله ﷺ اذا غضب احمزت وجنتاه ، فاتاه المقداد على تلك الحال (١) فقال : أبشر يا رسول الله فو الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » (٢) .

ولقد كان ذلك المجلس مجلس استشارة وتبادل للرأي وكان لكل أحد الحق في أن يدلي برأيه ، ويطرح نظره على القائد الأعلى ، ولكن مجريات الاحداث أثبتت أن مقداد كان أقرب إلى الصواب ، وأكثر توفيقا في اصابة الحق من ذينك الرجلين .

وقد أشار القرآن الكريم إلى تخوف بعض المسلمين من مواجهة العدو في هذه الموقعة إذ قال سبحانه :

« كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ » (٣) .

وقال تعالى :

« يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْبُرْجِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ » (٤) .

#### قرار الشورى الحاسم أو رأي زعيم الأنصار :

كانت الآراء التي طرحت آراء شخصية وفردية على العموم ، والحال أن الهدف الاساسي من عقد تلك الشورى كان هو الحصول على رأي الأنصار ، فلما لم يدل الأنصار برأيهم لم يمكن لتلك الشورى أن تتخذ رأيا حاسما ، وتبت في أمر .

من هنا أعاد رسول الله ﷺ قوله : « أشيروا علي أيها

(١) أي وهو غاضب من مقاله وتنبيط من تقدماه .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٤٠ .

(٣) الانفال : ٥ .

(٤) الانفال : ٦ .

الناس « وهو يريد الأنصار.

فقام سعد بن معاذ الأنصاري وقال : والله لكأنك يا رسول الله تريدنا؟

فقال النبي ﷺ : أجل.

فقال سعد : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ إنا قد آمنّا بك ، وصدقناك وشهدنا

أن ما جئت به حق من عند الله ، وأعطيناك موثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يا

رسول الله لما اردت فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر <sup>(١)</sup>

فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا.

إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك فسر بنا على

بركة الله ، وصل من شئت ، واقطع من شئت وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت من

أموالنا أحب إلينا مما تركت.

فسرّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه ذلك ، وأزال سحابة اليأس من النفوس ،

وأشعل ضياء الأمل في القلوب.

ولهذا لم يفرغ ذلك الأنصاري البطل والقائد المؤمن الشجاع من مشورته الشجاعة إلا

وأصدر رسول الله ﷺ أمره بالرحيل قائلا : « سيروا على بركة الله وابتشروا فان الله قد

وعديني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده.

والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم».

وتحرك الجيش الاسلامي بقيادة النبي الاكرم ﷺ ونزل عند آبار « بدر » <sup>(٢)</sup>.

### تحصيل المعلومات حول العدو :

مع أن المبادئ العسكرية والتكتيكات الحربية في الوقت الحاضر تختلف

(١) يقصد البحر الأحمر.

(٢) المغازي للواقدي : ج ١ ص ٤٨ ، السيرة النبوية : ج ١ ص ٦١٥.

عما كانت عليه في العصور الغابرة اختلافا كبيرا إلا أن مسألة تحصيل المعلومات حول العدو ومعرفة أسراره العسكرية ، ومدى استعداداته ومبلغ قواه التي يستخدمها ، ودرجة معنويات أفرادها لا تزال على أهميتها وقيمتها ، لم تتغير من هذه ، بل ازدادت أهمية في العصر الحاضر . كما أسلفنا ..

فهي تشكل الآن أيضا مفتاحا في الحروب ، ومنطلقا للانتصارات العسكرية . على أن هذه المسألة قد اتخذت اليوم صبغة التعليم والتمرين ، فقد أصبح لها اليوم كتب ومعاهد تتولى تعليم طرائق التجسس العسكري واساليبه ، كما ويعزي قادة المعسكر الغربي والشرقي الكثير من نجاحاتهم إلى نجاحهم في توسعة دوائر التجسس ومنظّماته التي تستطيع اطلاع أصحابها على معلومات دقيقة ومفصلة عن خطط العدو وقواه ، وأماكن تركزه وتواجده ، وخطوط إمداده ، وتموينه تمهيدا لإفشال تحركاته أو إجهاضها فورا . من هنا استقر الجيش الاسلامي في منطقة ثلاثم مبادئ التستر بشكل كامل ، ومنع عن أي عمل من شأنه انكشاف أسراره ، كما أن فرقا مختلفة ومتعددة كلفت بتحصيل وجمع المعلومات عن قريش وقافلتها وجيشها .

فكانت المعلومات التي توفرت لدى القيادة الاسلامية هي كالتالي :

الف / ان النبي نفسه ركب هو ورجل من قادة جيشه حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فأخبرهم بأن محمد وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، وانه إن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي كان به رسول الله ﷺ وان قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، وانه ان كان الذي أخبره صدقه فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش .

وهكذا عرف رسول الله ﷺ نقطة تواجد قريش ، واستقرار قواتهم .

باء / بعث رسول الله ﷺ جماعة « الزبير بن العوام » و « سعد



بن أبي وقاص « بقيادة علي عليه السلام الى ماء بدر يلتمسون له الخبر ، فأصابوا إبلا يستقي عليها الماء لقريش فيها غلامان أحدهما لبني الحجاج والآخر لبني العاص فأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألهما النبي عن قريش فقالا : هم والله وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كم القوم وما عدّتم فقالا : لا ندري ، كثير. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كم ينحرون ( من الابل ) كل يوم؟ قالا : يوما تسعا ويوما عشرا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : القوم فيما بين التسعمائة والألف.

ثم سألهما : فمن فيهم من أشرف قريش؟

قالا : عتبة بن ربيعة ، وأبو البخترى بن هشام ، وحكيم بن حزام وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وأمّية بن خلف و .. و ..

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه وقال :

« هذه مكّة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها » <sup>(١)</sup>.

جيم / كلب شخصان بالدخول الى قرية بدر وتقبص الحقائق حول قافلة قريش فيها فمضيا حتى نزلا بدرا فأناخا ابلهما الى تلّ قريب من الماء ، ثم تظاهرا بأهّما يريدان أن يستسقيا ، وكان على الماء جاريتين تستسقيان وتقول إحداها للآخرى : إنما تأتي القافلة غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أفضيك الذي لك.

فقال لها « مجدي بن عمرو الجهني » ، وكان على مقربة منهما : صدقت ثم خلص بينهما.

فسر صاحبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سمعا فعادا في سرّية كاملة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبراه بما سمعا <sup>(٢)</sup>.

والآن وبعد أن أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عارفا بوقت ورود القافلة ، ومكان تواجد قريش ، معرفة دقيقة عمد إلى ترتيب المقدمات اللازمة.

(١) و (٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦١٧.

## كيف هرب أبو سفيان؟

لقد تعرّض أبو سفيان قائد قافلة قريش لدى توجّهه بها إلى الشام للملاحقة من قبل مجموعة من المسلمين ، ولهذا فانه كان يعلم جيدا بأنهم سوف يتعرضون له عند قفوله من الشام أيضا.

ولهذا عند ما وصل بقافلة قريش إلى المنطقة الخاضعة للمراقبة الاسلامية أراحها في منطقة بعيدة عن متناول أيدي المسلمين ودخل هو قرية « بدر » يتجسس ، ويسأل عن أخبار رسول الله ﷺ ، فالتقى « مجدي بن عمرو » على ماء بدر فسأله : هل أحسست أحدا؟ ( ويقصد هل رأيت أحدا من عيون محمّد ورجاله؟ ).

فأجابه مجدي قائلا : ما رايت أحدا انكره ، إلاّ أني قد رأيت راكبين قد أناحا الى هذا التلّ ثم استقيا في شنّ لهم ، ثم انطلقا.

فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعاد بعيريهما ، ففتّنه ، فاذا فيه النوى فقال : هذه . والله . علائف يثرب . هذه عيون محمّد وأصحابه ، ما أرى القوم إلاّ قريبا .

فرجع إلى أصحابه سريعا وحرك القافلة من فوره ، وابتعد عن بدر وأخذ بها جهة ساحل البحر الأحمر كما أنه كلّف أحدا بإخبار قريش فورا ، بأنّ قافلتهم أفلتت من يد محمّد وأصحابه ، وأن أموالهم نجت فليرجعوا وليتركوا محمّدا تكفيه العرب .

## خارطة معركة بدر

دليل الخارطة :

١ . القلعة ٢ . مدينة بدر ٣ . النخيل ٤ . مسجد العريش ٥ . بيوت بدر

## علم المسلمين بإفلات قافلة قريش :

عرف المسلمون بإفلات قافلة قريش ، وانتشر هذا النبأ بينهم بسرعة ، فاعتَمَّ من خرج مع المسلمين يريد الحصول على شيء من تلك الأموال ، فقال الله تعالى تثبتنا لهم وتسكيننا لقلوبهم :

« وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّكُوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ فَيُؤَيِّدُكُمْ بِقُوَّةٍ أَوْ يُخَفِّضُكُمْ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقَطِّعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ . يَشْرِقُ الْحَبَقُّ وَيُظِلُّ الْبَاطِلُ وَلَيْوَ كَرِهِ الْمُجْرِمُونَ »<sup>(١)</sup>.

## إختلاف قريش في القتال :

عند ما واثى رسول أبي سفيان قريشا وهم بالحففة ، وأبلغهم رسالة أبي سفيان وطلب منهم الرجوع إلى مكة حدث بين رجال قريش اختلاف عجيب .  
وقال بنو زهرة والأخنس بن شريق وكانوا حلفاء على الرجوع قائلين : قد خلصت أموال سيد بني زهرة : « مخزومة بن نوفل » وإنما نفرنا لنمنعه وماله ، فلا حاجة بأن نخرج في غير منفعة .

ورجع طالب ( ابن أبي طالب ) إلى مكة وكان قد استكره على الخروج من مكة ، وذلك بعد مشاجرة بينه وبين رجل من قريش قال له :

« والله لقد عرفنا يا بني هاشم ، وإن خرجتم معنا أن هواكم لمع محمد »<sup>(٢)</sup>.

وأما أبو جهل فقد أصرَّ على مواصلة التقدّم نحو المدينة ، وعدم الرجوع إلى مكة خلافا لطلب أبي سفيان ، قائلا :

والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزر ( الأباعر ) ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف لنا القيان والمغنيات ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا ، وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فامضوا!!

(١) الانفال : ٧ و ٨ .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦١٩ .

فحملت كلمات أبي جهل المغرية قريشا على مواصلة التقدم نحو المدينة ، ونزلت في مكان مرتفع (١) خلف كثيب .

وأمرت السماء مطرا غزيرا فأصاب قريشا منه ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه ، ومنعهم من مزيد التقدم .

بينما لم يحدث المطر أي مشكلة في العودة الدنيا للمسلمين ولم يمنع من تحركهم بل كان بحيث لبد الأرض حتى ثبتت أقدامهم (٢) .

و « بدر » منطقة واسعة يتكون جنوبها من مكان مرتفع ( العدو القصوى ) وشمالها من مكان منخفض منحدر ( العدو الدنيا ) وكانت في هذا الوادي الواسع بضع آبار وعيون ماء ، فكان منزلا للقوافل ينزلون فيه ويستقون ، ويستريحون ردحا من الزمن .

وهنا تقدم « الحباب بن منذر » وكان فارسا مجريا وعسكريا محنكا باقتراح الى النبي ﷺ إذ قال : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل منزلا أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

فقال رسول الله ﷺ : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » .

فقال : يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى أدنى ماء من القوم ، فنزله فنغور ( أي ندفن العين ) ما وراء القلب ، ثم نبي عليه حوضا فتملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله ﷺ لقد أشرت بالرأي .

فنهض رسول الله ﷺ ومن معه فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب ( الآبار ) فغورت ، وبنى حوضا على القلب الذي نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية .

إن هذه الحادثة تكشف جيدا على اهتمام رسول الإسلام بالمشاورة ،

---

(١) وهو ما يسمى بالعدوة القصوى .

(٢) ويقال كان المطر ينزل على قريش كأفواه القرب وعلى أصحاب رسول الله رذاذا بقدر ما لبد الأرض .

واحترامه لآراء الآخرين واتساع صدره لاقتراحاتهم ، والأخذ بما يفيد منها دون تكبر أو انزعاج <sup>(١)</sup> .

### « العريش » أو غرفة القيادة :

وقيل إن سعد بن معاذ تقدم هو الآخر بمقترح عسكري رائع وهو بناء واقامة برج لرسول الله يقود منه العمليات ويشرف على سيرها ويكون مأمنا له من كيد الاعداء فقال : يا رسول الله ألا نبي لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنحك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك .  
فأثنى عليه رسول الله ﷺ ودعا له بخير ، ثم بني له ﷺ عريش فوق مكان مرتفع مشرف على ساحة القتال والحرب ، وكان سعد وجماعة من فتيان الأنصار يجرسونه في بعض حالات القتال !! <sup>(٢)</sup> .

### نظرة الى مسألة « العريش » :

ان مسألة بناء العريش لرسول الله ، وحراسة سعد بن معاذ وجماعة من فتيان الأنصار له هو مما ذكره ورواه الطبري في تاريخه نقلا عن ابن اسحاق وتبعه الآخرون في ذلك ، ولكن هذه القصة لا يمكن القبول بها لاسباب هي :  
أولا : أن هذا العمل يفت في عضد الجنود ، ويضعف من معنوياتهم القتالية لأن معناه أن القائد يفكر في وسيلة لنجاة نفسه دون أن يفكر في نجاة جنوده ، ومثل هذه القيادة لا يمكنها ان تستحوذ على قلوب جنودها ، وتجعلها مطيعة لأوامرها .

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٢٠ ، تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٤٤ .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٤٥ ، السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٢٠ .

ثانيا : أن هذه القصة تتنافى مع الاخبار القطعية التي بشر رسول الله ﷺ بها المسلمين في ضوء ما نزل عليه من آيات .

فهو ﷺ قبل أن يواجه المسلمون قريشا قال لأصحابه الذين خرجوا معه من المدينة وعدهم إحدى الطائفتين ، أي إما الظفر بقافلة قريش التجارية قطعاً ، أو الانتصار على الجيش المكي حتماً وبقينا إذ قال الله تعالى :

« وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ »<sup>(١)</sup> .

وإنما اقدم على بناء العريش لرسول الله . بناء على رواية الطبري . في الوقت الذي كانت قافلة قريش قد أفلتت وهربت من أيدي المسلمين ، ولم يبق إلا الجماعة المسلحة التي خرجت لحماية القافلة ، وكان المسلمون يعلمون . طبقاً لذلك الوعد الإلهي القاطع . أنهم سينتصرون على تلك الجماعة الكافرة : « ويقطع دابر الكافرين » فلم يكن المجال مجال تردد وشك .

وبهذا يكون حديث هزيمة المسلمين في هذه المواجهة ولزوم بناء عريش لحماية النبي واعداد ابل سريعة السير عند العريش لينجو ﷺ عليها بنفسه حديثاً باطلاً لا مبرر له ، ولا مسوغ .

يقول ابن سعد نقلاً عن عمر بن الخطاب قال : لما نزلت « سيهزم الجمع ويولون الدبر » قلت : وأي جمع يهزم ومن يغلب؟ فلما كان يوم بدر نظرت الى رسول الله ﷺ يثب في الدرع وثباً وهو يقول : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » فعلمت ان الله تبارك وتعالى سيهزمهم<sup>(٢)</sup> .

ومع هذا هل يحتمل أن يدور في خلد النبي ﷺ وأصحابه شيء حول الهزيمة أو يحدثوا أنفسهم بالفرار؟

ثالثاً : أن النبي الذي يصف الامام علي عليه السلام موقفه وحالته عند اشتداد ضراوة القتال لا تنسجم أبداً ولا تلائم هذا التكتيك الذي لا يتسم

(١) الأنفال : ٧ .

(٢) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٥ .

بالشجاعة والثبات .

يقول علي عليه السلام :

« كُنَّا إِذَا أَحْمَرُ الْبَأْسِ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِّنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ »

(١)

فهل يفكر مثل هذه الشخصية التي يصفها أول تلامذة مدرسته ، وأقرب صحابته إليه بمثل هذا الوصف ، في الفرار ، أو اتخاذ الاحتياطات اللازمة لذلك .

نحن نعتقد أن بناء العريش لم يكن إلا من باب إعداد غرفة للعمليات ولمراقبة سير القتال من مكان مشرف على ساحة القتال ، لأن القيادة ما لم تكن مشرفة على ساحة القتال لا يمكنها أن تتصرف بواقعية واتقان ، ولا يمكنها أن تقود الجنود والحشود من منطلق الواقع القتالي والعسكري .

من هنا لم يكن الهدف من العريش ان صح أصل القصة هو الإعداد والتحسب للفرار وما شاكل ذلك .

### تحرك قريش باتجاه بدر :

في صبيحة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، ارتحلت قريش من وراء الكتيب وانحدرت إلى وادي بدر ، فلما رآها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :  
« اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها ، وفخرها تحادّك وتكذّب رسولك .  
اللهم فنصرك الذي وعدتني به ، اللهم أحنهم <sup>(٢)</sup> الغداة » .

### قريش تتشاور في القتال :

استقرت قوى قريش في منطقة من أرض بدر استعدادا للمواجهة ، وحيث

---

(١) فتح البلاغة لعبده : الكلمات القصار الكلمة ٢١٤ ، ويقول السيد الرضي رحمته الله : معنى ذلك أنه اذا عظم الخوف من العدو ، واشتد عضاض الحرب فرغ المسلمون الى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه فينزل الله عليهم النصر به ويؤمنون بما كانوا يخافونه بمكانه .  
(٢) أي اهلكهم .



أهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن عدد أفراد المسلمين ومبلغ استعداداتهم ، لذلك كلفوا « عمير بن وهب الحمحي » . وكان فارساً ماهراً في الاحصاء والتخمين . بأن يحزر ( ويقدر بالحدس ) عدد أصحاب محمد .

فاستجال بفرسه حول عسكر رسول الله ﷺ ثم رجع الى قريش وقال : ثلاثمائة رجل يزيدون أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى انظر ألقوم كمين ، أو مدد .  
فضرب في الوادي حتى أبعد ولكنه لم ير شيئاً .

فرجع الى قريش ثانية وهو يحمل لهم خبراً مرعباً إذ قال : ما وجدت شيئاً ( أي كميناً او مدداً وراء المسلمين ) ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا (١) تحمل المنايا ، نواضح (٢) يثرب تحمل الموت الناقع (٣) ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم .

والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم ، فاذا اصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم!!!

وروى الواقدي عبارات عمير بنحو آخر إذ قال : قال عمير : والله ما رأيت جلداً ولا عدداً ولا حلقة ولا كراعاً ، ولكني رأيت قوماً لا يريدون أن يثوبوا الى أهلهم ، قوماً مستميتين ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف (٤) (٥) .

وروى المجلسي ما قاله عمير بنحو ثالث إذ قال : قال عمير : ما لهم كمين ولا مدد ، ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أما ترونها خرساً لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعي ما لهم ملجأ إلا سيوفهم ما أراهم يولون حتى يقتلوا ، ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتثوا رأيكم (٦) .

(١) وهي جمع بلية وهي الناقعة او الدابة .

(٢) الابل يستقى عليها الماء .

(٣) الموت الثابت البالغ في الافناء .

(٤) الحجف جمع الحجفة وهي الترس .

(٥) المغازي : ج ١ ص ٦٢ .

(٦) بحار الأنوار : ج ١٩ ص ٢٢٤ .

## اختلاف قادة قريش في امر القتال :

أوجدت كلمات عمير الفارس الشجاع ضجة كبرى بين رجال قريش وسادتها وزعمائها ، وانتاب الجميع خوف بالغ ورعب شديد من المسلمين .

فمشى حكيم بن حزام الى عتبة بن ربيعة ليقتعه بالعدول عن مقاتلة المسلمين ، فقال له : يا أبا الوليد إئتك كبير قريش وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تنزل تذكر فيها بخير الى آخر الدهر ، ترجع بالناس وتحمل أمر ( دم ) حليف عمرو بن الحضرمي ، وما أصاب محمد من ماله بطن نخلة <sup>(١)</sup> إنكم لا تطلبون من محمد شيئا غير هذا الدم والمال؟!!

فاقتنع عتبة برأي حكيم ، فجلس من فوره على جملة ، ووقف يخطب في المشركين من قريش بنطق جميل وبلغ يقول : يا قوم أطيعوني ولا تقاتلوا هذا الرجل وأصحابه ( يعني رسول الله ﷺ ) ، يا معاشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني الدهر ، إن محمدا له آل ( أي قرابة ) وذمة وهو ابن عمكم فخلّوه والعرب ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا ، والله لئن اصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه أو خاله أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا واخلّوا بين محمد وسائر العرب ، فان أصابوه فذاك الذي أردتم وان كان غير ذلك ألكم ولم تعرضوا منه ما تريدون <sup>(٢)</sup> .

وانطلق حكيم بن حزام الى أبي جهل وأخبره برأي عتبة ومقاتله ، هذا وأبو جهل يهين درعه ، فانزعج أبو جهل من مقالة عتبة وموقفه انزعاجا شديدا وثارت ثائرتة حسدا على عتبة ، وتعنتا عن الحق <sup>(٣)</sup> ، وبعث من فوره رجلا إلى عامر بن الحضرمي أخي عمرو الذي قتل في غزوة عبد الله بن جحش بنخلة

(١) إشارة الى ما جرى في سرية عبد الله بن جحش .

(٢) المغازي : ج ١ ص ٦٣ ، السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٢٣ ، بحار الأنوار : ج ١٩ ص ٢٢٤ .

(٣) قال صاحب المغازي : فحسده أبو جهل حين سمع خطبته وقال : ان يرجع الناس من خطبة عتبة يكن سيد

الجماعة ، وعتبة انطق الناس!!!

وقال له : هذا حليفك ( عتبة ) يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم وانشد خفرتك<sup>(١)</sup> ومقتل ( أو دم ) أخيك .

فقام عامر وكشف عن رأسه ، وأخذ يثو التراب على رأسه ، وصاح مستغيثا واعمراه وا عمراه ، تحريكا للناس وإثارة لمشاعرهم .

فهاج الناس لمنظر عامر وثار مشاعرهم لندبته ، وأجمعوا على الحرب ، وتناسوا اقتراح عتبة ، ونصيحته البليغة الحكيمة لهم .

ولكن عتبة هذا الذي كان يميل الى اعتزال الجيش وترك الحرب ، هاجت مشاعره هو الآخر فقام من فوره ولبس لامة حربه واستعد لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه<sup>(٢)</sup> .

وهكذا نجد كيف يتضاءل نور العقل عند هبوب رياح العاطفة الملتهبة ، والمشاعر الثائرة الباطلة وتنطفئ شعلة الفكر ، ولا يعود يضيء لصاحبه درب المستقبل حتى أن الرجل الذي كان قبل قليل داعية السلام ، والتعايش الاخوي يتحول تحت تأثير ذلك الهياج العاطفي ، العابر ، الاحمق إلى أول مبادر الى القتال وسفك الدماء وازهاق الارواح!!!

### ما الذي حتم القتال؟

لما أبصر الاسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلا شرسا سيئ الخلق . الحوض الذي بناه المسلمون عند البئر لشربهم قال : اعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لا هدمنيه أو لأموتن دونه!!!

ثم خرج من بين صفوف المشركين وشد حتى دنا من الحوض فاستقبله حمزة ، ولما التقيا ضربه بسيفه حمزة فاطار قدمه ، وهو دون الحوض فوقع على الأرض تشخب رجله دما ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد ان يشرب منه أو ان

(١) اي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم وعهدهم لك لأنه كان حليفا لهم .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٢٣ ، بحار الأنوار : ج ١٩ ص ٢٢٤ .

ير يمينه ، فاتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .  
فتسببت هذه الحادثة في أن يصبح القتال امرا مسلما وحتميا ، لانه ليس ثمة شيء يقدر  
على تحريك المشاعر ، واثارة العواطف ودفع الناس للقتال كسفك الدم .  
فالذين كان الغيظ والحق على المسلمين يكاد يقتلهم ، وكانوا يبحثون عن ذريعة يشعلون  
بها نيران الحرب ويفجرون فتيلها قد حصلوا الآن على ما يريدون <sup>(١)</sup> .

### المبارزات الفردية أولا :

كان التقليد المتبع عند العرب في الحروب أن يبدأ القتال بالمبارزات الفردية ثم تقع بعدها  
الحملات الجماعية .

فلما قتل الاسود المخزومي خرج ثلاثة فرسان من صناديد قريش المعروفين من صفوف  
الجيش المكي ودعوا الى المبارزة .  
وهؤلاء الصناديد الثلاثة هم :

١ . عتبة <sup>(٢)</sup> .

٢ . شيبه .

وهما ابنا ربيعة بن عبد شمس .

٣ . الوليد بن عتبة بن ربيعة .

فأخذوا يجولون في ميدان القتال ويدعون الى المبارزة ، فخرج إليهم من المسلمين فتية من  
الأنصار ثلاثة وهم « عوف » و « معوذ » ابنا الحارث و « عبد الله بن رواحة » .

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٤٧ و ١٤٨ .

(٢) وعتبة هذا هو الذي اقترح الانسحاب وعدم القتال كما عرفت . ويروى انه لما خرج قال له حكيم بن حزام :  
أبا الوليد مهلا ، مهلا تنهى عن شيء وتكون أوله!! ( المغازي : ج ١ ص ٦٧ ) .

ولما عرف عتبة أنهم من رجال المدينة قال : ما لنا بكم من حاجة .

ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفءنا من قومنا .

فقال رسول الله ﷺ :

« قم يا عبدة بن الحارث وقم يا حمزة ، وقم يا عليّ » .

فقاموا ، وخرجوا للمبارزة ، ولما دنوا منهم ، سألمهم عتبة عن أسمائهم فعرف أبطال

الاسلام أنفسهم وذكروا أسماءهم .

فقال رجال المشركين الثلاثة : نعم أكفء كرام .

ويرى البعض أنه بارز كل من هؤلاء الثلاثة من كان على سنّه من الكفار فبارز علي

عليّ الوليد ( خال معاوية بن أبي سفيان ) وبارز حمزة ( وهو أوسطهم ) عتبة ( جد معاوية

لامّه ) وبارز عبدة ( وهو أسن الثلاثة ) شيبه وهو أسن الكفار الثلاثة .

غير أن ابن هشام يقول : بارز « حمزة » شيبه ، وبارز « عبدة » عتبة ، وبارز « علي

» الوليد بن عتبة <sup>(١)</sup> .

وهذا يعني أن حمزة ( الاوسط في السن ) قاتل الاسن من الكفار .

### فأي القولين هو الأصح؟

إن ملاحظة أمرين توضح الحقيقة في هذا المجال :

الأو<sup>١</sup> : إن المؤرخين كتبوا : أن عليا وحمزة قتلا خصميهما في الحال ، ثم ساعدا عبدة

على قتل خصمه <sup>(٢)</sup> .

الثاني : إن الامام أمير المؤمنين عليّ كتب في كتاب له الى معاوية :

« وعندي السيف الذي اعرضته بجلده<sup>٣</sup> وخالك وأخيك في مقام

(١) راجع لمعرفة كلا الرأيين سنن البيهقي : ج ٣ ص ٢٧٦ .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٤٨ ، السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٢٥ قال : وكر حمزة وعلي بأسيا فهما على

عتبة .

واحد» (١) .

فمن هذا الكتاب يتضح بجلاء أن الامام علياً شارك . في قتل جد معاوية ( أي عتبة ) هذا من جانب .

كما أننا نعلم من جانب آخر أن كلا من حمزة وعلياً قد قتل خصمه في اللحظة الاولى من المباراة. فاذا كان خصم حمزة هو عتبة ( جد معاوية ) لم يكن . حينئذ . أي معنى لقول الامام علياً : « أنا قتلت جدك » .

فلا مناص من أن نقول : إن الذي بارز حمزة هو شيبه ، وأن الذي بارز عبيدة هو عتبة ليصح حينئذ أن يقال أن علياً وحمزة ، ذهبا . بعد الفراغ من قتل خصميهما . الى عتبة وكهـ بأسياهما عليه وقتلاه ، ثم احتملا صاحبهما « عبيدة » وأتيا به الى رسول الله ﷺ (٢) .

وبهذا ترجح النظرية الثانية ، والقاضية بعدم التكافؤ بين أسنان كل من المتبارزين.

### الهجوم العام :

إثر مقتل صنديد قريش الثلاثة في المباراة الفردية بدأ الهجوم العام . فتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وأن يكتفوا برمي القوم بالنبال إذا اقتربوا منهم ليمنعوا من تقلم العدو . ثم نزل رسول الله ﷺ من برج القيادة ( العريش ) وعدل صفوف أصحابه وفي يده سهم يعلد القوم . فمر بسواد بن غزيرة ، وهو متقدم من الصف ، فطعن في بطنه بالسهم الذي معه وقال له : استو يا سؤد .

(١) نهج البلاغة قسم الكتب الرقم ٦٤ واعضضته به جعلته يعضه .

(٢) ثم إن المقصود من أخ معاوية الذي أشار الامام علي في كلمته الى قتله هو حنظلة بن أبي سفيان بن حرب راجع السيرة النبوية : ج ١ ص ٧٠٨ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٨ ص ١٩ .

فقال : يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقديني ( أي اقتصص ) لي من نفسك. فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : استقد ( أي أنت اقتصص ) فاعتنقه سمود وقبّل بطنه ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ما حملك على هذا؟  
قال : يا رسول الله حضر ما ترى ( من القتال ) فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلديك.

فدعا له رسول الله ﷺ بخير <sup>(١)</sup>.

ثم إن رسول الله ﷺ بعد أن علّق الصفوف رجع الى غرفة العمليّات ( العريش ) فدخله وتوجّه إلى ربه بقلب مفعم بالإيمان يناشده ما وعده من النصر وقال في مناجاته لربه في تلك اللحظات :

« اللهم إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد في الأرض أبدا » <sup>(٢)</sup>.

ولقد سجّلت المصادر التاريخية الاسلامية تفاصيل وجزئيات الهجوم العام ، الى درجة ما ، إلا أن من المسلم المقطوع به أن رسول الله ﷺ كان ينزل من العريش أحيانا ويحرضهم على القتال والمقاومة. فقد قال في احدى هذه المرات :

« والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة ».

ولقد كانت كلمات القائد الاعلى هذه تفعل فعلتها في النفوس ، فتثير الهمم ، وتوجد شوقا عجيبا الى الشهادة في المقاتلين المسلمين ، حتى أن أحدهم ويدعى « عمير بن الحمام » أخو بني سلمة قال للنبي ﷺ وفي يده تمرات ياكلهن يا رسول الله : بخ بخ ، أفما يبني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء.

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٢٦

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٢٧ ، تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٤٩.

ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل <sup>(١)</sup> .  
ثم إن النبي ﷺ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال :  
« شأهت الوجوه » .

ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه ، فقال : شدوا <sup>(٢)</sup> .  
ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت بوادر انتصار المسلمين على أعدائهم المشركين فقد انتاب المشركين خوف ورعب شديدان ، وأخذوا ينهزمون أمام زحف المسلمين .  
فقد كان المسلمون يقاتلون عن إيمان ، وإخلاص ويعلمون بأنهم ينالون السعادة قتلوا أو قتلوا ، فلم يرهبوا شيئا ، وما كان يمنعهم شيء عن التقدم والإقبال .

### رعاية الحقوق :

لقد كان لا بد من رعاية الحقوق بالنسبة الى طائفتين في معسكر المشركين :  
الاولى : أولئك الذين احسنوا إلى المسلمين في مكة ، ودافعوا عنهم كأبي البختری الذي كان ممن قام في نقض الصحيفة الظالمة التي سبق الحديث عنها .  
الثانية : أولئك الذين اكرهوا على الخروج من المشركين إلى بدر ، وكانوا يرغبون في قرارة أنفسهم في الاسلام مثل معظم رجال بني هاشم كالعباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ .

### مصراع أمية بن خلف :

ولقد أسر « أمية بن خلف » وابنه على يد عبد الرحمن بن عوف واذا كان بينه

---

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٢٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٢٨ ، البداية والنهاية : ج ٢ ص ٢٨٤ .



وبين أمية صداقة بمكة طلب أمية من عبد الرحمن أن يخرجها من أرض المعركة لكي لا يقتل هو وولده ، او ليعتد من الأسرى.

فرضى عبد الرحمن بذلك ، وبينما هو يقودهما إذ أبصر بلال بهم وكان أمية هو الذي يعذب بلالا بمكة على ترك الاسلام ، فيخرجه الى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول : لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد فيقول بلال : أحد ، أحد .

فلما رآه بلال في الأسر وقد أقدم عبد الرحمن على حمايته والذب عنه وهو يريد نجاته وولده ، صاح مستصرخا المسلمين : يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا .

فأحاط المسلمون بأمية وولده من كل جانب وقطعوهما بسيوفهم حتى فرغوا منهما<sup>(١)</sup> .  
وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البخترى الذي كان له دور مشرف في نقض الحصار الاقتصادي الذي ضربته قريش على المسلمين في مكة ، وكان لا يؤذي رسول الله ﷺ فلقية رجل من المسلمين يدعى « المجذر » فأراد أسره واستبقائه ريثما يأخذه الى رسول الله ﷺ ليرى فيه رأيه ، ولكنه نازل المجذر ، وأبى إلا القتال ، فاقتتلا فقتله المجذر .  
ثم ان المجذر أتى رسول الله ﷺ فقال : والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيتك به فأبى إلا أن يقاتلني فقاتلته فقتلته<sup>(٢)</sup> .

### خسائر بدر في الأرواح والاموال :

لقد قتل في معركة « بدر » من المسلمين أربعة عشر رجلا ، وقتل من المشركين سبعون واسر سبعون من أبرزهم : النضر بن الحارث ، وعقبة ابن أبي معيط ، وأبو

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٣٢ .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٢٩ و ٦٣٠ وراجع الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٣ .

غرة ، وسهيل بن عمرو والعباس ، وأبو العاص بن الربيع ( صهر النبي )<sup>(١)</sup> .  
ثم دفن شهداء بدر في جانب من أرض المعركة ، وقبورهم باقية إلى الآن .  
ثم أمر رسول الله ﷺ بأن يلقي بقتلى المشركين في البئر .  
وبينما كان يسحب عتبة بن ربيعة إلى البئر نظر رسول الله ﷺ في وجهه « أبي حذيفة  
ابن عتبة فاذا هو كئيب ، قد تغير لونه فقال ﷺ : يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من  
شأن أبيك شيء؟! »

فقال : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني كنت أعرف  
من أبي رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الاسلام ، فلما رأيت ما أصابه  
وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، أحزنتني ذلك!!

فدعا له رسول الله ﷺ بخير<sup>(٢)</sup> .

إن هذه القصة لتكشف عن مدى حب المسلمين لدينهم ، ورغبتهم الصادقة في أن  
يهتدي إليه الناس كما تكشف أيضا عن أنهم كانوا يقدمون المعيار الديني على المعيار العائلي  
إذا تعارضا .

### ما أنتم باسمع منهم :

لقد انتهت معركة بدر بانتصار عظيم في جانب المسلمين وهزيمة نكراء في جانب  
المشركين .

فقد غادر المشركون ساحة القتال هارين صوب مكة مخلفين وراءهم سبعين قتيلًا من  
صناديدهم وساداتهم وفتياتهم الشجعان وسبعين أسيرا .  
ولما أمر النبي بإلقاء قتلى المشركين في القليب<sup>(٣)</sup> وقف رسول الله ﷺ عند القليب  
وأخذ يخاطب القتلى واحدا واحدا ويقول :

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٧٠٦ و ٧٠٨ ، المغازي : ج ١ ص ١٣٨ . ١٧٣ .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٤٠ و ٦٤١ .

(٣) القليب : البئر .

« يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل ( وهكذا عدّ من كان منهم في القليب ) هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا ».

فقال له بعض أصحابه : يا رسول الله أتنادي قوما موتى؟

فقال ﷺ :

« ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني ».

وكتب ابن هشام يقول : إن رسول الله ﷺ قال يوم هذه المقالة :

« يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذتموني وصدقتي الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس ، ( ثم قال : ) هل وجدتم ما وعدكم ربي حقا؟ »<sup>(١)</sup>.

### الشعر يخلد هذه القصة :

يعتبر هذا الموضوع من القضايا الثابتة والمسلّمة في التاريخ الإسلامي ، فقد ذكره جميع المحدثين والمؤرخين من الشيعة والسنة ، وقد ذكرنا طائفة من مصادره في الهامش .  
وقد كان من دأب حسان بن ثابت شاعر عصر الرسالة ان ينشد أبياتا في كل واقعة من وقائع الاسلام البارزة وبذلك يقوي من عزيمة المسلمين ويشد من أزهرهم لأن الشعر يجلي البطولات ويكرم المواقف ويخلد الاجماد ويحافظ على المفاخر ويكسبها طابعا أبديا ولهذا يعد وسيلة جيدة لتقوية المعنويات ، وإبطال مفعول الحرب الباردة والنفسية التي يقوم بها العدو .  
وقد طبع ديوان « حسان » لحسن الحظ ، ويمكن لنا أن نقف على الكثير من ايام الإسلام واجماده من خلال قصائده ، وافيائه المدرجة فيه .

---

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٣٩ ، السيرة الحلبية : ج ٢ ص ١٧٩ و ١٨٠ وغيرهما .

وقد أنشد حسان قصيدة بائئة رائعة حول وقعة بدر الكبرى يشير في بعض آياتها الى هذه الحقيقة اعني قصة القلب إذ يقول :

يناديهم رسول الله مآ قذفناهم كباكب في القلب  
ألم تجدوا كلامي كان حقا وأمر الله يأخذ بالقلوب؟  
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب!  
على أنه لا توجد عبارة اشد صراحة من ما قاله رسول الله ﷺ في المقام حيث قال :  
« ما أنتم بأسمع منهم ».

وليس ثمة بيان أكثر إيضاحا وأشد تقريرا لهذه الحقيقة من مخاطبة النبي ﷺ لواحد واحد من أهل القلب ، ومناداتهم بأسمائهم وتكليمهم كما لو كانوا على قيد الحياة .  
فلا يحق لأي مسلم مؤمن بالرسالة والرسول أن يسارع الى إنكار هذه القضية التاريخية الاسلامية المسلمة ، ويبادر قبل التحقيق ويقول : إن هذه القضية غير صحيحة لأنها لا تنطبق على موازين عقلي المادي المحدود.

وقد نقلنا هنا نص هذا الحوار ، لكي يرى المسلمون الناطقون باللغة العربية كيف أن حديث النبي ﷺ يصرح بهذه الحقيقة بحيث لا توجد فوقه عبارة في الصراحة ، والدلالة على هذه الحقيقة .

ومن أراد الوقوف على مصادر هذه القصة فعليه أن يراجع ما ذكرناه في الهامش ادناه <sup>(١)</sup> .

---

(١) إن تكلم رسول الله ﷺ مع رءوس الشرك الموتى الذين القيت اجسادهم في البئر من مسلمات التاريخ والحديث ، وقد اشار الى هذا من بين المحدثين والمؤرخين : صحيح البخاري : ج ٥ في معركة بدر ص ٧٦ و ٧٧ - ٨٦ و ٨٧ ، صحيح مسلم : ج ٨ كتاب الجنة باب مقعد الميت ص ١٦٣ ، سنن النسائي ج ٤ باب أرواح المؤمنين ص ٨٩ و ٩٠ ، مسند الامام أحمد : ج ٢ ص ١٣١ ، السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٣٩ ، المغازي : ج ١ غزوة بدر ص ١١٢ ، بحار الأنوار : ج ١٩ ص ٣٤٦ .

## بعد معركة بدر :

يعتقد كثير من المؤرخين المسلمين أن المبارزات الفردية ومن بعدها القتال الجمعي في غزوة بدر استمر حتى زالت الشمس وانتهت المعركة بفرار المشركين وأسر جماعة منهم. ثم بعد أن فرغ رسول الله ﷺ وأصحابه من دفن شهداء المسلمين صلى بالناس العصر في بدر ثم غادر ارض بدر قبل غروب الشمس من ذلك اليوم ، هذا وقد كلف رسول الله ﷺ اشخاصا بجمع الغنائم من أيدي الناس.

وهنا واجه رسول الله ﷺ اول اختلاف بين أصحابه في كيفية تقسيم الغنائم ، فقد كان كل فريق يرى نفسه أولى من غيره بما ، نظرا لدوره في تلك المعركة. فالذين كانوا يجرسون عريش رسول الله ﷺ مخافة أن يكر عليه العدو كانوا يرون أن عملهم لا يدانيه في الاهمية أي عمل آخر ، لأنهم كانوا يجرسون القائد ، ويحافظون على مقر القيادة.

وبينما كان الذين جمعوا الغنائم يرون أنهم الأحق لأنهم جمعوها ، فيما كان الذين قاتلوا العدو ولا حقوه وطاردوه يقولون : والله لو لا نحن ما أصبتموه ، إنا لنحن الذين شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم<sup>(١)</sup>. ولا ريب أن أسوأ ما يصيب أي جيش هو أن يدب الخلاف بين قطعاته وأفراده ، فينفرد عقده وتتلاشى وحدته.

من هنا بادر رسول الله ﷺ للقضاء على هذه الآمال والمطامع المادية وبغية اسكات كل تلك الاصوات إلى إيكال جمع الغنائم وحملها ، والمحافظة عليها إلى « عبد الله بن كعب المازني » وأمر جماعة من أصحابه أن يعينوه ريثما يفكر في طريقة تقسيمها. لقد كان قانون العدل والإنصاف يقضي بأن

---

(١) المغازي : ج ١ ص ٩٨ و ٩٩.

يشارك جميع أفراد ذلك الجيش في تلك الغنائم ، لأنهم ساهموا بأجمعهم في تلك المعركة ، وكان لكل منهم دور ومسئولية فيها ، فما كان لفريق أن يحرز نجاحا من دون أن يقوم الآخرون بأدوارهم.

من هنا قسم رسول الله ﷺ الغنائم بينهم . في أثناء الطريق . على قدم المساواة ، وفرز لذوي الشهداء أسهما منها.

ولقد أثارت طريقة النبي ﷺ في تقسيم الغنائم ( وذلك بقسمتها على جميع المشاركين معه في معركة بدر بالتساوي ) سخط « سعد بن أبي وقاص » فقال : يا رسول الله أعطى فارس القوم الذي يحميهم مثل ما يعطى الضعيف؟ فقال النبي ﷺ : « ثكلتك أمك ، وهل تنصرون إلا بضعفائكم »<sup>(١)</sup>.

وهو ﷺ يقصد أن هذه الحرب لم تكن إلا لأجل الدفاع عن الضعفاء ، ورفع الحيف عنهم ، وانه ﷺ لم يبعث إلا لإزالة هذه الفوارق والامتيازات الظالمة ، وإلا لاجل اقرار المساواة في الحقوق بين الناس.

هذا ورغم أن خمس الغنيمة هي بنص آية الخمس<sup>(٢)</sup> لله ولرسوله ولذي القربى واليتامى وابن السبيل من أهل بيته ﷺ إلا أنه ﷺ لم يخبس غنائم « بدر » بل وفق الخمس على المشاركين في بدر أيضا.

على أنه يمكن أن تكون آية الخمس لم تنزل آنذاك بعد ، أو أن رسول الله ﷺ كان يتمتع باختيارات خاصة ، فصرف النظر عن أخذ الخمس لنفسه وقرباه ، تكثيرا لأسهم المجاهدين ، وذلك ولا ريب خطوة حكيمة جدا وخاصة في أول مواجهة عسكرية مع العدو<sup>(٣)</sup>.

(١) المغازي : ج ١ ص ٩٩ .

(٢) الانفال : ١ .

(٣) وجاء في بعض المصادر التاريخية ان النبي ﷺ ضرب من الغنائم أسهما لاشخاص لم يحضروا بدر ولم يشتركوا في القتال مع رغبتهم في ذلك وذلك إما لامور أصابتهم عند الخروج

## قتل أسيرين في اثناء الطريق :

ولما كان رسول الله ﷺ في « الصفراء »<sup>(١)</sup> وهي أحد المنازل على طريق بدر . المدينة عرض عليه الاسرى فأمر بقتل النضر بن الحارث وكان من أعداء المسلمين الاللاء . وأمر بأن يضرب عنق عقبة بن أبي معيط إذ كان بعرق الطيبة . وهنا ينطرح سؤال وهو : إن حكم الاسلام في أسرى الحرب هو أنهم عبيد للمسلمين والمجاهدين ، يباعون ويشترون بأثمان مناسبة فلما ذا حكم رسول الله ﷺ في شأن هذين الأسيرين بحكم آخر؟ .

ثم إن النبي ﷺ الذي خاطب المسلمين في « بدر » في الأسرى الذين بأيديهم وأوصاهم بهم خيرا قائلا :

« استوصوا بالاسارى خيرا » .

كيف اتخذ مثل هذا القرار في حق بعضهم؟

يقول أبو عزيز ، وكان صاحب لواء في جيش قريش : كنت أسيرا في أيدي رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز ، وأكلوا التمر والخبز عندهم قليل والتمر زادهم ، وذلك لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلاّ نفحني بها فأستحي فاردّها على أحدهم فيردّها عليّ ، وكانوا يحملوننا ويمشون<sup>(٢)</sup> !!

مع ملاحظة هذه الامور لا بد من الاذعان بأن قتل هذين الأسيرين كان مما تقتضيه المصالح الاسلامية العامة ، لا أنه كان بدافع الانتقام ، فقد كان ذانك الأسيران من رءوس الكفر ، ومن مخطّطي الخطط الجهنميّة ضد الاسلام

---

إلى بدر او لقيامهم بمهمات ، تتعلق بامور مراقبة العدو في الطرق او للقيام بمهمات ادارية داخل المدينة .

(١) المغازي : ج ١ ص ٦ .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٤٥ ، المغازي : ج ١ ص ١١٩ .

والمسلمين ، وضد الرسالة والرسول ، وكانا ممن يؤلبون القبائل ضد رسول الاسلام ، فلعله لو كان النبي ﷺ يفرج عنهم ويطلق سراحهم عادوا الى تدبير المؤمرات ضد الاسلام ، والمسلمين ، وعملا على تخطيط الخطط ، وتأليب القبائل ، فلم يكن بد من تصفيتهم والقضاء عليهم.

### بشائر النبي الى المدينة :

كلف رسول الله ﷺ « عبد الله بن رواحة » ، و « زيد بن حارثة » بأن يسبقاه الى المدينة ، ليشيرا المسلمين بما حققه رسول الله ﷺ وأصحابه في بدر من الانتصار الكاسح والفتح المبين ، ويجبرا أهلها بمصرع رءوس الكفر والشرك كعتبة وشيبة وأبي جهل وأبي البخري وأمّية ، ونبيه ومنبه و .. و ..

فما قدم المبعوثان الى المدينة الا والمسلمون عائدون من دفن ابنة رسول الله ﷺ زوجة عثمان بن عفان فامتزجت الافراح بالاحزان ، واختلط السرور بانتصار النبي وأصحابه بالحنز علي موت ابنة رسول الله ﷺ .

وقد أربع المشركون واليهود والمنافقون بخبر انتصار المسلمين الساحق على قريش ، وراحوا يحاولون تكذيبه ، وتفنيده حتى إذا دخل رسول الله ﷺ المدينة ودخل بعده أسرى قريش أصبح الخبر قطيعا مسلما ، فباءت محاولات المنافقين بالفشل.

### المكيون يعرفون بمقتل أسيادهم :

كان « الحيسمان الخزاعي » أول من قدم مكة واخبر الناس باحداث « بدر » الدامية وبمصرع طائفة كبيرة من سادة قريش على أيدي المسلمين.

يقول أبو رافع الذي كان غلاما للعباس بن عبد المطلب آنذاك ثم أصبح من أصحاب النبي وعلى فيما بعد : كنت غلاما للعباس ، وكان الاسلام قد دخلنا



أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أمّ الفضل وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتنم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه ، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر ، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كتبه الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوة وعزة.

وقد كنت رجلا ضعيفا وكنت أصنع السهام والنبال أنحتها في حجرة زمزم فو الله بينما أنا جالس فيها أنحت سهامي وعندني أم الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر عن هزيمة قريش ، إذ أقبل أبو لهب يجرّ رجله بشرّ حتى جلس عند طنّب (١) الحجرة فكان ظهره إلى ظهري ، فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان فقال أبو لهب : هلم إلي فعندك لعمري الخبر .

فجلس إليه والناس قيام عليه فقال : يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال أبو سفيان : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمحنناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك ما ملت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ، والله ما تبقي شيئا ولا يقوم لها شيء . يقول أبو رافع : فرفعت طنّب الحجرة ، ثم قلت : تلك والله الملائكة . فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة (٢) .

### اشترك العباس عم النبي في بدر :

يبقى أن نعرف أن مسألة اشترك العباس عم النبي في غزوة بدر من مشكلات التاريخ وغوامضه ، فهو من الذين اسرهم المسلمون في بدر فهو من جانب يشارك في الحرب ، ومن جانب آخر يحضر في بيعة العقبة ، ويدعو أهل المدينة إلى حماية النبي ﷺ ونصرته .

(١) الطنب : الطرف .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٤٦ و ٦٤٧ .

فكيف يكون هذا؟

إن الحل يكمن في ما قاله أبو رافع غلام العباس نفسه : كان العباس قد أسلم ولكنه كان يهاب قومه ويكره خلافهم ويكتم اسلامه ، مثل أخيه أبي طالب لاقتضاء المصالح الاسلامية ذلك ، ومن هذا الطريق كان يساعد النبي ﷺ ويخبره بمخططات العدو ونواياه وتحركاته واستعداداته كما فعل ذلك في معركة « احد » أيضا <sup>(١)</sup> . فقد كان أول من أخبر رسول الله ﷺ بتحريك قريش وخططهم واستعداداتهم .

وقد أفعج مقتل سبعين رجلا من رجال مكة وفتيان قريش أكثر البيوت والعوائل في مكة ، وسلبهم البهجة والفرح ، والنشاط والحركة ، وتحولت مكة برمتها الى مأتم كبير ، وناحت قريش على قتلاها <sup>(٢)</sup> .

### المنع من النوح والبكاء في مكة :

غير أن أبا سفيان عمدا . لا بقاء أهل مكة على حالة الحنق والغضب . الى منع النوح والبكاء على القتلى وحث الناس باستمرار على الاستعداد للثأر والانتقام من محمد وأصحابه فقال : يا معشر قريش لا تبكوا على قتلاكم ، ولا تنح عليهم نائحة ولا يبكمهم شاعر ، واطهروا الجلد والعزاء فانكم إذا نحتم عليهم وبكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم ، فأكلكم ذلك عن عداوة محمد وأصحابه .. ولعلكم تدركون ثأركم .

ولكي يلهب أبو سفيان مشاعر الناس أكثر فأكثر أو ييقي على سخونتها على الأقل ، قال : والدهن والنساء علي حرام حتى أغزو محمدا .

وكان « الأسود بن المطلب » اصيب له ثلاثة من ولده : زمعة وعقيل والحارث بن زمعة ، فكان يجب أن يبكي على قتلاه ، ولكنه ما كان يستطيع

(١) السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٢١٧ .

(٢) المغازي : ج ١ ص ١٢٢ . قال : لم تبق دار بمكة إلا فيها نوح .

ذلك لمنع أبي سفيان من النواح والبكاء على القتلى .

فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل فقال لغلامه . وقد ذهب بصره وعمي . : هل بكت قريش على قتلها لعليّ أبكي على زمعة ، فان جوفي قد احترق .  
فذهب الغلام ورجع إليه فقال : إنما هي امرأة تبكي على بعيرها قد أضلته ، فأنشد الأسود بن المطلب حينها يقول :

أتبكي أن يضل لها بعير      ويمنعها من النوم السهود  
فلا تبكي على بكر<sup>(١)</sup> ولكن      على بدر تقاصرت الجودود  
على بدر سراة بني هصيص      ومخزوم ورهط أبي الوليد  
وبكّي ان بكيت على عقيل      وبكي حارثا اسد الاسود<sup>(٢)</sup>

### القرار الأخير حول مصير الاسارى :

في هذه المعركة بالذات أعلن رسول الله ﷺ عن قرار تاريخي عظيم ورائع هو : أن من علم من الاسرى عشرة من صبيان الغلمان والصبيان من أولاد الأنصار الكتابة والقراءة كان ذلك فداؤه وخلّي عن سبيله من غير أن يؤخذ منه مال<sup>(٣)</sup> .

وان من دفع فدية قدرها أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم خلي سبيله وان كان فقيرا لا مال له افرج عنه دون فداء .

فأحدث هذا النبأ في مكة لدى عوائل الاسرى حركة عجيبة ودفعهم الى التفكير في تقديم الفداء الى المسلمين ، واطلاق اسراهم .

فهياً كل واحد منهم ما استطاع وقدم المدينة يفدي اسيره .

وعند ما افرج عن سهيل بن عمرو لقاء فدية قال عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ :  
يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو ( أي أسنانه

(١) البكر : الفتى من الابل .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٤٨ .

(٣) السيرة الحلبية : ج ٢ ص ١٩٣ .

الامامية ) ويدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا.

فقال رسول الله ﷺ : « لا امثل به فيمثل الله بي وان كنت نبيا » (١).

وتلك لفتة انسانية أخرى من لفتات النبي العظيم الكثيرة في المعارك.

وقد كان في الاسارى أبو العاص بن الربيع زوج ابنة رسول الله ﷺ : زينب.

وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وقد تزوج زينب ابنة رسول الله ﷺ في الجاهلية.

ولما جاء الاسلام آمنت خديجة برسول الله ﷺ وآمنت بناته ، ( ومنهن زينب ) كذلك وشهدن أن ما جاء به الحق ، ودنّ بدينه ، وثبت أبو العاص على شركه ، وكان رسول الله ﷺ لا يقدر على أن يفهرّ بينهما.

وقد اشترك أبو العاص هذا في معركة بدر مع قريش ، وأسر بأيدي المسلمين.

فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة قد أهدتها إليها ليلة دخول أبي العاص بها ( ليلة زفافها ).

فلما رأى رسول الله ﷺ تلك القلادة تذكّر زوجته الوفية خديجة ؑ وما اسدته الى الاسلام من خدمات وقدمته من تضحيات ، وبكى بكاء شديدا.

فالتفت الى المسلمين وقال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٤٩ ، والمغازي : ج ١ ص ١٠٧ يقول صاحب المغازي في صفحة ١٠٥ من نفس الجزء : كان عمر ( رض ) يحض على قتل الاسرى لا يرى أحدا في يديه أسير إلا امر بقتله!!

ما لها فافعلوا.

فقالوا : نعم يا رسول الله ، نفذيك بأنفسنا وأموالنا.

فأطلقوه ، وردوا عليها الذي لها وبذلك احترم رسول الله ﷺ حقوق المسلمين وما يرجع إليهم من أموال بل أنها والله أعظم مظهر من مظاهر الديمقراطية ، ( ان صح التعبير ) فالنبي مع أن له ما له من الولاية على المسلمين يقترح عليهم الافراج عن زوج زينب ويترك الامر لاختيارهم.

ثم إن رسول الله ﷺ أخذ على أبي العاص الميثاق بأن يخلي سبيل زينب ، ويعيئها الى المدينة.

ففعل أبو العاص ما تعهد به ، وبعث زينب الى المدينة.

ثم إن أبا العاص نفسه أسلم أيضا وقدم المدينة ، وردّ عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الاول أو بنكاح جديد (١)

### رسول الاسلام ومكافحة الامية :

كما أنه يتبين من قصة الاسرى الذين اطلق سراحهم لقاء تعليم أولاد المسلمين الكتابة والقراءة مدى اهتمام الاسلام بالثقافة والتثقيف ، والوعي والنوعية ، فان معرفة القراءة والكتابة بداية التثقيف والنوعية.

ولا بد أن نقول هنا أيضا أن اطلاق الاسارى العارفين بالقراءة والكتابة لقاء تعليم صبيان المسلمين تعد أول عملية لمكافحة الامية التي اهتم بها العالم الحاضر.

ففي الوقت الذي كانت الكثير من الدول في عصر الاسلام الاول تمنع من تثقيف أبنائها ورعاياها . كما مر عليك في دراسة أوضاع الامبراطوريتين الفارسية والرومية . أعلن رسول الاسلام ان من لم يكن معه فداء وهو يحسن الكتابة دفع إليه عشرة من غلمان المدينة ( أي صبيائها ) يعلمهم الكتابة فاذا تعلموا كان ذلك فداءه .. وما أعظمها من خطوة ثقافية وحضارية.

---

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٦٥١-٦٥٩ ، بحار الأنوار : ج ١٩ ص ٣٤٨ و ٣٤٩.

## كلام لابن أبي الحديد في المقام :

يقول العلامة ابن أبي الحديد : قرأت على ( استاذي ) النقيب أبي جعفر البصري العلوي هذا الخبر ، فصدّقه وقال : أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد؟ أما كان يقتضي التكرّم والاحسان أن يطبّيا قلب فاطمة عليها السلام ، ويستوهب لها من المسلمين ( أي يستوهب فداكا من المسلمين ويردّه عليها )؟

أتقصر منزلتها عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من منزلة زينب أختها وهي سيدة نساء العالمين؟! هذا إذا لم يثبت لها حق لا بالنحلة ولا بالارث؟

فقلت له : فدك بموجب الخبر الذي رواه أبو بكر قد صار حقا من حقوق المسلمين ، فلم يجز له أن يأخذه منهم .

فقال : وفداء أبي العاص قد صار حقا من حقوق المسلمين ، وقد أخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منهم .

فقلت : رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صاحب الشريعة ، والحكم حكمه ، وليس أبو بكر كذلك . فقال : ما قلت هلا أخذه أبو بكر من المسلمين قهرا فدفعه إلى فاطمة عليها السلام وإنما قلت : هلا استنزل المسلمين عنه ، واستوهبه منهم لها ، كما استوهب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فداء أبي العاص؟ أترأه لو قال : هذه بنت نبيكم صلّى الله عليه وآله وسلّم قد حضرت لطلب هذه النخلات افتطيبيون عنها نفسا؟ كانوا منعوها ذلك؟!!

فقلت له : قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد نحو ذلك . قال : إنهما لم يأتيا بحسن في شرع التكرّم ، وإن كان ما أتياه حسنا في الدين!!

أي ان ما فعلاه وإن كان يوافق موازين الدين . حسب تصور القاضي . ولكنه لا يناسب شأن فاطمة وتكرّمها لمقامها ولمكانها من أبيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليه

وآله (١) .

هذا وقد أمر الله نبيه الكريم بأن يعلن للأسرى بأن الباب مفتوح على وجوههم لينضموا الى صفوف المسلمين ، فينعموا بالاسلام فيعيد الله عليهم أفضل مما أخذ منهم ويغفر لهم ذنوبهم ، إذ يقول تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنِّي عَلِّمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرٌ مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (٢)

وبذلك فتح الاسلام باب الأمل أمام الاسارى ، وكشف عن نزعتة الانسانية ، وأيضا عن رغبته الصادقة في هداية البشرية ، ونجاتها .

كما ضرب بذلك مثلا في الحكمة وحسن السياسة لم يسبق له مثيل .

على انه هدد الاسرى من ناحية اخرى إذا أساءوا ، وعادوا بعد الخلاص من الاسر إلى التآمر ضد الإسلام .

إذ قال :

« إِنِّي يُرِيدُ أُخِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (٣) .

وبذلك جمع بين الحزم والحكمة ، واللين الحكيم والشدة المعقولة .

### القرآن يتحدث عن بدر :

ولقد ذكر القرآن الكريم المسلمين ، ولا يزال يذكرهم بالانتصار الكبير الذي تحقق

للمؤمنين في بدر بفضل ثبات المقاتلين ونصر الله وتأييده الغيبي إذ قال :

« ذِئْبُكُمْ بِالْعُدُوِّ لَدُنِّيَاهُمْ بِالْعُدُوِّ لِقُدُومِي كَرِيْبٌ مُسْتَنْفَلٌ بِكُمْ رَوْعًا لَكُمْ ۗ لَأَخْتَلِفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٣ ص ٣٣٤ . ٣٥٢ . ولابن أبي الحديد كلام آخر يشبه هذا في اهدار

من أسقط جنين زينب فراجع .

(٢) و (٣) الانفال : ٧٠ و ٧١ .

هَلِكْ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَن حَيٍّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ. ۞ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ رَأَوْهُمُ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأُمُورِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. ۞ يُرِيكُمُوهُمْ ۞ التَّقِيَّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ « (١) .

وقال تعالى :

« دَلَّكَ اللَّهُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ۗ التَّقَاتَا فِيهَا تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ كَافِرٌ كَافِرٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِضَرْبِنَ شَاءَ مِنْهُ لِكُلِّ عَرَبَةٍ ۗ وَإِلَى الْأَبْصَارِ « (٢) .

وقال تعالى أيضا :

« ۞ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْفِينَ « (٣) .

وقوله تعالى :

« ۞ يُعَشِّشِكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ. ۞ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فِيهِ الْأَعْنَاقَ وَضَرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ « (٤) .

وقال سبحانه أيضا :

« وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ ۗ وَكُنْتُمْ لَكَلَّةً فَأَنزَلْنَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنَّاتٍ تُشْكِرُونَ. ۞ تَقْبُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْبَنَانِ كَفَرْتُمْ عَنْهُ ۗ إِنَّ دُعَاءَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ. ۞ نِصْرًا لَكُمْ وَتَقْبُولُوا وَيَأْتُواكُم مِّنْ قُدْرِهِمْ ، هَذَا مُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ

(١) الانفال : ٤٢ و ٤٤ .

(٢) آل عمران : ١٣ .

(٣) الانفال : ٩ .

(٤) الانفال : ١١ - ١٢ .



كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ» (١).

وفي هذه الآيات تصريحات واضحة بما كان عليه المسلمون في معركة بدر من حيث قلة العدة والعدد ، وبأبرز الامدادات الغيبية الإلهية التي ساعدت المسلمين على الانتصار على أعدائهم المشركين ، الذين كانوا يفوقونهم في العدة والعدد والسلاح والرجال مع التأكيد على أن ذلك الانتصار العظيم جاء نتيجة ثبات المسلمين واستقامتهم ، وصبرهم وإخلاصهم. وأبرز تلك الامدادات الغيبية هي :

١ . مع أن الاعداء كانوا متمركزين في العدو العليا وهي أعلى الوادي والمسلمين في أسفل الوادي ، وكان ذلك من شأنه أن يعزز موقع الكفار لإمكان مراقبة المسلمين من مكان مرتفع كما كان من شأنه أن يجعل هجوم المسلمين على الكفار أمرا صعبا ، ولكن كفة الحرب رجحت مع ذلك لصالح المسلمين.

٢ . إنهم لو كانوا على ميعاد مع العدو ، ومع العلم التفصيلي بحجم امكانياته البشرية والقتالية لامتنع عامة المسلمين عن مقابلة المشركين ، ولكن شاء الله أن لا يعرف المسلمون شيئا مفصلا عن المشركين ، مسبقا ، بل يواجه المسلمون الأمر الواقع ، فيتحقق ما أراد الله من الانتصار على قريش. والى هذا اشار سبحانه بقوله :

«رَوْوْ عَظَمْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ».

٣ . تقليل عدد المسلمين في أعين المشركين وتقليل عدد المشركين في أعين المسلمين في أول القتال لكي يستقل الاعداء قوة المسلمين ، ولكي لا يهاب المسلمون الاعداء ويستعظموا عددهم ، وإليه يشير تعالى بقوله :

«فِي يُرِيكُمُوهُمْ فِي التَّقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيْلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ».

٤ . تكبير عدد المسلمين في أعين الكفار في أثناء القتال وإليه يشير تعالى بقوله :

---

(١) آل عمران : ١٢٣-١٢٧.

«رَوْنَهُمْ شَرِيحًا لِيُحْيِيَ الْيَتَامَى» .

٥ . الإمداد بالملائكة المردفين المسؤمين .

٦ . النعاس الذي ألقاه الله على المسلمين فجدد نشاطهم ، وضاعف من قوتهم .

٧ . نزول المطر عليهم والذي طهرهم من الاقذار ومكنهم من الاغتسال عما أصاب بعضهم من حدث ، وثبت الأرض الرملية تحت أقدامهم ، وقد أشار سبحانه إلى كل ذلك في الآية ١١ من سورة الانفال .

٨ . تثبيت قلوب المؤمنين بواسطة الملائكة .

٩ . القاء الرعب في قلوب الكفار والى هذين النوعين من الإمداد الغيبي أشار بقوله : « ففتنوا الذين آمنوا سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب » .

كما ويشير القرآن الكريم في هذا السياق إلى دور الشيطان في هزيمة الكفار فهو الذي يغري وهو الذي يخذل عند اللقاء يقول سبحانه :

« مِدَّ زَيْنَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ مِدَّتِي جَارَ لَكُمْ فَلَمَّا تَبَرَأَ الْفِتْنَانُ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بِبِئْسَ مَا لَأْتِيَنَّكُمْ إِنِّي رَأَى مَا لَا تَبِينَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ » (١) .

كما أن القرآن يتحدث أيضا عن حالة المشركين عند ما أتوا إلى بدر لمواجهة المسلمين وما كانت تنطوي عليه نفوسهم فيقول :

« وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصِبُدُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ » (٢) .

كما ويعزي هزيمتهم إلى سبب رئيسي وحقيقي وهو مشاققة الله ورسوله إذ يقول :

« ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » (٣) .

(١) الانفال : ٤٨ .

(٢) الانفال : ٤٧ .

(٣) الانفال : ١٣ .

وينبغي الإشارة في ختام هذا العرض التفصيلي . نوعا ما . لوقعة بدر إلى تكتيكات النبي ﷺ الحربية ، وإلى أساليبه الحكيمة في تقوية معنويات المسلمين وإلى جانب تنظيم صفوفهم ، مما لا يسع المجال لذكره على وجه التفصيل الكامل.

## زواج سيده النساء

### فاطمة بنت رسول الله (١)

إن الرغبة الجنسية حالة تظهر عند البلوغ لدى كل انسان ، وربما تنحرف بالشباب وتؤدي به في أحضان الفساد والسقوط الاخلاقي إذا لم تتوفر له أجواء التربية الصحيحة ولم تتح له الفرصة المناسبة ، والمسير الصحيح لتنفيذ تلك الرغبة ، والاستجابة لها بصورة صحيحة . وان خير وسيلة للحفاظ على العفة الفردية والحياء العام ، وتجنب الفرد والمجتمع مفسد وأخطار الانحراف الجنسي هو الزواج .  
فان الاسلام يحتّم على الرجل والمرأة . تأكيداً لحكم الفطرة وتمثيلاً مع ناموس الطبيعة البشرية . أن يتزوجا طبقاً لضوابط خاصة تضمن سلامة الزيجة ودوامها .  
وقد جاء هذا التأكيد ، والحديث في الكتاب العزيز ، والسنة الشريفة بمختلف الصور ، وتحت مختلف العناوين :

فقد جاء في الكتاب العزيز :

« وَنَكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَلِصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ هُنَّ مَائِكُمْ لَئِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (٢) .

(١) كان زواج فاطمة بعد وقعة بدر ، راجع بحار الأنوار : ج ٤٣ ص ٧٩ و ١١١ .

(٢) النور : ٣٢ .

وقال رسول الله ﷺ في هذا الصدد :

« تزوّجوا فإني مكاثر بكم الامم غدا في القيامة »<sup>(١)</sup>.

وقال أيضا :

« من أحب أن يلقي الله طاهرا مطهرا فليلقه بزوجة »<sup>(٢)</sup>.

### مشاكل الزواج في العصر الحاضر :

على أن مشاكل الزواج في عصرنا الحاضر لا تنحصر . وللاسف . في مشكلة واحدة أو مشكلتين .

فالرجال والنساء اليوم يقدمون على الزواج . غالبا . في ظروف صعبة ، وأوضاع رديئة ، وتنتهي أكثر الزيجات بسبب تلك الظروف والاضاع وبسبب ، ما يلابسها من مستلزمات قاسية وثقيلة بالطلاق والافتراق بعد سلسلة من الخلافات والمنازعات .

فتلك هي صحف البلاد تحمل في أبوابها الاجتماعية كلّ يوم عشرات الانباء والأخبار عن الجرائم الزوجية وتعالج عشرات المشاكل في مجال العائلة .

ولكن أكثر هذه المشاكل والمصائب تدور حول قضية واحدة ، وهي أن الفتيان والفتيات في مجتمعاتنا الحاضرة ليسوا بصدد تشكيل عائلة تضمن سعادتهم الواقعية .

فالبعض يهّمه من الزواج أن يصل عن طريق إلى المناصب الراقية الحساسة .

والبعض الآخر يهّمه من الزواج الحصول على الثروة والمال .

وقلّما يفكر المقدمون على الزواج ، وتأسيس العائلة في امور هامة وجوهرية كالعفة والطهر ، وإذا لوحظ هذا الجانب فإنما يلاحظ بصورة هامشية ، لا أساسية .

ويدل على ذلك أن الشباب يتنافس غالبا على التزوج بفتيات من العوائل المعروفة ذات المكانة والشهرة الاجتماعية والمالية ، والحال أنه يمكن أن تكون

---

(١) و (٢) وسائل الشريعة : ج ١٤ ص ٣ و ٦ .

تلك الفتيات غير متصفات بالاخلاق النبيلة ، ولا يكنّ من حيث الجانب المعنوي بالنوع الجيد ، الجدير بالاهتمام ، الصالح للاقتران به .

فما أكثرهن الفتيات الفاضلات ، الطيبات هنا وهناك في زوايا المجتمع اللائي لا يهتم بهن الشباب ، لفقهرنّ ، وقلة ذات ايديهن . او لعدم شهرة عوائلهن .

على أن الأسوأ من ذلك كلّ ما اصبح يكلفه الزواج في عصرنا الحاضر من نفقات باهضة نتيجة تزايد التقاليد المبتدعة في مجال إقامة الاعراس وحفلات القران والزواج ، الأمر الذي أصبح يرهق كاهل الزوجين ، ويتعب عائلتيهما ، مثل مشكلة المهور الباهضة ، وما شابه ذلك مما هو في تصاعد مستمر في بلادنا ، الأمر الذي دفع بالبعض الى ترك الزواج ، واشباع غرائزهم الجنسيّة بالوسائل غير المشروعة ، ومن ثم شيوع اللابالية ، والاباحية في المجتمعات .

### رسول الاسلام يكافح هذه المشاكل عمليًا :

تلك طائفة من المشاكل الاجتماعية التي كانت ولا تزال موجودة في كل مجتمع بنسب خاصة .

ولم تكن الفترة التي عاصرها رسول الاسلام بمستثناة من هذا الأمر فقد كانت هناك في المجتمع في عصر النبي ﷺ مشاكل مماثلة في الزواج .

فقد كان أشرف العرب لا يزوّجون بناتهم إلا لمن كان من قبيلة ذات مال وشوكة ، ومكانة وقوة ، ويردّون كل خاطب لبناتهم يكون على غير هذه الصفة .

وقد كان الأشرف ، يصرّون . تبعا لتلك العادة . على أن يتزوّجوا بابنة رسول الله ﷺ السيدة فاطمة لانهم كانوا يتصوّرون أن النبيّ لن يتشدد في هذا الأمر ، بل يكفيه أنهم ذو ثروة ومكانة اجتماعية مرموقة .

وكانوا يتصوّرون أنهم يمتلكون كلّ ما يهّم الفتاة وأباها من الامكانيات المادية ، كيف لا والنبي ﷺ لم يتشدد في زواج ابنته الاولييين :

زينب ورقية.

ولكنهم غفلوا عن أن هذه الفتاة (أي فاطمة الزهراء سلام الله عليها) تختلف عن اختيها السابقين.

إنها . كما تدل عليه آية المباهلة .<sup>(١)</sup> ذات مقام رفيع ، وشأن كبير .

لقد أخطأ خطاب فاطمة عليها السلام في هذا التصور ، وما كانوا يعلمون أن زوج فاطمة وقرينها لا يمكن أن يكون إلا كفؤها في التقوى والفضل ، والايمان والاخلاص ، فاذا كانت فاطمة . بحكم آية التطهير . معصومة من الذنب وجب أن يكون زوجها هو الآخر معصوما والا لم يكن كفؤها المناسب .

وليس المال وليست الثروة ملاك هذا التكافؤ .

لقد قال الاسلام : « إذا خطب إليكم كفؤ فزوجوه » .

ويفسر هذا التكافؤ بالمماثلة والتكافؤ في الايمان والتقوى ، والطهارة والعفاف ، لا في المال والثروة<sup>(٢)</sup> .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مأمورا من جانب الله تعالى أن يقول لكل من خطب إليه « فاطمة » من اولئك الرجال : « أمرها بيد الله » وهو بهذه الاجابة يكشف القناع عن الحقيقة إلى درجة ما .

ولقد أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن زواج « فاطمة » ليس أمرا سهلا وبسيطا ، وأنه ليس لمن كان من الرجال وان بلغ من الثراء ، والمكانة الاجتماعية أن يحظى بالزواج منها ، فان زوج « فاطمة » ليس إلا من يشابهها من حيث الأخلاق والفضائل ، والصدق والايمان ، والطهر ، والاخلاص ، بل ويلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السجايا الكريمة والصفات الرفيعة ،

(١) آل عمران : ٦١ .

في قضية المباهلة اصطحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا والحسن والحسين وفاطمة دون غيرها من النساء وسيأتي مفصل هذه القصة .

(٢) راجع الوسائل : ج ١٤ ص ٥٠ . ٥٢ .

والخلق العظيم.

ولا تجتمع هذه الصفات والمواصفات إلا في « علي » عليه السلام لا سواه.  
وللتأكد من هذه الحقيقة اقترح بعض الصحابة علي (علي) أن يخطب الى النبي  
فاطمة صلوات الله عليهما (١).

وكان علي عليه السلام يريد ذلك في نفسه ، ويرغب إليه من كل قلبه إلا أنه كان ينتظر الفرصة  
المناسبة ليقدّم علي هذا الأمر.

فأتى علي عليه السلام بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما رآه رسول الله قال : ما جاء بك يا أبا  
الحسن ، حاجتك.

فمنع الخجل عليا من البوح بمطلبه وسكت ، وأطرق برأسه الى الارض ، حياء من النبي  
صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لعلك جئت تخطف فاطمة؟ فأجاب علي عليه السلام بكلمات  
ضمنتها رغبته في الزواج من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد كان هذا النمط من الخطبة علامة واضحة لما كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين علي  
عليه السلام ، من الاخوة والصفاء ، ولما تحلّى به الجانبان من اخلاص وودّ. وما أروعها من ظاهرة.  
حقا ان المبادئ والانظمة التربوية لم تستطع أن تعلّم الشباب الذين يقدمون على الخطبة الى  
أحد مثل هذه الحرية ، المقرونة بالتقوى ، والايان والاخلاص.

لقد وافق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على طلب علي عليه السلام وقال :

« يا عليّ أنه لقد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها ، ولكن  
علي رسلك حتى أخرج إليك ».

ثم دخل صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة ، فذكر لها الأمر ، وأن عليا عليه السلام خطبها إليه قائلاً :

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤٣ ص ٩٣ .



« إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته ، وفضله واسلامه ، واني قد سألت ربي أن يزوّجك خير خلقه ، وأحبهم إليه ، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟ » .  
فسكتت فاطمة سلام الله عليها ، ولم ير رسول الله ﷺ في وجهها كراهة فقام وهو يقول :

« الله أكبر ، سكوتها إقرارها » <sup>(١)</sup> .

ولكن عليّاً ﷺ لم يكن يملك آنذاك إلا سيفاً ، ودرعاً فقط .  
فأمره رسول الله ﷺ بأن يبيع درعه ، ويهيئ بئمه عدة الزواج وجهاز العروس ، فباع علي ﷺ درعه ، وأتى بئمه الى النبي ﷺ وسكب المال بين يديه <sup>(٢)</sup> .  
فقبض ﷺ قبضة الدراهم ، ودعا بلالا فأعطاه فقال :  
« اتبع لفاطمة طيباً » .

ثم أعطى ﷺ بقية تلك الدراهم إلى أبي بكر وعمر بن ياسر وأمرهما أن يتناعا لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت ، وما شاكل ذلك من احتياجات العروسين .  
ففعلاً ذلك واشترى ما أمرهما به رسول الله ﷺ فكان جهاز فاطمة كالتالي :

### جهاز فاطمة :

- ١ . قميص بسبعة دراهم .
- ٢ . خمار <sup>(٣)</sup> بأربعة دراهم .

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) وفي رواية عن علي ﷺ : فسكبت الدراهم في حجره فلم يسألني كم هي ولا أنا أخبرته .

(٣) الخمار : مقنعة .

- ٣ . قطفة سوداء لا تكفي لتغطية كل البدن .
  - ٤ . سرير مزمل بشریط ( أي مصنوع من جريد النخل واليافه ) .
  - ٥ . فراشان من خيش <sup>(١)</sup> مصر ، حشو أحد هماليف ، وحشو الآخر من صوف الغنم .
  - ٦ . اربع مرافق <sup>(٢)</sup> اثنان من الصوف واثنان من الليف .
  - ٧ . ستر .
  - ٨ . حصير هجري .
  - ٩ . رحى لليد .
  - ١٠ . مخضب <sup>(٣)</sup> من نحاس .
  - ١١ . سقاء من آدم .
  - ١٢ . قعب للبن .
  - ١٣ . شن <sup>(٤)</sup> للماء .
  - ١٤ . مطهرة مزقته <sup>(٥)</sup> .
  - ١٥ . جحر خضراء .
  - ١٦ . كيزان خرف .
- فلما عرض المتاع على رسول الله ﷺ جعل يقبله بيده ويقول :
- « اللهم بارك لقوم جل آنتهم الخرف » <sup>(٦)</sup> .
- إن في مهر فاطمة امورا تدعو إلى التأمل حقا ، أبرزها مقدار ذلك المهر .
- فمهرها هو مهر السنة وهو خمسمائة درهم <sup>(٧)</sup> .
- إن هذه الزبجة . في الحقيقة . خير درس للآخرين ، للفتيان والفتيات الذين يئنون من ثقل المهر وبهاضته وربما يئنون من قيود الزواج وشروطه .

(١) الخيش : نسيج خشن من الكتان .

(٢) المرفقة : الوسادة .

(٣) المخضب : اناء للمسك والطيب .

(٤) الشن : القرية .

(٥) مطلية بالزفت .

(٦) بحار الأنوار : ج ٤٣ ص ٩٤ ، كشف الغمة : ج ١ ص ٣٥٩ .

(٧) وسائل الشيعة : ج ٥ ص ١٨ .

ان البيئة الزوجية يجب أن تكون . أساسا . بيئة دفاء وحنان ، بيئة اخلاص مودة. بيئة سلام ووفاق فهذا هو ما يسعد الحياة الزوجية ويوفر للزوجين عيشا هائنا محببا .  
أما المهور الثقيلة ، والنفقات الباهضة والجهاز المكلف فلا تؤدي إلا إلى تعكير صفو الحياة الزوجية ، والتقليل من بريق الرابطة العائلية ، وبالتالي لا تضمن مستقبل الزواج ودوامه ، والمحافظة عليه من الهزات .

إن أولياء الفتيات . في عصرنا الحاضر يعمدون بغية دعم مكانة فتياتهم وتقوية مركزهن وضمن مستقبلهن إلى فرض سلسلة طويلة وثقيلة من الشروط والقيود ومنها المهر الباهض على العريس حتى لا يستطيع أن يقوم بطلاق زوجته تحت دوافع الهوى والشهوة ، أو كلما سولت له نفسه ذلك ، على حين أن هذا الاجراء لا يضمن بقاء الرابطة الزوجية ، ودوامها بل العلاج الحقيقي والناجع هو اصلاح الوضع الاخلاقي للشباب ، ورفع مستواهم المعنوي .  
يجب أن تكون بيئتنا الثقافية والاجتماعية من الطهر والنقاوة بحيث لا يوجد في رحابها امثال هذه النوازع الشريرة عند شبابنا ، والا لبلغ الأمر إلى نقطة تستعد فيه الفتاة الى بذل مهرها للنحاة بنفسها من البيت الزوجي .

### مراسم الزواج تقام ببساطة :

ثم بعد أن عقد رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام على فاطمة عليها السلام في رحاب مسجده على مرأى ومسمع من المسلمين وفي جو يسوده الفرح والابتهاج والسرور قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام هنيئاً منزلاً حتى تحوّل فاطمة إليه ، فأخذوا منزل أحد الصحابة بصورة مؤقتة ، وحوّلت فاطمة إلى علي عليه السلام في منزل ذلك الصحابي الجليل ، في زفاف جميل مبارك وقد صنع علي طعاماً من لحم وتمر وسمن واطعم المسلمون جميعاً تقريباً ، وساد الناس فرح عظيم لم يشهد له نظير .

عن ابن بابويه : أمر النبي ﷺ بنات عبد المطلب ونساء

المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة سلام الله عليها وان يفرحن ، ويرحزن ويكبرن ويحمدن ولا يقولن ما لا يرضى الله .

قال جابر : فأركبها على ناقته . وفي رواية على بغلته الشهباء . وأخذ سلمان زمامها والنبي وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم ونساء النبي ﷺ قدامها يرحزن ، فانشأت أم سلمة تقول :

سـرن بـعون الله جـارتي واشـكرنه في كل حالات  
واذـكرن ما أنعم رب العلى من كشف مـكروه وآفات  
فقد هدانا بعد كفر وقد انعشنا رب السماوات  
وسرن مع خير نساء الورى تفدى بعمات وخالات  
ثم إن رسول الله ﷺ لما دخلوا الدار أنفذ إلى علي عليه السلام ثم دعا فاطمة سلام الله عليها فأخذ يدها وقد علاها الاستحياء وتصيب منها العرق خجلا ، بل وقد تعثرت من شدة خجلها فقال لها رسول الله : « أقالك الله العثرة »<sup>(١)</sup> .

ووضعها في يده وقال :

« بارك الله في ابنة رسول الله يا علي نعم الزوجة فاطمة ، ويا فاطمة نعم الزوج علي » .  
ثم أخذ بيده اناء فيه ماء وصب منه على رأس فاطمة وبدنهما ودعا لهما قائلا :  
« اللهم اجمع شملهما ، وآلف بين قلوبهما ، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة ، واجعل في ذريتهما البركة ، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ، ويأمرون بما يرضيك .  
اللهم ائهما أحب خلقك إليّ ، فاحبهما واجعل عليهما منك حافظا ، وائّ اعيدهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم »<sup>(٢)</sup> .

(١) بحار الأنوار : ج ٤٣ ص ٩٦ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٤٣ ص ١١٤ - ١١٨ .

وبذلك أبدى رسول الله ﷺ من نفسه في تلك الليلة صفاء واخلصا لم يعرف له نظير حتى في مجتمعاتنا الحاضرة رغم ما حققته من تكامل ورشد.

ثم إن رسول الله ﷺ عدد لفاطمة فضائل علي كما ذكر لعلي فضائل فاطمة وانها « لو لم يخلق علي لما كان لها كفؤ »<sup>(١)</sup>. ثم ذكر لهما وظائفهما وواجباتهما العائلية فأوكل إلى فاطمة ما هو في داخل البيت من شئون وأوكل إلى علي ما هو من شئون الخارج. ولا بد أن نذكر هنا قصة هامة أداء لحق فاطمة ، وبياناً لمقامها.

يقول أنس بن مالك : إن النبي ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول :

« الصلاة يا أهل البيت ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا »<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد كانت هذه الزيجة أفضل زيجة في الاسلام وأكثرها بركة وخيرا ، فقد عاش هذان القرينان الطاهران جنبا الى جنب في وئام ووداد ، في حياة زوجية طاهرة يسودها الاحترام المتقابل ، والاحلاص الكامل من بدايتها إلى نهايتها.

وقد أنجبا أفضل الاولاد والبنات أبرزهم : الامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام سبطا رسول الله ﷺ الاثيران لديه ، والمقربان إليه ، وزينب بنت علي التي رافقت أحاها في وقعة كربلاء الدامية وكان لها مواقف عظيمة ومشرفة في الرعاية للحق والعدل ، ونصرة الاسلام ، وغيرهم من الاولاد ذكورا واناثا.

وقد بقي كلا الزوجين ( علي وفاطمة ) حتى آخر اللحظات عارفين بمكانة

(١) مسند احمد بن حنبل : ج ٢ ص ٢٥٩.

(٢) الدر المنثور : ج ٥ ص ١٩٩.

الأخر ، فكلاهما من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وكلاهما من القرى الذين أمر بمودتهم ولهذا لم يتزوج علي عليه السلام على الزهراء امرأة اخرى الا بعد وفاتها ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى خديجة ، وفاء لحقها ، واحتراما لمقامها .

لكن بعض الايادي دسّت . مع الأسف . في التاريخ أباطيل للتقليل من شأن هذين الزوجين الطاهرين ، والخط من مكانتهما ، فنسبت إليهما التنازع ، والتشاجر ، أو نسبت إلى فاطمة شكاية علي عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوردت في هذه المجال روايات مختلفة ، لا أساس لها من الصحة ، تفنّدها أخلاق علي وفاطمة وتقواهما وزهدهما ، وتكذّبا ما جاء في شأنهما وجلالة قدرهما من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية .

وقد استند أعداء الاسلام التقليديين إلى امثال هذه الروايات لمسخ صورة الاسلام الحنيف وتشويه سمعة رجاله العظماء ونسائه الخالدات الطيبات .

فهذا هو المستشرق النصراني الحاقدا الاستاذ اميل درمنغم في كتابه المليء بالباطيل : « حياة محمد » ترجمة الاستاذ محمد عادل زعيتر بعد ان يلصق برسول السلام قهما عجيبة ويصفه بالبدويّ الحمس ، يقع في علي وفاطمة عليهما السلام !!

فتارة يقول : إن فاطمة كانت عابسة دون رقية جمالا ، ودون زينب ذكاء ، وإنها لم تكن ترغب في عليّ لأنها كانت تعدّ عليا دميما محدودا مع عظيم شجاعته!! وان عليا كان غير بهيّ الوجه .. وو .. مع أنه كان تقيا شجاعا صادقا وفيما مخلصا صالحا مع توان وتردد!!

وكان إذا عاد إلى منزله من العمل بشيء من القوت قال لزوجته فاطمة عابسا : كلي واطعمي الاولاد!! وأن عليا كان يجرّد بعد كل منافرة ويذهب لينام في المسجد وكان حموه يرتّه على كتفه ويعظه ويوفّق بينه وبين فاطمة إلى حين ، ومّا حدث أن رأى النبيّ ابنته في بيته ذات مرة وهي تبكي من لكم علي لها!!

ثم يقول : إن محمّدا . مع امتداحه قدم علي في الاسلام ارضاء لابنته . كان قليل الالتفات إليه وكان صهر النبي الامويان : عثمان الكريم وأبو العاصي أكثر مداراة للنبي من علي ، وكان علي يألم من عدم عمل النبي على سعادة ابنته ومن عد النبي له غير قوم بجليل الأعمال فالنبي وان كان يرضى إليه ضرب الرقاب كان يتجنب تسليم قيادة إليه!!<sup>(١)</sup> إلى غير ذلك من الترهات والسخافات التي الصقها تارة إلى رسول الله الاكرم محمّد ﷺ ، واخرى إلى حبيبه وابن عمه ووصيه الامام علي بن أبي طالب ؑ .

إن أفضل اجابة على هذه الافتعالات هو ما كتبه العلامة الاميني حيث يقول : كل ما في الكتاب من تلكم الأقوال المختلفة ، والنسب المفتعلة إن هي إلا كلم الطائش ، تخالف التاريخ الصحيح ، وتضاد ما أصفقت عليه الامّة الإسلاميّة ، وما أخبر به نبيّها الأقدس .

هل تناسب تقولاته في فاطمة مع قول أبيها ﷺ : فاطمة حوراء إنسية كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها؟!<sup>(٢)</sup>

أو قوله ﷺ : ابنتي فاطمة حوراء آدمية؟!<sup>(٣)</sup>

أو قوله ﷺ : فاطمة هي الزهرة؟!<sup>(٤)</sup>

أو قول أم أنس بن مالك؟! : كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماما ، إذا خرج من السحاب بيضاء مشربة حمرة ، لها شعر أسود ، من أشد الناس برسول الله ﷺ شبيها ، والله كما قال الشاعر :

بيضاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو جثل أسحم<sup>(٥)</sup>

(١) هذه المقتطفات اخذت من كتاب حياة محمّد : ص ١٩٧ . ١٩٩ .

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي : ج ٥ ص ٨٦ .

(٣) الصواعق : ص ٩٦ ، اسعاف الراغبين : ص ١٧٢ نقلا عن النسائي .

(٤) نزهة المجالس : ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٥) جثل الشعر : كثر والتف واسود فهو جثل : سحم فهو اسحم : اسود .

فكأثما فيه نهار مشرق وكأنبه ليل عليها مظلم<sup>(١)</sup>  
ولقبها الزهراء المتسلم عليه يكشف عن جليلة الحال.

وهل يساعد تلك التحكمات في ذكاء فاطمة وخلقها قول أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: كانت فاطمة تحددت في بطن أمها ، ولما ولدت فوقعت حين وقعت على الأرض ساجدة رافعة اصبعها؟!<sup>(٢)</sup>.

أو يلائمها قول عائشة: ما رأيت أحدا أشبه سمثا ودلا وهديا وحديثا برسول الله في قيامه وقعوده من فاطمة ، وكانت إذا دخلت على رسول الله قام إليها فقبلها ورحب بها ، وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه؟!<sup>(٣)</sup>

وفي لفظ البيهقي في السنن ج ٧ ص ١٠١: ما رأيت أحدا أشبه كلاما وحديثا من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحديث.

وهل توافق مخاريقه في الامام علي صلوات الله عليه ، وعدم بهاء وجهه ، وعد فاطمة له دميما وكونه عابسا مع ما جاء في جماله البهي: أنه كان حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر ، وكأن عنقه إبريق فضة<sup>(٤)</sup> ضحوك السن<sup>(٥)</sup> فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم؟!<sup>(٦)</sup>.

وأين هي من قول أبي الأسود الدؤلي من أبيات له؟!:

إذا استقبلت وجهه أبي تراب رأيت البدر حار الناظرينا<sup>(٧)</sup>

(١) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٦١.

(٢) سيرة الملا ، ذخائر العقبي: ص ٤٥ ، نزهة المجالس: ج ٢ ص ٢٢٧.

(٣) اخرج الحافظ ابن حبان كما في ذخائر العقبي ٤٠ م ، والحافظ الترمذي وحسنه ، والحافظ العراقي في التقريب كما في شرحه له ولاينه ج ١ ص ١٥٠ ، وابن عبد ربه في العقد الفريد: ج ٢ ص ٣ ، وابن طلحة في مطالب السؤل: ص ٧ ، اسعاف الراغبين: ص ١٧١.

(٤) كتاب صفين: ص ٢٦٢ ، الاستيعاب: ج ٢ ص ٤٦٩ ، الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٥٥ ، نزهة المجالس: ج ٢ ص ٢٠٤.

(٥) تهذيب الاسماء واللغات للامام النووي.

(٦) حلية الأولياء: ج ١ ص ٨٤ ، تاريخ ابن عساكر: ج ٧ ص ٣٥ ، المحاسن والمساوى: ج ١ ص ٣٢.

(٧) تذكرة السبط: ص ١٠٤.



نعم :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله فالناس أعداء له وخصوم  
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغضا : إنَّه لدميم  
أو يخبرك ضميرك الحر في علي ما سلقه الرجل به من ( التواني والتردد )؟! وعلي ذلك  
المتقحم في الأحوال ، والضارب في الأوساط والأعراض في المغازي والحروب ؛ وهو الذي  
كشف الكرب عن وجه رسول الله في كلِّ نازلة وكارسة منذ صدع بالدين الحنيف ، إلى أن  
بات على فراشه وفداه بنفسه ، إلى أن سكن مقرّه الأخير .

أليس عليّ هو ذلك المجاهد الوحيد الذي نزل فيه قوله تعالى : « أَجَعَلْتُمْ سِنِّيَاةَ الْحَنَافِ  
وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَلِيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . وقوله تعالى : «  
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَسْتَحْيِرُ نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ » .<sup>(١)</sup>

فمتى خلى علي عن مقارعة الرجال والذب عن قدس صاحب الرسالة حتى يصبح أن  
يعزى إليه توان أو تردد في أمر من الامور؟! غير ان القول الباطل لا حد له ولا أمد .  
وهل يتصور في أمير المؤمنين تلك العشرة السيئة مع حليلته الطاهرة؟! والنبي يقول له :  
أشبهت خلقي وخلقي وأنت من شجرتي التي أنا منها<sup>(٢)</sup> .

وكيف يراه النبي ﷺ أفضل امتة أعظمهم حلما ، وأحسنهم خلقا ، ويقول : علي  
خير أمّتي أعلمهم علما وأفضلهم حلما؟!<sup>(٣)</sup> .

ويقول لفاطمة : إنِّي زوّجتك أقدم أمّتي سلما ، وأكثرهم علما ، وأعظمهم حلما؟!<sup>(٤)</sup> .

(١) راجع الجزء الثالث من « الغدير » : ص ٤٧ ، ٥٣ ط ثاني .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب : ج ١١ ص ١٧١ .

(٣) الطبري ، الخطيب ، الدولابي . كما في كنز العمال : ج ٦ ص ١٥٣ و ٣٩٢ و ٣٩٨ .

(٤) مسند احمد : ج ٥ ص ٢٦ ، الرياض النضرة : ج ٢ ص ١٩٤ ، ذخائر العقبى : ص ٧٨ ، مجمع الزوائد :  
ج ٩ ص ١٠١ ، ١١٤ وصححه ووثق رجاله .

ويقول لها : زوّجتك أقدمهم سلماً ، وأحسنهم خلقاً؟! (١) .  
يقول هذه كلّها وعشرته تلك كانت بمراًى منه ومسمع ، أفك الدجّالون ، كان عليّ  
عليه السلام كما أخبر به النبي الصادق الأمين .  
وهل يقبل شعورك ما قذف به الرجل [ فض الله فاه ] علياً بلکم فاطمة بضعة  
المصطفى؟! وعلي هو ذاك المقتص أثر الرسول وملاً مسامعه قوله ﷺ لفاطمة : إن الله  
يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك (٢) .  
وقوله ﷺ وهو آخذ بيدها : من عرف هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فهي بضعة  
ميتي ، هي قلبي وروحي التي بين جنبي ، فمن آذاها فقد آذاني (٣) .  
وقوله ﷺ : فاطمة بضعة متي ، يربيني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها (٤) .  
وقوله ﷺ : فاطمة بضعة متي ، فمن أغضبها فقد أغضبني (٥) .  
وقوله ﷺ : فاطمة بضعة متي ، يقبضني ما يقبضها ، ويسطني ما يسطها (٦) .

- 
- (١) أخرجه أبو الخير الحاكمي كما في الرياض النضرة : ج ٢ ص ١٨٢ .  
(٢) مستدرک الحاكم : ج ٣ ص ١٥٤ وصححه ، ذخائر العقبى : ص ٣٩ ، تذكرة السبط : ص ١٧٥ مقتل  
الخوارزمي : ج ١ ص ٥٢ ، كفاية الطالب : ص ٢١٩ ، شرح المواهب للزرقاني : ج ٣ ص ٢٠٢ ، كنوز الدقائق  
للمناوي : ص ٣٠ ، أخبار الدول للقرماني هامش الكامل : ج ١ ص ١٨٥ ، كنز العمال : ج ٧ ص ١١١  
عن الحاكم وابن النجار ، تهذيب التهذيب : ج ١٢ ص ٤٤٣ ، الاصابة : ج ٤ ص ٣٧٨ ، الصواعق : ص  
١٠٥ ، الاسعاف : ص ١٧١ عن الطبراني ، ينابيع المودة : ص ١٧٣ .  
(٣) الفصول المهمة : ص ١٥٠ ، زهدة المجالس : ج ٢ ص ٢٢٨ ، نور الابصار : ص ٤٥ .  
(٤) صحاح البخاري ومسلم والترمذي ، مسند أحمد : ج ٤ ص ٣٢٨ ، الخصائص للنسائي : ص ٣٥ ،  
الاصابة : ج ٤ ص ٣٧٨ .  
(٥) صحيح البخاري ، خصائص النسائي : ص ٣٥ .  
(٦) مسند أحمد : ج ٤ ص ٣٢٣ و ٣٣٢ ، الصواعق : ص ١١٢ .

وهل يقصر امتداح النبي عليًا بقدم إسلامه؟! حتى يتفلسف في سرّه ويكون ذلك إرضاء لابنته ، على أنّ امتداحه بذلك لو كان لتلك المزعمة لكان يقتصر ﷺ على قوله لفاطمة في ذلك وكان يتأتى الغرض به ، فلما ذا كان يأخذ ﷺ بيد علي في الملأ الصحابي تارة ويقول : إنّ هذا أوّل من آمن بي ، وهذا أوّل من يصفحني يوم القيامة؟ ولما ذا كان يخاطب أصحابه اخرى بقوله : أولكم واردا علي الحوض أولكم اسلاما علي بن أبي طالب؟!

وكيف خفي هذا السر المختلق على الصحابة الحضور والتابعين لهم باحسان فطفقوا بمدحونه ﷺ بهذه الاثارة كما يروى عن سلمان الفارسي ، أنس بن مالك ، زيد بن أرقم ، عبد الله بن عباس ، عبد الله بن حجل ، هاشم بن عتبة ، مالك الاشتر ، عبد الله بن هاشم ، محمد بن أبي بكر ، عمرو بن الحمق ، أبو عمرة عدّي بن حاتم ، أبو رافع ، بريدة ، جندب بن زهير ، أمّ الخير بنت الحريش .

وهل القول بقلّة التفات النبي إلى علي يساعده القرآن الناطق بأنّه نفس النبي الطاهر؟! او جعل مودّته أجر رسالته؟!

أو قوله ﷺ في حديث الطير المشوي الصحيح المروي في الصحاح والمسانيد : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك ليأكل معي؟!  
أو قوله ﷺ لعائشة : إنّ عليًا أحبّ الرجال إليّ ، وأكرمهم عليّ ، فاعرفي له حقّه وأكرمي مثواه؟! (١)

أو قوله ﷺ : أحبّ الناس إلي من الرجال علي؟! (٢)

أو قوله ﷺ : علي خير من أتركه بعدي؟! (٣)

أو قوله ﷺ : خير رجالكم عليّ بن أبي طالب ، وخير

(١) أخرجه الحافظ الخجندي كما في الرياض : ج ٢ ص ١٦١ ، وذخائر العقبى : ص ٦٢ .

(٢) وفي لفظ : أحب أهلي ، من حديث اسامة .

(٣) مواقف الايجي : ج ٣ ص ٢٧٦ ، مجمع الزوائد : ج ٩ ص ١١٣ .

نساءكم فاطمة بنت محمد؟! (١)

أو قوله ﷺ : علي خير البشر فمن أبي فقد كفر (٢)

أو قوله ﷺ : من لم يقل علي خير الناس فقد كفر؟! (٣)

أو قوله ﷺ : في حديث الراية المتفق عليه : لاعطين الراية غدا رجلا يحبّه الله ورسوله

ويحب الله ورسوله؟

أو قوله ﷺ : علي مني بمنزلة الرأس ( رأسي ) من بدني أو جسدي؟ (٤)

أو قوله ﷺ : علي مني بمنزلة من ربي؟ (٥)

أو قوله صلى الله عليه وآله : علي أحبهم إلي وأحبهم إلى الله (٦)

أو قوله ﷺ : لعلني : أنا منك وأنت مني . أو : أنت مني وأنا منك؟ (٧)

أو قوله ﷺ : عليّ منّي وأنا منه ، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي؟ (٨)

أو قوله ﷺ : في حديث البعث بسورة البراءة المجمع على

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب : ج ٤ ص ٣٩٢ .

(٢) تاريخ الخطيب عن جابر ، كنوز الحقائق هامش الجامع الصغير : ج ٢ ص ١٦ ، كنز العمال : ج ٦ ص

١٥٩

(٣) تاريخ الخطيب البغدادي : ج ٣ ص ١٩٢ عن ابن مسعود ، كنز العمال : ج ٦ ص ١٥٩ .

(٤) تاريخ الخطيب : ج ٧ ص ١٢ ، الرياض النضرة : ج ٢ ص ١٦٢ ، الصواعق : ص ٧٥ م . الجامع الصغير

للسيوطي ، شرح العزيري : ج ٢ ص ٤١٧ ، فيض القدير : ج ٤ ص ٣٥٧ ، نور الأبصار : ص ٨٠ ، مصباح

الظلام : ج ٢ ص ٥٦ .

(٥) الرياض النضرة : ج ٢ ص ١٦٣ ، السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣٩١ .

(٦) تاريخ الخطيب : ج ١ ص ١٦٠ .

(٧) مسند أحمد : ج ٥ ص ٢٠٤ ، خصائص النسائي : ص ٣٦ و ٥١ .

(٨) مسند أحمد : ج ٥ ص ٣٥٦ وأخرجه جمع من الحفاظ باسناد صحيح

صحته : لا يذهب بها إلا رجل مّني وأنا منه (١)

أو قوله ﷺ : لحمك لحمي ودمك دمي والحق معك؟ (٢)

أو قوله ﷺ : ما من نبي إلا وله نظير في أمته وعلي نظيري؟ (٣)

أو ما صحّحه الحاكم وأخرجه الطبراني عن أم سلمة قالت : كان رسول الله إذا أغضب

لم يجترئ أحد أن يكلمه غير علي؟ (٤)

أو قول عائشة : والله ما رأيت أحدا أحب إلى رسول الله من علي ولا في الأرض امرأة

كانت أحب إليه من امرأته؟ (٥)

أو قول بريدة وأبي : أحب الناس إلى رسول الله ﷺ من النساء فاطمة ومن الرجال

علي؟! (٦)

أو حديث جميع بن عمير قال : دخلت مع عمّتي علي عائشة فسألت أي الناس أحب

إلى رسول الله؟! قالت : فاطمة. فقيل : من الرجال؟ قالت : زوجها ، إن كان ما علمت

صومًا قومًا؟ (٧)

وكيف كان رسول الله ﷺ يقلمّ الغير على علي في الالتفات إليه؟! وهو أوّ رجل

اختاره الله بعده من أهل الأرض لما اطّلع

---

(١) خصائص النسائي : ج ٨ .

(٢) المحاسن والمساوي : ج ١ ص ٣١ ، كفاية الطالب : ص ١٣٥ ، مناقب الخوارزمي : ص ٧٦ و ٨٣ و ٨٧ ،

فرائد السمطين : في الباب ٢ و ٢٧ .

(٣) الرياض النضرة : ج ٢ ص ١٦٤ .

(٤) مستدرك الحاكم : ج ٣ ص ١٣٠ ، الصواعق : ص ٧٣ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١١٦ .

(٥) مستدرك الحاكم : ج ٣ ص ١٥٤ وصححه ، العقد الفريد : ج ٢ ص ٢٧٥ ، خصائص النسائي : ص

٢٩ ، الرياض النضرة : ج ٢ ص ١٦١ .

(٦) خصائص النسائي : ص ٢٩ ، مستدرك الحاكم : ج ٣ ص ١٥٥ صححه وهو الذهبي ، جامع الترمذي :

ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٧) جامع الترمذي : ج ٢ ص ٢٢٧ ط هند ، مستدرك الحاكم : ج ٣ ص ١٥٧ ، وجمع آخر .

عليهم كما أخبر به ﷺ لفاطمة بقوله : إن الله أطلع على أهل الأرض فاختار منه أباك فبعثه نبيا ، ثم أطلع الثانية فاختار بعلك فأوحى إليّ فأنكحته واتخذته وصيا (١) .

وبقوله ﷺ : إن الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر زوجك (٢) .  
وإيّ لا يسعني المجال لتحليل كلمة الرجل : وكان صهرا النبي الامويّان . إلخ : وحسبك في مداراة عثمان الكرم حديث أنس عن رسول الله لما شهد دفن رقية ابنته العزيزة وقعد على قبرها ودمعت عيناه فقال : أيكم لم يقارف الليلة أهله؟! فقال أبو طلحة : أنا . فأمره أن ينزل في قبرها .

قال ابن بطّال : أراد النبي ﷺ أن يحرم عثمان النزول في قبرها وقد كان أحق الناس بذلك لأنّه كان بعلها وفقد منها علقا لا عوض منه لأنّه حين قال عائشة : أيكم لم يقارف الليلة أهله؟! سكت عثمان ولم يقل : أنا . لأنّه قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه ، ولم يشغله المهم بالمصيبة وانقطاع صهره من النبي صلّى الله عليه [ وآله ] وسلّم عن المقارفة فحرم بذلك ما كان حقبا له وكان أولى به من أبي طلحة وغيره . وهذا بين في معنى الحديث ولعل النبي صلّى الله عليه [ وآله ] وسلّم قد كان علم ذلك بالوحي فلم يقل له شيئا لأنّه فعل فعلا حلالا غير أن المصيبة لم تبلغ منه مبلغا يشغله حتى حرم ما حرم من ذلك بتعريض غير صريح (٣) .

وما عساني أن أقول في أبي العاص الذي كان على شركه إلى عام الحديبية ، واسر مع المشركين مرتين ، وفرّق الإسلام بينه وبين زوجته زينب بنت النبي ﷺ ست سنين ، وهاجرت مسلمة وتركته لشركه ، ولم ترد

(١) أخرجه الطبراني عن أبي ايوب الأنصاري كما في اكمال كنز العمال : ج ٦ ص ١٥٣ ، وأخرجه الهيثمي في

مجمع الزوائد : ج ٩ ص ١٦٥ عن علي الهلالي .

(٢) المواقيف للايجي : ص ٨

(٣) الروض الانف : ج ٢ ص ١٠٧ .

قط بعد إسلامه كلمة تعرب عن صلته مع النبي ومداراته له فضلا عن مقايسته بعلي أبي ذرّيته وسيد عترته.

وقد اتهم الرجل نبيّ الإسلام بعد العمل على سعادة ابنته الطاهرة المطهّرة بنصّ الكتاب العزيز ، ويقذف عليّا بالتألم من ذلك ، وكان ﷺ إذا أصبح أتى باب علي وفاطمة وهو يقول : يرحمكم الله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا. وكان لم يزل يقول : فاطمة أحب الناس إلي.

ويقول : أحب الناس إلي من النساء فاطمة.

ويقول : أحب أهلي إلي فاطمة.

وكان عمر يقول لفاطمة : والله ما رأيت أحدا أحب إلي رسول الله منك <sup>(١)</sup>.

وما أقبح الرجل في تقوله على النبي ﷺ بعدّه لعلي غير قوم بجليل الأعمال. وقد وازره وناصره وعاضده بتمام معنى الكلمة بكل حول وطول من بدء دعوته إلى آخر نفس لفظه ، فصار بذلك له نفسا وأخا ووزيرا ووصيّا وخليفة ووارثا ووليّا بعده ، وكان قائده الوحيد في حروبه ومغازيه ، وهو ذلك الملقّب بقائد الغرّ المحجلّين وحيا من الله العزيز في ليلة أسرى بنيّه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى <sup>(٢)</sup>.

ومّا يعجّب بل ويؤسف أن نجد العقاد كاتب النيل الكبير يذهب هذا المذهب ، وينحو هذا المنحى ذاته من سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأم الامامين الحسن والحسين عليهما السلام ، فيسطر في كتابه « فاطمة الزهراء والفاطميون » <sup>(٣)</sup> شيئا من هذه العبارات والمقالات التافهة التي لا يليق بكاتب مثله عرف بالتحقيق والفهم ، ان يدرجها في مؤلفه.

(١) مستدرك الحاكم : ج ٣ ص ١٥٠ وصححه.

(٢) مستدرك الحاكم : ج ٣ ص ١٣٨ وصححه ، الرياض النضرة : ج ٢ ص ١٧٧ ، شمس الاخبار : ص ٣٩

، أسد الغاية : ج ١ ص ٦٩ ، مجمع الزوائد : ج ٩ ص ١٢١.

(٣) راجع ص ٣٢ و ٣٣.

ولا يجاب على ما كتبه العقاد ومن حذى حذوه إلا بما مر في كلام العلامة والمحقق الخبير الاميني رحمته الله. ففيه كفاية لمن تجرّ الحقيقة عن أهل البيت عليهم السلام. هذا وينبغي ان نذكر القارئ الكريم بنفس ما كتبه العقاد في كتابه ومما يعتبر شهادة دامغة تفند ما بدر منه من قول غير لائق في شأن علي والزهراء ، فهو يقول : في كل دين صورة للانوثة الكاملة المقدسة يتخشح بتقديسها المؤمنون كأئمتنا هي آية الله فيما خلق من ذكر وانثى.

فاذا تقدست في المسيحية مريم العذراء ففي الاسلام لا جرم تتقدس صورة فاطمة البتول. ثم يقول : من الواضح البين ان الزهراء اخذت مكانها الرفيع بين اعلام النساء في التاريخ لانها بنت نبي وزوجة امام وأم شهداء <sup>(١)</sup>. فاذا كانت هذه هي صورة الزهراء البتول ، فكيف يصدّق العقل ما حاكته أيدي الدسّ في تاريخ هاتين القمتين الطاهرتين من قمم الاسلام الشاخنة؟!

---

(١) راجع : ص ٥١ و ٥٢.



### جرائم « بني قينقاع »

كانت معركة « بدر » بمثابة طوفان شديد ضد الوثنية في قلب شبه الجزيرة العربية. طوفان اقتلع بعض جذور الوثنية العريقة ، فقد قتل طائفة من صناديد قريش ، واسرت اخرى وهرب الباقون بمنتهى الذل والصغار ، وانتشر خبر هزيمة جيش قريش المتغطرس في جميع أنحاء وربع الجزيرة العربية. ولكن ساد بعد هذا الطوفان المرعب ، شيء من الهدوء والمقرون بالاضطراب والقلق. هدوء كان منشؤه التفكير في مستقبل شبه الجزيرة العام وما تحبته الايام القادمة لسكانها على أثر التحول الجديد.

وكانت مخاوف القبائل الوثنية ، ويهود يثرب الاثرياء ويهود خيبر ووادي القرى تزداد يوما بعد يوم من تقدم الاسلام المطرد ، وتعاضم شوكته ، واشتداد أمر حكومته الفتية ، وكان جميع هؤلاء يجدون مستقبلهم مهددا بخطر جدي ، بعد أن كانوا لا يتصورون أن يكسب رسول الله ﷺ المهاجر من مكة كل هذه النجاحات الباهرة ، وأن يبلغ من القوة ذلك المبلغ ، بحيث يقهر بقواه المحدودة قوة قريش الكبرى ويكسر شوكتها العريقة!! وكان يهود بني قينقاع الذين يقطنون داخل المدينة ، ويمسكون بخيوط اقتصادها ، أشدّ خوفا من غيرهم ، وأكثر قلقا على مستقبل أمرهم ، لأنهم كانوا يخالطون المسلمين مخالطة كاملة وكان وضعهم يختلف عن وضع يهود خيبر ووادي القرى الذين كانوا يعيشون خارج المدينة بعيدا عن مركز قوة المسلمين ومنطقة حاكميتهم!!

من هنا بدأ يهود بني قينقاع قبل غيرهم من طوائف اليهود العائشة في تلك الديار بتدبير المؤامرات ، وممارسة الأعمال الإيذاية ضدّ المسلمين والقيام بالحرب الباردة ( الإعلامية ) ضدّهم ، وذلك بنشر الأكاذيب وبثّ المعلومات الكاذبة ، واطلاق الشعارات القبيحة ، وانشاد القصائد التي من شأنها الاساءة الى المسلمين وتحقيرهم ، وتخريب معنوياتهم .  
وبهذا يكون اليهود قد بدءوا عمليًا بنقض معاهدة التعايش السلمي التي ذكرناها سلفا ، والتي عقدها رسول الله ﷺ معهم في إبان قدومه المدينة .

ولم تكن هذه الحرب الباردة الشريرة لتبرر تصدي القوى الاسلامية لها بالحرب الساخنة ، واستعمال السلاح ، لأن ما يمكن حله بسلاح المنطق لا يجبذ أن يعالج بمنطق السلاح ، وخاصة أن الرد الساخن والمسلح يؤدي إلى زعزعة الأمن والاستقرار في المدينة ، والحال أن المحافظة على الوحدة السياسية ، واستتباب الأمن والاستقرار في المدينة كان مما يهيم النبي ﷺ جدا وهو يواجه أعداء أشداء من الخارج .

فلم يكن من مصلحة الاسلام والمسلمين تفجير الموقف في عاصمة الاسلام ، يومئذ . ولهذا . وبغية اتمام الحجة على يهود بني قينقاع . وقف رسول الله ﷺ ذات يوم في سوقهم بعد أن جمعهم فيه ثم قال لهم :

« يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة ، وأسلموا ، فانكم قد عرفتم ابي رسول الله ( أو ابي نبي مرسل ) تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم . »  
وهنا نزل قول الله تعالى :

« قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرٌ مَّوَدَّةٌ وَخَشْيَةٌ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمُهَادِدَ . لَكُمْ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ لَسِيئًا ثُمَّ يُقَالُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . وَالَّذِينَ آمَنُوا سُرِرَةٌ لَّهُمْ فِي مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا سُرِرَةٌ لَّهُمْ فِي مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا سُرِرَةٌ لَّهُمْ فِي مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا سُرِرَةٌ لَّهُمْ فِي مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ . »

يُؤَيِّدُ بِنَصِّهِ بْنِ شَهَابٍ مِنْ لِبْنِ عَمْرِوَةَ (وُلِي الْأَبْصَارَ) (١).

ولكن اليهود المغرورين المتكبرين لم يشكروا نصيحة النبي هذه أو يسكتوا حسب ، بل ردوا عليه بعناد ولجاج وصلافة قائلين : يا محمد انك ترى انا قومك لا يغيرناك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فاصبت منهم فرصة ، إنا والله ولعن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس ( أو أنا والله أصحاب الحرب ، ولعن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقا تل مثلنا )!! (٢)

فلم تترك كلمات يهود « بني قينقاع » الجوفاء ، وتشدقهم الفارغ بقوتهم وقدرتهم على القتال والمواجهة أدنى اثر في نفوس المسلمين.

ولكن النبي ﷺ قد أتم عليهم الحجة ، فلم يعودوا معذورين حسب السياسة الاسلامية ، وقد أصبح ساعته من اللازم الاحتكام إلى منطق السلاح بعد أن لم ينجع سلاح المنطق ، ولم يقنع اليهود بضرورة تغيير مواقفهم ، والتخلي عن مؤامراتهم وخططهم الايدائية ضد النبي ﷺ والمسلمين.

أجل لا بد من استخدام القوة مع هؤلاء اليهود الصلفين المتعنتين والآ ازدادوا صلافة ، وكثرت اعتداءاتهم.

ولهذا أخذ رسول الله ﷺ ينتظر الفرصة المناسبة لتأديب تلك الجماعة المتعنتة الوقحة.

### لهيب الحرب يبدأ من شرارة :

قد تجر بعض الحوادث الصغيرة إلى سلسلة من التحولات والاحداث في الاجتماعات الكبرى. يعني أن تتسبب حادثة جزئية في انفجار الحوادث الكبرى ، فيصفي كل من طرفي النزاع حسابه مع الطرف الآخر ، انطلاقا من علل واسباب اخرى ، وليست تلك الحادثة الجزئية.

(١) آل عمران : ١٢ و ١٣ .

(٢) المغازي : ج ١ ص ١٧٥ و ١٧٦ .

فللمثال نشأت الحرب العالمية الاولى وهي إحدى أكبر الحوادث التاريخية في حياة البشر من حادثة صغيرة تذرعت بها الدول الكبرى ، وتلك الحادثة الصغيرة التي اشعلت فتيل الحرب العالمية الاولى هي اغتيال « الارشيدوق فرانسيو فرديناند » ولي عهد النماني سرايفو . فقد وقعت هذه الحادثة في ٢٨ من شهر يونيو عام ١٩١٤ وبعد شهر وعدة أيام بدأت الحرب العالمية الاولى بمحوم الالمان على بلجيكا ، وافرزت هذه الحرب المدمرة الشاملة عن مقتل عشرة ملايين وجرح عشرين مليوناً من البشر (١) .

ولقد انزعج المسلمون من صلافة يهود بني قينقاع ، وردهم الوقح على رسول الله ﷺ وهو يخاطبهم بأدب ينصحهم ، وكانوا يتوقعون أن يقوم اليهود بعمل عدائي ليثوروا ضدهم ، ويؤدبهم .

وبيناهم على هذه الحال إذ تعرضت امرأة من العرب لاعتداء من اليهود فاشعل هذا الحادث الموقف .

وإليك مفصل تلك الحادثة :

جاءت امرأة من العرب الى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ تبيع حلياً لها أو تشتري ، وكانت تبالغ في ستر وجهها عن اليهود ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت فعمد رجل من يهود بني قينقاع إليها وجلس من ورائها ، وهي لا تشعر فعقد أسفل ثوبها إلى ظهرها ، فلما قامت المرأة بدت عورتها ، فضحكوا منها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين الى ذلك الرجل اليهودي فقتله ، فاجتمعت بنو قينقاع ، وشدوا على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم القليل المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون غضباً شديداً . ولقد كان من الطبيعي أن يثب الرجل المسلم على ذلك اليهودي الوقح الشرير الذي فعل بالمرأة العربية ذلك الصنع ، فان قضية « الأعراس » قضية حياتية وحساسة في أي مجتمع ، فهي قضية شرف ، وقد كان هذا الأمر يحظى في المجتمع

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة : ص ٧٠٠ .

العربيّ خاصة بأهمية كبرى ، وخاصة عند البدو الرحل منهم ، فكم من دماء جرت لعدوان على عرض ديس أو تعرض للتحرش .

من هنا أزعج وضع تلك المرأة الغريبة وحالها المؤلم واضطرابها الرجل المسلم ، وأشعل غيrote فوثب على اليهودي المعتدي وقتله .

وكان من الطبيعي أيضا أن لا يمر هذا العمل دون رد من اليهود فيشب اليهود بأجمعهم على ذلك المسلم الغيور ويقتلوه ، ويريقوا دمه بأجمعهم .

نحن هنا لا يهّمنا أن نعرف أن قتل ذلك الرجل اليهودي لازدراؤه بامرأة كان أمرا صحيحا منطقيا يتفق مع الموازين أم لا ينطبق .

ولكنّه ما من شك في أن وثوب مئات من الرجال واجتماعهم على قتل رجل مسلم واحد ، وإراقة دمه ، عمل بالغ الشناعة والقبیح .

من هنا تسبّب انتشار هذا الخبر ( اي مقتل رجل مسلم واحد على أيدي مجموعة كبيرة من الرجال بصورة مفاجئة ) في إثارة المسلمين ونفاذ صبرهم ، ودفعهم إلى العزم على حسم الموقف حسما كاملا وبالتالي هدم قلعة الفساد على رؤوس أصحابها القتلة .

فاحس « بنو قينقاع » بخطر الموقف ، وأدركوا انه لم يعد من الصالح أن يبقوا في أسواقهم ، ويواصلوا البيع والشراء ، وقد تلبّد الجوّ بالغيوم الداكنة على أثر العمل الفضيح والجنایة الكبرى التي ارتكبوها .

من هنا تركوا أسواقهم بسرعة ، وعادوا إلى قلاعهم المحصّنة ، وتحصّنوا فيها ، وكان ذلك منهم انسحابا خانعا بعد ذلك التشهدّ الصلف!!

ولقد أخطئوا هذه المرة أيضا إذ ظنوا انهم مانعتهم حصونهم ، من انتقام الله . ولو أنهم اعتذروا لخطئهم ، وأظهروا الندامة لكانوا يجلبون رضا المسلمين ، ويحصلون على عفو النبيّ ﷺ وهم يعرفون خلقه العظيم ؛ وصفحة الكريّم .

إلا أن تحصّنهم كان آية عنادهم ، واعلانهم الحرب ، ونصبهم العدااء الصريح للاسلام والنبي والمسلمين .

فأمر رسول الله ﷺ بمحاصرتهم ، ومنع من دخول أيّ امداد إليهم ، كما منع من اتصالحهم بأي أحد خارج حصونهم .

فحصروهم في حصونهم خمس عشرة ليلة أشدّ الحصار ، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب ، وفقدوا القدرة على المقاومة ، ورضوا بأن ينزلوا عند حكم النبي ﷺ فيهم!!  
وأراد رسول الله ﷺ أن يؤدب تلك الجماعة التي كانت أول من نقض العهد ونبذ الميثاق تأديبا قاسيا ، يكون عقابا لهم وعبرة لغيرهم .

ولكن « عبد الله بن أبي بن سلول » الذي كان من منافقي المدينة ويتظاهر بالاسلام ، أصر على رسول الله ﷺ بأن يحسن معاملتهم ، ولا يأخذهم بما فعلوا لحلف ومودة كانت بينه وبين يهود من السابق ، فانصرف النبي ﷺ عن ما كان يريد من تأديبهم الشديد ، وعقوبتهم على كره منه (١) ولكن أمر بأن يجلبوا من المدينة ، ولا يبقوا فيها شريطة أن يتركوا أسلحتهم ، وأموالهم ، ودروعهم .

فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ وكلف رسول الله ﷺ أحد المسلمين بقبض أموالهم وأسلحتهم ، وكلف « عبادة بن الصامت » باجلائهم من حصونهم فحجّل عبادة في ترحيلهم وإجلائهم .

فخرجوا من المدينة ولحقوا بمنطقة تدعى « أذرعات » وهي بلد في اطراف الشام .

(١) هذا مع العلم ان القرآن الكريم ندد بمثل هذه الوساطة الذي قام بما ذلك الرجل المنافق رغم تخفيف النبي

ﷺ معاقبة اليهود ورسم للمسلمين منهجا في التعامل مع اليهود والنصارى إذ قال :

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ، يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِي ، فَيُضِيعُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا ، أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأُصْبِحُوا خَاسِرِينَ » ( المائدة : ٥١ - ٥٣ ) .

وباجلاء « بني قينقاع » عادت الوحدة السياسية الى المجتمع في المدينة.  
وكانت الوحدة السياسية هذه المرة مقرونة بالوحدة الدينية إذ كان المسلمون يشكلون  
الاجلبية الساحقة في المدينة فلم يكن لغيرهم فيها شأن يذكر (١).

### تقارير جديدة تصل الى المدينة :

من المعلوم أن الاخبار تنتشر بين الناس بسرعة في المناطق الصغيرة ، على العادة.  
من هنا فان انباء أكثر المؤامرات والتحركات المعادية للإسلام التي كانت تقع في المناطق  
المختلفة من شبه الجزيرة كانت تصل بسرعة . وعبر المسافرين المحايدون أو الاصدقاء المترصدين  
الى مركز القيادة الاسلامية في المدينة.

هذا مضافا الى أن هذا النوع من المعلومات كان يحظى لدى رسول الاسلام باهمية كبرى  
، فيرصد لها من يأتي بها أولا بأول ، ولهذا كانت أكثر التحركات والمؤامرات يقضى عليها في  
مهددا بفضل الرد السريع والمناسب الذي كانت القيادة الاسلامية تقوم به في ضوء  
المعلومات الواردة إليها ، أو التي حصلت عليها.

فبمجرد أن تتضمن هذه المعلومات ، إلى النبي ﷺ خبرا مفاده أن إحدى القبائل تعد  
قوة ، وتستعد للهجوم على المدينة كان ﷺ يبادر الى بعث سرية أو يقود هو بنفسه  
مجموعة مناسبة لمحاصرة تلك القبيلة ، وافشال مؤامرتها ، وابطال تدبيرها قبل أن تستطيع فعل  
شيء ، وكان هذا هو اسلوب المباغثة الذي استطاع به رسول الله ﷺ أن يقضي على  
كثير من التحركات المعادية في مهددا.

وإليك مختصرا عن بعض تلك الغزوات التي وقعت في السنة الثانية من الهجرة :

---

(١) المغازي : ج ١ ص ١٧٧ ، الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٨ و ٢٩ .

## ١ . غزوة قرقرة الكدر (١) :

كانت المنطقة التي تتمركز فيها قبيلة « بني سلم » تدعى « الكدر » .  
وقد بلغ النبي ﷺ أن القبيلة المذكورة تهيئ ، وتعدّ العدة للهجوم على مركز الاسلام وعاصمته ( المدينة ) . فخرج رسول الله بنفسه من المدينة بعد أن استخلف عليها أحد أصحابه وأوكل إليه إدارة المدينة في غيابه ، وكان الذي استخلفه هذه المرّة « ابن أم مكتوم » ، وخرج على رأس قوة عسكرية إلى مركز تلك القبيلة فلما سمعوا بمسير القوى الاسلامية إليهم تفرقوا ، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة من غير قتال .  
ثم بعث سرية بقيادة فارس من فرسانه يدعى « غالب بن عبد الله » إلى نفس تلك المنطقة ، فوقع بينه وبينهم قتال محدود وعاد « غالب » الى المدينة ظافرا بعد أن استشهد ثلاثة من رجاله .

## ٢ . غزوة السويق :

كان عرب الجاهلية إذا نذروا يندرون نذورا غريبة .  
فقد نذر أبو سفيان بعد معركة بدر أن لا يقارب زوجته ما لم يثار (٢) من المسلمين لقتلى بدر فكان عليه أن يقوم بمحوم على المدينة ، ويقا تل النبي وأصحابه ليفي بنذره!!  
فخرج من مكة في مائتي راكب فجاء بني النضير ليلا ، يطلب مشورة من أحبار اليهود .  
فلما كان في وقت السحر خرج فمر بالعريض فوجد رجلا من الانصار مع أجير له فقتل الأنصاري ، وقتل أجي ره ، وحرّق بيتا وحرثا لهم بارشاد من كبير اليهود « سلام بن مشكم » ورأى أن يمينه قد حلّت ، ثم ذهب هاربا ، وخاف

(١) قرقرة الكدر : ناحية بين المعدن وبين المدينة ، ( الطبقات ) .

(٢) المغازي : ج ١ ص ١٨٢ ، الطبقات : ج ٢ ص ٣٠ .



ملاحقة المسلمين له.

فعرف به النبي ﷺ فندب أصحابه فخرجوا في أثره ، وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخفون فيلقون أكياس السويق ( وهو القمح المقلّى المطحون الملتوت بالسمن أو العسل ) ، وهي عامة زادهم ، فجعل المسلمون يمزّون بها فيأخذونها . فسميت تلك الغزوة بغزوة السويق لهذا الشأن .

### ٣ . غزوة ذي أمر :

بلغ رسول الله ﷺ أن قبيلة غطفان تجمع أفرادها ، وتتأهب للعدوان على المدينة المنورة ، فخرج رسول الله ﷺ على رأس أربعمائة وخمسين رجلا . فلما سمع العدو بمسير رسول الله ﷺ إليهم خافوا خوفا شديدا فهربوا إلى رءوس الجبال ، فرارا من النبيّ والمسلمين . فخرج النبيّ ﷺ إليهم يبحث عنهم فلم يلاق أحدا منهم ، وقد غيَّبوا سرحهم وذراريهم في ذرى الجبال خوفا وفرقا . فنزل رسول الله ﷺ « ذا أمر »<sup>(١)</sup> وعسكر معسكره هناك ، فأصابهم مطر كثير ، فذهب رسول الله ﷺ ناحية ليقضي حاجة ، فأصابه ذلك المطر فيلّ ثوبه ، وقد جعل رسول الله ﷺ وادي « ذي أمر » بينه وبين أصحابه ، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف ، وألقاها على شجرة ، ثم اضطجع تحتها ، والأعراب ينظرون الى كلّ ما يفعل . فقالت الأعراب لدعثور وكان سيّدها وأشجعها : قد أمكنك محمد ، وقد انفرد من أصحابه ، حيث إن غوث أصحابه لم يغث حتى تقتله . فاختار سيفا من سيوفهم صارما ثم أقبل مشتملا على السيف حتى قام على

(١) واد بطريق فيد إلى المدينة . وفاء الوفاء : ج ٢ ص ٢٤٩ .

رأس النبي ﷺ بالسيف مشهورا ، ورسول الله ﷺ مستلق على قفاه .  
فقال بنبرة حشنة مهددة : ما يمنعك مني اليوم؟ قال النبي ﷺ : الله .  
فكان لهذه الكلمة أثر عجيب في نفس دعثور بحيث اربع ، ووقع السيف من يده ،  
فأخذه رسول الله ﷺ وقام به على رأسه ، فقال : ومن يمنعك مني اليوم .  
فقال : لا أحد .

ثم قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمدا رسول الله ، والله لا أكثر عليك جمعا  
أبدا .

فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه ثم أدبر ، ثم أقبل بوجهه على النبي ﷺ وقال : أما  
والله لانت خير مني .

قال رسول الله ﷺ : أنا أحق بذلك منك .

فأتى قومه ، وقصّ عليهم ما جرى له مع النبي ، وأنه أسلم ، ودعا قومه الى الاسلام .  
أجل يكتب المؤرخون في هذا المقام أن الرجل أسلم من فوره ، ويجب أن نعلم أنه لم  
يسلم خوفا وفرقا وتحت بارقة السيف لأنه بقي ثابتا ومستمرا في اسلامه بعد ذلك وأخذ  
يدعو قومه كما أسلفنا وهذا يدل على أنه أسلم عن طواعية ورغبة . وان اسلامه كان لتنبه  
فطرته ، ويقظة وجدانه ، فان فشله غير المتوقع ، ونجاة رسول الله ﷺ التي تمت بطريقة  
خارقة للعادة جعلته ينتبه الى عالم آخر ، وعرف بأن لرسول الله ﷺ ارتباطا بعالم آخر ،  
وأنه مؤيد بالتالي بقوة عليا ، وراء هذا العالم المادي .

ولهذا السبب . وليس لسواه . أسلم ، وقبل رسول الله ﷺ اسلامه ، وبعد أن مشى  
خطوات رد الى النبي سيفه الذي أعاده إليه النبي قبل ذلك واعتذر إليه .

وقال : أنت أولى بهذا السيف لأنك قائد هذه السرية المصلحة. (١)

### قريش تغير مسير تجارتها :

تعرضت سواحل البحر الاحمر للخطر من قبل عناصر الجيش الاسلامي وحلفائهم ، ولم يعد من الممكن مواصلة التجارة وارسال القوافل التجارية عبرها .

من هنا تشاورت قريش فيما بينها ، ودرست أوضاعها في ظل هذه المستجدات ، واتفقت على أنه لو تركت التجارة لهلكت رءوس أموالها وفنيت ، وكان عليها أن تسلّم للمسلمين .

وان واصلت التجارة لم تحرز في هذا المجال نجاحا ما دامت الطريق غير آمنة ، وما دام يمكن أن تتعرض أموالها للمصادرة على أيدي المسلمين كلما عثروا عليها .

فاقترح أحدهم التجارة إلى الشام عن طريق العراق فاستحسنوا رأيه جميعا ، وتهيأت القافلة للحركة في الخط الجديد وتولى أبو سفيان وصفوان بنفسيهما مهمة الاشراف على تلك القافلة وادارتها ، واستخدما رجلا من بني بكر يدعى « فرات ابن حيان » ليدلّهما على الطريق .

قال المقرئ في امتاع الاسماع : سمع رجل من المدينة ( وهو سليط بن النعمان ) يخبر خروج صفوان بن أمية في غيره وما معهم من الاموال فخرج من ساعته وأخبر النبي ﷺ فأرسل زيد بن حارثة في مائة راكب فاصابوا العير ، وأفلت أعيان القوم ، فقدموا بالعير فخمّسها رسول الله ﷺ فبلغ الخمس عشرين ألف درهم ، وقسّم ما بقي على أهل السرية ، وكان فيمن اسر فرات بن حيان فأسلم (٢) .

(١) المناقب : ج ١ ص ١٦٤ ، المغازي : ج ١ ص ١٩٤-١٩٦ .

(٢) الإمتاع الاسماع : ج ١ ص ١١٢ .

## الدفاع عن الحرّية

غزوة احد أو الدفاع عن الحرّية عند جبل احد :

لم تكن السنة الهجرية الثالثة بأقل من السنة الثانية من حيث وقوع الحوادث والوقائع الملفتة للنظر فيها.

فاذا وقعت في السنة الثانية من الهجرة غزوة « بدر » فقد وقعت في السنة الثالثة منها غزوة « احد » وهما من أعظم معارك الاسلام وغزواته.

على أن غزوة « احد » لم تكن الغزوة الوحيدة التي وقعت في السنة الثالثة ، بل وقعت أيضا غزوات اخرى <sup>(١)</sup> الى جنب طائفة من السرايا ، التي اخترنا منها سرية واحدة وغزوتين فقط.

### ١ . سرية محمّد بن مسلمة :

لقد وصل نبأ انتصار المسلمين في معركة « بدر » عن طريق رجلين من المسلمين.

ولم يكن الجيش الاسلامي الظافر قد وصل الى المدينة بعد ، عند ما انزعج « كعب بن الاشرف » . الذي كانت أمه من يهود « بني النضير » وكان شاعرا قويا ، وخطيبا بارعا . من الفتح الذي أصابه النبي ﷺ والمسلمون في « بدر » فقال : والله لعن كان محمّد أصاب أشراف العرب وملوك الناس ( ويعني سادة قريش وصناديدهم الذين قتلوا في بدر على أيدي المسلمين لبطن

---

(١) مثل غزوة بجران وغزوة حمراء الأسد.

الأرض خير من ظهرها!! وبدأ يبث الأكاذيب والشائعات في المدينة ومضى يشكك في انتصارات المسلمين في بدر.

وقد كان يسيء الى رسول الله ﷺ في قصائده حتى قبل معركة « بدر » ويحصر الناس على المسلمين.

ثم إنه لما تيقن الخبر خرج حتى قدم مكة وجعل يحصر قريشا على رسول الله ﷺ ، وقد أنشد في هذا المجال أشعارا يبكي فيها أصحاب القليب من قريش وقد ذكرتها المصادر التاريخية<sup>(١)</sup>.

ثم رجع كعب هذا الى المدينة فشَبَّ<sup>(٢)</sup> بنساء المسلمين حتى آذاهم!! ولا شك أنه بهذه المواقف المعادية كان من أظهر مصاديق المفسد في الارض ، الأمر الذي آل إلى أن يقرّ رسول الله ﷺ التخلص منه ، وكفاية المسلمين شره ، وقد أوكل هذه المهمة الصعبة الى « محمد بن مسلمة ».

وقد خطّط « ابن مسلمة » للتخلص من « كعب » خطة رائعة ، وألّف لتنفيذها فريقا كان من بينهم « أبو نائلة » الأخ الرضاعي لكعب بن الأشرف ، ليتمكن من هذا الطريق التمويه على كعب وتنفيذ الخطة المذكورة.

فخرج أبو نائلة إلى كعب وجلسا يتحادثان ، ويتبادلان الشعر . ثم إن أبا نائلة قال لكعب . بعد ان طلب منه أن يخرج كل من كان هناك من ذويه وأهله . : إني قد جئتك في حاجة إليك اريد ذكرها لك فآتكم عني ، وإني كرهت ان يسمع القوم كلامنا ، فيظنون! لقد كان قدوم هذا الرجل ( يعني رسول الله ) علينا من البلاء ، وحاربتنا العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت السبل عنا حتى جهدت الانفس ، وضاع العيال ، أخذنا بالصدقة ولا نجد ما نأكل .

فقال كعب : قد والله كنت احدثك بهذا يا ابن سلامة إن الامر سيصير الى ما أقول .

(١) المغازي : ج ٢ ص ١٢١-١٢٢ .

(٢) راجع السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٢ .

فقال أبو نائلة : إنّ معي رجالا من أصحابي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فبتاع منك طعاما ، أو تمرا وتحسن في ذلك إلينا ، ورنهناك ما يكون لك فيه ثقة .

فقال كعب : وما ذا ترهنوني يا أبا نائلة ، أبناءكم ونساءكم؟؟!

فقال أبو نائلة : لقد أردت أن تفضحنا وتظهر أمرنا ، ولكننا نرهنك من الحلقة ( أي السلاح ) ما ترضى به .

فرضي كعب بن الأشرف بذلك .

وإنما قال أبو نائلة هذا القول لابن الأشرف حتى لا يستغرب إذا رأى السلاح بيد الرجال الذين سيأتون معه .

ثم خرج أبو نائلة من عند ابن الأشرف على ميعاد ، فأتى أصحابه ، فأخبرهم بما دار بينه وبين كعب ، فأجمعوا أمرهم على أن يأتوه إذا أمسى لميعاده ، ثم أتوا إلى رسول الله ﷺ عشاء وأخبروه ، فمشى معهم حتى أتى البقيع ، ثم وجههم ، ثم قال : « امضوا على بركة الله وعونه اللهم أعنهم » .

فمضوا حتى أتوا ابن الأشرف ، فلما انتهوا إلى حصنه هتف به أبو نائلة ، وكان ابن الأشرف حديث عهد بعرس ، فوثب من فراشه ، فأخذت امرأته بناحية ملحفته وقالت : أين تذهب ، إنك رجل محارب ، ولا ينزل مثلك في هذه الساعة؟؟

فقال ابن الأشرف : ميعاد ، إنما هو أخي أبو نائلة .

ثم نزل إليهم فحياهم ، ثم جلسوا فتحدثوا ساعة حتى اطمأن إليهم .

ثم قالوا له : يا ابن الأشرف : هل لك أن تتمشّي إلى شعب العجوز ( وهو موضع قرب المدينة ) فنتحدث فيه بقية ليلتنا .

فخرجوا يتماشون حتى ابتعدوا عن حصنه ، وبينما هم كذلك إذ أدخل أبو نائلة يده في رأس كعب ثم شم يده فقال : ويحك ما أطيب عطرك هذا يا ابن الأشرف ، ثم مشى ساعة ، ثم كرّر هذا العمل ثانية حتى اطمأن ثم مشى ساعة ،

ثم عاد لملتها فأخذ بفود رأسه وقال : اضربوا عدو الله ، فضربوه بسيوفهم ، وطعنه أبو نائلة بخنجر في بطنه ، وصاح صيحة ثم وقع على الارض ولم تنفعه استغاثاته .

ثم عاد هذا الفريق الفدائي إلى المدينة من فورهم ولما بلغوا « بقيع الغرقد » كبروا ، وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي ، فلما سمع رسول الله ﷺ تكبيرهم بالبقيع كبر ، وعرف أنهم قد قتلوه .

وبهذا أعلنوا عن نجاح عمليتهم الفدائية الجريئة التي أراحت رسول الله ﷺ وأصحابه من شر ذلك المفسد الخطير الذي لم يفتأ عن إيذاء النبي ﷺ وتناول أعراض المسلمين في أشعاره ... (١) .

### اغتيال مفسد آخر :

وكان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي يظاهر كعب بن الاشرف على رسول الله ﷺ ويقوم بنفس الدور الخبيث الذي كان يقوم به ابن الاشرف من الايذاء والازعاج للنبي ﷺ والمسلمين . فقام فريق فدائي آخر من المسلمين باغتياله على غرار اغتيال صاحبه في عملية فدائية جسورة على نحو ما رواه ابن الأثير في كتابه : الكامل في التاريخ بصورة مفصلة . (٢) .

وقد كانت هاتان العمليتان وامور اخرى من أسباب اندلاع معركة « احد » .  
وقد حان الأوان الآن أن نستعرض تفاصيل هذه الواقعة الكبرى!

### قريش تتكفل نفقات الحرب :

كانت بذور الرغبة في الانتقام والثأر من المسلمين قد بذرت في مكة من زمان وقد ساعدت خطة المنع من البكاء والنياحة على القتل على اذكاء روح الانتقام هذه لدى قريش .

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٦ . ٥١ ، المغازي : ج ١ ص ١٨٤ . ١٩٠ .

(٢) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ١٠١ .

كما أن تعزذّ مرور قافلته التجارية عبر طريق مكة . المدينة . الشام ، واضطرابها الى سلوك طريق العراق للسفر الى الشام زاد هو الآخر من سخطها وانزعاجها.

ولقد أجمع مقتل « كعب بن الاشرف » من أوار هذا الحقد ، وأوقد لهيبه في النفوس. من هنا اقترح « صفوان بن أمية » و « عكرمة بن أبي جهل » على أبي سفيان ومن كانت له في قافلة قريش التجارية مشاركة ، أن يدفع كل واحد منهم مبلغا من المال لتسديد نفقات الحرب قائلين : يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا.

ولقد لقي هذا الاقتراح قبولا من أبي سفيان وتقررّ الإعداد للحرب فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حتى فعل أبو سفيان ذلك.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الموضوع كما ذكر كيف أن قريشا لم تحصد من هذا الإنفاق الا الخيبة والخسران اذ قال تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ »<sup>(١)</sup>.

وحيث إن زعماء قريش كانوا يعرفون بقوة المسلمين وقد رأوا من كتب استقامتهم وثباتهم في معركة « بدر » لهذا قرروا أن يتألف جيشهم هذه المرة من صناديد أكثر القبائل العربية وشجعانها البارزين وأبطالها المعروفين.

فكلّف « عمرو بن العاص » وعدة أشخاص آخرين بأن يؤلّبوا العرب على رسول الله ﷺ ويجمعوا أبطالها وصناديدها ، للمشاركة في الجيش الكثيف والمنظم الذي اعترمت قريش على تسييره لقتال رسول الله ﷺ والمسلمين ، وغزوهم وبأن يخبروهم بأن قريشا قد تكفّلت نفقات هذه المعركة.

وقد أثمرت نشاطات « عمرو » ورفاقه في هذا السبيل.

---

(١) الانفال : ٣٦ ، وراجع السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٠ ، مجمع البيان : ج ٢ ص ٥٤١ ، السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٢١٧ .



فقد استطاعوا بعد محاولات واسعة أن يضمّوا إلى جيش قريش أبطالا وصناديد من بني كنانة وتمامة ، فخرجت قريش وهم أربعة آلاف بمن انضم إلى صفوفهم من تلك القبائل<sup>(١)</sup> . وقد كان هذا هو عدد الرجال الذين شاركوا في هذه المعركة ، ولو أضفنا إليهم عدد النساء اللواتي شاركن فيها لتجاوز العدد ما ذكرناه.

على أنه لم يكن من عادة العرب أن يشركوا نساءهم في الغزو ويخرجوهن معهم إلى القتال ، ولكن نساء مكة الوثنيات شاركن مع رجالهن في هذه المعركة على خلاف عادة العرب ، وكان الهدف من أخذهن هو أن يحرضن الرجال على القتال والصمود ، ويمنعن المقاتلين من الفرار ، ويدركن بقتلى بدر ، ويشعلن الحماس في النفوس بدق الدفوف ، وإنشاد الأشعار المثيرة للهمم والداعية إلى الثأر ولأن فرار الرجال كان يعني أن تقع النسوة في الأسر ، وهو ما كان يبابه العربي آنذاك. فتكون الغيرة والحمية على العرض سببا للمقاومة والصمود.

كما أنه اشترك في هذه المعركة طائفة من العبيد والرقيق طمعا في العتق الذي وعدوا به إن نصروا أسيادهم وقاتلوا بين أيديهم ، وذلك مثل « وحشي » وكان غلاما حبشيا لمطعم بن جبير يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له سيده : أخرج مع الناس فإن نلت محمدا أو عليّا أو حمزة فأنت عتيق<sup>(٢)</sup> .

وعلى أية حال استطاعت قريش أن تجهّز بعد جهد كبير جيشا كبيرا قويا يتألف من سبعمائة دارع ، وثلاثة آلاف فارس ، ومشاة كثيرين ، وقد خرجوا بعدة وسلاح كثير .

### الاستخبارات ترفع تقريرا الى النبي :

فلما اجمعت قريش على المسير كتب العباس بن عبد المطلب<sup>(٣)</sup> كتابا يضم

(١) اختلف علماء التفسير والتاريخ كعلي بن ابراهيم والشيخ الطبرسي في إعلام الوري ، وابن هشام والواقدي في عدد المشركين والكفار في هذه المعركة ، وما ذكرناه هو الاقرب الى الحقيقة.

(٢) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٩٦ .

(٣) وكان العباس كما أسلفنا ممن أسلم وأمن برسول الله ﷺ في مكة ولكنه ظل يكتم

تقريراً مفصلاً عن نوايا واستعدادات قريش ، وختمه واستأجر رجلاً من بني غفار واشترط عليه أن يقطع الطريق إلى المدينة في ثلاثة أيام ويوصل تلك الرسالة إلى رسول الله ﷺ .

فقدم الغفاري المدينة فلم يجد رسول الله ﷺ وإنما وجدته في بستان خارجها فدفعت إليه كتاب العباس المختوم ، فقرأه رسول الله ﷺ وأطلع على ما فيه ، ولكنه كتم محتواها عن أصحابه <sup>(١)</sup> .

روى العلامة المجلسي عن الامام ابي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال : كان مما من الله عز وجل على رسوله ﷺ أنه كان لا يقرأ ولا يكتب ، فلما توجه أبو سفيان الى « احد » كتب العباس إلى النبي ﷺ فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة فقرأه ولم يخبر أصحابه ، وأمرهم أن يدخلوا المدينة فلما دخلوا المدينة أخرجهم <sup>(٢)</sup> .

### جيش قريش يتحرك باتجاه المدينة :

تحرك جيش قريش باتجاه المدينة ، وبعد قطع مسافة معينة وصلت طلائعه إلى الابواء ، وهي المنطقة التي دفنت فيها والدة النبي ﷺ السيدة « آمنة بنت وهب » فقال فتية من قريش : تعالوا نبش قبر أم محمد ، فإن النساء عورة ، فان يصب من نسائكم أحد قلتم هذه رمة أمك ، فان كان برّاً بأمه كما يزعم فلعمري ليفادينكم برمة أمّة ، وان لم يظفر بأحد من نسائكم فلعمري ليفدين رمة أمه بمال كثير إن كان بها برّاً .

---

إيمانه ليتمكن من البقاء بين قريش ورصد تحركاتهم واخبار النبي ﷺ بنواياهم .

راجع السيرة الحلبية : ج ١٠ ص ١٩٨ .

(١) المغازي : ج ١ ص ٢٠٣ ، ويرى بعض المؤرخين أن مبعوث العباس قدم بالرسالة المدينة وكان النبي ﷺ ساعتهما في المسجد فأعطى النبي ﷺ الرسالة إلى أبي بن كعب فقرأها عليه ، وقد روى الواقدي هذا الوجه أيضا ( ج ١ ص ٢٠٤ ) ومع أن النبي ﷺ لم يعهد منه أن قرأ رسالة فيكون الوجه الاول أقرب الى الحقيقة .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ١١١ .

واستشار أبو سفيان أهل الرأي من قريش في ذلك فاستقبحوه وشجبهه بشدة وقالوا :  
لو فعلنا ذلك نبشت بنو بكر وخزاعة ( وهم أعداء قريش ) موتانا (١).  
وبعث النبي ﷺ ليلة الخميس الخامس من شهر شوال ، السنة الثالثة من الهجرة ، «  
أنسا» و « مونسنا » ابني « فضالة » لتجسس على قريش خارج المدينة ، واخبره  
ﷺ بتحركاتهم ، فأخبروا رسول الله ﷺ باقتراب جيش المشركين إلى المدينة ، وأنهم قد  
سرحوا إبلهم وحيولهم ترعى في مراعي المدينة.  
كما أخبر « الحباب بن المنذر » هو الآخر باقتراب جيش المشركين إلى المدينة ، وإن  
طلائع ذلك الجيش قد استقر على مقربة من جبل احد ، وكان رسول الله ﷺ قد بعث  
الحباب سرا وقال له : لا تخبرني بين أحد من المسلمين إلا أن ترى قلة.  
وبخبر الحباب تأكّد ما أخبر به ابنا فضالة.  
وحيث إن المسلمين كانوا يخافون على رسول الله ﷺ من العدو ، أن يهاجموه ليلا ،  
لذلك باتت وجوه الأوس والخزرج ( الانصار ) ليلة الجمعة وعليهم السلاح في المسجد بيباب  
النبي ﷺ يحرسونه ، وحرست المدينة تلك الليلة حتى أصبحوا.

#### منطقة « احد » :

كان الوادي الطويل الكبير الذي يصل طريق الشام التجارية باليمن يسمى آنذاك ب «  
وادي القرى » ، وكانت القبائل العربية من اليهود وغير اليهود تقطن في كل منطقة تتوفر فيها  
ظروف المعيشة ومستلزمات الحياة ، ولهذا نشأت على طول هذا الخط « قرى » بسبب  
وجود مناطق خصبة فيه وقد سوّرت بأسوار من الحجارة ،

---

(١) المغازي : ج ١ ص ٢٠٦.

وكانت يثرب مركز هذه القرى وامها وهي التي سميت في ما بعد بمدينة الرسول ، ومن ثم « المدينة » تخفيفا واختصارا.

وكان على كل قادم من مكة إلى المدينة ، أن يدخل من جنوب يثرب وحيث إن أرض هذه المنطقة ذات طبيعة صخرية لذلك يكون عبور الجيش من خلالها أمرا عسيرا وفي غاية الصعوبة.

من هنا عمدت قريش . عند ما وصل جيشها الى مشارف المدينة . تحاشت هذه المنطقة ، ودخلت من شمال المدينة ، واستقرت في وادي العقيق في سفوح جبل « احد » ، وقد كانت هذه المنطقة لعدم وجود نخيل فيها ، ولسهولة أرضها ، أفضل مكان للعمليات العسكرية ، وخير ميدان للقتال والحرب.

وقد كانت المدينة عرضة للخطر من هذه الناحية لأنه قلما كان المرء يرى فيها موانع طبيعية.

نزلت قوى المشركين عصر يوم الخميس في الخامس من شوال من السنة الثالثة من الهجرة عند جبل « احد » .

وبقي النبي ذلك اليوم وليلته في المدينة ، وفي يوم الجمعة أقدم رسول الله ﷺ على عقد شورى عسكرية ، واستشار قادة جيشه وأهل الخبرة والرأي من أصحابه في كيفية مواجهة العدو ، والتكتيك الذي يجب أن يتبعه المسلمون <sup>(١)</sup>.

### المشاوره في كيفية الدفاع :

كان النبي ﷺ قد امر من جانب الله تعالى أن يشاور أصحابه في الامور العسكرية وما يشاهها ويشركهم في قراراته وخططه التي يتخذها في المجالات المذكورة ، ليعطي بذلك درسا كبيرا للمسلمين ، ويوجد بين أصحابه وأتباعه روح الديمقراطية ( الصحيحة ) وتحري الحق ، والموضوعية.

---

(١) لم تكن هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي شاور النبي فيها أصحابه وقد ذكرنا عدة موارد من هذا النوع من التشاور والهدف منه في كتابنا : معالم الحكومة الاسلامية.

ولكن هل كان رسول الله ﷺ نفسه يستفيد من هذه المشاورة؟ ويتنفع بأرائهم ونظرياتهم ، ومقترحاتهم ، أم لا؟.

لقد أجاب علماء العقيدة ورواد علم الكلام الاسلامي من مختلف الطوائف على هذا السؤال في مؤلفاتهم ودراساتهم ، وللقارئ الكريم إذا أراد الوقوف على الجواب أن يراجع تلکم المصنفات.

لكن الذي لا يمكن انكاره في المقام هو : أن هذه المشاورات سيرة حية تركها رسول الله ﷺ من بعده ، ولقد كانت هذه السيرة مؤثرة جدا بحيث استخدم الخلفاء والأمراء من بعده من اسلوب التشاور والشورى ، وكانوا يستفيدون على هذا الاساس من آراء الامام علي عليه السلام ونظرياته السامية في الامور العسكرية ، والمشكلات الاجتماعية التي كانت تطرأ على حياة المسلمين.

### المشاورات العسكرية :

لما سمع رسول الله ﷺ باقتراب قريش الى المدينة وقف في تلك الشورى التي كانت جمعا كبيرا من صناديد أصحابه ، وقادة جيشه وجنوده وقال بصوت عال : « أشيروا علي »<sup>(١)</sup>.

وهو يطلب بذلك من اولئك الجنود والقادة أن يدلوا بأرائهم في كيفية مواجهة العدو ، وطريقة الدفاع عن حوزة الاسلام وصرح التوحيد المهتدة من قبل قريش والمتحالفين معهم من أحزاب الشرك ، وأتباع الوثنية.

فقام « عبد الله بن ابي بن سلول » وكان من منافقي المدينة ، وطرح فكرة التحصن في داخل المدينة ، والقتال فيها على غرار حرب الشوارع. وذلك بأن لا يخرج المسلمون من المدينة بل يبقوا داخلها ، ويستخدموا أبراجها وسطوحها لمقاتلة العدو ودفعه فترمي النساء العدو بالأحجار من السطوح ، ويقاتل الرجال أفراده في الشوارع والأزقة قائلا : يا رسول الله كنا نقاتل في الجاهلية فيها ، ونجعل النساء

(١) راجع الخطبة ١٣٤ من نهج البلاغة.

والدراري في هذه الصياصي ونجعل معهم الحجارة ، ونشيك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية وترمي المرأة والصبي من فوق الصياصي والآطام ، ونقاتل بأسيافنا في السكك (أي الطرقات) .

يا رسول الله إن مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط ، وما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا . فانهم ان أقاموا أقاموا بشر محبس ، وان رجعوا رجعوا خائبين مغلوبين .

وكان هذا رأي الأكاير من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، إلا أن الفتيان من المسلمين وبخاصة من لم يشهد منهم بدرا وكانوا يشكلون الاغلبية شجوا هذا الرأي بشدة ، ورفضوه بقوة وطلبوا من رسول الله الخروج إلى العدو ، ورغبوا في الشهادة ، وأحبوا لقاء العدو .

وقالوا : إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أننا كرهنا الخروج إليهم جنبنا عن لقاءهم فيكون هذا جرأة منهم علينا ، وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم ، ونحن اليوم بشر كثير ، قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعوا الله به فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا . وقال « حمزة » بطل الاسلام العظيم : لا أطعم اليوم طعاما حتى اجالدهم بسيفي خارجا من المدينة <sup>(١)</sup> .

### الاقتراع من أجل الشهادة!! :

وقام خيشمة أبو سعد بن خيشمة . وهو شيخ يقظ البصيرة . وقال : ان قريشا مكثت حولا تجمع الجموع ، وتستجلب العرب في بواديها ، ومن تبعها من أحاييها ، ثم جاءونا قد قادوا الخيل وامتطوا الابل ، حتى نزلوا بساحتنا فيحصرونا في بيوتنا ، وصياصينا ، ثم يرجعون وافرير لم يكلموا ، فيجزئهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا ، ويصيبوا أطرافنا ، ويضعوا العيون والارصاد علينا ، مع ما قد صنعوا بحروثنا ،

---

(١) المغازي ج ١ ص ٢١١ وبحار الانوار ج ١٢٥ من المعلوم أن نظرية عبد الله بن أبي لم تخلو من الخطر ، إذ لم يكن من البعيد ان يستفيد العدو بعد دخوله في المدينة من بيوت المنافقين . وأن يتعاون معهم يهود المدينة أيضا فتكون حينئذ الضربة القاضية للاسلام والمسلمين .

ويعجزى علينا العرب حولنا ، حتى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم ، فنذبهم عن جوارنا ، وعسى الله أن يظفرنا بهم ، فتلك عادة الله عندنا ، أو تكون الاخرى : الشهادة.

لقد أخطأتني وقعة بدر ، وقد كنت عليها حريصا ، لقد بلغ من حرصي أن ساهمت <sup>(١)</sup> ابني على الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة ، وقد كنت حريصا على الشهادة وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأثمارها ، وهو يقول : الحق بنا ترافقنا في الجنة ، فقد وجدت ما وعدني ربي حقا.

وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقا الى مرافقته في الجنة ، وقد كبرت سني ورق عظمي ، وأحبيت لقاء ربي فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة!!! <sup>(٢)</sup>.

إن هذا الذي ذكرناه ليس سوى نموذج واحد من مواقف كثيرة تجدها أيها القارئ الكريم في صفحات التاريخ الاسلامي المشرقة فهناك الكثير من هؤلاء الفدائيين المخلصين الذين آلوا على أنفسهم أن يدافعوا عن حياض العقيدة وشرف الدين ، ورزقوا الشهادة في نهاية المطاف.

إن الايديولوجية التي لا تعتمد على اسس الايمان بالله واليوم الآخر قلما تنتج جنديا فدائيا مخلصا مثل خيثة ، ومن شاكله.

إن روح الفداء والتفاني والايثار بالنفس والتضحية بالغالي والرخيص ، التي تدفع بالجندي إلى أن يطلب الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الحق ، وإعزاز التوحيد باصرار وشوق لا توجد إلا في مدرسة الأنبياء والمرسلين ، ولا تحصل الآ في ضوء تربيتهم.

واما في المجتمعات المادية كالمجتمعات الحاضرة التي تهتم أكبر اهتمام بتحسين أحوال العسكريين حيث إن الهدف من الحروب والمعارك لم يكن قط إلا الحصول على وضع معيشي أفضل ، فإنه لا يهم الجنود فيها إلا الحفاظ على أرواحهم وحياتهم

(١) اي اجريت القرعة بيني وبين ولدي.

(٢) المغازي : ج ١ ص ٢١٢ و ٢١٣.

فذلك هو أكبر هدف لديهم ، ومن هنا تندر عندهم روح التفاني والتضحية .  
وأما في مدرسة الأنبياء فان المعارك والحروب لا يهدف منها إلا ابتغاء رضا الله سبحانه ،  
فلو انحصر ذلك في الشهادة أقدم عليها الجندي المسلم من دون خوف أو وجل ، وعرض  
نفسه لجميع الاخطار من دون تلوؤ أو ابطاء .

### حصيلة الشورى :

لقد أخذ رسول الله ﷺ برأى الاكثرية التي كانت ترجح الخروج من المدينة لمقاتلة  
العدو ، ورجح هو ﷺ البقاء في المدينة وقتال العدو داخلها ، إذ لم يكن من الصالح .  
بعد ما اقترحه قادة جيشه البارزين مثل حمزة ، وسعد بن عباد ونظرائهم ، وأصروا عليه . أن  
يأخذ برأى عبد الله بن أبي بن سلول المنافق .

هذا مضافا الى أن حرب الشوارع والمدن غير المنظم في داخل سكك المدينة وأزقتها  
الضيقة ، واشتراك النسوة في الأمور الدفاعية ، والجلوس في البيت ، والسماح للعدو بأن  
يفعل ما يريد آية العجز ، والوهن ، وهو أمر لا يليق بالمسلمين ، ولا يتلاءم مع الانتصار  
العظيم الذي كسبوه في معركة « بدر » ، وهزموا به عدوهم الغاشم القوي .

إن محاصرة المدينة وسيطرة العدو على مداخلها وطرقاتها ، وسكوت جنود الاسلام على  
ذلك من شأن أن يقتل الروح القتالية ، والفروسية في أبناء الاسلام المجاهدين .

ويمكن أن يكون « عبد الله بن أبي بن سلول » قد أضمر في نفسه نية سيئة ضد رسول  
الله ﷺ وأنه بهذا الاقتراح ( أي البقاء في المدينة وعدم الخروج لمجابهة العدو ، ومواجهته  
بشجاعة ) كان يريد . في الحقيقة . أن يوجه ضربة الى النبي ﷺ !!

### النبي يلبس لامة الحرب :

بعد أن تعينت كيفية مواجهة العدو والدفاع ، دخل رسول الله صلى الله عليه



وأله بيته ولبس لامته ، وقد لبس الدرع فأظهرها وحزم وسطه بمنطقة من حمائل سيف من آدم واعتم وتقلد السيف ، وخرج من بيته .

فأثار هذا المشهد المسلمين وهزهم بشدة وتصور بعضهم بأن إصرارهم على النبي ﷺ بالخروج من المدينة لم يكن فيه للنبي رضا ، وحشوا أنهم قد استكروه على هذا الأمر ، فندموا على ذلك ، وقالوا معتذرين : يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك (أو : ما كان لنا أن نستكركم والأمر الى الله ثم إليك) .

فقال رسول الله ﷺ :

« ما ينبغي لني إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل »<sup>(١)</sup> .

### النبي يخرج من المدينة :

ثم إن رسول الله ﷺ صلى بالناس الجمعة وخرج على رأس ما يزيد على ألف مقاتل قاصدا احد ، وذلك بعد أن قال لهم :

« انظروا إلى ما أمرتكم به فاتبعوه امضوا على بركة الله فلکم النصر ما صبرتم »<sup>(٢)</sup> .

وقد أجاز رسول الله ﷺ يومئذ لمن لم يبلغوا الحلم بأن يخرجوا معه كسمره ورافع وكان راميا جيدا ، ورد اسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب<sup>(٣)</sup> .

ثم إن جماعة من اليهود كانوا متحالفين مع عبد الله بن ابي بن سلول قرّوا أن يشتركوا في هذه المعركة ويخرجوا مع المسلمين ، ولكن النبي ﷺ لم يسمح بذلك لأسباب خاصة .

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٣ ، المغازي : ج ١ ص ٢١٤ ، الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٣٨ .

(٢) المغازي : ج ١ ص ٢١٤ .

(٣) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٦ .

وسار النبي وأصحابه حتى اذا كانوا بمنطقة بين المدينة واحد تسمى « الشوط » انزل عنه « عبد الله بن أبي بن سلول » وعاد بثلاث الناس كلهم من الأوس المتحالفين معه إلى المدينة بحجة أن رسول الله ﷺ أخذ برأي الفتية والشباب ، ورفض اقتراحه وهو البقاء في المدينة . ومن هنا لم يشترك في هذه المعركة لا اليهود ولا حزب النفاق . ثم إن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يرغبون في أن يسلكوا أقرب الطرق إلى معسكرهم من هنا اضطروا الى أن يمروا عبر بستان لمنافق من منافقي المدينة يدعى « مربع بن قيظي » وكان ضريرا ، فامتنع من ذلك ، واسبأ بالقول الى رسول الله ﷺ فابتدره أصحاب النبي ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ : « لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصر »<sup>(١)</sup> .

### جنديان فدايان :

استعرض رسول الله ﷺ جيشه في منطقة تدعى بالشيخين<sup>(٢)</sup> ، وكانت الوجوه المشتاقة إلى الجهاد تلمع كما تلمع أشعة السيوف ، وتعكس إصرارا كبيرا على قتال الكفار ، ومجاهدة المشركين .

ولقد كان جيش رسول الله ﷺ الذي خرج بهم لمجاهة قريش عند جبل احد يتألف من مقاتلين يتفاوتون في الأعمار تفاوتا كبيرا . ففيهم الشيخ الكبير الطاعن في السن وفيهم الشاب الفدائي الذي لم يتجاوز الخامسة عشرة .

ولقد كان الدافع الذي يحرك الجميع الى ذلك هو تعشق الكمال الذي

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٥ ، المغازي : ج ٢ ص ٢١٨ .

(٢) ولقد كان من عادة النبي ﷺ واسلوبه في جميع المعارك استعراض جيشه على الدوام ، وعدّهم ، وتسريح بعض العناصر الضعيفة احيانا .

ما كان ليتوفر إلا في ظلّ الدفاع عن صرح التوحيد المقدس ، ليس إلا .  
ولإثبات هذه الحقيقة نشير هنا الى قصة شيخ كبير السن ، وشاب لم يمض من عرسه إلا  
ليلة واحدة!!

١ . كان « عمرو بن الجموح » رجلا شيخا أعرج شديد العرج وقد أصيب في رجله في  
حادثة. وكان له بنون أربعة مثل الاسود ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما  
كان يوم « احد » أراد ان يخرج مع النبي ﷺ وقد أبت نفسه أن تفوته الشهادة ، وأن  
يجلس في بيته ولا يشترك مع رسول الله في تلك المعركة ، وإن اشترك بنوه الأربعة فيها .  
فأراد أهله وبنوه حبسه وقالوا له : إنّ الله عزّ وجل قد عذرك ، ولم يقتنع بمقاتلتهم ، وأتى  
رسول الله ﷺ وقال : إنّ بنيّ يريدون أن يجسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فو  
الله إني لأرجو أن أظأ بعرجتي هذه في الجنة .

فقال رسول الله ﷺ له :

« أمأ أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك » <sup>(١)</sup> .

ثم قال ﷺ لبنيه وقومه :

« لا عليكم أن لا تمنعوه ، لعلّ الله يرزقه الشهادة » .

فخلّوا عنه ، وخرج وهو يقول : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني الى أهلي .

وقد كان موقف هذا المجاهد الأعرج من مشاهد معركة « احد » العظيمة ، ومن قصصها  
الرائعة ، فقد كان يحمل . وهو على ما هو عليه من العرج . على الاعداء ويقول : « أنا والله  
مشتاق إلى الجنة » وابنه يعدو في أثره حتى قتلا جميعا <sup>(٢)</sup> .

---

(١) لقول الله تعالى : « لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ » (الفتح : ١٧ ) .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٩٠ و ٩١ ، المغازي : ج ١ ص ٢٦٥ .

(١) ٢ . « حنظلة » وهو شاب لم يكن قد جاوز الرابعة والعشرين من عمره آنذاك . وهو ابن « أبي عامر » عدو رسول الله ﷺ والذي كان مصداقا لقول الله تعالى « **الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ** » .

فقد اشترك والده أبو عامر الفاسق في معركة « احد » إلى جانب قريش ضد رسول الله ﷺ وكان ممن يكيدون للإسلام ومن جرّ قريشا ضد النبي ﷺ واستمر في معاداة الاسلام حتى النفس الأخير ، ولم يأل جهدا في هذا السبيل . وقد كان أبو عامر هذا هو السبب الرئيسي وراء حادثة مسجد « ضرار » التي سيأتي تفصيلها في حوادث السنة التاسعة من الهجرة .

غير أن علاقة الابوة والبنوة وما يتبعها من احساس لم تصرف حنظلة عن الاشتراك في حرب ضد أبيه ، ما دام أبوه على باطل وهو ( أي حنظلة ) على الحق فيوم خرج النبي مع أصحابه الى « احد » لمواجهة قريش كان حنظلة يريد البناء بزوجه ليلته ، فقد تزوج بانه « عبد الله بن ابي بن سلول » وكان عليه أن يقيم مراسيم الزفاف والعرس في الليلة التي خرج رسول الله ﷺ إلى « احد » في صبيحتها المنصرمة .

ولكنه عند ما سمع مؤذن الجهاد ، ودوى نداؤه في اذنه بحير في ما يجب أن يفعله ، فلم يجد مناصا من أن يستأذن من رسول الله ﷺ بان يتوقف في المدينة ليلة واحدة لاجراء مراسيم العرس ويقيم عند عروسته ثم يلتحق بالمعسكر الاسلامي صبيحة الغد من تلك الليلة .

وقد نزل في هذا الشأن . على رواية العلامة المجلسي . قوله تعالى :

« **نَمَّا لِمُؤْمِنِينَ اللَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي سُبُوحِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَقَامِ الصُّلُوبِ وَأَنَّهُمْ أُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ فَسُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** » (١) .

(١) النور : ٦٢ .

فأذن له رسول الله ﷺ (١) .

فبات حنظلة عند عروسته تلك الليلة ودخل بها ، ولما أصبح خرج من فوره وتوجه إلى « احد » وهو جنب .

ولكنه حينما اراد أن يخرج من منزله بعثت امرأته الى أربعة نفر من الأنصار ، واشهدت عليه أنه قد واقعها .

فقيل لها : لم فعلت ذلك؟

قالت : رأيت هذه الليلة في نومي كأن السماء قد انفجرت فوق في حنظلة ، ثم انضمت فعلمت أنها الشهادة ، فكرهت أن لا اشهد عليه .

ولما حضر حنظلة القتال نظر إلى أبي سفيان على فرس يجول بين العسكر ، فحمل عليه ، فضرب عرقوب فرسه ، فاكتسعت الفرس وسقط أبو سفيان إلى الأرض ، وصاح : يا معشر قريش أنا أبو سفيان ، وهذا حنظلة يريد قتلي ، وعدا أبو سفيان ، وجرى حنظلة في طلبه ، فعرض له رجل من المشركين فطعنه ، فمشى الى ذلك المشرك فطعنه فضره وقتله ، وسقط حنظلة الى الأرض بين حمزة وعمرو بن الجموح وعبد الله بن حزام وجماعة من الأنصار ، فقال رسول الله ﷺ :

« رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحائف من ذهب »

(٢)

فكان يسمى غسيل الملائكة أو حنظلة الغسيل .

وكانت الأوس تعد حنظلة من مفاخرها فكانت تقول : « ومنا حنظلة غسيل الملائكة » .

وكان أبو سفيان يقول : حنظلة بحنظلة ويقصد بالأو حنظلة غسيل الملائكة وبالثاني

ابنه حنظلة الذي قتل يوم بدر (٣) .

(١) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٥٧ .

(٢) و (٣) اسد الغابة : ج ٢ ص ٥٩ و ٦٠ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٥٧ وغيرهما .

إنه حقا عجيب أمر هذين العروسين ( الزوجين ) فبينما كانا هما في أعلى درجات التفاني في سبيل الحق كان والداهما ، من اعداء رسول الله ﷺ وخصومه الالقاء .  
فعبد الله بن أبي بن سلول ( والد العروس ) كان رأس المنافقين في المدينة ، وكان أبو عامر الفاسق والد العريس الذي كان يسمى في الجاهلية بالراهب معاديا أشد العدا لرسول الله ﷺ وقد التحق بالمشركين في مكة ، كما حرّض « هرقل » لضرب الحكومة الاسلامية الفتية في المدينة ، ثم اشترك في معركة احد ضدّ رسول الله ﷺ وقاتل المسلمين قتالا شديدا (١) .

### العسكران يصطقان :

في صبيحة اليوم السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة اصطفت قوى الاسلام أمام قوى الشرك المعتدية ، وكان جيش التوحيد قد جعل ظهره الى احد كمانع طبيعيّ يحفظ الجيش من الخلف . وقد كان في جبل احد ثغرة كان من الممكن أن يتسلل منها العدو ويباغت المسلمين من الخلف ، ويوجه إليهم ضربة قاضية .  
ولهذا عمل رسول الله ﷺ إلى وضع جماعة من الرماة عند تلك الثغرة ، وأمر عليهم « عبد الله بن جبير » وقال :  
انضح الخيل عنا بالنبل ، واحموا لنا ظهورنا ، لا يأتونا من خلفنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، إن كانت لنا أو علينا ، فلا تفارقوا مكانكم .  
ولقد أثبتت حوادث « احد » التي وقعت في ما بعد أهمية هذه الثغرة عسكريا ، فقد كانت هزيمة المسلمين بعد انتصارهم في بداية المعركة نتيجة تجاهل الرماة لأمر النبي واخلاء ذلك الموقع الإستراتيجي ، الأمر الذي سمح للعدو بأن يباغت المسلمين في حركة التفافية سريعة ، ويحمل عليهم ، ويوجه عليهم ضربة قوية!!

---

(١) أسد الغابة : ج ٢ ص ٥٩ و ٦٠ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٥٧ وغيرهما .

إن أمر النبي المؤكد والمشدد للرماة بأن لا يخلوا أماكنهم في الجبل حيث الثغرة المذكورة يكشف عن معرفته الكاملة بقواعد القتال وقوانين الحرب ، وبما يصطلح عليه اليوم بالتكتيك العسكري.

بيد أن نبوغ القائد العسكري لا يكفي وحده لإحراز الانتصار إذا كان الجنود يعانون من عدم الانضباطية ، وعدم التقيد بأوامر القائد.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى الترتيبات الميدانية التي قام بها رسول الله ﷺ عند استقرار جنود الإسلام في أرض المعركة بأحد ، وتعيينه لمكان كل قطعة من قطعات الجيش الإسلامي إذ قال : « وإذ غدوت من أهلك تبوؤ المؤمنون مقاعد للقتال والله سميع عليم »<sup>(١)</sup>.

### رفع معنويات الجنود وتقوية عزائمهم :

لم يكن النبي ﷺ ليغفل في المعارك والحروب عن تقوية العنصر الروحي لدى الجنود ، وما يصطلح عليه الآن بالروح المعنوية ، أو المعنويات العسكرية.

ففي هذه المرة أيضا لما اصطف سبعمائة مقاتل مسلم أمام ثلاثة آلاف من المقاتلين المشركين المدججين بالسلاح ، خطب رسول الله ﷺ في المسلمين خطبة رفع بها من معنويات المسلمين ، وذلك بعد ان نظم صفوفهم وسواها.

فلقد كتب « الواقدي » المؤرخ الاسلامي الكبير في هذا الصدد ما يلي :

جعل رسول الله ﷺ الرماة خمسين رجلا على « عينين » عليهم « عبد الله بن جبير » ، وجعل « احدا » خلف ظهره ، واستقبل المدينة ، ثم جعل ﷺ يمشى على رجليه يسوي تلك الصفوف ، ويسوي أصحابه

(١) مجمع البيان : ج ٤ ص ٤٩٥ ، الكشف : ج ١ ، ص ٣٤٦ . ٣٤٧ .

للقِتال يقول تقدّم يا فلان ، وتأخر يا فلان ، حتى أنه ليرى منكب الرجل خارجاً فيؤخره ، فهو يقوّمهم كأنما يقوم بهم القداح .

ثم قام ﷺ فخطب الناس فقال :

« يا أيّها الناس ، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته ، والتناهي عن محارمه ، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر . لمن ذكر الذي عليه ، ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين والجدّ والنشاط فإنّ جهاد العدوّ شديد ، شديد كربه ، قليل من يصبر عليه ، إلّا من عزم الله رشده ، فإن الله مع من أطاعه ، وإنّ الشيطان مع من عصاه ، فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله ، وعليكم بالذي أمركم به ، فإني حريص على رشدكم فإن الاختلاف والتنازع والتشبيط من أمر العجز والضعف ممّا لا يجب الله ، ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر .

وإنّه قد نفث في روعي الروح الأمين إنّه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها ، ولا ينقص منه شيء وأن ابطأ عنها ... المؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى عليه سائر الجسد والسلام عليكم » (١) .

### العدو ينظّم صفوفه :

نظّم أبو سفيان قائد المشركين صفوف جنوده وقسمهم إلى ثلاثة أقسام : الرماة ، وجعلهم في الوسط ، والميمنة واستعمل عليهم خالد بن الوليد ، والميسرة ، واستعمل عليهم عكرمة بن أبي جهل . وقلم جماعة فيهم حملة الألوية والرايات .

ثم قال لأصحاب الرايات وكانوا جميعاً من بني عبد الدار : إنا إنما اتينا يوم بدر من اللواء ، وإنا يؤتى القوم من قبل لوائهم ، فالزموا لواءكم وحافظوا عليه ، أو خلوا بيننا وبينه فانا قوم مستميتون موتورون ، نطلب ثارا حديث العهد .

---

(١) المغازي : ج ١ ص ٢٢١ - ٢٢٣ .



فشق هذا الكلام على « طلحة بن أبي طلحة » وكان شجاعا ، وهو أول من حمل راية لقريش ، فاندفع من فوره الى ساحة القتال ، وطلب المبارزة ، متحديا بذلك أبا سفيان.

### الإثارة النفسية وإلهاب الحماس :

قبل أن يبدأ القتال أخذ رسول الله ﷺ سيفا بيده وقال : . وهو يثير بذلك همم جنوده ..

« من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة الأنصاري ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟  
قال : « أن تشرب به العدو حتى ينحني » .  
قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه .

فأعطاه إياه ، وكان أبو دجانة رجلا شجاعا ، يفتال عند الحرب اذا كانت ، وكان اذا أعلم ، أعلم بعصاة له حمراء ، فاعتصب بها علم أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فعصّب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفين . فقال رسول الله ﷺ : « انها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن » <sup>(١)</sup> .

حقا إن مثل هذه الاثارة النفسية ، وهذا التحريك القوي للهمم أمر ضروري لجيش يقاتل دفاعا عن الحق والقيم ، ولا يدفعه إلى ذلك سوى العقيدة ، وحب الكمال .  
إن النبي ﷺ لم يهدف بعمله إثارة أبي دجانة وحده ، بل كان ﷺ يهدف بذلك إثارة الآخرين ، وإفهامهم بأن عليهم أن يبلغوا في الشجاعة والبطولة ، والجرأة والإقدام هذا المبلغ .

يقول « الزبير بن العوّم » وهو كذلك رجل شجاع : وجدت في نفسي حين

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٦ و ٦٧ .

سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعني ، وأعطاه أبا دجانة وقلت : أنا ابن صفيّة عمته ، ومن قريش وقد قمت إليه فسألته إياه ، فاعطاه إياه وتركني! والله لانظرن ما يصنع. فأتبعته فأخرج عصابة له حمراء ، فعصّب بها رأسه ، فقالت الانصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت ، وهكذا كانت تقول له اذا تعصّب بها.

فخرج وهو يقول :

أنا البذي عاهدي خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل  
ألا أقوم الدهر في الكيّول (١) أضرب بسيف الله والرسول  
فجعل لا يلقي أحدا إلا قتله ، وكان من المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفّف عليه ، فجعل كلّ واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلعا ضربتينا ، فضرب المشرك أبا دجانة ، فاتقاه بدرقته ، فعضت بسيفه ، وضربه أبو دجانة ، فقتله ، ثم رأيتَه قد حمل السيف على مفرق « هند بنت عتبة » ثم عدل السيف عنها ، فقلت : الله ورسوله أعلم.

ثم إن أبا دجانة أوضح عمله هذا فقال : رأيت انسانا يخمش الناس خمشا شديدا فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة (٢).

### القتال يبدأ :

بدأ القتال بما فعله أبو عامر الفاسق الذي كان قد هرب من المدينة مباعدا لرسول الله ﷺ كما أسلفنا ، وكان من الأوس ، وقد فرّ معه خمسة عشر رجلا من الأوس بسبب معارضته للاسلام.

وقد تصوّر أبو عامر هذا أن الأوس إذا رأوا يوم احد تركوا نصرّة رسول الله ﷺ ، فلما التقى العسكران يومئذ نادى أبو عامر : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر.

(١) الكيّول : آخر الصفوف في الحرب.

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٨ و ٦٩.

قالوا : فلا أنعم الله بك علينا يا فاسق. فلما سمع ردّ الأوس تركهم ، واعتزل الحرب بعد قليل <sup>(١)</sup>.

ثم إن هناك مواقف وتضحيات عظيمة قام بها رجال معدودون في معركة احد معروفة بين المؤرخين ، أبرزها ، وأجدرها بالاجلال تضحيات علي عليه السلام ومواقفه الكبرى في ذلك اليوم. فهو صاحب اللواء والراية في هذه الموقعة الكبرى.

قال الشيخ المفيد في الارشاد : تلت بدرًا غزاة احد وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد أمير المؤمنين عليه السلام فيها ومما يدل على ذلك ما رواه يحيى بن عمارة قال : حدثني الحسن بن موسى بن رباح مولى الانصار قال حدثني أبو البخترى القرشي ، قال : كانت راية قريش ولواؤها جميعا بيد قصي ثم لم تنزل الراية في يد ولد عبد المطلب يحملها منهم من حضر الحرب حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فصارت راية قريش وغيرها الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأقرها في بني هاشم فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام في غزاة ودان وهي أول غزاة حمل فيها راية في الاسلام مع النبي ثم لم تنزل معه في المشاهد بيدر وهي البطشة الكبرى في يوم احد وكان اللواء يومئذ في بني عبد الدار فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير فاستشهد ووقع اللواء من يده فتشوفته القبائل فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فجمع له يومئذ الراية واللواء <sup>(٢)</sup>.

وقد ورد عن ابن عباس ما يؤيد ذلك فقد روى أنه قال : لعلي أربع خصال ليس لأحد من العرب غيره ( هو ) أول عربي وعجمي صلّى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف ... <sup>(٣)</sup>.

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٧ .

(٢) الارشاد : ص ٤٣ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٨٠ .

(٣) ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق المعروف بتاريخ ابن عساکر : ج ١ ص ١٤٢ .

كما عن قتادة : ان علي بن ابي طالب كان صاحب لواء رسول الله يوم بدر وفي كل مشهد<sup>(١)</sup> .

ثم إنه كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري ( وكان يدعى كبش الكتبية ) فبرز ونادى : يا محمد تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم الى النار ، ونجهزكم بأسيافنا الى الجنة ، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليّ فبرز إليه علي ؑ وهو يقول :

يا طلح إن كنتم كما تقول لكم خيول ولنا نصول  
فأثبت لننظر ايّنا المقتول وأيّنا أولى بما تقول  
فقد أتاك الأسد المسئول

بصارم ليس به الفلول ينصره القاهر والرسول  
ثم تصاولوا بعض الوقت قتل بعده طلحة بضربة علي ؑ القاضية .  
فأخذ الراية اخوان آخران لطلحة فخرجوا لقتال علي ؑ علي التناوب فقتلا جميعا على يديه ؑ .

هذا ويستفاد من كلام لعلي ؑ قاله في أيام الشورى التي انعقدت بعد موت الخليفة الثاني .

فقد قال الامام ؑ في مجلس ضم كبار الصحابة في تلك المناسبة :  
« نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل من بني عبد الدار تسعة مبارزة كلهم يأخذ اللواء ، ثم جاء صواب الحبشي مولاهم وهو يقول لا أقتل بسادتي إلا محمدا ، قد ازبد شدقاه ، واحمرت عيناه ، فأتقتموه ، وحدتم عنه ، وخرجت إليه ، فلما أقبل كأنه قبة مبنية فاختلفت أنا وهو ضربتين ، فقطعته بنصفين وبقيت عجزه وفخذه قائمة على الأرض ينظر إليه المسلمون ويضحكون منه » .

قالوا : اللهم لا<sup>(٢)</sup> .

(١) ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق المعروف بتاريخ ابن عساكر : ج ٩ ص ١٤٢ .

(٢) الخصال : ص ٥٦٠ .

أجل ان قريشا كانت قد ادخرت لحمل الراية تسعة رجال من شجعان بني الدار وقد قتلوا جميعا على يد الامام علي عليه السلام على التوالي فبرز غلامهم وقتل هو أيضا <sup>(١)</sup>.

### المقاتلون بدافع الشهوة!!

من الأبيات التي كانت تتعنى بها « هند بنت عتبة » زوجة أبي سفيان ومن كان معها من النساء في تحريض رجال قريش وحثهم على القتال وارقة الدماء والمقاومة ، ويضربن معها الدفوف والطبول يتبين ان تلك الفئة لم تكن تقاتل من أجل القيم الرفيعة كالطهر والحرية ، والخلق الانساني بل كانت تقاتل بدافع الشهوة الجنسية ومن أجل الوصول إلى المآرب الرخيصة.

فقد كانت الأغاني والأبيات التي ترددها تلك النساء اللاتي كن يضربن بالدفوف خلف الرجال على نحو خاص هي :

نحن بنات طارق نمشي على النمـارق  
إن تقبلوا نعبانق أو تدبروا نفـارق

ولا شك أن الفئة التي تقاتل من أجل الشهوات ، ويكون دافعها الى الحرب والقتال هو الجنس واللذة ، وبالتالي لا تهدف سوى الوصول إلى المآرب الرخيصة فان حالها تختلف اختلافا بينا وكبيرا عن حال الفئة التي تقاتل من أجل هدف مقدس كإقرار الحرية ، ورفع مستوى الفكر ، وتحرير البشرية من براثن الجهل وأسر الخضوع للاوثان.

ولا شك أن لكل واحدة من تلك الدوافع آثارها المناسبة في روح المقاتل وسلوكه. ولهذا لم يمض زمان طويل إلا ووضعت قريش أسلحتها على الارض وولت هاربة من أرض المعركة بعد أن اصببت باصابات قوية بفضل صمود وتضحيات رجال مؤمنين شجعان كعلي وحمزة وأبي دجانة والزبير و... مخلفة وراءها غنائم

(١) وقد ذكر المجلسي قصة مصرع هؤلاء في البحار : ج ٢٠ ص ٨١ - ٨٢.

وأموالا كثيرة ، وأحرز المسلمون بذلك انتصارا عظيما على عدوهم القوي في تجهيزاته ،  
الكثير في افراده (١).

### الهزيمة بعد الانتصار :

قد يتساءل سائل : لما ذا انتصر المسلمون اولاً؟

لقد انتصروا لأنهم كانوا يقاتلون ، ولا يحدوهم في ذلك شيء حتى لحظة الانتصار إلا  
الرغبة في مرضاة الله ، ونشر عقيدة التوحيد ، وإزالة الموانع عن طريقها ، فلم يكن لهم أي  
دافع مادي يشدهم إلى نفسه.

وقد يتساءل : ولما ذا انهزموا أخيراً؟

لقد انهزموا لأن أهداف أكثر المسلمين ونواياهم قد تغيرت بعد تحقيق الانتصار ، فقد  
توجهت أنظارهم الى الغنائم التي تركها قريش في أرض المعركة ، وفروا منهزمين. لقد حولت  
اخلاص عدد كبير من المسلمين ، ونسوا على أثره أوامر النبي ﷺ ، وتعاليمه ، فغفلوا عن  
ظروف الحرب.

وإليك فيما يأتي تفصيل الحادث :

لقد ذكرنا عند بيان الأوضاع الجغرافية لمنطقة احد أنه كان في « جبل احد » شعب ( ثعرة )  
وقد كلف رسول الله ﷺ خمسين رجلا من الرماة بمراقبة ذلك الشعب ، وحماية  
ظهر الجيش الاسلامي ، وأمر عليهم « عبد الله بن جبير » ، وكان قد أمر قائدهم بأن  
ينضحوا الخيل ويدفعوها عن المسلمين بالنبل ويمنعوا عناصر العدو من التسلل من خلالها ولا  
يغادروا ذلك المكان انتصر المسلمون او انهزموا ، غلبوا أو غلبوا.

وفعل الرماة ذلك فقد كانوا في أثناء المعركة يحمون ظهور المسلمين ، ويرشقون خيل  
المشركين بالنبل فتولّى هاربة ، حتى إذا ظفر النبي وأصحابه ، وانكشف المشركون منهزمين ،  
لا يلوون على شيء ، وقد تركوا على أرض المعركة

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٨ ، تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٩٤.

غنائم وأموالا كثيرة ، وقد تبعهم بعض رجال المسلمين ممن بايع رسول الله ﷺ على بذل النفس في سبيل الله ومضوا يضعون السلاح فيهم حتى أجهضوهم عن العسكر أما أكثر المسلمين فقد وقعوا ينتهبون العسكر ويجمعون الغنائم تاركين ملاحقة العدو وقد اغمدوا السيوف ، ونزلوا عن الخيول ظنا بأن الأمر قد انتهى .

فلما رأى الرماة المسئولون عن مراقبة الشعب ذلك قالوا لأنفسهم : ولم نقيم هنا من غير شيء وقد هزم الله العدو فلنذهب ونغنم مع إخواننا .

فقال لهم أميرهم ( عبد الله بن جبير ) : ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ قال لكم : احموا ظهورنا فلا تبرحوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا احموا ظهورنا؟

ولكن أكثر الرماة خالفوا أمر قائدهم هذا وقالوا : لم يرد رسول الله هذا ، وقد أذّل الله المشركين وهزمهم .

ولهذا نزل أربعون رجلا من الرماة من الجبل ودخلوا في عسكر المشركين ينتهبون مع غيرهم من المسلمين الاموال وقد تركوا موضعهم الإستراتيجي في الجبل ، ولم يبق مع عبد الله بن جبير إلا عشرة رجال!!

وهنا استغل « خالد بن الوليد » الذي كان مقاتلا شجاعا ، قلّة الرماة في ثغرة الجبل ، وكان قد حاول مرارا أن يتسلل منها ولكنه كان يقابل في كل مرة نبال الرماة ، فحمل بمن معه من الرجال على الرماة في حملة التفافية وبعد أن قاتل من بقي عند الثغرة وقتلهم بأجمعهم انحدر من الجبل وهاجم المسلمين الذين كانوا منشغلين بجمع الغنائم ، وغافلين عما جرى فوق الجبل ، ووقعوا في المسلمين ضربا بالسيوف وطعنا بالرماح ، ورميا بالنبال ، ورضخا بالحجارة ، وهم يصيحون تقوية لجنود المشركين .

فتفرقت جموع المسلمين ، وعادت فلول قريش تساعد خالدا وجماعته ، وأحاطوا جميعا بالمسلمين من الأمام والخلف ، وجعل المسلمون يقاتلون حتى قتل منهم سبعون رجلا .

إن هذه النكسة تعود إلى مخالفة الرماة لأوامر النبي ﷺ تحت تأثير المطامع المادية وتركهم ذلك المكان الإستراتيجي عسكريا والذي اهتم به القائد الاعلى ﷺ ، وأكد بشدة على المحافظة عليه ، ودفع أيّ

هجوم من قبل العدو عليه. وبذلك فتحوا الطريق . من حيث لا يشعرون . للعدو بحيث هاجمهم الخيل بقيادة خالد بن الوليد ، فدخل إلى أرض المعركة من ظهر الجيش الاسلامي ، ووجه الى المسلمين تلك الضربة النكراء!!

ولقد ساعد خالد في هذا « عكرمة بن أبي جهل » الذي حمل هو الآخر بمن كان معه من الرجال على المسلمين ، وساد على صفوف المسلمين في هذه الحال الهرج والمرج ، وعمت فوضى لا نظير لها ساحة المعركة ، ولم ير المسلمون مناصا من أن يدافعوا عن أنفسهم متفرقين ، ولكن عقد القيادة لما قد انفرط بسبب هذه المباغثة العسكرية لم يستطع المسلمون إحراز أي نجاح في الدفاع ، بل تحمّلوا . كما أسلفنا . خسائر كبرى في الأرواح ، وقتل عدد من المسلمين على أيدي اخوانهم من المسلمين خطأ ومن دون قصد.

ولقد صعّدت حملات خالد وعكرمة من معنويات المشركين ، ونفخت فيهم روحا جديدة فعادت قواهم الهاربة المنهزمة قبل قليل ، ودخلت ساحة المعركة ثانية ، وساعدت جماعة منهم خالد وعكرمة وحاصروا المسلمين من كل ناحية وقتل جمع كبير من المسلمين بسبب ذلك!!

### شائعة مقتل النبي :

وفي هذا الأثناء حمل « الليثي »<sup>(١)</sup> وكان من صنديد قريش وأبطالها على مصعب بن عمير حامل لواء الاسلام في تلك المعركة وهو يظن أنه رسول الله ﷺ وتودلت بينهما طعنات وضربات حتى قتل « مصعب » بضربه قاضية من الليثي ، وكان المسلمون يومئذ ملثّمون ، ثم صاح : قتلت محمّدا ، أو قال ألا قد قتل محمد ، ألا قد قتل محمد . فانتشر هذا الخبر في جموع المسلمين كالنار في المشيم وعلمت قريش بذلك فسروا بذلك سرورا عظيما ، وارتفعت الاصوات في ساحة القتال تنادي : ألا قد

---

(١) هو عبد الله بن قميّة الليثي .



قتل محمد ، ألا قد قتل محمد.

ولقد زاد هذا الخبر الكاذب من جرأة العدو فتحركت جحافلهم وأفراده نحو المسلمين يسعى كل واحد منهم أن يقتطع من جسم رسول الله ﷺ عضوا ، وبذلك ينال فخرا في أوساط المشركين!!

وبقدر ما ترك هذا الخبر الكاذب من أثر ايجابي في نفوس المشركين ، ترك أثرا سيئا جدا في نفوس المسلمين ، وأضعف معنوياتهم بشدة بحيث تحلّى عدد كبير من المسلمين عن القتال ، ولبثوا إلى الجبل فرارا بأنفسهم ، ولم يثبت الا عدد قليل لا يتجاوز أصابع اليد من الرجال.

### هل يمكن أن ينكر أحد فرار البعض؟

لا يمكن أبدا أن ينكر أحد فرار أصحاب النبي ﷺ إلا من يعدّ أنّ بالاصابع في تلك المعركة ، ولا يمنع كونهم صحابة ، أو كونهم أصبحوا في ما بعد ذوي مكانة أو مناصب في المجتمع الإسلامي في ما بعد ، من القبول بهذه الحقيقة التاريخية المرة.

فهذا هو ابن هشام المؤرخ الإسلامي الكبير يكتب في هذا الصدد قائلا : انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم (١) فقال : ما يجلسكم؟ ( اي ما يقعدكم عن القتال والمقاومة ).

قالوا : قتل رسول الله ﷺ .

قال : فما ذا تصنعون بالحياة بعده؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ .

ثم عاد الى المشركين فقاتلهم حتى قتل.

أو قال : حسب رواية كثير من المؤرخين : . ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل ، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ فقاتلوا على

---

(١) اي استسلموا.

ما قاتل عليه رسول الله ، وموتوا على ما مات عليه ثم قال : اللهم إني اعتذر إليك مما يقوله هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه على الكفار فقاتل حتى قتل .  
ويروي ابن هشام عن أنس بن مالك ( ابن أخ انس بن النضر ) لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين جراحة فما عرفه إلا اخته عرفته ببنانه <sup>(١)</sup> .  
وكتب الواقدي في مغازيه يقول :

حدثني ابن أبي سبرة عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم واسم أبي جهم عبيد قال : كان خالد بن الوليد يحدث وهو بالشام يقول : الحمد لله الذي هداني للاسلام ، لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب حين جالوا وانهمزوا يوم احد وما معه أحد وأني لفي كتيبة خشناء فما عرفه منهم أحد غيري فنكبت عنه وخشيت إن أغريت به من معي أن يصمدوا له فنظرت إليه موجّها إلى الشعب <sup>(٢)</sup> .

وقد بلغ الانهزام والضعف النفسي ببعض الصحابة في هذه المعركة بحيث أخذ يفكر في التبري من الاسلام لينجو بنفسه فقال : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان!! <sup>(٣)</sup> .

### القرآن يكشف عن بعض الحقائق :

إن الآيات القرآنية تمزق كل حجب الجهل والتعصب التي اسدلت على هذه المسألة ، وتفيد بوضوح أن طائفة من أصحاب النبي ﷺ اعتقدوا بأن ما أخبر به رسول الله ﷺ من الظفر ، والنصر لا أساس له من الصحة ، فان الله تعالى يقول في هذا الصدد :  
« وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ » <sup>(٤)</sup> .

وفي امكانك أيها القارئ الكريم أن تحصل على الحقائق المكتومة في هذا

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٨٣ راجع تفسير المنار : ج ٤ ص ١٠٢ .

(٢) المغازي : ج ١ ص ٢٣٧ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٢٧ .

(٤) آل عمران : ١٥٤ .

المجال بالتمعن في آيات من سورة آل عمران <sup>(١)</sup>.

فهذه الآيات تكشف بصورة كاملة عن عقيدة الشيعة حول أصحاب رسول الله ﷺ .  
فان الشيعة تعتقد بأنه لم يكن جميع صحابة النبي ﷺ أوفياء لعقيدة التوحيد ،  
متفانين في سبيله ، بل كان منهم الضعيف في إيمانه والمنافق ، والمتردد ، ومع ذلك لم يكن  
المؤمنون الأتقياء والصالحون الأبرار قلة أيضا .

ومن العجيب والمؤسف أن يسعى بعض الكتاب من أهل السنة اليوم إلى التغطية على  
كثير من المواقف والاعمال المشينة التي بدرت من بعض الصحابة كالذي مر عليك في معركة  
احد ، ويحاول تجاوزها بنوع من التبرير البعيد عن روح الحقيقة كمحاولة للمحافظة على شأن  
جميع الصحابة ، ومكانتهم على حين أن هذه التبريرات الفجة ، وهذا التعصب اللامنطقي  
لا يمكنها أن تمنع من رؤية الحقيقة كما هي .

فأي كاتب يستطيع إنكار مفاد هذه الآية التي تصرح قائلة :

« فِي تَضَعُونَ وَلَا تَلُون عَلَى أَحَدٍ وَلِرَسُولٍ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ » <sup>(٢)</sup>.

إن هذه الآية تقصد اولئك الذين رأهم أنس بن النضر ، ومن شابههم من الذين تركوا  
ساحة المعركة ، ولجئوا إلى الجبل ، وجلسوا يفكرون في نجاة أنفسهم!!  
والأوضح من الآية السابقة قول الله تعالى :

« الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ  
عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ » <sup>(٣)</sup>.

إن الله تعالى يعاتب ويوبخ الذين تذرعو . لفرارهم من المعركة . بنبي مقتل رسول الله  
ﷺ على يد العدو ، وراحوا يفكرون في الحصول على أمان من أبي سفيان بواسطة عبد  
الله بن أبي اذ يقول :

« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا مَاتَ وَأَقْتُلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ  
وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » <sup>(٤)</sup>.

(١) الآيات : ١٢١ - ١٨٠ .

(٢) آل عمران : ١٥٣ .

(٣) و (٤) آل عمران : ١٥٥ و ١٤٤ .

## التجارب المرة :

إن في أحداث معركة « احد » ووقائعها تجارب مرة واخرى حلوة فهذه الحوادث والوقائع تثبت بجلاء صمود واستقامة جماعة ، وضعف وهزيمة آخرين.

كما أنه يستفاد من ملاحظة الحوادث التاريخية أنه لا يمكن اعتبار جميع المسلمين الذين عاصروا رسول الله ﷺ أتقياء عدولا بحجة أنهم صحبوا النبي ﷺ ، لأن الذين أخلوا مراكزهم على الجبل ، يوم احد وعصوا أمر النبي ﷺ في تلك اللحظات الخطيرة ، وجرّوا بفعلهم على المسلمين تلك المحنة الكبرى ، كانوا أيضا ممن صحبوا النبي ﷺ .

يقول المؤرخ الاسلامي الكبير الواقدي في هذا الصدد : « بايع رسول الله ﷺ يوم احد ثمانية على الموت : ثلاثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير ، وخمسة من الأنصار » ففتبتوا وهرب الآخرون <sup>(١)</sup> .

وكتب العلامة ابن أبي الحديد المعتزلي أيضا : حضرت عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه على رأي الشيعة الإمامية ﷺ في داره بدرج الدواب ببغداد في سنة ٦٠٨ هجرية ، وقارئ يقرأ عنده مغازي الواقدي ، فقرأ : حدثنا الواقدي عن ابن أبي سبرة عن خالد بن رباح عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن محمد بن مسلمة قال : سمعت اذناي ، وأبصرت عيناي رسول الله ﷺ يقول يوم احد ، وقد انكشف الناس الى الجبل وهو يدعوهم وهم لا يلوون عليه ، سمعته يقول :

« إليّ يا فلان ، إليّ يا فلان أنا رسول الله » .

فما عرّج عليه واحد منهما ، ومضيا!! فأشار ابن معد إلي أي اسمع .

فقلت : وما في هذا؟ قال : هذه كناية عنهما . ( أي اللذين تسنّم مسند الخلافة

---

(١) المغازي : ج ٢ ص ٢٤٠ .

بعد النبي ﷺ )

فقلت : ويجوز أن لا يكون عنهما لعله عن غيرهما.

قال : ليس في الصحابة من يحتشم من ذكره بالفرار ، وما شابهه من العيب ، فيضطّر القائل إلى الكناية إلا هما.  
قلت له : هذا ممنوع.

فقال : دعنا من جدك ومنعك ، ثم حلف أنه ما عنى الواقدي غيرهما ، وأنه لو كان غيرهما لذكرهما صريحاً<sup>(١)</sup>.

كما أن العلامة ابن أبي الحديد ذكر في شرحه لنهج البلاغة أيضاً اتفاق الرواة كافة على أن عثمان لم يثبت في تلك اللحظات الحساسة يوم احد<sup>(٢)</sup>.

وستقرأ في الصفحات القادمة ما قاله رسول الله ﷺ عن امرأة مجاهدة متفانية في سبيل الرسالة الاسلامية تدعى « نسيبة المازنية » دافعت عن رسول الله ﷺ يوم احد.  
فقد لمح رسول الله ﷺ في كلامه عنها وعن موقفها العظيم يومذاك ، إلى ما يقلل من شأن الذين فرّأ من المعركة.

نحن لا نريد هنا الاساءة إلى أي واحد من صحابة النبي ﷺ ، بل غاية ما نتوخاه هو الكشف عن الحقيقة ، وإمطة اللثام عن الواقع ، فبقدر ما نستنكر ، ونقبّح فرار من فرّ ، نكبر صمود من صمد وثبات من ثبت ممن سنأني على ذكرهم في الصفحات القادمة ، وهذا هو ما تمليه علينا روح التحليل الصادق أو تقتضيه أمانة النقل ، وما يسمى بالامانة التاريخية على الأقل.

### خمسة يتحالفون على قتل النبي :

في تلك اللحظات التي تشتت فيها جيش المسلمين ، وانفرط عقده ، وفي الوقت الذي تركزت فيه أن حملات المشركين من كل ناحية على رسول الله صلى

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥ ص ٢٣ و ٢٤.

(٢) المغازي : ج ١ ص ٢٧٨ و ٢٧٩.

الله عليه وآله تعاهد خمسة أنفار من صناديد قريش المعروفين أن يضعوا نهاية حياة النبي الأكرم ﷺ ويقضوا عليها مهما كلفهم من الثمن (١).

وهؤلاء هم :

- ١ . عبد الله بن شهاب الذي جرح جبهة النبي ﷺ .
- ٢ . عتبة بن أبي وقاص الذي رمى رسول الله ﷺ بأربعة أحجار فكسر رباعيته ﷺ ، وجرح باطنها ، من الجهة اليمنى .
- ٣ . ابن قمئة الليثي الذي رمى وجنتي رسول الله ﷺ وجرحهما بحيث غاب حلق المغفر في وجنته ﷺ فأخرجها أبو عبيدة الجراح بأسنانه فكسرت ثنيتاه العليا والسفلى .
- ٤ . عبد الله بن حميد الذي قتل على يد بطل الإسلام أبي دجانة وهو يحمل على النبي ﷺ .

٥ . ابي بن خلف وكان من الذين قتلوا بيد رسول الله ﷺ نفسه .

فهو واجه رسول الله ﷺ عند ما وصل ﷺ إلى الشعب ، وقد عرفه بعض أصحابه وأحاطوا به ، فجعل يصيح بأعلى صوته : يا محمد لا نجوت ان نجوت ، وحمل على النبي ﷺ ولما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من « الحارث بن الصمة » ، ثم انتفض انتفاضة شديدة وطعن « ابيبا » بالحربة في عنقه ، وهو على فرسه ، فجعل ابي يخور كما يخور الثور!

ومع أن ما أصاب ابيبا من جراحة كان يبدو بسيطا ، إلا أنه تملكه رعب وخوف شديدان إذ لم ينفعه معهما تطمينات رفاقه ، ولم يذهب عنه الروع بكلامهم ، وكان يقول : واللوات والعزى لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز (٢) لماتوا أجمعون .

(١) المغازي : ج ١ ص ٢٤٣ .

(٢) كان ذو المجاز سوقا من أسواق العرب وهو عن يمين الموقف بعرفة قريبا من كبك (معجم ما استعجم على ما في حواشي المغازي : ص ٥٠٨) .

أليس قال : ( أي النبي يوم كان بمكة ) أنا أقتلك إن شاء الله ، قتلي والله محمد!!  
وقد فعلت الطعنة ، وكذا خوفه فعلتهما فمات في منطقة تدعى سرف ( وهو موضع  
على ستة أميال من مكة ) فيما كانت قريش قافلة من احد الى مكة (١).

حقا إن هذا ينم عن منتهى الدناءة والخسة في خلق قريش وموقفها ، فمع أنها كانت  
تعرف صدق رسول الله ﷺ وتعترف به ، وتنكر أن يكون قد صدر منه كذب في قول ،  
أو خلف في وعد ، كانت تعاديه أشدّ العدا ، وتمدّد نحوه يد العدوان ، وتبغي مصرعه ،  
وتسعى إلى اراقة دمه!!

كما أنه من جهة اخرى يدل على شجاعة رسول الاسلام ﷺ وبطولته ومقدرته  
الروحية الكبرى ، من ناحية اخرى ، وثباته في عمله من ناحية ثالثة.  
أجل لقد كان رسول الله ﷺ يدافع عن رسالته السماوية ، وعن حياض عقيدته  
التوحيدية العظمى ، ويصمد لاعداء صمود الجبال الرواسخ مع أنه ربما دنا من الموت وكان  
منه قاب قوسين أو أدنى.

ومع أنه كان ﷺ يرى أن كل همّ المشركين وكل حملاتهم موجهة نحوه بشخصه ، إلا  
أنه لم يشهد أحد منه أي قول أو فعل يشعر بتوجسه واضطرابه ، ولقد صرح المؤرخون بهذا  
الأمر فقد كتب المقريزي ونادى المشركون بشعارهم [ يا للعزى ، يا لهبل ] فارجعوا في  
المسلمين قتلا ذريعا ، ونالوا من رسول الله ﷺ ما نالوا. ولم يزل ﷺ شبرا واحدا بل  
وقف في وجه العدو ، وأصحابه تثوب إليه مرة طائفة وتنفرك عنه مرة ، وهو يرمي عن قوسه  
أو بحجر حتى تحاجزوا (٢).

نعم غاية ما سمع من ﷺ هو ما قاله عند ما كان يمسح الدم

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٨٤ ، المغازي : ج ١ ص ٢٥١ .

(٢) امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٣١ ، المغازي : ج ٢ ص ٢٤٠ .

عن وجهه المبارك اذ قال :

« كيف يفلح قوم خصّبوا وجه نبيهم باللمّ وهو يدعوهم إلى الله؟! » (١).

إن هذه العبارة الخالدة تكشف عن عمق رحمة النبي ﷺ وعاطفته حتى بالنسبة إلى أعدائه الألداء.

بينما تكشف كلمة قالها علي بن أبي طالب عن شجاعته ﷺ الفائقة إذ قال :

« كُنّا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ فلم يكن احد أقرب منا إلى العدو منه » (٢).

من هنا فان سلامة النبي الاكرم ﷺ في الحروب تعود في أكثر أسبابها إلى حسن دفاعه عن دينه ، وعن نفسه ، وإلى شجاعته في المعارك.

ولقد كانت ثمة علل وأسباب صانت هي الاخرى حياة رسول الله ﷺ من أن يلحقها خطر أو ضرر ، الا وهو تضحية وتفاني تلك القلة القليلة من أصحابه الأوفياء الذين بذلوا غاية جهدهم للحفاظ على حياة رسول الاسلام العظيم ﷺ وبذلك أبقوا على هذا المشعل الوقاد ، وهذا السراج المنير.

لقد قاتل رسول الله ﷺ يوم احد قتالا شديدا ، فرمى بالنبل حتى فني نبله وانكسرت سية قوسه ، وانقطع وتره (٣).

على أن الذين دافعوا عن رسول الله ﷺ لم يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد (٤) ، وحتى هذه القلة القليلة المدافعة ثباتهم معه جميعا غير مقطوع به من منظار علم التاريخ ، ومن زاوية التحقيق التاريخي.

نعم ما هو متفق عليه بين المؤرخين ، وأرباب السير هو ثبات أفراد قلائل نعمد هنا إلى ذكر أسمائهم ومواقفهم بشيء من التفصيل.

(١) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ١٠٢.

(٢) نخب البلاغة : فصل في غريب كلامه رقم ٩.

(٣) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ١٠٧.

(٤) شرح نخب البلاغة : ج ١٥ ص ٢٠ و ٢١.



## الدفاع الموفق أو النصر المجيد :

لو أننا أسمينا هذه المرحلة من تاريخ الاسلام بمرحلة النصر المجدد لما قلنا جزافا ، فان المقصود من هذا الانتصار هو أن المسلمين استطاعوا . وخلافا لتوقعات العدو الحاقده . أن يصونوا رسول الله ﷺ من خطر الموت الذي كاد أن يكون محققا ، وهذا هو انتصار مجده أصابه جند الاسلام .

أما إذا عزونا هذا الانتصار إلى جيش الاسلام برمته فان ذلك انما هو لأجل تعظيم مقام المجاهدين المسلمين ، وإلا فان ثقل هذا الانتصار العظيم وقع على عاتق عدد محدود جدا من رجال الاسلام الذين صانوا حياة الرسول الاكرم عن طريق المخاطرة بحياتهم ، وتعريضها للخطر الجدي .

وفي الحقيقة فإن بقاء الدولة الاسلامية ، وبقاء جذوة هذا الدين المبارك مشتتة إنما هو نتيجة تضحيات تلکم القلة القليلة المتفانية في سبيل الله ورسوله .  
واليك فيما يلي استعراضا إجماليا لتضحيات اولئك الرجال المتفانين في سبيل العقيدة والدين :

١ - إن أول وأبرز الرجال الصامدين الثابتين على طريق الجهاد والتضحية في هذه الواقعة هو شاب بطل لم يتجاوز ريعه السادس والعشرين من عمره ... ، هو الذي رافق رسول الله ﷺ من سني صغره وبدايات حياته وحتى لحظة وفاة الرسول الاكرم ﷺ .  
إن بطل الاسلام الاكبر وان ذلك الفدائي الواقعي هو الامام « علي بن أبي طالب » عليه السلام الذي تحفظ ذاكرة التاريخ الاسلامي عنه الكثير الكثير من مواقف التضحية والفداء في سبيل نشر الاسلام والدفاع عن حوزة التوحيد ، وارساء دعائمه .

وفي الاساس ان هذا الانتصار المجدد . على غرار الانتصار الأول . إنما جاء نتيجة لبسالة وبطولة هذا المجاهد المتفاني في سبيل الاسلام ذلك لأن السبب الجوهرى في هزيمة قريش وفرارها في بداية المعركة كان هو سقوط لوائها بعد

مقتل كل حملة اللواء على يد الامام علي عليه السلام ، وبالتالي نتيجة للرعب الذي القي في قلوبهم لما رأوا من تساقط صناديدهم الواحد تلو الآخر ، الأمر الذي سلبهم القدرة على المقاومة . إن الكتاب المصريين المعاصرين الذين تناولوا حوادث التاريخ الاسلامي بالتحليل والدراسة ، لم يعطوا عليا عليه السلام . وللأسف . حقه في هذه الموقعة ، أو على الأقل لم يذكروا ما اتفق عليه المؤرخون ، وتطابقت في اثباته التواريخ ، بل جعلوا تضحيات الإمام علي عليه السلام ومواقفه الشجاعة والعملاقة في عداد مواقف الآخرين ، وفي مستواها .

من هنا ينبغي أن نسلط بعض الضوء على تضحيات ذلك الفدائي الواقعي ، وذلك البطل الشجاع الذي شهدت له ساحات الوغى مواقف لا نظير لها في العظمة ، والسمو .

١ . يقول ابن الاثير في تاريخه <sup>(١)</sup> : كان الذي قتل أصحاب اللواء علي . قاله ابو رافع . ، ( قال ) فلما قتلهم أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من المشركين فقال لعلي : احمل عليهم ، فحمل عليهم ففرقهم ، وقتل منهم ، ثم أبصر جماعة اخرى فقال له : احمل عليهم ، فحمل عليهم وفرقهم وقتل منهم ، فقال جبرئيل : يا رسول الله هذه المواساة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنه مني وأنا منه ، فقال جبرئيل : وأنا منكما قال : فسمعوا صوتا : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » <sup>(٢)</sup> .

وقد شرح ابن أبي الحديد هذه القضية بتفصيل أكثر اذ كتب في شرحه لنهج البلاغة يقول : لما فر معظم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم احد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من بني كنانة ، ثم من بني عبد مناة بن

(١) الكامل : ج ٢ ص ١٠٧ .

(٢) ومثله في تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٩٧ ، ميزان الاعتدال : ج ٣ ص ٣٢٤ ، لسان الميزان : ج ٤ ص

كنافة فيها بنو سفيان بن عوف ، وهم خالد بن ثعلب وأبو الشعثاء بن سفيان وأبو الحمراء بن سفيان وعراب بن سفيان ، وانها لتقارب خمسين فارسا وهو (أي علي عليه السلام) راجل ، فما زال يضرها بالسيف تتفرق عنه ، ثم تجتمع عليه هكذا مرارا حتى قتل بني سفيان بن عوف الأربعة وتام العشرة منها ممن لا يعرف اسماءهم.

ثم نقل ما قاله جبرئيل ، ثم كتب يقول : قلت وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الاخبار المشهورة وقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن اسحاق ورايت بعضها خاليا عنها ، وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينه عن هذا الخبر ، فقال : خير صحيح . فقلت له : فما بال الصحاح (أي مثل صحيح البخاري ومسلم وما شاكلهما) لم تشتمل عليه؟

قال : أو كل ما كان صحيحا تشتمل عليه كتب الصحاح؟ كم قد أهمل جامعوا الصحاح من الأخبار الصحيحة؟! (١) .

٢ . ولقد اشار الامام علي عليه السلام نفسه في كلام مفصل له مع رأس اليهود إلى هذا الموقف اذ قال :

« ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وعسكر بأصحابه في سد احد واقبل المشركون إلينا فحملوا علينا حملة رجل واحد واستشهد من المسلمين من استشهد ، وكان ممن بقي من الهزيمة ، وبقيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى المهاجرون والانصار الى منازلهم من المدينة كل يقول قتل النبي صلى الله عليه وسلم وقتل أصحابه ، ثم ضرب الله عز وجل وجوه المشركين ، وقد جرحت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا وسبعين جراحة ، منها هذه ، وهذه .»  
ثم انه عليه السلام ألقى رداءه ، وأمر يده على جراحاته ، وقال :  
« وكان مني في ذلك ما على الله عز وجل ثوابه إن شاء الله » (٢) .

(١) شرح نصح البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٤ ص ٢٥٠ و ٢٥١ .

(٢) الخصال : ص ٣٦٨ .

وقد بلغ علي عليه السلام . حسب رواية علل الشرائع . من كثرة ضربه لطوائف المشركين الذين كانوا يحملون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم احد ، ان انكسر سيفه ، فجاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : يا رسول الله إن الرجل يقاتل بسلاحه وقد انكسر سيفي ، فأعطاه عليه السلام سيفه ذا الفقار فما زال يدفع به عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال جبرئيل في حقه وفي سيفه ما مر <sup>(١)</sup> .  
وقد اشار ابن هشام في سيرته إلى العبارة التي نادى بها جبرئيل إذ قال : وحدثني بعض أهل العلم ان ابن أبي نجيح قال : نادى مناد يوم احد : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي <sup>(٢)</sup> .

كما عد ابن هشام في سيرته <sup>(٣)</sup> القتلى من المشركين في احد (٢٢) رجلا ، وقد ذكر أسماءهم واحدا واحدا وذكر قبائلهم ، وغير ذلك من خصوصياتهم ، وقد قتل منهم (١٢) رجلا بيد علي عليه السلام ، وقتل البقية بأيدي المسلمين ، ونحن نعرض هنا عن ذكر اسماء اولئك المقتولين رعاية للاختصار.

هذا ونحن نعترف بأننا لم نستطع بيان كل ما قام به علي عليه السلام من خدمات كبرى في هذه الصفحات القلائل على نحو ما جاء في كتب الفريقين السنة والشيعية وبخاصة في موسوعة بحار الأنوار.

إن ما نستفيده من مطالعة الروايات والأخبار الثابتة والمتعددة في هذا المجال هو انه لم يثبت أحد في معركة « احد » كما ثبت علي عليه السلام <sup>(٤)</sup> .

٢ . أبو دجانة ، وهو البطل المسلم الثاني بعد الامام علي عليه السلام في الصمود ، والتضحية ، والبسالة والفداء دفاعا عن حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم .  
فقد بلغ من حرصه على حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودفاعه عنه أن

(١) علل الشرائع : ص ٧ ، بحار الانوار : ج ٢٠ ص ٧١ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ١٠٠ .

(٣) السيرة النبوية : ج ٢ ص ١٢٧ و ١٢٨ .

(٤) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٨٤ .

جعل من نفسه ترسا يقى النبي ﷺ من سيوف الكفار ورماحهم ، وسهامهم وأحجارهم ، وقد وقعت سهام كثيرة في ظهره ولكنه ظل مترسا بجسمه دون النبي ، وبذلك حافظ على حياته الشريفة (١) .

وقد جاء أن رسول الله ﷺ قال له يوم « احد » بعد ان فرّ وانهمز أصحاب رسول الله ﷺ وحاصره الكفار من كل جانب يا أبا دجانة أما ترى قومك ، قال : بلى ، قال : « الحق بقومك وأنت في حل من بيعتي ، أما عليّ فهو أنا وأنا هو » .  
فبكى أبو دجانة بكاء مرا وقال :

لا والله ، لا جعلت نفسي في حل من بيعتي إني بايعتك ، فإلى من أنصرف يا رسول الله الى زوجة تموت ، أو ولد يموت ، أو دار تخرب ، أو مال يفنى ، أو أجل قد اقترب؟  
فهرّ له النبي ﷺ فلم يزل يقاتل حتى اثنخته الجراحة وهو في وجهه و « علي » في وجهه ، فلما سقط احتمله علي عليه السلام فجاء به إلى النبي ﷺ فوضعه عنده فقال : يا رسول الله أوفيت ببيعتي؟ قال : نعم (٢) .

وقد ذكر في كتب التاريخ أشخاص آخرون كعاصم بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، وطلحة بن عبيد الله ، وغيرهم ممن يبلغ . حسب بعض الكتب . ٣٦ شخصا ادعي أنهم ثبتوا ولم يفروا ، إلا أنّ ما هو مسلم به تاريخيا هو ثبات علي عليه السلام وأبي دجانة ، وحمزة وامرأة تدعى أم عامر ، وأما ثبات غير هؤلاء الأربعة فامر مظنون بل ومشكوك في بعضهم .  
٣ . حمزة بن عبد المطلب ، عم رسول الله ﷺ وكان من شجعان العرب ومن المعروفين ببطولاته في الاسلام ، وهو الذي أصرّ على أن

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٨٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ١٠٧ و ١٠٨ عن روضة الكافي : ص ٣١٨ - ٣٢٢ .

يخرج المسلمون من المدينة ويقاتلوا قريشا خارجها.

ولقد دأب حمزة على حماية رسول الله ﷺ من أذى المشركين والوليين في اللحظات الخطيرة ، والظروف القاسية من بدء الدعوة المحمدية بمكة.

وقد رد على أبي جهل الذي كان قد أذى رسول الله ﷺ بشدة ، وضربه ضربه شج بها رأسه في جمع من قادة قريش ولم يجرأ احد على مقابلته.

لقد كان حمزة مسلما مجاهدا وبطلا فدائيا متفانيا في سبيل الاسلام ، فهو الذي قتل « شيبة » وشيبة من كبار صناديد قريش وابطالها ، في بدر كما قتل آخرين ، ولم يهدف إلا نصرة الحق ، والفضيلة ، وإقرار الحرية في حياة الشعوب والامم.

ولقد كانت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان تحقد عليه أشد الحقد ، وقد عزمتم على أن تنتقم من المسلمين لأبيها مهما كلف الثمن.

فأمرت « وحشيا » وهو غلام حبشي لجبير بن مطعم الذي قتل هو الآخر عمه في بدر بأن يحقق غرضها ، وأملها كيفما استطاع ، وقالت له : لعن قتلت محمدا أو عليا أو حمزة لاعطينك رضاك.

فقال وحشي لها : أما محمد فلا أقدر عليه ، وأما علي فوجدته رجلا حذرا كثير الالتفات فلا أطمع فيه ، وأما حمزة فاني أطمع فيه لأنه اذا غضب لم يبصر بين يديه.

يقول وحشي : ولما كان يوم احد كمنت لحمزة في أصل شجرة ليدنونا مني ، وكان حمزة يومئذ قد أعلم بريشة نعامة في صدره ، فو الله إني لأنظر إليه يهدد الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء ، فهزرت حرتي . وكان ماهرا في رمي الحراب . حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت في ثنته ( وهي أسفل البطن ) حتى خرجت من بين رجله ، وذهب لينوء نحوي ، فغلب ، وتركته واياها حتى مات ، ثم أتيت فأخذت حرتي ثم رجعت الى العسكر فقعدت فيه ، ولم يكن لي بغيره حاجة ، وانما قتلته لأعتق .

فلما قدمت الى مكة اعتقت ثم اقامت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت الى الطائف فمكثت بها. فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيبت علي المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام أو اليمن ، أو ببعض البلاد ، فو الله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل : ويحك إنه والله ما يقتل أحدا من الناس دخل في دينه ، وتشهد شهادته. فلما قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يرعه إلا بي قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق ، فلما رأني قال : أو حشي؟! قلت : نعم يا رسول الله.

قال : اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة ، فحدثته بما جرى له معه ، فلما فرغت من حديثي قال : ويحك! غيب عني وجهك فلا أرينك. أجل هذه هي الروح النبوية الكبرى ، وتلك هي سعة الصدر التي وهبها الله تعالى لنبيه ﷺ قائد الاسلام الأعلى ، ومعلم البشرية الاكبر ، تراه عفى عن قاتل عمه ، مع أنه كان في مقدوره أن يعدمه بمائة حجة وحجة!! يقول وحشي : فكنت أتكذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان لئلا يراني ، حتى قبضه الله ﷺ.

فلما خرج المسلمون الى قتال مسيلمة الكذاب خرجت معهم ، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رايت مسيلمة الكذاب قائما في يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأت له ، وتهيأت له رجل من الأنصار من الناحية الاخرى ، كلانا يريد فهورت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها إليه ، فوقع في فيه ، وشد عليه الأنصاري فضربه بالسيف. هذا هو ما ادعاه وحشي ، بيد أن هشام قال في سيرته : بلغني أن وحشيا لم يزل يجد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول : قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة (١).

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٧٢ و ٧٣.

#### ٤ . أم عمارة :

لا ريب أن الجهاد الابتدائي مرفوع عن المرأة ساقط عنها في نظر الاسلام ، ولهذا عند ما أوفدت نساء المدينة امرأة الى رسول الله ﷺ لتتحدث معه حول الحرمان من هذه العبادة الكبرى ، فجاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت : يا رسول الله نحن نقوم بكل ما يحتاج إليه الرجال في حياتهم ، ليجاهدوا ببال فارغ ، فلم حرمانا نحن من هذه الفضيلة؟! فأجابها رسول الله ﷺ قائلاً : « إن حسن التبعل يعدل ذلك كله » ، وهو ﷺ يشير إلى أن لهذا المنع أسبابه الطبيعية والوظيفية في طبيعة المرأة وخلقتها ، وليس هو بالتالي يعني حرمانها من شيء فان قيامها على الوجه الصحيح بخدمة زوجها وتربية أولادها تعدل الجهاد في سبيل الله (١) .

بيد أن بعض النسوة المحربات ربما كن يخرجن من المدينة لمساعدة جنود الاسلام كسقي العطاشى ، وغسل ثياب المقاتلين ، وتضميد الجرحى . وبذلك كن يقدمن خدمة مؤثرة في نصرة المسلمين ودعمهم .

تقول أم عمارة ( نسيية المازنية ) : خرجت أول النهار الى « احد » وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت الى رسول الله ﷺ وهو في الصحابة ، والدولة والريح للمسلمين .

فلما انهزم المسلمون انخرت الى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ﷺ بالسيف ، وأرمي بالقوس حتى خلصت إلى الجراح . ( تقول راوية هذا الكلام ) فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت : يا أم عمارة من أصابك بهذا؟! .

قالت : أقبل ابن قميئة وقد ولّى الناس عن رسول الله ، يصيح : دلّوني على

---

(١) اسد الغابة : ج ٥ ص ٣٩٨ .



محمد ، لا نجوت إن نجما. فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه ، فكنت فيهم فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذاك ضربات ، ولكنّ عدوّ الله كان عليه درعان. هذا والنبي ﷺ ينظر إليّ ، فنظر الى جرح على عاتقي ، فصاح بأحد اولادي وقال : « أمّك أمّك اعصب جرحها ». فعاونني عليه.

ثم إنّها رأت أن ابنها جرح فاقبلت إليه ومعها عصائب في حقوبها قد أعدّتها للجراح فربطت جرحه والنبي ﷺ ينظر ، ثم قالت لولدها : انحض يا بني فضارب القوم. فأعجب رسول الله ﷺ باستقامتها وثباتها وإيمانها وقال : « ومن يطيق ما تطيقين يا أمّ عمارة؟! »

وفي الأثناء اقبل الرجل الذي ضرب ولدها فقال رسول الله ﷺ هذا ضارب ابنك فاعترضت له ، وحملت عليه كالأسد المغضب وضربت ساقه فبرك. فازداد رسول الله ﷺ إعجابا بشجاعته وتبسّم حتى بدت نواجذه وقال : « استقدت يا أمّ عمارة الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عابو ».

وعند ما نادى منادي النبي ﷺ الى حمراء الأسد ، بعد معركة احد ، وطلب من الجرحى أن يخرجوا لملاحقه جيش المشركين ، شدّت عليها ثيابها وقد كان بها جراح عديدة أعظمها الجرح الذي على عاتقها فما استطاعت بسبب نرف الدم ، فأرادت أن تخرج مع العسكر منعته جراحها الباهضة من ذلك ، فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة حمراء الاسد ما وصل الى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها فرجع إليه يخبره بسلامتها ، فسّر النبيّ بذلك.

ولقد أثار موقف هذه المرأة البطلة الثابتة على درب الايمان سرور النبي واعجابه فقال في حقها مشيدا بموقفها البطل ومعرضا بفرار من فر وهروب من هرب في معركة احد :

« لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من فلان وفلان ».

وكانت نسيبة قد طلبت من النبي ﷺ يوم احد بعد أن أشاد النبي ﷺ بصلابتها ومواقفها أن يدعو لها بمرافقته في الجنة فقال النبي ﷺ داعيا لها ولأهل بيتها :

« بارك الله عليكم من أهل بيت رحمكم الله. اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة ».

وقال ابن أبي الحديد معلقا على عبارة رسول الله ﷺ : « لمقام نسيبة اليوم خير من مقام فلان وفلان » قلت : ليت الراوي لم يكن هذا الكناية ، وكان يذكر من هما بأسمائهما حتى لا يرمى الظنون إلى امور مشتبهة ، ومن أمانة الحديث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتم منه شيئا فما باله كتم اسم هذين الرجلين <sup>(١)</sup>.

ولكننا نعتقد أن الرجلين هما من الشخصيات التي تسنمت مراكز القيادة العليا بعد وفاة رسول الله ﷺ وقد أحجم الراوي عن التصريح بأسمائهما إما احتراما أو تقية وخوفا.

**بقية واقعة « احد » :**

لقد آلت تضحيات ثلة قليلة ومعدودة من رجال الاسلام المتفانين وبسالتهم الى الابقاء على حياة رسول الله ﷺ وحفظها من الخطر القطعي الحتمي.

ومن حسن الحظ أن أكثر أفراد العدو قد تصوروا يومئذ أن النبي ﷺ قد قتل ، ومضوا يفتشون عن جسده بين القتلى ، ودفعت الحملات التي كان يقوم بها أقلية من المشركين على رسول الله ﷺ قد ريد<sup>١</sup> على

---

(١) شرح نصح البلاغة لابن ابي الحديد : ج ١٤ ص ٢٦٥ - ٢٦٧ ، المغازي : ج ١ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ١٣٤ .

اعقابها بفضل ثبات علي عليه السلام وأبي دجانة وأنفار آخرين ( احتمالاً ) وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن من الصالح في تلك اللحظات أن لا ينتشر تكذيب شائعة مقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكي لا يصير العدو على البقاء في أرض المعركة مع ما كان عليه المسلمون من التشتت والتفرق ، والمحنة ، ومن هنا صعد هو وبعض أصحابه إلى الشعب في جبل احد.

وفي خلال ذلك سقط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حفيرة في الجبل حفرها أبو عمار الفاسق للمسلمين ، فأخذ علي عليه السلام بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخرجه منها ، وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين ، « كعب بن مالك » وقد رأى عينيه صلى الله عليه وآله وسلم تزهقان من تحت المغفر فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أنصت.

وذلك لأن انتشار خبر سلامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان من شأنه أن يدفع المشركين . كما قلنا . الى مواصلة حملاتهم على المسلمين ، بهدف استئصال شأفتهم ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كعبا بالسكوت ، فسكت كعب.

وأخيرا وصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى فم الشعب ، ولما عرف المسلمون بحياته صلى الله عليه وآله وسلم سورا بذلك وأخذوا يتجمعون عنده ، وهم يظهرون الندامة من تركه بين الاعداء ، والفرار بأنفسهم الى الجبل ، وأخرج أبو عبيدة الجراح حلقتي المغفر من وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاء علي عليه السلام بماء في درقته فغسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاء علي عليه السلام بماء في درقته فغسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به الدم عن وجهه وصب منه على رأسه وقال : « اشتد غضب الله علي من دمى وجه نبيّه » <sup>(١)</sup>.

### العدو يحاول استغلال الفرصة :

في الوقت الذي واجه المسلمون فيه هزيمة كبرى انهارت بها الكثير من

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٨٣.

المعنويات اغتنم العدو الفرصة للترويج عن معتقداته ، فأطلق شعارات متعددة ضد عقيدة التوحيد ، كان من شأنها أن تغري البسطاء ، والضعفاء في الإيمان وتؤثر فيهم ، وتزلزل إيمانهم. فليست هناك حالة لبث العقائد وتسريبها إلى النفوس أفضل من حالة الانهزام والنكسة ، والبلاء والمصيبة ، ففي حالة كهذه يبلغ الضعف النفسي لدى المصاب والمنكوب حداً يفقد معه العقل سيطرته على الانسان بحيث يفقد على أثر ذلك قدرة التمييز بين الحق والباطل وفي هذه الصورة تصبح مسألة بث الدعايات السيئة وزرعها في النفوس واستثمارها مسألة بسيطة ، اذ يكون الانسان في هذه الحالة أكثر تقبلاً وأيسر قبولاً.

من هنا عمد أبو سفيان وعكرمة فرغوا فرفعوا أصناماً كبيرة على الأيدي بعد الحاق الهزيمة بالمسلمين ، وأظهروا الفرح والسرور وأخذوا ينادون بأعلى أصواتهم . مستغلين هذه الفرصة . :  
« اعل هبل ، اعل هبل !! »

ويعنون بذلك الشعار أن الانتصار الذي أحرزه المشركون إنما هو بفضل الصنم : هبل ، وبالتالي بفضل الوثنية التي تدين بها أهل مكة. ولو كان ثمة إله سواه ، وكانت عقيدة التوحيد على حق لانتصر المسلمون ، ولما خلص إليهم من المحنة ما خلص

فادرك رسول الله ﷺ عمق الخطر الذي يكمن في الأسلوب الذي أخذ العدو يمارسه في مثل هذه اللحظة الحساسة ، وما ستركه ذلك من أثر سيئ في النفوس ، وبخاصة الضعيفة منها. ولهذا تناسى كل أوجاعه ومصاعبه وأمر علياً والمسلمين فوراً بأن يجيبوا منادي الشرك بشعار مضاد قوي ، فقال : قولوا :

« الله أعلى واجلّ ، الله أعلى واجلّ ».

أي أنّ هذه الهزيمة ليست نابعة من عقيدة التوحيد ، بل هي ناشئة من انحراف بعض الجنود عن أوامر القائد وتعليماته العسكرية الحكيمة.

ويبدو أن أبا سفيان لم يكف عن اطلاق شعاراته ، والمضني في الدعاية لمعتقده الباطل فقال : نحن لنا العزّ ولا عزى لكم!!

فأمر النبي ﷺ بأن ينادي المسلمون بشعار مضاد لشعار أبي سفيان ، مشابه له في الوزن والسجع فقال : قولوا :

« الله مولانا ولا مولى لكم ».

أي اذا كنتم تعتمدون على صنم مصنوع من الحجر والخشب ، فاننا نعتمد على الله الخالق ، القادر والعلي الاعلى.

فنادى منادي الشرك ثالثا : يوم بيوم بدر. فأمر رسول الله ﷺ بان يجيبه المسلمون.

« لا سواء قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار ».

فكان لشعارات المسلمين القوية الرادعة التي كان يرددها المغات ، أثرها العجيب في نفس رأس الشرك أبي سفيان الذي بدأ هذه الحملة النفسية والحرب الباردة بغية تحطيم إيمان المسلمين ، ورأى كيف ارتد كيده إلى نحره ولهذا انزعج بشدة وقال : ألا إن موعدكم بدر للعام القابل.

ثم انصرف إلى أصحابه ، وغادروا جميعا أرض المعركة راجعين إلى مكة (١).

وكان على المسلمين الآن . وفيهم مئات الجرحى والمصابين وسبعون قتيلًا . أن يصلّوا الظهر والعصر فصلّى بهم رسول الله ﷺ جلوسا ، وصلّوا معه جلوسا ، لما أصابهم من الضعف ، ثم أمر رسول الله ﷺ بدفن الشهداء ، ومواراتهم الثرى عند جبل احد.

### نهاية المعركة :

وضعت الحرب أوزارها ، وتباعد الجانبان ، وقد تحمّل المسلمون من الخسائر في الارواح ثلاثة أضعاف ما تحمّله المشركون. وكان عليهم أن يبادروا إلى دفن الشهداء على النحو الذي أمرهم به الدين.

ولكنهم فوجئوا بأمر فضيع ، فقد اغتنمت نسوة من قريش وفي طليعتهن هند

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٩٤.

زوجة ابي سفيان فرصة انشغال المقاتلين المسلمين وارتكبن بحق الشهداء الابرار ، جنابة فظيعة لم يعرف لها تاريخ البشرية مثيلا ، فهن لم يكفينا بالانتصار الظاهري بل عمدن إلى التمثيل بشهداء المسلمين ، تمثيلا مروعا فخمشن وجوههم ، وقطعن الأنوف ، وجدعن الاذان ، وسملن العيون ، وقطعن أصابع الأيدي والأرجل ، والمذاكير ، وصنعن منها القلائد والاساور ، نكاية بالمسلمين ، واطفاء للحقد الدفين ، وبذلك الحقن بهنّ وبأوليائهنّ عارا لا ينسى .

فان جميع الامم والشعوب . متفقة على أن الميت الذي لا يستطيع دفاعا عن نفسه ، ولا يتوقع منه ضرر يجب احترامه ، ويحرم اهانتته وان كان عدوا. ولكن هندنا زوجة ابي سفيان ومن كان برقتها من نساء المشركين مثلن بأجساد القتلى شر تمثيل ، وصنعن مما قطعن منها الاساور والقلائد ، وبقرت « هند » بالذات صدر حمزة بطل الاسلام الفدائيّ ، وأخرجت كبده ، ولاكنه بين أسنانها ولكنها لفظته ولم تستطع أكله .

وقد بلغ هذا العمل من القبح ، والسوء أن تبرأ منه أبو سفيان وقال : « في قتلاكم مثلة لم أمر بها »<sup>(١)</sup> .

وقد عرفت هند بسبب فعلتها الشنيعة هذه بأكلة الاكباد ، ودعي أبنائها في ما بعد ببني آكلة الاكباد .

ولما أبصر رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب ، ببطن الوادي وقد بقر بطنه عن كبده ، ومثّل به فجدع أنفه واذناه ، حزن حزنا شديدا وغاضه تمثيلهم به فقال :  
« ما وقفت موقفا قط أغيظ إلي من هذا! » .

ثم إن المؤرّخين يتفقون على أن المسلمين تعاهدوا في ذلك الموقف ( وربما نسب هذا إلى النبي نفسه ) لعن أظفرهم الله بالمشركين يوما أن يمثلوا بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب أو يمثلوا بدل الواحد ثلاثين .

(١) السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٢٤٤ .

ولم يمض زمان حتى نزل جبرئيل بقوله تعالى :

« **إِلَّا بِاِقْتِنَمٍ عَاقِبُ الشُّرَاكِيْمِ هِ رِيْنِيْ هُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِيْنَ** » (١).

ولقد كشف الاسلام مرة اخرى ومن خلال هذه الآية . التي تتضمن أصلا اسلاميا في مجال القضاء مسلما به . عن وجهه الانساني العاطفي ، وأظهر للجميع بأن الدين الاسلامي ليس شريعة انتقام ، وثأر ، فهو يعلم أتباعه بأن لا يغفلوا في أشد اللحظات والحالات النفسية هياجا وغضبا عن قانون العدالة ، والحق ، وبهذا يكون الاسلام قد راعى مبادئ العدالة والانصاف على الدوام ، وصانها من الانهيار ، والسقوط.

ولقد أصرت صفة أخت حمزة أنّ ترى جثمان أخيها ، إلا أنّ النبي ﷺ أمر ابنها الزبير أن يجسها ويصرفها عن ذلك لكي لا ترى ما بأخيها فلا تحتل الصدمة.

فقال صفة : قد بلغني أن قد مثل بأخي وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك !  
لاحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.

فأخبر الزبير رسول الله ﷺ بمقاتلتها فقال ﷺ : حلّ سبيلها ، فأنته ، فنظرت إليه فصلّت عليه ، واسترجعت ، واستغفرت له ، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن (٢) .  
حقا أن قوة الإيمان أعظم القوى ، فهي تحبس الانسان وتحفظه في أصعب الحالات ، وتفيض على صاحبه حالة من السكينة والوقار.

ثم إن رسول الله ﷺ صلى على شهداء أحد الأبرار ، وأمر بدفنهم واحدا واحدا أو اثنين اثنين ، وأمر بأن يدفن « عمرو بن الجموح » و « عبد الله بن عمرو » في قبر واحد.

(١) النحل : ١٢٦ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٩٧ .

قائلا :

« ادفنوا هذين المتحايين في قبر واحد » <sup>(١)</sup>.

### آخر ما نطق به سعد بن الربيع :

كان سعد بن الربيع من صحابة رسول الله ﷺ الأوفياء ، وكان رجلا مؤمنا مخلصا ، عظيم الوفاء والحب لرسول الله ﷺ ، وقد اصيب في « احد » اثنتا عشرة اصابة قاضية فسقط على الأرض.

فمر عليه رجل يدعى مالك بن الدخشم فقال له : أما علمت أن محمدا قد قتل؟ فقال سعد : اشهد أن محمدا قد بلغ رسالة ربه ، فقاتل أنت عن دينك فان الله حي لا يموت <sup>(٢)</sup> . ثم إنه قد مر عليه رجل من الانصار وهو في هذه الحال وبعد أن وضعت الحرب أوزارها فقال لسعد : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أي الاحياء أنت أم في الأموات؟ فقال سعد : أنا في الأموات فابلق رسول الله ﷺ عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزى نبيا عن امته وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص الى نبيكم ﷺ ومنكم عين تطرف.

ثم لم يبرح ذلك الانصاري حتى قضى سعد بن الربيع نجه ، فجاء الأنصاري الى رسول الله ﷺ وأخبره بما قال. فقال رسول الله ﷺ :

« رحم الله سعدا نصرنا حيا واوصى بنا ميتا » <sup>(٣)</sup>.

إنَّ حبَّ الانسان لنفسه ، أو ما يصطلح عليه العلماء بحبِّ الذات من الغرائز

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٩٨ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ١٣١ .

(٢) و (٣) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٩٥ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ١٢ .



القوية المتأصلة في كيان الانسان بحيث لا يمكن لأي أحد أن يغفل عنها مهما كانت الظروف وهي بالتالي من القوة والهيمنة على وجود الانسان بحيث يضحي في سبيلها بكل شيء.

ولكن قوة الايمان وحب الانسان للعقيدة ، وتعشقه للمعنويات أقوى وأشدّ تأثيراً من ذلك ، فهذا الجندي الشجاع لم يكن بين . حسب ما تفيده النصوص التاريخية . وبين الموت في ذلك الوقت سوى لحظات ، ومع ذلك نجده ينسى نفسه ، ويفكر في حياة رسول الله ﷺ الذي كان يعتبره أقوى سبب لبقاء الدين ، ودوام الشريعة ، وهذا هو الهدف المقدس الذي قاتل من أجله سعد البطل ، ولهذا لا يحمل ذلك الرجل الأنصاري سوى رسالة واحدة إلى أصحاب رسول الله ﷺ يجتهد فيها على السهر على حياة النبي ﷺ والعمل معه على تحقيق أهدافه ، في ارساء دعائم التوحيد.

### النبي يعود الى المدينة :

كانت الشمس تميل نحو المغرب وكانت تستعد لللمعة أشعتها الذهبية من صفحة الكون ، وكان السكون والصمت يخيم على كل مكان من الأرض .  
في مثل هذه اللحظات كان على المسلمين المقاتلين أن يعودوا بجرحاهم الى منازلهم في المدينة ليستعيدوا قواهم ، ويجددوا نشاطهم ، ويضمّدوا جرحاهم .  
ولهذا صدرت أوامر من جانب النبي ﷺ بالتوجه نحو المدينة .  
فلما كانوا بأصل الحرة قال ﷺ : اصطفوا فنثني على الله ، فاصطف الرجال صفيين خلفهم النساء ثم دعا فقال :

اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا هادي لمن اضللت ولا مضل لمن هديت ، ولا مقرب باعدت ولا مباعد لما قرّبت .

اللهم اني أسألك من بركتك ، ورحمتك وفضلك وعافيتك .

اللهم اني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول .

اللهم اني أسألك الأمن يوم الخوف والغنى يوم الفاقة عائذا بك .  
اللهم من شر ما أنطيتنا وشر ما منعت منا .  
اللهم توفنا مسلمين .

اللهم حبب إلينا الايمان ، وزينه في قلوبنا ، وكزه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا  
من الراشدين .

اللهم عذّب كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسولك ويصدون عن سبيلك .  
اللهم أنزل عليهم رجسك وعذابك إله الحق . آمين <sup>(١)</sup> .

وقد كان هذا العمل خطوة مهمة جدا من الناحية النفسية فقد أمد هذا الدعاء نفوس  
المسلمين المصابين بطاقة روحية ضخمة مما كان من شأنه تخفيف وطأة الهزيمة وتقوية عزائم  
المسلمين ، كما علمهم أن يلجئوا إلى الله تعالى في كل حال .  
فدخل رسول الله ﷺ ومعه أصحابه من الانصار والمهاجرين الذين شاركوا في تلك  
المعركة المدينة .

وكانت أكثر بيوت المدينة قد تحوّلت الى مناجات ومآتم ، يرتفع منها أصوات بكاء  
الامهات والازواج والبنات اللاتي أصبن في رحلهن وأوليائهنّ ، وآبائهنّ .  
ولما مر رسول الله ﷺ على منازل بني عبد الاشهل وسمع ندبة النساء ، وبكاءهنّ  
حزن وانحدرت دموعه على خديه وقال :  
« لكن حمزة لا بواكي له » <sup>(٢)</sup> .

فلما عرف سعد بن معاذ واسيد بن حضير بذلك أمرا جماعة من نسائهم بأن يذهبن  
فبيكين على عم رسول الله ﷺ .  
فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده  
بيكين عليه فقال :

(١) امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٦٢ و ١٦٣ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٩٩ .

« ارجعن يرحمك الله فقد آسيتن بأنفسكن ».

وقيل لما سمع ﷺ بكاءهن قال :

« رحم الله الأنصار ، فإنّ المواساة منهم ما علمت لقديمة .. مروهن فلينصرفن »<sup>(١)</sup>.

### ذكريات مثيرة عن امرأة مؤمنة :

إن للنسوة المؤمنات صفحات مشرقة ، وعجيبة في تاريخ الاسلام ، لأننا قلما نجد لها نظيرا في عالم المرأة اليوم.

ومن تلك النسوة المؤمنات ذوات المواقف الرائعة والعجيبة في صدر الاسلام المرأة الدينارية ، التي اصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ باحد.

فأثما لما نعوا لها مصرع رجالها قالت : فما فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا : خيرا يا أمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبين.

قالت : أرونيه حتى أنظر إليه؟

فاشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جليل (اي صغيرة)<sup>(٢)</sup>.

ما أعظم تلك الاستقامة ، وما أعظم ذلك الايمان الذي يجعل من الانسان طودا راسخا ثابتا في وجه العواصف والاعاصير.

### نموذج آخر من النسوة المجاهدات :

لقد أشرنا في الصفحات الماضية بصورة إجمالية إلى قضية « عمرو بن الجموح » الذي

آلى على نفسه أن يشارك في الجهاد مع ما كان به من العرج

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٩٩ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٦٣ و ١٦٤.

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٩٩.

الموجب لسقوط الجهاد كما عرفت .

فقد شارك هذا المسلم الصادق والمؤمن المجاهد في معركة احد ، ومضى يقاتل في الصف الاول من المجاهدين ، وشارك ابنه « خالداً بن عمرو بن الجموح » وأخو زوجته « عبد الله بن عمرو »<sup>(١)</sup> في هذا الجهاد المقدس ، واستشهدوا جميعاً في تلك المعركة أيضاً .  
فخرجت « هند » زوجته وهي بنت عمرو بن حزام ، عمه جابر بن عبد الله الأنصاري الى « احد » وحملت أجسادهم على بعير وتوجهت بها نحو المدينة ، بمنتهى الجلالة ، ورباطة الجأش .

وعند ما فشى في المدينة أن رسول الله ﷺ قتل باحد خرجت النسوة ، يتأكدن من هذا النبأ ، فالتقت هند ببعض نساء النبي ﷺ . وهي عائدة من احد . فسألتهن عن النبي ﷺ فقالت : خيراً ، أما رسول الله فصالح ، وكل مصيبة بعده جليل ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء ، وقرأت قول الله تعالى : « **وَرِءَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَىٰ لَهُمْ ۗ يَنَالُوا حَبِيرًا ...** »  
!!

فسألوا : من هؤلاء؟

قالت : أخي ، وابني خالد ، وزوجي عمرو بن الجموح!!

فقلن لها : فأين تذهبين بهم؟

قالت : إلى المدينة اقبرهم بها .. ثم زجرت بعيرها تحته على السير قائلة : حل .. حل في نبرة صامدة .

ومرة اخرى يظهر في هذه الصفحة الناصعة من تاريخ الاسلام نموذج حي آخر من مشاهد الثبات والصمود ، والاستقامة ، وتجاوز المصائب ، وتحمل الآلام والشدائد في سبيل الهدف المقدس ، وكل ذلك من فعل الايمان ، ونتائجه .

إن المذاهب المادية لا ولن تستطيع تربية أمثال هذه النسوة والرجال المتفانين في سبيل العقيدة ، يمثل هذا التفاني العظيم .

---

(١) وهو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام الأنصاري .

على أن هؤلاء لم يقاتلوا من أجل المآرب المادية ، وإنما قاتلوا من أجل الهدف ، وهو إعلاء كلمة الدين وإقامة صرح التوحيد ، ومحو الوثنية والشرك.

هذا وفي بقية هذه القصة ما هو أعجب من أولها ، وهو أمر ، لا يمكن أن يدرك بالمقاييس المادية ، والأسس التي ينطلق منها أصحاب الاتجاه المادي في تحليل القضايا التاريخية. وإنما يهضمها . فقط . من يؤمن بعالم آخر وراء العالم الماديّ الصرف ، ويصدّق بتأثيره في هذا العالم ، وبالتالي لا يقبل بها إلاّ من يصدّق بقضية الإعجاز والمعجزة ، ويذعن لها ويعترف بصحتها من غير تلكؤ وإبطاء.

واليك هذه البقية :

لما زحرت هند بعيرها لتدخل به المدينة برك البعير في مكانه.

فقال النسوة التي كن هناك : لعلّه برك لما عليه.

فقال هند : ما ذاك به ، لربما حمل ما يحمل البعيران ، ولكيّ أراه لغير ذلك. فزجرته

ثانية ، فقام ، فلما وجّهت به إلى المدينة برك ، فوجهته راجعة الى احد فاسرع.

فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بذلك ، فقال رسول الله ﷺ : فان الجمل مأمور.

هل قال ( يعني : عمرو بن الجموح ) شيئاً؟

قالت : إنّ عمرا لما وجهه إلى احد استقبل القبلة ، وقال : اللهم لا تردني إلى أهلي خزيا ،

وارزقي الشهادة!!

قال رسول الله ﷺ : « فلذلك الجمل لا يمضي . إن منكم يا معشر الأنصار من لو

أقسم على الله لا يره ، منهم عمرو بن الجموح ، يا هند ما زالت الملائكة مظلة على أخيك

من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن » ، ثم مكث رسول الله ﷺ حتى قبرهم ، ثم

قال : « يا هند قد تراقفوا في الجنة جميعا ، عمرو بن الجموح ، وابنك خلاد ، وأخوك عبد

الله . »

قالت هند : يا رسول الله فادع لي عسى أن يجعلني معهم <sup>(١)</sup>.

(١) امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٤٦ . ١٤٨ .

ثم إن رسول الله ﷺ دخل بيته فلما أبصرت به بنته العزيزة « فاطمة » ورأت ما أصابه من الجراح ذرفت عيناها بالدموع ، فأعطى رسول الله سيفه لابنته ( الزهراء ) حتى تغسله .

وقال الاربلي المؤرخ الشيعي المعروف الذي كان يعيش في القرن السابع الهجري : كان علي يجيء بالماء في ترسه ، وفاطمة تغسل الدم وأخذ حصيرا فاحرقه وحشى به جرحه (١) . وفي الامتاع لما رأت فاطمة الدم لا يرقأ . وهي تغسله وعلي يصب الماء عليها بالحنن . أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا ثم الصقته بالجرح فاستمسك الدم ويقال : داوته بصوفة محترقة (٢) .

### لا بد من ملاحقة العدو :

لقد كانت الليلة التي استقر فيها المسلمون في منازلهم بالمدينة بعد يوم احد ليلة جده خطيرة وحساسة .

فلمنافقون واليهود وأتباع عبد الله بن أبي قد سراً لما أصاب رسول الله ﷺ وأصحابه سرورا كبيرا ، وأظهروا القول السيئ ، وقالوا : ما اصيب نبي هكذا قط . وكان أنين الجرحى والمكلومين وبكاء الموتورين في رحالهم ونياحهم يسمع من أكثر بيوت المدينة .

والأخطر من كل هذا هو التنجوس من أن يقوم المنافقون واليهود بعملية خيانية ضد الاسلام والمسلمين في تلك الظروف .

أو أن يعرضوا وضع العاصمة الاسلامية الثابت ، والوحدة السياسية القائمة في المدينة للخطر بايجاد الاختلاف والتشتت على الاقل .

إن ضرر الاختلافات الداخليّة أشد بكثير من حملات العدو الخارجي ، وإن

(١) كشف الغمة : ج ١ ص ١٨٩ .

(٢) امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٣٧ و ١٣٨ .

انهيار الوحدة والانسجام في الجبهة الداخلية أخطر بكثير من تعرّض البلاد لهجوم من الخارج.

من هنا كان يتعين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يهرب العدو الداخلي ، ويفهمه بأن قوى التوحيد لم تفقد انسجامها وتماسكها وان أية خطوة أو نشاط معاد يهدّد أساس الاسلام للخطر سيسحق بشدة في اللحظة الأولى.

ولهذا أمر رسول الله ﷺ بأن يخرج في نفس الليلة لملاحقة العدو ( أي مشركي مكة ).

فكلّف النبي ﷺ رجلا بأن ينادي في كل مناطق المدينة :  
« ألا عصابة تشدّد لأمر الله تطلب عدوّها ، فاتّما أنكأ للعدوّ وأبعد للسمع .  
ألا لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس » .  
أو قال : « يا معشر المهاجرين والأنصار من كانت به جراحة فليخرج ، ومن لم يكن به جراحة فليقم » .

وانما خرج رسول الله ﷺ كما أسلفنا ليهرب العدو وليبلغهم أنه خارج في طلبهم فيظنوا به قوّة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم<sup>(١)</sup> .  
على أن لهذا التقييد ، ولهذا النهي عن خروج غير الجرحى ، أو من لم يشترك في احد ، عللا أو حكما لا تخفى على العارفين بالسياسة ، والرموز العسكرية .  
ويمكن الاشارة الى بعضها :

أولا : إنّ هذا التحديد ، وبالتالي الاقتصار على من شارك في معركة احد هو نوع من التعريض بمن امتنع من المشاركة في تلك المعركة ، وفي الحقيقة هو نوع من تجريدهم من صلاحية المشاركة في الدفاع المقدّس .

ثانيا : إنّ هذا التحديد هو نوع من عقاب المشاركين في معركة احد ، لأنهم بتجاهلهم لتعاليم القيادة ، وانصرفهم بسرعة الى المطامع المادية ، والغفلة عن ملاحقة العدو في حينه تسببوا في توجيه تلکم الضربة النكراء الى الاسلام ،

(١) جمع البيان للطبرسي : ج ٢ ص ٥٣٥ . ٥٤١ .

ولذلك يجب عليهم انفسهم ملافاة تلك الخسارة ، وترميم ذلك العطب ، لكيلا يعودوا إلى مثل ذلك ، ولا يتجاهلوا أوامر القيادة ، ونحن نعلم أن الانضباطية والتقيد الكامل بالوامر هو أهم عنصر في نجاح الامور العسكرية <sup>(١)</sup> .

بلغ نداء مؤذن النبي ﷺ مسامع شاب من بني الاشهل كان قد شهد احدا مع رسول الله ، فخرج هو وأخوه وهما جريحان مع رسول الله لطلب العدو ، وقد قال أحدهما للآخر : أتفتوتنا غزوة مع رسول الله .

وقد خرجا دون أن تكون لهما دابة يركبانهما وكلاهما مصابان بجروح ثقيلة ، فكان الأيسر منهما يحمل الآخر مسافة ، فاذا تعب مشيا مسافة ، ثم عاد الى حمله حتى انتهيا الى ما انتهى إليه المسلمون <sup>(٢)</sup> .

### حمراء الأسد <sup>(٣)</sup> :

خرج رسول الله ﷺ بأصحابه الى حمراء الاسد ( وهي تبعد عن المدينة بثمانية أميال ) وقد استخلف على المدينة « ابن أم مكتوم » .

وهناك مر به « معبد بن أبي معبد الخزاعي » رئيس بني خزاعة ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم يومذاك ذات علاقات طيبة جدا مع رسول الله ﷺ والمسلمين وكانوا لا يخفون عن النبي شيئا .

فتقدم معبد رئيسهم وعجز رسول الله ﷺ بما أصابه ، وهو يومئذ مشرك قائلا : يا محمد أما والله لقد عجز علينا ما أصابك ، ولوددنا أنّ الله عافاك فيهم .

ثم خرج معبد حتى لقي أبا سفيان ومن معه بمنطقة تدعى بالروحاء وقد

---

(١) كلا هذين الوجهين يستقيمان إذا قلنا بان النبي خرج بكل من شارك في احد لا أنه اقتصر على الجرحى ، كما تصرح به بعض النصوص التاريخية .

(٢) امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٦٨ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ١٠١ .

(٣) لقد عد البعض خروج رسول الله ﷺ الى حمراء الاسد لملاحقة العدو غزوة مستقلة ، وذكرها البعض الآخر في ذيل معركة احد .



عزموا على الرجوع الى رسول الله ﷺ وأصحابه للكرة عليهم ، واستئصالهم ، والقضاء عليهم بالمرّة.

فلما رأى أبو سفيان معبدا ( وكان معبد قد استهدف من خروجه الى أبي سفيان وجماعة المشركين القيام بخدمة لصالح النبي ﷺ وأصحابه ) قال : ما وراءك يا معبد ، وما ذا عندك من الاخبار؟

فقال معبد : . وهو يريد إرعاب قريش وصرْفهم عن الرجوع الى المدينة . محمّد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط ، يتحرّقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق وشدة الغيظ عليكم شيء لم ار مثله قط!!

فقال أبو سفيان : . وقد أربب بشدة من هذا النبأ . ويحك ما ذا تقول؟

قال معبد : والله ما أرى ان ترتحل حتى أرى نواصي الخيل.

قال أبو سفيان : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيّتهم!

قال معبد : فاني أهماك عن ذلك.

وقد تركت كلمات معبد ، ووصفه لقوة المسلمين وعزمهم الشديد على توجيه ضربة الى الكفار أثرها في نفس أبي سفيان الذي تملكه خوف شديد ، دعاه إلى الانصراف عن الرجوع الى المدينة ثانية ، والعزم على القبول الى مكة <sup>(١)</sup>.

ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عسكروا ليلا بجمراء الاسد ، فامر بأن يوقد المسلمون النيران فأوقدوا خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه ، وتصور العدو أن النبيّ جاءهم في جيش عظيم ، فتشاوروا حول الرجوع الى المدينة فنهاهم صفوان عن ذلك ، فانصرفوا <sup>(٢)</sup>.

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ١٠٢ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٦٩ و ١٧٠ .

(٢) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٤٩ .

## لا يخدع مؤمن مرتين :

هذا هو معنى قول النبي الاكرم ﷺ :

« المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ».

ولقد قاله رسول الله ﷺ عند ما أسر المسلمون أبو عزة الجمحي في طريق عودتهم من حمراء الاسد على نحو الصدفة ، وأراد النبيّ ضرب عنقه فاستقال رسول الله ﷺ وطلب منه العفو وكان قد أسر بيدر قبل ذلك ، ثم منّ عليه النبيّ وأطلق سراحه مشترطا عليه أن يكفّ عن المؤامرة ضد النبيّ والمشاركة في قتاله ، ولكنه عاد الى مكة ، وشارك في قتال النبيّ مرة اخرى في احد.

فقال له رسول الله ﷺ ، لما طلب العفو ثانية :

« والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول : خدعت محمّدا مرتين ، إنّ المؤمن لا يلدغ

من جحر مرتين ».

ثم أمر بضرب عنقه ، وضرب عنقه <sup>(١)</sup>.

وأخيرا انتهت معركة احد وقد قدم المسلمون فيها سبعين ، أو اربعة وسبعين ، أو واحدا وثمانين شهيدا على روايات مختلفة ، بينما لم يتجاوز عدد قتلى قريش اثنين وعشرين. وقد نشأت هذه النكسة المهرّ بسبب تجاهل الرماة لتعليمات الرسول القائد على النحو الذي قرأت.

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ١٠٤ ، نلفت نظر القارئ الكريم الى أننا قد ذكرنا في الهوامش مصادر أهم الحوادث في معركة احد وفي إمكان القارئ الكريم لو أراد التوسع ان يراجع المصادر التالية التي اعتمد عليها المؤلف : وهي : الطبقات الكبرى لابن سعد : ج ٢ ص ٣٦ - ٤٩ ، المغازي : ج ١ ص ١٩٩ - ٣٤٠ ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : ج ١٤ ص ١٤ - ٢١٨ ، وج ٥ ص ٦٠ ، وبحار الأنوار : ج ٢٠ ص ١٤ - ١٤٦ ، وامتاع الاسماع : ج ١ ص ١١٣ - ١٦٦ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٠ - ١٦٨ .

وقد وقعت معركة احد يوم السبت السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة النبوية الشريفة ، هذا مضافا الى غزوة حمراء الاسد التي استمرت إلى يوم الجمعة من ذلك الاسبوع نفسه ، فتكون قضايا ووقائع هذه الغزوة في الرابع عشر من شهر شوال من نفس تلك السنة.

### ميلاد الامام الحسن السبط :

هذا وقد ولد في هذه السنة ( اي السنة الثالثة من الهجرة ) سبط رسول الله ﷺ الاكبر الإمام الحسن بن علي ؑ في منتصف شهر رمضان من تلك السنة ، واجرى له رسول الله ﷺ مراسيم ولادة خاصة ذكرها أصحاب الحديث وتجد تفصيلها في سيرة الائمة من أهل البيت النبوي الطاهرين.

### فاجعة فريق المبلّغين (١)

لقد ظهرت الآثار السياسية لنكسة المسلمين في معركة « احد » بصورة واضحة بعد الحرب.

فمع أن المسلمين أظهروا مقاومة رائعة أمام العدو المنتصر ومنعوا من رجعتهم الى المدينة وتحقيق أهدافه الخطيرة في استئصال المسلمين إلا أن التحريكات الداخلية والخارجية ضد الاسلام بمدف القضاء على هذا الدين ، ورجاله قد تصاعد مدّها في أعقاب حادثة « احد » .

وقد تجرّأ منافقو المدينة ، ويهودها والمشركون المتواجدون في شتى النقاط البعيدة خارج المدينة على أثر ذلك ، وبدءوا يميكون المؤامرات ضدّ الاسلام والمسلمين ويجمعون الاسلحة والرجال لشن الحروب والغارات على المدينة.

وقد استطاع رسول الله ﷺ وبمهارة كبيرة إطفاء كل تلك التحريكات ، كما واستطاع قمع تحركات القبائل الفاطنة خارج المدينة التي كانت تنوي الهجوم على المدينة وذلك بارسال السرايا والمجموعات القوية من المجاهدين.

وفي هذا الاثناء بلغ رسول الله ﷺ نبأ مفاده أن قبيلة بني أسد تنوي الهجوم على المدينة وتسخيرها ، وقتل المسلمين ، ونهب أموالهم ، فبعث رسول الله ﷺ من فوره جماعة من المقاتلين يبلغ عددهم (١٥٠)

(١) وقعت حادثة قتل المبلّغين في الشهر السادس.

رجلا بقيادة « أبي سلمة » الى منطقة تجمع المتأمرين .  
ثم إنه ﷺ أوصاهم بأن يخفوا مقصدهم الأصلي ، ويسلكوا طريقا آخر غير الطريق  
المتعارف ، وقيموا نهارا ويسيروا ليلا ، ليعموا على القوم .  
وقد فعل « أبو سلمة » وجماعته ما أوصاهم به رسول الله ﷺ فكانوا يسرون الليل ،  
ويكتمون النهار ، حتى وردوا المنطقة فاحاطوا ببني أسد في عماية الصبح ، وقضوا على  
المؤامرة في مهدها ، وعادوا غانمين موفورين إلى المدينة ، وقد وقعت هذه الحادثة في شهر  
الحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة (١) .

### خطة ما كرة للفتك بالمبليغين :

كان رسول الله ﷺ يقوم بافشال بارسال السرايا والمجموعات العسكرية جميع مؤامرات  
المتأمرين ضد الاسلام ، كما أنه كان يقوم الى جانب ذلك بيعث المجموعات التبليغية الى  
القبائل ، والجماعات وبذلك يجلب قلوب المخايدين منهم نحو العقائد الاسلامية .  
وكان المبليغون والدعاة الذين كانوا من قراء القرآن الكريم ، ومن الملمين بالاحكام  
الاسلامية والتعاليم النبوية يبدون استعدادا عجيبا للقيام بهذه المهمة الصعبة ولو كلفت  
حياتهم فكانوا ينقلون تعاليم الاسلام إلى الناس في المناطق النائية ، والاماكن البعيدة بأوضح  
بيان وأوضح اسلوب .

ولقد كان رسول الله ﷺ يبعثه للمجموعات العسكرية من جانب ، وارساله للفرق  
التبليغية من جانب آخر يقوم . في الحقيقة . بوظيفتين هامتين من وظائف المنصب النبوي .

---

(١) المغازي : ج ١ ص ٣٤٠ ، وامتاع الاسماع : ج ١ ص ١٧٠ ، ولا بد أنك أيها القارئ الكريم تتذكر أن  
السنة الثالثة للهجرة تنتهي عند انتهاء الشهر الرابع والثلاثين ، وتكون حوادث الشهر الخامس والثلاثين متعلقة  
بالسنة الرابعة من الهجرة .

فهو ببعثه للسرايا والمجموعات العسكرية كان يقصد في الحقيقة القضاء على محاولات التمرد ، والتأمر التي كانت في مرحلة التحقق والتكؤن لكي يتسنى للمجموعات التبليغية في ظل الأمن والحرية الدعوة إلى الاسلام ، والقيام بوظيفتها الاساسية ألا وهي ارساء دعائم الحكومة الاسلامية في القلوب ، وتنوير الافكار ، وايقاظ العقول.

ولكن بعض القبائل المتوحشة ، والمنحطّة أخلاقيا وفكريًا كانت تتحايل على المجموعات التبليغية التي كانت تمثل القوى المعنوية للاسلام ، والتي لم يكن لها هدف سوى نشر التوحيد ، واقتلاع جذور الكفر والوثنية ، وكانوا يقتلونهم بصورة فضيعة ومفجعة.

وفيما يلي نلقت نظر القارئ الكريم إلى قصة مجموعة من الدعاة والمبّلّغين الذين لقوا هذا المصير وكان عددهم يبلغ ستة أشخاص حسب رواية ابن هشام<sup>(١)</sup> ، أو عشرة أشخاص حسب رواية ابن سعد<sup>(٢)</sup>.

### الغدر بالدعاة الى الإسلام وقتلهم :

لقد مشت جماعة من قبيلتي « عضل » و « القارة » إلى رسول الله ﷺ وقالوا . وهم يضمرون المكر . يا رسول الله ﷺ إن فينا إسلاما فاشيا فابعث معنا نفرا من أصحابنا يقرءوننا القرآن ، ويفقهوننا في الاسلام.

فرأى رسول الله ﷺ أن من واجبه الاستجابة لمطلب تلك الجماعة التي كانت تمثل قبائل كبرى ، وكما رأى المسلمون أيضا أن من واجبهم أن يستفيدوا من هذه الفرصة مهما كلف الثمن.

من هنا بعث رسول الله ﷺ جماعة بقيادة « مرثد بن أبي مرثد

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ١٦٩ ، وقال في امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٧٤ انهم سبعة اشخاص.

(٢) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٥٥ .

الغنوي « مع تلك الجماعة إلى القبائل المذكورة.

فخرج هؤلاء المبلعون ووفد القبيلتين من المدينة متوجهين الى حيث تتواجد « عضل » و « قارة » ، ولما كانوا بماء يسمى الرجيع تقطن عنده قبيلة تدعى « هذيل » كشف مندوبو القبيلتين عن نواياهم الشريرة ، واستصرخوا هذيلًا وكمينا من رجالهم ، وكانوا مائة رام وبأيديهم السيوف فحاطوا بالدعاة يريدون أسرهم ثم قتلهم وبادتكم!!

فلم ير المبلعون به . وهم محاطون بتلك الجماعات المسلحة . من اللجوء الى سيوفهم والدفاع عن أنفسهم.

ولكن العدو قال : ما نريد قتالكم ، وما نريد إلا ان نصيب منكم من أهل مكة ثمنا ، ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم!!

فنظر الدعاة بعضهم الى بعض ، وقرر أكثرهم المقاومة وعدم الرضوخ لهذا العرض الغادر ، والخطة الماكرة ، وقال أحدهم : إني نذرت أن لا أقبل حوار مشرك<sup>(١)</sup> ثم جعلوا يقاتلون القوم قتال الرجال الابطال ، حتى قتلوا إلا ثلاث هم : « زيد بن دثبة » ، و « خبيب بن عدي » ، و « عبد الله بن طارق البلوي » فقد أغمد هؤلاء سيوفهم وسلموا ، فأخذوا ووثقوا بأوتار قسيهم ، ولكن « عبد الله » ندم على فعله ، فنزع يده من رباطه ثم أخذ سيفه ، وراح يقاتلهم حتى قتلوه رميا بالحجارة ، وقد انحازوا عنه وهو يشدّ فيهم وينفرجون عنه ، ودفن في مر الظهران.

ثم أخذوا الأسيرين الآخرين « خبيب » و « زيد » وقدموا بهما مكة فباعوهما لأهل مكة!!

فأما زيد بن الدثبة فقد اشتراه « صفوان بن أمية » وقتله ثأرا لابيّه ، ولقتله قصة عجيبة سطر فيها أروع آيات المقاومة والوفاء والاحلاص.

فقد اشتراه « صفوان بن أمية » كما أسلفنا ليقبله بأبيه ، وقد حبسه صفوان في الحديد ، وكان يتهجّد بالليل ويصوم بالنهار ، ولا يأكل شيئا مما اتى به من

(١) أو قالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا ( السيرة النبوية : ج ٢ ص ١٧٠ ) .

الذبائح ، وهو في الاسر والحبس.

ثم إنه اخرج إلى « التنعيم »<sup>(١)</sup> ليصلب على مرأى حشد كبير من الناس. فرفعوا له جذعا ، فقال : دعوني أصلي ركعتين ، فصلّى ركعتين ، ثم حملوه على الخشبة ثم جعلوا يقولون له : يا زيد ارجع عن دينك المحدث ، وأتبع ديننا ، ونرسلك فيقول : والله لا افارق ديني أبدا.

فقال له أبو سفيان فرعون مكة وأشد المتآمرين على الاسلام ومدبر أغلب الحروب ضد رسول الله ، والمسلمين : أنشدك بالله يا زيد أيسر أن محمداً في أيدينا مكانك وأنت في بيتك؟. فقال زيد بشجاعة ووفاء عظيمين : ما يسرني أن محمداً اشيك بشوكة واني في بيتي ، وجالس في أهلي!!!

وقد كان لهذه الكلمة أثر الصاعقة في نفس طاغية مكة أبي سفيان فقال : ما رأينا أصحاب رجل قط أشد حبا من أصحاب محمد بمحمد!! ولم تمض لحظات إلا وصار « زيد » على خشبة الاعداد وطارت روحه الى خالقها ، ومضى ذلك المسلم الوفي ، والمؤمن الشجاع شهيد الثبات في طريق العقيدة ، والدفاع عن حياض الدين<sup>(٢)</sup>.

واما « حبيب » فقد حبس مدة من الزمان حتى قرّر ندوة مكة قتله ، فخرجوا به الى التنعيم ليصلبوه وخرج معه النساء والصبيان والعبيد وجماعة من أهل مكة ، فقال لهم : إن رأيتم ان تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، فقالوا دونك فاركع. فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم اقبل على القوم وقال : أما والله لو لا أن تظنّوا أنني إنما طوّلت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة!! ثم رفعوه على خشبة ثم وجّهوه الى المدينة ، وأوثقوه رباطا ، ثم قالوا له : ارجع عن الاسلام ، نخلّ سبيلك.

(١) التنعيم ابتداء الحرم ومنها يحرم المعتمرون للعمرة المفردة.

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ١٧٢ ، المغازي : ج ٢ ص ٣٦٢ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٧٤ و ١٧٥.



قال : لا والله ما أحب أني رجعت عن الاسلام وأن لي ما في الأرض جميعا.

فقالوا : أمّا واللات والعزىّ لئن لم تفعل لنقتلّك!

فقال : إن قتلي في الله لقليل ، فلمّا أبى عليهم وقد جعلوا وجهه من حيث جاء ( أي نحو المدينة ) ، قال : أما صرفكم وجهي عن القبلة ، فان الله يقول : « فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ » ثم قال : اللهم إني لا أرى إلاّ وجه عدوّ ، اللهم أنه ليس هاهنا أحد يبلّغ رسولك السلام عني فبلّغه أنت عني السلام.

ثم دعا على القوم وقال : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا.

ثم دعا أبناء من أبناء من قتل ببدر فوجدوهم أربعين غلاما ، فأعطوا كل غلام رحما ، ثم قالوا هذا الذي قتل آباءكم ، فطعنوه برماحهم طعنا خفيفا فاضطرب على الخشبة فانقلب ، فصار وجهه الى الكعبة ، فقال : الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنفسه ولنبيه وللمؤمنين!!

فأثارت روحانيته الكبرى ، وطمأنينته العظيمة غيظ أحد المشركين الحاضرين ، وهو « عقبه بن الحارث » وتملكه غضب شديد من إخلاصه للاسلام فأخذ حربته وطعن بها خبيبا طعنة قاضية ، قتلته ، وهو يوحد الله ويشهد أن محمدا رسول الله.

ويروي ابن هشام أن خبيبا أنشد قبل مقتله أبياتا عظيمة نذكر هنا بعضها :

إلى الله أشكو غريبي ثم كبريتي	وما أُرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني على ما يراد بي	فقد بضّعوا لحمي وقد ياس مظمعي
وذلك في ذات الاله وأن يشأ	يبارك على أوصال شلو ممخّ
وقد خيّرني الكفر والموت دونه	وقد هملت عيناى من غير مجزع
وما بي حذار الموت أي لميّت	ولكن حذاري جحيم نار ملفّع
فو الله ما أرجو إذا مت مسلما	على أي جنب كان في الله مصرعي
فلسست بمبد للعدو تخشعا	ولا جزعا إني إلى الله مرجعي

وقد أحزنت هذه الحادثة الاليمة رسول الله ﷺ ، وكذا جميع المسلمين. وأنشد فيهم « حسان بن ثابت » أبياتا ذكرها ابن هشام في سيرته ، كما أنه هجا هذيلًا في أبيات أخرى لارتكابهم هذه الجريمة النكراء<sup>(١)</sup>. ولقد خشى رسول الله ﷺ أن تتكرر مثل هذه الجريمة النكراء ، وبذلك يواجه رجال التبليغ والدعوة الذين كان يعدهم بصعوبة بالغة مصاعب في سبيلهم ، ويتعرضوا لخسائر لا تحجر ، وعمليات غدر واغتيال أخرى. وقد بقي جثمان هذا المسلم المجاهد على الخشبة مدة من الزمن ، يحرسه جماعة من المشركين حتى قام رجلان قويتان شجاعان من المسلمين بانزاله من فوق الصليب ليلا ، ومن ثم دفنه بأمر رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

### جريمة بئر معونة :

وفي شهر صفر من السنة الرابعة وقبل أن يصل نبا مصرع الدعاة المذكورين واستشهادهم على أيدي المشركين في منطقة الرجيع الى النبي ﷺ ، قدم أبو براء العامري المدينة فدعاه رسول الله ﷺ الى الاسلام فلم يسلم ولكنّه قال للنبي ﷺ يا محمد إني أرى أمرك حسنا ، فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل « نجد » فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فان هم اتبعوك فما أعز أمرك. فقال رسول الله ﷺ : إني اخشى عليهم أهل نجد. قال أبو براء : لا تخف ، أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعو الناس الى أمرك. فبعث رسول الله ﷺ أربعين رجلا من خيار المسلمين من أصحابه ممن حفظوا القرآن وعرفوا احكام الاسلام ، وأمر عليهم « المنذر بن

(١) المغازي : ج ١ ص ٣٥٤ - ٣٦٢ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ١٦٩ .

(٢) سفينة البحار : ج ١ ص ٣٧٢ .

عمرو » ، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحبّ بني سليم وهم يحملون من رسول الله ﷺ كتابا إلى عامر بن الطفيل أحد زعماء « نجد » ، وكلّف أحد المسلمين بايصال ذلك الكتاب إلى عامر ، فلما أتاه الكتاب لم ينظر فيه حتى عدا على الرجل ( حامل الكتاب ) فقتله ، ثم استصرخ بني عامر على المبلّغين ، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن نقض عهد أبي براء ، وقد عقد لهم عقدا وجوارا.

فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى نزلوا حيث نزل جماعة الدعاة ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم بعد أن أبدوا مقاومة كبرى ، وبسالة عظيمة ، ولم يكن يتوقع منهم غير ذلك. فان مبعوثي النبي ﷺ لم يكونوا مجرد رجال فكر وعلم فقط ، بل كانوا رجال حروب ، وأبطال معارك ، ولذا رفضوا الاستسلام للمعتدين ، واعتبروا ذلك عارا لا يليق بالمسلم الحر الأبيّ ، فقاتلوهم حتى استشهدوا جميعا ، إلاّ كعب بن زيد ، فانه جرح فعاد بجراحه الى المدينة ، وأخبر رسول الله ﷺ بما جرى لأصحابه على أيدي قبائل بني سليم المشركة الغدرة.

فحزن رسول الله والمسلمون جميعا لهاتين الحادثتين ، المفجعتين اشدّ الحزن بل ولم يجد على قتلى مثل ما وجد عليهم ، وبقي رسول الله يذكر شهداء بئر معونة ردحا من الزمان<sup>(١)</sup> هذا ولقد كانت هاتان الحادثتان المؤسفتان المؤلمتان جميعا من نتائج النكسة التي أصابت المسلمين في « احد » والتي جرّت القبائل خارج المدينة على قتل رجال المسلمين ودعائهم غدرا ومكرا.

### كيد المستشرقين وجفاؤهم :

إن المستشرقين الذين دأبوا على نقد أبسط سوء يتعرض له مشرك على أيدي

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ١٨٣ . ١٨٧ امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٧٠ . ١٧٣ .

المسلمين فينالون من الاسلام والمسلمين أشدّ نيل ، ويصرون على أن يؤكّدوا على أن الاسلام لم ينتشر إلاّ بالسيف والقهر ، التزموا صمتا عجيبا تجاه هاتين الحادثتين المؤلمتين المفجعتين ، ولم ينسوا في هذا المقام بنت شفة أبدا ، وكان شيئا من هذا لم يقع ، وكان ما وقع لا يستأهل اهتماما وحديثا .

ترى أي نظام من أنظمة العالم القديم والجديد يجيز أن يقتل الدعاة والمبشرون ورجال العلم والفكر ، والتعليم والتثقيف .

إذا كان الاسلام قد تعلم بالسيف . كما يدّعي رجال الاستشراق . فلما ذا تخاطر جماعات التبليغ والدعوة هذه بأنفسها وتزهق أرواحها في سبيل نشر الاسلام ، والدعوة السلمية الفكرية إليه .

إنّ هاتين الحادثتين تنطويان على نقاط حيوية ، وعبر مفيدة جدا ، فان قوة الايمان لدى تلك الجماعات ، وعمق تفانيها ، وتضحيتها ، وبسالتها تستحق إعجاب المسلمين ، واکبارهم . كما وتعتبر من أفضل الدروس وابلغها لهم .

### المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين :

لقد أثارت حادثتا « الرجيع » و « بئر معونة » المفجعتان اللتان جرتا إلى مصرع مجموعة كبيرة من خيرة الدعاة والمبلّغين موجة من الحزن والأسى في المسلمين وتركت أثرا مؤلما في أوساطهم .

وهنا يتساءل القارئ : لما ذا أقدم النبي ﷺ على إرسال المجموعة الثانية من المبلّغين الى « نجد » مع أنه حصل على تجربة مرّ؟! ألم يقل رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

إن الإجابة على هذا السؤال تتضح من خلال مراجعة النصوص التاريخية لأن المجموعة الثانية قد بعثت في جوار من أبي براء ( عامر بن مالك بن جعفر ) والذي كان رئيسا لقبيلة بني عامر ، ولم تفعل قبيلته ما خالف جوار رئيسهم ولم يشتركوا في تلك الجريمة وقد بقي أبو براء نفسه في المدينة تأكيدا لجواره ، ريثما

يرجع فريق التبليغ إلى المدينة.

لقد كانت خطة رسول الله ﷺ خطة مدروسة وصحيحة لأن جماعة المبلّغين الثانية لم تقتل على يد قبيلة أبي براء ، ومع أن ابن أخيه عامر بن الطفيل قد استصرخ قبيلة أبي براء التي كانت قبيلته أيضا ، ضدّ جماعة المبلّغين إلا أن قبيلة أبي براء أبت أن تنفر معه ، ولم يستجيب لندائه أحد منهم بل قالوا : لن يخفر جوار أبي براء. ولما أيس منهم استصرخ قبيلة اخرى لا تمتّ إلى قبيلة أبي براء بصلة ، فاقدت تلك القبائل على محاصرة الدعاة الأربعين ومقاتلتهم.

ثم إن جماعة المبلّغين المذكورة كانت قد بعثت عند مغادرتها المدينة وتوجهها الى منطقة أبي براء رجلين من رجالها هما : عمرو بن أمية و « حارث بن الصمة »<sup>(١)</sup> ليرعيا إبل الجماعة ويحافظا عليهما ، وبينما كان الرجلان يقومان بواجبهما اذ أغار عليهما « عامر بن الطفيل ». فقتل حارث بن الصمة ، واطلق سراح عمرو بن أمية.

فعاد عامر الى المدينة ، في اثناء الطريق التقى رجلين من العامريين فرافقهما وأمهلهما حتى اذا ناما وثب عليهما فقتلهما ، وهو يرى بأنه انتقم لزملائه من المسلمين من بني عامر ، وقد أخطأ في تصوره هذا لأن بني عامر لم تخفر جوار سيدها أبي براء ولم تنقض أمانة كما أسلفنا ، ولم يشترك في جريمة قتل الدعاة الأربعين.

فلما قدم على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر ، حزن رسول الله ﷺ لذلك وقال لعمرو :

« بئس ما صنعت ، قتلت رجلين كان لهما مني أمان وجوار ، لا دفعت ديتهما ». ولكن الاجابة الاكثر وضوحا على هذا الاعتراض ( او السؤال ) هو ما يذكره ابن سعد صاحب الطبقات إذ يقول : وجاء رسول الله ﷺ خبر أهل بئر معونة ، وجاءه تلك الليلة أيضا مصاب خبيب بن عدي ومرثد بن أبي مرثد<sup>(٢)</sup>.

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ١٦٨ وصاحب السيرة يرى انه المنذر بن محمد.

(٢) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٥٢ و ٥٣.

### غزوة « بني النضير »

لقد فرح منافقو المدينة ويهودها بانتكاسة المسلمين في معركة « أحد » كما فرحوا أيضا بمصرع رجال التبليغ والدعوة ، فرحا بالغا وباتوا يتحسّون الفرصة لإثارة القلاقل والفتن في المدينة لإفهام القبائل خارجها بأنه لا توجد أية وحدة سياسية وانسجام اجتماعي في مركز الاسلام ، وعاصمة الحكومة الاسلامية ، وأن في مقدور الأعداء الخارجيين أن يجهزوا على حكومة الاسلام الفتية ، ويقضوا عليها بسهولة!!

ولكي يقف رسول الله ﷺ على نوايا ودخائل يهود بني النضير مشى في جماعة من أصحابه إلى حصنهم.

على أن الهدف الظاهري المعلن عنه كان هو الاستعانة بهم في دية العامريين اللذين قتلا خطأ على يد « عمرو بن أمية » كما أسلفنا ، وذلك بموجب الاتفاقية المعقودة بين رسول الله ﷺ وبين اليهود وكذا بني عامر وغيرهم والقاضية بالتعاون معا في تسديد الدية في مثل هذه الموارد.

فلما وصل رسول الله ﷺ إلى حيث يسكن بنو النضير ، وكلمهم في أن يعينوه في تلك الدية ، رحبوا به ظاهرا ، ووعدوا بأن يلبّوا مطلبه ، ثم إنهم خاطبوه قائلين : يا أبا القاسم نعينك على ما احببت. ثم دعوه إلى أن يدخل في بيوتهم ، ويقضي يومه فيها ، قائلين : قد آن لك أن تزورنا ، وأن تأتينا ، اجلس حتى نطعمك ، فلم يقبل رسول الله ﷺ بتلبية مطلبهم ، بل

جلس مستندا الى جدار بيت من بيوتهم واخذ يكلمهم (١).

ثم إن رسول الله ﷺ احس بشر من ذلك الترحيب الحار الذي قابلته به رجال بني النضير ، والذي رافق حركات مشبوهة منهم!!

هذا مضافا إلى أنه ﷺ شاهدتهم وقد خلا بعضهم إلى بعض يتناجون ويتهايمسون الأمر الذي يدعو الى الشك ، ويورث سوء الظن!!

وقد كان سوء الظن هذا في محله ، فقد قرر سادة يهود . لما أتاهم رسول الله ﷺ في رهط قليل من أصحابه . أن يتخلصوا منه باغتياله والغدر به على حين غفلة منه ﷺ ، فانتدبوا أحدهم وهو « عمرو بن جحاش » لتنفيذ هذه الجريمة ، وذلك بأن يعلو على البيت الذي استند رسول الله ﷺ إلى جداره فيلقى عليه صخرة تقتله.

إلا أن هذه المؤامرة انكشفت . ولحسن الحظ . قبل تنفيذها ، إما من خلال حركات اولئك اليهود الخشاء ، المشبوهة ، أو بخبر أتى رسول الله ﷺ من السماء ، كما يروي ابن هشام والواقدي في مؤلفيهما.

فنهض رسول الله ﷺ سريعا ، كأنه يريد حاجة ، وتوجه من توّه إلى المدينة دون أن يخبر أصحابه الذين أتوا معه ، بقصده.

وبقي أصحابه هناك ينتظرون عودته من حاجته دون جدوى.

وندمت يهود على ما صنعت ، واضطربت لذلك اضطرابا شديدا ، واصابتها حيرة شديدة فيما يجب أن تقوم به.

فمن جهة خشيت أن يكون رسول الله ﷺ قد علم بمؤامرتهم وتواطئهم ، فيقدم على تأديبهم لنقضهم ميثاق التعايش السلمي ، ولتواطئهم القبيح ، ومكرهم السيئ.

ومن ناحية اخرى أخذت تفكر في أن تنتقم من أصحابه الموجودين هنا إن هو فاتهم ، ولكنها خشيت أن يؤدي ذلك إلى مزيد من تأزم الموقف ، وان ينتقم

(١) يقول صاحب المغازي : إن النبي جاء بني النضير في ناديتهم ج ١ ص ٣٦٤.

رسول الله ﷺ حينئذ منهم قطعاً وبقيناً.

وفيما هم في هذه الحالة من الاضطراب والتحير قرر أصحاب النبي ﷺ العودة إلى المدينة بعد أن يسوا من رجعتهم إليهم من حاجته ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عن رسول الله ﷺ فقال : رأيتُه داخلًا المدينة ، فأقبلوا حتى انتهوا إليه ﷺ وعرفوا بمؤامرة اليهود إذ قال رسول الله ﷺ لهم لما قالوا : يا رسول الله قمت ولم نشعر :  
« همت اليهود بالغدر بي ، فأخبرني الله بذلك فقامت »<sup>(١)</sup>.

### بما ذا يجب أن تقابل هذه الجريمة؟

والآن ما ذا يجب أن يقوم به رسول الله ﷺ تجاه هذه الزمرة الخائنة المتآمرة؟ تلك الزمرة التي تنعم بما وفرتها لهم الحكومة الإسلامية من أمن وحرية ، ويحافظ جنود الإسلام على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، كما يفعلون الفعل ذاته بالنسبة إلى أنفسهم وأموالهم وأعراضهم على حد سواء.

تلك الزمرة التي كانت ترى كل آثار النبوة ودلائلها في حياة رسول الله ﷺ وأعماله ، وأقواله تماماً على نحو ما قرأت عنه في كتبها وأسفارها ، ولكنها بدل أن تردّ الجميل بالجميل وتقابل الاحسان بالاحسان ، وبدل أن تحسن ضيافته وقد نزل عليهم ضيقاً تتأمر لقتله غيلة وغدراً دون ما حجل ولا حياء!!

ما هو ترى ما تقتضيه العدالة في هذا الصعيد وفي هذه الحال؟

وما ذا يجب أن يفعل المرء حتى يمنع من تكرار مثل هذه الحوادث ، ويستأصل جذور مثل

هذه الجرائم؟

إن الطريق المنطقي هو ما اختاره رسول الله ﷺ وفعله.

فقد أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم ،

---

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٥٧ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٧٨.



ثم دعا محمد بن مسلمة وأمره بأن يذهب إلى بني النضير ، ويبلغ سادتهم ، من قبله رسالة .  
فخرج محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي<sup>(١)</sup> إلى بني النضير وقال لسادتهم : إن رسول  
الله ﷺ أرسلني إليكم يقول :

« قد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما همتم به من الغدر بي .

أخرجوا من بلادي فقد أجلتكم عشرا فمن رأي بعد ذلك ضربت عنقه .»

فأحدثت هذه الرسالة الشديدة اللهجة والساخنة المضمون انكسارا عجيبا في يهود بني  
النضير ، وأخذوا يتلاومون ، وأخذ يحمل كل واحد منهم الآخر مسؤولية هذه القضية .  
فاقترح عليهم أحد سادتهم أن يعتنقوا الاسلام ، ويؤمنوا برسول الله ﷺ ، ولكن  
عنادهم منعهم من القبول بهذا الاقتراح . وعمتهم حالة يرثى لها من الحيرة ، والانقطاع ،  
فقالوا لمبعوث النبي ﷺ : يا محمد ما كنا نرى أن يأتي بهذا رجل من الأوس .  
ويقصدون أنه كان بيننا وبين الأوس حلف فما بالك تريد حرينا الآن .  
فقال محمد بن مسلمة : تغير القلوب .

وقد كان هذا الاجراء متطابقا مع ما جاء في ميثاق التعايش الذي عقده رسول الله  
ﷺ مع يهود يثرب ابان دخوله المدينة ، وقد وقع عليه عن اليهود بني النضير حيي بن  
أخطب ، وقد نقلنا في ما سبق النص الكامل لهذا الميثاق وها نحن ندرج هنا قسما منه  
ليتضح ما ذكرناه .

جاء في أحد بنود الميثاق ( العهد ) :

« ألا يعينوا ( أي بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع ) على رسول الله ﷺ ولا على  
أحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا بسلاح ولا بكراع في السر والعلانية لا لبليل ولا بنهار  
والله بذلك عليهم شهيد ، فان فعلوا فرسول الله في حل

---

(١) المغازي : ج ١ ص ٣٦٦ .

من سفك دمائهم ، وسبي ذراريهم ، ونسائهم ، وأخذ أموالهم » (١).

### المستشرقون ودموع التماسيح :

لقد أبدى المستشرقون حزنهم وأسفهم لما جرى في هذه القضية ، وذرفوا دموع تماسيح ، وأبدوا دقة وشفقة أكثر مما تبديه والدة تجاه وليدها ، على اليهود الخونة الناقضين العهد ، الناكثين للآيمان ، واعتبروا الإجراء الذي اتخذته النبي ﷺ بحقهم بعيدا عن روح الانصاف وسنن العدل!!

والحق أن هذه الاعتراضات والانتقادات لا تنبع من منطلق السعي لمعرفة الحقيقة ، لأننا عند مراجعتنا لنص الميثاق الذي أدرجناه للقارئ الكريم نرى الحقيقة على غير ما يتصورون ويصورون فاننا نعرف أن الجزء الذي جازى به رسول الله ﷺ يهود بني النضير هو في الحقيقة أقل من الجزء المنصوص عليه في ذلك الميثاق بدرجات.

إن هناك اليوم مئات الجرائم والمظالم التي يرتكبها أسياذ هؤلاء المستشرقين في الشرق والغرب دون أن يعترض عليها أي واحد من هؤلاء المستشرقين الرحماء ، أدعياء الدفاع عن حقوق الانسان!!!

أما عند ما يقوم رسول الاسلام بتنفيذ عقوبة . هي في الحقيقة . اقل بكثير من ما هو منصوص عليه في الميثاق بحق زمرة خائنة متآمرة ناقضة للعهد تتعالى أصوات حفنة من الكتاب المدفوعين بأغراض معينة ودوافع خاصة بالاعتراض ، والانتقاد.

### دور حزب النفاق أيضا :

كان خطر المنافقين . وكما أسلفنا . أكبر من خطر اليهود لأن المنافق يطعن من الخلف وتحت غطاء من الصداقة ، ويتستر وراء قناع الصحبة والزمانة.

---

(١) بحار الأنوار : ج ١٩ ص ١١١ .

وقد كان رأس هذا الحزب هو « عبد الله بن أبي » و « مالك بن أبي » و .. و ..  
ولما سمع هؤلاء المنافقون بما يلقاه بنو النضير من رسول الله ﷺ أرسلوا إليهم من يقول لهم : لا تخرجوا من دياركم وأموالكم ، وأقيموا في حصونكم ، فان معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب ، يدخلون معكم حصنكم فيموتون من آخرهم قبل أن يوصل إليكم وتمدكم قريظة فانه لن يخذلونكم ، ويمدكم حلفاؤكم من غطفان؟!!

ولقد جرّات هذه الوعود بني النضير ، فانصرفوا عن فكرة الرضوخ لمطلب النبي ﷺ فأغلقوا أبواب حصونهم ، وأعدّوا عدة الحرب ، وعزموا على أن يقاوموا رسول الله ﷺ مهما كلف الثمن ، ولا يسمحوا للمسلمين بأن يسيطروا على بساتينهم وممتلكاتهم دون عوض.

فنصحهم أحد كبارائهم وهو « سلام بن مشكم » وشكك في وعود عبد الله بن أبي ، واعتبرها وعودا جوفاء ، وقال : ليس رأي ابن أبي بشيء ، فهو والله جلاؤنا من أرضنا ، وذهاب أموالنا ، أو سباء ذرارينا مع قتل مقاتلينا.

إلا أن « حبي بن أخطب » أبي إلا محاربة رسول الله ﷺ وحث الناس على المقاومة والصمود ، وأرسل الى رسول الله ﷺ : إنا لا نبرح من دارنا وأموالنا فاصنع ما أنت صانع!!

فعرف رسول الله ﷺ برسالة « عبد الله بن أبي » إلى بني النضير ، وو عوده لهم ، فاستخلف ابن أم مكتوم على المدينة ، وسار ﷺ في أصحابه مكبراً لمحاصرة بني النضير فصلّى صلاة العصر بفضائهم واستقر في الطريق بين « بني النضير » وبين « بني قريظة » ليقطع بذلك سبيل الاتصال بين هذين الفريقين ، وحاصر بني النضير ست ليال . حسب رواية ابن هشام .<sup>(١)</sup> أو خمسة عشر يوماً حسب روايات آخرين ، ولكن اليهود تحصنوا منه في الحصون ، وأظهروا المقاومة ، والإصرار على الامتناع ، فأمر رسول الله ﷺ

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ١٩١ ، وهذا من التكتيكات العسكرية التي كان النبي ﷺ يستعملها ليقطع خطوط الارتباط بين الجماعات المتعاونة.

بقطع النخيل المحيطة بتلك الحصون ، وإلقاء النار لبيأس اليهود من البقاء في تلك المنطقة ما دامت بساينهم أهدمت ، وافنيت .

فتعال نداءات اليهود تقول : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعييه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها؟!  
فرد الله تعالى عليهم بقوله :

« مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ وَأَنْتُمْ كُفَّارَةٌ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا وَاللَّهُ يُخَوِّفُ الْفَاسِقِينَ » (١) .  
هذا من جهة ومن جهة اخرى خذلهم عبد الله بن أبي ، فلم يأتوهم ، كما اعتزلتهم قريظة فلم تعنهم بسلاح ولا رجال .

وقد ذكر القرآن الكريم هذا الخذلان إذ قال تعالى :

« أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . مَا أَخْرِجُوا مِنْهُمْ رَحْمَةً مِنْهُمْ رَخِيمًا وَتِلْكَ أُصُولُ يُحْيُونَ أَمْ لَأَنَّكُمْ يَخْلَفُونَ فِي صُيُوفِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ . لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَءِ حُدُودِ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ » (٢) .

وقد كشفت الآيات الحاضرة . إلى جانب ما ذكر . عن نفسية اليهود الجبابة ، والتي انهارت أيضا بسبب معنويات المسلمين القوية حتى أنهم رغم اجتماعهم وعددهم الكبير يخافون من مواجهة المسلمين فلا يقاتلونهم إلا من وراء أسوار الحصون ، وجدران القلاع القوية خائفين مذعورين ، ومرعوبين ، وهم الى جانب كل ذلك يعانون من اضطراب وقلق وتفرق كلمة في الواقع .

وأخيرا رضخ اليهود لمطلب رسول الله ﷺ وسأله أن يجليهم ، ويكف عن دمائهم على أن يكون لهم ما حملت الابل من أموالهم إلا السلاح

(١) الحشر : ٥ .

(٢) الحشر : ١١ - ١٤ .

والدروع ، فرضي رسول الله ﷺ بذلك.

فاحتملوا من أموالهم أكبر قدر ممكن ، حتى أن الرجل منهم يقلع باب بيته فيضعه على ظهر بعيره ، ثم يخرب بيته بيديه!!

فخرج جماعة منهم إلى خيبر ، وسارت جماعة اخرى منهم الى الشام. وقد خرجت تلك الزمرة الذليلة المسكينة وهم يضربون بالدفوف ، ويزمرون بالمزامير ، وقد البسوا نساءهم الثياب الراقية ، وحلي الذهب ، مظهرين بذلك تجلدا ليغطوا على هزيمتهم ، ويروا المسلمين أنهم غير منزعجين من مغادرتهم تلك الديار!!

### مزارع بني النضير تقسم بين المهاجرين فقط :

إن ما يغنمه جنود الاسلام دون قتال وهو ما يسمى بالفبيء يعود أمره الى رسول الله ﷺ خاصة يضعه حيث يشاء ويصرفه فيما يرى من مصالح الاسلام لقوله تعالى :  
« ما أفاء الله على رسوله من أهل القبري فليله وللرسول ولكتل القبري ولتنامي ولتسايين  
ولبن السبيل »<sup>(١)</sup>.

وقد رأى النبي ﷺ أن من الصالح أن يقسم المزارع والممتلكات التي غنمها من بني النضير على المهاجرين دون الأنصار ، لحمايتهم من ممتلكاتهم وثروتهم في مكة بسبب الهجرة منها الى المدينة ، وكانوا في الحقيقة ضيوفا على الأنصار طوال هذه المدة ، وقد آيد « سعد بن معاذ » و « سعد بن عباد » هذا الرأي ، ومن هنا قسم رسول الله ﷺ جميع تلك المزارع والممتلكات على المهاجرين خاصة ، ولم يصب أحد من الأنصار منها شيئا الا رجلا كانا محتاجين هما : « سهل بن حنيف » ، و « أبو دجانة » ، الانصاريين وحصل بذلك انفراج في أحوال المسلمين عامة ، وأعطى « سعد بن معاذ » سيف

(١) الحشر : ٧.

رجل من زعماء بني النضير وكان سيفاً معروفاً.

يقول المقرئزي :

فلما غنم رسول الله ﷺ من بني النضير بعث ثابت بن قيس بن شماس فدعا الانصار كلهم . الاوس والخزرج . فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم في منازلهم ، وآثرهم على أنفسهم ثم قال ﷺ :

« ان أحببتهم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علي من بني النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم ، وان أحببتهم أعطيتهم وخرجوا من دوركم »؟

فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : رضينا وسلّمنا يا رسول الله.

فقسم رسول الله ما أفاء الله عليه ، على المهاجرين دون الانصار إلا رجلين كانا محتاجين .. الخ<sup>(١)</sup>.

وقد وقعت هذه الحادثة في شهر ربيع الأول في السنة الرابعة من الهجرة ونزلت سورة

الحشر في هذا الشأن ، والتي جاء في مطلعها قوله تعالى :

« وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حَيَاتِكُمْ فِي ذُنُوبِكُمْ وَلَا تَحْسِبُوا أَنَّكُمْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَدْ كُنْتُمْ كُفْرًا كَانَتِ أَعْيُنُهُمْ كُمُوتًا يُرَوُّونَ وَيُعْمِقُونَ لَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ »<sup>(٢)</sup>.

هذا ويعتقد أكثر المؤرخين المسلمين أنه لم يسفك في هذه الحادثة ، أي دم ، ولكن

المرحوم الشيخ المفيد يكتب في ارشاده : انه وقع ليلة فتح حصون بني النضير قتال محدود

قتل فيه عشرة من اليهود وكان ذلك هو السبب في فتح تلك الحصون<sup>(٣)</sup>.

(١) امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٨٢ و ١٨٣ .

(٢) الحشر : ٢ .

(٣) الارشاد : ص ٤٧ و ٤٨ .

وقال المقرئزي : وفقد علي عليه السلام في بعض الليالي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : انه في بعض شأنكم ، فعن قليل جاء برأس « عزوك » وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غرّاً من المسلمين وكان شجاعاً رامياً فشد عليه علي عليه السلام ، فقتله وفرّ اليهود <sup>(١)</sup> .

---

(١) امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٨٠ .

## تحريم الخمر

ذات الرقاع ، بدر الصغرى

### ١ . تحريم الخمر :

كانت الخمر ، وعلى العموم جميع المسكرات ولا تزال من أشد الاوبئة الاجتماعية التي تهدد أمن وسلامة المجتمعات البشرية وتجرح إليها أكبر الأخطار ويكفي في خطورة هذا السمّ القاتل أنه يعادي أكبر ما يميّز البشر عن ما سواه من الاحياء ، ذلكم هو العقل ، فان الخمرة هو العدو الأول لهذه الموهبة الالهية التي في سلامتها ضمان سعادة الانسان .  
إن الفارق بين الانسان وبين سائر الاحياء هو القوة العاقلة التي يمتلكها الانسان دون غيره ، وتكون المسكرات من أعدى أعداء هذه القوة ، من هنا كان المنع من تعاطي الخمر والمسكرات من أبرز البرامج التي جاء بها الأنبياء ، وكانت الخمر محرمة في جميع الشرائع السماوية <sup>(١)</sup> .

---

(١) عام ١٣٣٩ هجري زار الدكتور أرشه تونك رئيس منظمة مكافحة الخمر ايران ، وقد سرّ لما سمع أن الاسلام يحرم تعاطي المسكرات .  
وقد كان يحب أن يلتقي بزعيم المذهب الشيعي يومئذ : ( آية الله السيد البروجردي ) ليتعرف على رأي الاسلام في الخمر والمسكرات ، فاصطحبه أحد الدكاترة المعروفين في طهران إلى منزل السيد البروجردي في مدينة « قم » ، وبعد الاستئذان تشرف بلقاء السيد ، وقد حضر العلامة الطباطبائي في ذلك المجلس وكنت أنا ووالدي حاضرين هناك كذلك .

فكان أول سؤال طرحه الدكتور هو : لما ذا حرم الاسلام المسكرات؟  
فقال الامام البروجردي : يكفي أن أشير لك من بين العلل الكثيرة إلى علة واحدة وهي أن الخمرة تحطّم العقل الذي به يمتاز الانسان عن سائر الاحياء ، ويتميز عليهم . كما اوضحناه اعلاه .



ولقد كانت معاقرة الخمر من الآفات التي كانت متفشية ومتجذرة في المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية بحيث كانت معالجتها تحتاج الى وقت طويل ، واسلوب مدروس ، ولم تكن الظروف والاحوال في ذلك العهد لتسمح بأن يعلن رسول الاسلام عن تحريم الخمر دفعة واحدة ومن دون أية مقدمات ، وممهّدات لذلك ، بل كان يتحتم عليه أن يعالج هذا الوباء الاجتماعي من خلال إعداد الناس لمرحلة التحريم النهائي والقطعي تماما كما يفعل الطبيب بالنسبة إلى المرضى الذين طال بهم المرض ، وتجنّز.

من هنا حرّمت الخمر في أربع مراحل تدريجية ضمن آيات أربع أظهرت الاستياء من الخمر لكن لا على نمط واحد ، بل بدأت من مرحلة مخففة حتى انتهت إلى مرحلة الاعلان عن التحريم القطعي.

إنّ التمعن في هذه الآيات تكشف لنا عن كيفية الاسلوب النبويّ في التبليغ والإرشاد ، والدعوة والهداية ، وينبغي للخطباء ، والكتاب أن يتبعوا هذا الاسلوب المؤثر والمفيد في معالجة الأدواء الاجتماعية المزمنة ، ويكافحها بهذا الشكل حتى يحصلوا على أفضل النتائج. إن الشرط الاساسي لمكافحة ناجحة لأيّ خلق وسلوك فاسد هو إيقاظ المجتمع وإيقافه أوّلا على أضرار ذلك السلوك ، ومفاسده ، وتذكيره بآثاره السيئة ليحصل لدى المجتمع . بذلك . الاستعداد الروحي بل والدافع الباطني إلى خوض معركة أساسية وجذرية ضد ذلك السلوك الفاسد ، والخلق الذميم ، ويكون الناس هم الضمانة لا نجاح هذه المهمة. وذلك لأن رد المعتاد عن عادته كالمعجز كما في الحديث الشريف <sup>(١)</sup>.

كيف والعرب كانوا يعشقون الخمر حتى أن الرجل منهم ربما كان يوصي بأن يدفن إلى جنب كرمة لتسقى عظامه بالخمر.

يقول أحدهم :

---

(١) مفاتيح الغيب : ج ٢ ص ٢٦٣.

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تبي عظامي بعد موتي عروقتها<sup>(١)</sup>

من هنا اعتبر القرآن الكريم اتخاذ الخمر من التمور والاعناب . في مجتمع كان تعاطي الخمر جزء أساسيا من حياته . مخالفا للرزق الحسن ، وبذلك ايقظ العقول العافية ، إذ قال :

« وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُ مِنْهُ سَكَرًا وَرَقًا حَسَنًا »<sup>(٢)</sup> .

إن القرآن أعلن . في المرحلة الاولى من مراحل النهي عن تعاطي الخمر . أن اتخاذ المسكر من التمر والعنب لا يعد من الارتزاق الحسن بل الارتزاق الحسن هو تناول التمر والعنب على حالتها الطبيعية .

إن هذه الآية : أعطت هزة ذكية للعقول وهيأت الطبائع المنحرفة لمرحلة أقوى في مسيرة تحريم الخمر حتى يتسنى لرسول الله ﷺ أن يشدد من نبرته ، ويعلن عن طريق آية اخرى أنّ النفع المادي القليل ، الذي تعود به الخمر ويأتي به القمار ، ليس بشيء بالقياس إلى أضرارها الكبرى وأخطارها العظيمة ، وقد تم الكشف عن هذه الحقيقة في قوله تعالى :

« سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مِنَ الْخَمْرِ وَلَمْ يَأْتِ الْبُرْهَانَ كَثِيرًا وَمَنَافِعِ لِلنَّاسِ إِنَّمَا كُتِبَ عَلَيْهِمَا الْقُرْآنُ فَحَقَّ عَلَيْهِمَا الضَّرَرُ »<sup>(٣)</sup> .

ولا ريب أن مجرد المقارنة بين النفع والضرر ، وكذا الوقوف على زيادة الضرر على النفع كاف لإيجاد النفور والاشمئزاز لدى العقلاء ، والداعين من الخمر وما شاكلها ، وشابهها . إلا أن جماهير الناس وعامتهم لن يقلعوا عن هذه العادة الشريرة المتجذرة ما لم يسمعوا نهيًا صريحًا وقاطعًا عنها .

فها هو عبد الرحمن بن عوف رغم نزول هذه الآية قد استضاف جماعة من الصحابة وأحضر على المائدة خمرا ، فأكلوا ، وشربوا الخمر ، ثم قاموا إلى الصلاة ، فأخطأ أحدهم في القراءة وهو سكران خطأ غير من مراد الله تعالى في ما قرأ من

(١) أي ما يسكر .

(٢) النحل : ٦٧ .

(٣) البقرة : ٢١٩ .

الآية ، فقد تلا سورة « الكافرون » ، وبدل أن يقول : « لا أعبد ما تعبدون » قرأ : «  
أعبد ما تعبدون » . فاضطربت تلك الجماعة لهذا الأمر ، وخشيت أن تكون ارتكبت بذلك  
أمراً عظيماً!!

وقد هتأ هذا الحادث الناس ليحرم تعاطي الخمر في ظروف وحالات خاصة على الاقل .  
من هنا جاء الاعلان عن حرمة تعاطي الخمر قبل الصلاة ، وأعلن القرآن الكريم بصراحة  
أنه لا يجوز لمسلم أن يصلي في حالة السكر ، وقد أعلن عن هذا التشريع الالهي في قول الله  
تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ إِمْ سَكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ » (١) .

ولقد بلغ من تأثير هذه الآية ، وفعاليتها أن هجر جماعة من المسلمين تعاطي الخمر بالمرة  
بحجة أن ما يضرب بالصلاة يجب ان يطرد من حياة المسلم نهائياً .

ولكن البعض بقي يتعاطاها حتى أن رجلا من الأنصار دعا جماعة الى مائدة أحضر فيها  
الخمر . رغم نزول الآية الحاضرة . فلما شربوا وأسكروا حمل بعضهم على بعض ، وجرح  
بعضهم بعضا فشكوا أمرهم إلى النبي ﷺ ، وكان الخليفة الثاني لم يزل يشرب الخمر إلى  
ذلك معتقدا عدم كفاية الآية الحاضرة في التحريم القطعي لها ولهذا رفع يديه إلى السماء وقال  
: اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر .

ولا يخفى أن هذه الحوادث والوقائع المؤسفة قد هيأت الارضية بشكل رائع لتقبيل مسألة  
تحريم الخمر تحريماً كاملاً وقاطعاً ، من هنا نزل قوله تعالى يعلن عن هذه الحرمة القطعية :

« لَمْ يَكُنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا نَمْتًا خَمْرٌ لَمْ يَكُنِ لَهُمْ لَأَطْفَالٌ لَمْ يَكُنِ لَهُمْ لَأَطْفَالٌ لَمْ يَكُنِ لَهُمْ لَأَطْفَالٌ لَمْ يَكُنِ لَهُمْ لَأَطْفَالٌ  
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٢) .

(١) النساء : ٤٣ .

(٢) المائدة : ٩٠ .

وقد دفع هذا البيان البليغ القاطع أن يقلع عن الخمر نهائيا من كان يشربها حتى تلك الساعة بحجة عدم وجود نهي صريح وقاطع عنها.  
وقد جاء في كتب السنة والشيعة أن الخليفة الثاني قال بعد سماع هذه الآية : انتهينا يا رب <sup>(١)</sup>!!

### وقفه عند « البيان الشافي » :

قلنا إن الخليفة الثاني لم يقتنع بعد سماع الآيات الثلاث بجرمة الخمر ، بل بقي ينتظر بيانا شافيا يكشف عن التحريم القطعي ، حتى اقنعه الآية الرابعة بجرمة الخمر والمسكرات ، وقد كان حكم الله تعالى في هذه الآية هو : أن الخمر « رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ولكن المتغربين ، وهواة المادية الغربية في عصرنا لم تقنعهم كل هذه الآيات بجرمة الخمر ، حتى الآية الرابعة الصريحة في هذا الأمر ، فيقولون لا بد أن يعلن عن هذا التحريم بلفظة : حرام أو حرّمت ، والألّا لم يمكن القطع بجرمة الخمر!!  
إن هذه الزمرة التابعة لأهوائها ، الأسيرة لشهواتها الحرام ، لا تريد في الحقيقة إلا أن تظل عاكفة على الخمر أبدا ، ومن هنا تطرح مثل المعاذير وتتوسل بمثل هذه التحججات الجوفاء.  
على أن القرآن الكريم قد استعمل لفظ الحرام بشكل ما في شأن الخمر إذ قال : « وإثمهما أكبر من نفعهما » <sup>(٢)</sup>.

وقد حرّم تعالى جميع أنواع الإثم في آية أخرى إذ قال :  
«لِئَلَّا تُؤْمِنُوا بِهِ لِحُورِهِمْ إِنْ نَحْنُ بِمَا طَنَ لِلْإِثْمِ» <sup>(٣)</sup>.  
وبعبارة أخرى : لقد بين الله تعالى في آية أخرى الموضوع ، وهو أن الخمر ( التي تسمى إثمًا أيضا ) قد حرّمت .

(١) مستدرک الوسائل : ج ٤ ص ١٤٣ ، روح المعاني : ج ٧ ص ١٥ .

(٢) البقرة : ٢١٩ .

(٣) الاعراف : ٣٣ .

فهل ينتظر هواة الغرب بعد هذا البيان الواضح والتحريم الصريح بيانا كافيا شافيا؟! وفي الحقيقة نحن لا نحتاج إلى مثل هذا الاستدلال أبدا فالآيات الأربع المتقدمة التي وصفت الخمر بأنها « رجس » وأنها نظير « الميسر » ، وأنها « عمل شيطاني » ، مناقض للفلاح ، وسبب « للعداوة » و « البغضاء » ، قد أعلنت عن حرمتها بصورة واضحة لا إهام فيها ، ولا غموض ، وهي بالتالي أقوى بيان لمن تدبر وأنصف ، وتجرّد عن الاهواء والأغراض المريضة.

وهنا لا بد أن نذكّر بنقطة هامة وهي أن النبي الاكرم ﷺ استطاع ان يطهّر في هدى هذه الآيات الأربع ، بيئته ومجتمعه من أدران هذه العادة الشريرة ، ويقوم المؤمنون أنفسهم بتنفيذ هذا الحكم من دون قهر أو إجبار ، بينما لم يستطع العالم الغربي رغم كل ما يملك من الإمكانيات الماديّة العريضة ، وأجهزة الدعاية الواسعة أن يخطو خطوة ناجحة في هذا الطريق ، فقد اخفقت كل خططه ، أمام هذا السمّ القاتل ، والفشل الذي أصاب الولايات المتحدة في مكافحة المشروبات الروحية في أعوام ١٩٣٣ - ١٩٣٥ أمر معروف للجميع ، وله قصة عجيبة يمكن أن يقف عليها القارئ الكريم في مصادرها <sup>(١)</sup>.

#### رواية مختلقة :

ومن عجيب الأمر أن يروي بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : « ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » رواية جاء فيها أن امام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام كان ضمن جماعة شربوا الخمر ثم قاموا الى الصلاة فقرأ أمامهم غلطا : « اعبد ما تعبدون » فانزل الله تعالى هذه الآية : « لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَنَبْتُمْ سُكَّارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ».

نقول إن من العجيب أن تنسب إلى الامام علي عليه السلام مثل هذه

(١) راجع ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ص ٨٠ وغيره.

النسبة وهو الطاهر المطهر بحكم آية التطهر<sup>(١)</sup> وهو الذي نشأ وترعرع في احضان سيد المرسلين ﷺ الذي كان يتجنب الخمر ، حتى قبل نزول النهي الصريح عنها ، هذا وعلي ﷺ المعروف بحكمته وفهمه وعلمه عارف بما للمسكر من تبعات خطيرة.

نعم من العجيب أن نصدق بأن عليا ﷺ شرب الخمر ، وهناك في الجاهلية ( وقبل الاسلام ) من حرم الخمر على نفسه لكونه يذهب بالعقل ، ويؤول بالمرء الى ما لا يحمد.

ففي السيرة الحلبية كان عبد الله بن جدعان من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية أي بعد ما كان مغرما بها وسبب ذلك أنه سكر ليلة فصار يمدّ يده على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم اخبروه بذلك حين صحا فحلف أن لا يشربها أبدا.

وكان عثمان بن مظعون ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية أيضا وقال : لا أشرب شيئا يذهب عقلي ، ويضحك بي من هو أدنى مني ، ويحملني على أن انكح كريمة من لا اريد<sup>(٢)</sup>.

وورد عن الامام محمد الباقر ﷺ قال : أوحى الله تعالى إلى رسول الله ﷺ اني أشكر لجعفر بن أبي طالب ﷺ أربع خصال.

فدعاه النبي ﷺ فأخبره فقال : لو لا أن الله تبارك وتعالى أخبرك ما أخبرتك :

ما شربت خمرا قط لاني لو شربتها زال عقلي.

وما كذبت قط لان الكذب ينقص المروة.

وما زينت قط لأني خفت إذا عملت عمل بي.

(١) الاحزاب : ٣٣ ، راجع تفاسير الفريقين ومجاميعهم الحديثية.

(٢) السيرة الحلبية : ج ١ ص ١٣٠.

وما عبدت صنما قط لأبي علمت أنه لا يضر ولا ينفع.  
فضرب النبي ﷺ على عاتقه وقال : « حق لله تعالى أن يجعل لك جناحين تطير بهما  
مع الملائكة في الجنة » <sup>(١)</sup>.

نعم هذا هو موقف من هو أقل مرتبة ومنزلة من الإمام علي عليه السلام من الخمر ، ولو في  
العهد الجاهلي ، وقبل تحريمها في الاسلام.

لكن يد الوضع والدرس أبت إلا أن تختلق رواية في المقام ، فقد جاءت في جامع البيان  
للطبري روايتان نذكرهما سنداً ومثلاً ليقف القارئ على ما تعانين من مآخذ :

١ . حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا سفيان عن عطاء بن  
السائب عن أبي عبد الرحمن عن علي أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر  
فصلى بهم عبد الرحمن فقراً : يا أيها الكافرون فخلط فيها فنزلت : لا تقربوا الصلاة وانتم  
سكارى.

٢ . حدثني المثنى قال حدثنا الحجاج بن المنهال قال حدثنا حماد عن عطاء بن السائب  
عن عبد الله بن حبيب أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً وشراباً فدعا نفرًا من أصحاب  
النبي ﷺ فأكلوا وشربوا حتى تملأوا فقدموا علياً يصلي بهم المغرب فقراً : قل يا أيها  
الكافرون اعبدوا ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد وأنا عابد ما عبدتم. لكم دينكم ولي دين.  
فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية : « لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَنَتْمُ سُبْحَارَى جَتَّى تَعْلَبُوا مَا تَقُولُونَ  
» <sup>(٢)</sup>.

والروايتان . مضافاً إلى ما يرد عليهما من الاشكال . تعانين من مؤاخذات متعددة أبرزها  
الاشكال في سندهما ، فكلتا الروايتان تنتهيان إلى عطاء بن السائب ، وهو مطعون في وثاقته  
وديانته ، وفي حفظه وحديثه ، وإليك ما قال عنه أئمة علم الرجال :

(١) الدرجات الرفيعة : ص ٧٠ نقلاً عن الامالي لابن بابويه.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري : ج ٥ ص ٦١.

قال عنه الذهبي : عطاء بن السائب أحد علماء التابعين ، تغير بأخرة وساء حفظه .  
قال عنه أحمد : من سمع منه قديما فهو صحيح ، ومن سمع منه حديثا لم يكن بشيء .  
وقال عنه يحيى بن معين : لا يحتج به .  
وقال أحمد بن أبي خيثمة عن يحيى : حديثه ضعيف .  
وقال عنه أبو حاتم : محله الصدق قبل أن يخلط .  
وقال النسائي : ثقة في حديثه القديم لكنه تغير .  
وقال ابن عليّة : قدم علينا عطاء بن السائب البصرة ، فكنا نسأله ، فكان يتوهم ،  
فنقول له : من؟ فيقول : اشياخنا ميسرة ، وزاذان ، وفلان .  
وقال الحميدي ، حدثنا سفيان ، قال : كنت سمعت من عطاء بن السائب قديما ، ثم  
قدم علينا قدمة فسمعتة يحدث ببعض ما كنت سمعت ، فخلط فيه ، فاتقته واعتزلته .  
واضاف الذهبي : « ومن مناكير عطاء ... »<sup>(١)</sup> .  
أجل هذا هو عطاء في منظار علماء الرجال ، انه سيئ الحفظ ، ضعيف مخلط له مناكير ،  
يتوهم ، تغير بأخرة ، وقد ظهرت آثار الوهم وسوء الحفظ والتخليط هذا في روايته هاتين .  
فهو تارة يقول أن عليا عليه السلام كان مأموما في هذه القصة ( كما في الرواية الاولى ) وتارة يقول  
كان عليه السلام إماما للجماعة .  
وهذه الرواية من مناكيره ، وأوهامه بلا ريب ، إذ كيف يصح أن ينسب إلى رجل لازم  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطيب الطاهر منذ نعومة أظفاره ، شرب الخمر ، والائتمام برجل دونه في  
الفضل ، أو إمامته للجماعة وتخليطه في قراءة سورة عظيمة من سور القرآن الكريم؟!  
ولنستمع معا إلى ما يقوله إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام عن

(١) ميزان الاعتدال : ج ٣ ص ٧٠-٧٣ .



فترة صباه في كنف رسول الله ﷺ فإنه أفضل رد على هذه الرواية ونظائرها : قال عائشة :  
« قد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني  
في حجره وأنا ولد يضمّني الى صدره ، ويكنفني في فراشه ، ويمسني جسده ويشمّني عرفه ،  
وكان يمضغ الشيء فيلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به  
ﷺ من لدن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن  
أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت اتبعه إتباع الفصيل أثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من  
أخلاقه علما ، ويأمرني بالافتداء به » (١) .

هذا وأغلب الظن ان الذين اختلقوا هذه الرواية لما وجدوا أمثال هذه القبائح في حياة  
بعض الصحابة أرادوا ان يساووا بين الامام علي ﷺ وغيره ، فاختلقوا هذه الغريبة الوقحة .  
ومما يثير الاستغراب أن يقع بعض الكتيّاب والمفكرين المعاصرين في نفس ما وقع القدامى  
من الخطأ في هذا المجال ، ويذكر هاتين الروايتين في تفسيره للقرآن الكريم ، مع كل هذه  
المؤاخذات عليهما حتى في صورة النقل ، كما فعل سيد قطب في تفسيره « في ظلال القرآن  
» (٢) ، إذ ليس كل ما هو مذكور في كتب الاقدمين يصح نقله ، ويجوز تكراره . وبخاصة من  
دون تعليق وتكذيب .

### غزوة ذات الرقاع :

قيل إنما سمّيت هذه الغزوة ، وهذا الجهاد المقدس بالرقاع ، لأنّ المسلمين مرّوا بأرض بقع  
سود ، وبقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة .  
وربما قيل لأن الحجارة أوهنت أقدام المجاهدين فكانوا يلقون على أرجلهم

(١) نهج البلاغة : الخطبة رقم ١٩٢ .

(٢) عند تفسير قوله تعالى : « لا تَقْرُؤُوا الصَّلَاةَ مَنَئِمًا سَكْرًا » .

الخرق ، والرقاع فسُمّيت هذه الغزوة بذات الرقاع<sup>(١)</sup> .

وعلى كل حال فان هذه الغزوة لم تكن ابتدائية تماما مثل بقية الغزوات ، بل كانت لإطفاء شرارة كانت على شرف الاشتعال ، والانفجار ، وبالضبط جاءت لتقضي على تحركات واستعدادات عدائية كان يقوم بها بنو محارب وبنو ثعلبة وكلاهما من قبائل غطفان . وقد كان من دأب النبي وسياسته أن ييثر أشخاصا أذكياء إلى المناطق المختلفة ليأتوا له بالأخبار عن كل ما يستجدّ على ساحة الجزيرة العربية ، وفي أوساط القبائل .

فأتاه الخبر ذات مرة أن القبيلتين المذكورتين تنويان جمع الاسلحة والرجال لاجتياح المدينة وغزوها ، فسار إليهم رسول الله ﷺ على رأس مجموعة من رجاله وأصحابه حتى نزل نخلا بنجد قريبة من مكان العدو<sup>(٢)</sup> .

فدفعت سوابق المسلمين الجهادية ، وما سطره في المعارك والمواقف من قصص المقاومة والصمود والبرسالة والاستقامة ، وما حققوه من انتصارات ساحقة حيّرت سكاّن الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها .

لقد دفعت كل هذا العدو إلى الانسحاب ، واللجوء الى رعوس الجبال ، وقد خافوا ألاّ يبرح رسول الله ﷺ حتى يستأصلهم .

وقد صلّى رسول الله ﷺ بالمسلمين في هذه الغزوة صلاة الخوف ، التي بيّن الله تعالى كيفيتها في سورة النساء الآية ١٠٢ .

وأغلب الظن أن العدو كان في هذه الغزوة قويا في تجهيزاته وقواه ، وان الاوضاع العسكرية قد وصلت الى مرحلة خطيرة مما سبّب الخوف ، ولكن الانتصار كان في المآل من نصيب المسلمين .

(١) السيرة النبوية ، الهوامش : ج ٢ ص ٢٠٤ .

(٢) امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٨٨ .

## مواقف خالدة في هذه الغزوة :

يروى المؤرخون والمفسرون المسلمون كابن هشام<sup>(١)</sup> وأمين الاسلام الطبرسي<sup>(٢)</sup> قصصا عجيبة ، وحوادث مثيرة للاعجاب وقعت في هذه الغزوة تكشف عن عمق مروءة النبي ﷺ مع أعدائه ، وقد نقلنا نظير هذا في غزوة ذي أمر ، من هنا نحجم عن ذكر ذلك في هذه الدراسة رعاية للاختصار ، ولكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى القصة التالية التي تكشف عن صمود المسلمين واخلاصهم لدينهم.

### الحرس الصامدون :

مع أن جيش الاسلام قد عاد الى المدينة من هذه الغزوة من دون قتال ولكنّه أصاب مع ذلك بعض الغنائم ، واستراح في شعب في أثناء الطريق ، وبات ليلته هناك ، ثم كلّف رسول الله ﷺ رجلين بحراسة الجيش ليلا يدعيان : « عباد » و « عمار » ، فقسم الرجلان الليل بينهما ، فنام أحدهما وسهر الآخر يحرس الجيش ، وكان الذي سهر أول الليل هو « عباد ».

ثم إن رجلا من العدو خرج في أثر المسلمين ، وكان يقصد أن يريق دما أو يصيب شيئا ويعود الى محله.

وقام « عباد » يصلي ، وأقبل ذلك الرجل يطلب غزّة فلما رأى « عباد » سواده من قريب قال ذلك الرجل في نفسه : نعلم الله أنّ هذا لطليعة القوم ، وحرسهم ففوّق له سهمان ورماه به فأصاب عبادا ولكن عبادا نزع السهم ووضع ، وثبت قائما يصلي فرماه العدو بسهم آخر ، فأصابه فانتزعه وثبت قائما فرماه بثالث فنزعه ، فلما غلب عليه الدم ركع وسجد ، ثم قال لصاحبه : اجلس فقد اصبت ، فجلس عمّار ، فلما رأى الاعرابي أن عمارا قد قام علم أنّهما قد علما

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٠٥ . ٢٠٩ .

(٢) مجمع البيان : ج ٣ ص ١٠٣ .

به ، : فقال عمّار : أي أخي ما منعك أن توقظني به في أول سهم رمى به؟! قال : كنت في سورة أقرأها وهي سورة الكهف ، فكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها ، ولو لا أنني خشيت أن اضيّع ثغرا أمرني به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أتى على نفسي .<sup>(١)</sup>

وهكذا صمد هذا المسلم واستمر في صلاته غير مبال بما أصابته من السهام.

### بدر الثانية :

لما أراد أبو سفيان أن ينصرف يوم « احد » نادى : موعدنا وموعدكم بدر الصفراء العام القابل نلتقي فيه فنقتل.

ولهذا أمر رسول الله ﷺ المسلمين بأن يتهيّئوا للدفاع على أنفسهم وقد مر على وقعة « احد » عام واحد.

وكان أبو سفيان الذي كان يرأس قريش آنذاك يواجه في ذلك الوقت مشاكل داخلية مختلفة فكره الخروج الى رسول الله في الموعد الذي ضربه لمقاتلة المسلمين ، واتفق أن قدم مكة في تلك الايام « نعيم بن مسعود » الذي كانت بينه وبين أبي سفيان علاقات صداقة خاصة ، فجاءه أبو سفيان وقال له : إني وعدت محمّدا وأصحابه يوم « احد » أن نلتقي نحن وهو ببدر الصفراء على رأس الحول ، وقد جاء ذلك ، ولا يصلح أن نخرج إليه العام. فقال نعيم : ما أقدمني إلا ما رأيت محمّدا وأصحابه يصنعون من إعداد السلاح والكرّاع ، وقد تجلّب إليه حلفاء الأوس ، فتركت المدينة أمس وهي كالرمّانة.

فزاد ذلك من مخاوف أبي سفيان ، وضاعف من كراهته للخروج الى رسول الله ﷺ. وتقرر بالتالي أن يعود نعيم إلى المدينة ويحذر المسلمين من الخروج للموعد ، ويحدّثهم. وعاد « نعيم » إلى المدينة ، وراح يرعّب أصحاب رسول الله صلّى الله عليه

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٠٨ ، المغازي : ج ١ ص ٣٩٧.

وآله ويخوفهم من الخروج إلى أبي سفيان إلا أن كلامه لم يترك أي أثر في نفس رسول الله ﷺ ، فخرج ﷺ في ألف وخمسمائة مقاتل من أصحابه ، وقد خرجوا ببضائع لهم ، وتجارات حتى انتهوا إلى « بدر » وقام السوق السنوي هناك فباعوا واشتروا في موسم بدر وربحوا كثيرا ثم تفرق الناس ، ولكن النبي وأصحابه بقوا هناك ثمانية أيام ينتظرون أبا سفيان وجيشه .

وقد كان هذا الاجراء اجراء عسكريا حكيما ورائعا إذ أظهر قوة النبي وعزيمته وقوة أصحابه وعزيمتهم ، ولهذا كان له أثر قوي في نفوس الاعداء .

فلما بلغت أنباء خروج رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر ، لم ير حكام مكة المشركون بدًا من الخروج إلى بدر حفاظا على ماء الوجه ، فخرج أبو سفيان والمشركون بتجهيزات كافية إلى مر الظهران ، ولكنهم عادوا من منتصف الطريق إلى مكة بحجة الغلاء والقحط ، فاعترض صفوان بن أمية على أبي سفيان وقال : قد والله نهيئتك يومئذ أن تعد القوم ، وقد اجترعوا علينا ، ورأوا أنا

قد أخلفناهم ، وإنما خلفنا الضعف عنهم <sup>(١)</sup> .

### ولادة السبط الأصغر لرسول الله :

وفي الثالث من شهر شعبان من هذه السنة ( الرابعة من الهجرة ) ولد السبط الثاني لرسول الله ﷺ الامام الحسين بن علي <sup>(٢)</sup> ، كما توفيت « فاطمة بنت أسد » والدة الإمام علي <sup>(٣)</sup> .

وفي هذا العام بالذات أمر رسول الله ﷺ زيد بن حارثة أن يتعلم السريانية من اليهود <sup>(٤)</sup> .

---

(١) المغازي : ج ١ ص ٣٨٤ - ٣٩٠ ، وقد وقعت هذه الحادثة في الشهر الخامس والاربعين بعد الهجرة .

وتسمى هذه الغزوة « بدر الموعد » .

(٢) و (٣) تاريخ الخميس : ج ١ ص ٤٦٧ .

(٤) إمتاع الاسماع : ص ١٨٧ ، تاريخ الخميس : ج ١ ص ٤٦٤ .

### من أجل تحطيم التقاليد الخاطئة

تعتبر معركة « الاحزاب » ، وقصة بني قريظة ، وزواج رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش من أروع الحوادث التاريخية التي وقعت في السنة الخامسة من الهجرة. وأوَّ هذه الحوادث . كما عليه المؤرخون المسلمون . هو زواج رسول الله ﷺ بالمرأة المذكورة.

وقد ذكر القرآن الكريم تفاصيل هذه القضية ضمن الآيات ( ٤ ، ٦ ، ٣٦ ، الى ٤٠ ) من سورة « الاحزاب » ، ولا يبقى . حينئذ . مجال لأكاذيب المستشرقين ودسائسهم ومختلفاتهم الواهية.

ونحن هنا ندرس هذه القضية على ضوء أصح المصادر والينابيع التاريخية الاسلامية التي لم تطلها أيدي العبث والتحريف ، والمسح ، والتشويه ، ألا وهو القرآن الكريم ، ثم بعد ذلك نتحدث حول ما قاله المستشرقون ومن لف لفهم ،

---

(١) يرى مؤلف كتاب تاريخ الخميس أن هذه الحادثة وقعت في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة ولكن هذا الرأي يبدو غير صحيح من وجهة نظر المحاسبة الاجتماعية ، لأن رسول الله ﷺ كان منشغلا بغزوة « الاحزاب » ، و « بني قريظة » من ٢٤ شهر شوال من السنة الخامسة الى ١٩ من شهر ذي الحجة من نفس السنة فيكون تحقق مثل هذا الزواج في مثل هذه الظروف أمرا مستبعدا جدا ، وإذا كان الزواج من زينب يعدّ من حوادث السنة الخامسة لزم ان يكون قد تحقق قبل الحادثتين المذكورتين ، ولهذا عمدنا الى ذكر هذه الحادثة قبل تبيينك الواقعتين.

ونحى منحاهم في التعامل مع تاريخ السيرة النبوية.

### من هو زيد بن حارثة؟

كان زيد شابا سرقه قطاع الطرق من الأعراب وهو صغير من قافلة ، وباعوه عبدا في سوق عكاظ ، وقد اشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، وقد أهدته خديجة لرسول الله ﷺ بعد زواجها منه.

ولقد دفعت سيرة النبي ﷺ الحسنة ، وأخلاقه الفاضلة وسجايه النبيلة زيدا هذا في أن يحب رسول الله ﷺ حبا شديدا ، حتى أنه عندما جاء أبوه الى مكة يبحث عنه ، وعلم بوجوده عند النبي ﷺ مشي إلى رسول الله ﷺ وطلب منه أن يعتقه ، ويعيده إليه ، ليعيده بدوره إلى أمه ويلحقه بأقربائه ، فابى زيد إلا البقاء عند رسول الله ﷺ وفضل ذلك على الماضي مع أبيه ، والعودة إلى وطنه ، وعشيرته ، وقد خير رسول الله ﷺ في المكث عنده أو الرحيل مع أبيه إلى وطنه.

على أن ذلك الانجذاب والحب كان متبادلا بين زيد ورسول الله ﷺ فكما أن زيدا كان يحب رسول الله ﷺ ويجب أخلاقه وخصاله ، كان رسول الله ﷺ يحب زيدا كذلك لنباهته وأدبه حتى أنه أعتقه وتبناه ، فكان الناس يدعونه زيد بن محمد بدل زيد بن حارثة ، ولكي يتأكد ذلك وقف رسول الله ﷺ ذات يوم وقال لقريش :  
« يا من حضر اشهدوا أن زيدا هذا ابني »<sup>(١)</sup>.

وقد بقي هذا الحب المتبادل بين زيد ، وبين رسول الله ﷺ إلى أن استشهد هذا المسلم الصادق والمؤمن المجاهد في معركة مؤتة ، فحزن رسول الله ﷺ لمصرعه كما حزن لولد من أولاده.

(١) اسد الغابة : ج ٢ ص ٢٣٥ وكذا الاستيعاب والإصابة مادة : زيد.

## زيد يتزوج بابنة عمه النبي :

لقد كان من أهداف رسول الاسلام العظيم ﷺ هو أن يخفف من الفواصل بين طبقات المجتمع وفئاته ، ويقارب بينها قدر الامكان ، ليعيش البشر جميعا تحت لواء الانسانية والتقوى إخوة متحابين لا تبعد بعضهم عن بعض مقاييس الثروة والنسب ، بل يكون الملاك في التفاضل هو الأخلاق الفاضلة والسجايا الانسانية.

من هنا كان يجب التعجيل في ازالة التقاليد العربية البالية التي كانت تقضي بأن لا يتزوج بنات السادة والاشراف بأبناء الطبقات الضعيفة والفقيرة.

وأى وسيلة لضرب هذا التقليد القبيح الظالم وتحقيق المساواة الكاملة أفضل من أن يبدأ النبي ﷺ في تحطيم هذا التقليد بأقربائه وذويه ليقدم بذلك درسا عمليا للامة في هذا المجال ، فقام بتزويج عتيقه « زيد بن حارثة » من شريفة من بني هاشم وهي ابنة عمته زينب بنت جحش حفيدة عبد المطلب ليعلم الناس أنه يجب عليهم الافلاع عن تلك التقاليد الجاهلية الظالمة بسرعة ، ويعرفوا أن النبي ﷺ هو أوّ من نقد في حق ذويه ما كان يردّه من قوله : « لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » و « إن المؤمن كفؤ المؤمن ».

ولأجل تحطيم ذلك التقليد الجاهلي الخاطيء ذهب رسول الله بنفسه إلى منزل زينب ، وخطبها لزيد ، فلم تبد زينب وأخوها رغبة في هذا الأمر في الوهلة الاولى لأن الأفكار الجاهلية كانت لا تزال مترسبة في قلوبهم ، ومن ناحية اخرى كان الرد على النبي ﷺ أمرا صعبا ولهذا تذرعا بعبودية « زيد » السابقة وحاولا بذلك التخلص من مطلب النبي ﷺ.

فلم يلبثا أن نزل قوله تعالى يشجب رد زينب وأخيها لطلب النبي ﷺ :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخبير »



مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا » (١) .

فتلاها رسول الله ﷺ عليهم فورا فدفَع إيمان زينب وأخيها الصادق برسول الله ﷺ وأهدافه المقدسة إلى أن تبادر زينب إلى الاعلان عن رضاها ورضا أخيها بهذا الزواج ، فتزوجت ابنة شريف قوم « زينب » بعتيق رسول الله ﷺ زيد وبذلك طَبَّق رسول الله ﷺ واحدا من أعظم مناهج الاسلام الحية ، وآدابه الانسانية الرفيعة ، وحطَّم عمليا واحدة من أقبح السنن الجاهلية ، وأكثرها تخلفا واجحافا .

### زيد يطلق زوجته :

إلا أن هذا الزواج لم يدم طويلا ، فقد آل إلى الطلاق ، والافتراق ويعزى البعض ذلك إلى نفسية « زينب » وسلوكها الحاد حيث كانت ربما تذكر لزيد دنو حسبه ، وعلو حسبها ، وبذلك كانت تمر في ذائقته طعم الحياة وتسبب انزعاجه .  
ولكن يَحْتَمَل أن السبب وراء هذا الطلاق كان هو زيد نفسه ، فان تاريخ حياته يشهد بأنه كان يعاني من روح العزلة ، وعدم اللفة ، فقد اتخذ أزواجا متعددة وطلقهن ( إلا الاخيرة منهن حيث استشهد عنها وهي في حبالته ) فيكون هذه الطلقات المتعددة دليلا على عدم القدرة على الانسجام مع زوجاته ، لحالة نفسية كان يعاني منها .  
ويشهد بذلك أيضا خطاب رسول الله ﷺ الحاد ، له ، فان النبي ﷺ لما عرف بأن زيدا يبغى طلاق زوجته زينب غضب وقال : « أمسك عليك زوجك واتق الله » (٢) .  
ولو كان الذنب كله ذنب زوجته زينب لما كان يعد تطليقها عملا مخالفا للتقوى .

---

(١) الاحزاب : ٣٦ .

(٢) الاحزاب : ٣٧ .

ومهما يكن فقد طلق زيد زينا وافتراقا ، ثم تزوج بها النبي ﷺ بعد ذلك.

### زواج النبي بمطلقة متبناه لا بطلان سنة جاهلية اخرى :

ولكن قبل أن ندرس العلة الاساسية لهذا الزواج لا بد أن نلقي نظرة فاحصة إلى مسألة النسب الذي يعدّ مقوما مهما من مقومات المجتمع الصحيح. وعبارة اخرى وأكثر تحديدا لا بد أن ندرس الفرق الجوهرية بين الولد الحقيقي ، وبين المتبنى.

وتوضيحا لهذا الأمر نقول :

كان يوجد في المجتمع العربي الجاهلي أبناء لا يعرف لهم آباء أو لهم آباء معروفون ، وكان الرجل يعجبه أحد هؤلاء فيتبناه ويدعوه ابنه ، ويلحقه بنسبه وتصير له حقوق البنوة وملحقاتها.

ولما كان هذا شذوذا عن الاساس الطبيعي للاسرة أبطله الاسلام وذلك لأن الولد الحقيقي ينتمي إلى أبيه بجذور تكوينية ، فالوالد هو . في الحقيقة . المنشأ المادي لوجود ابنه ، ويرث الولد من والده ووالدته الكثير من صفاتهما الجسمية والروحية ، وبذلك يكون امتدادا طبيعيا لوالديه.

وعلى أساس هذه الوحدة الطبيعية ، ووحدة الدم يتوارث الآباء والأبناء ، وتتربأ أحكام خاصة في مجال الزواج والطلاق ، والتحليل والتحریم . وبناء على هذا فان مثل هذا الموضوع الذي ينشأ من جذور تكوينية واقعية ، لا يوجد أبدا باللفظ واللسان .

ولهذا قال الله سبحانه في الكتاب العزيز في معرض الرد على من يتصور المتبنى ولدا حقيقيا لمجرد ادعاء البنوة :

« مَا كَانَ مِنَ عَمَلِهِمْ ° بِإِلْحَامِهِمْ ° كَرِيمٌ ° وَرِئُوسُهُمْ ° اللَّهُ ° يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَبِينُ ° السَّبِيلَ ° عَمُّهُمْ ° بِإِلْحَامِهِمْ ° وَوَقَّظَهُ ° مِنْدُ اللَّهِ ° لِيُنَبِّئَ ° تَعَلَّمُوا آبَاءَهُمْ ° فَبِإِخْوَانِكُمْ ° فِي الدِّينِ ° مَوْلَاكُمْ ° مَلِئُوا ° لَكُمْ ° نَجًّا ° تَمَا خَطَّاهُمْ ° بِهِ ° وَلَكِنْ

ما تَعَمَّدَ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا» (١).

فلا يكون الابن المتبني والولد الحقيقي في صعيد الموضوع سيان أبداً ، فكيف في صعيد الاحكام كالتوارث ، والزواج والطلاق وما شابه ذلك.

فاذا ورث الولد الحقيقي من ابيه او بالعكس أو حرمت زوجة الولد الحقيقي على أبيه بعد طلاقها من زوجها لا يمكن أن نقول أن الابن المتبني يشبهه ويشترك معه في هذه الاحكام أبداً.

ومن المسلم به أن مثل هذا التشريك في الحقوق والشؤون مضافاً إلى كونه لا يستند إلى أساس معقول وصحيح هو نوع من العبث بعامل النسب ، وهو العنصر المهم في المجتمع السليم الصحيح.

وعلى هذا الاساس إذا كان التبنّي بدافع العاطفة أمراً مستحسنًا ومقبولاً ، إلا أنه إذا كان بهدف إشراكه في سلسلة من الأحكام الاجتماعية التي هي من شؤون الولد الحقيقي وحقوقه يعدّ أمراً بعيداً وغريباً جداً عن المحاسبات العلمية ، والاسس الموضوعية.

ولقد كان المجتمع العربي . كما اسلفنا . يعدّ الابن بالتبني كالولد الحقيقي دون فرق ، وقد كلف رسول الله ﷺ من جانب الله تعالى بأن يقضي على هذا التقليد الجاهلي والسنة الخاطئة باجراء عملي صارخ وذلك بالتزوج بزینب مطلقه متبناه « زيد » ، ويمحي من حياة المجتمع العربي هذا التقليد القبيح بالعمل الذي يفوق القول ، ووضع القانون ، في التأثير ، والفاعلية . ولم يكن لهذه الزيجة غير هذا السبب .

لقد كان هذا التقليد أمراً مقدّساً في المجتمع العربي بشكل كبير جداً بحيث لم يكن أحد ليجرأ على نقضه ومخالفته والتزوج بمطلقة دعيّه (٢) لقبحه في نظر العرب لذلك دعا الله سبحانه نبيّه إلى القيام بهذا العمل الخطير ، إذ قال :

(١) الأحزاب : ٤ و ٥ ، راجع تفسير الميزان : ج ١٦ ص ٢٩٠ و ٢٩١ .

(٢) الدعي هو الابن المتبني وجمعه أدعياء .

« إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنَّ نَعِمْتَ عَلَيَّ أَمْ سِنِكَ عَلَيَّكَ وَزَجَّكَ وَتَقَى اللَّهُ وَتُحْتَمِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُحْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّرَأَ تُحْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوَاجِ أَزْوَاجِهِمْ مِنْهُنَّ وَأَمَرَ اللَّهُ بِمَفْعُولًا » (١).

إن هذا الزواج مضافا إلى كونه استهدف منه تحطيم سنة جاهلية مقيتة ( سنة عدم الزواج بمطلقة المتبنى ) واعادة العلاقات العائلية الى وضعها الصحيح يعتبر من أقوى مظاهر المساواة في الإسلام ، لأن النبي الأكرم ﷺ تزوج بمطلقة عتيقه وقد كان مثل هذا العمل مخالفا لشؤون المجتمع يومذاك .

ولقد أثار هذا الاقدام الشجاع موجة من الاعتراض والنقد من جانب المنافقين ، وأصحاب العقول الضيقة ، فقد طرحت هذه المسألة في الاوساط والنوادي وأخذوا يشنعون بها على رسول الله ﷺ ويقولون : لقد تزوج محمد بمطلقة دعيته .

فأنزل الله تعالى في الرد على تلكم الافكار والاقوال الباطلة قوله :

« مَا كَانَ مُحَمَّدٌ بِأَحَدٍ مِنْ جِهَانِكُمْ إِذْ بَدَأَ نَسْتُمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » (٢).

على أن القرآن لم يكتف بهذا البيان بل امتدح نبيه الذي نفذ حكم الله بشجاعة كاملة بقوله :

« مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدِيرًا مَقْبُورًا. الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيُحْشِنُونَهُ وَلَا يُحْشِنُونَ أَجْدَا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا » (٣).

وخلاصة المفاد لهاتين الآيتين هي أن رسول الله ﷺ كغيره من الأنبياء يبليغ رسالات الله ولا يخاف لوم اللائمين ، وكيد المنافقين ، وإرجاف المرجفين .

(١) الأحزاب : ٣٧ .

(٢) الأحزاب : ٤٠ .

(٣) الأحزاب : ٣٨ و ٣٩ .

هذه هي فلسفة تزوج رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش مطلقة دعيه ومبتناه وعتيقه زيد بن حارثة في ضوء القرآن الكريم.

### المستشرقون وقضية تزوج النبي بزینب :

إن زواج رسول الله ﷺ بزینب مطلقة زيد بن حارثة . كما لاحظت . قضية بسيطة خالية عن أي إبهام أو غموض.

ولكن جماعة من المستشرقين تذرعوها بما لإغراء البسطاء ومن شاكلهم غير الملمين بالتاريخ الاسلامي وأرادوا بذلك إضعاف إيمان الذين لا يعرفون السيرة النبوية حق المعرفة ، فأننا يجب أن ندرس ما قالوه في هذا المجال ، ونكشف للقارئ الكريم عن مواطن الدس والتحريف فيه . ولا يخفى أن الاستعمار البغيض لم يكتف للسيطرة على بلادنا باستخدام القوة العسكرية ، والسلاح الاقتصادي بل ربما دخلها متسترا بقناع العلم والتحقيق ، فقد سعى . ولم يزل . لفرض أسوأ هيمنة فكرية شاملة وتبعية ثقافية مقبته على شعوبنا وفق تخطيط دقيق ومدروس وهذا هو ما يسمى بالاستعمار الفكري ، والثقافي .

وفي الحقيقة فان المستشرق هو طليعة ذلك الاستعمار ، بل وجيشه المتقنع بقناع العلم والمعرفة الذي ينفذ إلى أعماق المجتمع ، ويتسلسل إلى اوساط المفكرين والمثقفين وينفث سمومه القاتلة ، ويحذر العقول ، ويمهد النفوس للاستعمار السافر ، والمكشوف .

ويمكن أن لا يرتضي كثير من الكتاب وعشاق القلم والثقافة في الغرب منطقنا هذا فيعمدوا الى رمينا بالتحجر ، والعصبية والتخلف ويتصوروا باننا نقول ما نقوله بدافع العصبية القومية أو الدينية ، ولكن كتابات المستشرقين وإخفاءهم المتعمد والكثير للحقائق ، وتحريفهم ودسهم المكشوف في تاريخ الاسلام حيناً والخفي حيناً آخر يشهد بوضوح أن دافعهم في كثير مما كتبوا ليس حب العلم وتحري المعرفة ، فان أكثر ما كتبوه ممزوج بطائفة من أفكارهم المعادية للاسلام ، ولرسول

الله والمسلمين (١) .

ويشهد على هذه النزعة . بجلاء ووضوح . موقفهم من زواج رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش وما نسجوه من قضايا خياليّة حول هذه القضية ، التي وقعت بهدف إبطال سنة باطلّة ، فأعطوها صبغة قصص الحب وأساطير الغرام على طريقة القصّاصين والروائيين وديدهم ، وعمدوا إلى حكاية تاريخية مختلفة وضخّموها ونفخوها فيها ونسبوه إلى أظهر إنسان عرفه العالم البشري .

وعلى كل حال فان أساس هذه الاسطورة عبارات نقلها ابن الأثير (٢) ومن قبله الطبري (٣) وبعض المفسّرين ، وهي أنه : خرج رسول الله ﷺ يريد زيدا وعلى الباب ستر من شعر فرفته الريح فرآها وهي حاسرة فأعجبته!!!

ولكن المستشرقين بدل أن يتحققوا من سند هذه الأقوال ، لم يكتفوا بنص ما ذكره أولئك المؤرّخون والمفسّرون ، بل الصقوا به الكثير الكثير حتى تحوّلت تلك الجمل العابرة إلى قصة تشبه أقاصيص ألف ليلة وليلة .

إن من المؤكّد أن الذين يعرفون سيرة رسول الله ﷺ الطاهرة يدركون أن هذا التاريخ إنّما هو في أصله وفرعه من نسج الخيال ، وصنع الأوهام ، وانها تخالف ما في صفحات التاريخ النبويّ الوضاعة النقيّة مخالفة كاملة ، الى درجة أن علماء معروفين كالفخر الرازي والآلوسي كذبوا هذه القصة بشكلها الذي ذكرها ابن الاثير والطبري بصراحة كاملة وقالوا : إن هذه الرواية رواية باطلّة زوّرها واختلقها أعداء الاسلام ، وراجت في كتب المؤلّفين المسلمين (٤) .

فكيف يمكن القول بأنّ هذه القصة وبهذه الكيفية كانت مما يعتقد بصحته

---

(١) للتأكد الأكثر من هذا الأمر ( راجع كتاب المستشرقون ) .

(٢) و (٣) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ١٢١ ، جامع البيان في تفسير القرآن : ج ٢٢ ص ١٠ .

(٤) مفاتيح الغيب : ج ٢٥ ص ٢١٢ ، روح المعاني : ج ٢٢ ص ٢٣ و ٢٤ .

ابن الأثير ، والطبري في حين أن هناك العشرات ممن نقلوا خلافها وبرأوا ساحة النبي العظيم ﷺ من هذه المساوئ.

وعلى أية حال فإننا نشير في الصفحات التالية لدلائل اختلاق هذا القسم من التاريخ ، ونعتقد أن القضية في واقعها وحقيقتها واضحة جدا ، واغنى من ان ندافع عنها.

### واليك أدلتنا :

أولا . ان التاريخ المذكور يخالف المصدر الاسلامي الاصيل وهو ( القرآن الكريم ) لأن القرآن بشهادة الآية ( ٣٧ ) من سورة الأحزاب تصحّ بأن زواج رسول الله ﷺ من زينب كان لأجل إبطال سنة جاهلية باطلة وهي السنة القاضية بأنه لا يحق لأحد أن يتزوج مطلقة دعيّه ، خاصة وأنّ رسول الله ﷺ فعل ذلك بأمر الله سبحانه وليس بدافع من الرغبة الشخصية ، والحب الشخصي ، ولم يكذب ذلك أحد في صدر الاسلام.

فاذا كان ما قاله القرآن الكريم مخالفا للحقيقة لسارع اليهود والنصارى والمنافقون الى نقده وتفنيده ، ولأحدثوا ضجة بسبب ذلك ، في حين أنّ مثل هذا لم يؤثر من أعداء الاسلام الذين كانوا يتحّينون الفرص للايقاع برسول الله ﷺ ، وتلوّث سمعته.

ثانيا . أن « زينب بنت جحش » هي تلك المرأة التي اقترحت على رسول الله ﷺ الزواج بها قبل أن يتزوج بها « زيد » ولكن رسول الله ﷺ أصّر على ان تتزوج غلامه المعنق زيدا رغم رغبتها في الزواج من رسول الله ﷺ .

فلو كان رسول الله ﷺ يحبّ الزواج بها . وهو يعرفها طبعاً . لما وجد مانعا من ذلك عند ما طلبت منه الزواج بها ، فلما ذا لم يتزوج بها؟ ولما رفض طلبها؟.

أجل ، انه لم يتزوج بها ولم يجب مطلبها بل ألحّ عليها أن تتزوج بشخص آخر رغم أنه أحس برغبة شديدة لدى زينب في الزواج منه لا من غيره.

وبعد تكذيب هذا القسم المحجرّ من التاريخ الاسلامي لا يبقى مجال لتعليقات وأوهام جنود الاستعمار وطلّاعه المغرضين.

إننا نبيحّ ساحة رسول الاسلام العظيم ﷺ من أمثال هذه التّهات والنسب الرخيصة ونرى أن ساحته المقدسة أجل من أن ننقل كلمات هذا الفريق من الكتاب المغرضين الحاقدين في حقّ نبيّ بقي مكثفيا بزوجة تكبره بثمانية عشر عاما ، الى أن بلغ سن الخمسين.

من هنا نعرض عن ذكر أقوالهم.

ولا بأس بأن نذكر هنا ما كتبه جماعة من المحققين المصريين الذين أشرفوا على طباعة « التاريخ الكامل » لابن الأثير تعليقا على ما أدرجه في هذا المجال :

هذه رواية باطلة زوّرها الملاحدة ، واختلقها أذهان أعداء الدين الاسلامي ليطعنوا في نبي الاسلام عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، وهل يعقل : انه لا يعرف ابنة عمته التي كان ولي زواجها إلى مولاه زيد؟ وانما دسائس الزنادقة ، ومبشّري المسيحية قد تغلّغت في نفوس العلماء من حيث لا يعلمون ، فافتكروا في رواية الخبر ، فاتخذوه أساسا ، وأعرضوا عن كتاب الله وعن قول الله تعالى من أنّ الله أعلمه بأنّها صارت زوجه قبل أن استشاره زيد في طلاقها. والعجيب أن ابن الأثير مع جلاله قدره ينقل هذه الرواية المزيفة التي هي طعن صريح في رسول الله ﷺ ، وقد قلّد في روايته هذه ابن جرير قبله ، وكلاهما وقع في هوة الضلالة من حيث لا يشعرون ، ولو عرضت كل رواية على كتاب الله تعالى لما أقدم أحد على مثل هذا الإفك العظيم!!

إن زينب هي وهبت نفسها لرسول الله فزوّجها من مولاه ، ثم تزوجها رسول الله ﷺ « كي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا » ، فاذن كان الزواج لأجل التشريع ، وكان عمليا ، لشدة نفرة أهل الجاهلية من هذا الزواج من النبيّ ﷺ ، لانهم يعدّون المتبني ولدا صريحا أو في مرتبته.



قال الفخر الرازي : وفيه إشارة إلى أن التزويج من النبي ﷺ لم يكن لقضاء شهوة النبي ﷺ بل لبيان الشريعة بفعله ، انتهى .

ونحن نعتب عليه أيضا إذ جعله إشارة ولم يجعله صريحا وبما أن روح التقليد الأعمى قد اشتد بين المسلمين منذ زمن بعيد فالحكاية التي أوردها المؤلف نقلها كثير من المفسرين غير مفكرين بما فيها من طعن في الدين لإفادتها أن الشريعة الإسلامية عبارة عن إتباع أهواء أو تنفيذ شهوات تنزهت عن ذلك كله ، ويرحم الله السيد الألوسي حيث قال في تفسيره : وحاصل العتاب : لم قلت « امسك عليك زوجك » ، وقد أعلمتكم أنها ستكون من أزواجك وهو مطابق للتلاوة ، لأن الله أعلم أنه مبدئ ما أخفاه عليه الصلاة والسلام ولم يظهر غير تزويجها منه فقال : « زوّجناكها » فلو كان الضمير محبتها واردة طلاقها ، ونحو ذلك لأظهره جلّ وعلا ، وللقصاص في هذه القصّة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول ، انتهى .

ثم أورد الروايات المزيفة التي تشبه ما أورده المؤلف ( أي ابن الأثير ) محذرا الناس منها ومن أمثالها التي لا تروج إلا على الحمقى والمغفلين انتهى . راجع هامش الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٢١ . طبعة القاهرة ادارة الطباعة المنيرية عام ١٣٤٩ هـ .

### توضيح عبارتين :

هذا واستكمالا للبحث ، واتماما للفائدة ندرج نص الآية التي نزلت في هذا المجال ، والتي تسببت جملتان منها في إثارة الشكوك لدى بعض الجاهلين بحقائق السيرة النبوية الزكية ، ونعطي بعض التوضيحات اللازمة حولهما : وإليك نص الآية أولا :

« مَذِّقُوا لِكُلِّ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَنَعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَجَاكَ وَتَّقِ اللَّهَ » .

وفيما يلي الجملتان اللتان تحتاجان الى التوضيح :

« وتخفي في نفسك ما الله مبديه .»

فما ذا كان رسول الله ﷺ يخفي في نفسه وقد أظهره الله وأبداه بعد كل تلك

النصيحة التي نصح بها ﷺ زيدا؟

ربما يتصور أحد أن الأمر الذي كان يخفيه رسول الله ﷺ هو رغبة النبي ﷺ في

تطليق زيد زوجته زينب أي أنه وان كان رسول الله ﷺ ينهى زيدا في الظاهر عن تطليق

زينب ، إلا أنه كان في سرّه يرضى بذلك بل يرغب فيه ليتسّى له بعد ذلك أن يتزوجها هو .

ولا شك أن هذا الاحتمال غير صحيح مطلقا لأن النبي ﷺ إذا كان يبطن مثل هذا

الأمر ، فلما ذا لم يبد الله سبحانه نيّته هذه بآيات اخرى ، في حين أنه سبحانه وعد في

هذه الجملة بأن يظهر ما كان يخفيه رسول الله في نفسه إذ قال تعالى : « مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ؟! »

ولهذا قال المفسرون : إن المقصود مما كان يخفيه هو الوحي الالهي الذي أنزله الله عليه ،

وتوضيح ذلك هو : أنّ الله تعالى أوحى إليه بأن زيدا سيطلق زوجته رغم نصيحة النبي ، وأنه

ﷺ سيتزوج بها من بعده لإبطال سنّة جاهلية مقبّية ( وهي حرمة الزواج بمطلّقة الدعي

).

ومن هنا كان رسول الله ﷺ حين نصيحته لزيد ونهيه عن تطليق زينب زوجته ملتفتا

ومنتبها إلى هذا الوحي الالهي أيضا ، ولكنه أخفى هذا الوحي عن زيد وغيره ، ولكن الله

تعالى أخبر النبي في نفس تلك الجملة بأنه تعالى سيبيد للناس ما يخفيه رسول الله ﷺ

في قلبه ، وأن الامر لن يبقى خافيا على أحد بإخفائه ﷺ له .

ويشهد بهذا المعنى أنّ القرآن الكريم اظهر الامر في ذيل نفس هذه الآية إذ قال :

« فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ

فِي نَوْمٍ أَوْ دُعَائِهِمْ فِي الْقَضْوِ مِنْهُمْ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا « (١) .

فمن هذا التعقيب يستفاد أن ما كان يخفيه رسول الله ﷺ هو الوحي الالهي ، بأنه عليه أن يتزوج بزوجة دعيته بعد طلاقها لإبطال سنة جاهلية خاطئة.

٢ . واما الجملة الثانية التي هي بحاجة الى التوضيح فهي قوله تعالى : « وَتَحْشَبِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ نَدًا تَحْشَاهُ » . غير أن هذا القسم من الآية هي الجملة الثانية الأقل إيهاما وغموضا من الجملة السابقة بدرجات ، لأن تجاهل سنة عريقة متحذرة في بيئة منحرفة ( وهي الزواج بمطلقة الدعي ) يقترن . بطبيعة الحال وحتمًا . بحرج نفسي يزول ويرتفع لدى الأنبياء بتوجههم إلى الأمر الالهي ..

وإذا كان النبي ﷺ يعاني من حرج نفسي شديد من هذه القضية فانما هو لأجل أنه ﷺ كان يتصور أن جماعة العرب الذين لم يكن عهدهم بالإسلام طويلًا ، لم يمر على انقطاعهم عن عاداتهم وتقاليدهم الجاهلية سوى زمن قصير سيقولون : إن النبي ارتكب عملاً سيئًا ، والحال أن الامر ليس كما يعتقدون .

قال العلامة الطباطبائي في هذا الصدد : قوله : « لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم لما قضوا منهن وطرا » تعليل للتزويج وبيان مصلحة للحكم . وقوله : و « كان أمر الله مفعولا » مشير الى تحقق الوقوع وتأكيده للحكم .

ومن ذلك يظهر أن الذي كان النبي ﷺ يخفيه في نفسه هو ما فرض الله له أن يتزوجها لا هواها ، وحبه الشديد لها وهي بعد مزوجة كما ذكره جمع من المفسرين ، واعتذروا بأنها حالة جبليّة لا يكاد يسلم منها البشر فإن فيه أولا : منع أن يكون بحيث يقوى عليه التربية الإلهية . وثانيا : أنه لا معنى حينئذ للعتاب على كتمانته وإخفائه في نفسه فلا مجور في الإسلام لذكر حلائل الناس

(١) الاحزاب : ٣٧ .

والتشبيب بهن (١).

ولما كانت المسألة مسألة وضع قانون جديد لهذا مضي القرآن الكريم يؤكدها ويزيل عنصر الغرابة عنها فقال تعالى : « ما كان على النبي من حرج فيما أمر الله به سنة الله في الذين حلّم من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، وكفى بالله حسيباً . ما كذبناك بأحد من جنّك من قبل أن يهبط الوحي . كذبوا بك مبغضين إلا الله ، وكان الله بكلّ شيء عليماً . يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً . وسبحوه بكرةً وصيلاً . هو الغنيّ الغنيّ عنكم وملائكته ليخرجنكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً . تحيتهم يوم يلقونه سلام . وعدّ لهم أجراً كريماً . يا أيها النبي إنّنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . و أعيان إلى الله فإنّته وسراجاً منيراً . بهتوا للمؤمنين كذبوا بك مبغضين . ولا تطع الكافرين والمنافقين واعلم أنّهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً » (٢).

ففي هذه الآيات إشارة إلى :

١ . أن ما قام به النبي من التزوج بزینب كان بأمر الله ، وكان على سبيل سنّ قانون وتشريع سنة ولكن بصورة عملية ، وإن ذلك القانون علم الله ضرورتها وقدرها وزمانها ومكانها .

٢ . أن زيدا ليس ابن محمد ﷺ إنما هو متبناه ودعيه بل هو ابن والده حارثة واقعا وحقيقة وليس ذلك إلا تقرير وتأكيد للحقيقة التي سبقت الإشارة إليها في قوله تعالى : « وما جعل لأعيانكم أبناءكم » .

٣ . أن ما قام به رسول الله ﷺ من التزوج بمطلقة متبناه هو جزء من تشريعه الذي يشترعه بأمر الله وإذنه تعالى لتسير عليه البشرية ، وفق آخر رسالة السماء الى الأرض ، لا أنه أمر واقع بدافع شخصي .

(١) تفسير الميزان : ج ١٦ ص ٣٤٣ .

(٢) الاحزاب : ٣٨ . ٤٨ .

٤ . إن الله هو الذي يعلم ما يصلح لهذه البشرية وما يصلحها وهو الذي فرض على النبي ما فرض ليحل للناس ازواج أديعائهم اذا ما قضاوا منهن وطرا وانتهت حاجتهم منهن واطلقوا سراهن. قضى الله هذا وفق علمه بكل شيء ، ومعرفته بالاصالح والافوق من النظم والشرائع.

٥ . إن ما سنّه الله للمسلمين وما اختاره تعالى للامة الاسلامية في مجال العلاقات العائلية يريد بها الخير والخروج من الظلمات إلى النور ، فعليهم ان يذكروه ويشكروه أبدا ودائما ، فانه سيكون لهم لو أطاعوه وسبّحوه وذكره شأن في المأ الأعلى فهو يصلي عليهم وملائكته ، ويذكرهم هناك بالخير ، وانما يفعل كل هذا من منطلق الرحمة والعناية بهم.

٦ . أن وظيفة النبي ﷺ في المسلمين هي ( الشهادة ) عليهم ، فيحسنوا العمل ، وهي ( التبشير ) لهم بما ينتظر العاملين من رحمة وغفران ، و ( الانذار ) للغافلين المسيئين بما ينتظرهم من عذاب ونكال ، و ( الدعوة الى الله ) لا إلى دنيا أو مجد أو عزة قومية أو عصبية جاهلية ، وذلك باذن الله فما هو بمبتدع ، ولا بقائل من عنده شيئا.

٧ . ان على النبي ﷺ أن يبشّر المؤمنين المطيعين لاوامر الله بأن لهم فضلا كبيرا ، ولا يطيع الكافرين ، والمنافقين ، وألاّ يحفل أذاهم له وللمؤمنين ، وان يتوكل على الله وحده وهو بنصره كفيلا ، وهو يوحي بأن المنافقين أرجفوا بالنبي ﷺ في هذه القضية ، ارجافا عظيما.

وكل هذه الامور توحى بأن تغيير تلك السنة الجاهلية ( عدم الزواج بمطلقة المتبنى ) كانت عملية صعبة فاحتاجت إلى كل هذا التعقيب ، وبالتالي تثبيت الله للنفوس فيه ، كي تتلقى ذلك الأمر بالرضى والقبول والتسليم ، وهذا هو الحال عند سنّ القوانين المهمة والخطيرة.

### غزوة الاحزاب (١)

لقد قاد رسول الله ﷺ في السنة الخامسة مجموعة من الغزوات ، كما وبعث سلسلة من السرايا لافشال المؤامرات التي كانت في طور الانعقاد أو التكوين أو التي كانت محتملة من جانب العدو .

وإليك فيما يأتي بعض غزوات السنة الخامسة :

#### ١ . غزوة دومة الجندل (٢) :

بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعا كثيرا وأنهم يظلمون من مرّ بهم من المسافرين والتجار ، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة ، فخرج رسول الله ﷺ في ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ويكمن النهار أخذ بعنصر الاستتار والسرية على عادته .

ولما دنا رسول الله ﷺ من دومة الجندل وعرف به تلك الجماعة تفرقوا من فورهم فلم يجد ﷺ بها أحدا ، فأقام بها أياما وبتّ السرايا والدوريات وفرّقها حتى غابوا عنه يوما ثم رجعوا إليه ، ولم يصادفوا من

---

(١) ذكر ابن هشام في سيرته أن هذه الغزوة وقعت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة ، وحيث إن غزوة الأحزاب انتهت في الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة ، وطالت محاصرة المدينة شهرا واحدا لذلك يجب أن نقول إن هذه المعركة بدأت منذ الرابع والعشرين من شهر شوال تقريبا .

(٢) المغازي : ج ١ ص ٤٠٢ ، السيرة النبوية : ج ٣ ص ٢١٣ ودومة الجندل منطقة بين دمشق والمدينة ( الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٤٤ ) .

تلك الجماعة أحدا.

ثم إن رسول الله ﷺ عاد إلى المدينة في العشرين من شهر ربيع الثاني ، من دون ان يقاتل (١).

## ٢ . غزوة الخندق ( الأحزاب ) :

أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير في السنة الرابعة من الهجرة كما قلنا بسبب نقضهم للميثاق ، وسيطر على قسم من أموالهم وممتلكاتهم ، واضطرت بنو النضير إلى أن تذهب إلى « خيبر » وتسكن هناك ، أو تسير إلى الشام.

وقد كان إجراء النبي ﷺ هذا متطابقا مع ما جاء في الميثاق المعقود بينه وبين يهود يثرب.

وقد دفع هذا الإجراء بسادة بني النضير وزعمائهم إلى التآمر ضد الإسلام ، فقدموا مكة ، وحرّضوا قريشا على حرب رسول الله ﷺ وإليك مفصل هذه الغزوة :

عبأ المشركون العرب ، واليهود قواهم في هذه المعركة ضدّ الاسلام.

فقد شكّلوا اتحادا نظاميا قويا وحاصروا المدينة مدة شهر واحد ، وبما أن أحزابا مختلفة اشتركت في هذه المعركة سميت هذه المعركة بمعركة الأحزاب ، وربما سميت بمعركة « الخندق » لأن المسلمين احتفروا خندقا حول المدينة عظيما ، دفاعا عنها ، ومنعا للكفار عن اجتياحها.

ولقد كان زعماء بني النضير وبنو وائل . كما أسلفنا . هم المحرّكون الأصليون لهذه الحرب ، والمشعلون الرئيسيون لفتيلها.

---

(١) امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٩٣ و ١٩٤ .

فانّ الضربة القوية التي تلقاها يهود بني النضير من المسلمين ، والتي اضطروا على أثرها الى مغادرة المدينة ، فسكن بعضهم خيبر ، دفعهم إلى ان يخطّطوا بصورة جهنمية ودقيقة لاستئصال شأفة الاسلام ، والقضاء عليه. وانها لخطّة عجيبة حقاً ، فقد جعلوا المسلمين يواجهون طوائف متعددة وأحزاب مختلفة لم يعرف لها تاريخ العرب مثيلاً!!

كما أن في هذه الخطة كان اليهود هم أنفسهم الممولون الاساسيون لطوائف العرب العديدة ، فقد أمدّوهم بأموال كبيرة ، وهيّتوا كل ما يحتاجون إليه من حاجات ومعدات!! وكانت الخطة كالتالي : قدم جماعة من سادة بني النضير مثل « سلام بن أبي الحقيق » و « حبي بن أخطب » في نفر من بني النضير على قريش مكة ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فلقد جئنا لخالقكم على عداوة محمّد وقاتله.

وقال حبي بن أخطب : إن محمّداً قد وتركتم ووترنا وأجلانا من المدينة من ديارنا وأمواننا ، وأجلا بني عمّنا بني قينقاع فسيروا في الأرض ، واجمعوا حلفاءكم وغيرهم حتى نسير إليهم ، فقد بقي من قومي بيثرب سبعمائة مقاتل وهم بنو قريظة ، وبينهم وبين محمّد عهد وميثاق وأنا أحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمّد ويكونون معنا عليهم ، فتأتونه انتم من فوق وهم من أسفل.

فأثّرت كلمات اليهود وما قاله « حبي بن أخطب » في نفوس المشركين الحانقين على رسول الله ، واصحابه ، واستحسنوا خطّتهم ، وابدوا استعدادهم للخروج إلى رسول الله ﷺ وقتاله. ولكنهم قبل أن يوافقوا اليهود على ذلك الرأي سألوهم قائلين : يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الأوّل ، والعلم ، أخبرونا عما اصبحنا نحن فيه ومحمّد ، افديننا خير أم دين محمّد؟

ويجب أن نرى الآن بما أجابت هذه الطائفة ( التي كانت ولا تزال تعد نفسها حامل لواء التوحيد ، الوحيد في العالم ) اولئك المشركين الجهلة الذين



وصفوا اليهود بالعلم والمعرفة ، وطلبوا منهم حل مشكلتهم؟! « أجل لقد قال اليهود بوقاحة كبيرة : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق ، إنكم لتعظمون هذا البيت ، وتقومون على السقاية ، وتنحرون البدن ، وتعبدون ما كان عليه آبائكم ، فانتم أولى بالحق منه!!!<sup>(١)</sup> . ولقد أضافت اليهود بهذه الاجابة الوقحة وصمة عار اخرى الى سجلهم الاسود ، وزادوا تاريخهم المشؤوم سوادا ، وسوء.

ولقد كانت هذه الغلطة فضيحة ، وقيحة الى درجة أنّ الكتاب اليهود تأسّفوا لوقوعها ، في ما بعد.

فهذا هو الدكتور اسرائيل يكتب في كتابه : ( تاريخ اليهود في بلاد العرب ) حول هذا الموقف المشين جدا قائلا : « كان من واجب هؤلاء ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش ، والا يصرّحوا امام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام أفضل من التوحيد الاسلامي ولو أدى بهم الأمر الى عدم اجابة مطالبهم كان من واجبهم أن يضحّوا بحياتهم وكل عزيز لديهم في سبيل ان يخذلوا المشركين ، هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الاصنام انما كانوا يحاربون أنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة »<sup>(٢)</sup> .

وفي الحقيقة أن هذا المنطق هو الذي يتوسّل به الساسة الماديون اليوم لإنجاح مقاصدهم ، وتحقيق مآربهم . فهم يعتقدون . بكل جد . أن عليهم . لتحقيق أهدافهم . التوسل بكل وسيلة ممكنة مشروعة كانت أو غير مشروعة ، وهذا هو مقولة « الغاية تبرر الوسيلة » التي طرحها ميكافيلي ، وبالتالي فان « الاخلاق » في منظور هذه الجماعة هو ما يخدم مصالحهم ويحقق أغراضهم ليس إلا .

إن القرآن الكريم يتحدث عن هذه الواقعة المرة فيقول :

« لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُتُوا نَصِيْبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنِّ وَالطَّاغُوتِ وَ

(١) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٢١٧ .

(٢) حياة محمد : ص ٣٢٩ .

يُثْبِتُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. وَأَلْعَنَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا « (١) .

ولقد ترك كلام أدعياء العلم والدين هؤلاء ، أثرا عجيبا في نفوس المشركين وعبدة الاوثان ، فأظهروا موافقتهم على خطة اليهود الجهنمية وهو تأليف جيش من قبائل متعددة لمقاتلة المسلمين وحيداً و معهم موعدا للتوجه الى المدينة ، لتحقيق ذلك الغرض المشؤوم . فخرج مثيرو الفتنة ومشعلو الحرب ( اليهود ) من مكة بقلوب مملوءة سرورا ، وغبطة ، وساروا الى نجد ، ليتصلوا بقبيلة غطفان . وكانت من اعدى اعداء الاسلام . فاستجلبوا موافقة قبائل غطفان : بني فزار ، وبني مرّة ، وبني اشجع ، شريطة أن يعطوهم تمر خبير ، لمدة سنة ، بعد الانتصار على المسلمين ، ولكن تحركات قريش في مجال ضمّ القبائل الى ذلك الجيش لم ينته الى هذا الحد فقد راسلت قريش حلفاءها من بني سليم وراسلت غطفان حلفاءها من بني اسد ، ودعوهم إلى المشاركة في هذه الحرب ، فاستجابت لهم تلك القبائل ، وتحركت جميع هذه الفئات والاحزاب في جيش كبير هائل قدمت عناصره من مختلف نقاط الجزيرة ، نحو المدينة في يوم معين وهي تبغي اجتياح مركز الاسلام ، واستئصال شأفته!! (٢) .

#### استخبارات المسلمين ترفع تقريراً للقيادة :

منذ أن سكن رسول الله ﷺ في المدينة كان يبعث بجواسيسه وعمونه النشطين الاذكياء الى مختلف مناطق الجزيرة ، لتقصّي الأخبار ، ومراقبة الأوضاع ، وإخبار النبي ﷺ بكلّ ما يحصلون عليه في هذا المجال أولا بأول .  
فقدم أحدهم على رسول الله ﷺ وأخبره بخروج تلك القوة

(١) النساء : ٥١ و ٥٢ .

(٢) المغازي : ج ٢ ص ٤٤٣ .

الكبيرة ومسيرها إلى المدينة ، وبهدفها ، وتاريخ خروجها ، ووصولها إلى مشارف يثرب .  
فرعا رسول الله ﷺ أصحابه فورا وأحبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم في الامر ،  
ليستفيدوا من تجارب « احد » ، فاقترح جماعة منهم اسلوب التحصن ، والقيام بالدفاع من  
داخل القلاع والحصون ، ولكن هذا العمل لم يكن كافيا لأن جيش العدو كان كثيفا وكبيرا  
جدا وكان من المحتمل بقوة أن تقوم عناصره الكثيرة ، الكبيرة في عددها بهدم الحصون  
والقلاع ، والقضاء على المسلمين ، فلا بد اذن من اتخاذ وسيلة تمنع العدو من الاقتراب الى  
المدينة أصلا .

فقال سلمان الفارسي الذي كان عارفا بفنون القتال عند الفرس معرفة كاملة : يا رسول  
الله إنا اذا كنا بأرض فارس ، وتحوّفتنا الخيل ، خندقنا حولنا ، فهل لك يا رسول الله أن  
تخندق؟<sup>(١)</sup>

وفي رواية اخرى أنه قال : يا رسول الله نحفر خندقا يكون بيننا وبينهم حجابا ، فلا  
يمكنهم أن يأتونا من كل وجه ، فانا كنا معاشر العجم في بلاد فارس اذا دهمنا دهم من  
عدونا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة<sup>(٢)</sup> ، ( أي محدودة ) .

فاعجب رأى سلمان المسلمين جميعا ، وكان لهذا التكتيك أثر جوهري وبارز جدا في  
حفظ الاسلام وصيانة المسلمين .

ومن الجدير بالذكر أن النبي ﷺ خرج بنفسه يدرس المنطقة ميدانيا ولكي يحدد  
المنطقة التي يمكن ان ينفذ من خلالها العدو فقرر ان يحفروا الخندق من ناحية « احد » الى  
« راتج » وكان سائر المدينة مشبك بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منها ، وعلم الموضع  
الذي يجب ان يحفر بخط خطّه على

(١) المغازي : ج ٢ ص ٤٤٥ ، تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٢١٨ .

الأرض.

ولكي يتم هذا الامر بنظام وسرعة جعل على كلّ عشرين خطوة ، وثلاثين خطوة جماعة من المهاجرين والانصار يحفرونه ، فحملت المساحي والمعاول ، وبدأ رسول الله ﷺ نفسه وأخذ معولا فحفر في موضع المهاجرين بنفسه ، وعليّ عائشة ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله ﷺ وعيي (١) وهو يقول :

« لا عيش إلاّ عيش الآخرة ، اللهم اغفر للأنصار والمهاجرة ».

وقد كشف رسول الله ﷺ بعمله هذا عن جانب من نهج الاسلام واسلوبه ، وفي ذلك تنشيط الامة وتقوية لعزائمهم في مجال القيادة واخلاق القائد ، وأفهم المجتمع الاسلامي أنّ على القائد الاسلامي ، وعلى إمام الامة أن يشارك الناس في آلامهم كما يشاركونهم في آمالهم ويسعى أبدا الى التخفيف عن كاهلهم بمشاركته العملية في الأعمال ، ولهذا لما نظر الناس إلى رسول الله ﷺ يحفر نشطوا واجتهدوا في الحفر ، ونقلوا التراب ، ولما كان اليوم الثاني بكَروا في العمل ، وكان ذلك النشاط العظيم عاملا في أن يندفع يهود بني قريظة أيضا إلى مساعدتهم فأعاروهم المساحي والفؤوس والأوعية الكبيرة لنقل التراب (٢).

وكان المسلمون يومئذ يعانون من نقص وضيق شديدين في المواد الغذائية ، ومع ذلك كان أصحاب المكنة والثراء من المسلمين يمدّونهم بالطعام وغيره (٣).

وربما عرضت للمسلمين وهم يحفرون في الخندق صخرة عظيمة عجزوا عن كسرها وإزالتها ، فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك فأخذ معولا فكسرها وأزالها.

(١) وجاء في تاريخ الخميس : ج ١ ص ٤٨٩ انه (ص) كان ينقل التراب حتى اغبر بطنه.

(٢) السيرة الحلبية : ج ١ ص ٣١١.

(٣) السيرة الحلبية : ج ١ ص ٣١٢.

أما طول الخندق فكان بالنظر الى عدد العاملين في حفرها . وقد كان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف حسب المشهور ، وكان كل عشرة يحفرون (٤٠) ذراعا . هو (١٢٠٠٠) ذراعا اي ما يقارب خمس كيلومترات ونصف الكيلومتر ، وأما العرض فكان بحيث لا يقدر الفرسان الماهرون من عبوره بالقفز بأفراسهم ، فيكون عرضه بطبيعة الحال ما يقارب خمسة أمتار وعمقه خمسة أمتار أيضا .

### القول النبوية الخالدة في شأن سلمان :

عند ما قسّم رسول الله ﷺ المهاجرين والانصار جماعات جماعات ، وأوكل الى كل جماعة حفر موضع من الخندق ، تنافس الناس يومئذ في سلمان الفارسي وأراد كل أن يضمّه الى صفّه ، فقال المهاجرون : سلمان منا وقالت الأنصار : سلمان منا ونحن أحقّ به!!  
فبلغ رسول الله ﷺ قولهم فقال قولته الخالدة في شأن سلمان يومذاك :  
« سلمان منّا أهل البيت »<sup>(١)</sup> .

ثم إن رسول الله ﷺ بقى الى جانب الخندق ستة ليال بأيامها حتى فرغ المسلمون من عمل الخندق غير أن المنافقين تخاذلوا في هذه القضية وكانوا يتذرعون بأعذار مختلفة لئتملّصوا من العمل في الخندق ، وربما كانوا يذهبون إلى منازلهم من دون أن يستأذنوا رسول الله ﷺ .

أما المؤمنون الصادقون فكانوا يعملون باستمرار ، وإذا ما احتاجوا إلى الذهاب إلى منازلهم أحيانا ، أو جدّ لهم عذر استأذنوا رسول الله ﷺ فأذن لهم ثم عادوا الى الخندق فور أن يرتفع عذرهم ، وقد ذكر القرآن الكريم هذه القضية في سورة النور في الآيات ٦٢ و ٦٣ إذ يقول تعالى :

---

(١) المغازي : ج ٢ ص ٤٤٦ ، الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ١٢٢ .

« نَمَّا لِمُؤْمِنٍ لَدَيْهِ مِوَالٌ يَدْعُوهُ إِذَا لَمِنُوا بِهِ مِنْ مَرٍ لِمَعٍ ۖ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْبُطُوا نُودُهُ ۗ الَّذِينَ يَسْبُطُوا نُودَكَ وَأُتِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَسَبُّهُ فِيهِ إِسْبَاطٌ تُؤَكِّدُ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَّنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ وَأَنْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. »

### مقاتلوا العرب واليهود يحاصرون المدينة :

وتتابعت أرتال الجيش العربي على منطقة « احد » وعلى مقربة من الخندق الذي كان قد تم انجازه قبل ستة أيام وقد كان الكفار ومن لف لقمهم يتوقعون أن يلتقوا جنود الإسلام عند جبل « احد » ، ولكنهم لم يلقوا أحدا منهم هناك فتقدموا نحو المدينة حتى وصلوا الى الخندق ، فلما نظروا الى الخندق الذي كان أشبه بحصن منيع يحفظ المدينة من الخطر ، فوجئوا به وقالوا : هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك ان هذا من تدبير الفارسي الذي معه .

### العدد الدقيق لقوات الطرفين :

كان جيش العرب لا يتجاوز في عدده عشرة آلاف ، وقد استقروا خلف الخندق وسيوفهم تلمع وهي تخطف بلمعائها الابصار!  
 وكان عدد المشاركين في هذه الجيش من قريش وحدها . على رواية المقرئ في الامتاع . ( ٤ آلاف ) مقاتل ، معهم ( ٣٠٠ ) فرس و ( ١٥٠٠ ) بعير .  
 وقد التحق بهم بنو سليم . وهم من حلفاء قريش . في ( ٧٠٠ ) رجل في مر الظهران وكان من قبيلة بني فزارة ( ١٠٠٠ ) مقاتل ومن قبائل اخرى . مثل اشجع وبني مرة كل واحد منهما ( ٤٠٠ ) مقاتل ، والباقي وهم ما يقارب ( ٣٥٠٠ ) مقاتل من بقية القبائل ، وعلى هذا الاساس لم يكن المجموع ليتجاوز عشرة

آلاف ، وقد استقروا جميعا في مكان آخر.

وأما عدد المسلمين فكان لا يتجاوز ثلاثة آلاف ، وقد نزلوا في سفح جبل سلع وهو موضع مرتفع ، مشرف على الخندق وخارجه ، إشرافا كاملا بحيث يمكن معه مراقبة جميع تحركات العدو ونشاطاته منه.

وقد وكل النبي ﷺ جماعة من أصحابه بحفظ الممرات ونقاط العبور على الخندق ومراقبة تحركات العدو ، ورصد عناصره. وبذلك كان المسلمون يملكون متزايدا قويا طبيعيا ، وغير طبيعي ، إذ أن سائر المدينة كان مشبكا بالبنيان ، والنخيل كما أسلفنا.

لقد حاصر الكفار « المدينة » ما يقرب من شهر واحد ، ومكثوا خلف الخندق متحيزين ، ولم يستطع أن يعبر منهم الخندق إلا أفراد معدودون ، فمن كان يفكر في العبور رماه المسلمون بالحجارة ، فوئى هاربا!!

وللمسلمين في هذه الفترة قصص جميلة ومواقف رائعة مع عناصر الجيش العربي المعتدي ذكرتها صحائف التاريخ الاسلامي في مواضعها<sup>(١)</sup>.

#### خطر البرد ، وتناقص الغذاء والعلف :

صادفت غزوة الخندق فصل الشتاء وكانت المدينة قد أصيبت في تلك السنة بقلّة الغيث ، ولذلك كانت تعاني من نقص في الطعام.

كما أن طعام المشركين لم يكن هو الآخر يكفي لمدة طويلة ، ولم يكن أحد منهم يتصور أن عليه أن يمكث خلف الخندق مدة شهر واحد ، بل كان المشركون . جميعا . يرون . بادئ الامر . أنهم سيقضون بمجوم واحد واسع ، على جنود الاسلام ، ويحتاحون المدينة ، ويستأصلون المسلمين!!

ولقد أدرك مثيرو هذه الحرب العدوانية ( اليهود ) هذه المشكلة بعد أيام ،

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٢٥ . ٢٢٨ .

فقد عرفوا بأن مضيّ الزمان سيقبّل من مقدرة سادة الجيش العربي وقادته على مقاومة القرّ ،  
وقلة العلف وتناقص الطعام ، ومن هنا فكروا في الاستعانة بيهود بني قريظة داخل المدينة ،  
ليشعلوا فتيل الحرب من داخل المدينة ، وبذلك يمهدوا السبيل لجيش العرب لغزو المدينة ،  
واجتياحها من الخارج!!

### حيي بن أخطب يدخل حصن بني قريظة :

كان بنو قريظة الطائفة اليهودية الوحيدة التي بقيت في المدينة تعايش المسلمين في سلام  
وأمن ، وكانوا يحترمون الميثاق الذي عقده مع النبي ﷺ ، احتراماً كاملاً.  
فرأى « حيي بن أخطب » أن طريق الانتصار يتوقف على الاستعانة بمن في داخل  
المدينة لصالح المعتدين العرب وذلك بأن يدعو يهود بني قريظة الى نقض العهد الذي عاهدوا  
رسول الله ﷺ به. ليشعل بذلك حرباً بين المسلمين ويهود بني قريظة ويشغل المسلمين  
بفتنة داخلية ، وبذلك يمهد لانتصار المشركين الذين يحاصرون المسلمين خلف الخندق.  
وانطلاقاً من هذه الفكرة أتى « حيي » الى حصن بني قريظة ودق عليهم الباب وعبر  
نفسه ، فأمر رئيس بني قريظة « كعب بن الاسد » بان لا يفتحوا له الباب ولكنه أصر ،  
وقال : ما يمنعك من فتح الباب إلا حشيشتك ( أي خبزك ) الذي في التنور تخاف أن  
اشاركك فيها فافتح فإنك آمن من ذلك. فأثارت تلك الكلمات الجارحة حمية كعب فأمر  
بأن يفتحوا له باب الحصن ، ففتحوا له ، فدخل مثير الحرب المشؤوم « حيي » وقال لكعب  
: يا كعب لقد جئتك بعزّ الدهر ، هذه قريش في قادتها وسادتها مع حلفائهم من كنانة ،  
وهذه فزارة مع قادتها وسادتها ، وهذه سليم وغيرهم ، ولا يفلت محمّد وأصحابه من هذا  
الجمع أبداً وقد تعاقدوا وتعاهدوا الآ يرجعوا حتى يستأصلوا محمّداً ومن معه ، فانقضّ العهد  
بينك وبين محمّد ، ولا تردّ رأبي.



فأجابه كعب قائلاً : لقد جئتني . والله . بذلّ الدهر ، وبسحاب يبرق ويرعد وليس فيه شيء ، وأنا في بحر لحي لا أقدر على أن أرى داري ومالي معي ، والصبيان والنساء ، اني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء فارجع عتي ، فانه لا حاجة لي فيما جئتني به .

ولكن حبي بن أخطب لم يزل يراوض كعبا ويخاتله ويلح عليه كما يفعل صاحب الإبل الجامع الذي يستصعب عليه ، حتى اقتعه بنقض عهد رسول الله ﷺ وهيا لذلك ، فقال : أنا أخشى أن لا يقتل محمد وتنصرف قريش إلى بلادها ، فما ذا نفعل حينذاك؟ فوعده حبي أن يدخل معه حصنه ليصبيه ما أصابه ان لم يقتل محمد ﷺ .

فقال كعب : دعني اشاور رؤساء اليهود فدعا رؤساء اليهود وشيوخهم ، وخبرهم الخبر ، وحبي حاضر ، وقال لهم كعب : ما ترون؟ فقالوا : أنت سيدنا ، والمطاع فينا ، وصاحب عهدنا وعقدنا فان نقضت نقضنا معك وإن أقمت أقمتنا معك ، وإن خرجت خرجنا معك . فقال « الزبير بن باطا » وكان شيخا كبيرا مجرّبا قد ذهب بصره : قد قرأت في التوراة التي أنزلها الله في سفرنا يعث نبيا في آخر الزمان ، يكون مخرجه بمكة ، ومهاجره في هذه البحيرة ... يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر فان كان هذا ( أي محمد ) هو فلا يهولنّه هؤلاء ولا جمعهم ، ولو ناوى على هذه الجبال الرواسي لغلبيها .

فقال أخطب من فوره : ليس هذا ذاك ، ذلك النبي من بني إسرائيل ، وهذا من العرب من ولد اسماعيل ، ولا يكونوا بنو اسرائيل أتباعا لولد اسماعيل أبدا ، لأنّ الله فضّلهم على الناس جميعا وجعل فيهم النبوة والملك ، وليس مع محمد آية ، وإنما جمعهم جمعا وسحرهم !! ولم يزل يقتنع بهم ، ويقلبهم عن رأيهم ، ويلحّ عليهم حتى أجابوه ، ورضوا بأن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ .

فقال : أخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمد ، فأخرجوه ، فأخذه ومزقه ،

وقال : قد وقع الأمر ، فتحهزوا وتهيأوا للقتال ، وبذلك جعلهم أمام الامر الواقع الذي ظنوا أنه لا مفر منه!!<sup>(١)</sup>

### النبي يعرف بنقض بني قريظة للعهد :

بلغ رسول الله ﷺ عن طريق جواسيسه الاذكياء نقض بني قريظة للعهد ، في مثل ذلك الظرف الحساس ، فغمه غما شديدا. فأمر من فوره « سعد بن معاذ » و « سعد بن عبادة » . وكانا من خيرة رجاله الشجعان ومن قادة جيشه الممتازين ، كما أنهما كانا رئيسي الأوس والخزرج . بأن يحصّلا له على معلومات دقيقة عن هذا الحادث ، وأسبابه وملابساته ، وأنه اذا كان هناك خيانة ونقض للعهد فعلا أن يخبره وحده فقط ولا يخبرا أحدا به ويقولوا : عضل والقارة لكيلا لا يفت ذلك أعضاد المسلمين ولا يضعف من معنوياتهم ، وأما إذا لم تكن هناك خيانة ، فيكذبها الأمر بصراحة.

فذهب الرجلان ، واقتريا إلى حصن بني قريظة ، فأشرف عليهما كعب من داخل الحصن ، فشتم سعدا وشتم رسول الله ﷺ ، وبذلك أظهر نقضه للعهد والميثاق فأجابه سعد . بالهام غيبي . : إثم أنت ثعلب في جحر ، لتولّي قريش ، وليحاصرنا رسول الله ﷺ ولينزلنا على الصغار والذل وليضربن عنقك.

ثم رجعا إلى رسول الله ﷺ فقالا له : عضل والقارة. فكبر رسول الله ﷺ قائلا برفيع صوته : « الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بالفتح »<sup>(٢)</sup>.

وهذه العبارات تكشف عن مبلغ شجاعة رسول الله ﷺ

(١) المغازي : ج ٢ ص ٤٥٦ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ .

(٢) المغازي : ج ٢ ص ٤٥٩ .

وعمق سياسته ، فقد قالها لكي لا تضعف معنوية المسلمين ، ولا يتركهم الخوف إذا سمعوا بنقض بني قريظة للعهد ، وهم في تلك الظروف الحرجة الشديدة أحوج ما يكونون إلى المعنويات العالية ، والاحساس بروح النصر.

### تجاوزات بني قريظة الاولى :

كانت الخطة المبدئية لبني قريظة تقضي بأن يبدءوا عملهم الخياني بالاغارة على المدينة ، وإرعاب النساء والاطفال الموجودين في البيوت والمنازل ، وقد نفذت مراحل من هذه الخطة تدريجاً!!

فقد أخذ بعض صناديد بني قريظة يحومون حول بيوت المسلمين التي فيها اطفالهم ونساءهم بصورة مشبوهة!!

تقول « صفية بنت عبد المطلب » عممة النبي ﷺ : كنت في فارغ ، حصن حسان بن ثابت وكان حسان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصبيان ، فمر بنا رجل من يهود. فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت ، فقلت لحسان : إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإي والله ما آمنه أن يدل علينا من وراءه من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ ، وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ، قال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، فلما قال لي ذلك احتجرت<sup>(١)</sup> ( أي شددت وسطي ) ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت : يا حسان انزل إليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه ، إلا أنه رجل فقال حسان : ما لي بسلبه

(١) وفي رواية : اعتجرت.

حاجة يا ابنة عبد المطلب!!<sup>(١)</sup>.

ولما بلغ رسول الله ﷺ عن طريق عيونه على اليهود أنهم نقضوا ما بينه وبينهم من العهد وأنهم طلبوا من قريش ألف رجل ومن غطفان ألف رجل ليغيروا على المدينة عبر حصن اليهود ، وكان ذلك في ما كان المسلمون منشغلين بحراسة الخندق ، فعظم بهذا الخبر البلاء وصار الخوف على الذراري أشد من الخوف على أهل الخندق ، بعث النبي ﷺ مسلماً بن أسلم وزيد بن حارثة في خمسمائة رجل يجرسون المدينة ويظهرون التكبير تحفظاً على الجوارى من بني قريظة<sup>(٢)</sup>.

### الإيمان في مواجهة الكفر :

لقد خاض المشركون حروباً عديدة ضد رسول الله ﷺ قبل معركة الأحزاب ، ولكن العدو في جميع تلك المعارك والحروب كان من طائفة أو قبيلة واحدة ، ولم يكن من عموم الجزيرة العربية ، ومن عموم القبائل ، أي الاسلام لم يواجه في تلك الحروب والوقائع عدواناً شاملاً من سكان الجزيرة.

وحيث إن أعداء الاسلام رغم الجهود الكبيرة لم ينجحوا في القضاء على الحكومة الاسلامية الفتية ، قرروا هذه المرة أن يستأصلوا الاسلام عن طريق اتحاد عسكري عريض ، يضم كل قبائل الجزيرة العربية المشتركة ، ويرموا المسلمين بأخر سهم في جعبتهم ، من هنا عمدوا الى تعبئة أكبر قدر من المقاتلين ، واستصرخوا أكبر قدر من القبائل وتحركوا في جمع لم يعرف له تاريخ العرب والجزيرة من نظير نحو المدينة لتحقيق ذلك الهدف المشؤوم. ولو لا تدبير المسلمين للدفاع عن المدينة لحقق العدو الحاقداً أهدافه.

ولهذا جلب أعداء الاسلام معهم أكبر صناديد من صناديد العرب ، وأشهر

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٢٨.

(٢) السيرة الحلبية : ج ١ ص ٣١٥.

بطل من أبطالهم ورأسوه عليهم ، وهو عمرو بن عبد ود العامري ليشدوا به أزرهم ، ويحققوا بسببه ما كانوا يأملونه من الظفر.

وعلى هذا الاساس كانت معركة الأحزاب مواجهة كاملة بين كل الكفر وكلّ الايمان ، وخاصة عند ما تبارز بطل الاسلام وبطل الكفر وتواجهها في ساحة القتال.

ولقد كان الخندق الذي احتفروه المسلمون سلفا من عوامل إخفاق المشركين ، وكان العدو يحاول أن يعبر هذا الخندق فتطيف فرسانهم به ليل نهار ولكن دون جدوى ، لانهم كانوا يواجهون في كل مرة سهام الحرس الذي وكلهم رسول الله ﷺ بحراسة الخندق ، وورصد محاولات العدو لاجتيازه وافشالها فورا ، وأيضا بفضل تدابير النبي القائد نفسه.

كان الشتاء وبرده القارص في تلك السنة وتناقص الطعام ، والعلف يهدد جيش المشركين ، وأنعامهم ، وحيولهم فاستقرض حبيبي بن أخطب من بني قريظة عشرين بعيرا محملة شعيرا وتمرا وتبنا تقوية لقريش ، ولكن دورية من المسلمين صادفتها في أثناء الطريق فصادرتها وأتوا بها الى النبي ﷺ فتوسع بها أهل الخندق (١).

وذاث يوم من أيام الانتظار وراء الخندق كتب أبو سفيان الى رسول الله ﷺ كتابا يقول فيه : إني احلف باللات والعزى لقد سرت إليك في جمعنا وإننا نريد ألا نعود إليك أبدا حتى نستأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا ، وجعلت مضايق وخنادق ، فليت شعري من علمك هذا؟ فان نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم احد تبقر فيه النساء (٢).

فكتب إليه رسول الله ﷺ : « من محمد رسول الله إلى أبي سفيان بن حرب ... أمّا بعد فقد بما غرتك بالله الغرور ، أما ما ذكرت أنك سرت

(١) السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٣٢٣.

(٢) المغازي : ج ٢ ص ٤٩٢.

إلينا في جمعكم ، وانك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر الله يحول بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة وليأتينّ عليك يوم تدافعني بالراح ، وليأتينّ عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى واساف ، ونائلة ، وهبل حتى اذكرك ذلك » (١) .

ولقد وقعت إجابة الرسول الاكرم ﷺ التي كانت تنبئ عن قوة إرادته وشدة عزيمته ، وتصميمه القاطع موقع السهم في قلب زعيم المشركين ، وحيث إن قريش كانت تعتقد بصدق رسول الله ﷺ فإنها اصيبت بهذا الرد الحاسم في عزيمتها ونفسيته ، ولكنها مع ذلك لم تكفّ عن مواصلة عدوانها .

وذاث ليلة عزم « خالد بن الوليد » على أن يعبر بجماعته الخندق ولكنه اضطر الى التراجع عند ما واجه مقاومة شجاعة من مائتين من المسلمين بامرة « اسيد بن حضير » وقد كلفهم رسول الله ﷺ بالقيام على شفير الخندق ، ودفع المشركين ومنعهم من العبور!!

ثم ان رسول الله ﷺ لم يكن ليغفل عن تقوية عزائم المقاتلين المسلمين ورفع معنوياتهم ، ولهذا كان يهتّمهم بخطبه الحماسية ، وكلماته المشجعة ، الحاثّة على الجهاد والاستقامة والدفاع عن حياض العقيدة والايمان ، والذود عن صرح الحرية ، والعدل . فقد وقف ذات يوم خطيبا في اجتماع كبير من المسلمين وقال . بعد أن حمد الله وأثنى عليه ..

« أيّها النَّاس إذا لقيتم العدو فاصبروا واعلموا أن الجنّة تحت ظلال السيوف » (٢) .

### أبطال من العرب يعبرون الخندق :

لبس خمسة من شجعان المشركين هم : « عمرو بن عبد ود العامري » ، « عكرمة

(١) امتاع الاسماع : ج ١ ص ٢٣٩ و ٢٤٠ .

(٢) السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٣٢٣ .

بن أبي جهل « ، هبيرة بن وهب « ، « نوفل بن عبد الله « ، و « ضرار بن الخطاب «  
لامة الحرب ، ووقفوا أمام بني كنانة في غرور عجيب ، وقالوا : تَهَيَّأُوا يَا بَنِي كِنَانَةَ لِلْحَرْبِ ،  
فستعلمون من الفرسان اليوم؟

ثم ضربوا خيولهم فعبرت بهم الخندق من مكان ضيق قد أغفله المسلمون ، ولكنهم بادروا  
إلى محاصرة تلك الثغرة ومنع غيرهم من العبور.

وكان الموضع الذي وقف فيه اولئك الشجعان الخمسة الذي عبروا الخندق للمبارزة يقع  
بين الخندق وجبل سلع حيث تمركز جنود الاسلام<sup>(١)</sup>.

ثم أخذوا يدعون المسلمين إلى البراز ، في كبرياء وغرور كبيرين ، وهم يقطعون ذلك  
الموضع جيئة وذهابا بخيولهم!!

بيد أن أشجع اولئك الخمسة وأجرأهم وأعرفهم بفنون القتال وهو : « عمرو بن عبد ود  
العامري « تقدم ، وأخذ يرتجز داعيا المسلمين الى النزال والبراز قائلا :

ولقد بححت من النداء      بجمعكم هل من مبارز  
ووقفت إذ جنبت المشجع      موقف البطول المناجز  
إني كذلك لم أزل      متسرعا نحو الهراز  
إن السماحة والشجاعة      عة في الفتى خير الغرائز  
فأحدثت نداءات عمرو الرهيبة حالة من الرعب ، والوجل الشديدين في معسكر  
المسلمين ، وسكت الجميع ، ولم ينبسوا ببنت شفة رهبة وخوفا منه.  
فقال رسول الله ﷺ :

« أيكم يبرز إلى عمرو أضمن له الجنة؟ »

وقد قالها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، وفي كل مرة يقوم عليّ ؑ ويقول : انا له يا  
رسول الله ، والقوم ناكسوا رؤوسهم<sup>(٢)</sup> او كأن المسلمين يومئذ على رؤوسهم الطير لمكان  
عمرو وشجاعته ، كما يقول الواقدي<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٣٩ ، الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٨ .

(٢) تاريخ الخميس : ج ١ ص ٤٨٦ .

(٣) المغازي : ج ٢ ص ٤٧٠ .

ولا بد أن تحل هذه المشكلة بيد علي عليه السلام فارس ميادين الحرب المقدام ، وكان كذلك ، فلما أبدى علي عليه السلام استعداده الكامل لمقاتلة عمرو أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه وعممه بيده ، ووجهه صوب عمرو وقد دعا له قائلا : اللهم أعنه عليه . وقال أيضا :  
« اللهم إنك أخذت متي عبيدة بن الحارث يوم بدر ، وحمزة بن عبد المطلب يوم احد ، وهذا أخي علي بن أبي طالب رب لا تدري فدا وأنت خير الوارثين » <sup>(١)</sup> .

فبرز علي عليه السلام إلى عمرو يهول في مشيته ، مبادرا إليه دون ابطاء ، وهنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمته الخالدة في تلك المواجهة :  
« برز الإيمان كله إلى الشرك كله » <sup>(٢)</sup> وارتجز عليه السلام قائلا :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز  
ذونيرة وبصيرة والصدق منحي كل فائز  
إني لأرجو أن أقويم عليك نائحة الجنائز  
من ضربة بجلاء ييقى ذكرها عند الهزاهز  
وقد كان علي عليه السلام مسريلا بالحديد لا يرى منه إلا عيناه من تحت المغفر ، فأراد عمرو أن يعرف من برز إليه فقال : من أنت؟  
قال : أنا علي بن أبي طالب .

فقال عمرو : إني أكره أن أريق دمك ، والله إن أباك كان لي صديقا ونديما ، ما أمن ابن عمك حين بعثك إلي أن اختطفك برمحي هذا فأتركك شائلا بين السماء والأرض لا حي ولا ميت .

فقال علي عليه السلام : لكنني ما أكره والله أن أهريق دمك ، وقد علم ابن

(١) كنز الفوائد : ص ١٣٧ .

(٢) تاريخ الخميس : ج ١ ص ٤٨٦ و ٤٨٧ ، بحار الأنوار ، ج ٢٠ ص ٢١٥ .



عمي أنّك إن قتلني دخلت الجنة ، وأنت في النار ، وإن قتلتك فانت في النار وأنا في الجنة .  
فضحك عمرو وقال مستهزئاً : كلتاهما لك يا عليّ ، تلك إذا قسمة ضيزى . ( أي ناقصة جائزة ) .

يقول ابن أبي الحديد : كان شيخنا أبو الخير يقول إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع :  
والله ما أمر عمرو بن عبد ود علياً بالرجوع إبقاء عليه ، بل خوفاً منه ، فقد عرف قتلاه بيد واحد ، وعلم أنه إن ناهضه قتله ، فاستحيا أن يظهر الفشل فأظهر الإبقاء ،  
وإنه لكاذب فيه <sup>(١)</sup> .

ثم إن علياً ذكّر عمراً بعهد قطعه على نفسه فقال له :  
يا عمرو إنّك كنت تقول في الجاهلية : لا يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث خصال إلا  
أجبتّه إلى واحدة منها وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجيني إلى واحدة .  
قال عمرو : أجل ، فهاتهما يا عليّ .

قال : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، وتسلم لرب العالمين .

فقال عمرو : نح عني هذا .

قال عليّ : فالثانية أن ترجع إلى بلادك ، فان يك محمّد صادقاً فأنتم أعلى به عينا  
وان يك غير ذلك كفتكم ذؤبان العرب أمره .

فقال عمرو في غرور عجيب : اذا تحدّثت نساء قريش بذلك ، وينشد الشعراء في  
أشعارها ابني جنت ، ورجعت على عقبي في الحرب ، وخذلت قوماً رأسوني عليه .  
فقال له عليّ : فالثالثة أن تنزل إليّ فانك راكب وأنا راجل ، حتى انا بذلك .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٩ ص ٢٠ .

فقال عمرو : هذه خصلة ما ظننت أن أحدا من العرب يسومني عليها ، ثم وثب عن فرسه ، ولكي يربع عليًا عليه السلام عرقب قوائم فرسه على عادة العرب في الجاهلية <sup>(١)</sup> .

### تصاول البطلين :

وهنا بدأ تصاول شديد بين البطلين ، وارتفعت بينهما عجاجة حجبت الرؤية ، وانما كان الناس يسمعون فقط صوت اصطكاك السيوف والدروع الحديدية وغيرها ، وبعد فترة من التصاول بين ذينك البطلين العملاقين ضرب « عمرو » « أمير المؤمنين عليا » عليه السلام بالسيف على رأسه ، فاتقاه علي عليه السلام بالدرقة فقطعها ، وشجّت الضربة رأسه ففاجأه علي عليه السلام بضربة قوية على ساقيه فقطعهما جميعا ، ثم انكشفت العجاجة فنظر المسلمون فاذا علي عليه السلام على صدر عدو الله يريد أن يذبحه . وارتفع صوت علي بالتكبير من بين العجاجة يعلن عن انتصاره ، ومقتل عمرو .

فألقي هلاك فارس العرب الأكبر « عمرو بن عبد ود » رعبا عجيبا في نفوس بقيه الابطال والشجعان الذين عبروا معه الخندق ، فهربوا راجعين الى معسكرهم ، إلا « نوفل » الذي سقط فرسه في الخندق ، وهوى هو إلى الارض بشدة ، فرماه حرس الخندق بالحجارة فقال : قتلة أجمل من هذا ، ينزل إليّ بعضكم فأقاتله ، فنزل إليه علي عليه السلام فضربه حتى قتله في الخندق <sup>(٢)</sup> .

فهيمن الخوف والرعب على كل أرجاء المعسكر العربي المشرك ، وبهت أبو سفيان أكثر من غيره .

ثم إنه كان يتصور أن المسلمين سيمتلون بجسد « نوفل » انتقاما لحمزة الذي

(١) المغازي : ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٧١ .

(٢) بحار الأنوار ، ج ٢٠ ص ٢٥٦ ، تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٤٠ .

مثل به في احد ، فبعث إلى رسول الله ﷺ من يشتري حثته بعشرة آلاف فقال النبي ﷺ .

« هو لكم ، لا ناكل ثمن الموتى »<sup>(١)</sup>.

### قيمة هذه الضربة :

لقد قتل علي ؑ . حسب الظاهر . رجلا شجاعا لا أكثر ، بيد أنه بضربته لعمر وبقته إياه أحيا . في الحقيقة . كل من أرعبته نداءات عمرو المهذدة ، من المسلمين ، والقى رعبا كبيرا في نفوس جيش قوامه ( ١٠ / ٠٠٠ ) رجل تعاهدوا وتعاهدوا على محو الاسلام واستئصال الحكومة الاسلامية الفتية . ولو أن الانتصار كان يحالف عمرا لعرفنا حينئذ قيمة هذه التضحية الكبرى التي قام بها علي ؑ .

وعند ما عاد علي ؑ ظافرا منتصرا قال رسول الله ﷺ :

« ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين » .

وقيل إنه قال :

« لو وزن اليوم عملك بعمل جميع امة محمد لرجح عملك على عملهم وذاك أنه لم يبق بيت من المشركين إلا وقد دخله ذل بقتل عمرو ، ولم يبق بيت من المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو »<sup>(٢)</sup>.

وبذلك كشف عن أهمية الضربة التي أوقعها علي ؑ بعمرو في تلك الواقعة .

### لما ذا التنكر لهذا الموقف؟

ويحق لنا هنا أن نستغرب تنكر بعض المؤرخين أو تجاهلهم لهذا الموقف

(١) بحار الأنوار ، ج ٢٠ ص ٢٠٥ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٢١٦ ، مستدرک الحاكم : ج ٣ ص ٣٢ .

العظيم الذي أدى إلى هزيمة المشركين ، والاحزاب في معركة الخندق هزيمة نكراء ، كل واحد بشكل من الاشكال وصورة من الصور :

فهذا ابن هشام رغم اسهامه في بعض الامور التاريخية مما لا قيمة له بعد أن يذكر مقتل « عمرو » على يد بطل الاسلام الخالد علي عليه السلام من دون أن يذكر ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند مطالبة عمرو بالمنازل والمبارز ، ذكر آياتا قالها علي عليه في المقام ثم يشكك في نسبتها إليه عليه السلام <sup>(١)</sup>.

وهكذا ابن الاثير رغم اهتمامه بالدقائق التاريخية ووصفه لكتابه بالكامل نجده يحاول التقليل من أهمية هذا الموقف بصورة اخرى وهو أن علياً خرج ضمن مجموعة لمقاتلة عمرو وليس وحده.

ولكن المعلقين على الطبعة المنيرية للكامل والتي أشرف عليها فضيلة الاستاذ عبد الوهاب النجار لم يرق لهم هذا الصنيع ، وأبت عليهم ضمائرهم الحرّة أن يتركوا الرواية على حالها فقالوا في الهامش : وروى السهيلي عن ابن اسحاق أن عمرا دعا المسلمين للمبارزة وعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمر ثلاث مرات ولا يقوم إلاّ عليّ كرم الله وجهه ، وفي الثالثة قال له : انه عمرو قال : وان كان عمرا ، فنزل إليه ، وقتله وكبّر فكبّر المسلمون فرحا بقتله <sup>(٢)</sup>.

وهذا ابن تيمية يحاول التنقيص من هذه الفضيلة ولكن بالضرب على وتر آخر حيث قال ان قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شأن علي عليه السلام لما قتل عمرا : « قتل علي لعمر بن ود أفضل من عبادة الثقلين » من الاحاديث الموضوعية التي لم ترد في شيء من الكتب التي يعتمد عليها بسند ضعيف ، وكيف يكون قاتل كافر أفضل من عبادة الثقلين ... ثم قال : بل ان عمرو بن ود لم يعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة.

فهو يحاول التقليل من شأن عمرو ، والايحاء بأنه لم يكن شيئا ، فلا يكون

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ١٢٤.

لقتله أهمية.

ولكن صاحب السيرة الحلبية الذي ينقل كل هذه العبارات عن ابن تيمية يرد عليه قائلاً :  
ويرد قوله : « ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة » قول الأصل : وكان  
عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم احد فلما كان يوم  
الخنندق خرج معلماً ( أي جعل له علامة ) ليعرف مكانه ويرى.

ويرده أيضاً ما تقدم من أنه نذر أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمداً ﷺ .  
واستدلالة : وكيف يكون إلى آخره ، فيه نظر لان قتل هذا كان فيه نصره للدين وخذلان  
الكافرين<sup>(١)</sup>.

وما قاله صاحب السيرة الحلبية عن مشاركة عمرو في معركة بدر يوافق ما جاء في الكامل  
لابن الاثير الجزء ٢ الصفحة ١٢٤ ويوافق أيضاً ما جاء في السيرة النبوية الجزء ٢ الصفحة  
٢٢٥.

#### مروءة علي عليه السلام وشهامته :

ولقد أحجم علي عليه السلام عن سلب « عمرو بن عبد ود » درعه ، وكان درعا غالية الثمن  
ليس للعرب ، درع خير منها ، وقد فعل ذلك مروءة ، وترفعا ، فاعترض عليه بعض ، حتى  
أن عمر بن الخطاب قال له : هلا استلبته درعه فانه ليس في العرب درع مثلها؟<sup>(٢)</sup>  
ولما عرفت اخت عمرو بمقتله سألت عمن قتله ، فاحبروها بأن عليا عليه السلام هو الذي قتله  
فقالتم لم يعد موته إلا على يد كفؤ كريم ، لا رقأت دمعتي إن هرقنتها عليه ، قتل الابطال ،  
وبارز الاقران ، وكانت منيته على يد كفؤ

(١) السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٣٢٠.

(٢) السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٣٢٠.

كريم من قومه ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر.  
ثم انشأت تقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله      لكنت أبكي عليه آخر الأبد  
لكن قاتل عمرو لا يعاب به      من كان يدعى قديما بيضة البلد<sup>(١)</sup>  
وقد ذكر علي عليه السلام صنيعة هذا في أبيات أنشأها يوم الخندق إذ قال :  
أعلي تقتم الفوارس هكذا؟      عني وعنهما خوراً أصحابي  
أرديت عمرا إذ طغى بمهنبد      صافي الحديد مجرباً قضاب  
فصدت حين تركته متجدلاً      كالجدع بين دكادك وروابي  
وعففت عن أثوابه ولو أبني      كنت المقطر بزني أنوابي<sup>(٢)</sup>  
والآن حان أن نرى إلى أي مصير آل أمر معسكر المشركين بعد مقتل فارس العرب  
وشجاعها البارز.

### جيش العرب يتفرق في موقفه :

لم يكن دافع جيش العرب ومن عاونهم ومالأهم من اليهود الى محاربة الاسلام واحدا ،  
فاليهود كانوا يخشون من اتساع رقعة الحكومة الاسلامية الفتية ، المتزائد ، واما دافع قريش  
فكان هو العداة القديم للاسلام والمسلمين. وأما قبائل « غطفان » و « فزارة » وغيرها من  
القبائل فلم يحركها إلا الطمع في محاصيل « خير » التي وعدهم بها اليهود.  
فعلى هذا الاساس لم يكن محمّر « الأحزاب » المشاركة في جيش الشرك أمرا واحدا ،  
فقد كان محمّر الطوائف الأخيرة أمرا ماديا ، ولو أنّ هذا الهدف تحقّق عن طريق المسلمين  
لعدت هذه القبائل إلى أوطانها مسرورة راضية ، وخاصة أن البرد ، وقلة الطعام ، والعلف ،  
وطول مهّ المحاصرة قد أوجدت في

(١) مستدرك الحاكم : ج ٣ ص ٣٣ .

(٢) المستدرك على الصحيحين : ج ٣ ص ٣٢ .

نفوسهم كللا ومللا ، من جهة ، وعرضت أنعامهم لخطر الهلاك والفناء من ناحية اخرى .  
من هنا كلف رسول الله ﷺ جماعة بأن يتصلوا بهذه القبائل ( الأخيرة ) ويذكروا لهم  
بأن المسلمين مستعدون لإعطائهم ثلث تمر المدينة إن هم تركوا قريشا وعادوا إلى ديارهم ،  
فأعدوا عهدا وجاءوا به إلى رسول الله ﷺ ليمضيه ، ولكنه شاور فيه سعد بن معاذ ،  
وسعد بن عباد قبل أن يمضيه ، فقالا : يا رسول الله إن كان أمرا من السماء فامض له ،  
وان كان أمرا لم تؤمر فيه فان الرأي عندنا هو السيف ، فإنهم ما طمعوا بهذا مئاً قط في  
الجاهلية أن يأخذوا تمرة ، الا بشرى أو قرى ، فحين أتانا الله تعالى بك ، وأكرمنا بك ،  
وهدانا بك نعطي الدينية؟ لا نعطيهم أبدا إلا السيف؟

فقال رسول الله ﷺ مبيّنا علة إقدامه على مثل هذا الصلح : « إني رأيت العرب  
رمتكم عن قوس واحدة ، فقلت ارضيهم ولا أقاتلهم ، الآن قد عرفت ما عندكم فكونوا  
على ما أنتم عليه ، فان الله تعالى لن يخذل نبيّه ، ولن يسلمه حتى ينجز له ما وعده » (١) .  
فمضى سعد بن معاذ ما في الصحيفة باذن رسول الله ﷺ وقال : ليجهدوا علينا (٢) .  
وبهذا كشف رسول الله ﷺ عن صفحة اخرى من سياسته الحكيمة ، فقد كان إقدامه  
على ثني القبائل المتحالفة مع قريش في جيش الاحزاب باعطاء بعض التنازلات المادية ( لا  
المعنوية ) وتحييدها خطوة سياسية وعسكرية صحيحة ، ورائعة ، وكان مشورته مع أصحابه  
من الانصار ( خاصة ) عملا حكيما أيضا لانه استشار بذلك همهم ، وشدّ من عزائمهم  
، فوعدوا

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٢٣ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٢٥٢ .

(٢) امتاع الاسماع : ج ١ ص ٢٣٦ وجاء فيه انه (ص) استشار سعد بن معاذ وسعد بن عباد خفية .

بالصمود والمقاومة في ذلك الطرف العصيب وعدم تقدم اية تنازلات ولهذا انصرف رسول الله ﷺ عن ما اراد أولا ، فكان مجموع هذه الخطوات عملا حكيما جدا ، يكشف عن حنكة سياسية عظيمة ، ودراية عسكرية عميقة.

### العوامل التي فرقت كلمة « الاحزاب » :

هناك عوامل عديدة تسببت في تفرق الجيش العربي الذي زحف إلى المدينة لاجتياحها ، وانقسام الاحزاب على أنفسهم ، وإليك أبرزها :

١ . إن أول عامل من تلك العوامل هو تكلم مبعوثي رسول الله ﷺ مع سادة غطفان وفزارة ، لأن هذه المعاهدة وإن لم توقع إلا أنها لم تنقض ، فتسبب ذلك في أن يختلفوا مع قريش في الرأي ، أي اجتياح المدينة وبشكل من الاشكال وان لا يقدموا على أي إجراء عسكري مع غيرهم انتظارا للتوقيع على تلك المعاهدة ، ولهذا كلما طلبت القيادة القرشية منهم الهجوم الشامل اعتذروا ببعض الاعذار تملصا من ذلك الطلب.

٢ . مصرع « عمرو بن عبد ود » فارس العرب الأكبر الذي كان الأغلبية في ذلك الجيش يعلقون عليه آمالهم في الانتصار على المسلمين. فلما قتل تملك الجميع رعب غريب وانهارت آمالهم ، وبخاصة عند ما هرب زملاؤه الشجعان من وجه عليّ ؑ خوفا ، ورهبة.

٣ . ما لعبه « نعيم بن مسعود » الذي أسلم حديثا ، من دور في إلقاء روح الشك والفرقة بين يهود بني قريظة وجيش « الاحزاب » ، فقد قام بهذا الدور بشكل رائع ، تماما كما يفعله الجواسيس المنظمون في عصرنا الحاضر ، بل كان ما فعله أفضل وأكبر تأثيرا وعطاء.

فقد أتى « نعيم » هذا رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله ؛ قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا باسلامي ، فمرني بما شئت.



فقال رسول الله ﷺ « إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ( أي ادخل بين القوم حتى يخلت بعضهم بعضا ) . فان الحرب خدعة » .

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديما في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة قد عرفتم ودي ، وخاصة ما بيني وبينكم .  
قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم .

فقال : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره ، وان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتوهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم وبغيره ، فليسوا كأنتم ، فان رأوا نخرة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخللوا بينكم وبين محمد ، ولا طاقة لكم به .  
إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم ، على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه .  
فقالوا : لقد أشرت بالرأي .

ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودي لكم ، وفراقي لمحمد ، وانه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقا أن أبلغكموه ، نصحا لكم فاكنموا عني . فقالوا : نفعل .

قال : اعلموا أنّ معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ من القبيلتين ، من قريش وغطفان رجالا من اشرفهم فنعطيك فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من يبقى منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم : أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم ، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلي وعشيرتي ، وأحب الناس إليّ ، ولا أراكم تتهموني ، قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم ، قال

فاكتموا عني ، قالوا : نفعل فما أمرك ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .  
وهكذا ألجئ « نعيم » وظيفته بأحسن صورة ثم دخل سرا في جيش المسلمين ، واشاع  
بين المسلمين أن بني قريظة تنوي أخذ رجال من المشركين لتسليمهم الى النبي والمسلمين .  
وقد كان يقصد من اشاعة هذا النبأ أن يبلغ مسامع رؤساء العرب وقادتهم .

### مبعوثو قريش يمشون إلى بني قريظة :

ولما كانت ليلة السبت قرَّ أبو سفيان ان يحسم الموقف بشكل من الأشكال فأرسل إلى  
بني قريظة جماعة من سادة قريش وغطفان فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف  
والخافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، ونفرغ ممَّا بيننا وبينه .

فأرسل بنو قريظة إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان  
أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم  
محمداً حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فاننا نخشى  
إن ضرستكم الحرب ، واشتدَّ عليكم القتال أن تسرعوا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلدنا  
ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم  
نعيم بن مسعود لحق .

فارسلوا إلى بني قريظة من يقول لهم : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً ، فان كنتم  
تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا .

فقالت بنو قريظة . حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود  
لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها ، وان كان

غير ذلك أسرعوا إلى بلادهم واخلّوا بيننا وبين محمد. في بلدنا<sup>(١)</sup>.  
وهكذا انسحبت بنو قريظة من الأحزاب وأوقع الله التخاذل بينهم ، وتفرّقوا ، وتمزق  
شملهم ، وكان ذلك من عوامل فشل الاحزاب ، وتقهقرهم ورجوعهم خائبين.

### آخر العوامل لهزيمة الكفار :

لقد انضمت العوامل المذكورة إلى عامل آخر يمكن تسميته . في الحقيقة . بالامداد الغيبي  
ففرقت جماعة الاحزاب ، وشتّت جماعتهم وذلك العامل هو أن الله تعالى بعث عليهم فجأة  
الريح والعاصفة ، واشتدّ البرد ، وكان اشتداد الريح كبيرا بحيث أكفأ قدورهم ، واقتلع  
خيامهم ومضاربهم ، وأطفأ أضواءهم ، وأوجد حريقا في الصحراء.  
وهنا أمر رسول الله ﷺ حذيفة أن يعبر الخندق ، ويأتيه بخبر عن أحوال المشركين ومن  
مالأهم من الاحزاب.

يقول حذيفة : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل ما تفعل بهم لا تقر لهم  
قدرا ، ولا نارا ولا بناء ، فسمعت أبا سفيان يقول ، وقد قام في جماعة من قريش : يا معشر  
قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخفّ ، وأخلفتنا بنو قريظة  
ولقينا من شدّة الريح ما ترون ما تطمئنّ لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ،  
فارتحلوا إني مرتحل.

ثم قام إلى جملة . وهو معقول . فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فو الله ما  
أطلق مقاله إلا وهو قائم من شدّة الدهش والخوف!!  
ولم يسفر الصبح إلا وأسرعت قريش وغطفان عائدين إلى بلادهم يجرون أذيال الخيبة ،  
ولم يبق منهم أحد هناك.

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٣٩ - ٣٣١ ، تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ .

وهكذا انتهت معركة الاحزاب في الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة (١).

### القرآن الكريم ومعركة الاحزاب

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أبرز النقاط في معركة الأحزاب ( الخندق ) ضمن سبع عشرة

آية وها نحن ندرجها برمتها ونشير باختصار إلى ما تضمنته من حقائق :

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا جَازِيَةً ۖ تَرَوُهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۚ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۖ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ ۚ هُنَاكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۚ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۚ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَمِينٍ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ يُرِيدُونَ إِلَّا الْفِرَارَ ۚ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۚ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُرْسِلَ الرُّسُلَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَهْدًا ۚ فَتَوَلَّوْا الْبُيُوتَ الْمَسْبُورَاتِ ۚ لَنْ نَسْتَعِينَكُمْ فَارْجِعْنَا إِلَى الْمِيثَاقِ الَّذِي كُنْتُمْ تُعْهِدُونَ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَعْصِمُكَ مِنَ اللَّهِ لِلَّذِينَ رَأَوْا بِكُمْ سُبُوحًا رَبًّا سَمِعُوا نَجْوَىٰ أَوْلِيَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَأْتُونَ الْبِيْعَةَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۚ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ ۚ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَوَدُّرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ ۚ فَخَذَّبْنَا الْقُلُوبَ فَهُوَ سَيِّئٌ لَكُمْ بِسَدِّ قُلُوبِكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ۚ فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۚ يَحْسَبُونَ

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٤٤ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٢٣٩ .

لأَحْزَابٍ ۖ يَذْهَبُوا فِي سَيْئَاتٍ الْأَحْزَابِ يَوْمًا لَوْ أَنَّهُمْ بَدُّوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنِ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ الْأَخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ كَثِيرًا. وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ وَآيَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَرَأَى اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ لَمْ يَأْتِ خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا<sup>(١)</sup>.

ويمكن تقسيم هذه الآيات الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول وهي الآيات التي ترسم الوضع العام للمسلمين عند ما أتنهم عساكر الاحزاب .

القسم الثاني وهي الآيات التي تتعرض لذكر موقف المنافقين وضعاف الایمان .

القسم الثالث وهي الآيات التي تتعرض لذكر موقف المؤمنين الصادقين .

وإليك بيانا لمفاد هذه الآيات على وجه الاختصار .

- ١ . تبدأ هذه المجموعة من الآيات بتذكير المؤمنين . في الآية الاولى . بنعمة الله عليهم أن ردّ عنهم الجيش الذي قصد استئصالهم لو لا عناية الله ومدده العظيم ، وفي هذا إشعار قوي بأن الله هو الذي يحمي القائمين على دعوته ومنهجه من عدوان الكافرين والمتأمرين .
- ٢ . ثم تشرح الآية الثانية الحالة العسكرية الخطيرة التي كان يواجهها المسلمون ، فهم محاصرون من قبل الاعداء والمتواطئين معهم من كل جهة محاصرة

(١) الأحزاب : ٩ - ٢٥ .

أَلقت الرعب في قلوب الكثيرين من أهل المدينة فراغت الابصار هولاً ، وبلغ القلوب الحناجر خوفاً ، وظنَّ البعض أن ما أعطاهم الله ورسوله من الوعد بالتأييد والنصرة لم يكن صحيحاً .

٣ . ثم تحدث الآية الثالثة عن الابتلاء والاختبار الذي أفرزه هذا الوضع الخطير ، فقد ابتلى المسلمون في هذه الواقعة ، وتملكهم خوف شديد .

٤ . ولكن المنافقين ، والذين في قلوبهم مرض كانوا أشد هولاً وخوفاً حتى أن ذلك الكرب والهول أخرج خبيثة نفوسهم ، فشككوا في وعود الله الصادقة ، وقالوا : ما وعدنا الله إلا غروراً ، فهو خدعنا إذ وعدنا بالغبلة على أعدائنا .

٥ . ولم يكتف المنافقون باشاعة هذه التشكيكات بين المسلمين بل دعوا أهل المدينة إلى الانسحاب من الميدان إلى داخل المدينة ، وبالتالي حرّضوهم على ترك الصفوف . واحتجوا لذلك بالخوف على النساء والصبيان من كيد الأعداء قائلين : « بيوتنا عورة » وهم لا يريدون إلا الفرار جنباً وخوفاً .

٦ . ثم تكشف الآية السادسة والسابعة عن حقيقة ما في نفوس أولئك المنافقين ، فهم لا يريدون الانسحاب إلى داخل المدينة للمحافظة على الذراري والصبيان ، إنما هو نقض العهد ، وخلف الوعد وفقدان الإيمان القلبي فهم إذا دخل عليهم العدو المدينة وطلبوا منهم الرجوع عن الإسلام لرجعوا إلى الكفر دون تأخير . ولكن الله سيسألهم عن العهد الذي أعطوه من قبل بأن يثبتوا أمام العدو ، وكان عهد الله مسئولاً .

٧ . ثم إن الله تعالى يوبخهم . في الآية في الآيات اللاحقة . على موقفهم المتخاذل هذا ، ويقول لهم : بأن الفرار والانسحاب لن ينجيهم من الموت ان كان مقدراً عليهم ، وحتى لو عاشوا أياماً فلن يعيشوها في خير وأمان .

كما ويقول لهم : بأن الله لا يخفى عليه ما يقومون به من تخذيل وعرقلة لمسيرة الإسلام الصاعدة ، ولا تخفى عليه سبحانه مواقفهم في أوقات المحنة ، من كف الأيدي عن مساعدة المؤمنين ، أو سلقهم بألستهم وتحميلهم عوامل المحنة والشدة ،

حتى بعد الانتصار .

وهنا يبدو ويبرز دور المنافقين ، وتظهر حالاتهم العجيبة في الحرب والسلام .  
فهم يخافون خوفا شديدا ، وهم يظنون بالله ظن السوء وهم يشيعون الخوف وروح الهزيمة  
في الناس وهم ينسحبون ويدعون إلى الانسحاب من الصفوف وهم مستعدون في كل وقت  
للارتداد والرجوع عن الاسلام الى الكفر ، وهم بالتالي اشحة بخلاء ، في نفوسهم كزازة على  
المسلمين كزازة بالجهد وكزازة بالمال وكزازة بالعواطف والمشاعر على السواء .

٨ . إنهم لكونهم لم تخالط قلوبهم بشاشة الايمان ولم يهتدوا بنوره يفقدون الشجاعة والقوة  
حتى بعد ذهاب عوامل الخوف والهول .

فهم ما يزالون يرتعشون ، ويتخاذلون ، ويأبون أن يصدقوا أن الاحزاب قد ذهبت وولت  
مهزومة . ويودون لو أن الاحزاب دخلت المدينة أن لا يكونوا فيها مبالغة في النجاة من  
الأهوال!!

٩ . ولكن في مقابلة هذا الفريق المتخاذل الجبان يرسم القرآن الكريم في الآيات ٢١ إلى  
٢٥ صورة المؤمنين الصادقين وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ القدوة الحسنة لجميع المسلمين  
في جميع الحالات والظروف .

فان هذه الجماعة المؤمنة الصادقة لما رأت الاحزاب قالت : هذا ما وعدنا الله ورسوله ،  
هذا الهول لا بد أن يجيء فيه النصر فهو وعد الله الصادق المحقق .  
فصمدوا وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فجزاهم الله بصدقهم إذ ردّ الذين كفروا بغيظهم ،  
لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا خلافا لما ظنه المنافقون ،  
وتوهموه .

وقد كانت هذه الواقعة في منظور القرآن الكريم امتحانا عظيما ، واختبارا دقيقا للنفوس  
والقلوب وهو امتحان لا بد منه حتى يتميز الصادق عن المنافق ، والموفون بعهدهم  
والناقضون له .

كما أن هذه الواقعة وما جاء حولها من الآيات كشفت عن أن وعود الله

صادقة ومحققة اذا توفرت شرائطها ، ومقدماتها ، ومنها استخدام الوسائل الطبيعية المناسبة ، والاتكال على الله واستمداد العون منه .

وفي هذه الآيات إشارة إلى دور ما يسمى الآن بالطابور الخامس وإلى خطورة الشائعات السيئة في المجتمع ، وبخاصة في ظروف الحرب .  
كما أن فيها اشارة إلى كيفية مواجهة هذه الشائعات والتعامل مع فعاليات هذا الفريق الخطر .

ولقد لا حظنا خلال ما مضى من السيرة كيف أن رسول الله ﷺ كان يبطل بتكتيكاته العسكرية مفعول تلك النشاطات التخريبية والمضرة .

فقد كان يعتمد اسلوب الدعاء ، والذكر ، والتشجيع ، والتكبير ، وارسال الدوريات العسكرية والعمل المباشر والمشاركة الفعلية في عمليات الدفاع والحراسة وما شاكل ذلك مما ذكرناه ومما لم تسع هذه الدراسة لذكره .



### سقوط آخر أوكار الفساد والمؤامرة

أقدم رسول الله ﷺ في السنة الأولى من هجرته الى المدينة ، على تنظيم وعقد ميثاق تعايش بين سكان المدينة وما حولها ، بغية إنهاء جميع أشكال الاختلاف ، والتنازع ، والصراع الداخلي .

وقد تعهد الأوسيون والخزرجيون ، عامة واليهود من تينك القبيلتين أن يدافعوا عن المدينة وما حولها ، وقد مر النص الكامل لهذا الميثاق على القارئ الكريم فيما سبق <sup>(١)</sup> .  
هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى عقد رسول الله ﷺ بينه وبين يهود المدينة ميثاقا آخر ينص على أن مختلف الطوائف اليهودية تتعهد بأن لا تلحق أيّ ضرر وأذى برسول الله وأصحابه ، ولا تمد أعداءهم بالخييل والسلاح ، وأنها لو فعلت شيئا من ذلك يكون لرسول الله ﷺ الحق في أن يقتلهم ، ويسبي نساءهم وأبناءهم .

إلا أنّ جميع الطوائف اليهودية الثلاث نقضت الميثاق المذكور بشتى العناوين والصور ، وتجاهلت بنوده ، ومواده!

فقد قتل « بنو قينقاع » مسلما ، وخطّطت « بنو النضير » لاغتيال رسول الله

---

(١) راجع صفحة ٢١ من هذا الجزء .

ﷺ ، وأجبرهم على الجلاء من المدينة وأخرجهم من البيئة الاسلامية .  
وتعاونت « بنو قريظة » مع جيش المشركين لضرب المسلمين ، وطعنهم من الخلف ،  
والآن يجب أن نرى كيف يوبخ رسول الله بني قريظة على نقضهم للميثاق .

### قوات الاسلام تحاصر بني قريظة :

لم يكن الصبح قد أسفر بعد عند ما غادرت آخر مجموعة من جنود « الأحزاب » أرض  
المدينة قافلة إلى بلادها مرعوبة فرعة للغاية .

كما أن آثار التعب والارهاق لم تكن قد فارقت بعد ملامح المسلمين ، ومع ذلك فقد  
أمر الله نبيه ﷺ بأن يعالج قضية « بني قريظة » بصورة نهائية ، فأذن مؤذن رسول الله  
ﷺ وصلى النبي ﷺ بالمسلمين صلاة الظهر ، ثم نادى منادي النبي ﷺ في الناس  
: من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة!

ثم إن رسول الله ﷺ قلم « علي بن أبي طالب » برأيه (١) ، وخرج معه جنود  
الإسلام الشجعان ، فحاصروا حصون « بني قريظة » ، فأخبرهم ديرانهم بنشاط المسلمين  
، فبادروا إلى اغلاق أبواب الحصون ، والتحصن في داخلها ، ونشبت الحرب بين بني قريظة  
والمسلمين من اللحظات الاولى فقد أخذ اليهود يشتمون رسول الله ﷺ وقالوا فيه مقالة  
قبيحة فرجع علي ؑ بالمسلمين فالتقى رسول الله ﷺ في الطريق وقد كره أن يسمع  
النبي ﷺ أذاهم وشتمهم وحاول أن يثني رسول الله ﷺ من الاقتراب إلى حصن بني  
قريظة قائلا : لا عليك أن تدنو

(١) زاد المعاد : ج ٢ ص ٧٣ ، وامتاع الاسماع : ج ١ ص ٢٤٣ .

من هؤلاء الاخابث.

فلما عرف رسول الله ﷺ بسبب ذلك قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما  
دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال لهم :  
« هل أخزاكم الله وأنزل عليكم نعمته » ؟  
وقد كانت ردة فعل رسول الله ﷺ الشديدة غير متوقعة لليهود ، ومن هنا قالوا : يا  
أبا القاسم ما كنت جهولا .. وهم يريدون بذلك إطفاء مشاعره الملتهبة ضدهم <sup>(١)</sup> .  
فأثارت كلمتهم هذه عاطفة رسول الله ﷺ بحيث رجع من غير اختيار ، وسقط رداؤه  
من كتفه .

### اليهود يتشاورون حول الموقف :

تشاور يهود بنو قريظة وهم معتصمون بحصونهم في الموقف ، وقد شارك فيه « حيي بن  
أخطب » مثير معركة الأحزاب ، فانه لم يذهب إلى خيبر بعد أن وضعت الحرب . في معركة  
الأحزاب . أوزارها وولى العرب المشركون بل دخل في حصون بني قريظة .  
هذا وقد طرح زعيم بني قريظة ثلاثة اقتراحات وطلب من الجميع أن يتفقوا على واحدة  
منها لمعالجة الموقف :

- ١ . أن يؤمنوا برسول الله ، ويصدقونه لأنه قد تبين لهم أنه نبي مرسل ، وأنه الذي يجدونه  
في كتابهم ، وبذلك يأمنون على دمائهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم .
- ٢ . أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يخرجوا إلى محمد وأصحابه يقاتلونهم ، فإذا هلكوا ،  
هلكوا ولم يتركوا وراءهم نسلا يخشى عليه ، وإن انتصروا تزوجوا

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٣٤ ، تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٤٥ و ٢٤٦ .

من جديد ، ووجدوا أبناء.

٣ . ان الليلة هي ليلة السبت ، وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد منوهم فيها ، لعلمهم بأن اليهود لا يقاتلون في السبت ، فلينزّلوا من الحصون لعلهم يصيرون من محمد وأصحابه على حين غفلة.

ولكن المشاورين رفضوا جميع هذه الطروحات وقالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره ، وقالوا : ان نقتل أبناءنا ونساءنا فما خير العيش بعدهم ، وقالوا : لا نقاتل ليلة ليلة السبت ، محمدا وأصحابه نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ <sup>(١)</sup> .  
إن هذا الحوار يساعدنا على فهم نفسية تلك الجماعة ( ونعي اليهود ) ، وخصالهم وأخلاقهم الفاسدة.

فإن رفض الاقتراح يكشف عن أنهم كانوا جماعة معاندة ، لجوجة ، لأنهم إذا كانوا حقا يعرفون صدق نبوة رسول الله ﷺ . كما قال زعيمهم . لم يكن لوقوفهم سبب الا العناد والعنوّ ، واللجاج.

واما الاقتراح الثاني وما دار حوله من كلام فيشهد . بجلاء . على أن تلك الطائفة كانت جماعة قاسية ، لا تعرف للرحمة والحنان معنى ، لان قتل الاطفال والنساء الابرياء لا يمكن من دون قسوة شديدة.

هذا مضافا إلى أن المشاورين آنذاك رفضوا هذا المقترح لا بدافع الرحمة والشفقة على الأطفال والنساء ، بل لأن الحياة لا تعود لذيذة بعد فقدهم هذا هو ما قالوه . ولم يقل أي واحد منهم : وما ذا جنى الاطفال والنساء حتى نقتلهم ونذبهم ، ولو أن رسول الله ﷺ . تمكن منهم . لم يقتلهم ، فكيف نعد نحن ( الآباء الرحماء ) إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة بحقهم . فنفسك دماءهم

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٣٦ .

من غير جرم ولا جنائية؟

وأما الاقتراح الثالث فيكشف عن أنهم لم يكونوا يعرفون جيدا مدى علم رسول الاسلام ﷺ بفنون القتال ، والدفاع وكانوا يتصورون أن القائد الأعلى للاسلام لا يراعي قواعد الحذر والاحتياط ليلة السبوت ويومه ، وخاصة في مواجهة أعداء خونة ، أخوان غدر ومكر ، أمثال اليهود الناقضين للعهود ، الناكثين للمواثيق.

ان دراسة وتقييم معركة « الاحزاب » تثبت ندرة وجود الاذكياء والفطنين بين هذه الجماعة ، والآن لكانوا يتمكنون من حفظ كيانهم حتى من الناحية السياسية في تلك الظروف من دون أن ينحازوا إلى أي واحد من طرفي الصراع ( الاسلام والشرك ).

أي أنه كان من الممكن أن يتخذوا جانب الحياد الكامل ، ويقفوا متفرجين لما يدور بين محمد ، وجيش المشركين ، وبهذا يقفوا محافظين على كيانهم ووجودهم ، انتصر من انتصر وغلب من غلب.

ولكنهم خدعوا بتسويلات « حبي بن أخطب » ووسوساته وانحازوا الى جيش العرب المشركين فتورطوا في مثل تلك الورطة ، وهي أن يتخلوا . في النهاية . عن مساعدة قريش بعد شهر كامل من التعاون معهم ، والرضوخ لخطة « نعيم بن مسعود » ، وإخبار قريش بأنهم لن يتعاونوا معهم ضد رسول الاسلام ما لم تسلم قريش بعض شخصياتها إليهم ، لغرض الاحتفاظ بهم في حصونهم كوثيقة!!

لقد غاب عن تلك الزمرة المعاندة اللجوجة أنهم قد تعاونوا ضد رسول الاسلام في بداية الأمر ، فاذا قطعوا علاقاتهم مع قريش ، وترك جيش المشركين ساحة المعركة إذا أحسن بالعجز عن تحقيق أي انتصار ، وعاد الى بلاده ، فان بني قريظة بأجمعهم سيكونون حينئذ في قبضة المسلمين.

فلو كانوا يملكون شيئا من الرؤية السياسية الصحيحة لكان عليهم أن يعلنوا لرسول الله ﷺ فور قطع العلاقات مع قريش . عن ندامتهم على

نقض الميثاق الذي عقده من قبل مع النبي ﷺ ويعتذروا إليه بما بدر منهم لينجوا من الخطر . في صورة انتصار المسلمين على الكفار . ولكن الشقاء أصابهم عند ما قطعوا العلاقات مع جيش قريش ، ولم يتحققوا بالمسلمين ، ولم يعتذروا إلى رسول الله ﷺ .

على أنه لم يكن في مقدور النبي ﷺ أن يترك بني قريظة . بعد هزيمة جيش العرب . على حالهم ، ويغض النظر عن موقفهم إذ لم يكن من المستبعد ، أن يفكر العرب في مناسبة أخرى في تسيير جيش ضخم ومنظم آخر لاجتياح المدينة ، ويتمكنوا مع مساعدة بني قريظة من استئصال الاسلام.

فكان يهود بني قريظة يعتبرون . في الحقيقة . العدو الداخلي الذي يهدد كيان الاسلام من الداخل ، وعلى هذا كان من الواجب معالجة الامر مع بني قريظة ، وحل هذه المسألة الخطيرة بالنسبة الى المسلمين من الاساس .

### خيانة أبي لبابة :

لقد طلب يهود بني قريظة بعد محاصرة النبي ﷺ لهم ، أن يبعث إليهم « أبا لبابة » الأوسي ليتشاوروا معه في الموقف ، وقد كان أبو لبابة حليفا لليهود قبلي دخول الاسلام إلى المدينة ، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم ، فلما رآه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه وقالوا : يا أبا لبابة أتري أن نزل على حكم محمد؟ قال : نعم . وأشار بيده إلى حلقه . يريد أنهم سوف يقتلهم ولن يحقن دماءهم ، لو سلّموا .

لقد كان أبو لبابة يعلم أن رسول الله ﷺ لن يوافق على بقاء هذه الزمرة الشريرة الخائنة الخطرة على دين التوحيد ، إلا أن أبا لبابة قد خان بفعله هذا المسلمين ، ومصالح الاسلام العليا ، وأفشى سرا كان عليه أن يكتمه قبل وقوعه ، ولهذا ندم على فعله ندما شديدا ، فخرج من حصن بني قريظة وهو

يرتجف ويقول : إني خنت الله ورسوله ﷺ ، وانطلق على وجهه ، ولم يأت رسول الله ﷺ والمسلمين وهم ينتظرون رجوعه إليهم . وربط نفسه في المسجد بعمود من أعمدته ، وقال لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي ما صنعت!!

ويقول المفسرون : فنزل في خيانة أبي لبابة قول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ كَرَسُومًا وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ فَمَنْ تَخُونُكُمْ تَعْلَمُونَ »<sup>(١)</sup> .

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبر أبي لبابة ، وكان قد استبطأه قال : أما أنه لو جاءني لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه . وبقي أبو لبابة مرتبطا بالاسطوانة ، وكانت ابنته أو زوجته تأتيه في مواعيد الصلاة ، وتحلّ رباطه ، فيصلي ثم تعيد الرباط .

فلما كان السحر من اليوم السابع نزلت توبة أبي لبابة بواسطة ملك الوحي . على رسول الله وهو في بيت أم سلمة ، والآية التي نزلت في توبته هي قوله تعالى :

« وَأَخْرُوجُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دَارِهِمْ وَيُخَلِّفُونَ فِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُغْتَابُونَ »<sup>(٢)</sup> .

فلما نظرت أم سلمة إلى رسول الله ﷺ وهو مستبشر يضحك قال ﷺ لها : « لقد تيب على أبي لبابة إن شئت فبشره » .

فقامت إليه وهو مرتبط بالجدع في المسجد وقالت له : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك .

فلما عرف الناس بذلك أرادوا أن يطلقوه فقال : لا والله حتى يكون رسول الله

(١) الأنفال : ٢٧ .

(٢) التوبة : ١٠٢ .

ﷺ هو الذي يطلقني.

فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه (١).

ولا شك إن زلة أي لبابة كانت بسبب عواطفه تجاه يهود بني قريظة ، فقد سلبه بكاء رجالهم ونسائهم ، وصبيانهم واستغاثتهم العاطفية القدرة على ضبط النفس ، فكشف سراً من أسرار المسلمين كان عليه أن يكتمه ، ولكن قوة الايمان بالله والخشية من عذابه أكبر وأعلى من كل شيء الى درجة أنها دفعت بابي لبابة إلى أن يندم على فعله ذلك الندم العجيب ، ويعمد . لجران تلك الخيانة . الى ما فعل من الانابة ، والاستغفار ، الأمر الذي تكون نتيجته أن لا تراود مثل هذه الفكرة نفسه مرة اخرى قط.

### إلى أي مدى ذهب الطابور الخامس في مشاغبته؟

خرج « شأس بن قيس » اليهودي من الحصن ليتحدث مع رسول الله ﷺ نيابة عن بني قريظة ، فطلب من رسول الله ﷺ ان يسمح لليهود بني قريظة بأن يحملوا معهم أموالهم ويخرجوا من المدينة كما فعل رسول الله ﷺ مع بني النضير ، فأبى رسول الله ﷺ وقال : « لا ، إلا أن تنزلوا على حكمي ».

فقال شأس : لك الاموال والسلاح وتحقن دماءنا ، فابي النبي ﷺ ورفض هذا الاقتراح أيضا.

وهنا يطرح السؤال التالي نفسه وهو : لما ذا رفض رسول الاسلام ﷺ مقترحات مندوب بني قريظة؟!

إن السبب واضح ، فانه لم يكن من المستبعد أن تقدم هذه الزمرة . بعد

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٣٧ و ٢٣٨ .



خروجها من قبضة المسلمين . على تحريك العرب المشركين الوثنيين ضد الاسلام والمسلمين على نحو ما فعلت بنو النضير ، وتعرض المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية الفتية لأخطار كبرى جدا ، وتسبب في سفك دماء كثيرة.

ولهذا لم يوافق رسول الله ﷺ على اقتراحات مندوب بني قريظة ، وعاد شأس إلى الحصن ، واخبر قومه بمقالة رسول الله عليه وآله ، ورفضه لمقترحاته.

فقرر بنو قريظة التسليم للمسلمين من دون أي قيد أو شرط.

أو الرضا بما يحكم به سعد بن معاذ الأوسي . وكان حليفا لهم . في حقهم.

ولهذا عمدوا الى فتح باب الحصن ، ودخل عليّ عاتقاً على رأس كتيبة خاصة من المسلمين الحصن وجردوا بني قريظة من السلاح ، وحبسوهم في منازل « بني النجار » ليتقرر مصيرهم فيما بعد.

وحيث إن يهود بني قينقاع قد اسروا على أيدي جنود الاسلام ، ثم عفني عنهم بوساطة من الخزرج وبخاصة « عبد الله بن ابي » ، وانصرف النبي ﷺ عن إهراق دمهم فيما مضى ، لذا ضغط الاوسيون المتحالفون مع بني قريظة على رسول الله ﷺ وأصرّوا عليه اصراراً شديداً بأن يعفو عن بني قريظة الذين كانوا متحالفين مع الأوس من قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وذلك منافسة للخزرج ، ولكن رسول الله ﷺ قاوم هذا الطلب ، وقال لهم :

« ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ »

قالوا : بلى .

قال رسول الله ﷺ فذاك إلى « سعد بن معاذ » فهو يحكم فيهم .

والطريف أن اليهود قد قبلوا هم أيضاً بما يحكم به سعد بن معاذ فقد بعث بنو قريظة الى

رسول الله ﷺ . كما يروى ابن هشام <sup>(١)</sup> والشيخ

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٤٠ .

المفيد (١) . : يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ.

وكان سعد آنذاك يتداوى في خيمة لامرأة تدعى « رفيدة » من سهم أصابه في معركة الخندق ، وكانت رفيدة تداوي الجرحى في سبيل الله ، وكان رسول الله ﷺ يعود سعدا بين الحين والآخر ، فلما حكّمه في بني قريظة أتاه فتيان الأوس ، وحملوه على حمار وقد وطفوا له بوسادة من آدم وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه الى رسول الله ﷺ ، فلما طلع سعد على رسول الله والناس حوله ﷺ جلوس ، قال رسول الله ﷺ :  
« قوموا إلى سيّدكم ».

فقام الناس على أرجلهم صفيين احتراماً لسعد ، وحيّاه كل واحد منهم ، حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ ، وقد طلب منه رجال قومه مرارا أن يحسن الحكم في حلفائهم : يهود بني قريظة ، ويخلصهم من خطر الموت والقتل قائلين : يا سعد أجمل إلى مواليك فأحسن فيهم فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حكّمك فيهم لتحسن فيهم .  
ولكن سعدا حكم في ذلك المجلس . رغم كل ذلك الاحاح ، والضغط . بأن يقتل رجال اليهود ، وتقسم أموالهم ، وتسبي ذراريهم ونساؤهم (٢) .

#### تقييم ما استند إليه سعد في حكمه :

ليس من شك في أنه اذا غلبت عواطف القاضي وأحاسيسه على عقله ، تعرض جهاز القضاء للفوضى والاختلال ، وانتهى الى تمزق المجتمع وسقوطه ،

(١) الارشاد : ص ٥٠ وأيضا راجع زاد المعاد : ج ٢ ص ٧٣ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٤٠ ، المغازي : ج ٢ ص ٥١٠ ، زاد المعاد : ج ٢ ص ٧٣ و ٧٤ .

وانهيار كل شيء ، لارتباط كل شيء بالعدالة وارتباط العدالة بالقضاء والمؤسسة القضائية. إن العواطف تشبه الى حد بعيد الشهية الكاذبة التي تزين في نظر صاحبها كل مضر مهلك في حين إذا غلبت هذه العواطف والمشاعر العقل سحقت مصالح الفرد والمجتمع ، أو أضرت به أشد وأبلغ إضرار.

إن عواطف سعد وأحاسيسه ومشاعره ، ومنظر صبيان ونساء بني قريظة المحزن ، وأوضاع رجالهم التي كانت تثير الاشفاق وهم في الحبس ، وملاحظة الرأي العام في قبيلة الأوسيين الذين كانوا يلحون على سعد أن يحسن الحكم والرأي في بني قريظة ، كل هذه الاعتبارات كان من شأنها أن تجعل القاضي فريسة العاطفة ، فيصدر حكمه على أساس من تقديم مصالح أقلية خائنة مشاغبة على مصالح الاكثرية ( أي عامة المسلمين ) ويبيع بني قريظة الجناة الخونة ، أو يخفف عن عقوبتهم أكبر قدر ممكن ، على الأقل ، أو يسلم لإحدى المقترحات السابقة.

إلا أن منطق العقل ، وحرية القاضي واستقلاله في الحكم والقضاء ومراعاة المصالح العامة كل ذلك قاد سعدا إلى ناحية اخرى ، فحكم بأن يقتل رجال تلك الزمرة المتآمرة الخائنة ، وتصادر أموالهم ، وتسبي نساؤهم وأطفالهم.

وقد استند هذا الحاكم في حكمه هذا إلى الامور التالية :

١ . أن يهود بني قريظة قد تعهدوا للنبي ﷺ قبل مدة بأنهم لو تأمروا ضد الإسلام ، والمسلمين ، وناصروا أعداء التوحيد ، واثاروا الفتن والقتال ، وألبوا على المسلمين كان للمسلمين الحق في قتلهم ومصادرة أموالهم وسبي نساؤهم<sup>(١)</sup>.

وقد رأى بأنه لو حكم بمعاقبة اليهود حسب هذا الميثاق لم يصدر حكما مخالفا

---

(١) ولقد مر عليك نص هذا الميثاق الذي وقع عليه كعب بن الاسد رئيس بني قريظة.

للعادلة ، ولم يرتكب ظلما .

٢ . إن هذه الزمرة الناقضة للميثاق أخلّت بأمن المدينة في ظل حراب القوى المشتركة ، فترة من الزمن ، وهاجمت منازل المسلمين ، ولو لا مراقبة النبي ﷺ للاوضاع وحراسة من عيّنهم من جنود الاسلام للحفاظ على أمن المدينة ، لفعلت تلك الزمرة الأفاعيل ولارتكبت أسوأ الفضائع والفجائع ، ولو أتيح لهم أن يسيطروا على المدينة لقتلوا رجال المسلمين وصادروا أموالهم ، وسبوا نساءهم وأطفالهم .

ومن هنا رأى سعد بن معاذ في نفسه بأنه لو قضى فيهم بمثل هذا القضاء لما خالف الحق وأطفالهم .

٣ . من المحتمل جدا أن سعد بن معاذ رئيس الأوس الحلفاء ليهود بني قريظة ، والذين كانت بينهم علاقات ودّ ومحبة كان مطلعاً على قوانين اليهود ، الجزائية في هذا المجال ، فإن التوراة تنص بما يلي : « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح . فان اجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك . وان لم تسالملك بل عملت معك حربا فحاصرها . واذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف ، واما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك » (١) .

ولعل سعدا فكر في نفسه بأن القاضي المرضي والمقبول لدى الجانبين لو عاقب المعتدين حسب شريعتهم ما فعل إلا ما يقتضيه العدل والانصاف .

٤ . والذي نتصوره هو أن أكبر أسباب هذا الحكم هو أن « سعد بن معاذ » رأى بام عينيه أن رسول الله ﷺ عفا عن بني قينقاع المعتدين بناء على طلب من الخزرجيين ، واكتفى . من عقابهم . باخراجهم من المدينة ، واجلائهم

---

(١) التوراة : سفر التثنية الفصل العشرون ١٠ - ١٤ .

عنها ولكن تلك الزمرة التي شملها عفو النبي لم تكن تغادر أراضي الاسلام حتى بدأت بالمشاغبة والمؤامرة الدينية ضدّ الاسلام ، فذهب كعب بن الأشرف الى مكة ، وأخذ يتباكى . دجلا وخداعا . على قتلى بدر ، ويذرف عليهم دموع التماسيح ، ولم يفتأ عن تأليب قريش ضد رسول الاسلام وأصحابه حتى عزمت قريش على تسيير جيشها نحو المدينة ، وكانت واقعة « احد » التي استشهد فيها اثنان وسبعون من خيرة أبناء الاسلام ، ورجاله .

وهكذا فعلت بنو النضير المتآمرون الخونة ، الذين عفا عنهم رسول الله ﷺ واكتفى من عقابهم بمجرد اجلائهم عن المدينة ، ولكنهم قابلوا هذا الموقف الانساني ، بتأليب القبائل العربية المشتركة ضدّ الاسلام ، والمسلمين ، وكوّنوا اتحادا نظاميا بينها ، وألفوا منها جيشا قويا ساروا به الى عاصمة الاسلام ( المدينة ) ، فكانت وقعة ( الاحزاب ) التي لو لا حنكة رسول الله ﷺ ، وخطة حفر الخندق لقضي على الاسلام بسببها منذ الايام الاولى ، ولما بقي من ذلك الدين خبر ولا أثر ولقتل آلاف الناس .

لقد لاحظ سعد بن معاذ كل هذه الاعتبارات ، فلم تسمح له التجارة الماضية بأن يستسلم لعواطفه ، ويضحي بمصالح الآلاف في سبيل الحفاظ على مصالح اقلية لأنه كان من المسلمّ به أن هذا الفريق سيقوم في المستقبل بايجاد تحالف عسكري أوسع ، وسيثير ويؤلب قوى العرب ضد الاسلام ، ويعرض مركز الاسلام ، ومحوره الاساسي للخطر من خلال تدبير مؤامرات اخرى .

وعلى هذه الأساس رأى بأن وجود هذه الزمرة يضرّ المجتمع الاسلامي مائة بالمائة وأيقن بأن هذه الزمرة لو أتيح لها أن تخرج من قبضة المسلمين لما فتأت لحظة عن المؤامرة ولواجه المسلمون بسببها أخطارا كبرى .

ومن المحقق أنه اذا لم تكن في المقام هذه الجهات والاعتبارات لكان إرضاء الرغبة العامة في الابقاء على بني قريظة أو التخفيف في عقابهم أمرا في غاية الأهمية بالنسبة إلى سعد بن معاذ ، فان رئيس أي قوم ، أو جماعة أحوج ما يكون

إلى تأييد قومه وجماعته وكسب رضاهم ودعمهم ، ولا ريب أن عدم الاستجابة لمطلبهم ، وتجاهل توصياتهم يوجّه أكبر ضربة لسيد القوم ورئيسهم ، ولكن سعدا ( رئيس الأوس ) أدرك أن جميع هذه التوصيات والوساطات تخالف مصالح الآلاف من المسلمين ، من هنا أثر عدم الحياد عن حكم العقل ، والمنطق ، على رضا قومه عنه .

هذا وإن الذي يشهد بدقة نظر سعد ، وصواب رأيه ، وصحة تشخيصه وتقديره للأمر أنه عند ما اتى بجبي بن أخطب ليضرب عنقه فوقعت عينه على رسول الله ﷺ قال : ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يخذل . أي لو لا خذلان الله لليهود لاستمرّ في معاداة رسول الله ﷺ وتدمير المؤامرات ضده .  
ثم أقبل على الناس فقال : يا أيّها الناس لا بأس بأمر الله ، ملحمة كتبها الله على بني إسرائيل .

ثم إنه قتل في هذه الواقعة من النساء امرأة واحدة لأنها ألقت برحى من فوق الحصن فقتلت به أحد المسلمين ، فقتلت قصاصا .

وكان بين المحكوم عليهم بالقتل رجل اسمه « الزبير بن باطا » شفع له رجل من المسلمين يدعى ثابت بن قيس ، فلم يقتل ، واخلى سبيل زوجته وأولاده ، واعيدت إليه أمواله ، وأسلم أربعة من بني قريظة ، وقسمت غنائم العدو بين المسلمين بعد إخراج الخمس منها ، وإخراج ما يرتبط بالامور الادارية الاسلامية العامة .

وقد اعطي للفارس سهمان ، وللراجل سهم واحد ، وسلم رسول الله ﷺ أموال « الخمس » إلى زيد بن حارثة ليذهب بها إلى نجد ويشترى بها العتاد ، والسلاح ، والخيول ، وغيرها من أدوات الحرب <sup>(١)</sup> .

(١) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٢٥٠ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٤١ ، زاد المعاد : ج ٢ ص ٧٤ .

وهكذا انتهت مشكلة بني قريظة في التاسع عشر من شهر ذي الحجة من السنة الخامسة للهجرة ، وقد نزلت في شأن هذه الواقعة الآيات ٢٦ . ٢٧ من سورة الاحزاب اذ يقول سبحانه :

« وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. هَرَّتْكُمْ رَأْصُهُمْ وَيَارَهُمُ مَوَالِهِمْ هِنًا ۖ تَطَّوَّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ».

وقد استشهد « سعد بن معاذ » الذي سبق أن جرح في معركة الخندق بعد حادثة بني قريظة هذه <sup>(١)</sup>

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٥٠ . ٢٥٤ .

## أعداء الاسلام تحت المراقبة

### المشيدة<sup>(١)</sup>

لم تنقض السنة الهجرية الخامسة إلا وقد انتهت فتنة « الاحزاب » و « بني قريظة » ، وقضي عليهما بالكامل ، وأصبحت المدينة وضواحيها برمتها في قبضة المسلمين وتحت سيطرتهم ، وازدادت قواعد الحكومة الاسلامية الفتية رسوخا وثباتا ، وساد هدوء نسبي في المنطقة التي تخضع للحكومة الاسلامية ، غير أن هذا الهدوء كان هدوء مؤقتا ، وكان على قائد المسلمين الأعلى أن يراقب أحوال العدو وأوضاعه ، وتحركاته ليقضي في المهدي على كل مؤامرة ضد الاسلام بما اوتي من قوى وامكانيات .

ولقد سمح الهدوء الذي ساد المنطقة للنبي ﷺ بأن يجمع بعض مشعلي فتنة « الاحزاب » الذين هربوا من قبضة المسلمين بعد رحيل « الاحزاب » .

فلقد قتل « حبي بن أخطب » الذي كان من مشعلي معركة الأحزاب ، في غزوة بني قريظة ، ولكن رفيقه « سالم بن أبي الحقيق » كان لا يزال يعيش في خيبر ، ولا شك في أن هذا العنصر الخطر لم يكن ليفتأ لحظة واحدة عن إثارة وتأليب « الأحزاب » من أخرى ضد الاسلام ، وخاصة أن العرب الوثنيين كانوا

---

(١) يستفاد من السيرة النبوية : ج ٣ ص ٢٩١ ط ١٣٥٥ أن خطة اغتيال « سالم » كانت قبل نهاية السنة الهجرية الخامسة ، ولكن بالنظر إلى أن قضية بني قريظة حدثت في التاسع عشر من شهر ذي الحجة يستبعد هذا الرأي .



مستعدين لشن حرب على الاسلام ، وكان من المحتمل إذا نوفرت هناك جهة تتكفل نفقات الحرب ، أن تتكرر قضية الاحزاب مرة اخرى .

على أساس هذه المحاسبات كلف رسول الله ﷺ (١) مجموعة من شجعان الخزرج وفوارسهم بأن يصفقوا هذا العنصر الخطر ، الجريء والحاقد ، بشرط أن لا يتعرضوا لأحد من أبنائه وزوجاته .

فخرجوا حتى قدموا خيبر ، فدخلوا خيبر ليلا ولم يدعوا بابا في الدار الا أغلقوه على أهله حتى لا يحس بهم أحد إذا صاح واستغاث بأحد ، ثم تسللوا إلى غرفته وكانت في الطابق الاعلى ، فطرقوا باب حجرته ، فخرجت إليهم امرأته وقالت : من أنتم؟ قالوا : ناس من العرب نلتمس الميرة ، ففتحت الباب وسمحت لهم بالدخول عليه من دون التحقق من أمرهم ، فدخلوا في غرفته وابتدروه وهو على فراشه بأسيافهم بعد أن أغلقوا باب الغرفة على أنفسهم ، وقضوا على ذلك المفسد الشرير الذي طالما أزعج المسلمين بفتنه ومؤامراته ، ثم خرجوا ، وانحدروا من الدرج واختبئوا في ممر مائي من خارج الحصن الى داخله ، فصاحت زوجته ، واستغاثت بالجيران ، فأوقد اليهود النيران ، واشتدوا في طلب تلك الجماعة الفدائية المسلمة ، ولكن من دون جدوى ، وعند ما يئسوا من القبض عليهم رجعوا الى صاحبهم المقتول ، وقد بلغ من جرأة المسلمين أن بعثوا أحدهم ليدخل بين اليهود في خيبر ويأتي لهم بخبر ابن أبي الحقيق ، لأنهم كانوا يظنون بأنه لا يزال على قيد الحياة .

فدخل ذلك الرجل بين اليهود فوجدهم وامرأته حول ابن أبي الحقيق ، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه ، وتحادثهم ، وتقصّ عليهم ما جرى ، ثم أقبلت عليه

---

(١) إن السبب أو الحكمة في تكليف رسول الله ﷺ الخزرج بهذه المهمة هو أن الاوس قاموا بعملية مشابحة في حق « كعب بن الأشرف » اليهودي فأراد رسول الله ﷺ إقامة توازن في كسب المفاخر بين تينك القبيلتين ولذلك أوكل مهمة تصفية هذا اليهودي المفسد إلى رجال الخزرج .

تنظر في وجهه ثم قالت : فإظ ( أي مات ) وإله يهود.

فعاد إلى رفاقه وأخبرهم بنجاح عمليتهم وهلاك عدو الله : « سلام بن أبي الحقيق » على أيديهم ، فخرجوا في تلك الليلة من مذبأهم وعادوا إلى المدينة وأخبروا رسول الله ﷺ بما جرى (١).

### أهل الرأي من قريش يهاجرون إلى الحبشة :

توجه جماعة من أهل الرأي في قريش الذين أخافهم تقدم الإسلام ، وانتشاره المطرد بشدة ، إلى البلاط الحبشي ليقطنوا ويقيموا في الحبشة فقد قالوا : الرأي أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر « محمد » على قومنا كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد وإن ظهر قومنا فنحن من عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير . وخرجت هذه الجماعة وفيهم « عمرو بن العاص » بهدايا كثيرة من الحجاز قاصدة أرض الحبشة ، وبلاط النجاشي بالذات .

وصادف دخولهم على « النجاشي » ورود « عمرو بن أمية الضمري » مبعوث رسول الله ﷺ وحامل كتابه إلى النجاشي يوصيه فيه بجعفر بن أبي طالب ، والمهاجرين الآخرين من رفاقه .

فقال « عمرو بن العاص » : لو دخلت على « النجاشي » بالهدايا وسألته عمرو بن أمية فاعطانيه ، فضربت عنقه .

فدخل « عمرو بن العاصي » على « النجاشي » ، وسجد له . على النحو الذي كان متبعاً . فسأله النجاشي عن حاله ، ثم قال : هل أهديت إلي من بلادك شيئاً ؟ قال ابن العاص : نعم أيها الملك ، قد أهديت إليك ادما كثيرا ، ثم قال : أيها

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٧٤ و ٢٧٥ .

الملك ابي قد رأيت رجلا خرج من عندك ( ويقصد مبعوث رسول الله ) وهو رسول عدو لنا ، فاعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا .  
فغضب النجاشي لمقالة ابن العاص غضبا شديدا فصفعه صفقة كادت أن تكسر أنفه ،  
ثم قال : أتسألني أن اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله .  
ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فانه والله لعلى الحق ، وليظهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى  
على فرعون وجنوده ، ثم قال : أفتبايعني له على الاسلام؟  
يقول عمرو بن العاص : فقلت نعم ، فبسط يده فبايعته على الاسلام ، ثم خرجت إلى  
أصحابي ، وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي <sup>(١)</sup> .

### الوقاية من تكرار التجارب المرة :

تركت حادثة « الرجيع » المهرّ التي قتل فيها جماعة من قبائل « عضل » و « القارة »  
من بني لحيان ثلة من دعاة الاسلام غدرا ومن دون رحمة ، بل وسلّمت رجلين منهم بقوا  
على قيد الحياة إلى قريش فصلبتهم قريش صبرا انتقاما من رسول الله والمسلمين .  
لقد تركت هذه الفاجعة المأساوية المؤلمة ألما شديدا في نفوس المسلمين ، وأحدثت جرحا  
عميقا في ضمائرهم وأدت إلى توقف حركة الارشاد والتبليغ والدعوة .  
ولكن في الظروف المستجدة التي استطاع الاسلام أن يزيل . بعد الأحزاب وبني قريظة .  
كل العراقيل والعقبات عن سبيل المسلمين رأى رسول الله ﷺ أن من الضروري تأديب  
بني لحيان لتعتبر بقية القبائل ، فلا يؤذوا بعد ذلك فرق الدعوة وبعثات التبليغ الاسلامي .

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ .

فاستخلف مكانه لإدارة شئون المدينة « ابن أم مكتوم » في الشهر الخامس من السنة الهجرية السادسة ولم يظهر لأحد ما يقصده ، بل خرج يظهر أنه يريد الشام ليصيب « بني لحيان » على غفلة منهم ، فلما وصل الى طريق مكة عرّج حتى نزل بمنطقة تدعى غراب وهي منازل بني لحيان ، وقد كان بنو لحيان قد عرفوا بمسير النبي إليهم فحذروه ، وتمنعوا في رءوس الجبال.

وكان غزو المسلمين هذا ، وجبن العدو قد تركا أثرا نفسيا قويا ، فأحدث رعبا في قلوب أعداء الإسلام.

واستكمالا لهذا الهدف العسكري الهام عمد رسول الله ﷺ إلى القيام بسلسلة من المناورات العسكرية ، واستعراض القوة القتالية في جنوده ليهرب أعداء الله القريب منهم والبعيد ولتسمع بهم قريش خاصة فيذعرهم ، فنزل في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان على مقربة من مكة وقد قال من قبل :

« لو هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة ».

ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ( وهو موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال ) . ثم عاد مع أصحابه إلى المدينة <sup>(١)</sup> . هذا وكان جابر بن عبد الله الأنصاري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين رجوعه من هذه الغزوة :

« ... أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال » <sup>(٢)</sup> .

### غزوة ذي قرد :

لم يقيم رسول الله ﷺ في المدينة بعد عودته من الغزوة

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٧٩ و ٢٨٠ .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٥٤ ، المغازي : ج ٢ ص ٥٣٥ ، إمتاع الاسماع : ج ١ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ .

السابقة إلا ليالي قلائل حتى أغار « عيننة من حصن الفزاري » بمساعدة بني غطفان ، على إبل لرسول الله ﷺ كانت ترعى في منطقة تدعى الغابة ( وهي موضع قرب المدينة من ناحية الشام ) كانت مرعى أهل المدينة ، وكان فيها آنذاك رجل من بني غفار ، وامرأة مسلمة له ، فقتلوا الرجل ، وأخذوا معهم المرأة والإبل .

وكان أول من أخبر الناس بذلك رجل يدعى سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي وكان قد غدا يريد الغابة متوشحا سيفه وقوسه ونبله ، يريد الصيد ، حتى إذا علا « ثنية الوداع » نظر إلى بعض خيول المغيرين ، فصعد على تلة سلع وصرخ مستغيثا ومستنجدا : وا صباحاه ،

ثم خرج يشتد في آثار القوم ( المغيرين ) فجعل يردّهم بالنبل ، ولكن المعتدين لاذوا بالفرار .

وكان رسول الله ﷺ أول من سمع صراخ ابن الاكوع واستغاياته ، فصرخ ﷺ هو مستغيثا : الفرع ، الفرع . فأسرع جماعة من الفرسان برسول الله ﷺ ، فلما اجتمعوا عنده أمر عليهم « سعد بن زيد الاشهلي » وقال له :  
« اخرج في طلب القوم ، حتى الحقك في الناس » .

فخرج الفرسان المسلمون في طلب القوم ، وخرج رسول الله ﷺ من ورائهم ، حتى أدركوا القوم في ذي قرد ، فوقع بين المسلمين ، وبين المغيرين قتال قليل قتل فيه من المسلمين رجالان ، ومن المعتدين ثلاثة ، واستنقذت المرأة ، وبعض الابل المسروقة ، ولكن العدو لجأ إلى غطفان ، فأقام رسول الله ﷺ في تلك المنطقة يوما وليلة ، تخويفا للعدو ، ولم ير من الصالح ملاحقة العدو رغم إصرار بعض المسلمين على ملاحقتهم ، واستنقاذ بقية السرح ( الابل ) .

ثم رجع رسول الله ﷺ قافلاً حتى قدم المدينة <sup>(١)</sup> وكانت هذه الغزوة في الثالث من ربيع الأول من السنة السادسة من الهجرة <sup>(٢)</sup>.

### النذر غير المشروع

واقبلت المرأة الغفارية المسلمة التي استنقذت من أيدي المغيرين على ناقة من إبل رسول الله ﷺ حتى قدمت على رسول الله ﷺ وأخبرته بما جرى ثم قالت : يا رسول الله إني قد نذرت إن نجاني الله على هذه الناقة ، أن أئجرها فأكل كبدها وسنامها.

فتبسم رسول الله ﷺ وقال :

« بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك ثم تنحرينها ، انه لا نذر في معصية ، ولا فيما لا تملكين إنما هي ناقة من إبلي فارجعي إلى أهلك على بركة الله » <sup>(٣)</sup>.

وبذلك بين رسول الله ﷺ حكماً في مجال النذر ، وهو أن النذر لا يصح في مال الغير ، فلا نذر إلا في ملك.

والقصة إلى جانب ذلك تكشف عن الخلق العظيم الذي كان يتحلى به قائد الاسلام الأعلى رسول الله ﷺ ، ولطفه بأصحابه واتباعه ، حيث جابه المرأة المذكورة برفق ولطف ، وبصرها بما لها وما عليها في منتهى التواضع والشفقة.

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٥٥ ، المغازي : ج ٢ ص ٥٣٧ و ٥٤٩ .

(٢) امتاع الاسماع : ج ١ ص ٢٦٠ و ٢٦١ .

(٣) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٨١ - ٢٨٩ ، الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٣٣ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٢٦٣ قال صاحب الامتاع : وكانت الناقة هي القصواء ، والقصواء اسم ناقة رسول الله ﷺ .

### تميّز بني المصطلق

لقد بلغت قوة المسلمين العسكرية في السنة الهجرية السادسة حداً ملفتاً للنظر ، بحيث تمكن جماعة خاصة منهم أن يترددوا على المناطق القريبة من مكة بمنتهى الحرية ، ومن دون خوف ، بيد أن هذه القوة العسكرية لم تكن كافية للسيطرة على المناطق التي كان يتواجد فيها القبائل المشركة ، ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم .

وإذا كان المشركون لا ينتزعون المسلمين حريتهم ، وكانوا يسمحون لأن تجري النشاطات التبليغية من دون منع أو معارضة لما كان رسول الإسلام ﷺ يقدم على شراء الأسلحة ، وبعث السرايا ، والمجموعات العسكرية ، ولكن حيث ان نشاطات المسلمين التبليغية ، ومجموعات الارشاد والدعوة كانت تتعرض باستمرار للمضايقة ، والاذى ، بل والاعتقال من قبل العدو ، لذلك كان رسول الإسلام ﷺ مضطراً بحكم العقل والفضرة أن يقوي من قدرات الاسلام الدفاعية .

لقد كانت العلة والأسباب الواقعية لأكثر الحروب التي وقعت إلى السنة الهجرية السادسة بل حتى آخر لحظة من حياة رسول الإسلام ﷺ تلخص في إحدى الامور التالية :

١ . الرد على اعتداءات المشركين الغادرة ، مثل معركة « بدر » و « احد » و

« الخندق ».

٢ . تأديب وعقاب الظالمين الذين قتلوا رجالا أبرياء من المسلمين ، أو قتلوا جماعات الدعوة والتبليغ في البراري والقفار النائية ، أو عرّضوا كيان الاسلام للخطر بنقضهم عهودهم ، وتمثل هذه الحروب في الغزوات الثلاثة ضد الطوائف اليهودية الثلاث ( بني قينقاع ، بني النضير ، بني قريظة ) وبني لحيان .

٣ . افشال واحباط المؤامرات ، أو محاولات التمرد التي كانت على شرف الانعقاد في القبائل التي كانت تنوي بجميع الرجال والاسلحة غزو المدينة ، واكتساح عاصمة الاسلام ، واستئصال المسلمين ، وكانت أكثر الحروب الصغيرة والمناوشات العابرة ناشئة من هذا العامل الأخير .

### غزوة بني المصطلق :

كان بنو المصطلق من قبائل « خزاعة » المتحالفة مع قريش . وقد بلغ رسول الله ﷺ أن الحارث بن أبي ضرار زعيمها يعدّ العدة ، ويجمع الرجال المقاتلين لمحاصرة المدينة وغزوها ، فقرر رسول الله ﷺ بأن يقضي على هذه المؤامرة في مهدها كما كان يفعل دائما . ولهذا أرسل أحد أصحابه وهو : « بريدة » إلى أرض بني المصطلق ليأتي بأخبارهم ، فذهب بريدة ، ودخل فيهم وتحادث . في هيئة متنكرة . مع رئيسهم وعرف بنيته ، ثم عاد إلى المدينة واخبر رسول الاسلام ﷺ بما رآه وسمعه ، وأن بني المصطلق عازمون على المسير إلى رسول الله ﷺ لمحاصرة المدينة . فخرج رسول الله ﷺ في جمع من أصحابه حتى لقيهم عند ماء يدعى « المريسيح » ، ونشبت الحرب بينهم وبين المسلمين ، ولكن صمود المسلمين وبسالتهم التي كانت قد أرعبت قلوب قبائل العرب تسبب في أن



لا يطول القتال بين المسلمين وبين « بني المصطلق » فتفرق جيش العدو بأن قتل منهم عشرة رجال ، كما وقتل رجل مسلم خطأ ، فأصاب المسلمون غنائم كثيرة وسبوا جماعة كبيرة من نساء بني المصطلق<sup>(١)</sup> .

هذا وان النقاط والدروس المفيدة في هذه الواقعة تتمثل في السياسة الحكيمة التي مارسها رسول الله ﷺ في حوادث هذه الغزوة ، مما سنذكر بعضها عما قريب .

وقد شب في هذه المنطقة ولأول مرة خلاف بين المهاجرين والأنصار ، كاد أن يأتي بنتائج مروعة أبسطها أن توجه ضربة قوية إلى الاتحاد الحاصل بين المسلمين نتيجة هوى البعض وهو سهم لو لا تدبير النبي ﷺ وحكمته ، الرشيدة التي أنهت كل شيء ، وابتقت على روح التأخي بين المسلمين .

وتعود جذور هذه الحادثة إلى تزاخم رجلين من المسلمين على البئر بعد ان وضعت الحرب أوزارها .

فقد ازدحم « جهجاه بن مسعود » وهو من المهاجرين و « سنان بن وبر الجهني » وهو من الأنصار على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهني . مستغيثا بقبيلته على عادة الجاهليين . : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ، وكاد أن يتقاتل المسلمون من الفريقين فيما بينهم في هذه الحادثة ، وفي هذا المكان البعيد عن عاصمة الاسلام ومركزه ، ويتعرض بذلك كيانهم للسقوط والانهيار ، لأنهم تواعدوا على القتال كل فريق انتصارا الصريحة .

فلما عرف رسول الله ﷺ بذلك قال :

« دعوها فإنها منتنة »<sup>(٢)</sup> .

أي أن هذا النوع من الاستغاثة ومثل هذا الدافع ما هو إلا من دعوى

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٦٠ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٩٥ و ١٩٦ .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٢٩٠ ( الهامش ) .

الجاهلية ، وقد جعل الله المؤمنين إخوة وحزبا واحدا ، فانما ينبغي أن تكون الدعوة للمسلمين ، وإلا كانت جاهلية ، لا قيمة لها في الإسلام<sup>(١)</sup> .  
وبذلك قضى النبي الحكيم على الفتنة في مهدها ، وجنب المسلمين أخطارها .

### منافق حاول إشعال الموقف :

أجل لقد استطاع رسول الله ﷺ بهذا الاستنكار الشديد أن يطفى نار الاختلاف والتنازع فكيف الفريقان ( القبيلتان ) عن استئناف التنازع والتقاتل .  
إلا أن « عبد الله بن أبي » رئيس حزب المنافقين بالمدينة ، والذي كان يكنّ حقا كبيرا على الإسلام وقد شارك في تلك الغزوة طمعا في الغنيمة ، أظهر . في هذه الحادثة . حقه ، وضغينته على الإسلام ، وقال لرهط من أهل المدينة كانوا عنده آنذاك : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم ، لقد نافرنا ( أي المهاجرين ) وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول : ستمن كلبك يأكلك ، أما والله لعن رجعا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ( ويقصد بالأذل المهاجرين )!!!

فتركت كلمات « ابن أبي » أمام تلك الجماعة التي كانت لا تزال تعاني من بقايا عصبية جاهلية ، أثرها في نفوسهم ، وكادت توجه ضربة قاضية إلى صرح الوحدة الإسلامية ، والاخوة الايمانية التي كانت تشد المسلمين . أنصارا ومهاجرين . بعضهم ببعض كالبنين المرصوص .

ومن حسن الحظ أن فتى غيورا من فتیان المسلمين هو زيد بن الارقم

(١) راجع هوامش السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٩٠ .

لما سمع بهذه الكلمات المثيرة للشغب والفتنة رد على « ابن ابي » بكلمات قوية شجاعة اذ قال : أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ، ومحمد في عز من الرحمن ، ومودة من المسلمين ، والله لا احبك بعد هذا أبدا.

ثم نهض ومشى إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر ، فرده رسول الله ﷺ ثلاث مرات حفظا للظاهر ، قائلا : لعلك وهمت يا غلام ، لعلك غضبت عليه ، لعله سفه عليك.

ولكن زيدا كان يؤكد على صحة ما أخبر به رسول الله ﷺ من مقالة المنافق الخبيث « عبد الله بن ابي » ، وتحريكه للناس ضد رسول الله ﷺ .

وهنا طلب عمر بن الخطاب من رسول الله ﷺ أن يقتل « ابن ابي » قائلا : مر به عبّاد بن بشر فليقتله <sup>(١)</sup> .

ولكن رسول الله ﷺ أجاب عمر بقوله :

« فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمّدا يقتل أصحابه ، لا » <sup>(٢)</sup> .

ولقد مشى « عبد الله بن ابي » إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن « زيد بن الارقم »

قد بلّغ رسول الله ﷺ ما سمع منه ، فحلف

---

(١) تثبت دراسة حياة الخليفة الثاني أنه لم يبد في أية معركة من معارك الاسلام قوة وبسالة ، بل كان في صف المتقاعدين دائما. ولكن كلما أسبر المسلمون أحدا كان هو اول من يقترح على رسول الله ﷺ بقتله ونذكر للمثال ما يلي :

أ . هذا المورد الذي طلب فيه من رسول الله أن يقتل ابن ابي .

ب . طلبه من النبي بأن يقتل حاطب بن أبي بلتعة الذي تجسس لصالح المشركين من أهل مكة في فتح مكة .

ج . طلبه من رسول الله ﷺ بقتل أبي سفيان الذي جاء به العباس عم النبي ﷺ إلى خيمة رسول

الله ﷺ قبيل فتح مكة ، وغير ذلك من الموارد التي سبقت أو التي تأتي .

(٢) امتاع الاسماع : ج ١ ص ٢٠٢ .

بالله : ما قلت ما قال ، وقال بعض من حضر من أهل الرأي من أصحابه دفاعا عن ابن ابي  
: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد اوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل.  
ولكن الامر لم ينته إلى هذا ، فقد كان هذا نوعا من الهدوء المؤقت تماما كالهدوء الذي  
يسبق العاصفة ، الذي لا يمكن الاطمئنان إليه .

فقد كان يتوجب على قائد المسلمين الأعلى أن يقوم فوراً بما يؤدي إلى أن ينسى الطرفان  
هذه القصة نهائياً ، ولهذا أمر بالرحيل في ساعة من النهار لم يكن ﷺ يرتحل فيها عادة .  
فجاءه « اسيد بن حضير » ، وقال : يا رسول الله لقد رحلت في ساعة منكراً ما كنت  
تروح في مثلها؟

فقال له رسول الله ﷺ :

« أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الاعز منها الاذل؟ »  
فقال اسيد : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل ، وأنت العزيز ،  
ارفق به يا رسول الله ، فو الله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، وأنه  
ليرى أنك قد استلبته ملكا .

ثم أمر رسول الله ﷺ بالرحيل فارتحل الناس ، وسار بهم النبي ﷺ يومهم ذاك حتى  
أمسى ، وليلتهم تلك حتى أصبح ، من دون أن يسمح لهم بالنزول والاستراحة ، إلا للصلاة  
، وسار بهم في اليوم هكذا حتى آذتهم الشمس وسلبوا القدرة على مواصلة السير فأذن لهم  
بالاستراحة ، فنزل الناس ، ولم يلبثوا ان وجدوا مسّ الارض فوقعوا نياما من شدة التعب ،  
وقد نسوا كل شيء من تلك الذكريات المرّة ، وكان هذا هو ما يريد النبي ﷺ ، فقد  
سار بهم ليل نهار من دون توقف ليشغلهم عن الحديث الذي كان من

« عبد الله بن ابي » المنافق المفتن (١)

### صراع بين الايمان والعاطفة :

كان عبد الله ابن « عبد الله بن ابي » من فتيان الإسلام الشجعان ، ومن فرسانه البواسل ، وكان . كما تقتضيه تعاليم الإسلام . يبر بأبيه المنافق أكثر من غيره ، ولكنه عند ما عرف بما تفوّه به أبوه في شأن رسول الله ﷺ وظن أن رسول الله ﷺ سيقتل أباه جاء الى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله انه قد بلغني أنك تريد قتل « عبد الله بن ابي » ، فيما بلغك عنه فإن كنت لا بد فاعلا فمربي به فانا أحمل إليك رأسه ، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني ، وإني أخشى أن تامر به غيري ، فيقتله فلا تدعني نفسي انظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فاقتله ، فأقتل ( رجلا ) مؤمنا بكافر فأدخل النار!!

إن حديث هذا الفتى يعكس . في الحقيقة . أعظم تجليات الإيمان وآثاره في النفس ، والروح الانسانية .

لما ذا لم يطلب من النبي ﷺ أن يعفو عن أبيه؟! لأتبه كان يعلم أن ما يفعله رسول الله ﷺ إنما هو بأمر الله تعالى ، ولكن ابن عبد الله كان يرى نفسه في صراع روحي حاد . فمن جانب كانت تدعوه عواطف البنوة والابوة والأخلاق العربية أن ينتقم ممن يقتل أباه ، ويسفك بالتالي دم مسلم .

ومن جانب آخر توجب عوامل اخرى مثل ضرورة استتباب الأمن والطمأنينة في البيئة الاسلامية أن يقتل رأس المنافقين « ابن أبي » ، انه صورة من صور الصراع بين مقتضى الايمان ، ومقتضى العاطفة .

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٦١ و ٢٦٢ ، مجمع البيان : ج ١٠ ص ٢٩٢ . ٢٩٥ .

ولقد اختار عبد الله بن عبد الله بن أبي طريقا ثالثا في هذا الصراع ، يضمن مصالح الإسلام من جهة ، ويحافظ على مشاعره من أن تجرح على أيدي الآخرين من جهة أخرى ، وذلك بأن يكون هو الذي ينقذ حكم الاعداد في أبيه المنافق المشاغب . وهذا العمل وان كان شاقا مؤلما إلا أن قوة الايمان بالله والتسليم لأمره سبحانه كانت تفيض عليه قدرا كبيرا من الطمأنينة والسكون .

ولكن النبي الرحيم ﷺ قال ردا على سؤال واقترح عبد الله بن عبد الله بن أبي :

« بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا »!!!

وهذا الكلام الذي يكشف عن سمو أخلاق النبي ﷺ ومبلغ رحمته ، أدهش المسلمين جميعا فتوجهوا باللوم والعتاب الحاد إلى المنافق « عبد الله بن أبي » ، ولحقه بسبب ذلك ذل شديد بين الناس ما وراءه ذل ، وهوان ما وراءه هوان ، واحتقره الناس حتى انه لم يعد أحد يعبأ به ، ويقيم له وزنا .

لقد علم رسول الله ﷺ المسلمين في هذه الحوادث دروسا مفيدة جدا ، وأظهر جانبا من سياسة الاسلام الحكيمية ، والرشيديّة .

فقد تحطم « عبد الله بن أبي » رئيس المنافقين بعد هذه الحادثة ، ولم يعد له أي دور ، بل عاش بقية حياته مهانا محتقرا بين الناس بعد أن رأى الناس إيذاءه المستمر لرسول الله ، وعفوا النبي ﷺ عنه ، واغضاه عن مساوئته .

وقد قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ذات يوم حين بلغه احتقار الناس لابن أبي ذلك الاحتقار ، وسقوط محله في القلوب :

« كيف ترى يا عمر ، أما والله لو قتلته يوم قلت لي : اقتله ، لارعدت له انف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » .

فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة

من أمري (١) .

### الزواج المبارك :

كانت « جويرية » بنت الحارث بن أبي ضرار رئيس بني المصطلق من جملة السبايا التي وقعت في أيدي المسلمين في غزوة بني المصطلق ، فأقبل أبوها الحارث بفداء ابنته إلى المدينة فلما كان في وادي العقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها لفداء ابنته فرغب في بعيرين منها فغيّبها في شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبي ﷺ وقال : يا محمد أصبتم ابنتي وهذا فداؤها ، فقال رسول الله ﷺ .

« فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا؟! »

فلما سمع الحارث بهذا الخبر الغيبي على لسان رسول الله ﷺ آمن هو ووالده به ، وأسلم اناس آخرون من قومه كانوا معه ، وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى رسول الله ودفعت إليه ابنته « جويرية » فأسلمت هي أيضا .

ثم خطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها ، فزوجه اياها ، وأصدقها أربعمئة درهم .

فلما بلغ الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث وكان بأيديهم بعض الاسرى من بني المصطلق قالوا : أصهار رسول الله ﷺ فأطلقوا ما كان بأيديهم من اولئك الاسرى وكانوا مائة عائلة ، فما علم امرأة اعظم بركة على قومها منها ، فقد اعتق بتزويجه اياها مائة أهل بيت من بني

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٩٢ و ٢٩٣ وفي السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٢٩١ : لأرعدت له أنوف ، وتعني هذه القولة النبوية الشريفة : ان النبي لو كان يأخذ باقتراح عمر بقتل عبد الله بن أبي لدافع عنه اناس حمية وعصبية ، ولكنه اليوم وبعد أن خذله الناس أنفسهم لو أمر النبي اولئك المدافعين بقتله . لقتلوه دون إبطاء .

المصطلق .

وهكذا اطلق جميع أسرى بني المصطلق الذين كانوا بأيدي المسلمين رجالا ونساء بفضل ذلك الزواج المبارك ، أو قل بفضل هذه السياسة الاجتماعية الحكيمة ، وعادوا الى قبيلتهم .<sup>(١)</sup>

### الفاسق يفتضح :

كان إسلام بني المصطلق اسلاما نابعا من فناعة ورغبة لأنهم لم يجدوا من المسلمين خلال مثل الأسر إلا حسن المعاملة والإحسان والعفو حتى أنه تم اطلاق جميع الأسرى ببعض الذرائع وعادوا إلى قبيلتهم وأهلهم.

ثم إن رسول الله ﷺ أرسل إليهم « وليد بن عقبة بن أبي معيط » لجباية زكاتهم ، فلما سمعوا بقدومه خرجوا إليه راكبين ليكرموه وليؤدوا إليه ما عليهم من الزكاة ، فلما سمع بهم هاجمهم ، فرجع إلى رسول الله مسرعا فأخبره بأن القوم هموا بقتله ، وأنهم منعه ما قبلهم من صدقتهم ، فطلب المسلمون غزوهم ، وفي الاثناء قدم وفد من بني المصطلق على رسول الله ﷺ وقالوا : يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة فأسرع راجعا فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أننا خرجنا إليه لنقتله وو الله ما جئنا لذلك. فنزلت في هذا الشأن الآية السادسة من سورة الحجرات تؤيد مقالة بني المصطلق وتصف الوليد بالفسق ، اذ يقول تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا لَهُ تُصْنِبُوا قَوْلًا بِيهَالَةً فَتُصَبِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ »<sup>(٢)</sup>.

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٩٥ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٩٦ و ٢٩٧ .



## قصة الإفك

بقي رئيس حزب النفاق عبد الله بن ابي يواصل تجارته بالجواري ، والإماء ويضعهن تحت تصرف الرجال للزنا بهن ، ليحني من هذا الطريق أرباحا طائلة .

حتى بعد دخول الاسلام في المدينة .

فعند ما نزلت آيات تحريم الزنا كان ذلك الفاسق يمارس حرفته القذرة ، حتى أن إماءه ضغن بهذا العمل الفاجر ذرعا ، فشكين إلى رسول الله ﷺ وقالت إحداهن : إن سيدي يكرهني على البغاء .

فنزل قوله تعالى في شجب هذا العمل الديني : « وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ لِأَنَّ لَكُمْ تَخَصُّبًا لِّبِتِّغْوَا عَرَبَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » (١) (٢) .

ولقد أراد رجل يعبث بعفاف النساء كهذا ، أن يسيء إلى امرأة ذات مكانة وشخصية في المجتمع الاسلامي (٣) ، ويتهمها بالزنا نكاية بالمؤمنين ، والمؤمنات ، وبغيا وحسدا .

(١) النور : ٣٣ .

(٢) مجمع البيان : ج ٤ ص ١٤١ ، الدر المنثور : ج ٥ ص ٤٦ .

(٣) اخترنا هذا التعبير لورود نوعين من شأن النزول في المقام بحيث لم يتأكد للمؤلف من هي المقصودة هنا ، وستقرأ في الصفحات القادمة أدلة عدم ثبوت من عيَّنه البعض .

إن ما يستفاد من الآيات والروايات المرتبطة بهذه القصة تفيد إجمالاً أن امرأة ذات مكانة في المجتمع الاسلامي آنذاك تعرضت لآتهام المنافقين لها ، وأما من هي تلك المرأة على وجه التعيين فذلك ما لا يمكن البت فيه ، على وجه القطع واليقين .

حقا إن معاداة النفاق للايمان من أشدّ أنواع المعاداة ، فان العدوّ المشرك والكافر يعمد دائما إلى إشفاء غيظه واطفاء غضبه وحنقه باستخدام عداته في جميع الموارد والاقوات . ولكن المنافق الذي يتظاهر بالايمان ، ويتستر بالاسلام حيث انه لا يمكنه التظاهر بعدائه ، فان عداؤه الباطني يتراكم ويتصاعد حتى يصل أحيانا إلى حدّ الانفجار ، لهذا ينطلق المنافق في كيل التهم من دون حساب أو ميزان تماما كما يفعل المجانين . ونرى مثل هذه الحالة في عبد الله بن ابي .

ولقد ظهرت ذلّة « عبد الله بن ابي » رئيس حزب النفاق في واقعة بني المصطلق ، وقد منعه ابنه من دخول المدينة ، ولم يسمح له بدخولها إلاّ بوساطة من النبي ﷺ ، وهكذا آل مصير رجل كان يحلم بالملوكية والسلطان الى أن يمنعه أخص أقربائه عن الدخول إلى مسقط رأسه ، فيما كان يطلب هو من رسول الله ﷺ أن يكف عنه ولده . إن من الطبيعي أن يعمد رجل مثل هذا إلى فعل كل ما يشفي غليله ويذهب غيظه ، ومن ذلك ترويح الشائعات الكاذبة انتقاما من المجتمع الاسلامي .

فعند ما يعجز العدو عن المواجهة المباشرة يعمد إلى حيك الشائعات ، وترويجها واشاعتها ليستطيع من خلال ذلك ، توجيه ضربة نفسية إلى المجتمع ، وكذا بلبلة الرأي العام ، وإشغاله بالتوافه وصرفه عن القضايا المهمة والمصيرية . إن سلاح الشائعات من الأسلحة المدمرة التي يمكن أن تستخدم في تشويه سمعة الأفراد الصالحين ، وابعاد الناس عنهم .

### المنافقون يتهمون شخصا نقي الجيب :

يستفاد من الآيات النازلة في قضية « الإفك » أن المنافقين اتهموا شخصا

بريثا كان يتمتع في المجتمع الاسلامي آنذاك بتهمة الزنا ، تحقيقا لمآرهم الدينية ، واضراراً بالمجتمع الاسلامي ، وقد ردّهم القرآن وشجب عملهم بشدّة قل نظيرها ، وأبطل خطتهم .  
فمن هو . ترى . ذلك البري؟ ان في ذلك خلافا بين المفسرين ، فالأكثر على أنها «  
عائشة » زوجة رسول الله ﷺ ، ويرى الآخرون أنها « مارية » القبطية أم إبراهيم وزوجة رسول الله أيضا لقد ذكروا أسبابا مختلفة لنزول هذه الآيات لا تخلو من عن إشكال . وها نحن ندرس القول الذي يذهب إلى أن المراد في هذه الآيات هو : « عائشة » وتوضيح ما يصح وما لا يصح في هذا المجال :

دراسة القول الأرو :

يرى المحدّثون والمفسرون من أهل السنة أن نزول آيات « الإفك » يرتبط بعائشة ، ويذكرون في هذا المجال رواية مفصّلة لا يتلاءم بعضها مع عصمة رسول الله ﷺ ومن هنا لا يمكن القبول بهذا القول على اطلاقه .

وها نحن نذكر ما يتلاءم من هذه القصة مع عصمة النبي ﷺ ثم نستعرض آيات الإفك ، ثم نشير إلى القسم الذي يخالف عصمته ﷺ في هذا القول .

إن اسناد هذه الرواية تنتهي برمتها إلى « عائشة » (١) نفسها ، فهي تقول : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأئيّهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع عادة فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي رسول الله ﷺ فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجه قافلا حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فارتحل

---

(١) راجع الدر المنثور : ج ٥ ص ٢٤ . ٣٤ .

الناس وخرجت لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقد لي ، فيه جزع ظفار ، ( أي حرز يماني ) فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري فلما رجعت إلى الرحل ذهبت التمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلا في الذين كانوا يرحلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أي فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشددوه على البعير ولم يشكوا أي فيه ، ثم أخذوا رأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس .

فتلففت بجلبابي ، ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إليّ . فو الله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان السلمي ( وهو من فرسان الاسلام ) وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى ، فأقبل حتى وقف وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رأي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ظعينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنا متلفة في ثيابي . قال : ما خلّفك يرحمك الله . فما كلمته ، ثم قرّب البعير فقال : اركبي ، واستأخر عني فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعا يطلب الناس ، فو الله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي ، فقال أهل الإفك ما قالوا ؛ وارتعج العسكر ( أي شكوا في ) وو الله ما اعلم بشيء من ذلك . حتى نزلت آيات « الإفك » تبرئني مما اتهمني به المنافقون . هذا القسم من شأن النزول الذي لخصناه لك من قصبة مفصلة يمكن تطبيقها مع آيات « الإفك » ، وليس فيه ما ينافي عصمة رسول الله ﷺ .

وإليك الآيات التي نزلت في هذا المجال :

« إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا كَتَبَ مِنْ الْإِثْمِ وَكَانَ تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ

عَظِيمٌ لَوْ لَا فِي سَمْعُهُمْ ظَنُّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرٌ وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ. لَوْ لَا  
 لَوْ لَمِيقَةٍ لِرَبِّهِمْ يُجْرَهُ لَخَذُوا بِأَيْدِي الشُّهَدَاءِ فَمَا لَتَكَ عَبْدُ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ وَلَوْ لَا فَضَّلَ  
 اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَحَمَّتْهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفْضَيْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. فِي تَلَقُّونَهُ  
 بِاللَّسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. وَلَوْ لَا  
 إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ» (١).

### أبرز النقاط في آيات « الإفك » :

يستفاد من القرائن أن هذه التهمة كانت نابعة أساسا من المنافقين أي أنه من كيدهم ،  
 وإليك هذه القرائن :

١ . يقال : إن المراد من قوله سبحانه : « **مَنْ لَكَ تَبَوَّأَ كِبْرَهُ** » هو « عبد الله بن ابي »  
 رئيس المنافقين ، وكبيرهم.

٢ . لقد عبّر تعالى في الآية الحادية عشرة عن الذين اتهموا المرأة بلفظ : « عصابة » وهذه  
 العبارة تستعمل في الجماعة المنظمة ، التي يربطها هدف واحد وتحدها غاية واحدة وتفيد  
 أنهم كانوا متعاونين ومتعاضدين في المؤامرة ولم يكن مثل هذه الجماعة بين المسلمين إلا  
 المنافقون.

٣ . ان « عبد الله بن ابي » بسبب منعه من الدخول إلى المدينة ، بقي عند مدخل  
 المدينة ، فلما شاهد عائشة وهي راكبة بعير صفوان استغل الفرصة للايقاع برسول الله  
 ﷺ اشفاء لغيظه ، فبادر إلى استعمال سلاح التهمة والبهتان ، وقال إن زوجة النبي  
 ﷺ باتت مع اجنبي في تلك الليلة وو الله ما نجا منهما من الإثم أحد.

(١) النور : ١٦-١١ .

٤ . إنه تعالى يقول في نفس الآية ( أي الحادية عشرة ) : « لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » .

والآن يجب أن نرى كيف لا يكون اتِّهام مؤمن طاهر الجيب شرا للمؤمنين بل يكون خيرا لهم؟

إن سبب ذلك هو أن هذه القصة كشفت القناع عن نوايا المنافقين ومقاصدهم الشريرة وافتضحوا برمتهم ، هذا مضافا إلى أن المسلمين أخذوا من هذه القضية دروسا مفيدة ، مذكورة في محلها .

### الزوائد في هذه القصة :

هذا القدر من القصة يمكن تطبيقه مع القرآن الكريم ، ولا يتناقض مع عصمة رسول الله ﷺ ولكن البخاري روى بين ثنايا هذه القصة امورا . نقلها عنه الآخرون في الاغلب . تعاني من إشكالين أساسيين هما :

#### ١ . منافاتها لمقام النبوة والعصمة ﷺ :

فقد روى البخاري عن عائشة نفسها قولها :

لما قدمنا المدينة لم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ( أي مرضت ) ولا يبلغني من ذلك شيء وقد انتهى الحديث الى رسول الله ﷺ وإلى أبي لا يذكرون لي منه قليلا ولا كثيرا إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي ، وكنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليّ وعندي أمي تمرضني قال : كيف تيكم ، لا يزيد على ذلك . حتى اذا نقهت من وجعي بلغني ما قاله المنافقون فيّ ، فمرضت مرة اخرى فقلت يا رسول الله لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني ، فقال : لا عليك ، فانتقلت إلى أمي ، فقلت لأمي : يغفر الله لك تجد الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لي من ذلك شيئا ، فقالت : أي بنية هوني

عليك الشأن فو الله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل لها ضرائر إلا كثرن ، وكثر الناس عليها. (١)

ثم إن رسول الله ﷺ شاور « اسامة بن زيد » في الامر ، فأثنى عليّ خيرا وقاله ، ثم قال : يا رسول الله أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرا ، وهذا الكذب والباطل!!  
وشاور عليّا فقال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وأنتك لقادر علي أن تستخلف ، وسل الجارية ، فاتّما ستصدقك ( إي جارية عائشة ) فدعا رسول الله ﷺ بيرة ليسألها ، فقالت : والله ما أعلم إلا خيرا ، وما كنت اعيب علي عائشة شيئا.  
إن هذا القسم من الرواية يتنافى بقوة مع عصمة النبي ﷺ لانه يكشف عن أن النبي وقع فريسة بأيدي الشائعات الكاذبة إلى درجة أنه غير سلوكه مع عائشة ، وشاور أصحابه فيها!!

إن مثل هذا الموقف مع شخص بريء لا يوجد على تهمته أي دليل ليس فقط يتنافى مع مقام العصمة النبوية ، بل يتنافى حتى مع مقام مؤمن عادي لأنه من المؤمنين ليس من الجائز أبدا أن تغير الشائعات سلوك مسلم عادي تجاه شخص منهم ، وحتى لو تركت تلك الشائعات تأثيرا في نفس المسلم ، فليس من الجائز أن تحدث مثل ذلك التغيير والانقلاب في نظرتة وسلوكه.

إن القرآن الكريم يوبّخ في الآية ١٢ و ١٤ من سورة النور اولئك الذين وقعوا فريسة الشائعات وظنّوا الظن السوء إذ يقول تعالى :

« لَوْ لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرٌ وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ! »

(١) صحيح البخاري : ج ٦ تفسير سورة النور ص ١٠٢ و ١٠٣ وكذا الجزء ٥ ص ١١٨ السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٩٩

« وَلَوْ لَا فِي سَمْعْتُمْوه قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ »! (١)

فاذا صح هذا القسم من الرواية المذكورة في شأن النزول لزم أن نقول : ان هذا العتاب الشديد وهذا التوبيخ الصارخ كان يعم رسول الله ﷺ أيضا ، والحال أن مقام النبوة الذي يلازم العصمة لا يسمح لنا بأن نقول بأن هذا الخطاب والتوبيخ موجّهين إلى رسول الله ﷺ .

من هنا لا مناص من رفض كل هذه الرواية المذكورة في شأن النزول الذي يتنافى مع عصمة رسول الله ﷺ أو القبول بالقسم الذي لا يتنافى منها مع عصمة النبي ﷺ ورفض ما يتنافى معها.

## ٢ . سعد بن معاذ توفي قبل حادثة « الإفك » :

ويروي البخاري في صحيحه في ذيل شأن النزول عن عائشة نفسها : بعد أن سأل رسول الله ﷺ بيرة عن أمري ، فقالت فيّ خيرا وصعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : « من يعذرني ممن يؤذيني في أهلي ( أي من يؤدبه ) ويقولون لرجل ، والله ما علمت على ذلك الرجل إلا خيرا ، وما كان يدخل بيتا من بيوتي إلا معي ويقولون عليه غير الحق ».

فقام « سعد بن معاذ » وقال : أنا اعذرک منه يا رسول الله إن يك من الأوس آتک برأسه ، وإن يك من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرک نمضي لك .  
فتقل هذا الكلام على « سعد بن عبادة » وغضب منه ، فقام وقال : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله (٢) .

(١) أي لما ذا . عند ما سمعتم بهذا الافتراء . لم تظنوا بأنفسكم خيرا وقتلتم : هذا إفك ، ولما ذا . عند ما سمعتم بهذا الكلام . لم تقولوا هذا بهتان لا يجوز ان نتكلم به .

(٢) كان « سعد بن معاذ » رئيس الأوس و « سعد بن عبادة » رئيس الخزرج ، وكانت بين هاتين .



فقام اسيد بن حضير . وهو ابن عم سعد بن معاذ . وقال : كذبت والله لنقتلنّه وأنفك راغم . فانك منافق تجادل عن المنافقين ، والله لو نعلم ما يهوى رسول الله من ذلك في رهطي الأذنين ما رام رسول الله ﷺ مكانه حتى آتيتك برأسه ، ولكني لا أدري ما يهوى رسول الله .

ثم تغالطوا ، وقام آل الخزرج من جانب ، وآل الأوس من جانب آخر ، وكادوا أن يشتبكوا ورسول الله ﷺ على المنبر ، فأشار رسول الله إلى الحيين جميعا أن اسكتوا ، ونزل عن المنبر فهلّهم وخفضهم حتى انصرفوا ...

هذا القسم من القصة المذكورة في رواية البخاري غير صحيح ، ولا يتلاءم مع التاريخ الثابت الصحيح لأن « سعد بن معاذ » كان قد مات بعد إصدار حكمه في بني قريظة متأثرا بجرح أصابه في معركة « الاحزاب » ، وقد وقعت حادثة « الإفك » بعد واقعة بني قريظة ، وقد صرح البخاري نفسه بهذا في صحيحه ( ج ٥ ص ١١٣ ) في باب « معركة الاحزاب وبني قريظة » ، فكيف يمكن والحال هذه أن يحضر مجلس رسول الله ﷺ ويجادل سعد بن عباد في قصة الإفك التي وقعت بعد واقعة بني قريظة بعدة شهور؟! (١)

لقد ذهب المؤرخون الى أن معركة الخندق ثم واقعة بني قريظة وقعتا في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة ، فتكون النتيجة ان قضية بني قريظة انتهت في التاسع عشر من شهر ذي الحجة ، وقد توفي سعد بن معاذ في أعقاب هذه الحادثة مباشرة لما انفجر به جرحه (٢) في حين وقعت غزوة بني المصطلق في شهر شوال

---

القبيلتين منافسة قديمة ، وكان « عبد الله بن أبي » خزرجيا ، فاعتبر « سعد بن عباد » كلام « سعد بن معاذ » تعريضا بالخزرج وحطا من شأنهم .

(١) نفس المصدر السابق ، والجدير بالذكر أن ابن هشام لم يذكر في سيرته « سعد بن معاذ » ، ولكنه روى جدال اسيد مع سعد بن عباد راجع السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٠٠ ، وهكذا فعل ابن الاثير في الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ١٣٤ ، ولكن المغازي ذكر القصة كاملة ، واتى باسم سعد بن معاذ راجع : ج ٢ ص ٤٣١ .  
(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٥٠ .

من السنة السادسة<sup>(١)</sup>.

أجل إنّ ما هو مهمّ في المقام هو أن نعرف أنّ حزب النفاق حاول أن يزلزل النفوس ، ويبلبلها ببهت امرأة صالحة ذات مكانة في المجتمع الاسلامي يومذاك .  
وقد فسر قوله : « الذي تولى كبره » أي الذي تحمل القسط الاكبر من هذه العملية الخبيثة بعبد الله بن ابي ، فهو الذي قاد هذه العملية الرخيصة والخطرة كما صرحت بذلك عائشة نفسها أيضا .

### الرواية الاخرى في سبب النزول :

وتقول هذه الرواية أن الآيات الحاضرة نزلت في « مارية القبطية » زوجة رسول الله ﷺ ووالدة إبراهيم .

فان هذه الرواية تقول : لما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ حزن عليه حزنا شديدا ، فقالت عائشة : ما الذي يجزئك عليه؟ ما هو إلا ابن جريح ، فبعث رسول الله ﷺ عليّا صلوات الله عليه وأمره بقتله ، فذهب علي صلوات الله عليه ومعه السيف ، وكان جريح القبطي في حائط ( أي بستان ) ، فضرب « علي » باب البستان ، فأقبل جريح له ليفتح الباب ، فلما رأى عليّا صلوات الله عليه ، عرف في وجهه الغضب ، فأدبر راجعا ولم يفتح باب البستان ، فوثب علي عليه السلام على الحائط ونزل إلى البستان ، وأتبعه ، وولّى جريح مدبرا ، فلما خشي أن يرهقه ( أي يدركه ) صعد في نخلة وصعد « علي » في أثره ، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة ، فبدت عورته ، فاذا ليس له ما للرجال ولا له ما للنساء ، فانصرف علي عليه السلام إلى النبي ﷺ

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٢٩٧ ، ولعله فطن ابن هشام لهذه الناحية فترك ذكر سعد بن معاذ ، بينما غفل عنها البخاري في صحيحه ، راجع شروح البخاري منها : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر : ج ٨ ص ٤٧١ و ٤٧٢ للوقوف على اضطراب الشرح في معالجة هذا التناقض .

فقال له : يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر أكون كالمسمار المحمى في الوبر أم أتبتت؟

قال : لا بل تثبت.

قال : والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال وما له ما للنساء.

فقال : الحمد لله الذي صرف عنا سوء أهل البيت.

وهذه الرواية التي نقلها « المحدث البحراني » في « تفسير البرهان » ج ٢ ص ١٢٦ .

١٢٧ و « الحويزي » في تفسير « نور الثقلين » ج ٣ ص ٥٨١ . ٥٨٢ ضعيفة وغير

مستقيمة من حيث المفاد ، وهو ضعف ظاهر لا يحتاج الى البيان ولذلك.

ومن هنا لا يمكن القبول بها في شأن نزول هذه الآيات.

فالمهم هو وقوع أصل هذه الحادثة ، كان من كان المتهم في هذه الحادثة.

### رحلة سياسية دينية

كانت السنة الهجرية السادسة بكل حوادثها المرة والحلوة تقترب من نهايتها عند ما رأى رسول الله ﷺ في المنام أنه دخل البيت (الكعبة) وحلق رأسه ، وأخذ مفتاح البيت ، وعرف مع المعرفين ، فقص ﷺ هذه الرؤيا على أصحابه وتفاءل به خيرا<sup>(١)</sup> .

ولم يلبث أن أمر أصحابه بالتهيؤ للعمرة ، ودعا القبائل المجاورة التي كانت لا تزال على شركها وكفرها الى مرافقة المسلمين في هذه السفارة ، ولهذا شاع في جميع أنحاء الجزيرة العربية أن المسلمين سيتجهون في شهر ذي القعدة صوب مكة يريدون العمرة .

ولقد كانت هذه السفارة الروحانية تنطوي . مضافا إلى العطاء الروحاني والمعنوي . على مصالح اجتماعية وأهداف سياسية ، فقد عززت مكانة المسلمين في شبه الجزيرة العربية ، وتسببت في انتشار دين التوحيد في أوساط المجتمع العربي آنذاك ، وذلك :

أولا : لأن القبائل العربية المشركة كانت تتصور أن النبي الأكرم ﷺ يخالف كل عقائد العرب ، وتقاليدهم الشعبية ، والدينية حتى فريضة الحج ، والعمرة التي كانت تعد من ذكريات الاسلاف وموارثهم .

---

(١) مجمع البيان : ج ٩ ص ١٢٦ .

من هنا كانوا يخافون رسول الله ﷺ ويتوجسون خيفة من دينه ، وعقيدته ، ولكن رسول الله ﷺ استطاع في هذه المناسبة . باشتراكه ، واشتراك أصحابه في مراسيم العمرة أن يخفف هذا الخوف لدى القبائل المشركة إلى حد كبير ، وأن يوضح بعمله أن رسول الإسلام لا يعارض زيارة بيت الله الحرام ، والفريضة المذكورة التي تعد من طقوسهم الدينية ، وتقاليدهم المذهبية ، بل يعتبرها فريضة مقدسة ، فهو مثل والد العرب الأكبر « إسماعيل بن إبراهيم الخليل » عليه السلام يعمل على المحافظة على هذه التقاليد الدينية ، وبهذا استطاع رسول الله ﷺ أن يستقطب قلوب من كان يتوهم أن رسالة « محمد » ودعوته ، ودينه يعارض جميع شعورهم وتقاليدهم وأعرافهم الدينية ، والشعبية ، ويخالفها مخالفة مطلقة ، ويقلل من خوفهم ، واستيحاشهم .

ثانيا : إذا استطاع المسلمون أن يحرزوا في هذا السبيل نجاحا ، ويؤدوا مناسك العمرة في المسجد الحرام بحرية ، أمام أعين الآلاف من المشركين ، فان عملهم هذا بنفسه سيكون تبليغا ناجحا للإسلام ، لأن أخبار المسلمين ستنتشر بواسطة المشركين الذين قدموا مكة من جميع المناطق لاداء مناسك العمرة ، فسيحملون أبناء ما رأوه وشاهدوه من أفعال المسلمين الرشيدة ، وأخلاقهم الفاضلة ، إلى أوطانهم لدى عودتهم من مكة إلى بلادهم ، وبهذا ينتشر نداء الإسلام في تلك المناطق التي لم يستطع رسول الله ﷺ ان يبعث إليها الدعوة والمبلغين حتى ذلك الحين ، ويترك هذا الأمر أثره المطلوب .

ثالثا : إن رسول الله ﷺ ذكر الناس في المدينة بجرمة الأشهر الحرم وقال ﷺ : وأمر المسلمين بأن لا يحملوا معهم من الاسلحة شيئا إلا السيف الذي يحمله كل مسافر معه . ولقد جلب هذا الامر عواطف كثير من الغرباء عن الإسلام نحو هذا الدين ، وغدير من نظرتهم السلبية تجاه دعوة الإسلام ، لأنهم شاهدوا بام أعينهم أن رسول الله ﷺ يحرم القتال في هذه الاشهر ، ويدافع بنفسه عن

هذه السنّة الدينية القديمة ويدعو إلى رعايتها خلافا لكل الدعايات التي كانت تبثها قريش عن أن الإسلام لا يحترم هذه الأشهر ، ويجيز الاقتتال وسفك الدماء فيها .  
لقد فكر القائل الإسلامي مع نفسه بانه لو أصاب المسلمون في هذا السبيل أيّ نجاح ، فانهم يكونون قد حققوا أملا قديما من آمالهم التي طالما تشوقوا إلى تحقيقها .  
كما أنه سوف يستطيع المهاجرون الذي طال بعدهم عن وطنهم ، وأهليهم ، أن يزوروا ذويهم وأقربائهم . هذا إذا سمحت قريش لهم بدخول مكة .  
وأما إذا منعتهم قريش عن الدخول في الحرم فان مكانة قريش ستعرض . حينئذ . لخطر السقوط في العالم العربي ، وسيلومهم العرب على ذلك ، لأن جميع ممثلي القبائل العربية المحايذة سترى كيف عاملت قريش جماعة مسالمة أرادت دخول مكة لأداء مراسيم العمرة ، وزيارة الكعبة المعظمة ، ولا تحمل معها أيّ سلاح إلاّ ما يحمله المسافر في سفره عادة ، في حين يرتبط المسجد الحرام بالعرب كافة ، وانما تقوم قريش بمجرد سدائه ، وإدارة شؤونه .  
وهنا تتجلى حقانية المسلمين بشكل واضح ، ويتضح عدوان قريش وينكشف للجميع بطلان مواقفها ، فلا تستطيع قريش بعد ذلك أن تواصل تأليبها للقبائل العربية ضدّ الإسلام ، وعقد تحالفات عسكرية واتحاد نظامي مع قواها المخاربة المسلمين لأنها قد منعت الزوّار المسلمين أمام أعين الآلاف من الحجيج والزائرين من حقهم المشروع .  
لقد لا حظ رسول الله ﷺ كل هذه الجوانب وغيرها فامر المسلمين بالتوجه نحو مكة ، وأحرم الف واربعمائه (١) أو الف وستمائة (٢) أو الف وثمانمائة (٣) في « ذي الحليفة » وقيل سبعين بدنة (بعيرا) وبهذا أعلن عن هدفه من تلك الرحلة .

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٢) مجمع البيان : ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٣) روضة الكافي : ص ٣٢٢ .

ولقد أرسل رسول الله ﷺ عينا له ليخبره عن قريش إذا وجدهم في أثناء الطريق .  
ولما كان رسول الله بعسفان ( وهي منطقة بين الجحفة ومكة ) أتاه رجل خزاعي كان  
يتقصى الاخبار لرسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك ،  
فعاهدوا الله أن لا تدخلها أبدا وهذا « خالد بن الوليد » في خيلهم ( وكانوا مائتين ) قد  
قدّموها الى كراع الغميم . ( وهي موضع بين مكة والمدينة أمام عسفان بثمانية أميال ) .  
فلما سمع رسول الله ﷺ بعزم قريش على منعه ومنع أصحابه من العمرة قال :  
« يا ويح قريش ، لقد أكلتهم الحرب ما ذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب ، فان  
هم أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم  
يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظنّ قريش ، فو الله لا أزال اجاهد على الذي بعثني الله به حتى  
يظهره الله به ، أو تنفرد هذه السالفة <sup>(١)</sup> ( أي أقتل أو أموت ) .  
ثم طلب رسول الله ﷺ من يدلّه على طريق آخر غير الطريق الذي هم بها لكي  
يتجنب مواجهة طليعة قريش بقيادة « خالد بن الوليد » .  
فتعهّد رجل من بني أسلم بذلك فسلك برسول الله ﷺ وأصحابه طريقا وعرا كثيرة  
الحجارة بين شعاب حتى انتهوا إلى منطقة سهلة تدعى بالحديبية ، فبركت هناك ناقه رسول  
الله ﷺ فقال ﷺ : « ما هذا لها عادة ، ولكن حبسها حابس الفيل بمكة » <sup>(٢)</sup> .  
ثم أمر رسول الله ﷺ الناس أن ينزلوا في ذلك المكان فنزلوا .

(١) السالفة : صفحة العنق ، وكفى بمذه الجملة عن الموت لأثما لا تنفرد عمّا يليها الآ بالموت .

(٢) بحار الانوار : ج ٢٠ ص ٣٢٩ وغيره . وقد أشار بهذا الكلام إلى واقعة الفيل .

ولما علمت طليعة قريش بمسير رسول الله ﷺ ، لحقت به ، حتى اقتربت منه وحاصرت موكبه ورجاله فكان على النبي ﷺ اذا أراد أن يواصل سيره باتجاه مكة ان يخترق صفوف رجال قريش ، فيسفك دماءهم ، ويعبر على أجسادهم ، وحينئذ كان الجميع يرى أن رسول الله ﷺ لا يهدف العمرة والزيارة بل يريد الحرب والقتال ، فكان مثل هذا العمل يسيء إلى سمعة النبي ﷺ ويضر بمهدفه السلمي .

ثم إن قتل هؤلاء النفر من طليعة قريش لا يزيل جميع الموانع من طريقه ، لأن قريشا كانت تبعث بإمدادات مستمرة ، ولم يكن لينته إلى هذا الحد .

هذا مضافا إلى أن المسلمين ما كانوا يحملون معهم حينذاك . إلا ما يحمله المسافر العادي من السلاح ، ومع هذه الحال لم يكن القتال أمرا صحيحا ، وحكيما بل كان يجب ان تحل المشكلة عن طريق التفاوض .

ولهذا عند ما نزل رسول الله ﷺ في تلك المنطقة قال :

« لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها »<sup>(١)</sup> .

ولقد بلغ كلام رسول الله ﷺ هذا مسامع الناس ، وكان من الطبيعي أن يسمع به العدو أيضا ، ولهذا بعثوا برجال من شخصياتهم إلى رسول الله ﷺ ليتعرفوا على هدفه الاصيلي من هذا السفر .

**مندوبو قريش عند النبي ﷺ :**

بعثت قريش بعدة مندوبين إلى رسول الله ﷺ ليتعرفوا على مقصده وهدفه في هذا السفر .

وكان أول أولئك المبعوثين هو : « بديل بن ورقاء الخزاعي » الذي أتى

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧٢ .



رسول الله ﷺ في رجال من خزاعة فكلموه نيابة عن قريش وسألوه : ما الذي جاء به؟ فقال لهم رسول الله ﷺ :

« إنا لم نجيء لقتال أحد ، ولكننا جئنا معتمرين .»

فرجعوا إلى قريش وأخبروهم بأن رسول الله ﷺ لم يات لقتال وإنما جاء معتمرا زائرا لبيت الله ، ولكن قريشا لم يصدقوهم وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا فو الله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ، ولا تحدت بذلك عتّا العرب .

ثم بعثوا « مكرز بن حفص » فسمع من النبي ﷺ ما سمعه سابقه ، فعاد وصدّق ما أخبر به قريشا ، ولكن قريشا لم تصدق مكرزا أيضا كما لم تصدّق سابقه .

فبعثت في المرة الثالثة الحليس بن علقمة<sup>(١)</sup> وكبير رماة العرب ، لحسم الموقف ، فلما رآه

رسول الله ﷺ مقبلا قال :

« إن هذا من قوم يتأهّون ( أي يعظمون أمر الله ) فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه .»

فلما رأى الحليس ، الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاما لما رأى ، فقال لهم : يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا الذي عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظما له وقد ساق الهدي معكوبا إلى محله؟! ، والذي نفس الحليس بيده لتخلنّ بين محمد وما جاء له ، أو لأنقرن بالأحاييش نفرة رجل واحد ، وهكذا امتنع الحليس من مواجهة رسول الله ﷺ بالقوة واستخدام العنف معه لصدّه ، وقد لاحظ بأمر عينيه ان النبي ﷺ والمسلمين لا يريدون إلا العمرة والزيارة لا القتال

(١) لقد جاء الحليس إلى النبي بعد عروة الثقفي حسب رواية الطبري في تاريخه : ج ٢ ص ٢٧٦ .

والحرب ، بل عاد يهدد قريشا اذا هي أرادت صدّه عن ذلك .

فشق هذا الكلام وهذا التهديد على قريش وخافوا من مخالفته ، فقالوا : مه ، كفّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا أخيرا « عروة بن مسعود الثقفي » وكان رجلا لبيبا تطمئن قريش إلى درابته وحكمته وخيره وكان لا يجب أن يمثّل قريشا في هذه المفاوضات لما رآه من معاملتهم مع الممثلين السابقين ، ولكن قريشا تعهدت له بان تقبل بما تقول ، وأعلنت له عن ثقتها الكاملة به ، وبما سيخبر به ، وبأنه غير متّهم عندهم .

فخرج من عندهم حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال : يا محمدّ جمعت أو شاب الناس ( أي أخلاطهم ) ثم جئت بهم إلى أهلك وقبيلتك ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمرور ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا ، وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا ، ( أو قال : أن يفرّأ عنك ويدعوك ) .

وعند ما بلغ ابن مسعود في كلامه إلى هذا قال له أبو بكر وكان جالسا خلف رسول الله ﷺ : أنحن نكشف عنه ، وندعه؟

لقد كان « عروة » كأني دبلوماسيّ ماهر ، يحاول إضعاف معنويات أصحاب رسول الله ﷺ بكلامه ، وروغانه .

وأخيرا انتهت المباحثات دون جدوى . وهنا جعل « عروة » يتناول لحية رسول الله ﷺ ازدراء به ﷺ ، والمغيرة بن شعبة . وكان واقفا على رأس رسول الله ﷺ . يقرع يده إذا تناول لحية النبي ﷺ ويقول أكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك .

فسأل عروة : يا محمدّ من هذا؟ فقال النبي ﷺ : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ) ويبدو أن جميع من كان حول النبي آنذاك أو بعضهم كانوا مقنعين رعاية للظروف الأمنية ) .

فغضب عروة وقال : « أي غدر ، وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس » وكان المغيرة قد قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلا من بني مالك من ثقيف فودى عروة المقتولين وأصلح الأمر.

فقطع رسول الله ﷺ الكلام على عروة وقال له مثل ما قال لبديل ورفيقيه ، وأنه لم يات يريد حربا ، بل جاء يريد العمرة ، ولاجل أن يرى عروة مكانته بين أصحابه وأتباعه ، قام ﷺ وتوضأ أمامه ، فرأى عروة بام عينيه كيف أنه لا يتوضأ إلا وتسابق أصحابه على التقاط القطرات المتناثرة من وضوئه ، فرجع إلى قريش وقال لهم : يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء قط فروا رأيكم<sup>(١)</sup>.

### رسول الله يبعث مندوبا الى قريش :

لم تثمر الاتصالات التي جرت بين مبعوثي قريش ، وبين رسول الله ﷺ ، فكان من الطبيعي أن يتصور رسول الله ﷺ أن مبعوثي قريش لم يستطيعوا نقل هدفه إلى قريش ، وإسماعهم الحقيقة ، وأن اتهامهم لهم بالجن والكذب منعهم من قبول ما قد أخبروا به ، ولهذا قرّر رسول الله ﷺ أن يبعث هو مندوبا عنه إلى رؤوس الشرك ليوضح لهم هدف رسول الاسلام من هذا السفر ، وأنه ليس إلا زيارة بيت الله وأداء مناسك العمرة لا غير.

فاختار رجلا ليبيّا حازما من بني خزاعة يدعى « خراش بن أمية » فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير يقال له « الثعلب ». ليبلغ أشرفهم عنه ما جاء له من

(١) المغازي : ج ٢ ص ٥٩٨ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٢٨٧.

الزيارة والعمرة ، فدخل مكة ، وبلغ سادة قريش رسالة النبي ﷺ ولكن قريشا . خلافا لكل الأعراف الدولية والاجتماعية قديما وحديثا. والقاضية بحصانة السفراء وضرورة احترام كل مما يمت إليهم بصلة من ممتلكاتهم عمدت الى جمل رسول الله ﷺ الذي امتطاه سفير النبي ﷺ إلى مكة فعقروه عدوانا ، وكادوا أن يقتلوا سفير النبي ﷺ نفسه ، ولكن وساطة جماعة من قادة العرب ادت إلى أن تخلي قريش سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ .

إن هذا العمل الديني أثبت . بوضوح . أن قريشا لم تكن تريد السلام بل كانت دائما في صدد اشعال قتيل الحرب .

ولم تلبث قريش أن كلّفت خمسين رجلا من فتيانها بالطواف بعسكر رسول الله ﷺ بغية أخذ شيء من أمواله ، أو أسر بعض أصحابه لو أتيح لهم ذلك ، اربابا للمسلمين وتخويفا لهم . ولكن هذه الخطة فشلت فشلا ذريعا ، فان هؤلاء لم يصيبوا شيئا بل أسرهم المسلمون جميعا وأتى بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم ، وخلي سبيلهم مع أنهم كانوا قد رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل .

وبهذا ثبت رسول الاسلام ﷺ مرة اخرى أنه يجب السلام ويسعى إليه ، وانه جاء معتمرا لا معتديا ولا محاربا (١) .

### النبي يبعث سفيرا آخر الى قريش :

رغم كل هذه الامور ورغم كل التصلب والتعصب الذي أبدته القيادة القرشية المشركة ضد الاسلام والمسلمين وضد محاولات رسول الله ﷺ السلمية لم ييأس رسول الله ﷺ من تحقيق السلام

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٧٨ .

فقد كان يريد . واقعا . أن يعالج المشكلة من طريق المفاوضات ، ومن طريق تغيير التصورات التي كان يحملها اشرف قريش وسادتها المتعتين المتصلبين عن رسول الله ودعوته .  
ومن هنا كان يجب هذه المهمة أن يختار ﷺ رجلا لم تخض يده في دماء قريش ، ولهذا لم يصلح « علي بن أبي طالب » ولا « الزبير » ولا غير هم من فرسان الاسلام وشجعانه الذين جالدوا صنديد قريش في ميادين القتال وأردوا فريقا منهم صرعى ، لمثل هذه السفارة ، وهذه المهمة .

ولهذا تقرر . بعد التأمل . انتداب « عمر بن الخطاب » لهذه المهمة ، أي الذهاب الى مكة ، والتحدث الى سادة قريش ، ورؤسائها ، لأنه لم يكن قد أراق من المشركين حتى ذلك اليوم ولا قطرة دم ، ولكن « عمر » اعتذر عن تحمل هذه المسؤولية ، والقيام بهذه المهمة المخوفة بالمخاطر قائلا : يا رسول الله ﷺ ؛ إني أخاف قريشا على نفسي ، وليس بمكة من بني عدي ( وهم عشيرته ) من يمنعني ، ولكني ادلك على رجل أعزّ بها مني ، « عثمان بن عفان » . ( لكونه أمويا بينه وبين أبي سفيان زعيم قريش قرابة )<sup>(١)</sup> .

فدعا رسول الله ﷺ « عثمان بن عفان » فبعثه إلى « أبي سفيان » وأشرف قريش ، ليخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمة .  
فخرج عثمان الى مكة ، فلقية « أبان بن سعيد بن العاص » حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق « عثمان » حتى أتى أبا سفيان وأشرف قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ،

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣١٥ .

فامتنع عثمان عن الطواف احتراماً لرسول الله ﷺ .

ثم إن قريشا احتبست عثمان عندها ، ولعلهم فعلوا ذلك ريثما يتوصلوا إلى حلّ ثم يطلقوه ليبلغ إلى رسول الله ﷺ رأيهم .

### بيعة الرضوان :

إلا أن إبطاء مبعوث النبي ﷺ عن العودة من مكة أوجد قلقاً شديداً في نفوس المسلمين ، خاصة وأنه شاع أن عثمان قد قتل ، فثارت نائرة المسلمين ، واستعدوا للانتقام من قريش وعمد النبي ﷺ أيضاً إلى مخاطبتهم قائلاً :

« لا نبرح حتى نناجز القوم » .

وذلك تقوية لارادة المسلمين ، وتحريكا لمشاعرهم الطاهرة .

وفي هذه اللحظات الخطيرة ، وفي ما كان الخطر على الابواب ، وبينما لم يكن المسلمون متهيئين للقتال قرر رسول الله ﷺ أن يجيّد بيعته مع المسلمين .

فجلس رسول الله ﷺ تحت شجرة ، وأخذ أصحابه يباعدونه على الاستقامة والثبات والوفاء واحداً واحداً ، ويحلفون له أن لا يتخلوا عنه أبداً ، وأن يدافعوا عن حياض الإسلام حتى النفس الأخير ، وقد سميت هذه البيعة ببيعة « الرضوان » التي جاء ذكرها في قوله تعالى :

« لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَثَابَهُمْ فَفَتَحَ قَرِيْبًا » (١) .

فاتضح موقف المسلمين بعد هذه البيعة ، فإمّا أن تسمح لهم قريش بدخول مكة لزيارة بيت الله المعظم ، وإمّا أن تتصلّب في موقفها الراض فيكون بينهم

---

(١) الفتح : ١٨ .

## القتال والحرب (١).

وبينما كان رسول الله ﷺ في هذه الحال اذ طلع عليهم « عثمان بن عفان » ، وكان ذلك بنفسه طليعة سلام كان يريد رسول الله ﷺ .  
فأخبر عثمان رسول الله ﷺ أن الذي يمنع قريشا من السماح لرسول الله ﷺ بدخول مكة هو اليمين التي الرموا بها انفسهم أن لا يدعوه يدخل مكة هذا العام وانهم سيعثون إليه من يتفاوض معه بهذا الشأن.

### سهيل بن عمرو يفاوض رسول الله :

بعثت قريش . في المرة الخامسة . « سهيل بن عمرو » الى رسول الله ﷺ وقد كلفته بانحاء المشكلة ضمن شروط خاصة سنقرؤها في ما يأتي .  
فأقبل « سهيل بن عمرو » على رسول الله ﷺ ولما رآه النبي ﷺ قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل .  
فلما انتهى « سهيل » إلى رسول الله ﷺ تكلم في المسألة كما يتكلم أي دبلوماسي بارع ، فقال وهو يحاول إثارة عواطف النبي ﷺ وأحاسيسه :  
يا أبا القاسم إن مكة حرمتنا وعزنا ، وقد تسامعت العرب بك إنك قد غزوتنا ومتى ما تدخل علينا مكة عنوة تطمع فينا فنتخطف ، وإنا لنذكرك الحرم ، فان مكة بيضتك التي تفلقت عن رأسك .

فقال له رسول الله ﷺ : « فما تريد ؟ »

---

(١) ولقد كان لهذه البيعة في نفسها أثرا سياسيا مهما في نفس العدو ، يقول الواقدي : فلما رأت عيون قريش سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب اشتد رعبهم وخوفهم وأسرعوا إلى القضية ( ج ٢ ص ٦٠٤ ) .  
وراجع امتاع الاسماع : ج ١ ص ٢٩١ أيضا .

قال : اريد أن أكتب بيني وبينك هدنة على أن اخلّيها لك في قابل (١) فتدخلها ، ولا تدخلها بخوف ولا فزع ، ولا سلاح إلاّ سلاح الرّاكب ، السيف في القراب .  
فقبل رسول الله ﷺ بعقد مثل هذا الصلح .  
وهكذا ألجّ مفاوضات « سهيل » مع رسول الله ﷺ إلى عقد صلح شامل وواسع بين قريش وبين المسلمين .

ولقد تشدد « سهيل » في شروط هذا الصلح كثيرا ، حتى كاد أن ينتهي هذا التشدد إلى قطع المفاوضات أحيانا ، ولكن حيث إن الطرفين كانا يرغبان في الصلح والموادة ، لهذا كانا يستأنفان التّحاور والتفاوض مرة أخرى ، بعد كلّ أزمة تطرأ على المباحثات .

وأخيرا انتهت مفاوضات الجانبين . رغم كل ما أبداه مندوب قريش من التصلّب . إلى عقد وثيقة موادة وهدنة نظّمت في نسختين ووقع عليها الجانبان .

ويروي كافة المؤرخين وأرباب السير أن رسول الله ﷺ استدعى عليّاً عليه السلام ، وأمره أن يكتب تلك الوثيقة قائلا له : اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » فكتب « علي » ذلك فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم !!

فقال رسول الله ﷺ : اكتب : باسمك اللهم وامح ما كتبت .  
ففعل « علي » ذلك .

ثم قال رسول الله ﷺ : اكتب « هذا ما صلح عليه رسول الله سهيل بن عمرو » .  
فقال سهيل ، لو أحببتك في الكتاب إلى هذا لأقررت لك بالنبوة فامح هذا الاسم واكتب : محمّد بن عبد الله ( أو قال : لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك .

---

(١) أي افرغ لك مكة في العام القادم لتدخلها .



ولكن أكتب اسمك واسم ابيك ) .

ولم يرض بعض من حضر من المسلمين في هذه النقطة بأن يرضخ رسول الله ﷺ لمطالب « سهيل » الى هذه الدرجة ، ولكن رسول الله ﷺ الذي كان يلاحظ مصالح عليا غفل عنها ذلك البعض كما سنذكرها فيما بعد رضي بمطلب « سهيل » ، وقال لعليّ ﷺ : امحها يا علي .

فقال علي ﷺ بأدب بالغ : يا رسول الله إن يدي لا تنطلق لمحو اسمك من النبوة .  
فقال رسول الله ﷺ : فضع يدي عليها ، فمحي رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم بيده كلمة : رسول الله نزولا عند رغبة « سهيل » مفاوض قريش .<sup>(١)</sup>

ان التسامح الذي أبداه رسول الله ﷺ في تنظيم وثيقة الصلح هذه لا يعرف له نظير في تاريخ العالم كله ، لأنه اظهر بجلاء أن رسول الله ﷺ لم يقع فريسة بيد الاهواء والاغراض الشخصية والعواطف والاحاسيس العابرة ، وكان يعلم أن الحقائق لا تبدل ولا تتغير بالكتابة والمحو ، من هنا تسامح مع مفاوض قريش « سهيل » الذي تصلّب في مطالبه غير المشروعة كثيرا ، حفاظا على أصل الصلح . وحرصا على السلام .

### التاريخ يعيد نفسه :

ولقد ابتلي علي ﷺ تلميذ النبي الأول بمثل هذه التجربة المروّ بعد

---

(١) الارشاد : ص ٦٠ ، اعلام الورى : ١٠٦ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٣٦٨ وقد اخطأ الطبري في هذا المقام اذ قال : في احدى رواياته لهذه الحادثة : قال لعلي ﷺ : امح « رسول الله » ، قال : لا والله لا أمحاك أبدا فأخذ رسول الله ﷺ وليس يحسن يكتب فكتب مكان « رسول الله » : محمد .  
وهكذا نسب الكتابة إلى شخص رسول الله ﷺ ونحن نعلم انه أمي لا يحسن الكتابة ، وقد حققنا هذه المسألة في المجلد الثالث من موسوعة مفاهيم القرآن ٣١٩ - ٣٧٤ .

رسول الله ﷺ .

فيوم امتنع علي عليه السلام عن محو كلمة رسول الله ﷺ عن اسم النبي ﷺ قال له النبي ﷺ :

يا علي إنك أبيت أن تمحو اسمي من النبوة ﷺ فوالذي بعثني بالحق نبياً لتجيبن أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد» (١)

ولقد بقيت هذه القضية في ذاكرة علي عليه السلام ، حتى إذا كان يوم « صفين » وخدم أصحاب الامام علي عليه السلام بالاسلوب الماكر الذي اتبعه جيش الشّام الذي قاتل علياً عليه السلام بقيادة معاوية بن أبي سفيان ومساعدة عمرو بن العاص ، وأجبروا الامام علي عليه السلام على عقد الصلح مع معاوية فشكّل الجانبان لجنة لتنظيم وثيقة ذلك الصلح ، كلف « عبيد الله بن رافع » كاتب الامام من جانب الامام علي عليه السلام بأن يكتب وثيقة الصلح ، فكتب :

« هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي » قال عمرو بن العاص ممثل معاوية في تلك المفاوضات : لو علمنا أنك أمير المؤمنين لم ننازحك!!

وهكذا طالب عمرو بن العاص بمحذف عبارة أمير المؤمنين.

وطال الكلام والتشاجر في هذا الموضوع ، ولم يكن الامام علي يريد ان يعطي حجة للباطل من أصحابه ، ولهذا لم يرضخ لهذا المطلب ، ولكنه بعد إلحاح من أحد قادة جيشه سمح بأن يحى لقب « أمير المؤمنين » من اسمه ثم قال : « الله أكبر سنة بسنة » . وهو بذلك يشير إلى حديث رسول الله ﷺ له يوم الحديبية (٢) .

(١) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ١٣٨ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٣٥٣ .

(٢) الكامل في التاريخ : ج ٣ ص ١٦٢ ، راجع المصدر لتقف على القصة بكاملها ولتقف على ما دار بين الامام وابن العاص .

## نص صلح الحديبية :

وأخيرا عقدت اتفاقية صلح وهدنة بين رسول الله ﷺ وقريش تضمنت المواد والشروط

التالية :

١ . تعهد المسلمون ، وقريش بترك الحرب عشر سنين يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض.

٢ . من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردّه عليه.

٣ . من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده ( أي يتحالف معه ) دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤ . أنّ محمدا يرجع بأصحابه إلى المدينة عامه هذا ولا يدخل مكة ، وانما يدخل مكة في العام القابل في أصحابه فيقيم فيها ثلاثة أيام ، لا يدخل فيها بسلاح إلاّ سلاح المسافر ، السيوف في القرب<sup>(١)</sup>.

٥ . أن لا يستكره أحد على ترك دينه ويعبد المسلمون الله بمكة علانية وبحرية ، وان يكون الاسلام ظاهرا بمكة وان لا يؤذي أحد ولا يعير<sup>(٢)</sup>.

٦ . لا إسلال ( سرقة ) ولا إغلال ( خيانة ) بل يحترم الطرفان أموال الطرف الآخر ، فلا يخونه ولا يسرق منه<sup>(٣)</sup>.

٧ . أن لا تعين قريش على محمد وأصحابه أحدا بنفس ولا سلاح<sup>(٤)</sup>.

هذا هو نص وثيقة « صلح الحديبية » ، وقد جمعنا بنوده من المصادر المتنوعة

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢١ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٣٥٢ .

(٣) مجمع البيان : ج ٩ ص ١١٧ أو : « من قدم مكة من أصحاب محمد حاجبا أو معتمرا أو بيتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ، ومن قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو الشام فهو آمن على دمه وماله » .

(٤) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٣٥٢ .

التي أشرنا الى بعضها في الهامش ، وقد كتبت هذه الوثيقة في نسختين ، ثم وقع عليها جماعة من شخصيات قريش ، والمسلمين وشهدوا عليها واعطيت نسخة الى « سهيل بن عمرو » ممثل قريش ، وتركت نسخة عند رسول الله ﷺ .

### نشيد الحرية :

لقد كان كل عاقل لبيب يحسن تقدير الامور يسمع نشيد الحرية من ثنايا هذا الصلح التاريخي ، ومع أن كل بنود هذه المعاهدة جديدة بالاهتمام والاكبار ، إلا أن النقطة التي تستحق الاهتمام والتقدير أكثر من سواها هي المادة الثانية في هذا الصلح ، وهي المادة التي أزعجت بعض الصحابة يوم انعقاد تلك المعاهدة .

فقد انزعج صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هذا التمييز الصارخ ، وقالوا حول قرار القيادة الحكيمة المتمثلة في قائد محبب كرسول الله ﷺ ما كان ينبغي أن لا يقوله ، في حين تعتبر هذه المادة من أعظم بنود الوثيقة إذ تعكس نظرة رسول الاسلام ، وتفكيره حول كيفية تبليغ الاسلام ، وإشاعته ونشره ، فانه يظهر منها . وبجلاء . مدى احترام رسول الاسلام لمبدأ الحرية .

ولقد قال رسول الله ﷺ في معرض الاجابة على من اعترض من صحابته على البند القاضي بتسليم كل مسلم فر من قريش إلى رسول الله ﷺ والمسلمين إلى قريش ، دون العكس قائلاً :

« من جاءهم منّا فأبعده الله ومن جاءنا منهم رددناه إليهم فلو علم الله الاسلام من قلبه جعل له مخرجاً » .

وأراد رسول الله ﷺ أن الذي يهرب من جماعة المسلمين ويلجأ إلى المشركين فلا قيمة لإيمانه وإسلامه ، إذ أن ذلك يدل على أنه لم يؤمن بهذه الدين حق الإيمان فلا داعي لأن يعاد إلى رسول الله ﷺ إذ

لا اكراه في الدين وأما من هرب من المشركين الى المسلمين فلو علم الله منه الصدق لنجاه  
حتما.

ولقد كانت نظرية النبي ﷺ ورأيه متطابقا كل التطابق مع موازين العقل والمنطق  
السليم ، وقد تجلت صوابيته وحقانيته مع مضي الزمن في ما بعد ، لانه لم يمض زمن طويل  
إلا وقريش . وبعد سلسلة من الحوادث المؤسفة . طلبت بنفسها إلغاء هذه الماها كما سيأتي  
بيانه في ما بعد.

إن هذه المادة تعد ردا قاطعا على تقولات وتخرصات المستشرقين المغرضين الذين يصرون  
على القول بان الاسلام انتشر بالسيف.

إنهم حيث لا يتحملون رؤية هذا الامتياز العظيم الذي كسبه الاسلام الحنيف ، حيث  
انتشر في مدة قصيرة جدا في شتى نقاط العالم وبقاعه ، حتى كاد أن يعم المعمورة كلها ،  
ولهذا اضطروا إلى إعزاء انتشار الاسلام الى عامل استخدام القوة ، وقالوا : ان الاسلام انتشر  
بالقوة ، ليشوهوا بذلك ملامح الاسلام ، ويخفوا الحقيقة خلف غطاء من الارجيف ، في  
حين أن هذا الميثاق الذي عقد في الجزيرة العربية أمام اعين الملثات من المسلمين وغير  
المسلمين يعكس بجلاء روح الاسلام وحقيقة تعاليمه السامية ، ومع هذا يكون من مجانية  
الواقع القول بأن الاسلام انتشر بقوة السيف . لا بالدعوة الحرة ، والتبليغ والارشاد.  
هذا ولقد تحالفت قبيلة خزاعة . مع المسلمين في ضوء المادة الثالثة من الميثاق ، بينما  
تحالفت قبيلة بني كنانة . وكانوا أعداء تقليديين لخزاعة مع قريش .

### آخر الجهود للحفاظ على عملية الصلح :

كانت مقدمات الميثاق المذكور ، وبنوده توحى بصورة جلية وكاملة بأن أكثرها قد  
فرضت فرضا على المسلمين ، فلو أن رسول الاسلام ﷺ قبل بالحاء كلمة « رسول الله »  
من اسمه ، وبدأ الميثاق بعبارة « باسمك اللهم » على عادة الجاهليين بدل البسملة الكاملة  
فان غايته من ذلك كانت هي الحفاظ على

الصلح ، وقرار الأمن في الجزيرة العربية .

ولو ان رسول الله ﷺ رضي بأن يسلم المسلمين الهاربين من قبضة المشركين الى جماعة المسلمين ، ويعيدهم الى القيادة الوثنية في مكة فان بعض ذلك كان بسبب تصلب سهيل ممثل قريش وتعنته ، ولو أن رسول الله ﷺ ما كان يرضخ لهذا الشرط ( استجابة لرغبة الرأي العام الاسلامي الذي كان مخالفا لمثل هذا الشرط ومعارضاً لاعادة المسلمين الهاربين من مكة إلى قريش ، وحفاظاً على حقوق اولئك الأشخاص الهاربين ) لتعطلت عملية السلام ، ولما تحقق الصلح ، ولفاتت المسلمين هذه النعمة الكبرى التي انطوت على آثار عظيمة في المستقبل كما أثبتت الوقائع في ما بعد .

من هنا قاوم رسول الله ﷺ كل الضغوط من جهة ، وتحمل عملية فرض هذا الشرط من جهة اخرى ، ليصل الى المقصد الأعلى والهدف الاكبر الذي تتضاءل تجاهه هذه المتاعب .

ولو كان رسول الله ﷺ يراعي الرأي العام ويلاحظ حقوق هذه الجماعة ، لكان « سهيل » يتسبب . بسبب تصلبه الارعن . في اشتعال نائرة الحرب .

#### والقصّة التالية تشهد بما نقول :

حينما انتهت مفاوضات السلام ، وبينما كان الامام علي عليه السلام يكتب وثيقة المودعة والصلح دخل أبو جندل بن سهيل في مجلس النبي ﷺ وهو يرسف في الحديد . فتعجب الجميع من حضوره هناك ، اذ كان محبوساً في سجن أبيه سهيل ( المفاوض ) مدة طويلة .

ولم يكن لابي جندل من ذنب إلا أنه اختار التوحيد عقيدة ، والاسلام ديناً ، ورفض الوثنية والشرك وكان يجب رسول الله ﷺ حبا شديداً فحبسه أبوه .

وكان أبو جندل قد بلغه أمر المفاوضات هذه ، فهرب من محبسه وانفلت الى رسول الله ﷺ سالكا إليه طرقا وعرة في الشعاب ، والوديان .

فلما رأى « سهيل » ابنه أبا جندل وقد هرب من سجنه ، ولجأ إلى النبي ﷺ قام إليه فضرب وجهه ، واخذ بتلابيبه ثم قال : يا محمد لقد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، وهذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده .

ولا شك أن كلام « سهيل » كان باطلا ، ولا مبرر لطلبه ، لأن الميثاق لم تتم كتابته على الورق ، ولم يوقع عليه الطرفان ، ولم ينته . بالتالي . من مراحل النهائية والأخيرة بعد ، فكيف يمكن الاستناد إليه ، ولهذا أجابه رسول الله ﷺ قائلا :

« إنا لم نرض ( نقض ) بالكتاب بعد »<sup>(١)</sup>

فقال سهيل : إذا والله لا اصالحك على شيء أبدا ، حتى ترده إليّ ، ولم يزل يصرّ على كلامه ورفضه هذا حتى أنزعج اثنان ممن رافقه من شخصيات قريش هما مكرز وحويطب من تصلب سهيل وتشدده .

ثم قاما وأخذوا أبا جندل من أبيه وأدخلاه خيمة وقالوا : نحن نجيره .

ولقد فعلا ذلك حتى ينهيا ذلك التنازع ، والجدال ، ولكن إصرار سهيل على موقفه ، أبطل تدبيرهما إذ قال : يا محمد لقد لجت القضية بيني وبينك قبل ان يأتيك هذا<sup>(٢)</sup> .

فاضطر رسول الله ﷺ إلى أن يقوم بآخر سعي في طريق الحفاظ على الهدنة والصلح الذي كان له أثر عظيم في انتشار الاسلام ، ولهذا رضى بردّ أبي جندل إلى والده ، لإعادته إلى مكة ، ثم قال لذلك المسلم الاسير تطيبا لخاطره :

(١) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٣٣٤ .

(٢) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢١ لجت : وجبت وتمت .

« يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فان الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم .»

وانتهت جلسة المفاوضات ، وتمّ التوقيع على نسختي الميثاق ، وعاد سهيل ورفاقه إلى مكة ، ومعهم « أبو جندل » ابن سهيل في جوار مكرز وحويطب ، ونحر رسول الله ﷺ ما كان معه من الهدي <sup>(١)</sup> في نفس ذلك المكان وحلق فنحر جماعة من المسلمين وحلقوا <sup>(٢)</sup>.

### تقييم عاجل لصلح الحديبية :

بعد أن فرغ رسول الله ﷺ من عقد صلح الحديبية بينه وبين رءوس الشرك ، وبعد أن توقف في أرض الحديبية مدة ١٩ يوما عاد هو وأصحابه الى المدينة ، وعاد المشركون إلى مكة.

هذا وقد نشبت مشاجرات ومشادات كلامية حين تنظيم ذلك الميثاق وكتابته ، بين أصحاب النبي ﷺ ، فمنهم من كان يعتبر ذلك الصلح في صالح الاسلام ، وقليل منهم كان يعدّه مضرا بمصلحة الاسلام والمسلمين.

ولقد انقضى الآن أكثر من أربعة عشر قرنا على عقد ذلك الصلح التاريخي العظيم فلندرس معا تلك المعاهدة بموضوعية وتجرد ، ونستعرض طرفا من تلك الاعتراضات والمجادلات لنقف على معطيات تلك العملية ، ونتائجها.

ان الذي نراه هو : ان هذا الصلح كان في صالح الاسلام مائة بالمائة ، وانه هو الذي جعل أمر انتصار الاسلام قطعيا ،

(١) أي الابل التي ساقها معه.

(٢) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٨١ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٣٥٣ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣١٨ . امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٩٤ و ٣٩٥ .



لا شك فيه ، وإليك أدلة هذا الرأي :

١ . إن حملات قريش المتتابعة على المسلمين ، والتحريكات الداخلية والخارجية التي أشرنا إليها في حوادث « احد » و « الاحزاب » على نحو الاختصار ، لم تترك للنبي ﷺ فرصة لنشر الاسلام بين القبائل ، وفي المناطق المختلفة خارج شبه الجزيرة العربية . من هنا كان ﷺ يصرف أكثر اوقاته الثمينة في الدفاع والعمل على إفشال المؤامرات الخطرة التي كان العدو الداخلي والخارجي يحيكها باستمرار . ولكن النبي ﷺ فرغ باله بعد عقد صلح الحديبية مع قريش من ناحية الجنوب ، فتهيأت الأرضية لانتشار الاسلام في المناطق الاخرى .

وقد ظهر أثر هذا الهدوء والاستقرار بعد سنتين من عقد تلك المعاهدة ، فقد كان مع رسول الله ﷺ في الحديبية ألف وأربعمائة ولكنه عند ما توجه إلى مكة لفتحها بعد عامين خرج معه عشرة آلاف ، وكان هذا التفاوت من نتائج صلح الحديبية مباشرة ، لأن بعض الناس كانوا يخشون قريشا فلا يلتحقون بالمسلمين لذلك السبب ، ولكن بعد أن اعترفت قريش بالكيان الاسلامي بصورة رسمية ، وأعطيت للقبائل الحرية الكاملة للانضمام إلى المسلمين زال الخوف المذكور عن كثير من القبائل ، فاستطاع المسلمون أن يستغلوا تلك الفرصة ويقوموا بنشاط تبليغي ودعوة واسعة إلى الاسلام .

٢ . إن النتيجة الثانية التي حصل عليها المسلمون من هذه المعاهدة هي زوال الستار الحديدي الذي كان قد ضربه المشركون بين الناس وبين الاسلام ، فقد سمح ذلك الصلح بالسفر الى المدينة فكان الناس في سفرهم الى المدينة يحتكون بالمسلمين ويلتقون بهم ، فيتعرفون على تعاليم الاسلام السامية .

ولقد أثار نظم المسلمين ، واخلاصهم ، وطاعة المؤمنين الكاملة لرسول الله ﷺ إعجاب المشركين كما أثارت نظافة المسلمين ، في أوقات الصلاة خاصة ، وصفوفهم المتلاحمة أثناء هذه العبادة المباركة ، وخطب رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرائعة ، واللذيذة ، وآيات القرآن الكريم البليغة ، والسهلة في نفس الوقت رغبة قوية في نفوس الكفار إلى الاسلام.

هذا مضافا إلى أن المسلمين استطاعوا بعد عقد ذلك الميثاق السفر إلى مكة وشتى نقاط الجزيرة بحجج مختلفة ، والاتصال بذويهم وأقاربهم ، والتحدث معهم في أمر الاسلام وتعاليمه المقدسة المحببة ، وقوانينه وآدابه الرائعة ، وما جاء به من حلال وحرام. وقد تسببت كل هذه الامور في أن يلتحق كثير من رءوس الشرك والكفر كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص بالمسلمين ، ويعتنقوا ذلك الدين قبل فتح مكة ، وأن تساعد هذه المعرفة بحقائق الاسلام ، والاطّلاع على مزاياه وفضائله على تسهيل عملية فتح مكة ، وانحياز صرح الوثنية فيها من دون أية مقاومة من أهل مكة ، بحيث سيطر المسلمون عليها بسهولة وأقبلت أفواج الناس تدخل في دين الله راغبة كما ستعرف تفاصيل ذلك في حوادث السنة الثامنة.

إن هذا الانتصار العظيم كان نتيجة الاتصالات التي اجراها المسلمون مع ذويهم وأصدقائهم في مكة خلال تردّهم المتكرر بعد زوال الخوف والحصول على الحرية في الدعوة بفضل صلح الحديبية.

٣ . إن الاتصال برءوس الشرك أثناء عقد اتفاقية السلام مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديبية ، ساعد على ازالة كثير من العقد النفسية التي كانوا يعانون منها تجاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأن أخلاق النبي الرفيعة ، وحلمه وصبره أمام تعنت قادة المشركين وتصلبهم وعتوهم ، وسعيه الحثيث وحرصه الصادق على تحقيق السلام ، أثبت لهم بأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معدن عظيم من معادن الخلق الانساني الكريم.

فبالرغم من أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أصيب على أيدي قريش بخسائر فادحة ، وناله منهم أذى كثير ، إلا أن فؤاده كان طافحا بمشاعر اللطف ، والحب والحنان على الناس.

لقد رأت قريش بام عينها كيف أنه ﷺ خالف في عقد ميثاق الصلح آراء جماعة من أصحابه ، المعارضة لبعض بنود الاتفاقية رغبة منه في تحقيق السلام ، وكيف أثر الحفاظ على حرمة المسجد الحرام على هواه ، ورغبته الشخصية .

إن هذا النوع من السلوك أبطل مفعول جميع الدعايات السيئة التي كانت تبرجّ ضد رسول الله ﷺ ومواقفه وخلقه ، وأفكاره وأثبتت للجميع أنه حقا رجل سلام ، وداعية خير للبشرية ، وأنه حتى لو سيطر على مقاليد الجزيرة العربية ، لما عامل أعداءه الآ بالحسنى واللطف ، لأنه لم يكن مشكوكا فيه بأنه لو كان رسول الله ﷺ يخوض حربا ضد قريش في ذلك اليوم لغلبها وهزمها شر هزيمة كما يصرح بذلك القرآن الكريم أيضا اذ يقول :

« **وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَوْمِئِذٍ فَرَوْاْ لَوْ كَانُواْ يَدَّبَّرُواْ لَمَمًا سُوًى لَّا يَجِدُونَ لِيَوْمِئِذٍ لَّيًّا وَلَا يُصِرُّوْنَ** »<sup>(١)</sup> .

ومع ذلك أبدى رسول الله ﷺ تسامحا كبيرا ، وأعلن عن عطفه ، وحنانه للمجتمع العربيّ ، وبذلك أبطل كل الدعايات التي كانت تروجّ ضده ، وضدّ دعوته العظيمة المباركة . من هنا نختدي إلى مغزى ما قاله الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أهمية هذا الصلح حيث قال :

« وما كان قضية أعظم بركة منها »<sup>(٢)</sup> .

إن الحوادث اللاحقة أثبتت أن اعتراض عدد ضئيل من صحابة النبي ﷺ وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب على هذا الصلح كان باطلا ولا مبرر له . وقد أدرج أرباب السير والتاريخ جميع هذه الاعتراضات ، كما تنقل ردّ النبي ﷺ عليها ، ويمكن للوقوف عليها مراجعة السيرة النبوية

(١) الفتح : ٢٢ .

(٢) الكافي : ج ٨ ص ٣٢٦ .

لابن هشام ، وامتاع الاسماع وغيرهما ان قيمة هذه المعاهدة تتجلى من ان النبي ﷺ لم يصل الى المدينة حتى نزلت سورة الفتح التي وعدت المسلمين وبشرتهم بالانتصار ويمكن اعتبار هذا العمل مقدمة لفتح مكة كما يقول تعالى : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا » (١) .

### قريش تصر على إلغاء أحد بنود المعاهدة :

لم يمض زمان طويل حتى أجبرت الحوادث المرّ قريشا على أن تبعث إلى رسول الله ﷺ من يطلب منه إلغاء المادة الثانية من معاهدة صلح الحديبية ، وهي المادة التي أغضبت بعض صحابة النبي ﷺ وأثارت سخطهم ، وقبل بها رسول الله تحت إصرار من « سهيل » ممثل قريش في مفاوضات الحديبية .

تلك المادة التي تقول : على الحكومة الاسلامية أن تعيد كل مسلم هارب من مكة إلى حكومة مكة ، ولكن لا يجب على قريش أن تعيد كل هارب من المسلمين إلى مكة ، إلى رسول الله ﷺ .

وقد أثارت هذه المادة . المححفة في الظاهر . سخط البعض واعتراضهم ، ولكن النبي ﷺ قال لابي جندل في وقته :

« إن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . »

ثم إن مسلما آخر يدعى « أبو بصير » كان قد حبسه المشركون ردحا طويلا من الزمن استطاع أن يفرّ من محبسه ويصل الى المدينة ، وقد وصلها سعيا على قدميه ، فكتب شخصيتان من شخصيات قريش هما : « أزهر » و « الأحنس » كتابا إلى رسول الله ﷺ يطلبان منه إعادة أبي بصير إلى قريش

(١) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٢٦٣ نقلا عن اعلام الورى ، وزاد المعاد في هدى خير العباد : ج ٢ ص ١٢٦ .

ويذكر انه بالمعاهدة وأرسلاه مع رجل من بني عامر يرافقه غلامه ، فدفع رسول الله ﷺ «أبا بصير» إلى الرجلين عملاً بالمعاهدة قائلاً :

« يا أبا بصير إننا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ( أي من العهد ) ولا تصلح لنا في ديننا الغدر وإن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا »<sup>(١)</sup>.

فقال أبو بصير : يا رسول الله تردني إلى المشركين؟!!

فقال له رسول الله ﷺ ثانية :

« انطلق يا أبا بصير ، فان الله سيجعل لك مخرجا ».

ثم دفعه إلى العامري وصاحبه فخرج معهما باتجاه مكة.

فلما كانوا بذى الحليفة ( وهي قرية تبعد عن المدينة بستة أميال يحج منها بعض أهل المدينة ) صلى أبو بصير ركعتين صلاة المسافر ثم مال إلى أصل جدار فاتكأ عليه ، ووضع زاده الذي كان يحمله وجعل يتغلى وقال لصاحبيه في لهجة الصديق : ادنوا فكلنا؟ فأكلا معه ثم أنسهم ثم قال للعامري : ناولي سيفك انظر إليه إن شئت أصارم هو أم لا؟ فناوله العامري سيفه وكان أقرب إلى السيف من أبي بصير ، فجرد أبو بصير السيف وقتل به العامري في اللحظة ، فهرب الغلام يعدو نحو المدينة خوفاً ، وسبق أبا بصير إلى المدينة ، وأخبر رسول الله ﷺ بما جرى لسيدته العامري ، فبينما رسول الله ﷺ جالس في أصحابه والغلام عنده يقص عليه ما جرى إذ طلع أبو بصير ، فدخل على رسول الله ﷺ في المسجد وقال : وقت ذمتك ، وأدى الله عنك ، وقد أسلمتني بيد العدو ، وقد امتنعت بديني من أن افتن.

ثم إن أبا بصير بعد أن قال هذا الكلام خرج من عند رسول الله ﷺ وغادر المدينة ، ونزل ناحية على ساحل البحر ، على طريق قافلة قريش

---

(١) المغازي : ج ٢ ص ٦٢٥ .

إلى الشام ، تسمى « العيص ».

وعرف المسلمون الذين حبسوا بمكة بهذا التطور ، ففرّ منهم سبعون رجلا ، وانضمّوا إلى أبي بصير وكانوا ممن نالهم على يد قريش أشدّ العذاب والعت ، فلا حياة ولا حرية لهم . من هنا قرّروا أن يتعرضوا لقافلة قريش التجارية ويغيروا عليها ، أو يقتلوا كل من وقعت يدهم عليه من قريش .

وقد لعبت هذه الجماعة دورها بصورة رائعة جدا بحيث أقلقت بال قريش ، وسلبت منها الرقاد إلى درجة أنهم كتبوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه إلغاء هذه المادة ( أي المادة الثانية ) . بموافقة الطرفين وقد أعلنوا موافقتهم على إلغائها ، واعادة أبي بصير وجماعته إلى المدينة والكف عن التعرض لتجارة قريش .

فوافق رسول الله ﷺ على إلغاء تلك المادة ، وطلب من المسلمين في منطقة « العيص » « القدوم الى المدينة .

وبهذا توفّرت فرصة طيبة لجميع المسلمين ، كما عرفت قريش أنّها لا تستطيع سجن المؤمن ، وحبسه في القيد ، وان تقييده وحبسه أخطر بكثير من إطلاق سراحه ، لأنه سيفرّ ذات يوم وهو يحمل روح الانتقام على سجّانه .

### النساء المسلمات لا يسلمن إلى قريش :

بعد أن تم الاتفاق والتوقيع على معاهدة صلح الحديبية هاجرت « أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط » في تلك المدة ، فخرج أخوها « عمارة » و « الوليد » ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يرد اختهما عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش في الحديبية ، فلم يفعل ذلك رسول الله ﷺ وقال لهما :  
« إن الله نقض العهد في النساء »<sup>(١)</sup> .

(١) المغازي : ج ٢ ص ٦٣١ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٢٣ .

وقد نزل قوله تعالى يوضح حكم هذا الامر :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ  
لَمْ تُجِبُوهُنَّ مَرْثَمًا فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفْرَانِ لَا يَرْجِعْنَ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَيُنَازِلْهُنَّ الْمَلَائِكَةُ لِيُتَيَّمُنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
أَنْفَقُوا » (١).

كانت هذه قصة « الحديبية » ، وقد استطاع رسول الله ﷺ في ظل الهدوء والأمن  
الذين تحققوا بسبب معاهدة الحديبية أن يرسل قادة العالم وزعماءه ، وأن يبلغ نبا دعوته إلى  
مسامع شعوبهم ، وستقف على مفصل هذا القسم من تاريخ الاسلام المشرق في الفصل  
القادم.

---

(١) الممتحنة : ١٠.

### النبي يعلن عن رسالته العالمية

لقد أراحت معاهدة الحديبية بال رسول الاسلام ﷺ من ناحية الجنوب ( أي مكة ) ، وقد آمن برسول الله ﷺ ولجى دعوته في ظل الهدوء والأمن والاستقرار الحاصل بسبب هذا الصلح جماعة من زعماء العرب. ورجالها البارزين.

واغتنم رسول الله ﷺ هذه الفرصة ففتح على ملوك العالم وزعماء القبائل ، ورجال الدين المسيحي يومذاك باب المراسلة ، فكاتبهم ووجه إليهم رسائل كثيرة عبر رسله وسفرائه ، وقد عرض فيها عليهم رسالته ودعوته التي كانت يومذاك لا تخرج عن صورة العقيدة البسيطة وكان في مقدورها أن تضم تحت لواء التوحيد ، وفي اطار التعاليم الاخلاقية والانسانية كل البشرية.

وقد كانت هذه هي الخطوة الاولى التي خطاها رسول الله ﷺ بعد ١٩ عاما من الصراع مع قريش العاتية.

ولو أن الاعداء الداخليين لم يشغلوه بالصراعات والحروب لاستطاع رسول الاسلام ان يقوم بتوجيه دعوته الى شعوب العالم آنذاك قبل هذا الوقت ، ولكن الحملات الظالمة والمضايقات الشديدة التي قام بها العرب الوثنيون الجهلة طوال ما يقرب من عقدين من عمر الرسالة أجبرت رسول الاسلام ﷺ على أن يصرف قسما عظيما من أوقاته الغالية في ترتيب شئون الدفاع عن حياض الاسلام وكيان المسلمين.



إن الرسائل التي وجهها رسول الله ﷺ إلى الامراء والسلاطين ، وإلى رؤساء القبائل ، والشخصيات الدينية والسياسية البارزة داخل الجزيرة العربية وخارجها لدعوتهم إلى الاسلام تكشف عن طريقته في الدعوة والتبليغ ، والارشاد والهداية .

وبين أيدينا الآن نصوص ١٨٥<sup>(١)</sup> رسالة وكتاب من مكاتيب رسول الله ﷺ ورسائله التي دعا فيها من أرسلها إليهم ، إلى الإسلام ، أو كتبه التي تشكل معاهداته وموثيقه ﷺ التي أعطاها أو عقدها مع الاطراف المختلفة وقد جمعها ، وضبطها أرباب السير وكتاب التاريخ وهي تكشف برمتها عن أن اسلوب الاسلام في الدعوة والتبليغ يعتمد على المنطق والبرهان ، لا على السيف والقهر وعلى الاقناع لا الاكراه .

فيوم اطمأن بال رسول الله ﷺ وأمن جانب قريش وحلفائها ، وجه نداءه الالهي إلى مسامح البشرية في العالم وذلك عن طريق ارسال الرسائل ، أو بعث المبلغين والدعاة إلى شتى أنحاء العالم .

إن نصوص هذه الرسائل ، والاشارات الموجودة في خلالها ، ونصائحه التي كان يوجهها ﷺ إلى الناس ، والتسامح الذي كان يبيديه من نفسه خلال عقد الاتفاقيات وإبرام المعاهدات مع الاجانب ، تشكل برمتها شواهد قاطعة ، ودامغة ضدّ نظرية المستشرقين الذين أرادوا مسخ وجه الاسلام

---

(١) لقد اجتهد علماء الاسلام في جمع واحصاء رسائل النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم وكتبه قدر المستطاع ، وإن أكمل المصادر الحاضرة من حيث الاستقصاء وسعة التتبع كتابان يتسمان بأهمية كبرى في هذا المجال وهما :

أ . الوثائق السياسية تأليف البرفيسور محمد حميد الله حيدرآبادي ، الاستاذ بجامعة باريس .

ب . مكاتيب الرسول تأليف العلامة المحقق المحترم الشيخ علي الاحمدى .

والكتاب الأخير يمتاز بتحقيقات وتحليلات أدبية ، وتاريخية وسياسية إسلامية في غاية الأهمية .

المشرق ، بكييل الاتهامات الباطلة له ، والزعم بأن تقدّم الاسلام وانتشاره كان بفعل القهر ، وبقوة السيف ، وتحت عامل الفرض والاجبار واننا لنأمل أن نوفّق ذات يوم لدراسة وتقييم تلك الرسائل والكتب واستجلاء هذه النقاط المذكورة واستخراج خطوط السياسة النبوية ومعالم الدعوة المحمدية. من ثانياً تلکم الرسائل والكتب التاريخية الخالدة لنستطيع من خلال هذا العمل بيان اسلوب الاسلام في نشر دينه في شتى نقاط العالم.

### الرسالة المحمدية كانت عالمية : (١)

ينظر بعض الجهلة إلى مسألة عالمية الرسالة المحمدية بنظر الشك والترديد ، وهم يتبعون في مثل هذه النظرة الجاهلة ما يروّجه بعض الكتاب العملاء ، وفي مقدمة هؤلاء المغرضين مستشرق معاد للإسلام هو « السير ويليم موير » الذي يقول : إن موضوع عالمية الرسالة المحمدية قد ظهر وتبلور في ما بعد ، وأن محمّد اقتصر في دعوته من بدء رسالته إلى لحظة وفاته على العرب ، ولم يكن « محمّد » يعرف أي مكان غير الجزيرة العربية. ولقد اتّبع هذا المستشرق نهج أسلافه الإنجليز ، وحاول التعتيم على الحقيقة في مقابلة الآيات الكثيرة التي تشهد . بجلاء . بأن رسول الله ﷺ كان يدعو البشر عامة إلى التوحيد والاعتقاد برسالته وقال : ان محمّداً كان يقتصر في دعوته على العرب خاصة. ونحن هنا ندرج بعض الآيات التي تشهد بأن رسالة الاسلام ، وأن الدعوة المحمدية كانت منذ بداية ظهورها دعوة عالمية ، ويمكن مراجعة كتب التفسير والعقائد للوقوف على المزيد من التوضيح في هذا المجال.

---

(١) هاهنا مسألتان يجب التمييز بينهما :

أ . عالميّة الرسالة المحمّدية.

## آيات تدل على عالمية الرسالة المحمدية :

- ١ . « وَمَا رَأَسْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا » <sup>(١)</sup> .
- ٢ . « وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ » <sup>(٢)</sup> .
- ٣ . « لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا » <sup>(٣)</sup> .
- ٤ . وَآيَاتِي أَسَلُّ رَسُوهُ بِحُجَّتِي كَثِيرٌ لِحَبِيْبِي لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ <sup>(٤)</sup> .

والآن نسأل هذا الكاتب الإنجليزي : كيف تقول . مع هذه الدعوة العالمية . أن موضوع عالمية الرسالة الاسلامية قد ظهر وتبلور في ما بعد .

فهل مع وجود هذه الآيات ونظائرها ومع وجود سفراء رسول الله ومبعوثيه الى المناطق النائية ، والبلاد البعيدة ، وإلى نصوص الرسائل التي بقيت مسجلة في صفحات التاريخ عن رسول الإسلام ﷺ وخاصة ما بقي منها محفوظا بعينه الى الآن في المتاحف العالمية الكبرى يبقى مجال لأن يشك أحد في عالمية رسالته .

والعجيب أن الكاتب المذكور يكتب بكل وقاحة قائلا : ان محمدا لم يكن

---

ب . خاتمة الرسالة المحمدية .

وفي الاولى تعالج مسألة عالميّة رسالة النبي محمد ، وعدم عالميتها وانه ﷺ هل كان مبعوثا لخصوص سكان الجزيرة العربية أم لعموم البشر ، وللتناس كافة ، في حين أن المحور في المسألة الثانية هو أنه ﷺ هل هو آخر نبي أو لا على انه يمكن ان يقول البعض ان دينه كان عالميا إلا أن نبوته لم تكن خاتمة النبوات بل سيأتي بعده نبي آخر وشرعية اخرى .

من هنا لا بد من البحث . في النبوة الخاصة . حول كلتي المسألتين بصورة مستقلة ، وقد بحثنا المسألتين في الجزء الثالث من مفاهيم القرآن بصورة موسعة .

(١) سبأ : ٢٨ .

(٢) القلم : ٥٢ .

(٣) يس : ٧٠ .

(٤) التوبة : ٣٣ .

يعرف غير الحجاز ، في حين أن رسول الله ﷺ سافر يوم كان في ربيعہ السادس عشر مع عمه أبي طالب الى الشام كما سافر الى الشام في تجارة خديجة في سنّ الخامسة والعشرين ، مع قافلة قريش التجارية.

حقا ان من العجيب العجاب أننا كلّما قرأنا في التاريخ أن شابا يونانيا ( هو الاسكندر المقدوني ) كان يريد أن يسيطر على العالم ، أو نسمع أن نابليون بونابرت كان يفكر في أن يكون امبراطور العالم الوحيد لم يبعثنا كل ذلك على الاستغراب والدهشة ولكن كلما يسمع فريق من المستشرقين بأن قائد المسلمين الأعلى وجّه دعوة الاسلام . وبأمر الله . الى زعماء عصره العالميين الذين كان بينهم وبين قومه علاقات تجارية عريقة انكروا ذلك وبوقاحة ، واعتبروه أمرا محالا .

### رسل الاسلام الى المناطق النائية :

طرح رسول الاسلام قضية دعوة الملوك والامراء الى الاسلام على شورى كبيرة من أصحابه كغيرها من المسائل المهمة فقال :

« أيها الناس ان الله قد بعثني رحمة وكافية فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون علي عيسى بن مريم » .

فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال :

« دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم واما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتناقل » .

ثم إن رسول الله ﷺ اختار ستة أشخاص من خيرة أصحابه وكتب معهم كتباً إلى الملوك تضمنت دعوته العالمية ، وبعثهم إلى مختلف نقاط الأرض .

وهكذا توجه سفره الهداية ورسل الدعوة المحمدية في يوم واحد إلى إيران ، والروم ، والحبشة ، ومصر واليمامة ، والبحرين ، والحيرة ، ( الاردن ) وسوف نقرأ معا

مفصل ما احتوته رسائله ﷺ<sup>(١)</sup> .

وعند ما فرغ من كتابة الرسائل المذكورة قال بعض ذوي الاطلاع والعلم بأحوال بلاطات الملوك آنذاك قالوا لرسول الله ﷺ يا رسول الله : إن الملوك لا يقرءون كتابا إلا محتوما ، فاتخذ رسول الله ﷺ يوماً خاتماً من فضة ، فصّنه منه ، نقشه ثلاثة أسطر : محمد رسول الله ، في الاعلى لفظة الجلالة وتليه كلمة رسول ثم يليه اسمه الشريف ، وختم به الكتب . ولم يكتف بهذا بل ختم تلك الرسائل بالشمع أو الطين إمعاناً في السرية ، والحفاظ عليها من التزوير<sup>(٢)</sup> .

### أوضاع العالم أيام إبلاغ الرسالة العالمية :

كانت الامبراطوريتان ( الرومية والفارسية ) تقتسمان آنذاك قيادة العالم ، وكانت الحروب قائمة بين دينك المعسكرين على قدم وساق ، ومنذ زمن بعيد . فلقد بدأ الصراع على النفوذ بين إيران والروم منذ عهد المهخامنشيين ، واستمرّ حتى عصر الساسانيين ملوك ايران . فكان الشرق تحت النفوذ الايراني ، كما كانت العراق واليمن وشيء من آسيا الصغرى تعدّ من توابع الامبراطورية الإيرانية ومستعمراتها . وأمّا الامبراطورية الرومية فقد كانت منقسمة يومذاك إلى معسكرين شرقي وغربي لأن « تنودوز الكبير » امبراطور الروم قسم بلاده في سنة ( ٣٩٥ ) ميلادية بين ولديه ، ومن هنا ظهرت الروم الشرقية والروم الغربية . وقد انقرضت الروم الغربية على أيدي متوحشي وبرابرة شمال اوربا ، ولكن

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٠٦ ، الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٦٤ ، السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢٤١ .

٢٤٢ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٣٨٢ .

(٢) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢٤٠ و ٢٤١ .

الروم الشرقية التي كان مركزها يومذاك « القسطنطينية » وكانت تسيطر على الشام ومصر ، فكانت تسيطر أبان ظهور الاسلام على قدر كبير من مقاليد السياسة العالمية إلى أن فتحت القسطنطينية عام (١٤٥٣) على يد السلطان محمد الثاني « محمد الفاتح » ، وبذلك غرقت شمس دولة الروم الشرقية ، واطمحلّت نهائيا.

وقد كانت أرض الحجاز محاصرة بين هذين القطبين ومحاطة بهاتين القوتين العظيمةتين ، ولكن حيث أن أراضي الحجاز لم تكن أراض خصبة ، وكان أهلها في الأغلب من الرّحل المتفرقين في البراري والقفار ، لذلك لم تبد كلتا الامبراطوريتين رغبتهما في الاستيلاء على تلك الأراضى ، فقد كانت النخوة والظلم ، والحروب التي اتسمت بها طبيعة وحياة تينك الدولتين تمنعهما من الاطلاع على أي تغيير اجتماعي أو تحول سياسي يقع في هذه المنطقة من العالم.

فهم لم يكونوا يتصوّون قط أن يتمكن شعب . كان بعيدا عن روح الحضارة والمدنية . من وضع نهاية لإمبراطوريتهم ، بفضل ما أوتوا من إيمان ، وإنارة النقاط التي كانت تترزح في ظلام جور السلطات الرومية وظلمها بنور الإسلام المشرق ، ولو كانوا يعرفون شيئا عن هذه النهضة المشرقة وهذا الانفجار المعنوي العظيم في بدء حدوثه لقضوا عليه في أول الأمر ، ولم يتركوه يمتد إلى ملكهم ، ويقلب كل شيء رأسا على عقب .

### رسول النبي ﷺ في أرض الروم :

كان قيصر الروم قد عاهد الله إذا غلب الفرس أن يسير الى بيت المقدس من عاصمته : « القسطنطينية » مشيا على القدم للزيارة ، شكرا لله ، وقد وفي بنذره هذا بعد انتصاره على إيران ، وسار مشيا على القدم إلى بيت المقدس .

فكلّف « دحية الكلبي » بإيصال كتاب رسول الله ﷺ الى قيصر ، وكان دحية قد سافر مرارا الى الشام ، وكان عارفا بمناطقها وعاداتها معرفة كاملة ، وكان إلى ذلك جميل الصورة حسن السيرة ، ولهذا كان جديرا بتحمل هذه

المسئولية الخطيرة لائقا لها.

وقد توجه إلى « القسطنطينية » رأسا بعد أن كلفه رسول الله ﷺ بإيصال كتابه إلى قيصر ، ولكنه ما أن وصل إلى بصرى ( من مدن الشام ) إلا وبلغه أن قيصر قد فارقها قاصدا بيت المقدس ولهذا بادر الى الاتصال بحاكم بصرى <sup>(١)</sup> : « الحارث بن أبي شمر » واخبره بالمهمة الخطيرة التي جاء من اجلها.

يقول مؤلف الطبقات الكبرى : بعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر يدعوه الى الاسلام ، وكتب معه كتابا ، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر ، ( ولعل النبي ﷺ كان يعرف بمغادرة قيصر لعاصمة ملكه أو لعل ذلك الأمر كان مراعاة لامكانيات دحية المحدودة ، وكون السفر الى قسطنطينية كان يتطلب جهدا كبيرا أو لا يخلو من محاذير ).

فدفعه عظيم بصرى إليه وهو يومئذ بحمص ، وذلك بان استدعى عدي بن حاتم ووجهه مع سفير النبي ﷺ ليوصل كتابه إلى قيصر ، فذهب به إليه ، ولما أراد الدخول على قيصر قال قومه لدحية : اذا رأيت الملك فاسجد له ، ثم لا ترفع رأسك حتى يأذن لك.

فقال دحية : لا افعل هذا أبدا ، ولا أسجد لغير الله! ( أي انني قد جئت لتحطيم هذه السنن الجاهلية المقيتة فكيف أخضع لها ، انما جئتم من قبل نبي لا يبلغ ملككم بأن عهد عبادة البشر قد انقضى وانتهى وأنه لا يحق السجود إلا لله وحده ، فكيف يمكنني ذلك وأنا أحمل هذه الرسالة التوحيدية إليكم؟! ) <sup>(٢)</sup>.

ولقد أعجب قوم قيصر بمنطق دحية القوي ، وموقفه الصلب ، فقال له رجل منهم : أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ، ولا تسجد له ، ضع صحيفتك تجاه

---

(١) كانت بصرى مركز محافظة حوران التي كانت تعد من مستعمرات قيصر. وكان الحارث بن أبي شمر. وبصورة عامة. جميع ملوك بني غسان ، من ولاة قيصر على تلك المناطق.

(٢) الطبقات الكبرى ، ج ١ ص ٢٥٩.

المنبر فان أحدا لا يحركها حتى يأخذها هو ، ثم يدعو صاحبها فشكر دحية الرجل ، وأخذ  
بنصيحته ، وفعل ما اشار به .

فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية  
فاذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من  
اتبع الهدى .

أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله اجره مرتين. فإن توليت فإنما  
عليك إثم الأريسيين<sup>(١)</sup> ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله  
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا  
مسلمون محمد رسول الله .» .

### قيصر يحقق حول النبي :

احتمل حاكم الروم اللبيب أن يكون كاتب هذه الرسالة هو : « احمد الموعود » الذي  
بشرت به الانجيل والتوراة ، ولهذا قرّر أن يحقق حول شخصيته ، ويتعرف على خصوصيات  
حياته ، الدقيقة .

فبعث أحدا إلى الشام فورا ليأتي له بقريب لمحمد ، أو من يعرف شيئا عنه. حتى يسأله  
عن شخصية رسول الاسلام ﷺ فاتفق أن كان أبو سفيان بن حرب يومذاك بالشام  
للتجارة في ركب من قريش ، فأخذهم

---

(١) بين العلماء في تفسير هذه اللفظة خلاف ، فيقول ابن الاثير : قيل هم الخدم والخول وقال بعض : هم  
الأكارون ( أي الفلاحون ) لأن أكثر الناس يومذاك كانوا من الفلاحين ، وهم اطوع الناس للحاكم.  
ويؤيد هذا الرأي الاخير أنه جاء في بعض النسخ ( الكامل : ج ٢ ص ١٤٥ ) كلمة الأكارين بدل  
الاريسيين والاكار هو المزارع ، واحتمل البعض أن يكون الاريسيون طائفة كانت تعيش في الروم .



صاحب شرطة « قيصر » إلى بيت المقدس ، فادخلهم على « قيصر » في مجلسه وحوله  
عظماء الروم.

فقال قيصر : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟.

فقال أبو سفيان : أنا أقربهم نسبا.

فقال قيصر : أدنوه مني ، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لهم

: إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فان كذّبي فكذّبوه.

ثم طرح قيصر على أبي سفيان الاسئلة التالية :

١ . كيف نسب محمد فيكم؟

هو فينا ذو نسب.

٢ . فهل قال هذا القول منكم أحد قبله؟

لا.

٣ . فهل كان في آباءه من ملك؟

لا.

٤ . فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟

بل ضعفاؤهم.

٥ . أيزيدون أم ينقصون؟

بل يزدون.

٦ . فهل يرتد منهم أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

لا.

٧ . فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

لا.

٨ . فهل يغدر؟

لا.

٩ . فهل قاتلتموه؟

نعم.

١٠ . فكيف كان قتالكم إياه؟

الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منّا ، وننال منه .

١١ . فما ذا يأمركم؟

اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة ، ويأمرنا بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة .

فقال قيصر للترجمان قل لأبي سفيان ومن معه : إن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين فهذه صفة نبيّ ، وقد كنت اعلم أنه خارج لم اكن أظنّه منكم ، فلو أنّي أعلم أنّي أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه!!

فاعترض ابن أخي قيصر على كتاب رسول الله وقال لعمه : قد ابتدأ بنفسه وسبّك صاحب الروم .

فقال قيصر : والله انك لضعيف الرأي . أتري أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر ، وهو أحق أن يبدأ بنفسه ، ولقد صدق أنا صاحب الروم ، والله مالكي ، مالكة .

قال أبو سفيان : فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الاصوات عنده ، وكثر اللغط ، فأمر بنا فاخرجنا قال : قلت لأصحابي حين خرجنا : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ، أنه ليخافه ملك بني الأصفر .

وروى أيضا أن أبا سفيان قال : لما سألت قيصر عن رسول الله جعلت ازهد له شأنه ، واصغر له أمره واقول له : أيها الملك ، ما يهّمك من أمره ، إن شأنه دون ما يبلغك ، وجعل قيصر لا يلتفت إلى ذلك ، ثم قال : أنبئي عما أسألك من شأنه <sup>(١)</sup> .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٣٨٤ . ٣٨٦ ، تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٩٠ و ٢٩١ .

### أثر رسالة النبي إلى قيصر :

لم يكتب قيصر بالمعلومات التي حصلها من أبي سفيان حول رسول الاسلام ﷺ بل كتب إلى أحد علماء الروم وأساقفتهم يسألهم عن هذا الأمر. فأجابه ذلك الاسقف : هذا النبي الذي كنا ننتظره ، بشرنا به عيسى بن مريم. فعمد قيصر إلى خطة ليحسّ بها نبض قومه ، ويختبرهم ويعرف ما اذا كانوا يرضون باسلامه أولا ، فجمع عظماءهم في صومعة له بحمص فقال : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد ، وان يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم. فقالت الروم : وما ذاك أيها الملك؟ قال : تتبعون هذا النبي العربي.

فتاروا في وجهه ، ورفعوا الصليب ، فلما رأى منهم ذلك يئس من اسلامهم وخافهم على نفسه وملكه ، فسكنهم ثم قال : إنما قلت لكم ما قلت اختبركم لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ، فقد رأيت منكم الذي احبّ. فسكنوا ورضوا عنه. ثم أمر باكرام دحية ، وكتب جوابا على رسالة النبي ﷺ وأرسله مع دحية وارسل بهدية الى النبي ﷺ (١).

### سفير النبي في البلاط الإيراني :

يوم توجه سفير رسول الله ﷺ بكتابه إلى البلاط الإيراني

---

(١) الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٤ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٣٧٩.

كان الملك الذي يحكم هذه الأرض الواسعة هو « خسروا برويز » ثاني ملك بعد انوشيروان ، الذي جلس على العرش الملكي الإيراني مدة ٣٢ عاما قبل الهجرة النبوية المباركة . وقد واجهت حكومة هذا الملك خلال مدة سلطانه أنواعا عديدة من الحوادث المرة والحلوة ، وكانت مكانة ايران في عهده تعاني من الاضطراب ، وعدم الاستقرار بشكل ملحوظ .

وقد امتدّ النفوذ الإيراني ذات يوم حتى شمل آسيا الصغرى ، وامتدّ الى مشارف القسطنطينية ، وأتى بصليب عيسى الذي كان أقدس شيء عند النصارى إلى طيسفون ( المدائن ) ، فطلب سلطان الروم الصلح وبعث سفيرا من قبله الى البلاط الإيراني لعقد معاهدة الصلح .

بيد أن سوء تدبير الملوك في تلك الدولة العظمى ، وانغماسهم في اللذة والمجون أكثر من المتعارف تسبب في أن تصبح ايران على حافة السقوط والانحيار في أواخر العهد الساساني ، فقد خرجت المستعمرات من تحت النفوذ الإيراني الواحدة تلو الاخرى ، واجتاح العدو الرومي الاراضي الايرانية إلى الاعماق ، ووصل الأمر بخسروبرويز امبراطور ايران الى أن يهرب من وجه الروم الغزاة ، وقد أثار هذا الهروب الخانع وهذه الهزيمة المنكرة سخط الشعب يومذاك ، فقتل بيد ابنه « شبرويه » .

ويعزي محلّلو التاريخ القديم تخلف إيران وضياع قوتها إلى غرور قادتها وحكامها وميلهم الى البذخ والترف ، وبلهنية العيش ورغد الحياة ، والزينة واللذة . ولو كان ذلك الملك يتلقى رسالة السلام التي عرضها الاسلام بالصورة اللائقة لبقيت عظمة إيران على حالها في ظل هذا السلام دون أن يصيبها ما أصابها .

ولو أن رسالة رسول الاسلام لم تترك أثرا حسنا في نفس « خسروا برويز » يومذاك فان ذلك لم يكن لتقصير أو عيب في تلك الرسالة أو في سلوك حاملها

الى البلاط الايراني ، بل كان لنفسية ذلك الحاكم المغرور ، المنحرفة ، وأنانيته الطاغية ، التي لم تسمح له بالتفكير بعض اللحظات في كتاب رسول الاسلام ﷺ كما فعل « قيصر » ، أو غيره. بل لم يجهل المترجم حتى ينتهي من قراءة كتاب رسول الله ﷺ ، إنما صاح به في تلك الاثناء ، وأخذ منه رسالة النبي ﷺ ومزّقها بوقاحة بالغة ، واسلوب بالغ في الجفاف ، وسوء الادب.

وإليك تفصيل الحادث :

في مطلع السنة الهجرية السابعة بعث رسول الله ﷺ احد فرسانه الشجعان وهو « عبد الله بن حذافة السهمي » ، الى ايران وكتب معه كتاب إلى « خسروا پرويز » ملك ايران يومذاك يدعوه فيه الى الاسلام وامره أن يدفع الكتاب الى كسرى نفسه وإليك نص هذه الرسالة :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، واشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمدا عبده ورسوله. أدعوك بدعاية الله ، فيأني أنا رسول الله كافة لا نذر من كان حيّا ، ويحقّ القول على الكافرين أسلم تسلم ، فان أبيت فعليك اثم الجوس ».

فلما دخل سفير النبي ﷺ على « خسروا پرويز » أمر بأن يؤخذ منه كتاب رسول الله ﷺ ولكن عبد الله بن حذافة قال : لا حتى أدفعه إليك كما امرني رسول الله ﷺ ، ثم دنا وسلّم الكتاب فدعى كسرى بمتزجه ليقرأ الكتاب ، فلما قرأه ، فاذا فيه : من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس أغضبه حين بدأ رسول الله بنفسه ، وصاح ، وأخذ الكتاب ، فمزّقه قبل أن يعلم ما فيه وقال : يكتب إليّ بهذا.

ثم أمر باخراج حامل الكتاب من قصره ، فاخرج عبد الله بن حذافة السلمي ، ولما رأى ذلك قعد على راحلته وسار حتى وصل إلى النبي صلى الله

عليه وآله ، فاخبره الخبر ، فغضب النبي ﷺ من موقف كسرى فدعا عليه قائلاً : اللهم هزّ ملكه <sup>(١)</sup> .

### نظرية يعقوبي :

ويختلف ابن واضح الاخباري المعروف باليعقوبي في تاريخه . مع عامة المؤرخين . : قرأ كتاب النبي ﷺ ثم كتب كتابا إليه جعله بين سرقتي حرير وجعل فيهما مسكا ، فلما دفعه الرسول إلى النبي فتحه فاخذ قبضة من المسك فشمه ، وناوله أصحابه ، وقال : لا حاجة لنا في هذا الحرير ، ليس من لباسنا ، وقال : لتدخلن في أمري أو لآتيك بنفسي ومن معي ، وأمر الله اسرع من ذلك. <sup>(٢)</sup>

ولكن هذا رأي ينفرد به يعقوبي ولا يوافقه عليه أحد من أرباب السير إلا احمد بن حنبل الذي يقول : أهدى كسرى لرسول الله ﷺ فقبل منه <sup>(٣)</sup> .

### أوامر « خسرو » إلى واليه على اليمن :

تقع أرض اليمن الخصبة في جنوب مكة ، وكان ملوكها وحكامها ولاة منصوبين من قبل البلاط الايراني بأجمعهم ، وكان الذي يحكم اليمن يوم مراسلة النبي لقادة العالم وملوكه رجل يدعى « باذان » فكتب طاغية ايران المغرور « خسرو » بعد أن هزّ رسالة النبي إلى عامله باليمن ( باذان ) :

بلغني أن في أرضك رجلا يتنبأ فاستتبه ، فان تاب والّا فابعث به إليّ .

فبعث « باذان » رجلين من فرسانه يدعى أحدهما : « فيروز » والآخر « خرخره »

وكتب معهما كتابا إلى رسول الله ﷺ يأمره فيه أن

(١) الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٦٠ .

(٢) تاريخ يعقوبي : ج ١ ص ٦٦ .

(٣) مسند احمد بن حنبل : ج ١ ص ٩٦ .

ينصرف معهما إلى كسرى أو أن يجبراه على الرجوع إلى دين آبائه وان أبي قتلوه وأرسلوا برأسه إلى الملك حسب رواية ابن حجر في الإصابة.

إن رسالة كسرى إلى « باذان » يكشف عن جهل هذا الحاكم ، وعدم معرفته بما كان يجري في بلاده ومستعمراته ، فقد بلغ من جهله أنه لم يكن يعلم أن هذا الرجل الذي يدّعي النبوة<sup>(١)</sup> قد مضى على ادعائه النبوة أكثر من ١٩ عاما.

ثم إن الذي ادعى النبوة في منطقة نائية ، وانتشر دينه ، وأصبح من القوة والشوكة بحيث يجراً على مراسلة الامبراطور ، ودعوته إلى دينه لا يمكن أخذه واحضاره إلى اليمن بواسطة رجلين. وأن الأمر - بالتالي - لن يتم بمثل هذه السهولة ، والبساطة ، التي تصورها.

وعلى كل حال لما قدم مبعوثا « باذان » المدينة ودخلا على رسول الله ﷺ قدما رسالة « باذان » إليه ﷺ وقالوا : لقد بعثنا « باذان » إليك لتنتقل معنا ، فان فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ، ويكف عنك به ، وإن أبيت فهو من قد علمت ، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك.

وكانا قد دخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأطلقا شواربهما ، فاستمع رسول الله ﷺ إلى كلامهما ، وقبل أن يجيب على مطلبهما دعاهما إلى الاسلام ، وقد كره النظر إليهما لما كانا عليه من الهيئة فقال لهما : من أمركما بهذا؟! قالوا : أمرنا بهذا ربنا ( يعنينا كسرى ) فقال رسول الله ﷺ :

« لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي »<sup>(٢)</sup>.

فأرعبتهما هيبة رسول الله ﷺ وجلال محضه ، بحيث أخذوا

---

(١) حسب تعبير كسرى.

(٢) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ١٤٦.

يرتجفان عند ما عرض رسول الله الاسلام عليهما.

ثم قال لهما رسول الله ﷺ :

« ارجعا حتى تأتياي غدا ».

وفي هذه الاثناء أتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء أن الله عز وجل قد سلط على كسرى ابنه شيرويه ، فقتله في شهر كذا وكذا وكذا لكذا ، وكذا من الليل.

فلما حضر الرجلان ( مبعوثا باذان ) عند رسول الله ﷺ من غد قال لهما رسول الله ﷺ :

« إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا. بعد ما مضى من الليل كذا وكذا سلط عليه شيرويه فقتله » (١)

وكانت الليلة التي ذكرها رسول الله ﷺ هي ليلة الثلاثاء العاشر من شهر جمادى الاولى سنة سبع من الهجرة.

فاستغرب الرجلان لخبر رسول الله ﷺ وقال : هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا. فنكتب بما عنك ونخبر الملك ( أي باذان ).

فقال رسول الله ﷺ :

« نعم أخبراه ذلك عني وقولا له : إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى ، وينتهي إلى منتهى الخفّ والحافر ، وقولا له : إن أسلمت اعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك ».

ثم أعطى رسول الله ﷺ لخرخسرة منطقة ( أي حراما ) فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك ، فخرجوا من عنده حتى قدما على باذان باليمن واخبراه الخبر.

---

(١) الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٦٠ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٣٨٢.



فقال باذان : والله ما هذا بكلام ملك وإني لأرى الرجل نبيا كما يقول ، ولننظر ما قد قال ، فلئن كان ما قد قال حقا فانه لا ريب نبي مرسل ، وإن لم يكن فسرى فيه رأينا . فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شيرويه : أما بعد فاني قد قتلت كسرى ولم اقتله الا غضبا لفارس ، لما كان استحل من قتل أشرافهم ، فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب إليك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه . وقد تسبب كتاب « شيرويه » هذا في أن يعتنق « باذان » الاسلام هو وجميع رجال دولته وكانوا من الفرس ، وكتب إلى رسول الاسلام ﷺ يخبره بإسلامه واسلام أعضاء حكومته (١) .

### سفير النبي في أرض مصر :

تعتبر « مصر » مهد الحضارات والمدن العريقة ، ومركز سلطان الفراعنة ، وموضع سيادة الاقباط .

ويوم أشرقت شمس الاسلام على أرض الحجاز كانت « مصر » قد فقدت استقلالها ، وقوتها ، وكان المقوقس قد فوض إليه حكم « مصر » من قبل قيصر الروم لقاء ١٩ مليون دينار يدفعها الى قيصر .

وكان « حاطب بن أبي بلتعة » . وكان فارسا بارعا وله قصة في تاريخ الاسلام سيأتي ذكرها في حوادث السنة الثامنة . احد الستة الذين كلّفوا بابلاغ كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملوك والرؤساء يومذاك وقد أمره رسول الله ﷺ بايصال كتابه إلى المقوقس حاكم « مصر » .

وإليك نص كتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس :

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٣٩١ .

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتكَ الله أجرَكَ مرتين ، فإن تولَّيت فإتَّما عليك إثم القبط « ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »<sup>(١)</sup> .

فخرج « حاطب » بكتاب رسول الله ﷺ حتى قدم « مصر » ، وأراد الدخول على حاكمها ، « المقوقس » علم بأنه يسكن في أحد قصوره الشاخنة على ضفاف النهر ، في الإسكندرية ، فركب زورقا ، نقله إلى قصر « المقوقس » .

فلما وصل « حاطب » إلى قصر « المقوقس » أكرمه وأخذ كتاب رسول الله ﷺ وقرأه ، وفكر في مضمونه بعض الوقت ، ثم قال لسفير النبي ﷺ : ما منعه إن كان نبياً أن يدعو علي من خالفه ( أي من قومه ) وأخرجوه من بلده إلى غيرها أن يسلط عليهم . فقال حاطب وكان حكيماً فهيماً : ألسنت تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله؟ فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله إليه؟

فأعجب المقوقس . الذي لم يكن يتوقع أن يجابه بهذا المنطق القوي المفحم . برد حاطب وقال له : أحسنت ، أنت حكيم جاء من عند حكيم<sup>(٢)</sup> .

فتجرأ حاطب لما رأى هذا الموقف الخاضع من ملك مصر وقال : إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ( يعني فرعون ) فأخذه الله نكال الآخرة

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢٤٩ ، الدر المنثور : ج ١ ص ٤٠ ، أعيان الشيعة : ج ١ ص ٢٤٤ .

(٢) اسد الغابة : ج ١ ص ٣٦٢ .

والاوين ، فانتقم به ، ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ، ولا يعتبر غيرك بك ، ان هذا النبي ﷺ دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش ، وأعداهم له اليهود ، وأفرحهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى يعيسى عليهما الصلاة والسلام إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الانجيل ، وكل نبي أدرك قوما فهم امته ، فالحق عليهم أن يطيعوه ، فانت ممن أدرك هذا النبي ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ﷺ ولكننا نأمرك به .

وهو يقصد بكلامه الأخير أن الاسلام هو الصورة الاكمل لدين المسيح .

انتهى الحوار بين حاطب سفير النبي ﷺ والمقوقس حاكم مصر إلا أن المقوقس لم يعطه جوابا قاطعا في ذلك المجلس ، فكان على حاطب أن يلبث في مصر مدة حتى يتلقى جواب كتاب رسول الله ﷺ (١) .

ثم طلب المقوقس حاطبا ذات يوم وانفرد به في قصره ، وسأله عن ما جاء به رسول الله وإلى م يدعو؟ فقال له حاطب : إلى أن نعبد الله وحده ، ويأمر بالصلاة ، خمس صلوات في اليوم والليلة ويأمر بصيام رمضان ، وحج البيت ، والوفاء بالعهد ، وينهى عن أكل الميتة والدم .. و ... و ...

فقال له المقوقس : صفه لي .

قال حاطب : فوصفت فأوجزت .

فقال المقوقس : مصدقا ما ذكره حاطب من أوصاف رسول الله ﷺ : هذه صفته ، وكنت أعلم أن نبيا قد بقي ، وكنت اظن أن مخرجه بالشام وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج في أرض العرب ، في أرض جهد وبؤس ، والقبط لا تطاوعني في أتباعه ، وسيظهر على البلاد ، وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه ، حتى يظهروا على ما هاهنا .

---

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢٥٠ .

ثم طلب المقوقس من حاطب أن يكتب أمر هذا الحوار الذي دار بينه وبين حاطب عن قومه قائلًا : وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا واحدا ، ولا أحب أن يعلم بمحادثتي ( أو بمحاورتي ) إياك <sup>(١)</sup> .

ثم إنه أكرم حاطبا مدة اقامته بمصر إكراما بالغا ، وأحسن قرأه ، وضيافته <sup>(٢)</sup> .

### المقوقس يكتب كتابا الى النبي :

ثم إن حاكم « مصر » المقوقس دعا كاتبه العربيّ ، وأمره أن يكتب كتابا إلى رسول الله ﷺ هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيا قد بقي ، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبثياب ، وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك <sup>(٣)</sup> .

إن الاحترام الذي أبداه « المقوقس » في رسالته المذكورة ، وتقديم اسم النبي ﷺ على اسمه وكذا هداياه التي بعثها إلى رسول الاسلام ﷺ وتكريم سفير النبي ﷺ كلها تحكي عن أن المقوقس قبل دعوة النبي ﷺ في سرّه ولكن حبّه في البقاء في السلطة منعه من التظاهر بإيمانه وإسلامه ، ومن الانقياد العمليّ والعلنيّ للإسلام.

خرج « حاطب » بصحبة جماعة من الحرس المحافظين وهو يحمل الهدايا التي بعثها المقوقس من عند المقوقس ولما وصل الى الشام أذن للمحافظين بالانصراف ثم واصل هو سفره ضمن قافلة إلى المدينة ، ولما قدم المدينة على رسول الله صلّى

(١) سيرة زيني دحلان : ج ٣ ص ٧١ .

(٢) الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٦٠ .

(٣) الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٦٠ .

الله عليه وآله وسلم إليه كتاب المقوقس وهداياه قال رسول الله ﷺ .  
« ضنّ بملكه ، ولا بقاء لملكه »<sup>(١)</sup> .

### المغيرة بن شعبة في البلاط المصري :

توجه المغيرة بن شعبة الذي كان معروفاً بحكمه وعقله ودهائه ، والذي أصبح في ما بعد من رجال السياسة العرب ودهاتها المعروفين .

توجّه في جمع من قبيلة ثقيف إلى البلاط المصري ، فسألهم كبير المصريين ( المقوقس ) :  
كيف خلصتم إليّ ، وبينني وبينكم محمد وأصحابه .  
فقال : لصقنا بالبحر .

قال : فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه؟

قالوا : ما تبعه منّا رجل واحد .

قال : فكيف صنع قومه؟

قالوا : تبعه أحداً منهم ، وقد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة .

قال : فإلى ما ذا يدعو؟

قالوا : إلى أن نعبد الله وحده ، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ، ويدعو إلى الصلاة ، والزكاة ،  
ويأمر بصلة الرحم ، ووفاء العهد ، وتحريم الزنا ، والربا ، والخمر .

فقاطعهم المقوقس قائلاً : هذا نبي مرسل إلى الناس كافة ، ولو أصاب القبط ، والروم لا  
تبعوه ، وقد أمرهم بذلك عيسى ، وهذا الذي تصفون منه نعت الأنبياء من قبله ، وستكون  
له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ، ويظهر دينه إلى منتهى الخفّ والحافر .

---

(١) الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٦٠ وغيره .

فاستاء رجال ثقيف من هذا الكلام وقالوا بكل صلافة ووقاحة : لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا معه.

فهزّ المقوقس رأسه ساخرًا بهم وقال : أنتم في اللعب <sup>(١)</sup>. بيد ان هذه الرواية لا توافق بقية المصادر التاريخية لان النبي ﷺ كاتب ملوك العالم وقادته في السنة السابعة من الهجرة ، على حين كان المغيرة في معركة الخندق قد آمن ، وكان في الحديبية في صفوف المسلمين ، حتى أنه كان بينه وبين مندوب قريش المفاوض عروة بن مسعود الثقفي مشاجرة مر ذكرها عند استعراض قصة الصلح.

وعلى فرض صحة هذه الرواية لا بد من القول بأن المغيرة لم يكن في وفد ثقيف. وفي الختام ينبغي أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن الواقدي نقل نص رسالة النبي إلى عظيم القبط بصورة اخرى.

ولكن أسلوب الرسالة وعباراتها تدل على أن هذه الصورة لا أساس لها من الصحة ، لانها تتضمن تهديدا من رسول الله ﷺ لعظيم القبط بالحرب والغزو اذ جاء فيه : « وأمرني ) أي الله ( بالإعداد والانداز ، ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني » <sup>(٢)</sup>.

ومما لا شك فيه أن هذا غير صحيح لأن امكانيات المسلمين في ذلك اليوم لم تكن لتسمح لهم بمقاتلة المكيين فكيف يغزو « مصر » وهي منطقة نائية جدا.

هذا مضافا إلى أن صدور مثل هذا الكلام عن النبي في أول دعوة له إلى الاسلام لا يتلاءم ونفسية وخلق ذلك الرجل العظيم الذي كان يقدر الظروف آنذاك أفضل من غيره.

---

(١) السيرة الدحلانية : ج ٣ ص ٧٠.

(٢) فتوح الشام : ج ٢ ص ٢٣.

## سفير النبي ﷺ في أرض الذكريات « الحبشة » :

تقع « الحبشة » في آخر إفريقيا الشرقية وتبلغ مساحتها ١٨٠٠ كيلومترا مربعا ، وعاصمتها اليوم : أديس أبابا.

ولقد تعرّف الشرقيون على هذه الأرض قبل ظهور الاسلام بقرن ، وذلك على أثر هجوم الجيش الايراني الذي تم في عهد حكومة الملك الفارسي « انوشيروان » ، وبلغ هذا التعرّف والتردد ذروته في هجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة ( الهجرة الأولى والهجرة الثانية ) .

ويوم قرر رسول الله ﷺ أن يبعث ستة من خيرة رجاله الشجعان إلى نقاط مختلفة ، ونائية من العالم لإبلاغ نداء رسالته العالمية كلف : « عمرو بن أمية الضميري » بأن يأخذ كتابه إلى الحبشة ، ويسلمه إلى النجاشي ملكها العادل الطيب .

على أن الكتاب الذي ستقرأ نصّه قريبا ليس هو الكتاب الوحيد الذي بعثه رسول الاسلام ﷺ إلى النجاشي ، بل سبق أن كتب ﷺ وسلم إليه قبل هذا يوصيه بالمهاجرين المسلمين ، ويطلب منه فيه أن يلطف بهم ، ويرعاهم ، ولا يزال نصّ هذين الكتابين موجودا في المصادر التاريخية الاسلامية <sup>(١)</sup> .

وربما حصل اشتباه بين هذين الكتابين ( الرسالة التي بعثها النبي لإبلاغ دعوته العالمية ، والرسالة التي أوصى فيها النجاشي بالمهاجرين ) فخلط بعض المؤرخين بين عبارتيهما .

ويوم قدم سفير النبي بكتاب الدعوة إلى الاسلام ، الحبشة على النجاشي كان بعض المهاجرين المسلمين لا يزالون في أرض الحبشة ، يعيشون في كنف

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٩٤ .

النجاشي وحمائته ، بينما عاد بعضهم من قبل إلى المدينة ، وهم يحملون أجمل الذكريات والخواطر عن عدل حاكمها الطيب « النجاشي » ، ولطفه ، وحسن وفادته .

من هنا كانت أرض الحبشة في نظر المسلمين تعتبر أرض الذكريات الجميلة والخواطر الحلوة ، وكانوا يمدحون حاكمها ويصفونهم بالعدل والاستقامة . ولو اننا لا حظنا في كتاب النبي ﷺ إليه نوعا من اللطف ، واللين في القول فان ذلك مردّه إلى معرفة رسول الله ﷺ بنفسية النجاشي وخلقه وحسن موقفه .

فانك لا تجد لتهديدات رسول الله ﷺ في كتبه ورسائله الاخرى إلى الملوك والزعماء ، بالعقاب الالهى إن رفضوا القبول بدعوته ، وحمّلتهم مسؤلية شعوبهم في عبارات صريحة وقاطعة ، أي أثر في هذا الكتاب .

فقد كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي ما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة . سلام عليك ، أحمد الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى ، حملته من روحه ، ونفخه ، كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاتة على طاعته ، وأن تتبني وتوقن بالذي جاءني ، فإني رسول الله ﷺ ، وإني أدعوك وجنودك وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى »<sup>(١)</sup> .

لقد بدأ رسول الله ﷺ كتابه بالتسليم على حاكم الحبشة وأرسل إليه بتحياته الشخصية ، ولكنه لم يفعل هذا في كتاب غيره ، فلم يرسل بتحياته الشخصية الى « كسرى » و « قيصر » و « المقوقس » حكام إيران والروم

---

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢٤٨ ، إعلام الوری : ص ٤٥ و ٤٦ .



ومصر ، بل بدأ كتبه إليهم بالسلام العام حيث قال : « السلام على من اتبع الهدى » .  
ولكنه ﷺ سلّم في كتابه هذا ، على النجاشي نفسه ، وقال : « السلام عليك » ،  
وبهذا خصّه دون غيره من الزعماء والملوك باحترام وتكريم خاصّين .  
ولقد أشار ﷺ في هذا الكتاب الى جملة من صفات الله البارزة التي تدل جميعها على  
تنزهه سبحانه ، وعظمته وجلاله .

ثم أشار إلى مسألة ألوهية المسيح ( التي هي من ولاءد التفكير الكنسي المنحط ) ورد  
على ذلك باستدلال قوي خاص مستلهم من القرآن الكريم . حيث قايس ولادة المسيح ﷺ  
بخلقة آدم ، وأثبت ان ولادة شخص من دون أب لو كان دليلا على ألوهيته ، أو كونه ابنا  
لله ، لصحّ ذلك في حق آدم ، الذي خلق من غير أب ولا أمّ ، ولكن لا يرى أحد فيه مثل  
هذا الرأي .

ثم ختم ﷺ كتابه هذا باخراج دعوته في لباس النصح والموعظة ، تجنبا من إظهار  
نفسه بمظهر الأمر .

#### محاورة سفير النبي وحاكم الحبشة :

لما مثل سفير النبي ﷺ أمام النجاشي قال للنجاشي :  
يا أصحابم إنّ عليّ القول ، وعليك الاستماع ، إنّك كأنك في الرقة علينا منا ، وكأنّا في  
الثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيرا قط إلاّ لنناه ، ولم نحفظك على شرّ قط إلاّ أمتناه ، وقد  
أخذنا الحجة عليك من قبل آدم ، والانجيل بيننا وبينك شاهد لا يردّ ، وقاض لا يجور ، وفي  
ذلك موقع الخير ، واصابة الفضل ، وإلاّ فأنت في هذا النبي الامّي كاليهود في عيسى بن مريم  
، وقد فرّق رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له ، وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف  
، وأجر ينتظر .

فقال النجاشي : أشهد بالله أنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب ، وإنّ

بشارة موسى براكب الحمار ، كبشارة عيسى براكب الحمل ، وانه ليس الخير كالعيان ، ولكن أعواني من الحيشة قليل ، فانظري حتى أكثر الأعوان ، وألّين القلوب ولو استطيع أن آتية لأتيته <sup>(١)</sup> .

**رسالة النجاشي إلى رسول الله ﷺ :**

ثم كتب كتابا إلى النبي ﷺ هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ؛ إلى محمد رسول الله من النجاشي ، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته ، الذي لا إله إلا هو ، الذي هداني إلى الإسلام.

أما بعد ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فو رب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تفروقا <sup>(٢)</sup> إنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قرّنا ابن عمك وأصحابك ، وأشهد أنك رسول الله ﷺ وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبي الله فان شئت أن آتيك لفعلت يا رسول الله ﷺ فإني أشهد أن ما تقول حق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » <sup>(٣)</sup>

ثم إن النجاشي بعث بهدايا خاصّة إلى رسول الله ﷺ وكتب إليه رسول الله ﷺ بعد ذلك كتابين آخرين أيضا ، وكان في كلّ مرة يحترم كتاب رسول الله ﷺ ويقبله ويضعه على عينيه.

**تقييم سريع لمراسلة النبي ﷺ قادة العالم :**

ربما تصوّر بعض العارفين بأحوال الساسة في ذلك اليوم أن دعوة رسول الله ﷺ لحكام وشعوب العالم يومذاك كان أمرا خارج المألوف وعملا

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢٤٨ ، الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢) التفروق : الاقماع التي تلتزق بالبسر .

(٣) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢٩٤ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٣٩٢ .

غير متعارف ، ولكنّ مضيّ الزمان أثبت أنّ ذلك العمل كان من وظائف النبيّ ومهامّه الاساسية.

أولا : ان إرسال ستة سفراء في يوم واحد إلى أنحاء العالم ، محمّلين برسائل قوية مبرهنة أغلق كل باب للشكّ في وجه المخالفين في المستقبل ، فلا مجال لأن يشك أحد هذا اليوم وهو يرى هذا العمل العظيم في عالميّة الرسالة المحمّدية ، فمضافا إلى الآيات الواردة في هذا الصعيد يعد إرسال السفراء بنفسه دليلا قاطعا وكبيرا على عالمية الرسالة الاسلامية.

ثانيا : لقد تأثّر جميع الزعماء والملوك والقادة الذين راسلهم النبيّ ﷺ ما عدا « خسروا برويز » ملك إيران الذي كان طاغية مستبدا متكبيرا ، برسائل النبيّ ﷺ ودعوته ، وأكرموا سفراءه.

كما أن قضية ظهور النبيّ العربيّ قد أصبح حديث الاوساط والمحافل الدينية بسبب هذا العمل.

لقد أيقظت هذه الرسائل والكتب بمحتوياتها ومضامينها القوية المبرهنة العقول الغافية ، وهزّت الغافلين بشدّة ، وأثارت مشاعر الشعوب العالميّة المتحضرة ، ودفعتهم إلى البحث والتحقيق حول من بشّر به التوراة والانجيل ، كما تسبب في أن يجري العلماء والاساقفة والقساوسة غير المغرضين باتصالات بمن ينتسب إلى هذا الدين ، ويقيموا ارتباطا مع هذه العقيدة بشكل وآخر.

ومن هنا ولأجل هذا تسابقت أفواج وفرق كبيرة من رجال الدين من الشرائع الدينية المختلفة التي كانت سائدة آنذاك في الايام الاخيرة لحياة رسول الإسلام ﷺ وبعدها إلى القدم على المدينة لدراسة أوضاع الدين الجديد ، والتعرف على ماهيته ومنطقه.

ولقد شرحنا في الفصول الماضية وبشكل مفصّل نوع ومدى التأثير الذي تركته رسائل النبيّ وسفراؤه في نفوس حكام الرّوم ومصر والحبشة ، وها نحن نواصل بيان بقية التأثيرات التي تركتها مراسلة النبيّ ﷺ لحاكم



إليك بابني أرمى بن الاصحم « فخرج ابن النجاشي في ستين نفسا من الحبشة ( قاصدين المدينة ) في سفينة في البحر ، فلما توسطوا البحر غرقوا كلهم .  
ولكن وصول الرسالة التي اشار إليها ابن الاثير إلى الرسول الاكرم ﷺ شاهد على أنه لم تحدث مثل هذه الحادثة لمبعوثي النجاشي (١) .

### كتاب رسول الله الى أمير الغساسنة ( بالشام ) :

الغساسنة فرع من قبيلة « الازد » القحطانيين الذين سكنوا « اليمن » مدة طويلة ، وكانت أراضيهم تسقى من سدّ مأرب ، فلما انهدم ذلك السدّ اضطروا إلى الرحيل عن « اليمن » ونزلوا بالشام . فسيطروا على جزء من أراضيها وحكموا فيها ، وانتهى بهم الامر الى تشكيل دولة الغساسنة . التي كانت تحكم تلك الديار تحت نفوذ قياصرة الروم وسيادتهم ، فلما جاء الإسلام أزال نظامهم ، وانتهت حكومتهم ، بعد أن حكم منهم ، اثنان وثلاثون ملكا في مناطق « الجولان » ، و « اليرموك » ، و « دمشق » (٢) .

وقد بعث رسول الله ﷺ « شجاع بن وهب » وهو أحد السفراء الستة الذين بعثهم ﷺ لابلاغ الرسالة الاسلامية إلى العالم . إلى أرض الغساسنة ، وقد حمّله كتابا إلى ملكها يومذاك « الحارث بن أبي شمر الغساني » ، فخرج شجاع بكتاب النبي إلى الشام لتسليمه الى ملك الغساسنة فانتهى إليه وهو بغوطة دمشق وهو مشغول باعداد المقدمات لاستقبال « قيصر » الذي كان في طريقه إلى زيارة بيت المقدس وفاء للنذر الذي نذره للانتصار على ايران كما مر .

ولهذا لم يستطع « شجاع » من الوصول إلى الأمير الغساني إلا بعد انتظار دام

(١) اسد الغابة : ج ١ ص ٦٢ ، الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ١٤٥ .

(٢) راجع معجم البلدان ، ومروج الذهب وغيرهما .

ثلاثة أيام ، فاستغلّ « شجاع » هذه الفرصة وصادق فيها حاجب الأمير الغساني فكان يحدّثه عن صفة رسول الله ﷺ وأخلاقه وما يدعو إليه من العقيدة الطاهرة ، فأثرت كلمات « شجاع » تأثيراً عجبياً في نفس ذلك الحاجب الذي كان رومياً حتى أنه رق وغلبه البكاء وقال : إني قرأت الإنجيل وأجد صفة هذا النبي بعينه ، وأنا أومن به وصدقته ، وأخاف من « الحارث » أن يقتلني اذا عرف باسلامي وكان يكرم سفير النبي ﷺ ويحسن ضيافته طوال تلك المدة ، ويقول إن الحارث يخاف قيصر أيضاً .

ثم لما خرج « الحارث » ذات يوم وجلس على عرشه أذن لسفير النبي ﷺ بالدخول عليه ، فلما مثل بين يديه دفع إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه وكان نصّه كالتالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن به وصدق ، وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك .»

فانزعج الحارث ممّا قرأ في آخر الكتاب ورمى به جانباً ، وقال : من ينتزع مني ملكي؟ أنا سائر إليه ، ولو كان باليمن جنته ، عليّ بالناس .

وبهذا أمر بإعداد العسكر حالاً ليستعرض قوته العسكرية أمام سفير النبي إرعاباً وتخويفاً له . ولاجل أن يظهر نفسه بمظهر المدافع عن ملك قيصر بادر إلى كتابة رسالة الى « قيصر » يخبره فيها بما عزم عليه من غزو رسول الله ﷺ !!

واتفق أن وصلت رسالة الامير الغساني إلى « قيصر » في الوقت الذي كان فيه « دحية الكلبي » سفير النبي إلى الروم في مجلس قيصر ، وكان « قيصر » يحاوره ، ويسأله عن رسول الله ﷺ وعن صفته ودينه ، فانزعج « قيصر » من مبادرة الحاكم الغساني العجولة وكتب إليه يمنعه عن السير إلى رسول الاسلام طالبا منه أن يلتقي به في مدينة « ايليا » .

فغير موقف « قيصر » الايجابي هذا موقف عميله : الحاكم الغساني السليبي تبعا للمثل القائل « الناس على دين ملوكهم » فبادر من فوره إلى إكرام سفير النبي ﷺ ومنحه هدايا ثمينة ، ووجهه نحو المدينة معززا مكرّما وقال له : « اقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام ».

ولكن النبي ﷺ لم يرض بهذا الموقف الدبلوماسي الذي لم يكن ينم عن واقع صادق فقال : باد ملكه. أي سيزول ملكه عما قريب. فمات « الحارث » في السنة الهجرية الثامنة أي بعد عام واحد من هذه القضية<sup>(١)</sup>.

### سادس السفراء في أرض اليمن :

سادس سفراء النبي هو المبعوث الى أرض اليمامة (وهي من نجد) ، وهو سليط بن عمرو.

فقد خرج سليط هذا بكتاب رسول الله ﷺ الى « هوزة بن علي » الحنفي ملك اليمامة يدعوه الى الإسلام ولما قدم عليه سلّم الكتاب إليه وفيه.

« بسم الله الرحمن الرحيم. من محمّد رسول الله إلى هوزة بن علي. سلام على من أتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر (أي يعم الشرق والغرب) فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك ».

وحيث أن ملك اليمامة (هوزة) كان نصرانيا لذلك بعث إليه رسول الله ﷺ سليطا وكان ممن عاش مدة من الزمن في أرض الحبشة عند ما هاجر إليها فريق من المسلمين فرارا من اضطهاد وفتنة قريش لهم ، وعرف بتقاليد النصارى ومنطقهم ، وكانت تعاليم الاسلام ، وكذا اختلاطه بمختلف الفئات في رحلاته وأسفاره قد صنعت منه رجلا شجاعا قويا وذكيا وقد استطاع بما أوتي

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ ، الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٦١

من قوة المنطق ، والشجاعة أن يقنع بكلامه وحديثه ملك اليمامة عند ما قال له : يا هودّة أنه سيؤتّىك (١) أعظم حائلة ( أي بالية ) وارواح في النار ، وانما السيّد من متّع بالإيمان ثم زوّى بالتقوى. ان قوما سعد برأيك فلا يشقون به ، وإني أمرّك بخير مأمور به ، وأنّهاك عن شيء منهني عنه .

أمرك بعبادة الله ، وأنّهاك عن عبادة الشيطان ، فان في عبادة الله الجنة ، وفي عبادة الشيطان النار ، فان قبلت نلت ما رجوت وآمنت ما خفت ، وان ابيت فيينا وبينك كشف الغطاء وهو المطّلع .

كانت ملامح ملك اليمامة المتغيرة المتأثرة توحى بحسن تأثير كلمات سليط سفير النبي في نفس ذلك الملك ، ولهذا طلب من سليط أن يمهلّه مدة حتى يفكر في أمر النبي ودعوته ، وكان من الملوك العقلاء .

وصادف أن قدم اليمامة عليه في ذلك اليوم اسقف كبير من كبار أساقفة الروم ، فتحدث معه « هودّة » في قضية النبي ، ودعوته ، وإليك ما دار بينهما من الحوار .

قال هودّة للاسقف : جاءني كتاب من النبي يدعوني إلى الإسلام فلم اجبه .  
فقال الاسقف : لم لا تجيبه .

قال هودّة : ضننت بديني وأنا أملك قومي ، ولكن اتبعته لا أملك .

قال : بلى والله لعن اتبعته ليملّكنك ، وان الخير لك في اتباعه ، وأنه للنبيّ العربيّ الذي بشّر بن عيسى بن مريم عليها السلام . وانه لمكتوب عندنا في الانجيل : محمّد رسول الله .

فتركت نصيحة الاسقف وكلماته أثرا عميقا وقويا في نفس ملك اليمامة « هودّة »

فاستدعى سفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكتب إلى النبي صلى الله

---

(١) يقصد أنّه سوده كسرى وهو في النار .



عليه وآله كتابا هذا نصه : « ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل إليّ بعض الأمر اتبعك ( أي أنه كان يطلب أن يجعله النبي خليفة له من بعده ) .

ولم يكتف « هودّة » بهذا بل بعث وفدا إلى رسول الله ﷺ بزعامة « مجاعة بن مرارة » ليبلغ إلى النبي ﷺ رسالته ويقول له ﷺ : ان جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره ، وإلاّ قصد حربه .

فلما قدم الرسول على رسول الله ﷺ وأخبره بما جرى وقرأ الكتاب على النبي ﷺ قال : « لا ولا كرامة ، لو سألني سيابة من الارض ما فعلت اللهم اكفنيه » (١) .

### رسائل اخرى لرسول الله ﷺ :

هذا وان الرسائل والكتب التي بعثها رسول الله لغير من ذكرناه من القادة والزعماء والشخصيات الدينية والسياسية أكثر من ما أدرجناه هنا ، وقد استطاع العلماء المحققون أن يجمعوا ويثبتوا في كتب خاصة صورة ٢٩ رسالة من رسائل الدعوة الى الاسلام التي بعثها رسول الله ﷺ تركنا إدراجها هنا رعاية للاختصار (٢) .

---

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢٥٤ ، الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ١٤٦ ، الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٦٢ وسيابة من الأرض أي قطعة من الأرض .

(٢) راجع مكاتيب الرسول للعلامة الاحمدي ، وغيره من المؤلفات في هذا المجال .

## قلعة خيبر

### أو بؤرة الخطر

يوم طلع نجم الاسلام في أرض المدينة حقدت اليهود على رسول الله ، والمسلمين أكثر من قريش ، وعملت بمختلف الطرق والحيل من اجل القضاء على الاسلام والإيقاع برسول الله ﷺ وأصحابه.

ولقد ابتلي يهود المدينة وما حولها بمصير سيئ نتيجة أعمالهم وتصرفاتهم السيئة ، فقتل فريق منهم ، واجلي آخرون مثل قبيلة بني قينقاع وبني النضير من أرض المدينة فسكنوا « خيبر » و « وادي القرى » أو نزلوا باذرعات الشام.

وكانت خيبر منطقة واسعة وخصبة تقع على بعد اثنين وثلاثين فرسخا من المدينة كان قد سكنها اليهود قبل بعثة النبي ﷺ وبنوا فيها سبع قلاع وحصون قوية لتحصنهم وتحفظهم.

وحيث إن التربة والمناخ في تلك المنطقة كانت قد جعلت من تلك المنطقة مكانا جيدا وصالحا للزراعة جدا ، لذلك كان سكانها اليهود قد حصلوا على مهارة كبرى في امور الزراعة وجمع الثروات ، وتهيئة وسائل الدفاع والقتال ، وإعداد السلاح والقوة.

وكان عدد نفوسها يقارب عشرين الف نسمة بينهم عدد كبير من المقاتلين الشجعان <sup>(١)</sup>.

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣٦ ، تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٤٦ .

إن أكبر ذنب اقترفه يهود « خيبر » هو أنهم شجّعوا جميع القبائل العربية على محاربة الحكومة الإسلامية والقضاء عليها ، واستطاع جيش الأحزاب المشرك بمساعدة يهود « خيبر » أن يتحركوا في يوم واحد من مختلف مناطق الجزيرة العربية لاجتياح المدينة واستئصال المسلمين في أكبر تحالف عسكري واتحاد نظامي من نوعه في ذلك العصر كما سبق وأن عرفت في قصة « معركة الأحزاب » ولكن هذا الجيش المعتدي الظالم تغير بفعل تدابير رسول الإسلام الحكيمة وأصحابه بعد شهر من الانتظار خلف الخندق ، وتقهقر وعادت أحزابه ومن جملتهم يهود خيبر متشتتة متفرقة إلى أوطانها تجرّ أذيال الخيبة والخسران ، واستعادت عاصمة الإسلام استقرارها وأمنها.

إن خيانة ، وخبائثة ولؤم يهود خيبر حملت رسول الله ﷺ على أن يقضي على بؤرة المؤامرة ومركز الفساد والخطر هذا ، وأن يجرد سكانها جميعا من السلاح ، لأنه كان يخشى أن يعود هذا الشعب المعاند الخبيث . ببذل الأموال الطائلة . إلى تأليب العرب الوثنيين مرة أخرى ضد المسلمين ويعيدوا قصة الأحزاب مرة أخرى. وخاصة أن تعصب اليهود لدينهم ومعتقدهم كان أشدّ من تعصب قريش للوثنية ، ولهذا التعصب كان يسلم ألف مشرك وثني ولا يدع يهودي واحد دينه ، ومعتقده!!

ثم إن عاملا آخر حمل رسول الله ﷺ على تحطيم قدرة الخبيرين وشوكتهم ، وانتزاع السلاح منهم ورصد تحركاتهم بواسطة فرسانه ورجاله ، أنه راسل الملوك والسلاطين ، ودعاهم جميعا وبشكل قوي الى الاسلام ، فلم يكن من المستبعد أن يستغل « كسرى » و « قيصر » يهود خيبر فيتعاونوا جميعا للقضاء على الاسلام والنهضة الإسلامية في مهدها ، أو تحرك اليهود ذينك الملكين ضد الاسلام كما حركت من قبل المشركين ضد هذا الدين ، وتسببت في وقوع مشاكل.

خاصة أن الشعب اليهودي كان ضليعا في الحروب التي دارت بين الروم

والفرس في تلك العصور ، وكان اليهود يتعاونون مع أحد الطرفين.  
من هنا رأى رسول الله ﷺ ان من الحكمة بل ومن الضرورة بمكان أن يطفى شرارة  
الخطر هذه إلى الأبد.

وكانت هذه الفرصة أفضل الفرص لهذا العمل ، لأنّ بال النبيّ كان قد فرغ من ناحية  
الجنوب ( أي قريش ) بعد صلح الحديبية ، وكان يعلم أنه لو أقدم على عمل ضد اليهود لم  
تمتد يد من جانب قريش لمساعدتهم ، ولكي يمنع من وصول أيّة مساعدات وامدادات لهم  
من ناحية قبائل الشمال مثل « غطفان » الذين كانوا أصدقاء ليهود خيبر والمتعاونين معهم  
في معركة « الأحزاب » نفذ رسول الله ﷺ وسلم خطة سيأتي تفصيلها مستقبلا .  
لهذه الاسباب والعوامل والاعتبارات أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالتهيؤ لغزو خيبر  
آخر مركز من مراكز اليهود في الجزيرة العربية. وقال :

« لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد أما الغنيمة فلا » .

ثم إن رسول الله ﷺ استخلف على المدينة « نخيلة بن عبد الله الليثي » ، ودفع راية  
بيضاء الى « علي بن أبي طالب » وأمر بالتوجه إلى خيبر ، ولكي تسرع الابل في  
سيرها اذن لعامر بن الاكوع أن يحدو بالابل لان الابل تستحثّ بالحداء ، فأخذ يرتجز قائلا  
:

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا  
إننا إذا قوم بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أئينا  
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا  
وقد عكست هذه الأبيات الجميلة جانبا من هدف هذه الغزوة ، فهي تفيد أن اليهود  
ظلمونا ، وأشعلوا نيران الفتنة وقد خرجنا لاطفائها ، وتحملنا في سبيل ذلك عناء هذا  
السفر .

ولقد سر رسول الله ﷺ بمضامين هذه الابيات فدعا لابن الاكوع ، وقال : « يرحمك  
الله » وقد استشهد ابن الاكوع هذا في هذه الغزوة .

هذا وقد كان رسول الله ﷺ يراعي مبدأ الاستتار في جميع تحركاته العسكرية ، فقد كان يحب أن لا يعرف العدو بمسيره ومقصده حتى يفاجئ العدو ويباغته ، ويحاصره قبل أن يستطيع فعل شيء ، هذا مضافا إلى ناحية اخرى وهي أن يظن حلفاء العدو الذي يقصده بأنه يقصدهم ويسير إليهم ، فيغلقوا على أنفسهم أبواب منازلهم ولا ينضم بعضهم الى بعض .

وربما تصوّر البعض في هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ يقصد منطقة الشمال ( شمال المدينة ) لتأديب قبائل غطفان وفزارة الذين تعاونوا مع اليهود في معركة الاحزاب ، لما وجدوه متوجها نحو الشمال .

ولكنه عند ما وصل إلى منطقة « الرجيع » عرج بجيشه صوب « خيبر » وبهذا قطع الطريق على أية إمدادات عسكرية من ناحية الشمال إلى خيبر ، بقطع خطّ الارتباط بين قبائل غطفان وفزارة ويهود خيبر ، فمع ان حصار خيبر طال مدة شهر واحد تقريبا لم تستطع القبائل المذكورة ان تمد حلفاءها اليهود بأي شيء (١) .

ولقد خرج مع رسول الله ﷺ الى خيبر ما يقرب من ألف وستمائة مقاتل ، بينهم مائتا فارس (٢) .

وعند ما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر قرأ الدعاء التالي الذي يكشف عن نيته الحسنة :

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٣٠ .

(٢) الامالى للطوسي : ص ١٦٤ ، يذهب ابن هشام في سيرته : ج ٢ ص ٣٢٨ إلى ان خروج النبي ﷺ إلى خيبر كان في المحرم ، وبينما ذهب ابن سعد في الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٧٧ إلى انه كان في جمادى الثانية من السنة السابعة ، وحيث ان ارسال الرسل الى الملوك والامراء تم في شهر محرم من هذه السنة ذاتها لذلك يكون الرأي الثاني أقرب إلى الصحة ، وخاصة أن مهاجري حبشة التحقوا برسول الله ﷺ في خيبر بعد وصول رسالة النبي ﷺ إلى النحاشي بوساطة « عمرو بن أمية » لان ذهاب رسول النبي ﷺ إلى الحبشة وعودته مع المهاجرين الى المدينة ثم خيبر بحاجة إلى زمان ، وحيث ان توجه الرسل والسفراء كان في شهر محرم لذلك يجب ان يكون قتال الخيبريين في الاشهر التالية .

اللهم رب السماوات وما اظللن

ورب الارضين وما اقللن

ورب الشياطين وما اضللن

ورب الرياح وما أذرين

فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها

وشر ما فيها .»

إن هذا الدعاء وما رافقها من حالة التضرع ، وذلك أمام أعين ألف وستمائة من الجنود الشجعان الذين كان كل واحد منهم شعلة متقدة من الشوق الى القتال في سبيل الله يكشف عن أن النبي ﷺ لم يكن يهدف من مسيره إلى هذه الأرض الاستعمار أو الانتقام بل جاء من أجل ان يقضي على بؤرة الخطر التي كان من المحتمل أن يتحول في كل لحظة إلى قاعدة انطلاق للمشركين الوثنيين ، حتى لا تهدد النهضة الاسلامية من هذه الناحية فيما بعد.

وسترى أنت أيها القارئ الكريم كيف أن رسول الله ﷺ بعد فتح القلاع والحصون اليهودية ، وانتزاع السلاح من سكانها المتآمرين المشاغبين فوض إليهم اراضيهم ، واكتفى منهم بأخذ الجزية في مقابل المحافظة على أموالهم وأنفسهم ، وبعد أن ربطهم بمعاهدة قوية ملزمة.

### احتلال النقاط والطرق الحساسة ليلا :

كان لكل حصن من حصون خيبر السبعة اسم خاص يعرف به فهي عبارة عن : « ناعم » و « القموص » و « الكتيبة » و « النطاة » ، و « شق » و « سطح » ، و « سلام » ، وربما سُمي بعض هذه الحصون باسم زعيم الحصن وسيده ، مثل حصن مرحب . كما أنه كانوا قد بنوا عند كل حصن من تلك الحصون برجاً للمراقبة ، ولرصد كل التحركات خارج الحصن ، ولأجل أن ينقل الحراس والمراقبون المستقرون في هذه الأبراج الأخبار إلى داخل الحصن.

وقد كانت تلك البروج والحصون قد شيدت بحيث يسيطر سكانها على خارج الحصن سيطرة كاملة وكانوا يستطيعون . عن طريق المجانيق <sup>(١)</sup> وغيرها من آلات الرمي . إبعاد أي عدو ، وافشال أية محاولة للاقتراب الى الحصن ، وذلك برميهِ بالاحجار وما شابهها . وقد كان بين سكان هذه الحصون البالغ عددهم عشرين ألفا ، ألفان من الفرسان الشجعان والصناديد الابطال الذين توفرت لهم كل ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب ، والذين اعدت لهم في المخازن كل ما يحتاجون إليه من الاسلحة والعتاد . وكانت هذه الحصون من الإحكام والقوة بحيث كان من المستحيل إحداث أية ثغرة في حيطانها أيضا ، ومن أراد الاقتراب إليها رمي بالاحجار فجرح بها أو قتل ، فكانت تعدّ هذه الحصون . في الحقيقة . متاريس قوية لمقاتلي اليهود .

لقد واجه المسلمون في هذه الغزوة مثل هذا العدو المسلح ، المتمنع بمثل هذه المتاريس القوية ، فكان لا بدّ لفتح هذه القلاع من استخدام تكتيك عسكري دقيق . ولهذا فان أوّ عمل قام به رسول الله ﷺ وأصحابه في هذا السبيل هو احتلال كل النقاط والطرق الحساسة ليلا .

وقد تم هذا العمل بسرية وسرعة بالغة جدا بحيث لم يعرف به حتى مراقبو الابراج اليقظون أيضا .

ولما كان صبيحة تلك الليلة خرج عمّال خيبر غادين إلى مزارعهم وبساتينهم وهم يحملون مساحيهم ومكاتيلهم واذا بهم يفاجئون بجنود الاسلام الابطال وقد احتلوا بقوة الايمان جميع النقاط الحساسة وسدّوا جميع الطرق عليهم بحيث لو قدّموا شبرا لقبض عليهم ، فأفزعهم ذلك وخافوا خوفا شديدا ، فأدبروا

---

(١) وهي أجهزة حديدية بدائية تقذف الحجر او الحديد .

هرابا وهم يقولون : محمد الجيش معه. وبادروا فوراً إلى إغلاق أبواب الحصون وإحكامها ،  
وعقدوا شورى عسكرية في داخل حصنهم المركزي.

وعند ما رأى رسول الله ﷺ مساحي اليهود ومكاتيلهم وغيرها من أدوات الهدم قال  
متفائلاً :

« الله أكبر خربت خيبر أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .  
وكانت نتيجة الشورى العسكرية اليهودية في هذه الغزوة هي أن يجعلوا الأطفال والنساء  
في أحد الحصون ، ويجعلوا الذخيرة من الطعام في حصن آخر ، ويستقر المقاتلون الشجعان  
على الأبراج ويدافعوا عن كل قلعة وحصن بالأحجار ، ويخرج الأبطال الصناديد من كل  
حصن ويقاتلوا المسلمين خارجة .

كانت هذه هي خطة اليهود لمواجهة جنود الاسلام ، وقد أصروا على تنفيذها حتى آخر  
لحظة من القتال ولهذا استطاعوا أن يقاوموا في وجه الجيش الاسلامي مدة شهر واحد تقريباً  
بحيث كانت محاولة فتح كل حصن من تلك الحصون تستغرق عشرة أيام دون نتيجة .

#### متاريس اليهود تنهاوى :

كانت هناك نقطة لا تحظى بأهمية تذكر من الناحية العسكرية وكان مقاتلو اليهود  
يسيطرون عليها سيطرة كاملة ، ولم يكن فيها أي مانع من استهداف مخيم المسلمين ورميها  
من جانب العدو .

ولهذا جاء أحد المقاتلين المسلمين الى رسول الله ﷺ وهو « محمد بن مسلمة » وقال  
له :

يا رسول الله صلى الله عليك ، إنك نزلت منزلك هذا فان كان عن أمر ( الهى ) امرت  
به فلا تتكلم فيه ، وان كان الرأي تكلمنا؟ يا رسول الله دنوت من الحصن ، وإن أهل النطاة  
مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم فتحبوا يا رسول الله الى موضع بريء من النخل  
والبناء حتى لا ينالنا نبلهم .



فقال رسول الله ﷺ وهو يراعي واحدا من مبادئ الاسلام العظيمة ( الشورى ) واحترام الآخرين : « بل هو الرأي ، انظر لنا منزلا بعيدا من حصونهم ، بريئا من الوباء نأمن فيه بياتهم » ، فطاف محمد حتى انتهى إلى الرجيع ( وهو واد بقرب خيبر ) ثم رجع الى النبي ﷺ ليلا فقال : وجدت لك منزلا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحولت خيمة القيادة عند المساء إلى ذلك المكان الاكثر أمانا من بيات اليهود وغدرهم فكان النبي يغدو كل يوم فيقاتل أهل النظاة يومه إلى الليل ثم إذا أمسى رجع الى الرجيع حيث غرفة القيادة ، وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الليل في مقامه بالرجيع سبعة أيام<sup>(١)</sup> .

على أنه لا يمكن البت في تفاصيل واقعة خيبر ولكن الاستفادة من المصادر التاريخية هو أن جنود الاسلام حاصروا القلاع والحصون حصنا تلو حصن ، وحاولوا قطع ارتباط الحصن المحاصر ببقية الحصون تم فتحه ، ثم محاصرة حصن آخر .

ولقد تم فتح هذه الحصون ببطء لأنها كانت مرتبطة ببعضها بارتباط سري ، أو كان المقاتلون يدافعون عنها دفاعا مستميتا ، ولكن الحصون التي كان الرعب والخوف يسيطر على مقاتليها وحراسها ، أو التي ينقطع ارتباطها بالخارج بصورة كاملة كان يتم السيطرة عليها بسهولة ، وتسفك فيها دماء أقل ، ويتقدم العمل فيها بسرعة أكبر .

وان أول حصن فتح على أيدي المسلمين بعد شيء كبير من الجهد . كما يذهب إليه جمع من المؤرخين . هو حصن « ناعم » . ولقد استشهد في فتح هذا الحصن أحد المقاتلين المسلمين البارزين ، يدعى « محمود بن مسلمة » الانصارى ، وجرح خمسون رجلا من مقاتلي الإسلام ، فقد استشهد الفارس المذكور بعد أن رماه اليهود بصخرة كبيرة من فوق الحصن فقتل من فوره ، وقيل إنه توفي بعد ثلاثة أيام . حسب رواية ابن الاثير في اسد الغابة<sup>(٢)</sup> ونقل الجرحى الخمسون إلى

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣٩ .

(٢) اسد الغابة : ج ٤ ص ٣٣٤ .

منطقة اخرى من المعسكر خصصت لغرض التضميد<sup>(١)</sup> ، كما انه سمح لبعض نساء بني غفار بأن يأتين الى « خيبر » لمساعدة المسلمين وتضميد الجرحى وتقديم غير ذلك من الخدمات التي يليق بمن في المعسكر ، وقد أظهرت تلك النسوة من أنفسهن تفانيا ، وتضحية عجيبة<sup>(٢)</sup> .

ولقد رأت الشورى العسكرية الاسلامية أن يعمد المقاتلون المسلمون . بعد فتح حصن « ناعم » إلى فتح حصن « القموص » الذي كان يرأسه أبناء « أبي الحقيق » ، ولقد فتح هذا الحصن بفضل تفاني جنود الاسلام ، وأسرت منه « صفية بنت حيي بن أخطب » التي صارت فيما بعد من زوجات رسول الله ﷺ .

ولقد قبح هذان الانتصاران العظيمان معنوية الجنود المسلمين وألقى رعبا شديدا في نفوس اليهود ولكن المسلمين وقعوا في مخمصة شديدة بسبب قلّة المواد الغذائية بحيث اضطروا إلى أن يأكلوا من بعض الانعام المكروهة اللحم ، وقد كان هناك بين حصون اليهود حصن مملوء طعاما الا أن المسلمين لم يظفروا به حتى ذلك الحين.

#### التقوى في ظروف المخمصة الشديدة :

في مثل هذه الحالة التي كان قد استولى فيها جوع شديد على المسلمين ، اضطروا معه إلى تناول لحوم ماكره أكله من الأنعام أتى رسول الله ﷺ راع أجير لليهود يرعى لهم غنمهم ، ورسول الله محاصر لبعض حصون خيبر فقال : يا رسول الله اعرض عليّ الاسلام ، فعرضه عليه ، فأسلم ، وكان رسول الله لا يحقّر أحدا أن يدعوه إلى الاسلام ويعرضه عليه . فلما أسلم قال : يا رسول الله اني كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم وهي أمانة عندي فكيف أصنع بها؟ فقال له رسول الله

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٤٠ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٣ ص ٣٤٢ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أمام عيون المئات من جنوده الجياع :

« أخرجها من العسكر ثم صح بها وارمها بحصيات فإن الله عز وجل سيؤدّي عنك أمانتك » .

ففعّل الراعي ما أمره به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخرجت الغنم إلى صاحبها حتى دخلت الحصن كأنّ سائقا يسوقها ، وقد قاتل ذلك اليهودي إلى جانب المسلمين حتى استشهد (١) .  
أجل لم يكتسب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقب « الامين » من قومه في فترة شبابه فقط بل كان أمينا في جميع الحالات والظروف وهو القائل :

« ما من شيء كان في الجاهلية إلّا هو تحت قدمي إلا الامانة فانها مؤداة إلى البر والفاجر » (٢) ، وقد بقي تردد القطعان حرا طوال مدة الحصار ولم يفكر ولا واحد من المسلمين بأخذ غنم منها لأنهم تعلّموا الأمانة والتقوى والصدق والورع من معلّمهم الاكبر « محمّد » الصادق الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

نعم غلب الجوع الشديد على العسكر ذات يوم حتى كادوا أن يهلكوا فأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن تؤخذ شاتان من غنم اليهود اضطرارا ، واطلق البقية لتدخل الحصن بامان (٣) ، ولو لا ذلك الاضطرار الذي يباح معه المحذور بقدره لما سمح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك ، ولما رأى جوع أصحابه وتضوّهم من شتّى السغب دعا قائلا :  
« اللهم انك قد عرفت حالهم وان ليست بهم قوة ، وان ليس بيدي شيء اعطهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء ، وأكثرها طعاما » (٤) .

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ . امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣١٢ . ٣١٣ .

(٢) مجمع البيان : عند تفسير قول الله تعالى : « وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ لِيُتَأَمَّنَهُ ... » .

(٣) السيرة النبوية : ج ١ ص ٣٣٥ . ٣٣٦ .

(٤) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٢٢ .

ولم يكن يأذن لاحد من المسلمين بأن يأخذ شيئاً من اموال الناس ابداً. في ضوء كل هذا تتضح دسائس جماعة من المستشرقين في تاريخنا المعاصر فهم يصرون على القول بأن غزوات الاسلام ومعاركه كانت للإغارة وجمع الغنائم ومصادرة الأموال والسيطرة عليها وان جنوده لم يكونوا يتقيدون خلال تلك المعارك بمبادئ العدالة والامانة ، وذلك كيد منهم للاسلام ، ومحاولة بغیضة للحط من قيمة الاهداف الاسلامية العليا ، وتشويهها.

ولكن النموذج المذكور هنا ، وأمثاله مما يعدّ بالعشرات في صفحات التاريخ الاسلامي تشهد بكذبهم ، فإن النبي ﷺ لم يأذن وهو في أشد الظروف وأصعبها وحنوده الأوفياء قد غلبهم الجوع ودنوا من الهلاك ، بأن يخون راع في أغنام كان يرعاها ليهودي ، بل أمره بردها إلى صاحبه وهو في قتال مع اليهود على حين كان يمكنه مصادرتها جملة واحدة.

### فتح الحصون الواحد تلو الآخر :

بعد فتح القلاع المذكورة حمل جنود الإسلام على حصن الوطيح ، وسلام ، ولكنهم واجهوا مقاومة عنيفة من اليهود الذين كانوا يدافعون عنها خارجها ، من هنا لم يستطع جنود الاسلام الأبطال رغم كل التضحيات التي ذكرها كاتب السيرة المعروف ابن هشام في موضع خاص من سيرته . ان يحرزوا انتصارا بل ظلوا يجالدون مقاتلي اليهود أكثر من عشرة أيام ، ولكنهم كانوا يعودون في كل يوم إلى مقرّهم من دون نتيجة.

وذاذ يوم بعث رسول الله ﷺ أبا بكر واعطاه رايته البيضاء على رأس جماعة من المقاتلين المسلمين لفتح بعض حصون خيبر ، ولكنه رجع ولم يكن فتح وكل من الامير والجنود يلقي باللوم على الآخر ، ويتهمه بالجن والفرار.

فبعث رسول الله ﷺ في يوم آخر « عمر بن الخطاب » على

رأس جماعة اخرى فكان كرفيقه إذ رجع ولم يحقق فتحاً ، بل عاد . حسب ما يروي الطبري .  
(١) فرعا مرعوباً وهو يصف شجاعة مرحب وقوته البالغة ، فأغضب هذا العمل رسول الله  
ﷺ وفرسان الاسلام الابطال وقادة الجيش الاسلامي ، فجمع رسول الله ﷺ صناديد جيشه  
وقال :

« لاعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح على يديه ليس بفرار  
« أو : « كزار غير فرار » حسب نقل الطبري والحلي (٢) .  
وقد أثار هذه الجملة الخالدة الحاكية عن فضيلة وشجاعة وتفوق ذلك الفارس الذي  
قدر أن يكون الفتح على يديه وتميظه المعنوي على غيره موجة من الفرح الممزوج بالاضطراب  
بين أفراد الجيش وقادته الشجعان .  
فقد بات كل واحد منهم يتمنى أن يكون هو صاحب هذا النوط الخالد والعظيم ، وان  
تصيب القرعة اسمه .

ولما بلغ علياً عليه السلام مقالة النبي ﷺ هذه وهو في خيمته قال :

« اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت » (٣) .

غطى ظلام الليل كل مكان ، وذهب جنود الاسلام إلى أماكن نومهم ، وبينما بقي  
الحراس يتحارسون طوال الليل ، ويرصدون أوضاع العدو الغادر

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٣٠٠ .

(٢) مجمع البيان : ج ٩ ص ١٢٠ ، السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٣٧ ، السيرة النبوية : ج ٣ ص ٣٣٤ أمتاع  
الاسماع : ج ١ ص ٣١٤ ولقد انزعج المؤرخ الاسلامي المعروف ابن أبي الحديد من فرار هاتين الشخصيتين فقال  
في ضمن قصيدة له :

وما أنس لا أنس اللبذين تقدما      وفرهما والفر قد علما حوب  
وللراية العظمى وقد ذهباً بها      ملابس ذل فوقها وجلابيب  
يشلها من آل موسى شمر دل      طويل نجاد السيف أجيدي يعيوب

( الغدير : ج ٧ ص ٢٠١ اقتباساً من القصائد العلويات ) .

(٣) السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٣٥ .

وتحركاته.

وعند الصباح ومع طلوع الشمس التي شقت بأشعتها رداء الظلام ، وأضاءت السهل والجبل ، تجتمع قادة الجيش الاسلامي وصناديده وأبطاله وغيرهم من الرجال وفيهم الاميران المنهزمان بالأمس حول رسول الله ﷺ وهم يريدون بشوق بالغ أن يعرفوا من سيعطيه الراية اليوم ، وقد تناول لها أبو بكر وعمر (١).

ولم يطل هذا الانتظار ، فقد كسر رسول الله ﷺ جدار الصمت هذا عند ما قال :  
« اين علي »؟!!

فقبل يا رسول الله به رمد ، وهو راقد بناحية.

فقال رسول الله ﷺ :

« ائتوني بعلي » (٢)

إن هذه العبارة تكشف عن أن ما أصاب عليا ؑ من الرمد كان من الشدة بحيث سلبه القدرة على المشي ، وعاقه عن الحركة.

فأمر رسول الله ﷺ يده الشريفة على عيني علي ؑ ودعا له بخير ، فعوفي من ساعته ، واستعادت عيناه ؑ سلامتها افضل مما كانت بحيث لم يرمد ؑ حتى آخر حياته بفضل تلك المسحة النبوية المباركة.

ثم دفع رسول الله ﷺ اللواء إلى علي ؑ ودعا له بالنصر كما أنه أمره بأن يبعث إلى اليهود قبل قتالهم من يدعو رؤساء الحصون الى الاسلام ، فإن أبوا اعتناق الاسلام أخرجهم بوظائفهم في ظل الحكومة الاسلامية وأن عليهم أن يسلموا أسلحتهم إلى الحكومة الاسلامية ، ويعيشوا بحرية وأمان

(١) هذه هي عبارة الطبري : ج ٢ ص ٣٠٠ ، كنز العمال : ج ٦ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٢٨ و ٢٩ ، تاريخ الخميس : ج ٢ ص ٤٩ .

تحت ظل هذه الحكومة شريطة أن يدفعوا الجزية (١).

وإذا رفضوا ذلك وهذا قاتلهم ، ثم قال لعلي الذي أوكل إليه قيادة تلك المجموعة :

« لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم » (٢).

أجل إن النبي الأكرم ﷺ يفكر في هداية الناس حتى في أشد لحظات الحرب ، وهذا يفيد بأن جميع حروب رسول الله ﷺ كانت لهداية الناس لا غير.

### الانتصار الكبير في خيبر :

عند ما كلف علي عياله من جانب النبي ﷺ بفتح قلعتي سلام والوطيح ( وهما الحصنان اللذان عجز عن فتحهما الأميران السابقان ووجهها بفرارهما ضربة لا تجبر إلى شرف الجيش الاسلامي ) ، ارتدى درعا قويا وحمل معه سيفه الخاص ذا الفقار وراح يهرول بشجاعة منقطعة النظير نحو القلعتين المذكورتين ، والجند خلفه ، حتى ركز الراية التي أعطاها له رسول الله ﷺ على الأرض تحت الحصن.

ولما رأى اليهود انه دنا من الحصن خرج إليه كبار صناديدهم.

وكان أول من خرج إليه أخو مرحب ويدعى « الحارث » فتقدم إلى علي وصوته يدوي في ساحة القتال بحيث تأخر من كان خلف علي من شدة الفزع (٣).

ولكن لم يمض زمان حتى سقط الحارث على الارض جثة هامدة بضربة قاضية من علي عياله .

(١) صحيح مسلم : ج ٥ ص ١٩٥ ، صحيح البخاري : ج ٥ ص ١٨ .

(٢) السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٣٧ .

(٣) امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣١٤ قال : فانكشف المسلمون وثبت علي .

فغضب مرحب بطل خيبر المعروف لمقتل أخيه الحارث وخرج من الحصن وهو غارق في السلاح ، فقد لبس درعا يمانيا ، ووضع على رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصة ، وتقدم الى علي عليه السلام كالفحل الصؤول يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب      شاكي السلاح بطل مجرب  
إن غلب الدهر فإني أغلب      والقرن عندي بالدماء مخضب<sup>(١)</sup>

فأجابه علي عليه السلام مرتجزا وقد أظهر للعدو شخصيته العسكرية في رجزه :  
أنا البذي ستمني أمي حيدرة      ضرغام آجام وليث قسورة  
عبل الذراعين غليظ القيصرة      كليث غابات كربه المنظرة  
وبعد أن انتهى الطرفان من إنشاد رجزهما تبادلوا الضربات بالسيوف والرماح ، فألقت قعقة السيوف وصوت الرماح رعبا عجيبا في قلوب المشاهدين ، وفجأة هبط سيف بطل الاسلام القاطع على المفرق من رأس « مرحب » بطل اليهود قد خوذته نصفين ونزلت على رأسه وشقته نصفين الى أسنانه!!

ولقد كانت هذه الضربة من القوة بحيث افرغت أكثر من خرج مع « مرحب » من أبطال اليهود وصناديدهم ففروا من فورهم ، ولجئوا إلى الحصن ، وبقي جماعة فقاتلوا عليا منازل فقاتلهم حتى قتلهم جميعا ، ثم لاحق الفارين منهم حتى باب الحصن ، فضربه عند الحصن رجل من اليهود فطاح ترسه من يده فتناول عليه السلام بابا كان على الحصن وانتزعه من مكانه ، فترس به عن نفسه فلم يزل ذلك الباب في يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه ثم القاه من يده حين فرغ ، وقد حاول ثمانية من أبطال الاسلام ومنهم أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقلبوا ذلك الباب أو يحركوه من مكانه فلم يقدروا على ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) يروى ابن هشام في سيرته أشعار مرحب بصورة اخرى : ج ٢ ص ٣٣٢.

(٢) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٩٤ ، سيرة ابن هشام : ج ٢ ص ٣٤٩ ، تاريخ الخميس : ج ٢ ص ٤٧ - ٥٠.



وهكذا فتحت القلعة التي عجز عن فتحها المسلمون عشرة أيام ، في مدة قصيرة على يد بطل الاسلام الأول « علي بن أبي طالب » عليه السلام .  
ويقول اليعقوبي في تاريخه : ان الباب الذي قلعه علي عليه السلام كان من الصخر وكان طوله أربعة اذرع وعرضه ذراعين <sup>(١)</sup> .

ويقول الشيخ المفيد في ارشاده بسند خاص عن امير المؤمنين قصة قلعه ذلك الباب :  
« لما عاجلت باب خيبر جعلته مجننا لي فقاتلتهم به ، فلما أحزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقا ثم رميت به في خندقهم ، ولما قال له رجل : لقد حملت منه ثقلا قال عليه السلام :

« ما كان إلا مثل جنني التي في يدي في غير ذلك المقام » <sup>(٢)</sup> .

وقد نقل المؤرخون قضايا عجيبة حول قلع باب خيبر هذا وخصوصياته ومواصفاته ، وعن بطولات علي عليه السلام في فتح هذا الحصن ، وجميعها لا تتمشى ولا تتيسر مع القدرة البشرية المتعارفة ، ولا يمكن أن تصدر منها .  
ويقول علي عليه السلام نفسه في هذا الصدد ما يرفع كل شك وإبهام قد يعترض المرء في هذا المجال :

« ما قلعتها بقوة بشرية ولكن قلعتها بقوة إلهية ونفس بلقاء ربها مطمئنة رضية » <sup>(٣)</sup> .

### تحريف الحقائق :

لو أننا أردنا أن نلتزم بحدود الحق والانصاف لوجب أن نقول ان « ابن هشام » في سيرته و « الطبري » في تاريخه ذكرا قصة مبارزة علي عليه السلام في يوم

(١) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ٤٦ .

(٢) الارشاد : ص ٦٢ - ٦٥ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٤٠ .

خير بصورة مفصلة ، ونقلوا تفاصيلها بصورة دقيقة ، ولكنهما ذكرا في نهاية بحثهما التاريخي قصة خيالية لا أساس لها وهي وان مرحبا قتل على يدي « محمد بن مسلمة » وقالوا : ويرى البعض أن مرحبا اليهودي قتله محمد بن مسلمة انتقاما لأخيه الذي قتل عند فتح حصن « ناعم » على أيدي اليهود ، فقد كلفه رسول الله ﷺ بقتال مرحب فبرز إليه ، فقتله .  
إن هذا الاحتمال من الوهن والبطلان بحيث لا يقاوم التاريخ الاسلامي المسلم والمتواتر ، هذا مضافا إلى أن هذه الاسطورة التاريخية تعاني من اشكالات ، ومؤاخذات نذكرها للقارئ الكريم :

١ . ان محمد بن مسلمة لم يكن بذلك الرجل الشجاع ، والبطل الصنديد الذي تؤهله شجاعته لأن يكون فاتح خيبر وقاتل بطلها الاكبر ، فإن التاريخ لا يذكر عنه نموذجاً بارزاً من بطولته وشجاعته ، إنما كلف في السنة الثالثة من جانب النبي ﷺ فقط بأن يغتال « كعب بن الاشرف » الذي حوّل المشركين والهزم ضد الاسلام والمسلمين بعد معركة بدر الكبرى ، وقد بقي ثلاثة أيام بلياليها لا يطعم شيئاً خوفاً ، فأنكر عليه رسول الله ﷺ خوفه وسأله عن سبب ذلك فقال : يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أفين به أم لا؟

فلما رأى رسول الله ﷺ منه ذلك أرسل معه أربعة رجال آخرين ليعينوه في هذه المهمة ، ويتخلصوا من « كعب » الذي كان يريد إعادة القتال بين المسلمين والمشركين .  
فخرجوا إليه في منتصف الليل وقتلوا عدو الله كعباً وفق خطة خاصة ولكن « محمد بن مسلمة » جرح أحد رفاقه من شدة الخوف والوحشة التي أصابته ، ولا شك أن صاحب مثل هذه النفسية لا يمكنه أن يبارز صناديد « خيبر » المعروفين وينازلهم .

٢ . ان فاتح « خيبر » لم يقاتل مرحبا ويقتله وحده ، بل قاتل بعد مصرع مرحب من كانوا قد جاءوا معه إلى ساحة القتال من شجعان اليهود فلاحق

الفارّين ، ونازل الذين بقوا ولم يفرّوا.

وإليك أسماء من بقوا في ساحة القتال وقاتلوا علياً عليه السلام بعد قتله مرحباً :

١ . داود بن قابوس .

٢ . ربيع ابن أبي الحقيق .

٣ . أبو البائت .

٤ . مرة بن مروان .

٥ . ياسر الخيبري .

٦ . ضحيج الخيبري .

وكل هؤلاء كانوا من صناديد اليهود وابطالهم ، وكانوا يقاتلون خارج حصن خيبر ويمنعون من أية محاولة لفتح قلاع اليهود في هذه الواقعة .

إن هؤلاء الستة قتلوا على يد علي بن أبي طالب عليه السلام وهم يرتجزون في ساحة القتال ويطلبون المبارز والمناجز <sup>(١)</sup> .

فمن يكون والحال هذه فاتح « خيبر » وقاتل مرحب؟

إذا كان « محمد بن مسلمة » فإنه لا يمكن أن يعود بعد قتل مرحب إلى معسكر المسلمين ويتجاهل اولئك الأبطال خلف مرحب بل لا بد أن يقاتلهم ، في حين اتفقت كل السير والتواريخ على أن هؤلاء قتلوا جميعاً على يد علي بن أبي طالب عليه السلام .

٣ . ان هذه الاسطورة التاريخية تتناقى مع الحديث المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه قال في حق علي عليه السلام : « يفتح الله على يديه » مع العلم بأن المانع الاكبر من فتح خيبر كان هو مرحب الذي أجبرت شجاعته الأميرين السابقين على الفرار ، فاذا كان قاتل مرحب هو

---

(١) ناسخ التواريخ : ج ٢ ص ٢٨٢ . ٢٨٦ .

« محمد بن مسلمة » لزم أن يقول رسول الله ﷺ جملة هذه في حق « محمد بن مسلمة » لا في حق « علي » عليه السلام الذي أعطاه الراية بعد أن قال تلك الجملة : « يفتح الله علي يديه ».

يقول الحلبي كاتب السيرة المعروف : قيل : القاتل له ( اي لمرحب ) علي كرم الله وجهه وبه جزم مسلم ﷺ في صحيحه. قال بعضهم : والاحبار متواترة به وقال ابن الاثير : الصحيح الذي عليه أهل السير والحديث أن عليا قاتله كرم الله وجهه <sup>(١)</sup>.

ولقد وقع الطبري في تاريخه ، وابن هشام في سيرته في شيء من الاضطراب والفوضى وكتبا قصة هزيمة ورجوع الرجلين اللذين كلّفا قبل علي عليه السلام بفتح قلاع اليهود بصورة لا تتفق مع مفهوم الجملة التي قالها رسول الله ﷺ في حق علي عليه السلام .

فقد قال رسول الله ﷺ في حقه : « وليس بفرّ » <sup>(٢)</sup> يعني أن الذي سوف يعطيه الراية لا يفر أبدا ، ومفهوم هذه الجملة هو أن عليا عليه السلام لا يفر ولا يجبن أمام العدو كما فر القائدان السابقان ، وهذا يعني أن القائدين السابقين فرّا أمام العدو ، وأخليا الساحة ، في حين أن الكاتبين المذكورين لا يذكران مسألة فرار القائدين المذكورين ، وإنما يكتبان رجوعهما كما لو أنهما قد أدّيا وظيفتهما القتالية والعسكرية على الوجه الكامل ، ولكنهما لم يوفقا للفتح <sup>(٣)</sup>.

### ثلاث نقاط مشرقة في حياة علي عليه السلام :

ونختم هذا البحث بذكر ثلاث فضائل لفاتح خيبر ذكرها أحد خصومه لها ارتباط بموقفه

عليه السلام في خيبر :

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣٨ ، وراجع زاد المعاد : ج ٢ ص ١٣٤ و ١٣٥ .

(٢) المغازي : ج ٢ ص ٦٥٣ .

(٣) السيرة النبوية : ج ٣ ص ٣٤٩ .

أمر معاوية سعد بن أبي وقاص يوماً فقال : ما منعك ان تسب أبا التراب؟  
فقال : أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبّه لأن تكون لي واحدة  
منهن أحب إلي من حمر النعم.

ثم أخذ سعد في عد تلك المناقب فقال :

١ . سمعت رسول الله صلى الله عليه [ وآله ] وسلّم يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال  
له علي : يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟  
فقال له رسول الله صلى الله عليه [ وآله ] وسلّم.  
« أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبوة بعدي » <sup>(١)</sup>.

٢ . وسمعته يقول يوم خيبر :

لاعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال فتناولنا لها فقال : ادعوا لي  
علياً. فاتي به أرمد فبصق في عينه ، ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه <sup>(٢)</sup>.

٣ . ولما نزلت هذه الآية « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا  
وأنفسكم ثم نبتهل ... » دعا رسول الله صلى الله عليه [ وآله ] وسلّم عليّاً وفاطمة وحسنا  
وحسيناً فقال :

« اللهم هؤلاء أهل بيتي » <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

### عوامل الانتصار :

فتحت حصون « خيبر » ، واستسلم اليهود للمسلمين بشروط خاصة ، ولكن يجب أن  
نرى ما هي العوامل التي ادت إلى هذا الانتصار ، فهذا هو في الحقيقة

---

(١) وهي اشارة إلى واقعة تبوك.

(٢) وهي اشارة إلى واقعة خيبر.

(٣) وهي اشارة إلى قصة مباهلة النبي نصارى بجران.

(٤) صحيح مسلم : ج ٧ ص ١٢٠.

النقاط الهامة في هذا القسم.

إن انتصار المسلمين الساحق في هذه الغزوة يعود إلى عوامل يمكن الإشارة إليها على نحو الاجمال ثم شرحها بالتفصيل في ما بعد.

١ . التخطيط العسكري والتكتيك الحربي الدقيق.

٢ . تحصيل المعلومات ومعرفة أسرار العدو الداخلية.

٣ . تفاني الامام علي بن أبي طالب ، وبطولته النادرة. وهنا نحن ندرس هذه الامور

الثلاثة على وجه التفصيل :

### ١ . التخطيط والتكتيك العسكري الدقيق :

لقد هبط الجيش الاسلامي في منطقة قطع بها المسلمون ارتباط اليهود باصدقائهم القدامى (قبائل غطفان).

وقد كان بين قبائل غطفان فرسان كثيرون ، ولو استطاعوا أن يعينوا اليهود في هذه الموقعة لما أمكن فتح حصون خيبر.

فان « غطفان » لما سمعت بمسير رسول الله ﷺ إلى خيبر خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، ولكنهم ما أن سمعوا الشائعة التي مفادها أن أصحاب محمد قد قصدوهم من طريق آخر ظنوا أنهم سيهاجمون أموالهم وأهليهم فرجعوا من منتصف الطريق على أعقابهم ، وأقاموا في أهليهم وأموالهم وحلّوا بين رسول الله ﷺ وبين « خيبر ».

يقول المؤرخون : إن هذه الشائعة كانت نتيجة نداء غيبي سمعه رجال غطفان فظنوا أن المسلمين داهموا أهليهم (١) ولكنه ليس من المستبعد أن تكون هذه الشائعة من فعل المسلمين المتستترين من قبائل غطفان ، والذين امرؤا بأن يتظاهروا بالكفر ، ويبقوا في قبائلهم حتى يعينوا إخوانهم المسلمين في اللحظات

---

(١) المغازي : ج ٢ ص ٦٥١ . ٦٥٣ .

المناسبة.

فخططوا لهذه الموقعة بمهارة كبيرة وكانوا في ذلك ناجحين جدا الى درجة أنه تسبب في أن تعدل إمدادات غطفان العسكرية لليهود من مواصلة مسيرها إلى « خيبر » ، والعودة إلى أهلهم وترك اليهود وشأنهم.

وقد سبق لهذا نظير في معركة « الاحزاب » يوم امتنعت قبائل غطفان عن نصره اليهود بسبب شائعة بثها بينهم رجل من المسلمين من بني غطفان يدعى « نعيم بن مسعود » ، وتفرق على أثره جماعة الاحزاب ، وانفرط عقدهم.

## ٢ . تحصيل المعلومات حول العدو :

لقد كان رسول الله ﷺ كما أسلفنا مرارا يولي تحصيل المعلومات ومعرفة أسرار العدو ، أهمية كبيرة.

ولهذا بعث قبل محاصرة « خيبر » طليعة من المسلمين وأمر عليهم « عباد بن بشر » ووجههم إلى « خيبر » ، فالتقوا يهودي قرب حصون « خيبر » ، وبعد التحقيق معه تبين أنه عين لليهود يتجسس لهم الاخبار فأخذوه إلى رسول الله ﷺ فسأله عن أوضاع اليهود في حصون « خيبر » .

فقال : أفتؤمنني يا أبا القاسم على أن اصدقك؟ فأمنه عباد.

فقال اليهودي : القوم مرعوبون منكم خائفون وجلون لما قد صنعتهم بمن كان يشرب .  
ثم قال : خرجت من حصن « النطاة » من عند قوم ليس لهم نظام تركتهم يتسللون من الحصن في هذه الليلة الى « الشق » وقد رعبوا منك حتى أنّ أفئدتهم لتخفق ، فاذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله ، قال رسول الله ﷺ : إن شاء الله ، قال اليهودي إن شاء الله أوقفك على حصن اليهود الذي فيه منحنيق مفلكة ودبابتان وسلاح من دروع وبيض وسيوف ، فانصب المنحنيق على حصن الشق وتدخل الرجال تحت الدبابتين فيحفرون الحصن فتفتحه من

يومك (١).

إن النبي ﷺ وإن لم يستخدم هذه الادوات التخريبية إلا أن المعلومات التي وقف عليها من ذلك اليهودي الأسير كانت مهمة لأنها أوضحت نقطة الحملة غدا ، وعرف النبي ﷺ أن التغلب على حصن « النطاة » لا يحتاج الى قوة كبيرة ، وأنه لا بدّ من رعاية المزيد من الخيطة والحذر عند فتح حصن « الشق ».

نموذج آخر : عند فتح إحدى القلاع أتى يهودي إلى النبي ﷺ بعد ثلاثة أيام مضت على محاصرتها وقال . ولعلّه لتخليص نفسه . : إنك لو اقامت شهرا ما بالوا ، لهم جدول تحت الأرض يخرجون بالليل فيشربون بها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمنعون منك ، فان قطعت مشربهم عليهم ضجهم .

وفي رواية أن النبي ﷺ لم يوافق على قطع الماء عن العدو (٢).

وفي اخرى ؛ قطع عليهم مشاربهم موقتا فلم يطبقوا المقام على العطش (٣).

### ٣ . تغاني امير المؤمنين :

ولقد ذكرنا تغاني علي بن أبي طالب ، وبطولته في هذه الموقعة بصورة مجملية ، وها نحن ننقل عبارة قالها هو علي عن هذه المسألة :

وردنا مع رسول الله ﷺ خبير على رجال من اليهود وفرسانها من قريش وغيرها ، فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل والرجال والسلاح ، وهم في أمنع دار وأكثر عدد ، كل ينادي ويدعو ويبادر إلى القتال ، فلم يبرز إليهم من أصحابي أحد إلا قتلوه حتى احمرّت الحدق ، ودعيت إلى النزال ، وأهّمت كل امرئ نفسه ، والتفت بعض أصحابي إلى بعض وكل يقول : يا أبا الحسن انهض .

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣٥ .

(٢) ناسخ التواريخ : ج ٢ ص ٢٩٩ . المصدر السابق ص ٤٠ .

(٣) الخصال : ص ٣٦٩ .



فأهضني رسول الله ﷺ إلى دارهم فلم يبرز إليّ أحد منهم إلا قتلته ، ولا يثبت لي فارس إلا طحنته ، ثم شددت عليهم شدّة الليث على فريسته حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسدوداً عليهم فاقتلعت باب حصنهم بيدي حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدي أقتل من يظهر فيها من رجالها ، وأسبي من أجد من نساءها حتى افتتحتها وحدي ولم يكن لي فيها معاون إلا الله وحده (١) .

### الرحمة في ساحة القتال :

عند ما افتتح حصن « القموص » سبيت « صفية بنت حيي بن أخطب » وامرأة اخرى ، فمر بهما « بلال » على القتلى فصاحت صفية صياحا شديدا جزعة ممّا رأت ، فكره رسول الله ﷺ ما صنع بلال وقال ﷺ :

« أذهبت منك الرحمة؟ تمر بجارية حديثة السن على القتلى؟ » .

فقال بلال : يا رسول الله ما ظننت أنك تكره ذلك ، وأحببت أن ترى مصارع أهلها (٢) . ولم يكتف رسول الله ﷺ بهذا القدر من تطيب خاطر « صفية » بل احترامها ، وعيّن لها مكانا خاصا للاستراحة في المعسكر ، واختارها زوجة لنفسه ، وبهذا الطريق أزال آثار ذلك الصنيع السيئ الذي قام به بلال .

لقد تركت أخلاق رسول الله ﷺ وتعامله الانساني الرفيع مع « صفية » أثرا حسنا في نفسها ، فقد صارت في ما بعد من أزواج النبي ﷺ الوفيات المخلصات ، وقد حزنت عند وفاته ، وبكت له أكثر من بقية ازواجه (٣) .

---

(١) الخصال : ص ٣٦٩ باب السبعة .

(٢) المغازي : ج ٢ ص ٦٧٣ ، تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٣٠٢ .

(٣) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٣٠٢ .

### مصراع كنانة بن الربيع :

منذ أن أجلي « بنو النضير » عن المدينة وسكنوا « خيبر » أحدثوا صندوقا لجمع الأموال لإدارة شئونهم العامة ، ولسد نفقات الحروب ، ولإعطاء دية كل من كان يقتل من بني النضير .

فبلغ رسول الله ﷺ أن هذا الكنز وهذه الأموال قد أودعت عند « كنانة بن الربيع » زوج « صفية » ، فلما افتتح ﷺ خيبر طلب الربيع وسأله عن كنز اليهود ، فأنكر ذلك فأمر رسول الله ﷺ بحبسه ، ثم عرف بعد التحقيق من اليهود ، بمكان ذلك الكنز ، وقد كان بخربة ، إذ قال له يهودي إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة أيام الحرب فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض ذلك الكنز ، فسأل رسول الله ﷺ « كنانة » عما بقي فأبى أن يؤديه أو يخبر بموضعه ، فدفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه قصاصا لأخيه الذي قتل في وقع خيبر « محمود بن مسلمة » والذي قتله اليهود بالقاء رحي من حجر من فوق حصونهم على رأسه ، وإنما قتل رسول الله ﷺ كنانة بضرب عنقه ، لتواطئه ضدّ الاسلام ، وكتمانه مثل هذا الأمر ، وتأديبا لغيره من اليهود حتى يتورعوا عن حبك المؤامرات ضد رسول الاسلام وضد أصحابه ، وضدّ الحكومة الاسلامية ، وكان « كنانة » آخر من قتل من يهود خيبر <sup>(١)</sup> .

### تقسيم غنائم الحرب :

بعد افتتاح حصون « خيبر » ، وتجريد العدو من كل أسلحته ، وجمع الغنائم أمر

---

(١) السيرة النبوية : ج ٣ ص ٣٢٧ ، بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٣٣ .

رسول الله ﷺ بأن تجمع الغنائم كلها في مكان واحد ، ثم أمر ﷺ رجلا بأن ينادي في الناس :

« أدوا الخيظ والمخيظ ، فإنّ الغلول عار وشنار ونار يوم القيامة »<sup>(١)</sup>.

ولقد شدّد قادة الاسلام وائتمته الحقيقيون على أهميّة الامانة تشديدا بالغا حتى أنهم اعتبروا رد الامانة . مهما صغرت ودقت . من علائم الايمان ، والخيانة وعدم ردّها من علائم النفاق .

من هنا عند ما عشر رسول الله ﷺ في رحل مسلم من المقاتلين شيئا من أموال الغنيمة لم يردها إلى بيت المال لم يصلّ على جنازة ذلك الرجل عند ما استشهد ، وإليك تفصيل هذه الحادثة .

لما انصرف رسول الله ﷺ وأصحابه من خيبر ومع رسول الله ﷺ غلام له ، يقوم له بشئونه ، وفيما كان ذلك يضع رحل النبي ﷺ إذ أتاه سهم لا يعلم راميه فأصابه فقتله ، فقال المسلمون : هنيئا له الجنة .

فقال رسول الله ﷺ :

« والذي نفس محمد بيده إن شملته<sup>(٢)</sup> الآن لتحترق عليه في النار ، كان قد غلّها من فيء المسلمين يوم خيبر »!!

فسمع رجل من أصحاب النبي ﷺ هذا الكلام فأتاه وقال : يا رسول الله ، أصبت شراكين لنعلين لي فقال ﷺ « يقدر لك مثلهما في النار »<sup>(٣)</sup>.

وهذه القصة تفضح أيضا دسائس بعض المستشرقين ، لأنهم كانوا يصفون حروب الاسلام ومعاركه العادلة بأنها كانت من أجل الاغارة على أموال الناس

(١) وسائل الشيعة : ج باب جهاد النفس الحديث ٤ ، المغازي : ج ٢ ص ٦٨١ .

(٢) الشملة كساء غليظ يلتحف به .

(٣) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٣٩ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ .

ومصادرتها كما يفعل قطاع الطرق ، متجاهلين عمدا وكيدا الأهداف الإنسانية والالهية العليا لهذه المعارك والغزوات ، والحال أن مثل هذه الانضباطية والنظم والورع مما لا يمكن تصوره في قوم همهم الاغارة والنهب والسلب .

إن قائد شعب أو قوم هذا هو همهم وهذه هي همتهم لا يمكن أبدا أن يعتبر رد الامانة من واجبات الدين ومن علائم الايمان ، كما لا يمكنه أن يربي أتباعه وأصحابه بمثل هذا التربية الرفيعة ، بحيث يجعله يجتنب عن سرقة صغيرة جدا مثل غلّ شراكي نعلين لا قيمة لهما تذكر .

### قافلة من أرض الذكريات :

قبل أن يتوجه رسول الله ﷺ بالمسلمين الى « خيبر » بعث « عمرو بن أمية » إلى البلاط الحبشي لغرض إيصال رسالته إلى ملك الحبشة النجاشي ، وليطلب منه أن يهيء المقدمات اللازمة لترحيل المسلمين المهاجرين من الحبشة الى المدينة .

فهيأ النجاشي سفينتين لأولئك المهاجرين بعد أن جهزهم بجهاز حسن وامر لهم بكسوة ، فسارت بهم حتى وصلت إلى السواحل القريبة من المدينة .

ولما علم المسلمون بمسير رسول الله ﷺ إلى « خيبر » توجهوا من فورهم الى « خيبر » فقدموا مع « جعفر بن أبي طالب » على رسول الله ﷺ يوم « خيبر » بعد أن افتتحت جميع حصون اليهود وقلاعهم .

فلما رأى رسول الله ﷺ جعفر مشى في استقباله (١٢) خطوة ثم قبل ما بين عينيه والترمه وقال :

« ما أدري بأيتهما أنا اسر بفتح خيبر أم بقدم جعفر؟ » .

وفي رواية اخرى قال ﷺ :

« لا أدري بأيتهما أنا أشد فرحا بقدمك يا جعفر أم بفتح الله على أخيك خيبر » . ثم

إن رسول الله ﷺ قال لجعفر :

« يا جعفر ألا امنحك؟ ألا اعطيك ألا أحبوك؟ ».

فظن الناس أنه يعطيه ذهباً أو فضة ، فتشوّف الناس لذلك. فقال له :  
أني اعطيك شيئاً إن أنت صنعته في كل يوم كان خيراً لك من الدنيا وما فيها .  
ثم علمه ﷺ الصلاة المعروفة بصلاة جعفر الطيار <sup>(١)</sup> .

### حجم الخسائر وعدد القتلى :

لم يتجاوز عدد قتلى المسلمين في هذه الغزوة ٢٠ شخصاً ولكن قتل من اليهود أكثر من هذا بكثير ، وقد سجل التاريخ أسماء ٩٣ رجلاً منهم <sup>(٢)</sup> .

### العفو بعد الانتصار :

المؤمنون بالله واصحاب المروءات من البشر يعاملون العدو المنهزم المقهور عند الغلبة عليه والظفر به باللطف والحب ، ويعفون عنه ويتناسون روح الانتقام ، أجل إنهم يشملون العدو منذ استسلامه بعطفهم وحنانهم وتلك هي حقيقة اثبتتها وقائع التاريخ الحية .  
وكذلك فعل رسول الله ﷺ عند ما تغلب على يهود خيبر فقد عاملهم بعد الانتصار معاملة حسنة ، وشملمهم بعفوه ، ولطفه رغم كل ما ارتكبوه في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ظلم وجناية وتآليب للعرب الوثنيين ضدّ الاسلام ، واشعال حروب كادت أن تودي بالحكومة الاسلامية وتستأصل المسلمين ، وتقضي على جهود رسول الإسلام .

فقد قبل بطلب اليهود بأن يسكنهم في خيبر كما كانوا ، وأن يترك أراضيهم

---

(١) فروع الكافي : ج ١ ص ١٢٩ و ١٣٠ ، الخصال : ج ٢ ص ٨٢ و ٨٣ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٢٥ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٣٢ .

وبساتينهم بأيديهم ، على أن يكون له نصف محاصيلها سنويا .  
بل إن النبي ﷺ . كما يروي ابن هشام . هو الذي اقترح هذا الأمر على اليهود ، وترك لهم حرية التصرف في مزارعهم وأراضيهم ليغرسوا أو يزرعوا ما يريدون من الشجر <sup>(١)</sup> .  
لقد كان في مقدور النبي ﷺ ، كأبي ففتح آخر ، أن يريق دمهم جميعا ، أو أن يجليهم برمتهم من أراضيهم ، أو يجبرهم على اعتناق الاسلام ، ولكنه . خلافا لتصور زمرة مغرضة من المستشرقين ، وطلائع الاستعمار الثقافي الذين يتصوّرون ويزعمون بأن الاسلام دين القهر والقوة ، وان المسلمين أجبروا الامم والأقوام المغلوبة على ترك عقائدها ، واعتناق الاسلام لم يفعل مثل هذا العمل قط ، بل تركهم أحرارا في ممارسة شعائهم ، والبقاء على ما كانوا يعتقدونه من اصول دينهم وفروعه .

ولم يحارب رسول الله ﷺ وأصحابه يهود « خير » إلا لأن « خير » قد تحوّلت إلى بؤرة خطيرة للمؤامرة ، والكيد بالاسلام والمسلمين ، فقد كانوا يمدّون المشركين بكل ما يريدون للقضاء على الحكومة الاسلامية الحديثة التأسيس ، ولهذا اضطر رسول الله ﷺ إلى مقاتلتهم ، وتجريدهم من أسلحتهم ، حتى يعيشوا تحت ظل الحكومة الاسلامية بمنتهى الحرية ، ويشتغلوا بمشاغلهم في الزراعة ، وقيموا شعائهم الدينية من دون أن يجدوا فرصة للمشاغبة والتآمر ضدّ رسالة التوحيد الكبرى ، اذ كانوا يسببون مشاكل كبيرة للمسلمين . في غير هذه الصورة . ويمنعون من تعلم الاسلام وانتشاره .

وأما الجزية <sup>(٢)</sup> فقد كان لقاء دفاع الحكومة الاسلامية عنهم ، وحمائيتهم من الأعداء ، وتوفير الأمن لهم ، إذ كان حماية أموالهم وأنفسهم من وظائف المسلمين .  
ثم ان المحاسبة الدقيقة تقودنا إلى أن ما كان يدفعه المسلمون إلى الحكومة

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٢) الجزية ما يؤخذ من أهل الذمة .

الإسلامية من الضرائب الاسلامية كان أكثر بكثير مما كان يدفعه اليهود. والنصارى إلى الحكومة الاسلامية بعنوان الجزية.

فقد كان يتوجب على كل مسلم أن يدفع الى الحكومة الاسلامية الخمس والزكاة وربما توجب عليه ان يدفع شيئاً من أصل ماله لسد نفقات واحتياجات الحكومة الاسلامية بينما كان اليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون في ظل الحكومة الاسلامية في أمن وأمان ويتمتعون بجميع الامتيازات والحقوق الاجتماعية الفردية يدفعون إلى الحكومة الاسلامية الجزية بدل ما كان يدفعه المسلمون ، فالجزية شيء والأتاوة شيء آخر ، على خلاف ما يروجه بعض الكتاب المغرضين.

ولقد كان عامل الجباية الذي كان يزور خيبر بأمر رسول الله ﷺ لتقدير حجم المحاصيل فيها ، ثم تصنيفها رجلاً عادلاً ورعاً إلى درجة أن اليهود أنفسهم أعجبوا بعدله ، واعترفوا بانصافه ، وهو « عبد الله بن رواحة » الذي استشهد فيما بعد ، في موقعة « مؤتة ».

فقد كان « ابن رواحة » يخبّن نصيب المسلمين من محاصيل خيبر ، وربما تصوّر اليهود أنه أخطأ في التخمين والحرص ، وخبّن أكثر مما هو الحق فقالوا له : تعديت علينا!  
فكان عبد الله يقول : إن شئتم فلکم وإن شئتم فلنا.  
فتقول اليهود . معجبة بهذا الانصاف العظيم والعدل الكبير الذي كان يتحلى به مخزّص الحكومة الاسلامية . : بهذا قامت السماوات والارض (١).

ولقد حصل المسلمون أثناء جمع غنائم « خيبر » على قطعة من التوراة ، فطلبت اليهود من النبي ﷺ أن يعيدها إليهم ، فأمر رسول الله ﷺ مسئول بيت المال باعادتها إليهم (٢).

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٢) المغازي : ج ٢ ص ٦٨٠ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٢٣ .

وهذا يكشف عن احترام رسول الله ﷺ للشرائع الاخرى.

### سلوك اليهود المتعجرف :

في قبال كل هذه الألفاف لم تكف اليهود عن خيانتها وكيدها ، بل ظلت تخطط . في الخفاء . للايقاع برسول الله ﷺ وأصحابه ، والحاق الاذى بهم . ولنقف فيما يأتي على نموذجين من هذا الأمر :

١ . لما اطمان رسول الله ﷺ قرّت جماعة من اليهود في الخفاء أن تقضي على رسول الله ﷺ بدس سم إليه . فأهدت له « زينب بنت الحارث » زوجة « سلام بن مشكم اليهودي » شاة مشوية وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ فقيل لها الذراع ، فاكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع ، فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه « بشر بن البراء بن معرور » قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فأما بشر فقد ابتلعها ، وأما رسول الله ﷺ فقد لفظها وعرف بأنها مسمومة ، ومات بشر من أكلته التي أكل ثم دعا زينبا ، وقال لها : سممت الذراع؟ فاعترفت . فقال لها : ما حملك على ذلك ، قالت : قتلت أبي وعمي وزوجي ، ونلت من قومي ما نلت فقلت : إن كان ملكا استرحت منه ، وان كان نبيا فسيخبر .

فعفا عنها رسول الله ﷺ ، ولم يلاحق من تواطؤوا معها <sup>(١)</sup> .

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ والمغازي : ج ٢ ص ٦٧٧ و ٦٧٨ . وامتناع الاسماع : ج ١ ص ٣٢٣ . هذا والمعروف أن النبي ﷺ قال في : مرضه الذي مات فيه : إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أجهري من الأكلة التي أكلت بخير ، فإن النبي ، وان كان لفظ .



لا شك لو أن مثل هذه الحادثة حدثت لغير رسول الله ﷺ من القادة والزعماء لصبغوا الارض بدماء من ظنوا أنه قصد قتلهم ، أو ملأوا السجون بهم وحبسوهم ، أعواما مديدة او اخضعوهم لاشد انواع التعذيب الجسدي والنفسي كما يحدثنا بذلك التاريخ القديم والحديث .

إن هذه المؤامرة الدنيئة التي قامت بها امرأة من اليهود جعلت الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ يسيئون الظن بصفية اليهودية التي أصبحت في عداد ازواج النبي ﷺ .  
فقد باتوا يتصوِّرون أنها ربما أقدمت في ليلة من الليالي على اغتيال رسول الله ﷺ .

ولهذا عند ما أعرس رسول الله ﷺ بها بخيبر أو في أثناء الطريق بات « أبو أيوب الانصاري » يحرس قبة رسول الله ﷺ التي دخل بها بصفية ليلة عرسه بها ، وبقي يطوف بالقبة حتى أصبح رسول الله ﷺ فلما رأى أبا أيوب قال : مالك يا أبا أيوب؟  
قال : يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك . فشكره رسول الله ﷺ ، ودعا له بخير .<sup>(١)</sup>

٢ . والنموذج الثاني من جفاء اليهود ، وكيدهم حتى بعد عفو النبي عنهم ، ولطفه بهم أن « عبد الله بن سهيل » الذي كلف من جانب النبي ﷺ في إحدى السنين بخرص محاصيل خيبر وتقديرها وحمل نصيب المسلمين منها إلى المدينة قتله جماعة مجهولة من اليهود أثناء قيامه بواجبه في خيبر وقد كسروا

---

المضغة إلا ان بقايا السم اختلط بيزاقه الشريف ، وأثر في جسمه المبارك حتى أودي بحياته المقدسة بعد حين .

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٣٩ و ٣٤٠ ، بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٣٣ .

عنته وألقوه في بئر ، فقدم جماعة من زعماء اليهود المدينة ودخلوا على رسول الله ﷺ وأخبروه بهذه العملية الغادرة المجهول فاعلها ، وتقدم الى رسول الله ﷺ أيضا « عبد الرحمن » اخو عبد الله بن سهل وابنا عمه وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنا وكان صاحب العلم فلما تكلم قبل ابني عمه قال رسول الله : الكبر الكبر ( أي قدموا الاكبر للكلام إرشادا إلى الأدب في تقديم الأسن وهو خلق يدعو إليه الاسلام ).

فذكروا لرسول الله ﷺ قتل صاحبهم وطلبوا القصاص فقال رسول الله ﷺ :

« أتسمون قاتلكم ، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه إليكم ».

وحمل هذا التعليم النبوي أولياء الدم على أن يجعلوا التقوى والورع نصب أعينهم ولم يستسلموا لثورة العاطفة فقالوا : يا رسول الله ما كنا لنحلف على ما لا نعلم.

فقال رسول الله ﷺ :

« أفحلفون ( أي يحلف اليهود ) بالله خمسين يمينا ما قتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا ، ثم

يرعون من دمه؟ ».

قالوا يا رسول الله ما كنا لنقبل إيمان اليهود ، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على

إثم.

فكتب رسول الله ﷺ إلى يهود خيبر كتابا فيه : انه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه (

أي أعطوا ديته ).

فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا.

فلما رأى رسول الله ﷺ أن المشكلة قد وصلت إلى طريق مسدودة وداه بنفسه من

عنده مائة ناقة<sup>(١)</sup>.

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٥٤ . ٣٥٦ .

وهكذا اثبت النبي ﷺ لليهود مرة اخرى بأنه ليس داعية حرب ولا طالب قتال وسفك دماء ، ولو كان كغيره من الزعماء والسياسيين لاتخذ من قصة مقتل عبد الله ذريعة للقضاء على حياة تلك الزمرة المعتدية ، المشاغبة المخلة بالآمن<sup>(١)</sup> إن النبي ﷺ كما يصحّ بذلك القرآن الكريم ويصفه : نبي الرحمة ، فهو لا يحتكم الى السيف ما لم يبلغ الامر مداه.

### حيلة مجازة :

كان في خيبر تاجر يدعى الحجاج بن علاط السلمي له تجارة مع أهل مكة ، وكان ممن حضر يوم خيبر . وشاهد لطف النبي ورحمته فأسلم طائعا راغبا . ولما فرغ المسلمون من أمر « خيبر » أتى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله إن لي بمكة مالا متفرقا في تجار مكة فاذن لي يا رسول الله ﷺ أن احتال لأخذها ، فأذن له رسول الله ﷺ بذلك ليستنقذ أمواله من المشركين وغيرهم في مكة . فقدم مكة ، فراه رجال قريش اجتمعوا حوله وأخذوا يسألونه عن أمر رسول الله ﷺ ولم يكونوا علموا بإسلامه فأجابهم قائلا : لقد هزم محمد بخيبر هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتل لم تسمعوا بمثله قط ، واسر محمد اسرا ، وقالت اليهود : لا نقتله حتى نبعث إلى أهل مكة فيقتلوه بين

---

(١) لم تنحصر تعدييات اليهود وتجاوزاتهم على ما ذكرناه فلطالما خططوا ودبروا الخيل لالحاق الأذى والضرر بالمسلمين ، ومن جملة ذلك حادث عبد الله بن عمر الذي ذهب إلى خيبر في عهد الخليفة الثاني لعقد اتفاقية مع أهلها فاعتدوا عليه بالضرب فلما عرف بذلك عمر رأى أن يجليهم من خيبر لقول رسول الله ﷺ : « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » فقال لصحابة النبي ﷺ من كان له حق عند اليهود فليأخذه ثم أجالهم من خيبر جزاء كيدهم وتآمرهم المستمر . (المصدر).

أظهرهم انتقاماً لمن أصاب من رجالهم.

ففرح سادة قريش لهذا الخبر الكاذب فرحاً شديداً ، ثم قال الحجاج لهم .  
أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من محمد  
وأصحابه قبل أن يسبقني التجار الى ما هنا لك فجمعوا له ماله كاسرع ما يكون .  
فلما سمع « العباس بن عبد المطلب » هذا الخبر جاء الى الحجاج وقال يا حجاج ما هذا  
الخبر الذي جئت به ، فأشار الحجاج إلى العباس بأنه سيخبره بحقيقة الأمر ، ثم التقى  
العباس خفية وأخبره بأنه ماكر أهل مكة ، وأنّ النبي ظفر بيهود خيبر ، وطلب من العباس  
أن يكتنم ذلك حتى يغادر مكة ، وينجو بنفسه وماله .

فلما فرغ من جميع ماله كله غادر مكة بسرعة فائقة . فلما مضى على ذلك ثلاثة أيام  
واطمأنّ العباس من نجاة الحجاج لبس حلة جميلة ، وتعطر وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى  
الكعبة فتعجبت قريش لذلك ، وظنت أنه فعل ذلك تجلداً ، فقالت للعباس : يا أبا الفضل  
هذا والله التجلّد لحرّ المصيبة ، قال : كلا ، والله الذي حلفتكم به ، لقد افتتح « محمد »  
خيبر ، وترك عروسا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها ، وأصبحت له ولأصحابه .  
فقالوا : من جاءك بالخبر .

فقال : الذي جاءكم بما جاءكم ( ويعني الحجاج الذي احتال عليهم ) . ولقد دخل  
عليكم مسلماً ، فأخذ ماله ، وانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه .  
فغضبت قريش لهذه المكيدة وانزعجت انزعاجاً شديداً ، ولكن بعد فوات الأوان ، ولم  
يلبثوا أن جاءهم خبر انتصارات المسلمين الساحقة على أعدائهم <sup>(١)</sup> .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٣٤ ، زاد المعاد : ج ٢ ص ١٤٠ ، والسيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٤٥ و ٣٤٦ .

### قصة فذك

كانت « فذك » منطقة خصبة ، كثيرة الخير ، قرب خيبر ، وهي تبعد عن المدينة بما يقرب من (١٤٠) كيلومترا ، وكانت تعتبر بعد حصون خيبر النقطة الهامة التي يعتمد عليها يهود الحجاز<sup>(١)</sup> .

وقد ملأت القيادة الاسلامية . بعد أن هزم اليهود في خيبر ووادي القرى وتيماء الفراغ الذي حصل في شمال المدينة . بالقوة العسكرية الاسلامية .

ولأجل أن تنهي الوجود السياسي اليهودي في هذه المنطقة التي كانت بمثابة منبع خطر ، وبؤرة شغب ضد الاسلام ، بعثت القيادة الاسلامية سفيرا الى سادة فذك وزعمائها ، لمعرفة موقفهم فأثر « يوشع بن نون » الذي كان يرأس سكان تلك المنطقة ، الصلح والسلام على الحرب والقتال ، وتعهد بأن يسلم كل سنة نصف محاصيل فذك الى رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> . وأن يعيش هو وقومه من الآن تحت راية الحكومة الاسلامية ، ولا يشاغب ولا يتآمر ضد المسلمين ، على أن تتعهد الحكومة الاسلامية . في مقابل هذا المبلغ . بتوفير الأمن في المنطقة .

(١) راجع كتاب « مرصد الاطلاع » ج ٣ ص ١٠٢٠ ماده فذك .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٥٣ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٣١ ، فتوح البلدان : ص ٤٢ .

## حكم الاراضي المفتوحة بلا قتال :

ومن الجدير بالذكر هنا أن الأراضي التي يسيطر عليها المسلمون بالحرب والقتال تعود ملكيتها الى عامة المسلمين ويكون إدارتها بيد القائد الأعلى للامة.

أما الاراضي التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ولم يسيطر عليها المسلمون بالقتال فتكون لرسول الله ﷺ والامام من بعده خالصة ، فهو يتصرف فيها كما يشاء ويرى ، فله أن يهبها ، وله أن يؤجرها ، ومن جملة ماله أن يفعل فيها هو أن يهبها لأقربائه فيسدوا بها حاجتهم ، ويديروا بها معيشتهم (١).

وعلى هذا الاساس وهب رسول الله ﷺ فدكا لابنته الطاهرة فاطمة الزهراء ، وقد أريد من إهباب هذه الارض لها . كما تشهد بذلك القرائن . أمران :

١ . ان قيادة الامة كانت بعد رسول الله ﷺ كما صرح النبي بذلك مرارا ، ل : « علي بن أبي طالب » ، ومثل هذه المسئولية الثقيلة تحتاج ولا شك الى ميزانية كبيرة ، فكان لعليّ عليه السلام أن يصرف من أموال فدك وعائداتها اذا صارت تحت تصرفه أكبر قدر ممكن ليحفظ به ذلك المنصب ، ويستطيع القيام بمتطلباته.

وكأن جهاز الخلافة . بعد رسول الله ﷺ أدرك هذه الحقيقة ، ولهذا عمد منذ الايام الاولى لوفاة رسول الله ﷺ الى انتزاع فدك من أهل بيت رسول الله ﷺ .

٢ . لقد كان من الواجب أن تعيش ذرية النبي ﷺ التي كان يتمثل مصداقها الكامل في وحيدة رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء ،

---

(١) وقد طرحت هذه المسألة في الآية ٦ و ٧ من سورة الحشر وعولجت في الكتب الفقهية في باب الجهاد تحت عنوان « الفيء » « والأنفال » .

وابنيها الحسن والحسين عليهما السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ بصورة تليق بمقام رسول الله ﷺ وشرفه ، ومكانته السامية .

ولهذا الهدف وهب رسول الله ﷺ فدكا لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام .

يقول المفسرون والمحدثون الشيعة وبعض علماء السنة انه لما نزل قوله تعالى :

« وَآتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَلِمَسْكِينٍ وَبَنِ السَّبِيلِ »<sup>(١)</sup> .

دعا رسول الله ﷺ ابنته فاطمة وفاً إليها فدكا<sup>(٢)</sup> ، وقد روى هذا الأمر ابو سعيد الخدري وهو من كبار صحابة رسول الله ﷺ .

ويعترف جميع المفسرين ، سنة وشيعة ، بان هذه الآية نزلت في حق اقرباء رسول الله ﷺ ، وابنته الزهراء اظهر وأقوى مصاديق « ذي القربى » ، حتى انه كان على بن الحسين السجاد في الشام بعد واقعة كربلاء ، وسأله بعض الشاميين عن نسبه ، فتلا عليه الآية المذكورة للتعريف بنفسه ، وحيث إن مفاد الآية والمراد بها كان معلوما عند المسلمين كافة قال الشامي متعجبا : وانكم للقرابة الذي أمر الله أن يؤتى حقه<sup>(٣)</sup> .

وخلاصة القول ان ثمة اتفاقا بين علماء السنة والشيعة في أن هذه الآية قد نزلت في شأن الزهراء وابنيها ، نعم هناك خلاف في ان رسول الله ﷺ وهب ساعة نزول هذه الآية فدكا لابنته فاطمة ، أم لا ، ولقد اتفق علماء الشيعة على الشق الأول ، وذهبوا إلى ان النبي ﷺ وهب فدكا عند نزول الآية لفاطمة ووافقهم على ذلك جمع من علماء السنة .

وقد أراد المأمون العباسي ( لسبب ما ) اعادة فدك إلى بني الزهراء فكتب

(١) الاسراء : ٢٦ .

(٢) مجمع البيان : ج ٣ ص ٤١١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٦ ص ٢٦٨ ، الدر المنثور : ج ٤ ص ١٧٧ .

(٣) الدر المنثور : ج ٤ ص ١٧٦ .

الى المحدث المعروف « عبد الله بن موسى » وطلب منه أن يرشده في هذا الامر ، فكتب إليه عبد الله بن موسى الحديث المذكور الذي يوضح شأن نزول هذه الآية ، فاعاد المأمون فدكا الى أبناء الزهراء ، وذريتها (١) فكتب الخليفة العباسي إلى واليه على المدينة يومذاك بأن رسول الله ﷺ وهب فدكا لابنته فاطمة الزهراء ، وهذا أمر مسلم ، ولا خلاف فيه بين أبناء الزهراء .

وقد جلس المأمون ذات يوم على كرسي خاص للاستماع إلى مظالم الناس وشكواياتهم ، فكانت أول ما أعطي له ، رسالة وصف صاحبها نفسه فيها بأنه يدافع عن الزهراء ، فقرأ المأمون الرسالة وبكى مدة ، ثم قال : من هو المخامي عن الزهراء؟ فقام شيخ كبير ، وقال : أنا هو ذا ، فانقلب مجلس المأمون من مجلس القضاء الى مجلس حوار ومناظرة بين المأمون وبين ذلك الشيخ ، وأخيرا وجد المأمون نفسه مغلوبا محجوجا فأمر رئيس ديوانه بان يكتب كتاب ردّ فدك إلى أبناء الزهراء ، فكتب ذلك الكتاب ، ووشحه المأمون بتوقيعه ، وفي هذه المناسبة قام دعبل الذي حضر ذلك المجلس وأنشأ شعرا هذا مطلعها :

أصبح وجه الزمان قد ضحكا برد مأمون هاشم فدكا (٢)

وليس الشيعة بحاجة . في اثبات ان فدكا كان ملكا طلقا وخالصا للزهراء فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى الدلائل المذكورة ، لأن الصديق الأكبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد صحّ بمالكيته بفدك في إحدى رسائله الى واليه على البصرة عثمان بن حنيف اذ قال :

« بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلمت السماء فشحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله » (٣) .

(١) مجمع البيان : ج ٣ ص ٤١١ عند تفسير قوله تعالى : « وَتَذُقُوا الْقَرْيَةَ حَقَّهُ » الاسراء : ٢٧ فتوح البلدان ص ٤٦

(٢) شرح ابن أبي الحديد : ج ١٦ ص ٢١٧ .

(٣) نصح البلاغة : الكتاب ٤٥ .



## قصة فدك بعد رسول الله ﷺ :

لقد حرمت ابنة رسول الله ﷺ العزيرة فاطمة من ملكها الخالص ( فدك ) بعد وفاة رسول الله ﷺ لأغراض سياسية خاصة ، وأخرجوا عمالها من تلك الارض ، فعمدت إلى إثبات حَقِّها واسترداد ملكها من جهاز الخلافة عن طريق القانون.

ففي الدرجة الأولى كانت قرية فدك في يدها ، واليد دليل الملك ، ولكن جهاز الخلافة طلب منها مع ذلك دليلا على كون فدك ملكها ، خلافا لكل الموازين القضائية الاسلامية . إذ لا يطلب من أي واحد له يد على شيء ( أي يكون ذلك الشيء تحت تصرفه ) أن يقيم دليلا على ملكيته لذلك الشيء ، ولكن الخلافة لم تعر ليد الزهراء على « فدك » أهمية ، بل طالبتها بان تأتي بشاهد على ملكيته.

ولهذا اضطرت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى ان تأتي للشهادة على ذلك بشخصية ذات مكانة هامة كعلي عليه السلام وامرأة تدعى أم أيمن التي شهد لها رسول الله ﷺ بأنها من نساء الجنة <sup>(١)</sup>.

وبعقيق رسول الله ﷺ « رباح » حسب رواية البلاذري <sup>(٢)</sup> ، ولكن جهاز الخلافة لم يعر اهتماما لشهادة هؤلاء الشهود ، وحرم ابنة رسول الله ﷺ من ملكها الذي وهبه اياها والدها رسول الله ﷺ .

ولقد كانت « الزهراء » و « علي » وبناهما الحسن والحسين عليهما السلام مطهرين من كل رجس كما صرح بذلك قوله تعالى :

« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » <sup>(٣)</sup>.

(١) الاصابة : ج ٤ ص ٤٣٢ .

(٢) فتوح البلدان : ص ٤٤ .

(٣) الاحزاب : ٣٣ ، راجع كتاب : آية التطهير في احاديث الفريقين : ج ١ و ٢ .

ولو أن هذه الآية شملت نساء النبي ﷺ لكانت فاطمة الزهراء من أوضح مصاديقها قطعاً وبقيناً ، ولكن الخلافة تجاهلت . مع الأسف . حتى هذا الدليل ، واعتبر الخليفة ادعاءها ادعاء غير مشروع .

وفي المقابل يرى علماء الشيعة أن الخليفة الأول أذعن في نهاية الأمر لصحة رأى الزهراء وصحة ادّعاءها وشرعيته ، وكتب كتاباً يصرّح بأن فدكا ملك خالص للزهراء وأعطاهها ذلك الكتاب ، ولكن رفيق الخليفة وصاحبه لما صادف الزهراء في أثناء الطريق وعرف بأنها حصلت على اعتراف صريح من الخليفة بملكيتها لفدك أخذ منها ذلك الكتاب واتى به الى الخليفة الأول وقال معترضاً على شهادة علي عليه السلام وأم أيمن لها : ان علياً يجر إلى نفسه وأم أيمن امرأة .

ثم عمد إلى الكتاب فمحاها وخرقه (١) .

هذا ويروي الحلبي في سيرته هذه الحادثة بصورة اخرى اذ يكتب قائلاً : ان ابا بكر كتب لفاطمة بفدك ودخل عليه عمر فقال : ما هذا؟ فقال : كتاب كتبه لفاطمة بميراثها من أبيها ، فقال : ممّا ذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى ، ثم اخذ عمر الكتاب فشقّه (٢) .

ما قاله أحد متكلمي الشيعة ، وهو ان أبي الحديد يقول : قلت لمتكلم من متكلمي الامامية يعرف بعلي بن تقي من بلدة النيل : وهل كانت فدك إلا نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير! فقال لي : ليس الأمر كذلك ، بل كانت جليلة جداً ، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل ، وما قصد ابو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألا يتقوى عليّ بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة ، ولهذا اتبعوا ذلك بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني المطلّب حتّمهم في الخمس ، فإنّ الفقير الذي لا مال له تضعف همته ، ويتصاغر عند نفسه ، ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرئاسة (٣) .

(١) شرح ابن أبي الحديد : ج ١٦ ص ٣٧٤ .

(٢) السيرة الحلبيّة : ج ٣ ص ٣٩١ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٦ ص ٢٣٦ .

ويكتب هذا الكاتب في موضع آخر من كتابه أيضا : سألت علي بن الفارقي مديراً المدرسة الغربية ببغداد ، فقلت له : أكانت فاطمة صادقة؟ قال : نعم ، قلت : فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسم ، ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته ، قال : لو أعطها اليوم فدك بمجرد دعواها لجأت إليه غدا ، وادّعت لزوجها الخلافة ، وزحزحته عن مقامه ، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء ، لانه يكون قد اسجل على نفسه على أنها صادقة فيما تدعي كائنا ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود. وهذا كلام صحيح ، وان كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل <sup>(١)</sup>.

لقد بدأ منع بني الزهراء من فدك في عهد الخليفة الأول ، وبعد ان قضى علي عليه السلام وتسلّم معاوية زمام الامر ، وزع فدكا بين ثلاثة هم : ( مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان ، وابنه يزيد ) .

ولما ولي الأمر « مروان » سيطر على فدك بصورة كاملة ، ووهبها لابنه عبد العزيز ، واعطاها عبد العزيز لولده « عمر بن عبد العزيز » <sup>(٢)</sup>.

وحيث انه كان حاكما معتدل السيرة بين خلفاء بني أمية لهذا فان أول بدعة أزاحها كان هو إعادة فدك إلى بني فاطمة ، ثم انتزعها الخلفاء الذين توالوا بعده من ايدي بني هاشم ، وكانت بأيديهم حتى يوم انقرضت فيه حكومة الامويين .

وقد اضطرب أمر فدك اضطرابا عجيبا ايام الخلافة العباسية ، فلما ولي أبو العباس السفاح ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن ، ثم قبضها ابو جعفر من بني حسن ، ثم ردها محمد المهدي ابنه ، على ولد فاطمة عليها السلام ، ثم قبضها موسى الهادي بن المهدي وهارون أخوه ، لاسباب سياسييه خاصة ، حتى وصل الدور إلى المأمون فردها على الفاطميين اصحابها الشرعيين ضمن تشريفات

(١) شرح ابن أبي الحديد : ج ١٦ ص ٢٨٤ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد : ج ١٦ ص ٢٧٨ .

خاصة وبصورة رسمية.

ثم اضطرب امر فدك من بعده أيضا فرما سلبت من أصحابها وربما ردت إليهم. وهكذا تراوحت بين السلب والرد.

ولقد استغلّت فدك في عهد الامويين والعباسيين في أغراض سياسية بحتة قبل أن تستغل في أغراض اقتصادية.

فلقد كان الخلفاء في صدر الاسلام يحتاجون إلى عائدات فدك المالية ، مضافا إلى أنهم انتزعوها من يد علي لغرض سياسي ولكن في العصور المتأخرة عن ذلك كثرت ثروة الخلفاء وزادت زيادة هائلة بحيث لم يكونوا بحاجة إلى عائدات فدك ، ولهذا فان عمر بن عبد العزيز لما أعاد فدكا إلى بني فاطمة احتج عليه بنو أمية واعترضوا قائلين : هجّنت فعل الشيخين ، وإن آبيت إلا هذا فامسك الأصل وأقسم الغلّة<sup>(١)</sup>.

### فدك في محكمة التاريخ :

إن دراسة وتقييم ملف « فدك » تثبت بوضوح أن منع ابنة رسول الله ﷺ من حقها المشروع كان عملا سياسيا بحتا ، أي إنه ما كان يستند إلى أي مبرر شرعي مطلقا ، وإن المسألة كانت أوضح من أن تخفى على خليفة العصر.

وقد أوضحت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام هذه الحقيقة في خطابها الساخن البليغ اذ قالت :

هذا كتاب الله حكما عدلا وناطقا فصلا يقول : ويرثني ويرث من آل يعقوب<sup>(٢)</sup> وورث سليمان داود<sup>(٣)</sup> وبين عز وجل في ما وفقّ من الأقساط وشرع من الفرائض والميراث<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٦ ص ٢٧٨.

(٢) مريم : ٦.

(٣) النمل : ١٦.

(٤) الاحتجاج للطبرسي : ج ١ ص ١٤٥.

إن البحث حول دلالة الآيتين على وراثة أبناء النبي ﷺ عنه ، والحديث الذي رواه الخليفة وحده يوجب اطالة الكلام ، وفي امكان من يحبّ التوسع ان يراجع كتب التفسير المفصلة.

### السيطرة على وادي القرى :

ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يضع نهاية لنشاط القوى المضادة للاسلام في هذه المنطقة ( خيبر ) فقط بل رأى ان يتوجه الى وادي القرى التي كان يشكل مركزا آخر من مراكز اليهود. فحاصر بنفسه حصونهم عدة أيام ، حتى فتحها ، ثم عقد بعد الفتح معاهدة مع أهلها على غرار معاهدة « خيبر » .  
وبهذا طهرت أرض الحجاز من فتنة اليهود الاوغاد ، وقد جردوا من اسلحتهم ووضعوا تحت حماية المسلمين ومراقبتهم الدقيقة<sup>(١)</sup> .

---

(١) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ١٥٠ .

### عمرة القضاء (١)

كان يحق للمسلمين بعد التوقيع على معاهدة صلح الحديبية أن يدخلوا بعد عام واحد من تاريخ يوم التوقيع مكة ، ثم يغادروها بعد ثلاثة ايام يقيمون فيها شعائر العمرة وكان عليهم بموجب الاتفاق أن لا يحملوا معهم إلا سلاح الراكب : السيف في القرب ، ليس غير .

والآن مضى عام واحد على يوم التوقيع على المعاهدة المذكورة ، وآن الاوان ليستفيد المسلمون من هذه المادة في تلك الاتفاقية ، وان يتوجه المسلمون المهاجرون الذين مضى عليهم سبعة أعوام ابتعدوا فيها عن بيوتهم ووطنهم ومسقط رؤوسهم ، ورجحوا الحياة في الغربية ، وتحمل متاعها على العيش في الوطن للمحافظة على عقيدة التوحيد . يتوجه مثل هؤلاء مرة اخرى إلى زيارة بيت الله الحرام ولقاء الاحباب والأقرباء وتفقد المنازل والبيوت التي ولدوا فيها وترعرعوا في رحابها .

---

(١) العمرة أعمال خاصة ومناسك معينة يمكن للمرء الاتيان بها طوال اشهر السنة على العكس من أعمال الحج التي يجب أداؤها فقط في شهر ذي الحجة وقد توجه رسول الله ﷺ إلى مكة في يوم الاثنين السادس من شهر ذي القعدة من السنة الهجرية السابعة . وسميت هذه العمرة عمرة القضاء لانها كانت بدلا عن العمرة التي منع النبي والمسلمون عنها في عام الحديبية .

ولهذا عند ما أعلن رسول الله ﷺ بان يستعد من حرم من العمرة في العام الماضي للعمرة ، دب شوق عجيب في نفوس المسلمين ، واغرورقت دموع الفرح في عيونهم ، فخرج مع رسول الله ﷺ ألفا شخص بدل ألف وثلاثمائة وهم عدد الذين خرجوا معه في السنة الماضية.

وكان بين الخارجين مع رسول الله ﷺ جمع كبير من شخصيات المهاجرين والأنصار البارزة الذين كانوا يلازمون رسول الله ﷺ طول سيره ملازمة الظل لصاحب الظل. وساق رسول الله ﷺ في هذه العمرة ستين بدنة وقد قبلها (١) ، وأحرم من مسجد المدينة واتبعه الآخرون ، وخرج ألفان وهم يلبون مرتدين أثواب الاحرام يقصدون مكة. ولقد كان هذا الموكب العظيم من الجلال والمغزى المعنوي بحيث لفت نظر الكثير من المشركين إلى حقيقة الاسلام ومعنويته الرائعة.

ولو قلنا : ان هذا السفر كان . في حقيقته . سفرا تبليغيا ، وان المشتركين فيه كانوا . في حقيقة الامر . طلائع التبليغ والدعوة لما قلنا جزافا ، فان آثار هذا السفر المعنوي ظهرت للتو فقد انبهر بمنظر سلوكهم وعبادتهم ونظامهم الد أعداء الاسلام أمثال « خالد بن الوليد » بطل معركة أحد وعمرو بن العاص داهية العرب فرغبوا في الاسلام ، وأسلموا بعد قليل. وحيث ان رسول الله ﷺ لم يكن آمنا من غدر قريش فقد كان يحتمل أن يباغتوه ويباغتوا أصحابه في أرض مكة ، ويسفكوا دماء جماعة

---

(١) البدنة الناقة تنحر بمكة والجمع بدن وتقليد البدنة أن يجعل في عنقها نعلا فيعلم أنها هدي.

منهم وهم لا يحملون معهم إلا سلاح الراكب اذ لم يكن مسموحا للمسلمين . حسب المعاهدة . أن يأخذوا معهم سلاحا غير ذلك .

من هنا عمد رسول الله ﷺ تحسبا لأي طارئ إلى تكليف مائتي رجل من المسلمين بالتسلح الكامل ، وأمر عليهم « محمد بن مسلمة » وحملهم على مائة فرس سريع ، وأمرهم بالتوجه صوب مكة أمام القافلة الكبرى ، والاستقرار في منطقة « مر الظهران » قرب الحرم ، ينتظرون ورود رسول الله ﷺ ومن معه .

فعرف عيون قريش الذين كانوا يراقبون تحركات رسول الله ﷺ بقضية الفرسان المسلحين المائتين ، واستقرارهم في وادي « مر الظهران » ، وأخبروا سادة قريش بالأمر . فبعثت قريش « مكرز بن حفص » الى رسول الله ﷺ ليكلموه في هذا الإجراء فاتى مكرز الى رسول الله ﷺ ه اعتراض قريش وانه تعهد . قبل ذلك . أن لا يدخل مكة إلا بسلاح المسافرين .

فأجابه رسول الله ﷺ .

« لا ندخلها إلا كذلك ولكن يكون هؤلاء قريين منا » .

وقد أفهم رسول الله ﷺ مكرزا بهذه العبارة بأن قريش لو استغلت عدم حمل النبي واصحابه للسلاح الثقيل فباغتتهم أدركتهم هذه القوة الاحتياطية المسلحة القوية المستقرة على مقربة من الحرم ، ومدّوهم بالسلاح والعتاد .

فعاد « مكرز » واخبر قريشا بما سمع من رسول الله ﷺ فادركت قريش حنكة رسول الاسلام وبعد نظره ، وحسن تقديره للامور ،



ففتحت أبواب مكة في وجه المسلمين ، وخرج رعوس المشركين وأهلهم ومن تبعهم الى رعوس الجبال ، وخلصوا مكة ، وقالوا : لا ننظر إلى محمد ولا إلى اصحابه ، ولكنهم كانوا يراقبون المشهد من بعيد!!<sup>(١)</sup>

### النبي يدخل مكة :

دخل رسول الله ﷺ وهو على راحلته القصواء وأصحابه متوشحو السيوف محذقون به يلبنون وهم ألفان ، فدوى صوتهم الموحد بالتلبية في أرجاء مكة ، وكانت نعمة هذه التلبية الكبرى من الجلال والجمال بحيث بهرت كل سكان مكة ، وسحرت قلوبهم وعطفها نحو المسلمين ، وفي نفس الوقت أزعج اتحاد المسلمين ، ونظامهم ، والتفافهم حول النبي قلوب المشركين ، ولم يقطع رسول الله ﷺ تلبيته حتى استلم الركن.

فلما انتهى رسول الله ﷺ الى البيت وهو على راحلته وابن رواحة أخذ بزمامها وقد صف له المسلمون حين دنا من الركن حتى انتهى إليه ، استلم الركن بمحجنه مضطجعا بثوبه على راحلته انشد عبد الله بن رواحة يقول :

خَلِّوا بَنِي الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ      إني شـهدت أنه رسـوله  
حقا وكل الخير في سبيله      نحن قتلناكم على تأويله  
كما ضربناكم على تنزيله      ضربا يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله<sup>(٢)</sup>

وطاف رسول الله ﷺ بالبيت المعظم على راحلته ، وهنا أمر

(١) امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ .

(٢) زاد المعاد : ج ٢ ص ١٥٢ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن رواحة ان يردَّ هذا الدعاء بلحن ونغم خاص ؛ وان يتبعه المسلمون :  
« لا إله إلا الله وحده وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده واعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده » .

كانت مكة بجميع مشاعرها في ذلك اليوم تحت تصرف المسلمين ، المسجد ، الكعبة ، الصفا ، المروة ، وغيرها . وقد كانت هذه الشعارات التوحيدية الساخنة في مكان كان طوال سنين مديدة مركزا للوثنية ، والشرك توجه ضربه روحية قوية إلى نفسية سادة المشركين ، وأتباعهم ، مما كان يوحي بغلبة « محمد » صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كل أرجاء الجزيرة العربية حتما ويقينا .

ولما قضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسكه دخل البيت فلم يزل فيه حتى حان الظهر ، فصعد بلال الذي طالما عبدَّ في هذا البلد بسبب اسلامه فوق ظهر الكعبة بأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واذن لصلاة الظهر .

ولقد كان لهذا المنظر مردود عجيب في نفوس المشركين فبالل واقف في نقطة طالما عبدَّ فيها الشهادة بالتوحيد وبرسالة محمد ، ذنبا لا يعتفر ، وجريمة لا ينجو صاحبها من العذاب ، يردد ويردد معه المسلمون ما يردد من فصول الأذان فصلا فصلا في خشوع وروحانية بالغة . لقد أزعج أذان بلال المشركين واعداء التوحيد ، حتى قال « صفوان بن أمية » : الحمد لله الذين أذهب أبي قبل أن يرى هذا ، وقال خالد بن اسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم ، ولم يسمع هذا العبد الحبشي يقول ما يقول .

واما « سهيل بن عمرو » فانه لما سمع تكبير بلال غطى وجهه بمنديل . إنهم لم ينزعجوا من صوت « بلال » بل أخرجتهم مضامين فصول الأذان التي كانت ضد ما يحملونه من المعتقدات الباطلة الموروثة ، وجعلتهم يعانون بسبب

ذلك من عذاب روحي شديد.

ثم ان رسول الله ﷺ حين أراد السعي بين الصفا والمروة سمع بأن قريشا تحدثت بينها أن محمدا وأصحابه في عسرة وجهد وشدة ، وان الذين هاجروا معه الى المدينة مرضى ، وأنهم صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فهول رسول الله ﷺ هرولة في المكان المعلم الآن في المسعى ، وتبعه المسلمين وقد قال لهم قبل ذلك.

« رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة »<sup>(١)</sup>.

وذلك ليبطل ما اشاعته قريش حول المسلمين المهاجرين من الضعف والهزال بسبب ظروف المهجر. وهذا إن دل على شيء فأنما يدل على امرين :

أولا : جواز القيام بالأعمال السياسية في موسم الحج.

ثانيا : ان النبي ﷺ كان حذرا جدا فكان يبطل كل خطط العدو أولا بأول.

يقول صاحب زاد المعاد : أمر النبي بذلك ليرى المشركون جلدتهم وقوتهم ، وكان يكأيدهم ( أي يبطل كيدهم ) بكل ما استطاع<sup>(٢)</sup>.

ثم ان رسول الله ﷺ بعد أن فرغ من السعي نحر البدن ، ثم قصر من شعره ، ثم خرج من إحرامه ، وتبعه المسلمون في كل ما فعل.

ثم أمر ﷺ مائتين من أصحابه بعد أن طافوا بالبيت وانتهوا من مناسك العمرة ان يذهبوا إلى أصحابه بمر الظهران فيقيموا على السلاح فيأتي الآخرون فيقضوا مناسكهم ، ففعلوا.

انتهت أعمال العمرة ونسكها ، وذهب المهاجرون إلى منازلهم التي هجروها قبل سبعة أعوام ، ليجددوا اللقاء بذويهم وأقربائهم بعد طول فراق ، واستضافوا

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٣٠٩ وراجع نظيره في زاد المعاد : ج ٢ ص ١٥٢ .

(٢) زاد المعاد : ج ٢ ص ١٥٢ . ولنا مقال مفصل في هذا المجال تحت عنوان الحج عبادة وسياسة نشر في مجلة الشهيد فراجع.

جماعة من الأنصار في بيوتهم وفاء لجميلهم وتقديرا لخدماتهم حين قدموا عليهم المدينة بعد الهجرة ، فأسكنوهم واکرموهم في منازلهم وخدموهم سنينا عديدة.

### النبي يغادر مكة :

تركت أحوال المسلمين وأوضاع الاسلام وجمال الموكب النبوي وعظمته أثرا بليغا وعجيبا في نفوس سكان مكة المشركين ، فقد تعرفوا على نفسية المسلمين النبيلة الطيبة في هذه الزيارة أكثر من أي وقت مضى وكاد ذلك أن « يفعل » فعلته ، ويحدث انقلابا روحيا في تلك البيئة.

ولما رأى زعماء المشركين أن توقف النبي وأصحابه في مكة سيؤثر في عقائد أهل مكة ويضعف تمسكهم بوثنيتهم ، ويوجد علاقات المحبة بينهم وبين المسلمين ، لهذا بعثوا أحدهم وهو حويطب الى رسول الله ﷺ . بعد انقضاء المؤتمر المقررة للاقامة في مكة في المعاهدة . ليطلب منه مغادرة مكة قائلا : انه قد انقضى اجلك فاخرج عنا.

فانزعج بعض أصحاب النبي ﷺ من مقالة مبعوث قريش هذا ، ولكن النبي لم يكن بالذي يخالف ما تعهد به ، ولهذا أمر بأن ينادى في المسلمين بالرحيل فترك هو والمسلمون مكة فورا.

ولقد تأثرت « ميمونة » اخت أم الفضل زوجة العباس ، بما شهدت من مشاعر المسلمين وروحانيتهم فأرسلت إلى رسول الله ﷺ عن طريق عمها العباس أنها ترغب في الزواج برسول الله ﷺ ، فوافق رسول الله ﷺ (١) وتزوجها ، وبهذا قوى علاقاته مع قريش.

ان رغبة فتاة في الزواج بمن يكبرها بسنين عديدة لدليل واضح على مدى التأثير الروحي والمعنوي الذي تركه النبي والمسلمون في النفوس حتى أن النبي

---

(١) حياة محمد : ص ٤٠١ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَلَبَّ مِنْ مَبْعُوثٍ قَرِيشٍ بِأَنْ يَمْهَلُوهُ بَعْضَ الْوَقْتِ لِيَعْرِسَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ ، وَيَصْنَعَ لَهُمْ طَعَامًا يَحْضُرُوهُ ، أَبُو إِمَّهَالَةَ خَوْفًا مِنْ تَأْثِيرِهِ فِي النُّفُوسِ ، وَقَالُوا لَهُ : لَا حَاجَةَ لَنَا فِي طَعَامِكَ فَاخْرَجْنَا عَنْهُ (١) .

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُخْرَجَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَكَّةَ فِي مُنْتَصَفِ النَّهَارِ وَلَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ ، وَخَلَّفَ أَبُو رَافِعٍ لِيَحْمِلَ إِلَيْهِ زَوْجَتَهُ « مَيْمُونَةَ » حِينَ يَمْسِي ، فَأَقَامَ أَبُو رَافِعٍ حَتَّى أَمْسَى ، فَخَرَجَ بِمَيْمُونَةَ وَمِنْ مَعَهَا فَلَقُوا عَنَاءَ مَنْ سَفِهَاءَ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَامُوا « مَيْمُونَةَ » عَلَى فِعْلِهَا ، وَلَكِنْ كَلَامُهُمْ لَمْ يُوَثِّرْ قَطُّ فِي نَفْسِهَا ، فَقَدِ رَغِبَتْ فِي الزَّوْجِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَافِعِ الرِّغْبَةِ فِي خَلْقِهِ وَسَمُوَ أَخْلَاقَهُ .

وهكذا تحققت رؤيا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصادقة التي رآها قبل سنة واحدة بأنه دخل البيت ، وحلق راسه ، ونزلت بعد هذه الوقائع الآية ٢٧ من سورة الفتح تتحدث عن تحقق هذا الوعد حيث أخبرت ضمنا عن فتح قريب ، . هو فتح مكة . الذي تحقق في السنة الثامنة من الهجرة اذ يقول سبحانه :

« قَدْ لَقِيَ اللَّهُ رَسُولَهُ لِيُؤْيِيَهُ إِلَى الْيَمِينِ يُخَلِّدُ لَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِرَأْمٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُخَلِّقِينَ فِيكُمْ مِنْكُمْ رِزْقًا مَفُوقَ عِلْمِ الْإِنْسَانِ فَتَعَلَّمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا » (٢) .

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٧٢ ، تاريخ الخميس : ج ٢ ص ٦٢ . ٦٥ .

(٢) الفتح : ٢٧ .

### معركة مؤتة

انقضت السنة الهجرية السابعة ، واستطاع المسلمون بفضل معاهدة صلح الحديبية ان يزوروا معا بيت الله المعظم ويعتصموا في امان ، ويرددوا في مركز حكومة الوثنيين شعارات قوية لصالح عقيدتهم التوحيدية إلى درجة انهم استطاعوا ان يستميلوا نحو الاسلام قلوب جماعة من سرة قريش وزعماء المشركين امثال « خالد بن الوليد » ، « وعمرو بن العاص »<sup>(١)</sup> و « عثمان بن طلحة » ، فلم يلبثوا أن جاءوا طائعين راغبين الى المدينة ، واعتنقوا الاسلام وقطعوا علاقتهم بحكومة مكة الوثنية المشتركة التي لم يبق منها إلا جسم من دون روح ، وهيكل من دون حياة<sup>(٢)</sup>.

وذكر بعض المؤرخين اسلام خالد او ابن العاص في السنة الخامسة من الهجرة. ولكن هذا غير صحيح قطعاً لأن « خالدا » كان يقود في الحديبية مائتين من فرسان قريش ، ونحن نعلم أن اسلام هذين الرجلين تمّ في وقت واحد. كان ثمّت أمن نسبي يسود أكثر مناطق الحجاز في أوائل السنة الثامنة ، وكان نداء الاسلام قد وصل إلى أكثر النقاط ولم يبق من نفوذ اليهود شيء ، ولم

(١) لقد ذكر الواقدي في مغازيه : ج ٢ ص ٧٤٣ و ٧٤٥ علة اسلام عمرو بصورة اخرى.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد : ج ٤ ص ٢٥٢ . ٢٦١ .

تعد قریش تهدد المسلمين من ناحية الجنوب ، ولهذا فكر رسول الله ﷺ في أن يركز دعوته على سكان المناطق الحدودية للشام ، ويستميل الى الاسلام قلوب اولئك الاقوام التي كانت في تلك الايام تعاني من ظلم السلطات الروميه .

ولهذا الغرض وجه « حارث بن عمير الازدي » مع كتاب إلى « الحارث بن أبي شمر الغساني » ملك « بصرى » الذي كان حاكم الشامات المطلق يومذاك ، وكان يحكم من جانب قيصر .

فلما نزل مبعوث النبي « مؤتة » عرف به شرحبيل وكان حاكم المناطق الحدودية ، فقبض عليه ، وحقق معه ، فاعترف له بانه يحمل كتابا من جانب رسول الاسلام إلى حاكم الشامات المطلق ( الحارث الغساني ) ، فأمر بان يوثق وقدمه وضرب عنقه صبورا مخالفا بذلك كل الأعراف العالمية القاضية باحترام السفراء وحصانتهم .

فعرف رسول الله ﷺ بذلك وغضب لمقتل رسوله بشق ونذب الناس فأخبرهم بمقتل سفيره ومن قتله ، ودعا المقاتلين المسلمين الى الخروج للاقتصاص من قاتل « الحارث » .

#### حادثة أفجع من السابقة :

واتفق أن وقعت في نفس الايام حادثة اخرى افجع من الأولى ، أكّدت عزم رسول الله ﷺ على تأديب سكان المناطق الحدودية الشامية الذين سلبوا دعاة الاسلام حرية العمل والدعوة ، وقتلوا دون رحمة ، وعذرا سفير النبي ، وجماعة الدعوة والتبليغ وإليك مفصل الحادثة الثانية :

بعث رسول الله ﷺ في شهر ربيع الاول سنة ثمان من الهجرة على رأس خمسة عشر رجلا إلى منطقة « ذات أطلاح » من ارض الشام ، خلف وادي القرى لدعوة الناس الى الاسلام ، فخرجوا حتى انتهوا إلى تلك

المنطقة فدعوا أهلها إلى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ، ورشقوهم بالنبل فلما رأى أصحاب النبي ﷺ ذلك قاتلوهم اشد القتال ، حتى قتلوا مؤثرين عز الشهادة على ذل الأسر ، وافلت منهم رجل جريح من القتلى ، فلما جنّ الليل تحامل حتى اتى رسول الله ﷺ فاخبره الخبر فشق ذلك على رسول الله ﷺ .

فتسبب العدوان على دعاة الاسلام وقتلهم في ان يصدر رسول الله ﷺ أمرا بالخروج إلى الجهاد في شهر جمادى ، ووجه جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل لتأديب المتمردين ، ومزاحمي دعاة الاسلام.

فتجمع ثلاثة آلاف بعد الاذان بالجهاد في معسكر خارج المدينة يدعى « الجرف » فخرج رسول الله ﷺ بنفسه الى ذلك المعسكر ، وخطب في المقاتلين خطابا ، هذا نصه :

« اغزوا بسم الله ادعوهم الى الاسلام فإن فعلوا فاقبل منهم واكف عنهم والا فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام ، وستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين الناس ، فلا تعرضوا لهم ، وستجدون آخرين للشيطان في رءوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف ، ولا تقتلن امرأة ولا صغيرا مرضعا ولا كبيرا فانيا ، لا تغرقن نخلا ولا تقطعن شجرا ، ولا تهدموا بيتا » (١).

ثم قال : جعفر بن أبي طالب أمير الناس ، فان قتل فزيد بن حارثة ، فان اصيب زيد فعبد الله بن رواحة فإن اصيب عبد الله بن رواحة فليرتضى المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم.

ثم امر رسول الله ﷺ المقاتلين بالتحرك نحو الهدف ، وخرج فشييعهم مع جماعة من اصحابه حتى « ثنية الوداع » وهناك ودّعهم وكان المسلمون المشيعون يقولون : دفع الله عنكم وردكم سالمين غانمين ، صالحين.

(١) المغازي : ج ٢ ص ٧٥٧ و ٧٥٨.



ولكن ابن رواحة أجابهم قائلاً :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا  
أو طعنة ييدي حرّن مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا  
حتى يقال إذا مرّاً على جدثي يا أرشد الله من غاز وقد رشدا<sup>(١)</sup>.  
وأنت أيها القارئ الكريم يمكنك أن تعرف من خلال هذه الابيات عمق إيمان هذا  
الفرس القائد وحبّه للشهادة في سبيل الله.

ثم ان الناس رأوا عبد الله بن رواحة لما ودع من ودع بكى ، فقالوا ما يبكيك يا ابن  
رواحه؟ فقال : أما والله ما بي حب الدنيا ، ولا صباة بكم ولكني سمعت رسول الله  
ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار :

« وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا »<sup>(٢)</sup>.

فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود<sup>(٣)</sup>.

### خلاف حول من هو الامير الاول؟

لقد كتب بعض المؤرخين : أن الامير الاول كان هو زيد بن حارثة ابن رسول الله  
ﷺ بالتبني ، ثم جعفر بن أبي طالب ، ثم عبد الله بن رواحة ، ولكن محققي الشيعة يرون  
عكس هذا فهم يعتبرون جعفر بن أبي طالب قائد الجيش وزيدا وعبد الله معاونين أو  
خليفتين له على الترتيب فيجب ان نرى أي الرأي يوافق الحقيقة.

لتحصيل الحقيقة في هذا المجال هناك طريقتان :

١ . ان زيد بن حارثة لم يكن يعادل من ناحية التقوى والعلم والمكانة

(١) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٦٠ ، الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٢٨ .

(٢) مريم : ٧١ .

(٣) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٧٤ .

الاجتماعية جعفر بن أبي طالب ( جعفر الطيار ) .

يقول ابن الاثير عنه : جعفر بن أبي طالب كان اشبه الناس برسول الله ﷺ خلقا وخلقا ، أسلم بعد إسلام أخيه عليّ بقليل . روي أن أبا طالب رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلياً رضي الله عنه يصليان وعليّ عن يمينه ، فقال لجعفر : صل جناح ابن عمك وصل عن يساره (١) .

وجعفر رأس المهاجرين إلى الحبشة الذين هاجروا إليها حفاظا على دينهم وعقيدتهم من الفتنة وهو الذي استمال قلب النجاشي بما تكلم به عنده من الحجّة وقرا عليه آيات من القرآن عن المسيح ﷺ وأمه مريم ، واثبت كذب مبعوثي قريش لاستعدادهم إلى ارض الحجاز ، وهو الذي وفق لأن يخطب ودّ النجاشي ويكسب حمايته للمهاجرين الملاحقين إلى درجة أنه طرد مندوبي قريش (٢) .

ان جعفرا هو الشخصية البارزة التي لما رآه رسول الله ﷺ يوم خيبر وقد عاد من الحبشة مشى إليه (١٢) خطوة وعانقه وضمه وقبل ما بين عينيه وبكى من فرط الشوق إليه وقال في حقه :

« بايها اسر بقدم جعفر أم بفتح خيبر » .

إنه هو ذلك الرجل العظيم الذي كان يذكر عليّ رضي الله عنه ، بعد استشهاده شجاعته وبسالته ، فعند ما سمع عليّ رضي الله عنه بمبايعة عمرو بن العاص لمعاوية ، وتقرّر أن يوكل معاوية حكومة مصر إلى عمرو إذا غلبا عليا ، غضب عليّ رضي الله عنه من هذا الامر وتذكر شجاعة عمّه حمزة وأخيه جعفر وقال :

لو أن عندي يا ابن حرب جعفرا او حمزة القرم الهمام الازهرا

(١) اسد الغابة : ج ١ ص ٢٨٧ .

(٢) اسد الغابة : ترجمة جعفر بن أبي طالب ، وغيره من المصادر في هذا المجال .

رأت قريش نجم ليل ظهرا (١).

فهل مع هذه المواصفات والجهات التي نقلنا قسما منها هنا فقط يميز العقل أن يفهم رسول الله ﷺ وسلم قيادة القوات إلى زيد ويجعل جعفر معاونه او خليفته الاول.

٢ . ان الأشعار التي انشدها شعراء الاسلام الافذاذ في رثاء هؤلاء القادة بعد استشهادهم حاكية عن ان القائد الاعلى في هذه المعركة الكبرى ( مؤتة ) كان « جعفر » وكان أمر المعاونة والخلافة يرتبط بالرجلين الآخرين ، فهذا « حسان » شاعر عصر الرسالة انشد شعرا بعد أن بلغه استشهاد اولئك القادة بصورته المفجعة قال فيه :

فلا يبعذن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر  
وزيد وعبد الله حين تتابعوا جميعا وأسباب المنية تخطر (٢)  
فكلمة تتابعوا تشهد بجلاء على أن مقتل هؤلاء القادة الذين ذكرهم تم على النحو الذي جاء ذكرهم ، يعنى أن جعفر كان اول الشهداء ثم تلاه في قيادة الجيش الاسلامي ثم الشهادة زيد ، ثم ابن رواحة.

وان اوضح الادلة على ذلك قصيدة « كعب بن مالك » في رثاء شهداء مؤتة ، التي يصرح فيها بان جعفر كان هو القائد الأول ، وقد كان صاحب هذه الأبيات ممن شاهد تفويض أمر القيادة العليا للجيش من جانب رسول الله ﷺ إلى جعفر .  
يقول كعب في قصيدته :

إذ يهتدون بجعفر ولوائه قلام أولهم فمنعهم الأول (٣)  
إن هذه القصائد الرثائية التي انشدت في أعقاب استشهاد اولئك القادة ، وسلمت من يد التحريف اقوى شاهد على ان ما كتبه مؤرخو السنّة حول هذا

(١) وقعة صفين : ص ٤٩ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٨٤ .

(٣) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٨٦ .

المطلب يخالف الحقيقة ، وأن الرواة اختلقوا هذا الترتيب لدوافع وأغراض سياسية لا مجال لذكرها ، وبيانها هنا ، وقد تبعهم في ذلك كتاب السيرة وادرجوه في كتبهم من دون تمحيص وتحقيق.

والعجب أن ابن هشام الذي نقل كل هذه الابيات والقصائد قال : ان جعفر كان المعاون الأول لزيد بن حارثة ، وليس القائد الأعلى للجيش ، وهو كما ترى تناقض مكشوف<sup>(١)</sup>.

### جيشا الروم والاسلام يتواجهان :

كانت « الروم » قد اصبحت يومذاك . نتيجة الحروب العديدة والطويلة مع منافستها ايران . بالفوضى ، والهرج والمرج الشديدين.

فمع ان قادة الروم كانوا سكارى من نشوة الانتصار على ايران إلا أنهم قد بلغهم شيء كثير عن شجاعة المسلمين وبسالتهم النابعة من إيمانهم والتي كسبوا عن طريقها أمجادا عظيمة ، وكانوا يراقبون على الدوام تحرك جنود الاسلام ونشاطاتهم العسكرية.

ولهذا لما بلغ هرقل قيصر الروم بموعد توجه جنود الاسلام الى ناحية الشام لتأديب عميله شرحبيل الغساني ، أرسل جيشا عظيما وقويا لمواجهة جنود الاسلام البالغ عددهم ثلاثة آلاف.

وقد اعد « شرحبيل » حاكم ارض الشام وحده مائة ألف فارس من مختلف القبائل القاطنة في الاراضي الشامية ووجهه الى حدود الشام لإيقاف تقدم الجيش الاسلامي ، وقد أعد قيصر قبل ذلك مائة ألف جندي رومي فنزل في منطقة تدعى « مآب » من مدن البلقاء ، واستقرّ هناك كقوة احتياطية تتدخل عند اللزوم<sup>(٢)</sup>.

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٨٠.

(٢) المغازي : ج ٢ ص ٧٦٠ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٧٥.

ولقد كان تجميع هذا القدر الهائل من الجنود والمقاتلين لمواجهة جيش يقل عددا بكثير عن هذا القدر نابعا من الانباء التي بلغت قادة الروم والشام عن فتوحات المسلمين وانتصاراتهم الساحقة ، وعن الوقوف على شجاعتهم وبسالتهم التي ذاع صيتها ، وإلا فان عشر هذا العدد ، ( أي عشرون ألف ) يكفي لمواجهة ثلاثة آلاف مقاتل مهما كانت شجاعة هؤلاء.

كما أنه لدى المقارنة بين العسكريين كان الجيش الاسلامي أضعف من جيش الروم بكثير ، سواء من ناحية العتاد ، أو من ناحية المعرفة بفنون القتال وتكتيكاته العسكرية ، لان القادة العسكريين الروم كانوا قد كسبوا خبرة حربية واسعة نتيجة المشاركة في الحروب العديدة والطويلة التي دارت بين الروم وبين ايران ، وعرفوا بالتالي مفاتيح الانتصار ، بينما كانت معلومات الجيش الاسلامي الناشئ معلومات بدائية وبسيطة في هذا المجال.

هذا مضافا إلى عدم وجود التكافؤ بين الجيش الاسلامي والجيش الروماني في نوعية المعدات الحربية والاجهزة القتالية ووسائل النقل وما شابه ذلك.

وفوق هذا وذلك فان القوة الاسلامية كانت تحارب في أرض غريبة عليها ، وتقوم بدور المهاجم ، بينما كان الرومان يقاتلون في بلادهم دفاعا وهم يتمتعون بجميع مستلزمات القتال ومتطلبات الحرب.

وفي مثل هذه الحالة يجب ان تكون القوة المهاجمة قوية جدا ، بحيث يمكنها ملاقاته سلبيات الظروف غير المساعدة.

ومع هذا فإننا سنرى عما قريب كيف أن قادة الجيش الاسلامي قاوموا وآثروا الصمود والقتال على الهروب والفرار مع انهم كانوا يرون الموت على بعد أقدام معدودة منهم ، وبهذا أضافوا إلى أمجادهم أمجادا اخرى ، وسطروا اسطرا اخرى في سجل بطولاتهم.

منذ أن ورد المسلمون المناطق الحدودية للشام عرفوا باستعدادات العدو العريضة ، وحجم قدراته العسكرية الواسع فشكّلوا من فورهم شورى عسكرية

فقال البعض : نكتب الى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر ، فيما يردنا وإما يزيدنا رجالا . وكاد هذا الرأي ان يلقي قبولا من المشاورين الآخرين لو لا أن « عبد الله بن رواحة » الذي طلب ساعة خروجه من المدينة من الله ان يرزقه الشهادة كما اسلفنا ، شجعهم على الصمود وقال : « والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ، ولا بكثرة سلاح ، ولا بكثرة خيول ، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، انطلقوا ، والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا إلا فرسان ، ويوم احد فرس واحد ، وإنما هي إحدى الحسينين ، إما ظهور عليهم ، فذلك ما وعدنا الله ووعدنا نبينا ، وليس لوعده خلف ، وإما الشهادة فلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان » .

ففي هذه الخطبة الحماسية الصادقة معنويات المقاتلين المسلمين وبثت فيهم روح البسالة والمقاومة .

ثم تواجه الجيشان في منطقة تدعى « مشارف » ولكن جنود الاسلام تأخروا وانسحبوا قليلا لبعض العلل ، ونزلوا في مؤتة . فقسم جعفر بن أبي طالب قائد الجيش ، جنود الاسلام إلى اقسام : مختلفة ، وأمر على كل قسم اميرا ، ثم بدأت المبارزة الفردية على نحو ما كان متعارفا في حروب العرب ، فكان على جعفر ان ياخذ اللواء بيده ويوجه صفوف المقاتلين المسلمين ، ويقاوم في نفس الوقت .

ثم اننا نكتشف مدى الشجاعة الروحية وثبات الارادة لتحقيق الهدف من خلال الرجز الذي أنشده « جعفر » خلال القتال فقد أخذ يرتجز ويقول :

يا حَبِّذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شـرابها  
والرؤم روم قد دنا عذابها كـافرة بعيـدة أنسابها  
عليّ إذ لاقيتها ضرابها<sup>(١)</sup>

ولقد قاتل قائد الجيش الاعلى ( جعفر ) قتالا عظيما ، فلما حاصره الأعداء في ساحة القتال وأيقن بالشهادة وثب الى الارض ثم عقر فرسه في الحال لكي

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٧٨ .

لا ينتفع به العدوّ واخذ يقاتل ، وهو آخذ باللواء يمينه ، فقطعت يمينه فاخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى لا يسقط لواء رسول الله ﷺ على الأرض حتى قتل وقد وجد به ثمانون جراحة او تزيد!!<sup>(١)</sup>.

فلما قتل « جعفر » أخذ الراية « زيد بن حارثة » معاونه الاول فقاتل ببسالة عظيمة حتى قتل برماح القوم.

فاخذ الراية « عبد الله بن رواحة » معاونه الثاني ، ثم تقدّم بها وهو على فرسه ، فجعل يقاتل ويرتجز ، فاحسّ بالجوع أثناء القتال ، وألحّ عليه ، فاتاه رجل بعرق من لحم ليزيل به جوعه ويشدّ به صلبه ، فلم يأكل منه شيئاً حتى سمع صوت هجوم العدوّ ، فالقى الطعام من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل.

### حيرة المقاتلين المسلمين بعد مقتل القادة :

وهنا بدأت حيرة المقاتلين المسلمين ، فقد قتل القائد الأعلى للجيش ومعاوناه وعلى الترتيب الذي ذكر.

ولكن النبي ﷺ كان قد تحسّب لهذه الحالة ، وترك أمر اختيار القائد في مثل هذا الوضع إلى الجنود انفسهم ، فأخذ الراية « ثابت بن أقرم » وقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح على « خالد بن الوليد » الذي كان حديث عهد بالاسلام آنذاك.

ولقد كانت الساعة التي انيط فيها القيادة الى خالد ساعة خطيرة وحساسة جدا ، حيث قد تغلّب الخوف والرعب على المسلمين كافة.

فعمد القائد الجديد إلى استخدام تكتيك عسكري لم يعرف له مثيل ، فقد

---

(١) المغازي : ج ٢ ص ٧٦١. وقد اثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما في الجنة وسمى في ما بعد بجعفر الطيار ، راجع السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٧٨.

امر بالعسكر إذا جن الليل أن يحدث بعض التغييرات في صفوفه من دون ضجيج فتنقل  
الميسرة الى الميمنة ، والميمنة الى الميسرة ، وتتأخر المقدمة الى مكان القلب ، ويتقدم القلب  
الى موضع المقدمة. ففعل المسلمون ذلك ، واستمرّت هذه التغييرات حتى طلوع الفجر.  
كما أنه امر جماعة من المسلمين المقاتلين أن يخرجوا من الجيش ليلا ، ويذهبوا إلى مكان  
بعيد فاذا اسفر الصبح التحقوا بالمسلمين سريعا وهم يكوّرون حتى يظن العدو وصول  
امدادات عسكرية بشرية جديدة الى المقاتلين المسلمين وقد تسبب هذا التكتيك بنفسه في  
أن يحجم الجيش الكافر عن مهاجمة المسلمين واستئصالهم ، بعد ان قتل خيرة قادتهم.  
فلما كان الصبح ورأى العدو وجوها جديدة ، كما رأوا إمداد المسلمين بمجموعة  
عسكرية جديدة قالوا : قد جاءهم مدد. فرعبوا وانهمزموا فقاتلهم المسلمون ، وقتلوا منهم  
مقتلة عظيمة ، وقتل في هذا الاثناء أحد الجنود المسلمين.  
ثم ساد الموقف صمت رهيب ، فاستفاد من هذا الصمت والأمن الذي كان يخيم على  
الجيش فرجعوا من حيث اتوا.  
إن أكبر انتصار للمسلمين هو ان قوة قليلة محدودة واجهت جيشا عظيما منظما ثلاثة  
أيام ، وبالتالي نجوا بأنفسهم ، وكان تدبير الامر الجديد تدبيرا حكيما خلّص المسلمين من  
موت محتم ، فعادوا سالمين إلى المدينة ، وكان هذا ممّا يشكرون عليه ، ويستحقون الثناء  
والثناء<sup>(١)</sup>.

### الجنود يعودون الى المدينة :

وقبل ان يقدم جنود الاسلام من « مؤتة » المدينة كانت قد وصلت إلى المسلمين أنباء  
انسحابهم وانباء سيئة عن وضع الجيش ، من هنا ذهب المسلمون الى

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٨١ و ٣٨٨ و ٣٨٩.



منطقة الجرف لاستقبالهم.

ومع ان عمل القائد الجديد كان تكتيكا حكيما الا ان مثل هذا الصنيع حيث انه كان يتنافى مع ما حققه المسلمون من أمجاد مشرقة وتنافي مشاعرهم وبسالتهم الذاتية والاصيلة لذلك استقبلوهم بشعارات نابية وانتقادات جارحة والقوا بالتراب والحجارة في وجوه المقاتلين العائدين ، وقالوا : يا فرّار ، فرّرم في سبيل الله؟

وقد كانت ردة فعل بعض المسلمين قويّة جدا الى درجة انه اضطر بعض الشخصيات التي شاركت في تلك المعركة إلى ان يقعد في بيته ، ولا يظهر في الملأ ، فكان الناس . إذا خرجوا . يشيرون إليهم بالاصابع ويقولون : ألا تقدمت مع أصحابك؟<sup>(١)</sup>

ولقد كانت ردة فعل المسلمين تجاه عملية انسحاب جنود الاسلام الزكية ، كاشفة عن روح الشهامة والجهاد التي أوجدها الايمان بالله والايمان بيوم القيامة في نفوسهم بحيث صاروا يعدّون القتل والشهادة في سبيل الله ، أفضل من الانسحاب والتأخر.

### اسطورة بدل التاريخ الصحيح :

حيث إن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام قد اشتهر بين المسلمين بأسد الله ، لذلك أراد البعض أن ينحتوا تجاه هذا القائد قائدا آخر ، ويمنحونه لقب سيف الله ، ولم يكن ذلك إلاّ خالد بن الوليد من هنا قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقب خالد بن الوليد بعد رجوعه من معركة « مؤتة » بسيف الله<sup>(٢)</sup>

ولو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منح مثل هذا اللقب لخالد في مناسبة

(١) المغازي : ج ٢ ص ٧٦٥.

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٨٢ ، السيرة الحلبية : ج ٢ ص ٧٩.

اخرى لما كان للبحث والنقاش مجال.

ولكن الاوضاع بعد معركة « مؤتة » ما كانت توجب بل ولا تسمح بأن يعطيه رسول الله ﷺ مثل هذا اللقب ، فهل من يرأس فريقا يسميه المسلمون الفرّار ، ويحثون في وجوههم التراب يحسن أن يعطي في مثل هذه المناسبة لقب سيف الله؟ أجل ؛ لو أن خالدا كان مظهرا لسيف الله في غزوات ومعارك اخرى امكن القبول بذلك ، أما في هذه العركة فلم يكن مظهرا لسيف الله ، ولم يصدر منه بعد تقليده إمارة الجيش إلاّ تكتيك نظامي حكيمة ، ولما وصف هو ومن معه بالفراريون ، خاصة ان ابن سعد يكتب قائلا : فاصطاح الناس على خالد بن الوليد ، فأخذ اللواء ، وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من المسلمين (١).

إن مختلفي هذه الاسطورة أضافوا لتأكيد مطلبهم هذه الجملة أيضا : قال خالد : لقد اندق يومئذ ( أي يوم مؤتة ) في يدي سبعة أسياف فما ثبت بيدي إلاّ صفيحة بمانية (٢).  
ان مختلفي هذه الكذبة غفل تماما عن أن خالدا وجنوده لو كانوا ابدوا في هذه المعركة مثل هذه البسالة ولو انجزوا في هذه الحرب مثل هذا العمل العظيم فلما ذا سبّاهم أهل المدينة بالفرّار؟ او لما ذا حثوا التراب في وجوههم؟ ولما وقع الناس في خالد بعينه (٣) ، إذ كان من اللازم في هذه الصورة أن يزرعوا طريقهم بالورود ، ويقربوا بين أيديهم القرابين ابتهاجا بعودتهم الظافرة واعجابا بعملهم الجبار!!

### النبي يبكي بشدة لمقتل جعفر :

لقد بكى رسول الله ﷺ في مقتل ابن عمه « جعفر » بشدة

(١) الطبقات : ج ٢ ص ١٢٩ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٤٩ .

(٢) اسد الغابة : ج ٢ ص ٩٤ .

(٣) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٦٨ وغيره .

ولكي تعرف زوجته اسماء بنت عميس بمصرع زوجها دخل عليها ، فقال لاسماء : ايتيني ببني جعفر.

فجاءت بهم إليه فضمّهم وشمهم ، ثم ذرفت عيناه ثم بكى ، فعرفت أسماء بمصرع زوجها فصاحت وبكت ثم خرج رسول الله ﷺ إلى اهله وقال :  
« لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » .  
وكان كلما تذكر جعفرا وزيد بن حارثة بكى <sup>(١)</sup> .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٥٤ ، المغازي : ج ٢ ص ٧٦٦ والسيرة الحلبية : ج ٣ ص ٦٨ ، وامتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٥١ .

## غزوة ذات السلاسل

منذ أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وأصبحت « المدينة » مركز الإسلام وقاعدته ، وموضع تمرکز المسلمين وعاصمتهم ، ظلّ رسول الله ﷺ يراقب أوضاع أعداء الاسلام ، ويرصد تحركاتهم ، ومؤامراتهم ، وكان يولي مسألة تحصيل المعلومات المفصلة عن المتآمرين من المشركين وغيرهم اهتماما كبيرا ، ويعمد دائما إلى اختيار أفضل العناصر لإرسالهم . بمختلف الحجج . إلى نواحي مكة ، ويتهم في القبائل المشركة المختلفة لتجسس أخبارهم ، والتعرف على نواياهم ، وتدبيرهم .

ولقد استطاع النبي ﷺ بفضل الاطلاع المبكر والدقيق على المؤامرات التي كانت تحاك ضده أن يفشل الكثير من خططهم .

فقد كان ﷺ يباغت العدو ، ويحاصره قبل أن يتحرك من مكانه ، عن طريق المجموعات العسكرية التي كان يقودها بنفسه ، أو التي كان يؤمّر عليها أحد أركان جيشه ويوجّهها صوب مكان تجمع العدو ، فيفترقون جمعهم ، ويشتتون شملهم ، ويقضون على المؤامرة في مهدها ، وبهذا كان الكيان الاسلامي في أمن من خطر الأعداء ، وكان هذا العمل وهذا التدبير يجنب الطرفين المزيد من إراقة الدماء ، وإزهاق الأرواح .

إنّ الاطلاع المبكر على أسرار العدو العسكرية ، ومعرفة حجم طاقاته ، ومبلغ استعدادته ، واكتشاف خططه ، وتكتيكاته يعدّ من العوامل الجوهرية ، والمؤثرة في

الظفر والانتصار.

فللدول الكبرى اليوم أجهزة طويلة وعريضة ، وتشكيلات واسعة ، ومعقدة لإعداد وتخريج الجواسيس البارعين ، وإرسالهم إلى النقاط والمراكز المطلوب اكتشاف أسرارها ، والتعرف على أوضاعها وخصوصياتها ، وترصد هذه الدول ميزانيات ضخمة لهذا الغرض<sup>(١)</sup> . وكان رسول الله ﷺ أول من ابتكر في تاريخ الاسلام هذا العمل في صورته المنظمة ، وتبعه في ذلك الخلفاء الذين جاءوا من بعده ، وبخاصة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي كان يستعين بجواسيس وعيون كثيرين في مجالات مختلفة ، عسكرية ، وإدارية . فكان إذا نصب واليا على بلد ، جعل عليه عينا يراقب أعماله وتصرفاته ، ويخبر الإمام بما أولا بأول ، فكان الإمام يكتب إلى ذلك الوالي ، ويوجهه على تصرفاته وانحرافات إن بلغه شيء من ذلك<sup>(٢)</sup> .

ولقد كلف رسول الله ﷺ في السنة الثانية ثمانية رجال من المهاجرين ، بالتوجه تحت إمرة « عبد الله بن جحش » إلى موضع معين ، والنزول فيه ، للتعرف على نشاطات قريش ، ومؤامراتهم .

وقد كان عدم مفاجأة قريش للنبي ﷺ في معركة « احد » وخروجه المبكر من المدينة بقواه ، وجنوده ، والنزول في منطقة مناسبة عسكريا خارجها ، وحفره المبكر أيضا للخندق المعروف في شمال المدينة ، والذي منع العدو ( جيش الأحزاب ) من اقتحام المدينة المنورة ، كل ذلك كان نابعا من معرفة رسول الله ﷺ المسبقة والدقيقة بأسرار العدو ، ونواياه ،

(١) راجع : كتاب : المخابرات والعالم وغيره .

(٢) راجع : نهج البلاغة قسم الرسائل والكتب ، رقم ٣٣ و ٤٥ وكتاب الغارات .

هذا وقد بحثنا موضوع الاستخبارات والتحسس في النظام الاسلامي بصورة مسهبة في كتابنا : معالم الحكومة الاسلامية ، فراجع .

وحجم قواته ، وبالأرض ، وذلك عن طريق عيونه وجواسيسه الاذكياء اللبقين ، اليقظين الذين كانوا يرصدون . بدقة وباستمرار . أوضاع العدو ، وتحركاته ، وينقلون معلوماتهم إلى رسول الله ﷺ وبذلك كانوا يقومون بواجبهم الديني في مجال الحفاظ على عقيدة التوحيد ، وصيانتها من خطر السقوط.

إنّ هذا التدبير الذكيّ ، والطريقة الحكيمة التي ابتكرها وأخذ بها رسول الله ﷺ تعتبر أكبر درس للمسلمين اليوم ، ودائماً.

ولهذا يتوجب على قادة المسلمين المخلصين أن يعرفوا بكل ما يحاك . في بلاد الاسلام او في غيرها من بلاد العالم . من مؤامرات ضدّ المسلمين ، وما يدبّر من خطط لتقويض دعائم الاسلام ، ويبادروا إلى إطفاء شرارات الفتن في مهدها ، وقبل اشتعالها ، وأن يسلكوا نفس المسلك الذي سلكه رسول الاسلام ﷺ ليحصلوا على ذات النتيجة ، ولا شك أنّ مثل هذا العمل لا يتيسر من دون أجهزة مناسبة ، ومن دون تشكيلات خاصّة.

ولقد استطاع رسول الله ﷺ في غزوة « ذات السلاسل » الذي هو موضوع بحثنا الآن ، أن يطفى نار الفتنة عن طريق استخدام المعلومات الدقيقة التي حصل عليها عن العدو.

ولو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أغلق على نفسه هذا الباب لتحجّل خسائر لا تجبر ، ولتعرّضت الكثير من جهوده المباركة في سبيل نشر الدعوة الاسلامية لخطر الفشل والإخفاق.

### تفاصيل هذه الغزوة :

لقد أبلغ العيون وعناصر المخابرات الاسلامية رسول الله ﷺ بأن آلاف من الناس قد تحالفوا وتعاقدوا في ما بينهم في منطقة تدعى بـ : « وادي اليابس » على التوجه إلى المدينة المنورة للقضاء على الاسلام بكل ما لديهم من قوة ، فإمّا أن يقتلوا في هذا السبيل ، أو يقتلوا « محمّداً » أو فارسه البطل الفاتح

« علي بن أبي طالب » !!

ويقول علي بن إبراهيم في تفسيره : « نزل جبرئيل على محمد ﷺ وأخبره بقصتهم ، وما تعاقدوا عليه وتواتقوا »<sup>(١)</sup> .

غير أن شيخ الشيعة ومحققهم الكبير المرحوم « الشيخ المفيد » ( المتوفى عام ٤١٣ هـ ) يقول : بأن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ ، وأخبره باجتماع قوم من العرب بوادي الرمل<sup>(٢)</sup> للتأمر عليه ، وعلى الاسلام ، ( و اضاف ) بأنهم يعملون على أن يبيتوه بالمدينة<sup>(٣)</sup> .  
ف رأى رسول الله ﷺ أن يطلع المسلمين على هذا الأمر ، فأمر مؤذنه بان ينادي : الصلاة جامعة وهي جملة كان يراد منها اجتماع الناس للصلاة واستماع أمر مهم وذو بال .  
فعلا مؤذن النبي ﷺ مكانا مرتفعا ونادى : الصلاة جامعة ، فسارع المسلمون إلى الاجتماع في مسجد النبي ﷺ ثم رقى النبي ﷺ المنبر وقال في ما قال :  
« أيها الناس ، إنّ هذا عدوّ الله وعدوّكم قد عمل على أن يبيتكم فمن لهم؟ » .  
فانتدب جماعة أنفسهم لهذا الأمر ، وأمر عليهم النبي ﷺ أبا بكر ، فتوجه أبو بكر بتلك المجموعة إلى قبيلة « بني سليم » ، ولما سار بهم مسافة واجه أرضا خشنة وكانت قبيلة « بني سليم » تسكن في شعب واسع ، فلما أراد المقاتلون المسلمون ان ينحدروا إلى الشعب عارضهم بنو سليم وقاوموهم ، فلم ير قائد المجموعة بدّا من الانسحاب بمجموعته والرجوع بهم من حيث أتى !!

(١) تفسير علي بن ابراهيم : ج ٢ ص ٣٣٤ سورة العاديات .

(٢) يحتمل أن يكون وادي الرمل هو وادي اليباس نفسه . وذلك للمناسبة بين الوصفين .

(٣) الارشاد : ص ٨٦ .

يقول علي بن إبراهيم في تفسيره : قالوا ( أي بني سليم لابي بكر ) : ما أقدمك علينا؟  
قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أعرض عليكم الاسلام فان تدخلوا فيما دخل فيه  
المسلمون لكم ما لهم ، وعليكم ما عليهم ، وإلا فالحرب بيننا وبينكم.  
فهذه زعماء تلك القبيلة . وهم يهاون بكثرة رجالهم ومقاتليهم . بقتله وقتل من معه ،  
فارعب لتهديدهم وعاد بجماعته إلى رسول الله ﷺ رغم أن أفراده كانوا يصرون على  
مقاتلة بني سليم تنفيذا لأوامر النبي ﷺ !!  
ولقد أزعجت عودة الجيش الاسلامي بهذه الصورة المهينة رسول الله ﷺ ، فأمر عمر  
بن الخطاب أن يتولى قيادة تلك المجموعة ويتوجه بها إلى « وادي الياض » ، ففعل عمر  
ذلك .

ولكن العدو كان قد ازداد . هذا المرة . يقظة وتحسبا فكمن عناصره عند فم الوادي ،  
واختبئوا وراء الاحجار والاشجار بحيث يرون المسلمين ، ولا يراهم من المسلمين أحد .  
ولهذا خرجوا على المسلمين بغتة عند ما حلّ الجيش الاسلامي بذلك الوادي ، وقابلوهم  
ببسالة وشجاعة ، فأمر قائد المجموعة الاسلامية أفراده بالانسحاب ، وعاد بهم إلى المدينة  
مهزوما مدعورا كسابقه ، فلقي من رسول الله ﷺ ما لقيه صاحبه من قبل من الاستياء ،  
والكراهية .

وهنا قال عمرو بن العاص وكان من دهاة العرب وساسته الماكرين ، وقد كان يومئذ  
قريب عهد بالاسلام : ابعتني يا رسول الله إليهم ، فإن الحرب خدعة ، فلعلّي أخدمهم!  
فانفذه رسول الله ﷺ مع جماعة ووصبّاه فلما صار إلى الوادي خرج إليه بنو سليم  
فهزموه ، وقتلوا من أصحابه جماعة!



## الامام علي ينتدب لقيادة العملية :

هذه الهزائم المتلاحقة أزعجت المسلمين وأحزنتهم بشدة فعمد رسول الله ﷺ إلى تنظيم مجموعة جديدة واختار لقيادتها « علي بن أبي طالب » ، وأعطاه راية. وطلب علي ؑ من زوجته « فاطمة » بنت رسول الله ﷺ أن تأتي له بالعصاة التي كان يشدها علي جبينه في اللحظات الصعبة ، فتعصّب بها ، فحزنت « فاطمة » لمنظر زوجها وهو يتوجه بمثل هذه الصورة إلى « وادي اليباس » للقيام بأمر خطير ، وبكت إشفافاً عليه ، فسلاها رسول الله ﷺ وهدأها ، ومسح الدموع عن عينيها (١). ثم انه ﷺ شيع علياً حتى بلغ معه مسجد الأحزاب ، وعليّ راكب على فرس أبلق ، وقد لبس بردين يمانيين ، وحمل رمحا هنديا بيده.

ثم توجه علي ؑ بأفراده نحو الهدف ، إلا أنه سلك طريقاً غير الطريق المعروفة ليعمي على العدو ، حتى أن الذين خرجوا معه تصوّروا أنه يقصد العراق ، وقد قال رسول الله ﷺ في علي ؑ حينما وجهه لهذه المهمة : « أرسلته كرارا غير فّرر ».

إن تخصيص « علي » ؑ بهذه الجملة يكشف عن أن القادة الذين سبقوه في هذه الحادثة لم ينسحبوا فقط ، بل كان انسحابهم مقرونا بالهزيمة القبيحة.

## عوامل انتصار الامام علي في هذه الموقعة :

هذا ويمكن أن نلخص عوامل انتصار الامام علي ؑ في هذه الموقعة

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٨١ ، الارشاد : ص ٨٧.

في ثلاثة امور اساسية هي :

- ١ . أنه ﷺ أخفى مسيره ووجهته على العدو ، فلم يشعر العدو بوجهته ومقصده ، لأنه غير مسيره حتى لا يعرف العدو به بواسطة الأعراب من سكان البادية.
  - ٢ . أنه ﷺ أتبع مبدءا هاما من مبادئ العمل العسكري ، واستخدم تكتيكا مهما من التكتيكات الحربية وهو : مبدأ الكتمان والتستر ، فقد كان ﷺ يسير بأفراده ليلا ، ويكمن نهارا ، يستريح خلاله.
- وهكذا حتى دنا من ارض العدو ، وقبل أن يصل فم الوادي أمر جنوده بالنزول والاستراحة لاستعادة نشاطهم من جهة ، ولكي لا يحسّ العدو بمجيئهم من جهة اخرى . ولهذا السبب الأخير نفسه أمر ﷺ جنوده بان يكّموا أفواه خيولهم حتى لا يشعر العدو بوجودهم بصهيلها.

وعند الفجر صلى « علي » ﷺ بجنوده صلاة الصبح ، ثم صعد بهم الجبل حتى وصل إلى القمة ، ثم انحدر بهم . بسرعة فائقة . إلى الوادي حيث يسكن « بنو سليم » فحاطوا بهم وهم نيام ، فلم يستيقظوا إلا وقد حاصرهم المسلمون ، فاسروا منهم فريقا ، وفرّ آخرون .

٣ . شجاعة « علي » ﷺ وبسالته النادرة فهو الذي قتل الشجعان الاربعة المعروفين في تلك الموقعة فارعب العدو إرعابا شديدا فقد معه القدرة على المقاومة في وجه علي ﷺ ففر تاركا وراءه شيئا كثيرا من الغنائم <sup>(١)</sup> .

ولقد عاد بطل الاسلام الظافر إلى المدينة بفتح لا سابق له ، فخرج رسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه لاستقباله ، واستقبال من معه من جنود الاسلام .

---

(١) تفسير فرات الكوفي : ص ٢٢٢ . ٢٢٦ ، مجمع البيان : ج ١٠ ص ٥٣٨ .

وما أن وقعت عيننا القائد الفاتح على رسول الله ﷺ حتى ترجل من فرسه فوراً ، فقال له رسول الله ﷺ وهو يربت على كتفه :  
« اركب فان الله ورسوله عنك راضيان » .

وفي هذه اللحظة بالذات اغرورقت عيننا « علي » ؑ بالدموع استبشاراً فقال رسول الله ﷺ في شأن « علي » ؑ قوله المعروفة :

« يا علي لو لا أي اشفق أن تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصرى في المسيح لقلت فيك اليوم مقالا لا تمر بملا من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك » (١) .

ولقد بلغت تضحية « علي » ؑ وبسالته ، وشجاعته في هذه الواقعة من الأهمية بحيث نزلت فيها سورة كاملة هي سورة العاديات التي يقول سبحانه فيها :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلِعَادِيَاتٍ ضَبَّحًا فَالْمُؤْرِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرٌ بِهِ نَقْعًا فَوْسَطُنَ بِهِ جَمْعًا » .

إن القسم بخيول الغزاة المغيرين صباحاً ، والمشعلين بحوافرها شرارات الفتح والانتصار .  
إن هذا القسم الحماسي الجميل لهو تكريم رائع لبطولات جنود الاسلام في هذه العملية الظاهرة ، واكبار بروحهم القتالية العالية .

### اعتراض وجواب

هذا ولقد اعترض بعض الملحدین ذات مٲٲ على هذا النوع من الأيمان

---

(١) الارشاد : ص ٨٤ . ٨٦ .

والأقسام في القرآن الكريم وقال ساخرا : وما ذا يعني القسم بالخيول الضابحة ، العادية ،  
والشرارات المنقذحة من حوافرها؟!

ولقد غاب عن هذا الملحد أن القسم بخيول الغزاة المجاهدين أو القسم بالشرارات  
المنقذحة من حوافرها بسبب احتكاكها بالصخور في أرض المعركة إنما إشعار بأهمية الجهاد  
ضد الظالمين أعداء البشرية.

إن مثل هؤلاء الجنود البواسل ليسوا وحدهم الذين يحظون . في نظر الاسلام . بمنزلة رفيعة  
ومكانة عالية ، بل خيولهم التي تحملهم في هذا الجهاد المقدس ، وكذا الشرارات التي تنقذ  
من حوافرها تحظى بالقداسة والأهمية أيضا.

وأية قيمة . ترى . أعلى من محاربة الظالمين الجائرين ، وانقاذ البشرية من برائن ظلمهم  
وجورهم ، ومن حيفهم وعسفهم؟؟

إنّ مثل هؤلاء وما يمكّنهم من أهدافهم من الأدوات ، والوسائل مقدّسون جميعا ، لأنهم  
يجرون . يجاهدون . الانسان من قيود الطغاة ، الظالمين ، ويمهّدون لحاكمية الله في الأرض ،  
واى هدف أعلى واعظم قدسية من هذا الهدف؟

ولقد دعا القرآن الكريم المؤمنين . من خلال تقديس خيول المجاهدين وضحيم وعدوهم  
وشرارات حوافرهم . إلى العناية بالجهاد دائما ، وإلى تجميع قواهم ، والاستعداد لكسر القيود  
التي ترزح على أيدي البشرية وأرجلها وعقولها ، والى تحطيم القلاع التي ضربها الطغاة على  
الشعوب المغلوب على أمرها.

أجل ؛ إن فرق التحرير والجهاد الاسلامية لا تستحق وحدها التقديس والاكبار بل  
تستحق خيولها ومراكبها ، وشرارات حوافرها التقديس كذلك.

ولقد استبدلت تلك الخيول هذا اليوم بالدبابات والطائرات فهي مقدسة أيضا ، كما  
كانت خيول الغزاة والمجاهدين في عصر الرسالة ، كما وأن أوزير محرّكاتها ، هو الآخر يحظى  
بالتقديس كما كانت أنفاس الخيول تحظى بالتقديس في عصر الرسالة لأنها تحقق ذات  
الهدف ، ونفس الغاية المقدسة وهي : تحرير الانسان من برائن الظلم والطغيان .

هذا هو ملخص غزوة « ذات السلاسل » التي سجّلها وضبطها مفسّرو الشيعة ،  
ومؤرّحوهم ، ورووها بإسناد صحيحة .  
غير أن مؤرّحي أهل السنة كالطبري <sup>(١)</sup> روى هذه الواقعة بنحو آخر يختلف عما ذكرناه  
هنا ، اختلافا شاسعا .  
ولا يبعد أن يكون « ذات السلاسل » اسما لغزوتين نقل كل واحد من الفريقين : «  
السنة والشيعة » واحدة منها ، واعرض عن ذكر الاخرى لأسباب خاصة .

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٣١٥ ، السيرة الحلبية : ج ٣ ص ١٩٠ و ١٩١ ، والمغازي : ج ٢ ص ٧٦٩ .  
٧٧٤ .

## فتح مكة

قصة « فتح مكة » من قضايا التاريخ الاسلامي الجديرة بالمطالعة والتأمل ، لما تنطوي عليه هذه الحادثة من دروس وعبر ، ولكونها تعكس . بصدق وجلاء . أهداف رسول الاسلام ﷺ المقدسة ، كما تكشف عن أخلاقه العالية ، وسيرته الحسنة ، واسلوبه الانساني مع الصديق ، والعدو .

ففي هذا الفصل من التاريخ يتجلى ما كان يتحلى به خاتم الأنبياء ﷺ من صدق ووفاء ، كما يتبين صدق أصحابه ، ووفائهم ، واحترامهم لكل ما تعهدوا ، والتزموا به للخصم في معاهدة « صلح الحديبية » ، بينما يتضح من جانب آخر نفاق المشركين من قريش ، وخيانتهم في تنفيذ بنود اتفاقية الصلح ، وبالتالي نقضهم للعهد وبالتالي عدم احترامهم لأي شيء من الالتزامات!!

إنّ دراسة هذا الفصل تثبت لنا حنكة النبي ، وحسن تدييره ، وسياسته الحكيمة في فتح أصعب وآخر قلعة من قلاع العدو الكافر ، المتصلب في شركه ، وكفره ، والمتماذي في عناده وتعسّفه ، وكأنّ هذا الرجل الالهّي قد أمضى شطرا من حياته في إحدى المعاهد العسكرية العليا ، فهو يخطط افضل من أي قائد محنك قدير ، للفتح ، ويكون تخطيطه من الدقة والمتانة ، والعمق والحكمة ، بحيث يصيب المسلمين فتحا عظيما بأقل قدر من المتاعب والمشاكل.

وبالتالي يتحلى في هذا القسم من التاريخ الاسلامي الوجه الانساني الرحيم الذي كان يتسم به رسول الله ﷺ الذي كان يحرص على دماء

أعداء الرسالة الالدياء ، وأمواهم ، ويسعى إلى حفظها وصيانتها ، كما لو كانوا أصدقاء لا أعداء .

فهو يعفو بمروءة كبيرة ، وبعد مدى واسع ، ورؤية مستقبلية عميقة عن قريش ، ويغفر لهم جرائمهم وأذاهم ويصدر عفوا عاما لم يعرف له تاريخ الفاتحين نظيرا في أسبابه ، وعلله ، وفي ظروفه وملابساته .

وإليك تفاصيل هذه الحادثة الكبرى من بدايتها إلى نهايتها .

### تفاصيل فتح مكة :

لقد قرأنا في ما مضى أن رسول الله ﷺ عقد في السنة السادسة معاهدة صلح مع قريش ، نصّت المادة الثالثة منها على : أن لكل من قريش والمسلمين أن يتحالفوا مع من شاءوا من القبائل ، فتحالفت « خزاعة » مع المسلمين ، وتعهد رسول الله ﷺ لخزاعة في هذا التحالف بان يدافع عن أرضهم وأمواهم وأنفسهم كلما تعرّضوا لخطر ، وطلبوا ذلك .

وتحالفت قبيلة « بني كنانة » . وكانوا من أعداء خزاعة التقليديين . مع قريش .

ولقد تم كل هذا في ضوء عقد معاهدة صلح مدتها عشر سنوات تعهد فيها الطرفان بالحفاظ على الأمن الاجتماعي ، والسلام الشامل في كافة أرجاء الجزيرة العربية .

ولقد تعهد الطرفان . في هذه المعاهدة . بأن لا يقوم أي واحد منهما بعمليات عسكرية وتحركات عدائية ، لا ضد الآخر ، ولا ضد حليف الطرف الآخر ، كما لا يحرك حليفه ضد حليف الطرف الآخر .

ولقد انقضت سنتان من تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة ، وعاش الجانبان في هذه الفترة في سلام ورفاه ، وأمن واستقرار إلى درجة أنّ المسلمين استطاعوا . بعد مضي سنة واحدة من التوقيع على تلك المعاهدة ، أن يزوروا . بكامل

حريتهم . بيت الله الحرام ، في مكة المكرمة ، ويؤدوا مناسك العمرة أمام عيون الآلاف من أعدائهم الوثنيين وهي العمرة التي سميت بعدئذ بعمرة القضاء كما عرفت .

ولقد بعث رسول الله ﷺ في شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة كتيبة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة ثلاثة فرسان من أركان جيشه ، إلى تخوم الشام وحدودها ، لمعاقبة وتأديب المتمردين والجناة من ولاية الروم وعمّالهم فيها ، وبالضبط أولئك الذين قتلوا دعاة الاسلام . الذين ابتعثهم ﷺ للدعوة والتبليغ . من دون ذنب أو جرم .

والجيش الاسلامي وإن استطاع أن ينجو بنفسه من هذه المعركة ، ويخرج منها بسلام ، من دون أن تكلفه تلك المواجهة خسائر كبرى في الأرواح سوى ثلاثة هم قادة الجيش . على ما مر في قصة غزوة مؤتة . إلا أنه ما عاد بانتصار باهر كان يأمله جنود الاسلام المجاهدون ، بل كانت العملية في هذه المعركة اشبه ما تكون بعملية الكر والفر .

وقد أوجب انتشار هذا النبا جرأة سادة قريش وسراقتها ، فقد تصوروا أن المسلمين تضاءلت فيهم ( أو انعدمت ) روح الفروسية والاقدام ، وروح الشجاعة والبسالة .

من هنا قررت قريش أن تخلّ بالأمن والهدوء اللذين استتبّا بعد اتّفاقية الحديبية ، فبادرت .

أولا . إلى توزيع الاسلحة على قبيلة « بني بكر » من كنانة ، وإلى تحريضهم على أن يبيّتوا « خزاعة » المتحالفين مع المسلمين ، فيغيروا عليهم ليلا ، ويقتلوا فريقا ، ويأسروا آخرين!!

بل لم تكتف قريش بهذا ، إنما اشترك جماعة من رجالها في هذا العمل الغادر بصورة مباشرة ، وبذلك نقضوا عهدهم الذي أعطوه في الحديبية ، وأخلّوا عمليا بالأمن والسلام ، وأحلّوا الفوضى والقتال ، مكان الاستقرار والهدوء اللذين سادا الجزيرة خلال عامين في أعقاب عقد معاهدة الحديبية!



أجل ، لقد حملت « بنو بكر » ومن ساعدهم من رجال قريش بتحريك من زعامة مكة على « خزاعة » ليلا ، وكان بعضهم نياما ، والبعض الآخر يتجهد ويعبد الله ليلا ، فقتلوا من خزاعة جماعة ، وأسروا آخرين ، وغادر . منهم . فريق منازلهم تحت جناح الظلام ، ولجئوا إلى مكة التي كانت للعرب يومئذ منطقة أمن لا يجيزون الاعتداء فيها على لاجئ إليها ، ودخل الذين لجئوا إلى الحرم دار « بديل بن ورقاء »<sup>(١)</sup> وشكوا إليه ما حلّ بهم على أيدي رجال قريش ، وحلفائهم من بني كنانة ليلا ، من قتل وأسر وتشريد!!

كما وعد المظلومون من خزاعة إبلاغ مظلمتهم إلى رسول الله ﷺ فارسلوا رئيسهم : « عمرو بن سالم » فقدم المدينة على رسول الله ﷺ فوقف عليه وهو ﷺ جالس في المسجد بين ظهرائي الناس ، وأخبره بما لحق بحلفائه من خزاعة على أيدي بني بكر من كنانة بتحريك وتحريض من قريش ، وأنشد أبياتا يستغيث فيها برسول الله ﷺ اذ قال :

يا رب إني ناشد محمّدا حلف أئينا وأبيه الا تلدا  
فانصر هداك الله نصرا أعتدا وادع عبّاد الله يأتوا مددا  
فيهم رسول الله قد تجردا إن سيم خسفا وجهه تربّدا  
في فيلق كالبحر يجري مزبدا إن قريشا اخلفوك الموعدا  
ونقضوا ميثاقك المؤكّدا وجعلوا لي في كداء رصدا  
هم بيتونا بالوتير هجّدا وقتلوننا ركّعا وسجّدا  
وقد كان « ابن سالم » يعيد البيت الأخير ويكرّره إثارة لمشاعر المسلمين ، ويكرّر عبارة :  
قتلنا وقد أسلمنا .

(١) كان بديل من شخصيات « خزاعة » من ذوي السن والشرف فيهم ، وكان يعيش في مكة ، وكان له من العمر آنذاك ٩٧ عاما (أمالي الطوسي : ص ٢٣٩).

فانزعج رسول الله ﷺ من قريش لغدرها ونقضها للعهد ، ووعد « خزاعة » بالنصرة ، وقال :

« نصرت يا عمرو بن سالم ».

وقد أفاض هذا الوعد القاطع والقوي حالة من الطمأنينة على قلب مبعوث خزاعة : « عمرو بن سالم » اذ قد تيقن أن رسول الله ﷺ سينتقم لخزاعة ممن غدروا بها وبيتوها ، وفتكوا بأبنائها ، وبخاصة من قريش التي حرّضت بني بكر على خزاعة ، واشعلت شرارة هذه الفتنة ، وبالتالي كانت السبب الحقيقي وراء هذه الجريمة النكراء ، ولكن ابن سالم ما كان يظن أن هذه المسألة ستنتهي بفتح مكة ، وتقويض دعائم الحكومة الوثنية الجاهلية ، والقضاء عليها إلى الأبد!!

ولم يلبث أن قدم المدينة على رسول الله ﷺ « بديل بن ورقاء » في جماعة من « خزاعة » ، وأخبروه بما فعلته قريش وبنو بكر من قتل فتيان خزاعة ، ثم عادوا قافلين إلى مكة.

#### قريش تتوجس خيفة من رد النبي :

ندمت قريش بشدة على ما صنعت من تأليب بني بكر على خزاعة ومساعدتهم العملية في العدوان على الأخيرة ، وأدركت للتوّ ، بأنّ هذا الذي صنّعه هو نقض للمدة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وأنّ رسول الله ﷺ لن يدع هذه الجريمة النكراء تمرّدون ردّ قاطع وحاسم ، ولهذا بادرت إلى إيفاد زعيمها « أبي سفيان بن حرب بن أمية » إلى المدينة المنورة لتطيب خاطر النبي ﷺ ، وتسكين غضبه وتأكيد احترام قريش لمعاهدة الصلح.

فتوجّه أبو سفيان إلى المدينة ، والتقى في « عسفان » بديل بن ورقاء الخزاعي وهو عائد من المدينة ، فسأله : هل كان في المدينة؟ وهل أخبر محمّداً بما أصاب

خزاعة؟

فقال بديل : لا ، ولكني سرت في بلاد كعب وخزاعة في قتيل كان بينهم ، فأصلحت بينهم .

قال هذا ، وواصل سيره باتجاه مكة .

ولكن أبا سفيان عمد . لمعرفة ما إذا كان بديل عائدا من المدينة أولا . إلى أبعاد لإبل « بديل » وجماعته ، ففتّها فوجد فيها نوى من تمر المدينة فايقن بأن القوم كانوا في المدينة وأنهم جاءوا محمّدا ، وأخبروه بما جرى .

قدم أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته « أم حبيبة » زوجة رسول الله ﷺ ، فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته أم حبيبة عنه ، فقال : يا بنيّة ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني؟!

قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ .

وفي امتاع الاسماع أن ابا سفيان لما دخل على ابنته أم حبيبة ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ فطوته دونه وقالت : أنت امرؤ نجس مشرك! فقال : يا بنيّة! لقد أصابك بعدي شر .

قالت : هداي الله للاسلام ، وأنت يا أبتى سيد قريش وكبيرها ، كيف يسقط عنك دخولك في الاسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر!!

قال : يا عجباها! وهذا منك أيضا! أأترك ما كان يعبد آبائي ، وأتبع دين محمّد!؟

أجل هذا هو منطق ابنة رجل حاك مؤامرات عديدة وقاد جيوشا ضد الاسلام طيلة عشرين عاما تقريبا ، وكانت تربطه بام حبيبة رابطة الابوة والبنوة الوثيقة ، ولكن حيث إن تلك المرأة ترعرعت في مهد الاسلام ، ونشأت في مدرسة

التوحيد حصل لها مشاعر دينية قوية جدا حتى أنها رجحت المشاعر الدينية على المشاعر العاطفية الشخصية مقاومة في هذا السبيل رغباتها الذاتية ، وميولها الشخصية .

لقد أنزعج أبو سفيان من سلوك ابنته التي كان يتصور أنها ملجئها وملاذها الوحيد في المدينة ، فخرج من منزلها فورا ، حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه حول تجديد العهد ، واستمراره ، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ كناية عن عدم اعتناؤه به .

فذهب إلى بعض أصحابه ﷺ يطلب منهم ان يشفعوا له عند رسول الله ﷺ وأن يقنعوه بتجديد ميثاق الصلح ، ولكن دون جدوى .

وأخيرا دخل علي « علي بن أبي طالب » وعنده فاطمة الزهراء ؓ والحسن والحسين وهما آنذاك غلامان يديتان بين أيديهما فقال : يا علي ، أنك أمسّ القوم في رحما ، وإني جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا فاشفع لي إلى رسول الله .

فقال علي ؓ : ويحك يا أبا سفيان ، والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه .

فالتفت إلى فاطمة . وهو يحاول إثارتها عاطفيا . فقال : يا ابنة محمد هل لك أن تأمري ببيتك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟

ولما كانت فاطمة ؓ تعرف بنوايا أبي سفيان الشريرة لذلك قالت : ذلك إلى رسول الله ﷺ إنهما صبيان وليس مثلهما يجبر (١) .

فقال أبو سفيان : يا أبا الحسن إني أرى الامور قد اشتدت عليّ ، فانصحنى .

فقال علي ؓ : ما أجد لك شيئا أمثل من أن تقوم فتجبر بين

---

(١) امتناع الأسماع : ج ١ ص ٣٥٩ .

الناس ( أي تعطي الأمان للمسلمين ) ثم الحق بأرضك .  
فقال أبو سفيان : أوترى ذلك مغنيا عني شيئا؟ قال : لا والله ، ما أظنّه ، ولكني لا أجد لك غير هذا .  
فقام أبو سفيان في المسجد ، وكان يثق بصدق عليّ في نصيحته ، فقال : أيها الناس ؛  
إني قد أجزت بين الناس .  
ثم ركب بعيره ، وأنطلق راجعا إلى مكّة ، وأخبر سادة قريش بما صنع ، وذكر نصيحة «  
علي » إياه ، فقال : إن عليّا نصحني أن اجبر الناس ، فناديت بالحوار .  
فقالوا : فهل أجاز ذلك محمّد؟  
قال : لا .

قالوا : وويلك والله ما زاد الرجل ( ويقصدون عليّا ) على أن لعب بك ، فما يغني عنك  
ما قلت ، لأن النبي لم يجز أمانه ، وما لا يجيزه الطرفان لا قيمة له في ميزان العهود .  
ثم إن سادة قريش عقدوا مجلسا من فورهم للتشاور في ما يطفئ غضب المسلمين ، ويثني  
رسول الله ﷺ عن عزمه (١) .

### جاسوس يكتشف!

إن تاريخ رسول الاسلام ﷺ يكشف عن انه ﷺ كان يسعى دائما الى أن يقنع  
العدوّ بالحق ، ويجعله يستسلم لمنطق الدين ، ولم يكن يهدف قط الانتقام من العدوّ وأبادته .  
ففي الكثير من الغزوات والمعارك التي شارك فيها ﷺ بنفسه أو سرايا التي بعثها كان  
الهدف الأساسي هو القضاء على مؤامرة العدو ، وإفشالها ، وتشتيت شمله ، وتفريق  
اجتماعه قبل ان يقوم بعمل يضر بالاسلام

---

(١) الغازي : ج ٢ ص ٧٨٠ . ٧٩٤ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٨٩ . ٣٩٧ ، بحار الأنوار : ج ٢١ ، ص  
١٠٢ .

والمسلمين ، فقد كان النبي ﷺ يعرف جيدا أنه لو ازيلت الموانع ورفعت عن طريق الدعوة الاسلامية لترك منطق الدين الحنيف أثره في المجتمع الحرّ ، وكان يعلم بأن الذين يعتقدون الاجتماعات ، و يقيمون التحالفات النظامية ليحولوا دون تقدم الاسلام ، وانتشاره ، لو جرّدوا من أسلحتهم ، وانتهت حالة الحرب بينهم وبين الاسلام ، وتركوا فكرة التغلب على الاسلام عن طريق القوة العسكرية ، وسمعوا منطق الاسلام في جوّ بعيد عن صخب القتال ، لاجذبوا إلى عقيدة التوحيد بدافع الفطرة وهدايتها ، ولاستجابوا لنداء الضمير ، وصاروا من أنصار الاسلام ، ومؤيديه المخلصين الأوفياء.

ولهذا السبب كانت الجماعات والاقوام التي يتغلب عليهم جنود الاسلام ، ثم يتسنى لهم مناخ التفكير الحر في العقيدة والتعاليم الاسلامية السامية في جو بعيد عن الضوضاء والصخب ، تنجذب إلى الاسلام ، وترغب فيه ، وتعتنق بل تشمّر عن ساعد الجدل لنشر العقيدة الاسلامية التوحيدية.

وقد تجلّت هذه الحقيقة في موضوعنا الراهن وهو فتح مكة بصورة أكمل وأقوى ، فقد كان رسول الله ﷺ يدرك جيّدا لو أنّه فتحت مكة ، وجرّد العدو من السلاح ووفرت أجواء حرة آمنة بعيدة عن الكبت والاضطهاد فانه لم يلبث أن يصبح هذا الفريق المعادي والمناهض للاسلام بشدة ، من أنصار هذا الدين ، ومن المجاهدين الصادقين ، الساعين في نشره.

ولهذا يجب التغلب على هذا العدو ، وكسر شوكته ، ولكن يجب عدم إفنائه وإبادته ، بل ينبغي تجنب إراقة الدماء ، وازهاق الارواح ما أمكن.

ولأجل الوصول إلى هذه الغاية المقدسة ( الغلبة على العدو من دون إراقة الدماء ) استخدم رسول الله ﷺ اسلوب مباغته العدو.

فقبل أن يفكر العدو في الدفاع عن نفسه ، ويجمع قواه ، ويستعدّ للمواجهة ، كان النبي ﷺ يحاصر العدو في أرضه ، ويجرّده من سلاحه ، ويجهض محاولته ، ومؤمرته.

على أن مبدأ « مباغطة العدو » إنما يمكن الاستفادة منه إذا بقيت جميع الاسرار العسكرية للجانب المباغت طى الكتمان ، وتمت الترتيبات اللازمة في سرية كاملة ، بحيث لم يعرف بها العدو ، بل لا يعرف العدو أساسا هل ينوي النبي ﷺ الهجوم عليه ، أو لا ، وعلى فرض أنه ينوي ذلك لا يخبر أحدا شيئا عن موعد تحرك الجيش الاسلامي ، ووجهته ، إذ في غير هذه الصورة لا يمكن الاستفادة من مبدأ « مباغطة العدو » .

ولقد أعلن رسول الله ﷺ عن التعبئة العامة لفتح مكة ، وتحطيم أقوى قلعة من قلاع الوثنية وازالة حكومة قريش الظالمة التي كانت تمثل أقوى مانع في طريق تقدم الدعوة الاسلامية ، وانتشارها وتوسعها ، وقد طلب من الله سبحانه في دعائه أن يعتمى على عيون قريش وجواسيسهم فلا يعرفوا بشيء عن حركة المسلمين ومقصدهم اذ قال :

« اللهم خذ العيون والأخبار من قريش حتى نباغتها في بلادها » .

أو قال :

« اللهم خذ على قريش أبصارهم ، فلا يروني إلا بغتة ، ولا يسمعون بي إلا فجأة » <sup>(١)</sup> .

فاجتمع في مطلع شهر رمضان ناس كثيرون من مختلف المناطق خارج المدينة ، وداخلها . ويذكر المؤرخون جدولاً تفصيلياً بالطوائف والقبائل التي شاركت في هذا الفتح العظيم ، وإليك ما ذكره :

المهاجرون : سبعمائة مع ثلاثمائة من الخيل وثلاثة ألوية .

الأنصار : أربعة آلاف مع سبعمائة من الخيل ، وألوية كثيرة .

قبيلة مزينة : ألف مع مائة فرس ، ومائة درع ، ولواءان .

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٩٧ ، المغازي : ج ٢ ص ٧٩٦ .

قبيلة جهينة : ثمانمائة مع خمسين فرسا ، وأربعة ألوية .

قبيلة بني كعب : خمسمائة مع ثلاثة ألوية .

وكان بقية الجيش من قبائل غفار ، واشجع ، وبني سليم <sup>(١)</sup> .

ويقول ابن هشام : كان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سليم سبع مائة ، ويقول بعضهم : ألف ، ومن بني غفار أربع مائة ، ومن أسلم أربع مائة ، ومن مزينة ألف وثلاثة مائة نفر ، وسائرهم من قريش ، والأنصار وحلفاءهم وطوائف العرب من تميم ، وقيس وأسد <sup>(٢)</sup> .

ولتحقيق مبدأ المباغثة والكتمان وضعت جميع الطرق المؤدية إلى مكة تحت المراقبة الشديدة من قبل عناصر الحكومة الاسلامية ، كما روقب بشدة تردد المارة والمسافرين بواسطة الحرس <sup>(٣)</sup> .

وبينما كان جيش الاسلام يتهيأ للتحرك باتجاه مكة ، نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ وأخبره بأن أحد البسطاء من المسلمين أقدم على إرسال كتاب إلى قريش ، يخبرهم فيه بتوجه النبي وأصحابه إلى مكة ، وأنه أعطى ذلك الكتاب إلى امرأة تدعى « سارة » . وكانت مغنية من مغنيات مكة . لتوصله إلى مكة لقاء مال تقبضه .

ولقد كانت « سارة » . كما أسلفنا . مغنية بمكة ، تغني لأهل مكة ، وربما شاركت في مجالس العزاء في قريش أيضا ، وقد تعطل عملها بعد معركة « بدر » ، ومقتل جماعة من رجال قريش ، ودخول الحزن في كل بيوت مكة ، فلم تعد تستطيع أن تغني وتطرب ، من ناحية ، ومن ناحية اخرى كان أبو سفيان قد أمر الناس بأن لا ييكوا ، ولا يقيموا المآتم والمناحات على قتلى بدر حتى لا يذهب

(١) المغازي : ج ٢ ص ٨٠٠ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٦٤ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٤ ص ٦٣ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ١٣٠ . وامتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٦١ .



غِيضَهُمْ عَلَى « مُحَمَّد » ﷺ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ قَتَلُوا رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ فِي بَدْرٍ .  
من هنا تركت « سارة » مكة بعد عامين وقدمت المدينة ، وعند ما عرف رسول الله ﷺ بمجيئها إلى المدينة سأها : هل أسلمت؟ فقالت : لا ، فقال لها رسول الله ﷺ :  
ولما أتيت إلى المدينة؟ فقالت : إني مولاتكم ، وقد أصابني جهد ، وأتيتكم أتعرض لمعروفكم .<sup>(١)</sup>

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكسيت وحملت وجهزت .  
ومع أن هذه المرأة قد شملها الاسلام بلطفه ورحمته ولكنها خانت النبي والمسلمين عند ما تطوَّعت للقيام بعملية جاسوسية ضد الاسلام والمسلمين بأخذ كتاب « حاطب بن بلتعنة »  
واخفائه في شعر رأسها لتبلغه الى قريش لقاء عشرة دراهم ، مفسية بذلك سراً للمسلمين ،  
تضيق . على أثره . جهود النبي ﷺ وتفشل خطته!!  
ولما عرف رسول الله ﷺ بهذا الأمر إثر خبر من السماء بعث ثلاث رجال من فرسانه  
الاشاوس هم علي والمقداد والزبير ، ليدركوا المرأة الخائنة ، على طريق مكة ويأخذوا منها  
ذلك الكتاب الذي يحزّ قريشاً ممّا أجمع رسول الله ﷺ عليه .  
فخرج الرجال الثلاثة في طلبها مجدين حتى أدركوها في منطقة تدعى « روضة الخاخ »<sup>(٢)</sup>  
فاستنزلوها ، وفتشوا عن الكتاب في رحلها فلم يجدوا شيئاً ، فسألوها عنه فانكرت فقال لها  
علي عليه السلام .  
« إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ، ولتخرجنّ لنا هذا الكتاب أو  
لنكشفتك »<sup>(٣)</sup> .

(١) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ١٣٦ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٦٢ و ٣٦٣ .

(٢) وقال ابن هشام : فادركوها بالخليقة ( ج ٢ ص ٣٩٩ ) .

(٣) السيرة النبوية : ج ٤ ص ٤١ ، وذكر مؤلف الامتاع شخصين فقط هما الامام علي والزبير ( ج ١ ص ٣٦٢ ) .

ولما رأت تلك المرأة هذا الجد من علي عليه السلام وكانت تعرف أن علياً لا يتركها حتى ينفذ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت : أعرض ، فأعرض عليّ ، فحلّت ضفائر شعرها فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فانزعج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفعل « حاطب » وكان من المسلمين السابقين ، فدعاه من فوره وقال له عاتبا ومستفهما : يا حاطب ما حملك على هذا؟

فحلف حاطب بالله وبرسوله أنه لم يقصد شرا ، وقال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدّلت ، ولكي كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه!!

ويستفاد من اعتذار حاطب هذا أن أسياد قريش كانوا يضغطون على من تخلف في مكة من أقارب المهاجرين وعوائلهم ، ويؤذونهم ، ولا يتركون أذاهم إلا إذا حصلوا منهم على أسرار المسلمين بالمدينة.

وهذا الاعتذار وان كان غير وجيه ، لأن ذلك لا يبرر إفشاء أسرار المسلمين لأعدائهم الحاقدين ، غير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصفح عنه ، وخلق سبيله لمصالح معينة منها : سابقة « حاطب » في الإسلام.

إلا أن « عمر بن الخطاب » طلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يضرب عنقه ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

« وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع يوم بدر على أصحاب بدر فقال : أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » <sup>(١)</sup>.

ولكي لا يتكرر مثل هذا العمل الخطر والاثيم أنزل الله سبحانه قرآنا بهذا الشأن في عدة آيات اذ يقول :

---

(١) امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٦٣ وغيره.



وفي اليوم العاشر من شهر رمضان من السنة الثامنة أصدر رسول الله ﷺ أوامره بالخروج ، وكان قد أصدر أوامره للمسلمين كافة من قبل بالاستعداد والتهيؤ للخروج . ثم إنه استخلف على المدينة رجلا من بني غفار يدعى « أبا رهم » ثم استعرض جيشه خارج المدينة على عادته .

ثم لما كان ﷺ بمكان يدعى « الكديد » طلب شيئا من الماء امام المسلمين ، وافطر به في تلك الساعة من النهار ، وامر الجند بان يفطروا اقتداء به هم أيضا . فافطر أكثر المسلمين ، وأمسك البعض ولم يفطر ظنا بأن الجهاد في حالة الصوم أفضل ، واكبر أجرا ، ولم يعرف هؤلاء السدج غير المفطرين ، بان النبي ﷺ الذي أمر بالافطار في شهر رمضان في تلك الحال ، هو نفسه الذي أمر بالصوم أيضا

فإذا كان رسول الله ﷺ قائد حق ودليل سعادة فانه . في كلتا الحالتين . يريد سعادة الناس ، وينشد خيرهم ، فلا معنى إذن لأن يطاع في أمره ، ولا يطاع في نهيهِ . وهذا غضب رسول الله ﷺ لامتناع ثلة من المسلمين عن الإفطار كما أمر وقال عنهم : « اولئك العصاة » !!<sup>(١)</sup> .

وأمرهم بأن يفطروا قائلا : « إنكم مصبحوا عدوكم ، والفطر أقوى لكم » . إن مثل هذا التقدم على رسول الله ﷺ وتجاهل أمره ما هو في الحقيقة إلا نوع من الانحراف عن الحق ، وهو يكشف عن ضعف في ايمان الجماعة العاصية ، المتمردة عن أمر النبي ﷺ .

ولهذا نزل فيه قرآن يلومهم ، ويوتجهم على عصيانهم إذ قال سبحانه :  
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ بِرِّئِكُمْ لِكُلِّ فِتْنَةٍ مَّا وَصَّيْنَاكُمْ بِهَا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ سَتَجِدُنَا فِي سُلْبِكُمْ سِوَاةً مُّؤْتَمِرِينَ ۗ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ النَّاسِ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ ظُلُمٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَكُورٌ عَلِيمٌ »<sup>(٢)</sup> .

(١) وسائل الشيعة : ج ٧ ص ١٢٤ ، السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٩٠ ، المغازي : ج ٢ ص ٨٠٢ .

(٢) الحجرات : ١ .

هذا وقد كان « العباس بن عبد المطلب » من المسلمين الذين بقوا في مكة بأمر رسول الله ﷺ ليتجسس له الأخبار ، ويطلعه على نوايا قريش ، وخططهم أولاً بأول . وقد تظاهر العباس . بعد فتح خيبر . بإسلامه ، ولكنه بقي محافظاً على علاقاته بسادة قريش وزعمائها ، فقرر أخيراً أن يكون آخر من يهاجر من بيوت المسلمين ، فغادر مكة متوجهاً إلى المدينة ، وصادف خروجه مسير رسول الله ﷺ إلى مكة ، فالتقى ببعض الطريق رسول الله ﷺ .

ولقد كان بقاء العباس بن عبد المطلب في مكة بعد هجرة رسول الله ﷺ مفيداً للجانبين : ( قريش والمسلمين ) فلو لم يكن العباس ، ونشاطاته السياسية ، الدكيّة ، لما تيسّر فتح مكة من دون مقاومة قريش ، ومن دون إراقة دماء وإزهاق نفوس . من هنا لا يبعد أن يكون خروج العباس من مكة في تلك اللحظات والظروف الخطيرة قد كان هو الآخر بأمر رسول الله ﷺ لكي يستطيع القيام بدوره الإصلاحى ، الذي سنأتى على ذكره قريباً .

### العفو عند المقدرة :

لقد كانت سوابق رسول الله ﷺ المشرفة ، و اخلاقه الحميدة ، و صدقه وأمانته ، طوال حياته من الامور الواضحة المعلومة عند أقربائه ، وأبناء عشيرته . فقد كان الجميع يعلم بأن رسول الله ﷺ لم يرتكب طيلة حياته الشريفة إثماً ، ولم يفكر في ذنب ، ولم ينو الاعتداء على أحد ، ولم يقل بلسانه سوءاً ولا قبيحاً ، ولا خان في امانة ، ولا افشى سرا ولا تخلف عن فضيلة . ولهذا استجاب لدعوته . في الايام الاولى من دعوته العامة . الاكثرية الساحقة من قبيلته ( بني هاشم ) ، والتفوا حوله ، وتحملوا الدفاع عنه ، ودعم

موافقه .

ولقد اشار أحد المستشرقين المنصفين إلى هذه الحقيقة ، واعتبرها دليلا على طهارة رسول الله ﷺ وصدقته ونزاهته ، فهو يقول : مهما كان المرء متكئاً مستترا على أعماله وأفكاره فإنه لا يستطيع بحال أن يخفي تفاصيل حياته عن ذويه وأقربائه ، ولو كان لمحمد حالات نفسية أو أفعال سيئة لما خفيت على أقربائه ، ولما كانوا ينفادون إليه بمثل هذه السرعة (١) .

نعم يستثنى من بني هاشم عدة أشخاص أحجموا عن الايمان برسول الله ﷺ والاستجابة لدعوته ، ويمكن الإشارة . في هذا المجال . بعد أبي لهب المعروف بل والمصرح بعداوته في القرآن . إلى « أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب » و « عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة » اللذين خاصما رسول الله ﷺ وعارضا دعوته بشدة ، ولم يكتفيا بعدم الايمان برسالته ، بل منعا من انتشار الحق ، وآذيا رسول الله ﷺ اشد الأذى وألبا عليه أكثر من أي شخص آخر .

ولقد كان أبو سفيان هذا ابن عم رسول الله ﷺ وأخاه من الرضاعة ، وكان يألف رسول الله ﷺ قبل البعثة ، ولكنه اختلف مع النبي بعد ابتعائه بالرسالة ، وبني على مخالفته ومعاداته (٢) .

وأما عبد الله بن أبي أمية فهو أخو أم سلمة ابنة عاتكة عمه رسول الله ﷺ وابنة عبد المطلب .

ولقد حدى انتشار الاسلام في كل أنحاء الجزيرة العربية بهذين الرجلين إلى أن يخرجوا من مكة ويلتحقا بالمسلمين .

فقد خرجا قبيل الفتح من مكة ، فلقيا رسول الله ﷺ وأصحابه في أثناء الطريق . وعلى وجه التحديد في نقطة تدعى بثنية العقاب ،

(١) الأبطال : لكارليل الانجليزي .

(٢) المغازي : ج ٢ ص ٨٠٦ و ٨٠٧ .

والنبي قاصد مكة ، فاستأذنا رسول الله ﷺ ليدخلا عليه ، وأصرّا على ذلك ، فابى النبي ﷺ أن يأذن لهما .

وقد وسّطا أمّ سلمة ، وطلبها منها بلهجة عاطفية أن تشفع لهما عند رسول الله ﷺ حتى يرضى عنهما ، فكلّمته فيهما ، ولكن رسول الله ﷺ أبى وقال :  
« لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمّي فهتك عرضي وأما ابن عمّتي وصهرتي فهو الذي قال بمكة ما قال »<sup>(١)</sup> .

ولما كان « علي » عليه السلام أعرف الناس بنفسيّة رسول الله ﷺ وأخلاقه ، وبطريقة استعطافه ، فقد كلّمه أبو سفيان في الأمر ، فعلمه علي بن أبي طالب عليه السلام أن يأتي رسول الله ﷺ من قبل وجهه فيقول :

« قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آتَىٰكَ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ كُنَّا لِحَاطِئِينَ »<sup>(٢)</sup> .

فان رسول الله ﷺ سيجيبه بما قاله يوسف لآخوته اذ قال لهم :

« قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ رَأْحَمُ الرَّاحِمِينَ »<sup>(٣)</sup> .

لأنه ﷺ لا يرضى بأن يتفوق عليه أحد في حسن القول .

ففعّل أبو سفيان هذا ما أشار عليه الامام علي عليه السلام ودخل من الطريق الذي بيّنه له ، فعفا عنه رسول الله كما فعل يوسف باخوته ، فانشد أبو سفيان قصيدة أراد بها أن يكفّر عما سبق منه ، قال فيها :

---

(١) فهو ممن اقترح على رسول الله ﷺ بمكة امورا غير معقولة ، وقد جاء ذكر هذه المقترحات في الآيات :

٩٠ - ٩٣ من سورة الاسراء راجع مجمع البيان : ج ٦ ص ٤٣٩ واسد الغابة : ج ٥ ص ٢١٣ و ٢١٤ .

(٢) يوسف : ٩١ .

(٣) يوسف : ٩٢ .

لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد  
فكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين اهدى فأهتدي<sup>(١)</sup>  
ويكتب « ابن هشام » في سيرته قائلا : قال أبو سفيان ومعه ابنه ، لما أعرض رسول الله  
ﷺ عنه وأبى أن يأذن له : والله ليقبلي ، أو لأخذت بيد ابني هذا فلأذهبن في الارض  
حتى أهلك عطشا وجوعا وأنت أحلم الناس مع رحمي بك »<sup>(٢)</sup> .  
وقد سبق أن قالت أم سلمة لرسول الله ﷺ قد كلمته في أبي سفيان : بأبي أنت وأمي  
يا رسول الله ألم تقل : أن الاسلام يجب ما كان قبله؟ فرق رسول الله ﷺ لهما ، وأذن  
لهما ، فدخلتا ، وقبل اسلامهما<sup>(٣)</sup> .

### تكتيك رائع لجيش الاسلام :

تقع « مر الظهران » على بعد عدة كيلومترات من مكة المكرمة ، وقد قاد رسول الله  
ﷺ جيشه العظيم ( وقوامه عشرة آلاف ) حتى مشارف مكة بمهارة بالغة .  
ومع أن عيون قريش وجواسيسها كانت تتجسس الأخبار وكان هناك من يعمل لصالح  
قريش ، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يعرفوا شيئا عن نوايا رسول الله ﷺ وهدفه .  
ولما وصل رسول الله ﷺ إلى مشارف مكة عمد . لإرعاب أهل مكة حتى يتركوا  
مقاومة المسلمين عند دخول مكة وفتحها ، ويتسنى لهم تحطيم صرح الوثنية من دون إراقة  
الدماء . إلى إصدار أمر لجنوده باشعال النيران

(١) الاصابة : ج ٤ ص ٩٠ ، واسد الغابة : ج ٥ ص ٢١٣ و ٢١٤ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤٠٢ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ١١٤ و ١١٥ .



فوق الجبال والتلال ، وللمزيد من تخويف سكان مكة والإظهار بمظهر القوة أمر بأن يشعل كل واحد من الجنود النار وحده ، في شريط طويل على الأرض.  
كانت قريش وحلفاؤها يغطّون في نوم عميق آنذاك من جهة ، بينما كانت النيران من جهة اخرى قد غطت كل المرتفعات المشرفة على مكة فلم تستيقظ إلا على منظر أروع قلوبهم ، ولفت أنظارهم.

وفي هذا الاثناء كان بعض سادة قريش ك : « أبي سفيان بن حرب » و « حكيم بن حزام » وغيرهما قد خرجا من مكة يتجسّسون الأخبار.  
ففكّر « العباس بن عبد المطلب » الذي لازم رسول الله ﷺ من منطقة الجحفة ، فكر في نفسه بأنه إذا ما اتفق أن واجه جنود الاسلام مقاومة من قريش عند دخول مكة لادى ذلك إلى ان يقتل جمع كبير من قريش ، ولهذا فان من الأفضل أن يقوم بدور عمليّ لصالح الطرفين ، ويقنع قريشا بالتسليم ، وعدم المقاومة.

فركب بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وتوجه صوب مكة ليخبر قريشا بمحاصرة مكة من قبل جنود الاسلام ، ويخبرهم بكثرة عددهم ، وبمبلغ شجاعتهم وإصرارهم على تحقيق أهداف النبي ﷺ ويقنعهم بأنه لا مناص من التسليم للأمر الواقع.  
فبينما هو كذلك إذ سمع صوت أبي سفيان وبديل بن ورقاء يتحادثان في جوف الليل فيقول أبو سفيان : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا ، فيقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها الحرب.

فيقول أبو سفيان : خزاعة أذلّ وأقلّ من ان تكون هذه نيرانها وعسكراها.  
فصاح العباس بأبي سفيان وقال : يا أبا حنظلة.  
فقال أبو سفيان : يا لبيك ، أبو الفضل ما لك؟  
فقال العباس : هذا رسول الله في عشرة آلاف من المسلمين.  
فارتعد أبو سفيان لما سمعه من العباس حول عظمة القوة الاسلامية ، فقال وهو

يرتجف ، وتصطكّ اسنانه من الفزع : فما الحيلة فذاك أبي وأمي؟  
فقال العباس : اركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك .  
فركب أبو سفيان خلف العباس ، ورجع صاحبه ( حكيم وبديل ) إلى مكة .  
ولقد كان مسعى العباس . كما ترى . في مصلحة الاسلام كله ، فقد أربع شيطان قريش ،  
وزعيمها وعقلها المدبّر أبا سفيان ، وكان موفقا في هذه الخطوة جدا بحيث لم يعد يفكر  
أبو سفيان إلا في التسليم ، وإلقاء السلاح والكفّ عن المقاومة ، بل ومنعه العباس من  
العودة إلى مكة ، في نفس الليلة ( ليلة فتح مكة ) وأخذه معه إلى معسكر المسلمين بغية  
تقييده ، ومنعه من العودة مكة ، إذ كان من المحتمل جدا أن يقع فريسة أفكار المتطرفين في  
الزعامة المكية فيدبّرون معا خطة لمواجهة جيوش الاسلام ، فيقع . حينئذ . ما لا يحمد عقباه  
، من سفك الدماء ، وذهاب الأنفس والارواح .

### العباس يصطحب أبا سفيان إلى خيمة النبي :

دخل العباس . وهو على بغلة بيضاء وقد اردف خلفه أبا سفيان . في معسكر المسلمين ،  
وهو يقصد خيمة رسول الله ﷺ من خلال نيران المسلمين التي أمر النبي ﷺ بإشعالها  
، وكان كلّما مرّ بنار من نيرانهم قالوا : عم رسول الله ﷺ فلا يمنعون من مروره ، حتى اذا  
لقيا عمر بن الخطاب في الاثناء ورأى عمر أبا سفيان خلف العباس على عجز البغلة هم  
بقتله في المكان ، ولكن عمّ النبي ﷺ أجاز أبا سفيان في الحال ، ومنع بذلك عمر من  
إلحاق الأذى به ، وهو في جواره .

وأخيرا وصل العباس برفقة أبي سفيان الى خيمة رسول الله ﷺ فترجّلا ، فاستأذن  
العباس رسول الله ﷺ للدخول مع أبي سفيان عليه فاذن لهما ، فوقعت مشادة كلامية  
شديدة بين العباس وعمر بين

يدى رسول الله ﷺ حول أبي سفيان وكان عمر يقول : أبو سفيان عدو الله فلا بد أن يقتل ، ولكن العباس كان يقول : يا رسول الله إني قد أجرته ، فقطع رسول الله ﷺ دابر هذه المناقشة عند ما قال :

« اذهب يا عباس إلى رحلك ، فاذا أصبحت فاتني به ».

فذهب العباس بأبي سفيان إلى رحله ، فبات عنده ليلته كما أمر ، فلما أصبح غدى به إلى رسول الله ﷺ .

**أبو سفيان بين يدي رسول الله ﷺ :**

لما مثل أبو سفيان عند الصباح بين يدي رسول الله ﷺ في خيمته قال له النبي ﷺ :

« ويحك يا أبا سفيان ؛ ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ ».

فقال أبو سفيان : بأبي أنت وأمي ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله آله غيره ، لقد أغني عني شيئا بعد.

فقال رسول الله ﷺ :

« ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ »

قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ، أما والله فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئا!!

فغضب العباس من شك أبي سفيان ، ولجأته وعناده فقال له : ويحك ، أسلم واشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله قبل أن يضرب عنقك .

فشهد أبو سفيان شهادة الحق ، فاسلم ودخل في عداد المسلمين .

أن إسلام أبي سفيان الذي حصل في جو من الرعب والتهديد وإن لم يكن بالاسلام الذي كان يريده رسول الاسلام ﷺ ويطلبه دينه الحنيف ، ولكنّ مصالح معينة كانت توجب أن يدخل أبو سفيان في عداد المسلمين كيفما كان ليرتفع بذلك أكبر سدّ ، وينزاح أكبر مانع من طريق الدعوة

الاسلامية ، لأنّ رجالا مثل « أبي سفيان » و « أبي جهل » و « عكرمة » و « صفوان بن أمية » وغيرهم ، كانوا قد أوجدوا جوّاً من الرعب والخوف في مكة استمرّ أعواما عديدة ، فلم يكن يجرأ أحد من المكّيين في مثل هذا الجوّ المشحون بالخوف أن يفكر في الاسلام ، أو يظهر رغبته في اعتناقه ، والانضواء تحت لوائه.

فإذا لم يكن إسلام أبي سفيان الظاهريّ والسطحيّ مفيدا من حيث الواقع ، ولكنه كان مفيدا جدا لرسول الله ﷺ ، وللذين كانوا تحت سيطرة أبي سفيان ونفوذ زعامته من جماهير مكة ، وبالتالي لمن كانت له علاقات قريّ معه.

ومع ذلك لم يسمح رسول الله ﷺ بإخلاء سبيل أبي سفيان لأنه لم يكن آمنا . وحتى مع إظهاره الاسلام . من جانبه قبل أن يتم فتح مكّة ، ولهذا أمر ﷺ عمّه العباس بأن يحبس بمضيق الوادي عند ممرّ الجنود ليبصر عظمة القوات الاسلامية ، وكثافتها قائلا :  
« يا عباس احبشه بمضيق الوادي عند خطم الجبل ( أي انفه ) حتى تمر به جنود الله فيراها » .

ثم إن العباس قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله إن أبا سفيان هذا رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئا .

واستجاب رسول الله ﷺ لهذا الطلب ، ومع أن أبا سفيان كان قد عادى رسول الله ﷺ وآلب ضده طيلة عشرين عاما ، وأثار في وجه دعوته الحروب والفتن الكثيرة ، ووجه بذلك ضربات كثيرة إلى الاسلام والمسلمين ، فمنحه . رغم ذلك ولمصالح خاصة . مقاما ، وقال كلمته التاريخية في حقه ... تلك الكلمة التي تكشف عن عظمة أخلاق رسول الاسلام ﷺ وسمو روحه ، وعمق حكمته اذ قال :  
« من دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

ومن أغلق بابه فهو آمن.  
ومن دخل المسجد فهو آمن.  
ومن طرح السلاح فهو آمن» <sup>(١)</sup>.

### مكة تستسلم من دون إراقة دماء :

تقلمّ جيش التوحيد العظيم نحو مكة ، حتى أصبح على مقربة منها.  
وقد كان رسول الله ﷺ عازما على أن يفتح مكة من دون إراقة دماء ، وإزهاق أرواح ، وأن يسلم العدو من دون أية شروط.  
وكان من العوامل التي ساعدت على تحقيق هذه الغاية . مضافا إلى عامل التكتّم والتستر ومبدأ المباغثة . أن العباس عم النبي ﷺ توجه إلى مكة كداعية صلح ووسيط سلام بين قريش والنبي ﷺ فكان أن أتى بأبي سفيان الى معسكر الاسلام كما أسلفنا ، وبذلك توصل إلى تحييد أبي سفيان ، ولم يكن في مقدور سادة قريش أن يتخذوا قرارا حاسما من دون أبي سفيان.

وعند ما خضع أبو سفيان أمام عظمة رسول الاسلام الفريدة وأظهر الاسلام ، رأى رسول الله ﷺ أن يستفيد منه لإرعاب المشركين أكثر قدر ممكن ، فأمر العباس بأن يحبس عند مضيق الجبل ليرى بام عينيه حشود المجاهدين من المسلمين . كما أسلفنا . في وضح النهار مع كامل عدّتهم واسلحتهم ، ونظامهم وقوتهم ، فيخبر قريشا بذلك ، فيزيدهم خوفا ورهبة ، فينصرفوا عن فكرة مقاومة الجيش الاسلامي عند دخوله الى مكة.

وفعل العباس ما أمره الرسول الكريم ﷺ فحبس أبا سفيان

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤٠٠ و ٤٠٤ ، مجمع البيان : ج ١٠ ص ٥٥٤ . ٥٥٦ ، المغازي : ج ٢ ص ٨١٦ . ٨١٨ ، شرح نهج البلاغة الحديدي : ج ١٧ ص ٢٦٨ .

حيث أمر النبي ﷺ .

فمرّت القبائل مع راياتها أمام أبي سفيان ، وكانت بعض قطعات الجيش الاسلامي على النحو التالي :

- ١ . كتيبة قوامها ألف مقاتل من بني سليم بقيادة خالد بن الوليد ، وفيها لواءان ، أحدهما مع « عباس بن مرداس » ، والآخر مع « المقداد » .
- ٢ . فوجان قوامهما خمسمائة مقاتل بقيادة « الزبير بن العوام » الذي كان يحمل معه لواء أسودا ، وكان أكثر أفراد هذا الفوج من المهاجرين .
- ٣ . فوج قوامه ثلاثمائة مقاتل من بني غفار بقيادة « أبي ذر الغفاري » وكان لواءه معه .
- ٤ . فوج قوامه اربعمائة مقاتل من بني سليم بقيادة « يزيد بن الخصيب » ومعه لواءه .
- ٥ . فوجان قوامهما خمسمائة مقاتل من بني كعب بقيادة « بشر بن سفيان » ورأيته معه .
- ٦ . كتيبة قوامها ألف مقاتل من بني مزينة ، فيها ثلاثة ألوية ، لواء مع النعمان بن مقرن ، ولواء مع بلال بن الحارث ، ولواء مع عبد الله بن عمر .
- ٧ . كتيبة قوامها ثمانمائة مقاتل من جهينة ، فيها أربعة ألوية ، لواء مع « معبد بن خالد » و « سويد بن صخره » و « رافع بن مكيث » و « عبد الله بن بدر » .
- ٨ . فوجان قوامهما مائتا مقاتل من بني كنانة ، وبني ليث وضمرة ، بقيادة « أبي واقد الليثي » ، وكان لواءهما معه .
- ٩ . فوج قوامه ثلاثمائة ، مقاتل من بني أشجع ، وفيها لواءان أحدهما بيد « معقل بن سنان » والآخر مع « نعيم بن مسعود »<sup>(١)</sup> .

---

(١) لقد سجّل المؤرخ الاسلامي الشهير « الواقدي » عدد أفراد هذه القطعات في تاريخه « المغازي » :

وعند ما كانت هذه القبائل والقطعات تمرّ ، سأل أبو سفيان العباس عن اسمها ،  
وخصوصياتها ، فكان العباس يوضح له كل ذلك .

والذي كان يزيد هذا الجيش المنظم جلالا وعظمة أن قادة هذه الافواج والكتائب كانوا  
اذا مرّوا على العباس وأبي سفيان كبروا ثلاثا بأعلى أصواتهم وبشكل منظمّ ، وكبر من ورائهم  
جنودهم بصوت واحد ومنظم أيضا كأكبر شعار اسلامي .

ولقد كان لهذه التكبيرات الهادرة التي كانت تدوي في وديان مكة ، وترددها الجبال  
والوديان ، أكبر الاثر في نفوس الاصدقاء والاعداء ، فكانت تزيد بهيبتها وجلالها من محبة  
الاصدقاء للنظام الاسلامي العظيم ، بينما ترهب أعداء الله ، وتغرقهم في خوف ورعب  
شديدين .

هذا وكان أبو سفيان ينتظر بفارغ الصبر عبور الكتيبة التي فيها رسول الله ﷺ ولهذا  
كان يسأل العباس كلما مرّ قطعة من قطعات الجيش الاسلامي : أفيها محمّد؟ أو ما  
مضى بعد محمّد؟!

فيقول العباس : لم يمض بعد ، لو رأيت الكتيبة التي فيها محمّد ﷺ رأيت الحديد  
والخيل والرجال وما ليس لأحد به طاقة .

وبينما هما كذلك إذ طلعت كتيبة عظيمة قوامها خمسة آلاف مقاتل ، فيها ألفا دارع  
فقط ، فيها الرايات والألوية الكثيرة ، فيها المهاجرون والانصار ، مع كل بطن وقبيلة من  
قبائل الأنصار راية ولواء ، وكانت تسمى كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء لأن أفرادها كانوا  
في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ، وقد ركبوا الخيول العربية الاصلية ، والحمر من الإبل ،  
ورسول الله ﷺ في وسطها راكب على ناقته القصوى ، وقد أحدق به كبار الشخصيات  
من

---

- ج ٣ ص ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨١٩ بشكل دقيق ، وقد نقلها عنه ابن أبي الحديد في ج ١٧ ص ٢٧٠ و  
٢٧١ .

المهاجرين والانصار ، والنبي ﷺ يحدّثهم.

فارعبت عظمة هذه الكتبية أبا سفيان ، بشدة ، حتى أنه قال للعباس من دون اختيار :  
ما لأحد بمؤلاء قبل ولا طاقة يا أبا الفضل! والله يا ابا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك  
الغداة عظيما.

فقال له العباس - بنبرة موبّخة - : ويحك يا أبا سفيان ليس بملك إنّها النبوة.  
فليس هذه العظمة والجلال من أثر الملك الملحّ الدنيوي إنّما هو هو فعل الرسالة الالهية ،  
إنه جلال النبوة ، وانه بالتالي من فضل الله عزّ وجلّ الذي أدخل الاسلام في قلوب هذه  
الجماهير المؤمنة ، وهذه الجموع المجاهدة في سبيل الله.

### أبو سفيان يرجع إلى مكة :

إلى هنا قام العباس بدوره على أفضل صورة ، فقد أربع أبو سفيان من قوة الاسلام  
العسكرية الكبرى ، ولهذا رأى النبي ﷺ أن يخلّي سبيله ليذهب إلى مكة قبل دخول  
جنود الاسلام فيها ، فيخبر أهلها بعظمة وقوة الجيش الاسلامي القادم إليهم ، ويحدّثهم من  
مغبة المقاومة والمواجهة ، ويدلهم على طريق الخلاص والنجاة ، وهو التسليم للأمر الواقع ،  
والقاء السلاح ، والاستسلام من دون قتال ومقاومة ، ومن دون قيد وشرط ، لأن بمجرد  
تخويف أهل مكة من دون إرشادهم إلى طريق الخلاص ما كان ليتحقق هدف النبي الأكرم  
ﷺ ، وهو الفتح من دون دماء.

فدخل أبو سفيان مكة ، وقد بات الناس ليلتهم في رعب شديد ، وترقّب رهيب حتى  
أصبحوا ، ولم يكن بإمكانه أن يقرّروا شيئا من دونه ، فلما رأوه قادمًا أحاطوا به ، فاخذ  
يشير الى ناحية المدينة ، وقد اصفرّ وجهه ، وانهارت قواه وصرخ بأعلى صوته : يا معشر  
قريش ، هذا محمّد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، أو قال : هذا محمّد في عشرة آلاف  
فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو  
آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن.



على أن رسول الله ﷺ لم يكتف بهذا بل أضاف إلى الأماكن الثلاثة التي أعلنها للجهنم الناس إليها حتى يأمنوا من القتل ، موضعاً آخر ، حيث عقد لابي رويحة « عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي » لواء وأمره أن ينادي :  
« من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن »<sup>(١)</sup>.

وقد تسبب أبو سفيان بنذائه في إضعاف المعنويات عند أهل مكة بشدة حتى أنهم انصرفوا عن فكرة المقاومة ، لو كانت ، وأثمرت جهود العباس ومساعيه في الليلة الفاتية ، وأصبح فتح مكة من دون مقاومة في نظر أهل الرأي وعند من ينظر الى واقع الامور ، أمراً مسلماً وقطعياً.

ففرغ الناس ، وتفرقوا ، ولجأ بعضهم إلى دورهم ، والبعض الآخر الى المسجد ، وأسدى أعدى أعداء الرسالة ونعني أبا سفيان ، ونتيجة لتدبير رسول الله الحكيم ، أكبر خدمة لجنود الاسلام ، حيث مهّد لهم . بما أوجده في نفوس المكيين وقلوبهم من هزيمة نفسية . طريق الفتح العظيم بسلام ، ومن دون مشاكل تذكر ، اللهم إلا « هند » زوجة أبي سفيان التي كانت تحرض الناس على المقاومة ، وراحت تشتم زوجها وتسبّه باقذع الشتائم والسباب ، وتتهمه بالجين والذل.

بيد أن الأمر كان قد قدر ، ولم تعد تنفع أيّة محاولة معاكسة ، ولم تكن تلك الكلمات والأعمال المعارضة سوى هباء في شبك!

ونظير هذا الذي فعلته هند ، ما فعله وقام به بعض الزعماء المتطرفين مثل « صفوان بن أمية » وعكرمة بن أبي جهل « و « سهيل بن عمرو » ممثّل قريش في صلح الحديبية ، الذين تحالفوا فيما بينهم على أن يعملوا على منع قوات الاسلام من دخول مكة ، وانخدع بهم فريق من البسطاء والمغفلين ، فشهروا السلاح في وجه أول قطعة من قطعات الجيش الاسلامي ، وسدّوا بذلك الطريق عليها في محاولة

(١) امتاع الاسماع : ج ١ ص ٣٧٩.

يائسة لتحقيق مآربهم.

### القوات الاسلامية تدخل مكة :

وقبل ان تدخل قوات الاسلام مكة كان رسول الله ﷺ قد دعا جميع قادة وامراء جيشه وقال لهم بانه يريد ان يفتح مكة من دون إراقة أية دماء ، ولهذا امرهم ان لا يقتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه أمر بقتل عشرة وان وجدوا تحت أستار الكعبة وهم : « عكرمة بن أبي جهل » و « هبار بن الاسود » و « عبد الله بن أبي سرح » و « مقيس بن حبابه الكندي » و « الحويرث بن نقيذ » و « عبد الله بن خطل » و « صفوان بن أمية » و « وحشي بن حرب » قاتل حمزة.

و « عبد الله بن الزبير » و « حارث بن طلالة » و « واربع نسوة وكان كل واحد من هؤلاء قد قتل أحدا او ارتكب جناية أو شارك في مؤامرة او حرب ضد الاسلام والمسلمين .<sup>(١)</sup>

وقد بلغ الأمراء والقادة هذا الأمر إلى جنودهم كافة ، ومع أن رسول الله ﷺ كان يعرف مسبقاً بمعنويات المكيين المنهارة ، وعدم قدرتهم على المقاومة ، إلا أنه . مع ذلك . لم يترك جانب الاحتياط والحذر الذي يفرضه العمل العسكري ، عند دخول مكة ، حيث رسم لدخولها خطة دقيقة .

فقد وصل رسول الله ﷺ بجيشه كله إلى « ذي طوى » ( وهو موضع مرتفع كانت ترى منه بيوت مكة ومنازلها ) وهو في كتيبة قوامها خمسة آلاف ، فلما رأى رسول الله ﷺ منازل مكة اغرورقت عيناه بدموع الشوق والحنين ، فانحنى تواضعا لله تعالى وشكرا ، حتى رأى ما رأى من فتح الله ، وكثرة المسلمين حتى مسّت لحيته الشريفة واسطة الرجل أو يقرب منه .

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤١٠ ، تاريخ الخميس : ج ٢ ص ٩٠ . ٩٤ وقد ذكر صاحب تاريخ الخميس تفاصيل ما ارتكبه هذه الجماعة المهذورة دماؤها وما آل إليه أمرهم بعد فتح مكة .

ومراعاة لجانب الحذر والاحتياط في رسول الله ﷺ جنوده فأمر البعض بأن يدخلوا مكة من أسفلها ، وأمر البعض بأن يدخلوها من أعلاها ، ولم يكتف بهذا بل أمر وحدات من الجيش بان تدخل من جميع المداخل والطرق المؤدية إلى داخل مكة.

فدخلت جميع وحدات الجيش الاسلامي وقطعاته وكتائبه وفرقه مكة من دون قتال ومن دون ان تلقى من أهلها مقاومة ، فقد كانت جميع الأبواب مفتحة في وجوههم إلا المدخل الذي دخل منه « خالد بن الوليد » بفرقه ، فقد عمد جماعة من المكيين بتحريض من « عكرمة » و « صفوان » و « سهيل » على شهر أسلحتهم في وجوه المسلمين ، ورموا بالنبل لمنعهم من دخول مكة ، ووقع قتال بين الجانبين ، ولكن محرضي هذه الجماعة اختفوا بعد شيء من القتال والمقاومة ، وفرّ الآخرون بعد أن قتل منهم المسلمون اثني عشر أو ثلاثة عشر شخصا (١).

ومرة اخرى قام أبو سفيان ومن حيث لا يشعر بعمل آخر لصالح الاسلام في هذه الحادثة ، فانه كان لا يزال مرعوبا مما رأى من كثرة الحشود العسكرية الاسلامية وقوتها وكان يعلم ان المقاومة لا تجدي نفعاً ولا تجرّ على أهل مكة إلا الضرر ، ولهذا نادى بأعلى صوته .  
حقنا للدماء . : يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم؟ من دخل داره فهو آمن ، ومن وضع السلاح فهو آمن ... فلا يدفع محمّداً شيء ، فضعوا اسلحتكم ، وادخلوا في بيوتكم ، واغلقوا عليكم أبوابكم او ادخلوا المسجد ، تسلموا.

فكان لنداء أبي سفيان هذا أثره في نفوس الناس فجعلوا يقتحمون الدور ، ويغلقون عليهم ، ويطرحون السلاح في الطرقات حتى يأخذها المسلمون ، بينما لجأ بعضهم إلى المسجد.

ولما ظهر رسول الله ﷺ على « ثنية أذاخر » نظر إلى المعان

(١) السيرة النبوية : ج ١ ص ٤٠٨ ، وحسب المغازي : ج ٢ ص ٨٢٥ . ٨٢٦ قتل ثمان وعشرون رجلاً.

السيوف وهي تصعد وتهبط فقال : « ما هذه البارقة؟ ألم أنه عن القتال؟ »  
فقيل : يا رسول الله ، خالد بن الوليد قوتل ، ولو لم يقاتل ما قاتل. فقال رسول الله  
ﷺ : « قضى الله خيرا ».

ثم إن رسول الله ﷺ دخل مكة من ناحية أذاخر ، وهي أعلى نقطة في مكة في  
موكب عظيم جليل ، فضرب له قبة من آدم بالحجون ( عند قبر عمه العظيم أبي طالب )  
ليستريح فيها ، وقد أصروا عليه ﷺ بأن ينزل في بعض بيوت مكة فأبى ﷺ (١).

### كسر الاصنام وغسل الكعبة :

لقد استسلمت مكة التي كانت مركزا رئيسيا للشرك والوثنية طوال أعوام عديدة ومديدة ،  
أمام قوات التوحيد الظافرة ، وسيطر جنود الاسلام على جميع نقاط تلك المدينة المقدسة.  
ولقد استراح رسول الله ﷺ في الخيمة التي ضربوها له في الحجون بعض الوقت.  
ثم انه ﷺ بعد أن اطمأن واغتسل ركب راحلته « القصواء » وتوجه الى المسجد  
الحرام لزيارة بيت الله المعظم والطواف به ، بينما كان يحمل معه السلاح ، والمغفر على رأسه  
، وتحيط به هالة من العظمة والجلال ، ويحدق به المهاجرون والانصار ، وقد صفّ له الناس  
من المسلمين والمشركين ، بعض يغمره الفرح والسرور ، وآخرون يكادون ينفجرون من الغيظ.  
ولما انتهى ﷺ إلى الكعبة فرآها ومعه المسلمون تقدم على راحلته ، ولم يترجل منها  
لأسباب خاصة فاستلم الركن بمحجنه بدل استلامه بيده ، وكبر فكبّر المسلمون لتكبيره ،  
ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة لتكبيرهم

---

(١) الامتاع : ج ١ ص ٣٨٠.

ودوى صوتهم في الجبال والوهاد ، وسمعه المشركون الذين كانوا قد تفرقوا فوق الجبال ينظرون إلى ذلك المشهد وقد بلغ من هياج المسلمين ، وهم يطوفون بالبيت من شدة سرورهم جدا كاد أن يمنع رسول الله ﷺ من الطواف بالبيت بفكر هادئ فإشار إليهم ﷺ أن اسكتوا ، فسكت الجميع بأمره ، وساد الصمت كل أرجاء المسجد الحرام ، فطاف رسول الله ﷺ بالبيت على راحلته ، وقد أخذ بزمامها « محمد بن مسلمة » وفيما احتبست الاصوات في الصدور ، واتجهت الأبصار إليه ﷺ فوقع عيناه الشريفتان . في الشوط الأول من طوافه . على الاصنام الكبرى « هبل » و « اساف » و « نائلة » منصوبة فوق الكعبة ، فجعل رسول الله ﷺ كلما مر بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فيقع الصنم لوجهه .

وأمر ﷺ بهبل أكبر أصنام المشركين فحطم وكسر في مرأى من المشركين ، ولقد كان هذا الصنم الكبير يهيمن على عقول الجاهليين في الجزيرة العربية ، ويسيطر على أفكارهم أعواما عديدة .

ولما كسر المسلمون ذلك الصنم قال الزبير لأبي سفيان وكان ينظر إلى ذلك المشهد : يا أبا سفيان لقد كسر هبل ، أما إنك قد كنت منه يوم « احد » في غرور ، حين تزعم أنه قد أنعم .

فقال أبو سفيان : دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان .

ولما انتهى رسول الله ﷺ من طوافه بالبيت انصرف فجلس ناحية من المسجد ، والناس حوله ، ثم أرسل بلالا إلى « عثمان بن طلحة » يأتيه بمفتاح الكعبة ، وكان عثمان يومذاك سادن الكعبة ، وقد كانت السدانة تتوارث جيلا بعد جيل .

فجاء بلال إلى عثمان فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن

تأتي بمفتاح الكعبة ، فاستجاب عثمان ، إلا أنّ أمّه منعتّه عن ذلك ، وكان المفتاح يومئذ عندها وقالت له : اعيذك بالله أن تكون الذي تذهب مأثرة قومه على يديه .  
فقال لها عثمان : فو الله لتدفعته إليّ ، أو ليأتيتك غيري فأخذ منك ، فسلمته إياه .  
ففتح رسول الله ﷺ به باب الكعبة ودخل البيت ، ودخل من بعده ﷺ اسامة بن زيد وبلال وعثمان وسادتها ، ثم أمر النبيّ باغلاق باب الكعبة ، ووقف خالد بن الوليد على الباب يذب الناس عن الباب .  
وكانت جدران الكعبة من الداخل مغطّاة بصور الأنبياء والملائكة وغيرهم ، فأمر النبيّ ﷺ بمحوها جميعا ، وغسلها بماء زمزم .

### علي عليه السلام على كتف النبي :

يقول المحدثون والمؤرّخون : لقد كسرت بعض الأصنام الموضوعة في الكعبة على يد « علي بن أبي طالب » وذلك عند ما قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام :  
« اجلس » .  
فجلس إلى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله ﷺ على منكبي ثم قال : انهض بي إلى الصنم ... فحاول أن ينهض فلم يطق .  
فلما رأى النبي ضعفه تحته ، قال :  
« اجلس » .  
فجلس علي عليه السلام ثم نزل النبي ﷺ عنه ، ثم جلس ﷺ ثم قال :  
« يا علي اصعد على منكبي » .

فصعد علي عليه السلام على منكبه ، ثم نهض به فالقى صنم قريش الاكبر ، وكان من نحاس ، ثم ألقى بقية الاصنام إلى الارض وحطمها .

وقد أنشد شاعر الحلة الشهير بابن العرندس ، وهو من شعراء القرن التاسع الهجري قصيدة ذكرها فيها هذه الفضيلة بقوله :

وصعود غارب أحمد فضل له دون القرابة والصحابة أفضلًا <sup>(١)</sup>

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بان يفتح باب الكعبة فوقف على الباب ، وأخذ بعضادتي الباب فاشرف على الناس بطلعته المنيرة ومحياه الجميل وقال :

« الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

ولقد كان الله سبحانه قد وعد نبيه الكريم في آية من آيات الكتاب العزيز بأن يعيده الى مسقط راسه اذ قال : « إن الذي فرض عليك القرآن لرادّ إلى معاد قل ربّي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين » <sup>(٢)</sup> .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحمده هذا عن تحقيق وعد الله له ، وبرهن مرة اخرى على صدقه ، وصحة دعواه .

وفي ما كان الصمت يخيّم على أرجاء المسجد الحرام ، وفي ما كانت الانفاس محتبسة في الصدور ، وتحول في رعوس الحاضرين وانفسهم أفكار مختلفة ، وخواطر شتى ، ويتذكر أهل مكة المشركون ما ألحقوه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه من الأذى والعذاب الشديد ، فتذهب بهم تصوراتهم مذاهب شتى!!

إن الذي سبق لهم أن اشعلوا حروبا كثيرة ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتلوا خيرة شبابه وأصحابه ، بل وتمادوا في غيهم وعدوانهم حتى أنهم تأمروا

(١) مسند احمد بن حنبل : ج ١ ص ٨٤ باسناد صحيح ، السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٨٦ . تاريخ الخميس : ج ٢ ص ٨٦ و ٨٧ ، مستدرک الحاكم : ج ٢ ص ٣٦٧ ، وراجع بقية المصادر في موسوعة الغدير : ج ٧ ص ١٠ .

(٢) القصص : ٨٥ .

لاغتياله بالهجوم عليه في منزله ليلا ، وتقطيعه بالسيوف إرنا إرنا ، ها هم الآن يرون أنفسهم أسرى في قبضته ، وهو ﷺ قادر على أن ينتقم منهم كيفما شاء!!  
إن من الطبيعي أن يتحدث أهل مكة في أنفسهم وهم يتذكرون معاداتهم الشديدة والطويلة لرسول الله ﷺ وجرائمهم الكبرى بحقه ، وبحق دعوته ويقول بعضهم : أنه سيقتلنا حتما ، أو يقتل فريقا منا ، ويجبس آخرين ، ويسبي ذريتنا ونساءنا ، جزاء ما فعلنا .  
وبينما كانوا . في تلك اللحظات . فريسة هذه الافكار والتصورات الشيطانية ، كسر رسول الله ﷺ جدار الصمت الرهيب الذي يخيم على أرجاء المسجد الحرام وقال سائلا :  
« ما ذا تقولون ... وما ذا تظنون؟! » .

فقال أهل مكة : وقد تملكتم حيرة شديدة ، وخوف عظيم وهم قد عرفوا رحمة النبي ورأفته ، ولطفه لطفه ، وخلقه العظيم : نقول خيرا ، ونظن خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، وقد قدرت .

فقال رسول الله ونبي الرحمة ﷺ ، وقد سمع هذه العبارات العاطفية :  
« فاني أقول لكم كما قال أخي يوسف » قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين «<sup>(١)</sup> .

وكان أهل مكة قد اطمأنوا إلى عفو النبي وصفحته قبل ذلك نوعا ما عند ما رأوا رد فعله الشديد على أحد قادة جيشه عند ما أخذ ينادي حين دخول مجموعته العسكرية مكة من احدى مداخلها :

اليوم الملحمة اليوم تسبي الحرمه

---

(١) المغازي : ج ٢ ص ٨٣٥ ، بحار الأنوار : ج ٢١ ص ١٠٧ و ١٣٢ والآية المذكورة هي ٩٢ من يوسف .



فغضب رسول الله ﷺ لهذا الشعار وقال ردا عليه :

« اليوم يوم الرحمة »<sup>(١)</sup>

كما أنه أمر . لغرض تأديب من أطلق هذا الشعار . بأخذ اللواء منه ، وأعطاه إلى شخص آخر ، وقيل إنه ﷺ عزله عن قيادة المجموعة ، وأمر ابنه مكانه ، وكان هذا الأمير هو سعد بن عبادة رئيس الخزرج .

وقد دفع هذا النوع من اللطف والموقف الايجابي الذي لاحظه أهل مكة المشركون أن يأمل الناس المغلوبون في العفو العام إلى درجة كبيرة ، خاصة أن رسول الله ﷺ قد آمن من دخل المسجد الحرام أو بيت أبي سفيان ، أو ألقى السلاح ، أو أغلق على نفسه باب منزله .

كل هذه الامور كانت قد فتحت على أهل مكة بصيصا من الأمل في العفو الشامل .

### النبي يعلن عن العفو العام :

ثم إن رسول الله ﷺ أعلن عن العفو العام عن جميع أهل مكة بقوله :  
« ألا لبئس جيران النبي كنتم ، لقد كذبتم ، وطردتم ، وأخرجتم ، وأذيتم ، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني اذهبوا فانتم الطلقاء »<sup>(٢)</sup> .

### بلال يرفع الأذان على سطح الكعبة :

ثم حان وقت صلاة الظهر ، فعلا مؤذن الاسلام « بلال » الحبشي سطح الكعبة المعظمة ، ورفع في الحاضرين وبصوت عال نداء التوحيد والرسالة

(١) المغازي : ج ٢ ص ٨٢١ و ٨٢٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ١٠٦ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤١٢ .

(الأذان) ، فكان كل واحد من المشركين يقول كلاما ، غضبا وحنقا على بلال.

فمنهم من قال : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع هذا اليوم!!

وقال أبو سفيان أما أنا فلا أقول شيئا ، لو قلت شيئا لآخبرته هذه الحصباء!!<sup>(١)</sup>.

إن هذا العجوز الخرف المعاند الذي لم يشرق في قلبه نور الإسلام حتى آخر لحظة من حياته ، خلط بين مسألة الاطلاع على الغيب ، وتلقي الحقائق عن طريق الوحي ، وبين مسألة التحسس الذي يعتمد جبابرة العالم وطغاته.

إن مسألة اطلاع رسول الله ﷺ على قضايا الغيب أمر يحصل بطرق غير عادية ولا متعارفة ، في حين تحصل معرفة جبابرة العالم بمجريات الامور في بلادهم عن طريق استخدام عناصر بشرية ، أو من يسمون برجال المخابرات والأمن.

وعلى كل حال فان رسول الله ﷺ صلى بالمسلمين صلاة الظهر ثم دعا « عثمان بن

طلحة » وردّ إليه مفتاح الكعبة ، وقال له :

« هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء »<sup>(٢)</sup>.

وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم أحد إلا ظالم »<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن غير هذا بمتوقع من رسول الله ﷺ.

فإن النبي الذي بعثه الله سبحانه إلى الناس ليدعوهم إلى أداء الامانة . فيما يدعوهم إليه .

وليبلّغهم قوله تعالى : «لِيَؤَيِّدَ اللَّهُ بِأَمْرِكُمْ لَتُبَدَّلُوا الْأَمَانَاتُ إِلَىٰ أَهْلِهَا» من المسلم أن يكون

أول من يلتزم بهذا التعليم الالهي ، فيعيد مثل تلك الامانة الكبرى إلى صاحبها.

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤١٣ .

(٢) و (٣) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤١٢ ، المغازي : ج ٢ ص ٨٣٨ الطبقات الكبرى لابن سعد : ج ٢ ص

١٣٧ .

إنه لم يكن بالذي يهضم حقوق الناس ويدوسها ، في ظل ما أوتي من قوة ، ويقول للناس بكل صراحة : « خذوها يا بني أبي طلحة ، تالدة خالدة لا ينزعها أحد منكم إلا ظالم ».

ثم ان رسول الله ﷺ ألغى جميع مناصب الكعبة التي كانت في الجاهلية إلا ما كان نافعاً للناس كالسدانة والحجابه ( وهي القيام بشئون أستار الكعبة ) وسقاية الحجيج <sup>(١)</sup>.

### النبي يتحدث إلى أقاربه :

ولكي يعرف أقرباء النبي ﷺ أن وشيخة القرى التي تربطهم برسول الله ﷺ لا ترفع عن كاهلهم أية مسئولية من المسئوليات ، بل تزيد من مسئوليتهم ألقى فيهم خطاباً خاصاً بين فيه أن رابطة القرى مع النبي ﷺ لا تبرّ لأحد من أقرائه بأن يتجاهل قوانين الحكومة الإسلامية ، ويتخذ من انتسابه إلى زعيم هذه الحكومة ذريعة وغطاء لارتكاب ما لا يحل للآخرين كما هو الحال في أنظمة الحكم البشرية.

ولقد شجب رسول الله ﷺ في خطابه هذا الذي خطبه في اجتماع ضم رجال بني هاشم وبني عبد المطلب ، كل تمييز ، وتفضيل غير صحيح ، ودعا إلى لزوم العدل ومراعاة المساواة ، بين جميع الطبقات اذ قال :

« يا بني هاشم ، يا بني عبد المطلب إني رسول الله إليكم ، وإني شفيق عليكم ، لا تقولوا : إن محمداً منا ، فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلا المتقون فلا أعرفكم تأتوني يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم ويأتي الناس يحملون الآخرة.

ألا وإني قد أعذرت فيما بيني وبينكم ، وفيما بين الله عزّ وجلّ وبينكم وإن

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢١ ، ص ١٣٢ .

لي عملي ولكم عملكم» (١).

### خطاب النبي التاريخي في المسجد الحرام :

كان الاجتماع الذي شهده المسجد الحرام يوم فتح مكة اجتماعا عظيما جدا. المسلمون والمشركون ، والصدیق والعدو حضروا بأجمعهم في ذلك الاجتماع ، وكانت تجلل هالة من عظمة الاسلام وعظمة نبيه الكريم ﷺ رحاب ذلك المكان المبارك ، وكان الصمت والهدوء ، وحالة من الانتظار والترقب ، تخيم على اجواء مكة. لقد آن الأوان . الآن . لأن يكشف رسول الله ﷺ للناس عن الملامح الحقيقية لدعوته المباركة ويوقف ذلك الحشد الهائل المتعطش على معالم رسالته العظيمة ، ومبادئ دينه الخفيف ، وبالتالي أن يكمل حديثه الذي بدأه قبل عشرين عاما ولكنّه لم يوفق لإتمامه بسبب مضايقات المشركين ، ومعارضتهم ، وبسبب ما أوجدوه من عقبات وعراقيل في طريقه.

ولقد كان رسول الله ﷺ ابن تلك المنطقة ، وتلك البيئة ، ولهذا كان عارفا . تمام المعرفة . بأمراض المجتمع العربي ، وأدوائه ، وعلاج تلك الأدواء ودوائها. لقد كان يعرف ﷺ علل انحطاط المجتمع المكيّ وأسباب تخلفه عن ركب الحضارة والمدنية ، وعن اللحاق بقافلة التكامل البشري الصاعد. من هنا رأى أن يضع يده على مواضع الداء في ذلك المجتمع المريض ، وأن يعالج امراض البيئة العربية بشكل كامل ، وكأى طبيب حاذق ، وحكيم ماهر. ونحن هنا ندرج أبرز المقاطع في الخطاب التاريخي الذي ألقاه سيد المرسلين

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ١١١.

ﷺ على الحشود الكبيرة المتجمعة في ذلك اليوم عند بيت الله المعظم.  
تلك المقاطع التي يعالج كل واحد منها مرضا اجتماعيا خاصا من أمراض المجتمع في ذلك  
العصر وحتى في عصرنا الحاضر.

## ١ . التفاخر بالنسب :

كان التفاخر بالنسب والقبيلة والعشيرة من الامراض المستحكمة المتحذرة في البيئة العربية  
الجاهلية ، وكان من اكبر أجماد المرء أن ينتسب إلى قبيلة معروفة ، ويتفرع نسبه عن عشيرة  
بارزة كقريش مثلا :

ولقد قال رسول الله ﷺ في خطابه المذكور لإبطال هذه السنّة الجاهلية المقيتة.

« أيّها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بأبائها.

ألا إنكم من آدم ، وآدم من طين.

ألا إن خير عباد الله عبد اتقاه.».

لقد عمد رسول الله ﷺ في خطابه . لإفهام العالم البشري بأن ملاك الشخصية  
والتفوق انما هو ( التقوى ) والورع فقط . إلى تصنيف الناس الى صنفين لا ثالث لهما ،  
واعطى الفضيلة والمنزلة لأهل التقوى والورع خاصة.

وبهذا التصنيف الواقعي في ملاكاته أبطل جميع المعايير الخيالية والملاكات والمقاييس

المصطنعة إذ قال :

« إنما الناس رجالان :

مؤمن تقي كريم على الله .

وفاجر شقي هين على الله.».

## ٢ . التفاضل بالقومية العربية :

لقد كان رسول الله ﷺ يعلم جيدا أن هذه الجماعة من

البشر تعتبر ( العربية ) والانتساب الى العرق العربي من المفاخر الكبرى ، وكانت النخوة العربية قد ترسخت في قلوب تلك الجماعة وعروقها كداء دفين ومرض مزمن ، فقال في خطابه لمعالجة هذا الداء الخبيث وتحطيم هذا الصرح الموهوم :

« إن العربية ليست بأب والد ، ولكنه لسان ناطق ، فمن قصر عمله لم يبلغ به حسبه .»

وهل نجد كلاما أعمق مغزى ، وأوضح مرادا ، وأقوى وقعا في النفوس من هذا الكلام؟!!

### ٣ . لجميع أبناء البشر لا لبعض دون بعض :

لقد قال داعية الحرية الحقيقية ، ورائد حقوق الانسان الواقعي بهدف تقوية ودعم مبدأ المساواة بين الافراد والجماعات البشرية :

« إنّ الناس من آدم الى يومنا هذا مثل اسنان المشط ، لا فضل للعربي على العجمي ، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى .»

وقد ألغى رسول الانسانية الاعظم بهذا البيان الصريح كل انواع التمييز الظلمة ، وكل ألوان التشدد مع الآخرين ، وفعل وبين في ذلك العصر ما لم يفعله ولم يبينه ميثاق حقوق الانسان مع كل هذه الضجة الاعلامية التي نشهدها في عالمنا الحاضر .

### ٤ . الحروب الطويلة والاحقاد القديمة :

لقد نشأت الاقوام العربية . نتيجة اشتغالها المستمر بالحروب الداخلية المتلاحقة والطويلة . على الحقد والضغينة .

فقد كانت نيران الحروب مشتعلة في المجتمعات العربية على قدم وساق ومن دون انقطاع . ولقد واجه رسول الله ﷺ بعد سيطرته الكاملة على الجزيرة

العربية هذه المشكلة.

فقد كان يتوجب عليه . بغية إقرار الأمن والهدوء والحفاظ عليهما في البيئة الاسلامية . أن يبادر الى وضع نهاية لهذه المعضلة ، وأن يعالج هذا الداء المزمن فلم يجد دواء لهذا الداء إلا أن يطلب من الناس كافة أن يتنازلوا عما لهم من دماء في أعناق الآخرين سفكت في العهد الجاهلي ، وأن تعتبر ملفات العهد القديم باطلة ، ومنتهية ، ليتمكن عن هذا الطريق الخيلولة دون إراقة الدماء التي تعرض المجتمع الاسلامي الناشئ للخطر ، وحتى يتنزع من أذهانهم ونفوسهم فكرة الاغارة والقتل العشوائي الذي كان يتم بحجة القصاص في حين كان من الممكن ان يتم بشكل القصاص الحقيقي العادل ، فقال ﷺ للوصول إلى مثل هذه الغاية السامية.

ألا إن كل مال ومأثرة ودم في الجاهلية تحت قدمي هاتين .»

#### ٥ . الاخوة الاسلامية :

ولقد ارتبط قسم من خطاب رسول الله ﷺ في ذلك الحشد العظيم بمسألة اتحاد المسلمين ووحدة كلمتهم ، وحق المسلم على اخيه المسلم . وقد كان مقصوده ﷺ من بيان هذه الحقوق المتبادلة بين المسلمين التي تعتبر من مميزات الدين الاسلامي الحنيف ، هو أن يرغب غير المسلمين في الاسلام إذا هم سمعوا ورأوا مثل هذه الحقوق ، ومثل هذه العلاقات المتينة بين المسلمين .

فقد قال في هذا الصعيد :

« المسلم أخو المسلم ، والمسلمون إخوة وهم يد واحدة على من سواهم ، نتكافؤ دماؤهم ، ليسعى بدمتهم أذناهم »<sup>(١)</sup> .

---

(١) لقد نقلنا هذه المختارات من : روضة الكافي : ص ٢٤٦ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤١٢ ، المغازي : ج ٢ ص ٨٣٦ ، بحار الأنوار : ج ٢١ ص ١٠٥ ، شرح ابن أبي الحديد : ج ١٧ ، ص ٢٨١ .

## معاقة المجرمين :

ليس من شك في أن رسول الله ﷺ كان مظهرا كاملا للانسانية والرحمة ومثلا أعلى في العفو والصفح ، فهو رغم مشاعر بعض المتطرفين الملتهبة ، أصدر عفوه العام عن أهل مكة كافة.

بيد أنه كان هناك بين المكين عدة أشخاص تجاوزوا الحد في معاداتهم للنبي ومعارضتهم للرسول ، وارتكبوا في هذا السبيل جرائم لا تغتفر ، فلم يكن من الصالح . مع كل ما تسببوه من فجاج وفضائح . أن يعيشوا بين المسلمين في أمان وراحة ، إذ كان من الممكن أن يسيئوا استخدام العفو النبوي فيعودوا إلى مشاغبتهم ، وتآمرهم ضدّ الاسلام مرة اخرى ويتسببوا في ظهور مشاكل أمنية جديدة لا يعرف مداها ، وتبعاتها.

وقد قتل بعض هؤلاء المجرمين على أيدي المسلمين في الطرقات ، ولجأ اثنان منهم إلى بيت « أم هاني » بنت أبي طالب اخت الامام علي ؑ ، فلاحقهما « علي » وهو غارق في الحديد لا يعرف ، فدخل بيت أم هاني يطلبهما (١) فواجهت أم هاني فارسا لا يعرف فقالت : أنا امرأة مسلمة وقد أجرت هذين ، وجوار المسلمة محترم.

وفي أكثر المصادر أنها قالت : يا عبد الله أنا أم هاني ابنة عم رسول الله ﷺ واخت علي بن أبي طالب ، انصرف عن داري.

وهنا عمد الامام علي ؑ إلى الكشف عن هويته لتعرفه ، فنزع المغفر عن رأسه ، واسفر عن وجهه.

فما أن وقعت عينا أم هاني على أخيها « علي » بعد فراق طال سنينا عديدة

---

(١) يقول ابن هشام إن الرجلين هما : « الحارث بن هشام » و « زهير بن أبي أمية بن المغيرة ( السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤١١ ) .



ومديدة إلا وانحدرت منهما دموع الشوق والفرحة ، واعتنقت أحاها ، ثم توجهها معا الى رسول الله ﷺ ليعطي رأيه في أمانها ، وجوارها فامضى رسول الله ﷺ جوار تلك المرأة المسلمة ، وأمانها قائلا :

« قد أجزنا من أجرت وأمتنا من أمتت فلا يقتلها »<sup>(١)</sup>.

وقد كان عبد الله بن أبي سرح الذي أسلم ثم ارتد عن الاسلام احد العشرة الذين أمر النبي بقتلهم ، ولكنه نجا من القتل بشفاعه عثمان له.

### قصة عكرمة وصفوان :

ولقد فر « عكرمة بن أبي جهل » أحد كبار مشيري الحروب ومشعلي الفتن ضد الاسلام والمسلمين ، إلى اليمن ، إلا أنه نجا من القتل هو الآخر بشفاعه زوجته ، في قصة مفصلة. وأما « صفوان بن أمية » فانه مضافا إلى جرائمه الفادحة ، كان قد قتل مسلما انتقاما لأبيه « أمية بن خلف » الذي قتل على أيدي المسلمين في بدر ، وذلك عند ما صلبه أمام حشد كبير من أهل مكة في وضح النهار ، ولهذا أهدر رسول الله ﷺ دمه ، فعزم ان يخرج من الحجاز عن طريق البحر فرارا من القتل ، وبخاصة عند ما علم بأنه من جملة العشرة الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم وأهدر دمهم.

فطلب « عمير بن وهب » من رسول الله ﷺ أن يعفو عنه ، فقبل رسول الله ﷺ شفاعته ، وأعطاه عمامته ليدخل بها مكة كعلامة أمان من رسول الله ﷺ ، ويصطحب معه إلى مكة « صفوان بن أمية » ، فذهب عمير إلى جدّة ، وأخبر صفوان بذلك ، وقدم به مكة

---

(١) الارشاد : ص ٧٢ إعلام الوري بأعلام الوري : ص ١١٠ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤١١ ، الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٤٤ و ١٤٥.

على رسول الله ﷺ فلما وقعت علينا رسول الله ﷺ على كبير المجرمين بل أكبرهم يومئذ قال له ربّ عليه لما سأله قائلاً : أن عمير يزعم أنك قد أمنتني؟  
« صدقت ، انزل أبا وهب ».

ثم دعاه رسول الله ﷺ الى الاسلام فقال : اجعلني بالخيار شهرين ، فقال رسول الله ﷺ :

« أنت بالخيار فيه أربعة أشهر »<sup>(١)</sup>.

وبهذا أمهله رسول الله ﷺ أربعة أشهر كفرصة يفكر فيها في الاسلام ، ودعوة النبي .  
إن دراسة اجمالية وسريعة لهذا الموقف تكشف القناع عن حقيقة مسلمة في الاسلام وفي تاريخه العظيم يحاول المستشرقون المغرضون إنكارها وإخفاءها ، وهو أن رءوس الشرك كانوا أحراراً في اختيار العقيدة الاسلامية واعتناقها .

فهم اختاروها واعتنقوها بمحض إرادتهم من دون إكراه أو إجبار ، ولا إرعاب أو تخويف ، بل كانت القيادة الاسلامية تسعى دائماً إلى أن يتم اعتناق عقيدة التوحيد عن طريق التدبير والتفكير الصحيح ، لاعن طريق الارعاب والتخويف .

هذا هو أبرز حوادث فتح مكة وأكثرها عبرة ، وبقي أن نتعرض لذكر حادثتين جديرتين بالاطلاع والتأمل استكمالاً لهذه الدراسة .

وتانك الحادثتان هما :

#### ١ . مبايعة النبي نساء مكة :

بعد بيعة « العقبة » كانت هذه هي المرة الاولى التي اخذ رسول الله صلى

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤١٨ المغازي : ج ٢ ص ٨٥٤ .

الله عليه وآله البيعة من النساء بشكل ظاهريّ ورسميّ ، ولقد بايعنه على الامور التالية :

١ . أن لا يشركن بالله شيئاً .

٢ . ولا يسرقن .

٣ . ولا يزينن .

٤ . ولا يقتلن أولادهن .

٥ . ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن .

٦ . ولا يعصين النبي في معروف .

ولقد تمت هذه البيعة بالكيفية التالية وهي : أن رسول الله ﷺ أمر بقدح من ماء ثم ألقى في الماء شيئاً من الطيب والعطر ثم ادخل يده فيه وتلا الآية <sup>(١)</sup> التي وردت فيه الامور المذكورة ثم نفض من مكانه وقال ﷺ للنساء :

« من أرادت أن تباع فلتدخل يدها في القدح فاني لا اصافح النساء » <sup>(٢)</sup> .

وكانت العلة في أخذ مثل هذه البيعة . الخاصة في موادها وبنودها . من نساء مكة هي وجود عدد كبير من النسوة الفاسدات بينهن ، فلو أن رسول الله ﷺ لم يقدم على أخذ مثل هذه البيعة منهن لكان من المحتمل أن تستأنف تلك النسوة الفاسدات عملهن القبيح حتى في السر .

وكانت « هند » زوجة أبي سفيان بن حرب ، وأمّ معاوية ذات السوابق السوداء والفاضحة من بين تلك النسوة .

وقد كانت هذه المرأة لفضاضة في طبيعتها وخشونة ، في سلوكها ، تهيمن على عقلية زوجها أبي سفيان ، ولطالما فرضت عليه آراءها ، حتى أنها يوم قرّر أبو سفيان الاستسلام للأمر الواقع ، ورغب أهل مكة في السلام حرّضت الناس على القتال

---

(١) الممتحنة : ١٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ١١٣ .

وسفك الدماء ومواجهة جنود الاسلام.

إن تحريضات هذه المرأة بالذات هي التي أشعلت نيران الحرب في « احد » ، تلك النيران التي كلّفت ، رسول الله ﷺ سبعين شهيدا كان أبرزهم « حمزة » الذي بقرت تلك المرأة الفاسدة الفاجرة الحاقدة وبمتهى القسوة والفضاضة بطنه ، وشقّت صدره ، واستخرجت كبده ، وقطعته بأسناتها نصفين.

لم يكن لرسول الله ﷺ بد من أخذ هذا النوع من البيعة من هذه المرأة وأمثالها في مرأى ومسمع من الناس.

وقد تلا رسول الله ﷺ ما نزل من قوله تعالى من شروط البيعة عليهن ، فلما بلغ إلى قوله : « ولا يسرقن » نهضت هند . وكانت آنذاك متنقبة متنكرة . وقالت : إن أبا سفيان رجل ممسك والله إني كنت لأصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك حلالا أم لا؟

فنهض أبو سفيان وقال : ما أصبت من مالي فيما مضى وفيما غير فهو لك حلال.  
فعرف رسول الله ﷺ من خلال هذا الحوار بين هند وأبي سفيان أن المتكلمة هي « هند » بنت عتبة فقال لها سائلا : « وانك لهند بنت عتبة »؟!

قالت : نعم ، فاعف عما سلف عفا الله عنك!

ولما بلغ رسول الله ﷺ إلى قوله تعالى : « ولا يزنين » نهضت هند مرة اخرى وذكرت وهى تبرئ نفسها من هذه الوصمة ، وذكرت جملة كشفت عن خبيثة نفسها من دون شعور.

فلقد قالت : يا رسول الله أو تزني الحرة؟!

لقد كان هذا الدفاع يعد . من منظار علم النفس . نوعا من كشف القناع عما في السريرة والافصاح عما في الضمير . وحيث إن هنداً كانت تعرف أنها كانت فيما مضى تفعل مثل هذا ، وكانت واثقة من ان الناس عند سماع هذه

العبارة سيلتفتون بانظارهم إليها لذلك لهذا سارعت فورا . ويهدف صرف الأنظار عن نفسها إلى القول : وهل تزني إلا الأمة دون الحرّة .

ومن الصدف انه كان من الرجال في ذلك المجلس بعض من سبقت له معها علاقات غير مشروعة في العهد الجاهلي فتعجب من إنكارها ، فضحك حتى استغرق في الضحك ، وتسبب دفاع هند عن نفسها في المزيد من افتضحها <sup>(١)</sup> .

### هدم بيوت الاصنام بمكة وما حولها :

كانت في مكة وضواحيها بيوت عديدة وكثيرة للاصنام التي كانت تقدّسها ، وتحترمها القبائل المختلفة القاطنة في تلك المناطق ، وحتى يقضي رسول الله ﷺ على جذور الوثنية في أرض مكة قام بارسال فرق عسكرية متعددة إلى تلك المناطق لهدم تلك المعابد ، والبيوت ، وإزالة الاصنام والاوثان .

كما أنّه ﷺ أعلن في مكة نفسها أن من كان في بيته صنم فليكسره ، وفي هذا السياق أرسل « عمرو بن العاص » لتحطيم صنم « سواع » وسعد بن زيد لهدم صنم « منات » .

وتوجه « خالد بن الوليد » على رأس فرقة عسكرية الى « تهامة » لدعوة قبيلة « جذيمة بن عامر » إلى الاسلام ، وهدم صنم « عزي » ، وقد نهاه رسول الله ﷺ حين كلّفه بهذه المهمة عن القتال وإراقة الدماء وبعث معه « عبد الرحمن بن عوف » ليعينه على ذلك . وكانت قبيلة بني جذيمة قد قتلت عم خالد بن الوليد <sup>(٢)</sup> ووالد عبد الرحمن لدى رجوعهما من اليمن في ايام الجاهلية وصادرت أموالهما ، ولهذا كان « خالد »

(١) مجمع البيان : ج ٥ ص ٢٧٦ .

(٢) هو الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم راجع للوقوف على اصل هذه الواقعة السيرة النبوية : ج ٤ ص ٧٤ وتاريخ يعقوبي : ج ٢ ص ٦١ .

يُحَقِّدُ عَلَيْهِمْ.

فلما التقى « خالد » بني جذيمة في أرضهم ، وجدهم قد أخذوا السلاح ، وَهَيَّأُوا لِقَاتِهِ فَأَمَّنَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ : ضَعُوا السَّلَاحَ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا.

فَرَأَى زَعَمَاءَ الْقَوْمِ أَنَّ يَضَعُ النَّاسُ السَّلَاحَ ، وَيَسَلِّمُوا لِحُنُودِ الْإِسْلَامِ ، وَلَكِنْ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ أَدْرَكَ بِفَطْنَتِهِ سُوءَ نِيَّةِ خَالِدٍ ، فَقَالَ لَزَعَمَاءِ الْقَبِيلَةِ : وَاللَّهِ لَا أَضَعُ سِلَاحِي أَبَدًا ، فَمَا بَعْدَ وَضْعِ السَّلَاحِ إِلَّا الْإِسَارُ ، وَمَا بَعْدَ الْإِسَارِ إِلَّا ضَرْبُ الْعُنَاقِ !

وَلَكِنْ بَنِي جَذِيمَةَ رَفَضَتْ قَوْلَهُ ، وَأَخَذَتْ بِرَأْيِ أَسْيَادِهَا فَوَضَعَتْ السَّلَاحَ ، وَأَمَّنَ النَّاسَ ، فَأَمَرَ خَالِدٌ حُنُودَهُ فَوَرَا بَنِي يَكْتَفُوا رِجَالَ الْقَبِيلَةِ ، وَبَاتُوا فِي وَثَاقٍ .

فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ أَمَرَ بِأَنْ يُقْتَلَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ، وَأُطْلِقَ سِرَاحُ الْآخَرِينَ .

وَعِنْدَ مَا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَبَأَ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ الْبِكَرَاءِ غَضِبَ ﷺ عَلَى خَالِدٍ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَدَعَا عَلِيًّا مِنْ فَوْرِهِ ، وَأَعْطَاهُ مِئْلَةً كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ ، وَإِنْ يَدْفَعُ دِيَّةً مِنْ قَتْلِ أَوْ جِرْحِ خَالِدٍ مِنْ رِجَالِهِمْ ، وَثَمَنَ كُلِّ مَا خَسِرُوهُ أَوْ فَقَدُوهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِدَقَّةٍ وَعِنَايَةٍ كَامِلَتَيْنِ .

فَوَدَى عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ كُلَّ مَا أَصَابَ خَالِدٌ ، حَتَّى أَنْهَ لِيَدِي مِئْلَةَ الْكَلْبِ ( وَهِيَ الْإِنَاءُ الَّذِي يَلْغُ فِيهِ الْكَلْبُ ) حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ دَمٍ وَلَا مَالٍ إِلَّا وَدَّهَ بَقِيَّةً مَعَهُ بَقِيَّةً مِنَ الْمَالِ ، فَدَعَا رُؤَسَاءَ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ الْمَنْكُوبَةِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ بَقِيَ لَكُمْ مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ لَمْ يُوَدَّ لَكُمْ؟

فَقَالُوا : لَا .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَإِنِّي أَعْطَيْتُكُمْ هَذِهِ الْبَقِيَّةَ مِنَ الْمَالِ إِحْتِيَاظًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَعْلَمُ وَلَا تَعْلَمُونَ .

فَفَعَلَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَخَبَرَهُ الْخَبَرَ فَقَالَ ﷺ :

« أصبت واحسنت ».

ثم قام رسول الله ﷺ واستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى انه ليرى مِمَّا تحت إبطيه وقال :

« اللهم إني أبرأ مما صنع خالد بن الوليد ».

قالها ثلاث مرات <sup>(١)</sup>.

لقد تلافى علي عليه السلام جميع الخسائر المادية والروحية التي لحقت ببني جذيمة ، وقد أعطى شيئاً من ذلك المال لمن ارتاع ، وفزع من صنع خالد وجنوده ، وطيب خواطرهم وقال : وهذه لروعة القلوب.

وعند ما عرف رسول الله ﷺ بصنيع علي عليه السلام وإجراءاته العادلة والانسانية مع بني جذيمة المنكوبين قال في حقه :

« والله ما يسرني يا علي أن لي بما صنعت حمر النعم <sup>(٢)</sup> ... أرضيتني رضي الله عنك ... يا علي أنت هادي أمتي ، ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك وأخذ بطريقتك ، ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك ورغب عن طريقتك إلى يوم القيامة ... » <sup>(٣)</sup>.

### جرائم اخرى لخالد :

لم تقتصر جرائم خالد التي ارتكبها طيلة حياته الاسلامية في ظاهرها على ما ذكر بل لقد ارتكب جريمة اخرى في أيام حكومة « أبي بكر » اكبر وافضع مما مرت ، وإليك خلاصة هذه الواقعة :

لقد ارتدَّ بعض القبائل . بعد وفاة رسول الله ﷺ ، أو

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤٢٠ ، الكامل لابن الاثير : ج ١ ص ١٧٣ و ١٧٤ امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤٠٠ .

(٢) الخصال : ص ٥٦٢ .

(٣) مجالس ابن الشيخ : ص ٣١٨ .

بالاحرى وفي الحقيقة رفضت الاعتراف بخلافة أبي بكر ، وامتنعت عن أداء الزكاة إليه ، فبعث أبو بكر فرقا عسكرية مختلفة لقمع تلك الجماعات المتمردة .

وبعث خالد بن الوليد على رأس فرقة عسكرية الى قبيلة « مالك بن نويرة » لمقاتلتها بحجة الارتداد ، وكان « مالك » وجميع أفراد قبيلته على استعداد للقتال ، وكانوا يقولون : نحن مسلمون ، فلا معنى لمقاتلتنا .

فمكر بهم خالد على نحو مكره بيني جذيمة في عهد رسول الله ﷺ ، وأمّنهم ، وطلب منهم إلقاء اسلحتهم ، فلما وضعوا أسلحتهم ، أمر بحبسهم ، ثم قتلهم وقتل زعيمهم المسلم الصالح « مالك بن نويرة » واعتدى على زوجته في نفس الليلة<sup>(١)</sup> .  
فهل يصح أن يوصف هذا الرجل . على هذه السوابق السوداء ، ومع هذا الملفّ المخزي . بسيف الله ، وأن يعدّ من امراء الاسلام المجاهدين الصالحين؟!<sup>(٢)</sup> .

---

(١) الكامل في التاريخ : ج ٣ ص ١٤٩ ، أسد الغابة : ج ٤ ص ٢٩٥ تاريخ ابن عساکر : ج ٥ ص ١٠٥ ،

١١٢ تاريخ ابن كثير : ج ٦ ص ٣٢١ ، تاريخ الخميس : ج ١ ص ٢٣٣ .

(٢) لقد ورد ذكر هذه الحادثة في كتب التاريخ في حوادث السنة الأولى من حكومة « أبي بكر » بصورة مفصلة وقد ذكرناها ملخصة .

وللوقوف على تحليل هذه القضية المؤسفة راجع كتاب النص والاجتهاد ص ٦١ - ٧٥ .



## معركة حنين

كانت طريقة رسول الله ﷺ عند فتح أيّة منطقة من المناطق هي أن يقوم بنفسه بإدارة شعوثها السياسية والدينية ما دام هو فيها ، فإذا أراد أن يغادرها عين أفرادا صالحين للقيام بتلك الأمور ، وشغل تلك المناصب لأن الناس في تلك المناطق كانوا قد اعتادوا على النظام المباد ، ولم يكن لهم معرفة بالنظام الجديد ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الإسلام دين متكامل ، ونظام سياسي ، اجتماعي ، أخلاقي ، ومعنوي يستمد قوانينه من منبع الوحي الطاهر ، ويحتاج إيقاف الناس على تلك القوانين والتعاليم ، وتطبيقها العملي إلى أفراد صالحين متمرسين ومدربين على التثقيف والتطبيق الصحيحين ، ليتمكنهم إيقاف الناس في تلك المناطق على مبادئ الإسلام وأصوله الصحيحة ، وتنفيذ البرنامج السماوي الإسلامي في حياتهم على النحو الصحيح.

وقد فعل رسول الله ﷺ هذا عند فتح مكة ، فانه ﷺ بعد أن قرر مغادرة مكة والمسير إلى قبيلتي « هوازن » و « ثقيف » عين « معاذ بن جبل » ليعلم الناس القرآن ، وأحكام الإسلام ، و « عتاب بن أسيد » الذي كان رجلا مؤهلا ، لإدارة الأمور ، والصلاة بالناس جماعة ، ثم غادر رسول الله ﷺ مكة بأصحابه بعد أن مكث فيها خمسة عشر يوما متوجها إلى أرض هوازن<sup>(١)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٣٧ ، والمغازي : ج ٣ ص ٨٨٩ .

## جيش قليل النظير :

كان الجيش الذي ساربه رسول الله ﷺ إلى هوازن يبلغ (١٢) ألفاً من الجنود المسلحين : عشرة آلاف هم الذين صحبوه من المدينة ، وشاركوا في فتح مكة ، وألفان من رجال وشباب قريش الذين أسلموا بعد الفتح ، وقد أوكل النبي ﷺ قيادتهم إلى أبي سفيان <sup>(١)</sup> .

ولقد كان مثل هذا الجيش العظيم والجمع الكبير قليل النظير ، ونادر المثل في تلك العصور ، وقد صارت هذه الكثرة ذاتها سببا في هزيمته في مبدأ الأمر ، فقد أعجب أفراد هذا الجيش بكثرتهم . على خلاف ما مضى . فتجاهلوا التكتيكات النظامية الدقيقة ، وغفلوا عن خطط العدو ونواياه فكان ذلك داعيا إلى هزيمتهم!! فقد قال أبو بكر لما رأى كثرة المسلمين : لو لقينا بني شيبان ما بالينا ، لن نغلب اليوم من قلة <sup>(٢)</sup> .

ولكنه لم يكن يعرف أن الانتصار ليس هو بكثرة الافراد وضخامة الجيش ، بل ان هذا العامل غير مهم بالقياس إلى بقية العوامل .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة اذ قال تعالى :

« قَدْ صَبَّحَهُمُ اللَّهُ مُّ وَطَنَ يَرِيَّةٍ يَوْمَ بَيْنَ ۚ أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمَّ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ضَلَقَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِمَا رَجَبْتُمْ وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ » <sup>(٣)</sup> .

## تحصيل المعلومات العسكرية :

بعد فتح مكة دبّت حركة خاصة في قبائل هوازن وثقيف ، وجرت اتصالات مكثفة بينها ، وكان حلقة الاتصال ، والمدبر الحقيقي لهذه التحركات شاب عرف

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٣٩ ، المغازي : ج ٣ ص ٨٨٩ .

(٢) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٥٠ ، المغازي : ج ٣ ص ٨٨٩ .

(٣) التوبة : ٢٥ .

بالفروسية والشجاعة يدعى « مالك بن عوف النصرى ».

وقد تقررّ بعد سلسلة من الاتصالات والمداولات بين زعماء هوازن وثقيف أن تبادر القبيلتان المذكورتان الى توجيه ضربة قوية الى جيش الاسلام عبر خدعة عسكرية ، قبل أن يغزوها جنود الاسلام في عقر دورها.

فقد اختارت لقيادة هذه المهمة شابا متهورا في العقد الثالث من عمره هو مالك بن عوف النصرى الذي أشرنا إليه عما قريب ، واشترك في هذه الغزوة جميع قبائل هوازن وثقيف بصورة موحّدة.

فكان من تدبير هذا القائد أن اقترح على جيشه أن يجعلوا النساء والاطفال والاموال وراء ظهورهم وعند ما سألوه عن علة ذلك الاجراء قال : اردت من جعل كل رجل أهله وماله وولده ونساءه خلفه حتى يقاتل عنهم<sup>(١)</sup>.

فقبل المشتركون في تلك العملية بأمر قائدهم هذا بالاجماع ، وجعلوا أموالهم وأهلهم خلفهم.

وقد خالف شيخ مجرب حنّكته الحروب منهم يدعى « دريد بن الصمة » هذه الخطة عند ما سمع رغاء البعير ، وثغاء الشاء ، وحوار البقر ، وبكاء الصغير ، وجادل فيها مالكا ، واعتبرها خطة فاشلة من الناحية العسكرية وقال للناس : يا قوم إن هذا فاضحكم في عورتكم ، وممكّن منكم عدوّكم ، وهل يرد المنهزم شيء؟

ولكن مالكا لم يعر كلام هذا الشيخ ونصيحته اهتماما وقال : . وهو يتهمه بالجهل بفنون القتال الحديثة . : أنك قد كبرت ، وكبر علمك ، وحدث بعدك من هو أبصر بالحرب منك . ولقد اثبت المستقبل صحة ما قاله ذلك الشيخ المحنّبك فان إشراك النساء والاطفال والانعام في الحرب ، وإخراجهم إلى ساحة القتال أحدث لمقاتلي

---

(١) المغازي : ج ٣ ص ٨٩٧.

ثقيف وهوازن مشاكل كثيرة ، فيما بعد.

ثم إن رسول الله ﷺ لما سمع بتحركات هاتين القبيلتين بعث « عبد الله بن حدرد الأسلمي » ، وأمره أن يدخل في هوازن وثقيف فيقيم فيهم حتى يعرف بنواياهم وخططهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق الرجل إليهم ثم عاد الى رسول الله ﷺ بأخبارهم.

وكان « مالك بن عوف » قائد هوازن وثقيف قد بعث بدوره ثلاثة جواسيس ليتجسسوا له على المسلمين ، ويأتوه بأخبارهم ، فعادوا بأجمعهم فرعين مّا شاهدوه من قوة المسلمين وكثرتهم.

فقرر قائد العدو أن يجبر ضعف جنوده وقتلتهم باستخدام الخدع العسكرية ، والتوسل بأسلوب المباغنة ليفرق . بهجوم مفاجئ . صفوف المسلمين ، ويهدم نظامهم وانسجامهم ، ويصيبهم بالهرج والمرج ، والفوضى والحيرة ليختل باختلال الجيش أمر القيادة ، فلا تتمكن من ضبط الامور ، وتحقيق انتصار على المسلمين.

ولتحقيق هذا الهدف هبط « مالك بن عوف » بجيشه في واد ينحدر الى منطقة « حنين » ، وأمر بأن يختفي الجنود والمقاتلون خلف الصخور والاحجار ، وفي شغاف الجبال ، وكل ما ارتفع من ذلك الوادي ونشز ، حتى إذا انحدر جنود الاسلام في هذا الوادي في غفلة من هذا التدبير خرج رجال هوازن وثقيف من مكائهم ، وكمائهم ، ورموا المسلمين الغافلين عن خطة العدو ، بالحجارة والنبيل ، ثم يخرج إليهم فريق في أسفل الوادي ويضربونهم بالسيوف!!

### تجهيزات المسلمين :

كان رسول الله ﷺ عارفا بقوة العدو وعناده فدعى « صفوان بن أمية » قبل مغادرة مكة ، واستعار منه مائة درع بأداتها كاملة عارية مضمونة ، ولبس رسول الله ﷺ نفسه درعين كما لبس المغفر والبيضة ، وركب بغلته البيضاء وسار خلف جيشه وسار حتى دنوا جميعا من

الوادي فاستراحوا ليلتهم عند فم الوادي ، ومع غلس الصبح انحدرت كتيبة « بني سليم » بقيادة « خالد بن الوليد » في وادي « حنين » ، وبينما دخل أكثر جنود الاسلام ذلك الوادي حمل عليهم رجال هوازن من كمائنهم في مضيق الوادي وشعبه حملة رجل واحد ، وأخذوا يرشقونهم بالاحجار والنبال ، فالقت أصوات الاحجار والنبال فرعا شديدا في قلوب المسلمين الذين مطروا بالسهام والنبال والاحجار من جانب ، بينما احتوشهم فريق آخر من هوازن بسيوفهم ووقعوا فيهم ضربا وقتلا .

أجل لقد فعلت مكيدة هوازن فعلتها في قلوب المسلمين ، فقد أوحشتها ، وأصابت المسلمين بالفوضى ، وخلخلت صفوفهم فلاذوا بالفرار من دون اختيار ، وقد أخلّوا هم بنظامهم أكثر من ما فعله العدو بهم .

ففرح المنافقون في جيش رسول الله ﷺ لهذا الحادث ، وسروا به سرورا عظيما حتى قال أبو سفيان شامتا : لا ينتهي هزيمتهم دون البحر ، وقال آخر : الا بطل السحر اليوم ، وقال ثالث : لا يجتبرها محمد وأصحابه ، وعزم رابع على اغتيال رسول الله ﷺ في ذلك الوضع المضطرب وإطفاء شعلة رسالته المقدسة <sup>(١)</sup> .

#### استقامة النبي ومن ثبت من أصحابه :

لقد ازعج فرار المسلمين الذي كان نابعا . في الدرجة الاولى من الفرع والفوضى التي أصابتهم ، رسول الله ﷺ ، وأدرك ﷺ بأنه لو تأخر لحظة واحدة عن فعل ما يجب أن يفعله لتغيّر وجه التاريخ ولتبدّل مسار البشرية ، ولحطّم جيش الشرك جيش التوحيد .

---

(١) المغازي : ج ٣ ص ٩٠٩ . ٩١٠ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤٤٣ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤١١ و ٤١٢ .

من هنا صاح بأعلى صوته وهو على بغلته :

« يا أنصار الله وانصار رسوله أنا عبد الله ورسوله ».

قال هذا واندفع ببغلته الى ساحة القتال في المكان الذي جعله « مالك » وجنوده مسرحا لمهاجمة المسلمين ومباغتتهم وقتالهم ، ومشى معه من لازمه في تلك اللحظات وثبتوا معه كعلي بن أبي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وأبي سفيان بن الحارث الذي لم يغفلوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ بدء القتال لحظة واحدة ، وامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمه العباس الذي كان صاحب صوت عظيم أن ينادي في المسلمين الذين كانوا يواصلون فرارهم ، ولا يلوون على شيء :

« يا معشر الانصار ، يا معشر السمرة » <sup>(١)</sup>.

ويقصد من السمرة الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان ، فكان هذا النداء تذكيرا بتلك البيعة التي تعهدوا فيها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان ينصروه حتى الموت. فبلغت صرخات العباس مسامع المسلمين فنارت حميتهم ، وأخذوا يثوبون الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يقولون : لبيك لبيك.

لقد أوجبت نداءات العباس المتلاحقة التي كانت تحير وتنبئ في الحقيقة عن سلامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تعود الجماعات الهاربة من ساحة القتال الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي نادمة على فرارها ندما شديدا ، ونظّموا صفوفهم أمام العدو من جديد أفضل ممّا مضى ، ثم حملوا حملة رجل واحد على العدو الغادر بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لغسل ما لحق بهم من عار الفرار ، واستطاعوا في أقصر مدة من الوقت ان يجبروا العدو على الانسحاب والفرار والرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم يقول تشجيعا لهم ، وتقوية لمعنوياتهم :

---

(١) ولقد ذكر المغازي في ج ٣ ص ٩٠٢ جانبا من بطولات علي عليه السلام وتضحياته في هذه الموقعة.

« أنا النبي لا كذب

أنا ابن عبد المطلب ».

وقد تسبّب استخدام هذا التدبير العسكري الحكيم في إرعاب رجال هوازن ومن ساعدهم من ثقيف المقاتلين ، بشدة بحيث انهزموا أمام هجوم المسلمين هذا هزيمة قبيحة ومنكرة ، تاركين وراءهم اموالهم ونساءهم وصبيانهم الذين أتوهم الى ساحة المعركة ، وجعلوهم خلف ظهورهم بناء على أوامر قائدهم مالك . كما أسلفنا ، وفروا بعد أن قتل منهم جماعة إلى منطقة أوطاس ونخلة ، وقلاع الطائف.

### غنائم الحرب :

لقد بلغت خسائر المسلمين من الارواح في هذه المعركة ثمانية أشخاص في مقابل أسر ستة آلاف نفر من العدو .

كما وأن المسلمين غنموا في هذه الواقعة أربعة وعشرين ألف بعير ، وأربعين ألف رأس غنم ، وأربعة آلاف أوقية <sup>(١)</sup> من الفضة.

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بأن يؤخذ الاسرى والغنائم الى منطقة تدعى الجعرانة ( وهي ماء بين الطائف ومكة ) وكلف أشخاصا معيّنين بحراستها وحفظها وجعل الأسرى في بيوت خاصة ، كما أمر بأن تحفظ الغنائم من دون أن يتصرف فيها أحد في ذلك المكان ، ريثما يرى فيها رأيه ، بعد ان يلاحق فلول العدو الذي فرّ الى أوطاس ونخلة والطائف <sup>(٢)</sup>.

### لقطتان من الخلق النبوي العظيم :

وينبغي ان نشير هنا إلى قصتين تدلان على سمو الاخلاق النبوية ، وعمق

---

(١) الرطل ٢٥٦٤ غرام والواقية ١٢ / ١ من الرطل فعلى هذا تكون الاوقية ٢١٣ غراما ، وأربعة آلاف أوقية تساوي ٨٥٢ كيلو غراما.

(٢) كتب ابن هشام في سيرته أن عدد القتلى في هذه المعركة كان أربعة أشخاص ، ولكن معركة واسعة مثل هذه يتوقع أن يكون قتلها أكثر من هذا العدد.

الرحمة الالامية :

١ . بعد أن أعاد النبي المسلمي الهاريين إلى ساحة المعركة فكرواً على هوازن وهزموهم هزيمة قبيحة ، قالت أم سليم بنت ملحان للنبي ﷺ : يا رسول الله! ما رأيت هؤلاء الذي أسلموا وفرواً عنك وخذلوك!! لا تعف عنهم اذا أمكنك الله منهم ، تقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين!

فقال ﷺ : يا أم سليم! قد كفى الله ، عافية الله أوسع <sup>(١)</sup> .

وهكذا نجد رسول الله ﷺ يعفو عن أصحابه الهاريين الذين خذلوه في تلك الموقعة.

٢ . حنق المسلمون على المشركين في وقعة حنين فقتلوهم حتى اخذوا في قتل الذرية ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية! ألا لا تقتل الذرية.

فقال اسيد بن الحضير : يا رسول الله أليس إنما هم أولاد المشركين!

فقال : أو ليس خياركم أولاد المشركين؟! كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها

لسانها ، وأبواها يهودانها أو ينصرانها <sup>(٢)</sup> .

---

(١) و (٢) امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤٠٩ .



## غزوة الطائف

« الطائف » من مصايف الحجاز ومن المناطق الخصبة ، الكثيرة الزرع فيها ، وتقع الطائف في الجنوب الشرقي من مكة على بعد (١٢) فرسخا منها ، وقد كانت ولا تزال بسبب مناخها اللطيف ، وبساتينها المثمرة ، ونخيلها الكثيرة مقصدا بل مركزا وموطنا لطلاب اللذة والراحة من أهل الحجاز.

وقد كانت قبيلة ثقيف التي كانت تعد من القبائل العربية القوية الكثيرة العدد تسكن في هذا البلد.

وكانت أعراب ثقيف من الذين شاركوا في معركة « حنين » ضدّ الاسلام والمسلمين ، ثم لجئوا بعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بهم على أيدي جنود الاسلام الطافرين إلى بلدهم الذي كان لهم آنذاك فيه حصن قوي ومنيع.

ولتكميل الانتصار الاسلامي أمر الرسول القائد ﷺ بملاحقة الهاربين المنهزمين في معركة حنين.

من هنا كلّف ﷺ أبا عامر الأشعري وأبا موسى الأشعري وفريقا من جنود الاسلام بملاحقة من لجأ منهم إلى « أوطاس » فقتل القائد الأول في هذه الواقعة ، واستطاع الثاني أن يحرز انتصارا كبيرا على العدو ويفرق جمعه<sup>(١)</sup>.

وأما النبي ﷺ نفسه فقد توجه بالبقية من جيشه الى

(١) المغازي : ج ٣ ص ٩١٥ و ٩١٦.

الطائف<sup>(١)</sup> ، ومرّ في طريقه على حصن مالك بن عوف النصرى مثير فتنة « حنين » ورأس المؤامرة ، فهدمه وسوّاه بالأرض .

على أن تهدم حصن « مالك » لم يكن بدافع انتقامي بل كان لأجل ان لا يترك وراءه نقطة اعتماد وملجأ للعدو .

تحركت أعمدة الجيش الاسلامي الواحدة تلو الاخرى ، واستقرت حول مدينة الطائف . كان حصن الطائف حصنا منيعا ، مرتفع الجدران ، قوي البنيان ، فيه أبراج للمراقبة مهيمنة على خارج الحصن سيطرة كاملة .

ومنذ أن استقرّ الجيش الاسلامي خارج الطائف بدأ حصاره لها ، غير أنّ الحصار لم يتكامل بعد حتى عمد العدو إلى رمي المسلمين للحيلولة دون تقدّمهم نحو المواقع المرسومة لها ، فقتل بهذا جماعة من المسلمين في بداية هذه الواقعة .

فأمر رسول الله ﷺ الجيش بالانسحاب والتراجع التكتيكي الى نقطة بعيدة عند مرمى العدو ، والتمركز فيها ريثما تصدر الاوامر الجديدة

وهنا اقترح « سلمان الفارسي » الذي سبق له أن اقترح حفر الخندق في معركة الاحزاب ، وكان ذا خبرة بفنون القتال ، اقترح على رسول الله ﷺ بأن يرمي الحصن بالمنجنيق<sup>(٢)</sup> ، وكان هذا الجهاز الذي كان يستخدم في حروب تلك الأعصر يؤدي نفس دور الدبابة في الحروب الراهنة .

فقام امراء الجيش الاسلامي بنصب المنجنيق بارشاد وتوجيه من سلمان ، وأخذوا يرمون الحصن المذكور وأبراجها الشاهقة بالحجارة طوال عشرين يوما متوالية . ولكن العدو لم يسكت تجاه هذه العمليات القوية التي بدأها المسلمون ،

(١) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ١٦٣ .

(٢) امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤١٧ .

فزاد من رمية واستمر في ذلك ، فوقعت بين المسلمين بعض الاصابات نتيجة ذلك <sup>(١)</sup> .  
والآن يجب أن نرى كيف حصل المسلمون على جهاز المنجنيق ، هذا؟  
يرى البعض أن سلمانا هو الذي صنع هذا الجهاز وعلم المسلمين كيفية استخدامه في  
هذه الغزوة <sup>(٢)</sup> .

ويرى آخرون ان المسلمين حصلوا على هذا الجهاز وغنموه من اليهود في خيبر عند فتح  
قلاعهم وحصونهم واصطحبوه معهم إلى الطائف واستخدموه في غزوها.  
ولا يبعد أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي قد ادخل بعض التحسينات على ذلك  
الذي جلبه المسلمون من خيبر ، وعلم المسلمين كيفية نصبه واستخدامه في القتال ، فانه  
يستفاد من التاريخ أن المنجنيق لم يكن منحصرًا في المنجنيق الذي حصل عليه من يهود  
خيبر ، لأن النبي ﷺ بعث الطفيل بن عمرو الدوسي لتحطيم أصنام لقبيلة « دوس »  
في وقت متزامن مع خروجه الى معركة حنين ثم الطائف فعاد الطفل فاتحا مع من خرجوا تحت  
إمرته من جنود الاسلام الاربعمائة ، وكانوا برمتهم من أبناء قبيلته ، فقد قدم الطائف على  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع عدد واحد من جهاز المنجنيق وعريتين حريتين  
خاصتين ، وقد استخدمت هذه الآليات في غزوة الطائف.

### شذخ جدار الحصن بالمنجنيق :

كان لا بد لاختضاع العدو ودفعه إلى الاستسلام من القيام بحملات واسعة ومن مختلف  
الاطراف والنواحي ، ولهذا تقرر أن يقوم جنود الاسلام ، مضافا إلى

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٥٨ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٤ ص ١٢٦ ، وابن هشام يرى أن رسول الله ﷺ هو اول من استخدم المنجنيق في  
الجزيرة العربية.

رمي الحصن بالمنجنيق ، إيجاد ثغرة في الجدار واجه مشكلة كبرى ، لأن السهام والاحجار ، والنبيران كانت تنصبّ على رءوس المقاتلين المسلمين كالمطر ، ولم يكن في مقدور أحد منهم الاقتراب والذنوّ من جدار الحصن ، فكان أفضل وسيلة لتحقيق هذا الهدف هو استخدام الدبابة التي كانت في جيوش العالم الكبرى في تلك العصور في صورتها البدائية . وكانت الدبابة آنذاك تصنع من الخشب وتغطى بجلود البقر ، ويدخل تحتها جماعة من الجنود الاقوياء ثم تتحرك نحو الحصن حتى تدنو إليه ، ويقوم الجنود بعملية إيجاد ثغرة او نقب في جدار الحصن ، فاستخدم نفر من جنود الاسلام الشجعان الاشداء هذا الجهاز بالطريقة المذكورة ، بيد أن العدو قد حال دون هذا العمل إذ ألقى على الدبابة سكك الحديد المحماة بالنار فاخرب سقفها ، واضطرّ أفرادها الى الخروج منها ، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلت منهم رجلا واحدا ولم ينتج هذه التكتيك القتالي ، ولم يتحقق أي نجاح في هذا المجال ، فانصرف المسلمون عن استخدامه<sup>(١)</sup> .

### ضغوط اقتصادية ونفسية :

إن تحقيق الانتصار لا ينحصر في مجرد استخدام الطرق والتكتيكات العسكرية ، بل للقائد الحكيم أن يستخدم . لاضعاف قوة العدو وكسر صموده . الضربات والضغوط الاقتصادية ويجبره على الاستسلام . وقد تكون الضربة النفسية والاقتصادية اقوى مفعولا بدرجات أي إن أثرها تفوق بمراتب عديدة أثر الضربة العسكرية ، والإضرار البدني الذي يلحق بجنود العدو وأفراده . ولقد كانت أرض الطائف أرض زراعة ، ونخيل وأعناب ، وكانت معروفة

---

(١) المغازي : ج ٣ ص ٩٢٨ .

في الحجاز بخصبها ، وكثرة محاصيلها وخيراتها ، لأن أهلها كانوا يجهدون كثيرا في تنمية نخيلهم وأعنابهم ورعايتها ، ويولون الحفاظ عليها اهتماما كبيرا ، ويعطون هذا الأمر القسط الأكبر من جهودهم.

فأعلن رسول الله ﷺ لتهديد المتمردين اللاحقين إلى الحصن ، والمعتمدين به ، بأنه سيعمد إلى قطع أعناب ثقيف ، وإفناء مزارعها إذا واصل المعتصمون بالحصن مقاومتهم ولم يسلموا للمسلمين.

فلم يكثر العدو بهذا التهديد لأنه لم يك يتصور أن رسول الله ﷺ . وهو النبي الذي عرف برحمته ورافته . يستخدم مثل هذه الطريقة.

وفجأة وجدت « ثقيف » أن رسول الله ﷺ أصدر أوامره بقطع الأعناب ، واتلاف المزارع وتحريقها ، فوقع المسلمون فيها يقطعون ويحرقون.

فعجبت « ثقيف » لذلك وضجت ، واستغاثت برسول الله ﷺ وأقسمت عليه بالرحم والقربة أن يكف عن ذلك ، فتركها رسول الله ﷺ احتراماً لوشيجة القرى التي كانت بينه وبين « ثقيف ».

ان المعتصمين بحصن الطائف وان كانوا من مشيرى معركة حنين والطائف ، وتانك الغزوتان اللتان كلفتنا رسول الله ﷺ الكثير من الخسائر والمتاعب غير أنه ﷺ قبل مع ذلك التماس العدو وطلبه هذا ، فابدى وللمرة الاخرى وجه الاسلام الرحيم وكشف عن إنسانيته في التعامل مع العدو اللدود في ميدان القتال ، وأمر أصحابه بالكف عن قطع الاعناب وتحريقها.

ثم إن مع ما نعرفه ونعنده من أخلاق رسول الله ﷺ وأساليبه الانسانية في مجال التعامل مع العدو ، يمكننا أن ندرك بسرعة أن الامر بقطع الاعناب وتحريق المزارع كان مجرد تهديد ومحاوله ضغط على العدو بحيث إذا لم تنجح هذه الطريقة معه لكف عنها رسول الله ﷺ حتما.

### آخر محاولة لفتح حصن الطائف :

كانت قبيلة « ثقيف » جماعة ثرية ، وذات مال كثير ، وعبيد وإماء كثيرين ، ولكي يحصل رسول الله ﷺ على معلومات دقيقة عن الاوضاع في داخل الحصن ، ويعرف بالتالي حجم امكانات العدو ومدى استعداداته من جهة ، ويوجد الاختلاف في صفوفه من جهة اخرى أمر أن يعلن عن القرار التالي : وينادي : أي عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر .

ونفعت هذه الطريقة إلى حدّ ما ، فقد خرج من الحصن بطريقة ماهرة حوالي بضعة عشر رجلا من عبيد ثقيف ورقيقهم ، والتحقوا بصفوف المسلمين فعرف رسول الله ﷺ من خلال التحقيق معهم أنّ المعتصمين بالحصن لا ينوون الاستسلام ، وأنهم مستعدون للمقاومة حتى لو طال الحصار عاما واحدا ، فإنهم قد أعدّوا لمثل هذا الحصار الطويل الطعام الكافي ، ولن يقعوا في أزمة بسبب طول الحصار .

### جيش الاسلام يعود الى المدينة :

استخدم رسول الله ﷺ في هذه الغزوة جميع الاساليب والتكتيكات العسكرية المادية والنفسيّة ضدّ العدو ، وقد اثبتت التجربة أن فتح الحصن يحتاج إلى مزيد من الصبر والعمل على حين لم تكن ظروف الجيش الاسلامي وامكاناته . يومذاك . لتسمح بذلك القدر من الصبر والترقب ، والانتظار والتوقف ، أكثر ممّا توقّف ومكث في تلك المنطقة وذلك :  
أولا : لأنه قتل في أثناء هذه المحاصرة ( ١٣ ) مسلما سبعة منهم من قريش ، وأربعة من الانصار ، ورجل واحد من قبيلة اخرى .

هذا مضافا إلى من استشهد من المسلمين في وادي « حنين » إثر هجوم العدو الغادر ، وانفراط صفوف الجيش الاسلامي ، والذين لم يذكر التاريخ مع

الأسف أسماءهم ، وخصوصياتهم ، ولهذا كان قد دبّ نوع من التعب في نفوس جنود الإسلام لم يكن من الصالح تجاهله.

وثانيا : أن شهر شوال قد انتهى ، وبدأ شهر ذي القعدة الذي كان معدودا عند العرب من الأشهر الحرم وقد أيد الإسلام فيما بعد هذه السنّة ، وأكّد حرمة الأشهر الحرم.

من هنا كان من الضروري . حفاظا على هذه السنّة .<sup>(١)</sup> إنهاء الحصار في أقرب وقت لكي لا تتهم عرب ثقيف رسول الله ﷺ بمخالفة السنّة الصالحة وحرقتها.

أضف إلى ذلك دنو حلول موسم الحج ، مع العلم بأن إدارة ذلك الموسم ومناسكه كانت في ذلك العام للمسلمين ، بعد أن كانت . قبل ذلك . تدار بواسطة المشركين وبرعايتهم.

ولا شك أن موسم الحج الذي كان سببا لحصول اجتماع بشري عظيم من سكان الجزيرة العربية كان يوفّر أكبر وأفضل فرصة لتبليغ الإسلام ، وبيان حقيقة التوحيد ، وكان على النبي ﷺ أن يستغل هذه الفرصة العظيمة التي اتاحت له لأول مرة ، في مجال الدعوة ، ويستفيد منها أكثر قدر ممكن ويولي اهتمامه لقضايا أخرى أكثر أهمية وخطورة من فتح حصن واقع في منطقة نائية.

مع أخذ هذه الظروف بنظر الاعتبار ترك الرسول القائد ﷺ حصار الطائف وعاد بجيشه إلى الجعرانة التي جعلها محلا لحفظ أسرى حنين وغنائمها.

---

(١) وبدل على هذا الأمر أن رسول الله ﷺ ترك مكة متوجها إلى الطائف في الخامس من شهر شوال واستغرقت مدة الحصار عشرين يوما ، وصرفت بقية الايام ( وهي خمسة ) في المسير إلى حنين ، وفي المعركة. وقولنا بأن الحصار طال عشرين يوما يستند إلى رواية نقلها ابن هشام ، إلا أن ابن سعد ذكر مدة الحصار أربعين يوما ( الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٥٨ ).

## حوادث ما بعد الحرب :

انتهت حوادث معركة « حنين » و « الطائف » وعاد رسول الله ﷺ من دون تحقيق نتيجة قطعية الى « الجعرانه » لتقسيم غنائم معركة « حنين ».

والغنائم التي حصل عليها المسلمون في معركة « حنين » كانت من اكبر الغنائم التي غنموها طوال المعارك الاسلامية كلها ، لأن رسول الله ﷺ يوم قدم « الجعرنة » كان هناك ستة آلاف أسير و ( ٢٤ ) ألف من الإبل وأكثر من ( ٤٠ ) ألف رأس غنم و ( ٨٥٢ ) كيلو غرام من الفضة يحافظ عليها في مركز الغنائم<sup>(١)</sup> وكان من الممكن أن تسيد القيادة من هذه الغنائم قسما كبيرا من ميزانية الجيش الاسلامي .

لقد مكث رسول الله ﷺ في « الجعرنة » ثلاثة عشر يوما ، وفي هذه المدة قسم تلك الغنائم بطريقة خاصة ملفتة للنظر وجديرة بالتأمل والدراسة .

فقد خلّى سبيل بعض الأسرى ، وتركهم لذوهم ، وخطط لاختضاع ( او بالاحرى إسلام ) مالك بن عوف النصرى مثير معركة حنين والطائف الهارب ، كما أظهر تقديره وشكره لمواقف الاشخاص في هاتين الغزوتين وخدماتهم ، وجذب بسياسته الحكيمة افئدة أعداء الاسلام ، ورعّبها في عقيدة التوحيد الشريفة ، وأنهى نقاشا حدث بينه وبين جماعة الأنصار حول طريقة تقسيم الغنائم بخطبة جميلة .

وإليك تفصيل الكلام في المواضيع المذكورة :

١ . لقد دأب رسول الاسلام ﷺ على احترام حقوق الأفراد ، وتتمين جهودهم مهما

ضوّلت ودقّت ، وعلى أن لا يبخس أحدا عمله ، فإذا أحسن

---

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٥٢ .



إليه أحد قابل إحسانه بما يزيد عليه أضعافا مضاعفة. وكان ذلك من أبرز صفاته وأخلاقه ﷺ .

فقد رضع رسول الله ﷺ وترعرع في قبيلة بني سعد التي هي من قبائل هوازن ، وقد ارضعته امرأة من هذه القبيلة تدعى « حليمة السعدية » ، وقد بقي في تلك القبيلة خمسة أعوام .

وقد شاركت قبيلة بني سعد في معركة حنين ضد الاسلام فسبيت بعض نساءهم وأطفالهم على أيدي المسلمين ، كما وقعت بعض أموالهم بأيديهم أيضا ، وقد ندمت على فعلها ندما شديدا .

وقد كانوا يعلمون أن رسول الله ﷺ نشأ وترعرع فيهم ، ورضع بلبن نساءهم هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كانوا يعرفون أنّ رسول الله ﷺ ملء قلبه الرحمة والمروءة ومعرفة الجميل ، فاذا سنح لهم أن يذكره بذلك لأطلق أسراهم حتما .

فقدم أربعة عشر رجلا من رؤسائهم الذين كانوا قد أسلموا جميعا « الجعرانة » على رسول الله ﷺ وقد أمروا على أنفسهم شخصيتين من رجالهم أحدهما هو « زهير بن سرد » والآخر عم للنبي ﷺ من الرضاعة ، فقالوا : يا رسول الله إنّما في هذه الأسرى من يكفلك من عماتك وخالاتك ، وحواضنك ، وقد حضّناك في حجورنا وارضعناك بشدينا ، ولقد رايتك مرضعا فما رايت مرضعا خيرا منك ، ورايتك فطيما فما رايت فطيما خيرا منك ، ورايتك شابا فما رايت شابا خيرا منك ، وقد تكاملت فيك خلال الخير ، ونحن مع ذلك أهلك وعشيرتك فامنن علينا من الله عليك .

وقال زهير بن سرد : يا رسول الله إنّما في هذه الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفلنك ، ولو أننا ملحنا للحارث بن أبي شمر ، أو النعمان بن المنذر ، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين .

فقال رسول الله ﷺ لهم :

« إن أحسن الحديث أصدقه ، وعندى من ترون من المسلمين ، فابناؤكم ونساءكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ »

قالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا وما كنا نعدل بالأحساب شيئا ، فردّ علينا أبناءنا ونساءنا .

فقال ﷺ :

« أما ما لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم واسأل لكم الناس وإذا صلّيت الظهر بالناس فقولوا : إنا نستشفع برسول الله الى المسلمين ، وبالمسلمين الى رسول الله فاني سأقول : لكم ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم وسأطلب لكم إلى الناس . »

فلما صلّى رسول الله ﷺ الظهر بالناس قاموا فتكلموا بالذي أمرهم رسول الله ﷺ فقالوا : إنا نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ : أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم .

وبهذا وهب رسول الله ﷺ لهم نصيبه من الاسرى .

فقال المهاجرون : أمّا ما كان لنا فهو لرسول الله .

وقال الانصار : ما كان لنا فهو لرسول الله .

وهكذا وهب الانصار والمهاجرون نصيبهم من الاسرى تبعاً لرسول الله ﷺ ولم يتأخر عن ذلك إلا قليلون مثل « الاقرع بن حابس » و « عيينة بن حصن » فقد امتنعا عن أن يهبنا نصيبهما ، ويطلق سراخ ما عندهم من السبايا ، فقام رسول الله ﷺ وقال : إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين وقد استأنيت بهم ، فخيرتهم بين النساء والأبناء ، والأموال ، فلم يعدلوا بالأبناء والنساء ، فمن كانت عنده منهنّ شيء فطابت نفسه أن يرده فليرسل ،

ومن أبي منكم وتمسك بحقه فليردّ عليهم ، فله بكل انسان ست فرائض ( أي سوف أعطيه بدل الواحد ستا ) من أول ما يفيء الله به علينا <sup>(١)</sup> .

فكان لعمل النبي ﷺ هذا أثر عظيم في نفوس المسلمين حيث خلّوا سبيل جميع من كان في أيديهم من الاسرى والسبايا إلا امرأة عجز امتنع « عيينة » من ردّها إلى ذوبها . وهكذا أثمر عمل صالح غرست شتيلته . قبل ستين عاما . في أرض قبيلة بني سعد على يدى حليلة السعدية ، فاتت أكلها بعد مدة طويلة ، واطلق بفضل ذلك العمل الصالح سراح جميع الاسرى والسبايا من هوازن <sup>(٢)</sup> .

ثم ان رسول الله ﷺ دعا اخته من الرضاعة « الشيماء » <sup>(٣)</sup> وبسط لها رداءه ثم قال : اجلسي عليه ، ورحّب بها ، ودمعت عيناه ، وسألها عن امّه وايبه من الرضاعة ، فاخبرته بموتهما في الزمان ، ثم قال ﷺ لها : « إن أحببت فأقيمي عندنا محببة مكرّمة وإن أحببت أن امتّعك وترجعني الى قومك فعلت » .

فقلت : بل تمتّعني وتردّني إلى قومي ، فمتّعها رسول الله ﷺ وردّها الى قومها ، بعد أن أسلمت طوعا وربة ، وأعطاه رسول الله ﷺ ثلاثة أعبد وجارية <sup>(٤)</sup> .  
وقد قوّ رسول الله ﷺ باخلائه سبيل جميع أسرى هوازن وسباياها من ربة هوازن في الاسلام ، فاسلموا من قلوبهم ، وهكذا فقدت

(١) المغازي : ج ٣ ص ٩٤٩ . ٩٥٣ .

(٢) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٥٣ و ١٥٤ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤٩٠ ، والحادثة التاريخية هذه جسّدت مضمون قول الله تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ( النحل : ٩٧ ) .

(٣) هي الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى .

(٤) البداية والنهاية : ج ٢ ص ٣٦٣ و ٣٦٤ ، الامتاع : ج ١ ص ٤١٣ .

« الطائف » آخر حليف من حلفائها.

## ٢ . اسلام مالك بن عوف :

في هذا الأثناء اغتنم رسول الله ﷺ الفرصة ليعالج مشكلته مع « مالك بن عوف النصري » مثير حرب حنين ، عن طريق وفد بني سعد وذلك بترغيبه في الاسلام ، وعزله عن حليفه : « ثقيف » .

ولهذا سألهم عن مالك ما فعل؟ فقالوا يا رسول الله هو بالطائف مع ثقيف .

فقال رسول الله ﷺ :

« أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل » .  
فبلغ وفد هوازن مالكا كلام رسول الله ﷺ وأمانه المشروط ، فقرر مالك الذي كان يرى بآم عينيه تعاضم أمر الاسلام ، واشتداد أزره كما رأى رحمة النبي ولطفه ، أن يخرج من الطائف ، ويلتحق بالمسلمين ، ولكنه كان يخشى أن تعرف « ثقيف » بنيته فتحبسه في الحصن ، ولهذا عمد الى خطة خاصة للفرار ، فقد أمر باعداد راحلته فهيمت له ، وأمر بفرس له فأتي به إلى الطائف ، فركب فرسه وركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها ، فلحق برسول الله ﷺ فادركه بالجعرانة أو بمكة ، فردّ عليه النبي ﷺ أهله وماله ، وأعطاه مائة من الابل كما وعد من قبل ، واسلم فحسن إسلامه ، ثم استعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وقبائل « ثماله » و « سلمة » و « فهم » .

وقد انشد « مالك بن عوف » أبياتا عند ما أسلم يصف فيها خلائق رسول الله ﷺ

الكريمة ، ويمدحه أجمل مديح اذ يقول :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله      في الناس كلهم بمثل محمّد  
أوفى وأعطى للجزيل إذ اجتدي      ومتى تشأ يخبرك عما في غد

وإذا الكتيبة عرّدت أنيابها بالسهمري وضرب كل مهنيّد  
فكأنّبه ليث على أشباله وسط الهبَاء خادر في مرصد  
وصار يقاتل بتلك القبائل ثقيفا لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم لما  
حصل عليه من مكانة وعزة في الاسلام ، وبعد أن أدرك قبح موقف « ثقيف »<sup>(١)</sup>.

### ٣ . تقسيم الغنائم :

كان أصحاب رسول الله ﷺ يلجّون عليه أن يسرع في تقسيم غنائم الحرب ، ولكي  
يدلّل النبي الكريم ﷺ على حياده الكامل في تقسيم الغنائم قام إلى بعير فأخذ وبرة من  
سنامه فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها ثم قال :  
« أيّها الناس والله مالي في فيئكم ولا هذه الوبرة إلاّ الخمس ، والخمس مردود عليكم ،  
فادوا الخياط والمخيط فإن الغلول ( أي الخيانة في بيت المال ) يكون على أهله عارا ، ونارا ،  
وشنارا يوم القيامة ».

ثم ان رسول الله ﷺ قسّم أموال بيت المال بين المسلمين ، واما الخمس الذي هو  
حقه الخاص به فقد ورّعه بين أشرف قريش الحديثي العهد بالاسلام يتألّفهم ، ويتألّف بهم  
قومهم ، فأعطى من هذا المال ل : أبي سفيان بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ،  
والحارث بن الحارث ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ،  
والعلاء بن جارية وصفوان بن أمية ، وغيرهم ممّن كانوا يعادونه الى الأمس القريب من رؤوس  
الشرك ورموز الكفر ، لكل واحد منهم مائة بعير<sup>(٢)</sup>.

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤٩١ وعرّت أي عوّجت.

(٢) راجع المخبر : ص ٤٧٣ ، المغازي : ج ٣ ص ٩٤٤ . ٩٤٨ . السيرة النبوية : ج ٣ ص ٤٩٣ ، امتاع  
الاسماع : ج ١ ص ٤٢٣ .

وقد كان لهذا العطاء السخي أثره الطيب والبالغ في نفوس تلك الجماعة التي شملها رسول الله ﷺ برحمته ، ولطفه ، وعنايته ، وكرمه ، واشتدت رغبتهم في الاسلام . وهذا الفريق هم من يصطلح عليهم في الفقه الاسلامي بالمؤلفة قلوبهم ، وهم يشكّلون إحدى مصارف الزكاة بنص القرآن الكريم .

ويقول ابن سعد في الطبقات الكبرى بعد ان ذكر قصة هذا التقسيم الخاص للغنائم :  
وأعطى ذلك كله من الخمس وهو أثبت الاقاويل عندنا <sup>(١)</sup> .

ولقد شق هذا النوع من الاسلوب في تقسيم الغنائم وهذا النمط من البذل الذي مارسه رسول الله ﷺ ، شقّ على بعض المسلمين ، وبخاصة الانصار وقد جهلوا بالمصالح التي كان يراعيها ، والأهداف العليا التي كان يتوخاها رسول الله ﷺ من هذا النوع من البذل والعطاء ( وهو تخصيص حديثي العهد بالاسلام باكثر الغنائم ) .

لقد كانوا يتصورون ان التعصب القبلي هو الذي دفع بالرسول القائد ﷺ إلى أن يقسم خمس الغنيمة بين أبناء قبيلته حتى أن احدهم ( وهو ذو الخويصرة التميمي ) قال لرسول الله ﷺ بكل وقاحة : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، لم أرك عدلت !!

فغضب رسول الله ﷺ من كلامه هذا وقال :

« ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟! »

فطلب عمر بن الخطاب من رسول الله ﷺ أن يأذن له بقتله ، فلم يأذن له النبي

وقال ﷺ :

« دعه فإنّه سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين ( أي يتتبعون أقصاه ) حتى

---

(١) الطبقات الكبرى : ج ٣ ص ١٥٣ .

يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية» (١).

وقد كان هذا الرجل . كما قال رسول الله ﷺ زعيم فرقة الخوارج في عهد حكومة الإمام علي عليه السلام ، فهو الذي قاد تلك الفرقة الخطرة ، غير أن النبي ﷺ لم يقدم على عقوبته على ما بدر منه فيما بعد لأن القصاص أو العقاب قبل الجناية يخالف قواعد الإسلام.

ولقد رفع « سعد بن عبادة » شكوى الأنصار حول كيفية تقسيم الخمس إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ لسعد : اجمع من كان هاهنا من الأنصار في هذه الخطيرة . فجمع سعد الانصار في تلك الخطيرة ، فلما اجتمعوا دخل عليهم رسول الله ﷺ وعليه جلال النبوة ، وهيبة الرسالة ، فحمد الله واثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال :  
« يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله وعالة فاغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟»

قالوا : بلى الله ورسوله أمن وافضل!

قال :

ألا تحيوني يا معشر الانصار؟»

قالوا : وما ذا نجيبك يا رسول الله ولرسول الله المن والفضل؟

قال :

« أما والله لو شئتم قلتم فصدقتم أتيتنا مكذباً فصدقتناك ومخذولاً فنصرناك

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤٩٦ ، السيرة الحلبية : ج ٣ ص ١٢٢ ، وفي المغازي : ج ٣ ص ٩٤٨ أن النبي ﷺ قال فيه : « دعه إن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ... يخرجون على فرقة من المسلمين ». وراجع امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤٢٥ وجاء في السيرة الحلبية انه أصل الخوارج.

وطريدا فأويناك وعائلا فأسيناك! (١) وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في شيء من الدنيا تألفت به قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟  
والذي نفس محمد بيده لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعبا الأنصار».

ثم ترحم على الأنصار وعلى أبنائهم وعلى أبناء أبنائهم فقال :

« اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ».

وقد كانت كلمات النبي ﷺ هذه من القوة والعاطفية بحيث أثارت مشاعر الأنصار ، فبكوا بعد سماعها بكاء شديدا حتى اخضلت لحاهم وابتلت بالدموع وقالوا : رضينا يا رسول الله حظًا وقسما!!!

ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا (٢).

ان هذه القصة تكشف عن عمق حكمة النبي ﷺ وعن حنكته السياسية البالغة ، وكيف أنه كان يعالج المشاكل بأساليب مناسبة وبروح الصدق واللطف.

### رسول الله يعتمر :

ثم ان رسول الله ﷺ خرج من الجعرانة معتمرا ، بعد ان قسم الغنائم ، فلما فرغ من عمرته انصرف راجعا الى المدينة ، فقدم المدينة في اواخر شهر ذي القعدة ، أو أوائل شهر ذي الحجة.

---

(١) إن هذا يفيد ان النبي ﷺ ما كان ينسى فضل أحد عليه وان كان هو صاحب الفضل الاكبر على الناس اجمعين.

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٤٩٨ و ٤٩٩ ، المغازي : ج ٣ ص ٩٥٧ و ٩٥٨ .



## لامية كعب بن زهير المعروفة

« بانة سعاع ... »

فرع رسول الله ﷺ في منتصف شهر ذي القعدة ، من السنة الثامنة للهجرة من قسمة غنائم حنين في الجعرانة ، وكان موسم الحج على الأبواب ، وكانت هذه السنة هي السنة الأولى التي كان يتوجب على الحجيج العرب ، مسلمين ومشركين ، أن يقوموا بمناسك الحج تحت رعاية الحكومة الإسلامية.

وكان اشتراك رسول الله ﷺ في هذه الشعائر يزيد الحج عظمة وجلالا ، وكان من الممكن . وبفضل قيادته الحكيمة . أن تتم في ذلك الحشد الهائل والاجتماع العظيم دعوة صحيحة وقوية وواسعة إلى الإسلام ، بينما كانت ثمة مسئوليات في المدينة تنتظر عودة رسول الله ﷺ ، وقد مضى على مفارقتها المدينة ما يقرب من ثلاثة أشهر ، وكانت الأعمال التي يجب أن يقوم بها هو بنفسه قد تعطلت طوال هذه المدة.

وبعد دراسة هذه المسألة من جوانبها المختلفة رأى الرسول القائد ﷺ أن يكتفي بعمرة ، يغادر بعدها مكة ليصل إلى المدينة في أقرب وقت ممكن. ولكنه ﷺ رأى أنه لا بد أن يعين شخصا صالحا لإدارة الأمور السياسية والدينية في المنطقة الحديثة العهد بالفتح الإسلامي ( نعني مكة ) حتى لا تحدث في غيابه أزمة فيها ، وحتى تجري الأمور على النسق الصحيح والمطلوب.

من هنا استخلف النبي ﷺ « عتّاب بن اسيد » على مكة ، وكان عتاب شابا لبيبا يتسم بالصبر والجلد ، وكان له من العمر اذ ذاك عشرون سنة ، وقد قرّر له النبي راتباً قدره درهم واحد كل يوم .

وبهذا العمل ( أي تعيين شاب حديث العهد بالاسلام والايمان في مقتبل العمر ، ولكن كفؤ لتسيير الامور في مكة ، وتفضيله على كثير من الشيوخ وكبار السن ) حطّم رسول الله ﷺ سداً خيالياً ، ومفهوماً باطلاً في مجال التوظيف والتأجير .

فان جماعة من الناس لما أمّر رسول الله ﷺ « عتاباً » على أهل مكة قالوا : إن محمّداً لا يزال يستخفّ بناحتي ولّى علينا غلاماً حدث السنّ ابن ثمانية عشر سنة ، ونحن مشايخ ذوو الاسنان فاجابهم رسول الله ﷺ بقوله في كتاب كتبه لعتاب :

« لا يحتجّ محتجّ منكم في مخالفته بصغر سنّه ، فليس الاكبر هو الأفضل بل الأفضل هو الاكبر وهو الاكبر في مولاتنا وموالاة أوليائنا ومعاداة أعدائنا فلذلك جعلناه الأمير عليكم والرئيس عليكم فمن أطاعه فمرحبا به ومن خالفه فلا يبعد الله غيره »<sup>(١)</sup> .

وبهذا أثبت ﷺ عملياً أن حيازة المناصب الاجتماعية إنما تدور فقط حول معيار الأهلية والجدارة ، والكفاءة ، وأنّ صغر السنّ لا يمنع من ذلك اذا كان صاحبه يتمتع بكفاءة عالية .

ثم ان « عتّاباً » قام فخطب في الناس فقال : أيّها الناس أجاج الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله ﷺ درهماً كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد<sup>(٢)</sup> .

(١) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ١٢٢ و ١٢٣ . امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤٣٢ و ٤٣٣ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٠٠ .

وأحسن رسول الله ﷺ الاختيار أيضا عند ما عين « معاذ بن جبل » ليعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين ، فقد كان معاذ ممن عرف بالفقه ، والمعرفة باحكام القرآن بين أصحاب رسول الله ﷺ حتى أن رسول الله ﷺ لما بعثه للقضاء ، الى اليمن سأله ﷺ : بم تقضي إن عرض قضاء فقال : أقضى بما في كتاب الله .

قال : فان لم يكن في كتاب الله؟

قال : أقضي بما قضى به الرسول .

قال : فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟

قال : أجتهد رأيي ولا آلو .

فضرب النبي ﷺ صدره ، وقال :

« الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » (١) .

**قصة كعب بن زهير بن أبي سلمى :**

كان « زهير بن أبي سلمى » من شعراء العرب البارعين في العهد الجاهلي ، فهو صاحب المعلقات السبع التي بقيت منصوبة في الكعبة المعظمة حتى قبيل نزول القرآن الكريم ، وكانت تفتخر بها العرب ، وتبدأ معلقته تلك بقوله :

أمن أم أوفى دمننة لم تكليهم بمومانة الدرّج فـالمثلّم

وقد توفي « زهير » قبل عصر الرسالة ، وخلف ولدين هما : « بجير » ، و « كعب »

وكان الأول ممن آمن برسول الله ﷺ ونصره ، وأحبّه ، بينما عادى الثاني ( كعب ) رسول

الله ﷺ بشدة ، وحيث أنه كان ذا قريحة شعرية موروثه قوية ، لهذا كان يهجو رسول الله

ﷺ في قصائده

---

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٣٤٧ و ٣٤٨ ، ويكتب الجزري في اسد الغابة : ( ج ٣ ص ٣٥٨ ) كان

عتاب رجلا خبيرا صالحا فاضلا .

وأشعاره ويؤلب الناس ضد الإسلام.

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة في الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة كان « بجير » قد شارك مع النبي ﷺ في فتح مكة ، وحصار الطائف ، وقد شاهد عن كثب كيف هدد النبي ﷺ بالقتل بعض الشعراء الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ ويؤلبون الناس ضد الإسلام ، وأهدر دماءهم.

فكتب بهذا إلى أخيه ( كعب ) ونصحه في آخر كتابه قائلاً : إن كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً.

فاطمناً كعب بكلام أخيه ، وتوجه من فوره إلى المدينة فدخل المسجد ورسول الله ﷺ يتهيأ لصلاة الصبح ، فصلّى مع رسول الله ﷺ لأوّل مرّة ثم جلس إليه ، ووضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟

قال رسول الله ﷺ : نعم.

قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير <sup>(١)</sup>.

ثم أخرج كعب قصيدته اللامية العصماء التي مدح فيها رسول الله ﷺ والتي كان قد أنشأها من قبل ، وأنشدها بين يدي رسول الله ﷺ في المسجد ليتلافى بها ما سبق أن بدر منه من هجاء وطعن في سيد المرسلين ﷺ <sup>(٢)</sup>.

---

(١) روي أنه وثب على كعب . في تلك الحال . رجل من الانصار فقال : يا رسول الله دعني وعدو الله أن أضرب عنقه ، فقال النبي ﷺ : دعه عنك فإنه قد جاء تائباً نازعاً ( عما كان عليه ) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٠١ .

(٢) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢٤٢ .

وهذه القصيدة الرائعة هي من أفضل قصائد كعب وقد اعتنى المسلمون بحفظها ونشرها منذ أن أنشدها الشاعر المذكور بين يدي رسول الله ﷺ في المسجد ، وقد شرحها علماء الإسلام كثيرا ، وعدد آيات هذه اللامية ( أي التي تنتهي قوافيها باللام المضمومة ) ٥٨ بيتا ومطلعها :

بانـت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يغد مكبول  
لقد بدأ كعب قصيدته هذه . على عادة شعراء العهد الجاهلي ( الذين كانوا يبدأون قصائدهم بمخاطبة محبوبتهم او مخاطبة الاطلال ) . بذكر سعاد زوجته وابنة عمه ، ولقد خصّها بالذكر لطول غيبته عنها ، لهروبه من النبي ﷺ فيقول : فارقني سعاد فراقا بعيدا فقلبي اليوم أسقمه الحبّ ، وأضناه ، فهو ذليل لغيبتها لم يخلص من الأسر والقيـد .

ثم يمضي في هذه النمط من الكلام حتى يصل إلى أن يعتذر من صنيعه السيئ فقال :  
نبئت أن رسول الله أوعديني والعفو عند رسول الله مأمول  
مهلا هداك الذي أعطاك نافع لة القرآن فيها مواعيط وتفصيل  
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم اذنب ولو كثرت في الأفاويل  
إلى أن قال :

إن الرسول لنور يستضاء به مهنيـد من سيوف الله مسلول (١) (٢)

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٠١ . ٥١٤ .

(٢) يقال : إن كعبا عند ما فرغ من إنشاء قصيدته كساه النبي ﷺ بردة كانت عليه ، فلما كان زمن معاوية أرسل الى كعب أن بعنا بردة رسول الله ، فقال : ما كنت لاوثر بثوب رسول الله أحدا ، فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم وهي البردة التي كان يلبسها الخلفاء الامويون والعباسيون ( راجع الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧٦ ) . وجاء في ناسخ التواريخ الجزء الثالث من المجلد الثاني ان كعبا لما قال « ان النبي لسيف يستضاء به » قال رسول الله ﷺ « إن النبي لنور » .

## حزن قارن فرحا :

في أواخر السنة الثامنة للهجرة فقد رسول الله ﷺ كبرى بناته : « زينب » ، وقد تزوجت زينب قبل البعثة بابن خالتها أبي العاص ، وآمنت بأبيها رسول الله ﷺ بعد البعثة من دون تأخير ، ولكن زوجها ظل على شركه ، وشارك في « بدر » ضد الإسلام والمسلمين ، وأسر في تلك المعركة فخلّى رسول الله ﷺ سبيله ، شريطة أن يبعث بابتته « زينب » إلى المدينة .

وفعل ابن العاص ذلك فجهّز زوجته « زينب » وبعثها برفقة أخيه إلى المدينة ، غير أن سادة قريش عرفوا بذلك ، فكلفوا من يعيدها إلى مكة ، فلحق بها الرجل في أثناء الطريق ، فضرب هودجها برمح ففزعت زينب ابنة رسول الله ﷺ واسقطت حملها من شدة الفزع ، ولكنها لم تنصرف عن الذهاب إلى المدينة ، فقد واصلت سيرها حتى قدمت المدينة وهي عليلة ، وقضت بقية عمرها مريضة حتى توفيت في أواخر السنة الثامنة من الهجرة .

ولكن هذا الحزن قارنه فرح وسرور فقد رزق رسول الله ﷺ في أواخر نفس ذلك العام ولدا اسماه « ابراهيم » من زوجته « مارية القبطية » ( وهي الجارية التي أهداها المقوقس حاكم مصر إلى رسول الله ﷺ ) .

والجدير بالذكر أنه عند ما بثرت سلمى ( المولدة ) رسول الله ﷺ بذلك ، أعطاها هدية ثمينة ، وعق له في اليوم السابع من ولادته ، وحلق شعره ، وتصدق بوزن شعره ، فضة في سبيل الله <sup>(١)</sup> .

---

(١) تاريخ الخميس : ج ٢ ص ١٣١ .

## علي بن أبي طالب في أرض طي

إسلام عدي بن حاتم :

انقضت السنة الهجرية الثامنة بكل حوادثها المرّة والحلوة ، فقد سقطت أكبر قاعدة من قاعدة الوثنية والشرك في أيدي المسلمين ، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ظافرا منتصرا على أعداء الإسلام انتصارا كاملا ، وقد هيمنت ظلال القوة العسكرية الإسلامية على أكثر أنحاء الجزيرة العربية ونقاطها.

كما أخذت القبائل العربية المتمرّة التي لم تكن تتصور إلى ذلك اليوم أن يتحقق مثل هذه الانتصارات لدين التوحيد ، أخذت تفكّر شيئا فشيئا في التقرب الى المسلمين وقبول معتقداتهم ، واعتناق دينهم.

من هنا كانت وفود القبائل العربية المختلفة ، وأحيانا مجموعة من أفراد قبيلة ما بقيادة رئيسها تقدم على رسول الله ﷺ وتعلن عن إسلامها ، وقبولها للرسالة المحمدية . وقد ازداد قدوم وفود القبائل هذه على عاصمة الإسلام ( المدينة المنورة ) في هذا العام حتى سُمّي بعام الوفود <sup>(١)</sup>.

---

(١) لقد سجّل المؤرخ المعروف محمد بن سعد . في كتابه . خصوصيات واسماء هذه الوفود وتفاصيل القسم الأكبر من تفاصيل ما دار بينها وبين النبي ﷺ وما خصّتهم به رسول

وعند ما قدم وفد من قبيلة « طي » وفيهم سيدهم « زيد الخيل » على رسول الله ﷺ وتحادث مع النبي ﷺ أعجب رسول الله ﷺ بعقل زيد وحكمته ووقاره فقال عنه :

« ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل ، فانه لم يبلغ كل ما كان فيه .»

ثم سمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير<sup>(١)</sup>.

إن دراسة قصة الوفود ، والإمعان والتدبر في ما دار بينهم وبين رسول الاسلام يفيد بوضوح وجلاء ان الاسلام انتشر في شبه الجزيرة العربية عن طريق الدعوة والتبليغ. على أن طواغيت ذلك العصر أمثال أبي سفيان وأبي جهل كانوا يحاولون الخيلولة دون انتشار هذا الدين ، فكانت لأجل ذلك حروب النبي ﷺ فمضافا إلى أن أكثرها كان لإفشال تلك المؤامرات ، كان الهدف منها

---

الاسلام من الطف لا يسع المجال لذكره هنا ، وقد ذكر اسماء ثلاثة وسبعين وفدا من تلك الوفود التي وفدت على رسول الله ﷺ طوال السنة التاسعة من الهجرة او ما قبلها بقليل ( الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٢٩١ . ٣٥٩ ) .

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٧٧ . هذا وينبغي الاشارة هنا وبالمناسبة إلى أنه كان من سيرة رسول الله ﷺ أن يغيّر الأسماء القبيحة التي اعتاد الجاهليّون على تسمية أبنائهم بها ايثارا للاسم الحسن ولأن الاسم يورث الاحساس بالشخصية لدى صاحبه على العكس من الاسم القبيح ، وقد ثبت هذا نفسيا ، بل ربما غيّر الاسماء التي قد يشعر معها الانسان بالعظمة ، والفخر والزهو منعا من أن تحدث لأصحابها مثل ذلك. فعن الامام جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عليّ بن الحسين : إن رسول الله كان يغيّر الأسماء القبيحة في الرجال والبلدان ( قرب الاسناد ص ٤٥ ) ولهذا غير أسماء كثيرة لرجال ونساء فغير اسم ابنة لعمر كانت يقال لها عاصية فسمّاها رسول الله ﷺ جميلة ( صحيح مسلم : ج ٦ ص ١٧٣ ) وغيّر اسم غافل بن البكير فسّمّاه عاقلا ، وقد روي أن النبي ﷺ قال : « إن أوّ ما ينحل احدكم ولده الاسم الحسن » ( بحار الأنوار : ج ٢٣ ص ١٢٢ ) .



هو قمع أولئك الطواغيت الذين كانوا يصدون عن سبيل الله ويمنعون من دخول مجموعات الدعوة والتبليغ الاسلامية إلى مناطق الحجاز ونجد وغيرها.

إن من البديهي أن لا يتيسر انتشار أي دين ، وتطبيق أي برنامج إصلاحي من دون تحطيم الطواغيت ، وإزالة الأشواك من طريقه.

ومن هنا نرى أن جميع الأنبياء والرسل ، وليس رسول الله فقط كانوا يجتهدون قبل أي شيء في تحطيم الطواغيت وإزالة السدود والموانع ، من طريق الدعوة.

ويتحدث القرآن الكريم في سورة خاصة عن قدوم هذه الوفود على رسول الله ﷺ وما حققه الإسلام من فتح وانتصار ساحق اذ يقول :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَإِذْ بَيْتُ النَّاسِ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَعِذْ بِهِ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا »<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من هذا الإقبال المتزايد على الإسلام لدى القبائل و قدوم الوفود المتلاحق على رسول الله ﷺ فقد قام في السنة التاسعة من الهجرة ببعث عدة سرايا ، ووقعت غزوة واحدة ، وكانت السرايا هذه لأجل إفشال المؤامرات التي كانت تحاك ضد الاسلام والمسلمين ، وكانت في الأغلب لهدم الأصنام الكبيرة التي كانت لا تزال القبائل العربية المشركة تقدها وتعبدها ، ومن جملة هذه السرايا سرية علي بن أبي طالب عليه السلام التي وجهت إلى أرض « طي » بأمر رسول الله ﷺ ومن بين ما وقع في السنة التاسعة يمكن الإشارة إلى غزوة « تبوك ».

ففي هذه الغزوة غادر رسول الله ﷺ المدينة متوجها إلى أرض تبوك ، ولكنه لم يلق فيها أحدا ، فعاد من غير قتال ، إلا أنه مهّد الطريق لفتح البلاد الحدودية لمن يأتي في المستقبل.

---

(١) النصر : ٣٠١.

## هدم بيوت الاصنام :

لقد كانت الوظيفة الاساسية الاولى من وظائف النبي ﷺ هي : نشر عقيدة التوحيد ، واجتثاث جذور كل نوع من أنواع الشرك ، وقد كان ﷺ يسلك . لتحقيق هذه الغاية ، ولارشاد الضالين والوثنيين . طريق المنطق والاستدلال ، قبل أي شيء فكان يلفت أنظارهم بالأدلة الواضحة والبراهين الساطعة إلى بطلان الشرك والوثنية ، فاذا لم يجد معهم المنطق المبرهن ، والارشاد المستدل ، ولجأوا في كفرهم وشركهم سمح لنفسه بأن يتوسل بالقوة ، ويداوي أولئك المرضى روحا وفكرا والذين يمتنعون عن استعمال الدواء ومحض اختيارهم ، بالمعالجة الجبرية.

فإنه إذا شاع داء الكوليرا في بلد من البلدان مثلا ، وامتنع فريق من الناس عن قبول تلقيحهم بالمصل اللازم لمكافحة ذلك المرض ، فإنَّ المسئول في ذلك البلد يرى لنفسه الحق في أن يجبر تلك الجماعة الضيقة التفكير التي تعرَّ سلامة نفسها وسلامة غيرها للخطر من حيث لا تشعر على الرضوخ لعملية التلقيح المذكورة.

لقد أدرك رسول الله ﷺ في ضوء تعاليم الوحي أن الوثنية أشبه شيء بجرثومة « الكوليرا » تهدم فضائل الانسان ، وشرفه ، وتقضي على مكارم الاخلاق ، وتحط من مكانة الانسان الرفيعة ، وتجعله كائنا حقيرا أمام الطين والحجر والموجودات المنحطة . وعلى هذا الاساس امر من جانب الله تعالى بأن يجتث جذور الشرك من كيان ذلك المجتمع الموبوء ، ويزيل كل مظاهر الوثنية ، وكل أنواعها وأشكالها ، واذا ما قاومت جماعة هذا العمل ، وعارضت هذا الاجراء حطَّ مقاومته بالقوة العسكرية ، والقبضة الحديدية .

إن التفوُّ العسكري أعطى لرسول الله ﷺ فرصة بعث

الفرق العسكرية لتحطيم وهدم كل بيوت الأصنام ، وأن لا يبقوا في منطقة الحجاز صنما إلا هدموه.

### علي في أرض طي :

ولقد كان رسول الله ﷺ يعرف من قبل ، أن في قبيلة طي صنما كبيرا يقدّس إلى الآن ومن هنا بعث ﷺ بطل جيشه الشجاع علي بن أبي طالب ؑ على رأس مائة وخمسين فارس إلى أرض طي ، وأمره بأن يحطّم صنم طي ، ويهدم بيته.

وقد أدرك قائد هذه السرية أن القبيلة المذكورة ستقاوم جنود الاسلام ، وأنّ الأمر لن يتم من دون قتال ، ولهذا حمل بأفراده على موضع ذلك الصنم ، عند الفجر والناس نيام ، فاستطاع أن يأسر جماعة من تلك القبيلة ممن قاوم ، وان يعود بهم وبالغنائم الى المدينة وقد فر « عدي بن حاتم الطائي » الذي انضمّ فيما بعد الى صفوف المسلمين ، المجاهدين في سبيل الله ، وكان يرأس تلك القبيلة ، حين سمع بتوجهه على ؑ نحوها.

ولنستمع إلى عدي الطائي نفسه وهو يقص علينا قصة هروبه.

يقول عدي : ما من رجل كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به ، مني.

أما أنا فكنت امرأ شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت اسير في قومي بالمرباع ( أي أخذ الربع من الغنائم لأني سيدهم ) فكنت في نفسي على دين ، وكنت ملكا في قومي لما كان يصنع بي . فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لي عربي ، وكان راعيا لابلي : لا أبا لك أععد لي من إبلي أجمالا ذللا سمانا ، فاحتبسها قريبا مني ، فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فأذني ؛ ففعل ؛ ثم أنه أتاني ذات غداة ، فقال : يا عدي ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمّد ، فأصنعه الآن ، فاني قد رأيت رايات ، فسألت

عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرب إليّ أجمالي فقربها ، فاحتملت بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام فسلكت الجوشية (١) وقد تركت أختي في قومي .

ثم تغزو خيـل رسول الله ﷺ قومي فتصيب ( اختي ) ابنة حاتم فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طي ، وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي الى الشام . فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يجسن فيه ، فمرّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه اختي وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليّ منّ الله عليك .

قال : ومن وافدك؟

فقالت : عدي بن حاتم .

قال : الفار من الله ورسوله؟

ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد مرّ بي ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس ، حتى إذا كان من الغد مرّ بي وقد يئست منه ، فإشار إليّ رجل من خلفه أن قومي فكلميه ، فقامت إليه ، وقالت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليّ منّ الله عليك ، فقال رسول الله ﷺ :

« قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذيني » .

تقول اختي : فسألته عن الرجل الذي أشار إليّ أن أكلمه فقبل : علي بن أبي طالب رضوان الله عليه .

ثم إن أختي أقامت حتى قدم ركب من بلّي او قضاة قالت : وأما اريد أن

---

(١) الجوشية : جبل للضباب قرب ضرية . من أرض نجد .

آتي أخي بالشام. قالت : فجئت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ.

قالت : فكساني رسول الله ﷺ وحملني ، واعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي : فو الله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى طعينة ( وهي المرأة في هودجها ) تصبغ إلي تؤمنا قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هي هي ، فلما وقفت عليّ أخذت في اللوم تقول : القاطع الظالم ، احتملت أهلك وولدك ، وتركت بقيّة والدك عورتك .

فقلت : أي أختي ، لا تقولي إلاّ خيرا ، فو الله ما لي من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت ، ثم نزلت فاقامت عندي فقلت لها ، وكانت امرأة حازمة : ما ذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعا ، فان يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وان يكن ملكا فلن تذلل في عز اليمن ، وأنت أنت . فقلت : والله إن هذا الرأي .

قال عدي : فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخلت عليه ، وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل؟ فقلت : عدي بن حاتم ، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته ، فو الله إنه لعامد بي إليه ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها . فقلت في نفسي : والله ما هذا بملك .

ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من آدم محشو ليفا فقذفها إليّ ، فقال : اجلس على هذه ، فقلت : بل أنت فاجلس عليها فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض ( وهو عظيم الحجاز ) فقلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ثم قال : إيه يا عدي بن حاتم ، ألم تك ركوسيا ( وهو دين بين دين النصارى

والصابئين)؟

قلت : بلى .

قال : أولم تكن تسير في قومك بالمرباع؟

قلت : بلى .

قال : فان ذلك لم يحل لك في دينك .

قلت : أجل والله ، وعرفت أنه نبي مرسل ، يعلم ما يجهل ، ثم قال : لعلك يا عدي إنما بمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فو الله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما بمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم ، فو الله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بغيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف ، ولعلك إنما بمنعك من دخول فيه أنك ترى أنّ الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم .

قال عدي : فاسلمت .

وكان عدي يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكوننّ ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بغيرها لا تخاف حتى تحجّ هذا البيت ، وأيم الله لتكونن الثالثة ، ليفيضمّ المال حتى لا يوجد من يأخذه (١) .

ولقد نقل العلامة الطبرسي في تفسير قوله تعالى : « **اتَّخِذُواْ أَخْبَارَهُمْ وَهُمْ بَانُهُمْ رَأْبَابَا مِنِ** **وَأَنَّ لِلَّهِ لِمِمِّحَ بِنِّ بِنِّمَ** » (٢) اللقاء الذي تم بين عدي ورسول الله ﷺ ويقول : قال عدي انتهيت إلى رسول الله وهو يقرأ من سورة البراءة هذه الآية « **اتَّخِذُواْ أَخْبَارَهُمْ ...** » حتى فرغ منها ،

---

(١) المغازي : ج ٢ ص ٩٨٨ و ٩٨٩ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٧٨ . ٥٨١ ، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة الامامية : ص ٣٥٢ . ٣٥٤ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤٤٥ .  
(٢) التوبة : ٣١ .

فقلت له : انا لسنا نعبدهم ، فقال : أليس يجرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه ، ويجلّون ما حرّم الله فتستحلّونه ، فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم<sup>(١)</sup> .

---

(١) جمع البيان : ج ٣ ص ٢٤ .

## غزوة تبوك

كانت القلعة القويّة ، الرفيعة الجدران المقامة عند عين ماء على الشريط الحدودي السوري في طريق « حجر » و « الشام » تسمّى تبوكا.

وكانت سورية آنذاك من مستعمرات إمبراطورية الروم الشرقية ، التي كان عاصمتها القسطنطينية.

وكان جميع سكان المناطق الحدودية للشام نصارى على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وكان أكثر زعمائها ولاية منصوبين من قبل حاكم الشام الذي كان يمثّل هو بدوره إمبراطور الروم ، ويمثّل أوامره.

ولقد كان لانتشار الاسلام السريع في شبه الجزيرة العربية وفتوحات المسلمين المشرقة في الحجاز صداه في خارج الحجاز ينعكس بالوسائل الموجودة في ذلك اليوم ، وكان ذلك يرعب الأعداء ، ويدفعهم إلى التفكير في حيلة.

ولقد دفع سقوط حكومة « مكة » الوثنية ، واعتناق زعماء الحجاز الكبار للدين الاسلامي ، وبطولات جنود الاسلام الباهرة وبسالتهم وتفانيهم الفريد في طريق عقيدتهم ، بامبراطور الروم إلى أن يحشد جموعا كبيرة ، ويتهيأ لمهاجمة المسلمين وغزوهم بغتة ، لأنّه كان يرى تزلزل سلطانه مع انتشار الاسلام المطرد ، وكانت مخاوفه تزداد يوما بعد يوم وهو يرى تعاظم القوة الاسلامية العسكرية ، وانتشار نفوذه السياسي.



كانت الروم . آنذاك . المنافسة الوحيدة ، والقوية لإيران ، وكانت تملك أعظم قوة عسكرية ، وكانت مغترّة أشدّ الغرور بنفسها ، لما أصابته من فتوحات وانتصارات في معاركها الكبرى مع إيران ، وما ألحقته من هزائم نكراء بإيران في تلك العصور .

وقد كان جيش الروم يتألف من أربعين ألف فارس وراجل ، وكان مجهّزا بأحدث أسلحة وتجهيزات ذلك العصر ، وقد استقرّ هذا الجيش على الشريط الحدوديّ لأرض الشام ، والتحقت به قبائل عديدة تسكن الحدود مثل قبيلة « لحم » « عاملة » « غسان » « جذام » ، وتقدمت طلائع ذلك الجيش حتى منطقة « البلقاء » .

ولقد بلغ نبأ استقرار فريق من جنود الروم على الشريط الحدودي للشام إلى مسامع النبي ﷺ عن طريق القوافل التجارية التي تعمل على طريق الحجاز . الشام فلم ير رسول الله ﷺ بداً من أن يرّد على هؤلاء المعتدين ، بجيش عظيم ، ويحافظ بذلك على الدين الذي قام بفضل الدماء الزكية التي اريقّت من أصحابه ، وبفضل تضحياته هو ﷺ وهو الآن على أبواب أن يعمّ العالم نوره وهداه ، من ضربات العدوّ المفاجئة .

ولقد بلغ هذا الخبر المقلق أهل المدينة ، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، والناس في زمان عسرة ، وشدة من الحرّ ، وجذب من البلاد ، وقد طابت الثمار ، والناس يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه .

ولكن الدوافع المعنوية ، وروح الحفاظ على الأهداف المقدّسة ، والجهاد في سبيل الله مقلّم . عند عباد الله المؤمنين الصالحين . على كل تلك الامور .

### تعبئة المقاتلين وتهيئة نفقات الحرب :

كان رسول الله ﷺ يعرف على نحو الاجمال مدى وحجم

استعدادات العدو ، وطاقاته ، وقدرته على القتال .

من هنا كان مطمئنا إلى أن الانتصار في هذه المعركة بحاجة . مضافا إلى الخلفية المعنوية القوية وهي الإيمان بالله والقتال ابتغاء لمرضاته . الى قوة عسكرية كبيرة جدا ولهذا بعث رجالا إلى مكة ، ونواحي المدينة يدعون المسلمين إلى المشاركة في الجهاد في سبيل الله ، ويحثون أهل الغنى والثروة ، على تهيئة نفقات الجهاد في سبيل الله من الزكاة .

وأخيرا أعلن ثلاثون ألفا من المسلمين استعدادهم للمشاركة في هذه الغزوة واجتمعوا في معسكر عند « ثنية الوداع » وتهيأ قدر كبير من نفقات القتال عن طريق الزكاة ، وكان الجيش الاسلامي يتألف من عشرة آلاف فارس ، وعشرين الف راجل . وقد أمر رسول الله ﷺ أن تتخذ كل قبيلة راية لنفسها .

### المتخلفون عن القتال :

كانت غزوة « تبوك » خير محك لمعرفة المجاهدين الصادقين وتمييزهم عن غير الصادقين من أذعياء الإيمان والمنافقين لأن التعبئة العامة لهذه الغزوة اعلنت في وقت كان الناس يستعدون فيه للحصاد من جهة ، وكان الحرّ على أشده من ناحية اخرى ، فكشف تخلف البعض . بالأعذار والحجج المختلفة . القناع عن وجههم الحقيقي ونزلت آيات في ذمهم جميعها في سورة البراءة .

لقد تخلف البعض عن المشاركة في هذه الغزوة لاسباب والعلل التالية :

١ . عند ما قال رسول الله ﷺ للجدّ بن قيس ، . وكان من الشخصيات ذات المكانة

الاجتماعية المرموقة . :

« أبا وهب هل لك العام تخرج معنا ؟ »

فقال : يا رسول الله أو تأذن لي ، ولا تفتني<sup>(١)</sup> فوالله لقد عرف قومي ما أحد

---

(١) أي أحشى الافتتان ببنات الروم فلا تفتني بمنّ يا رسول الله .

اشدّ عجباً بالنساء مني ، واني لأخشى إن رأيت بنات بني الأصفر ( الروم ) لا أصبر عليهن .  
فاعرض عنه رسول الله ﷺ بعد أن سمع منه ذلك العذر الصياني ، وقد نزل فيه قول  
الله تعالى :

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ اقْتُلْ لِي وَلَا تَقْتُلْنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَبَقُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ »  
« (١) .

٢ . المنافقون : إن جماعة ممن تظاهروا بالإسلام والإيمان وهم منه خلو ، أخذوا يثبّطون  
الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، وربما تحجّجوا بشدة الحرّ فقالوا : يغزو محمد بنى  
الأصفر مع جهد الحال والحرّ ، والبلد البعيد ، إلى ما قبل له به ، يحسب محمد أن قتال بنى  
الاصفر اللعب ، فنزل فيهم قول الله تعالى :

« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ الْوَالِحَاتُ جُنُودٌ مُّقَاتِلَاتٌ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رِضْوَانًا مِنْ اللَّهِ وَيُنَظَّرُونَ الْبُخْلَ وَالْمَقْتَلَةَ وَلَقَدْ يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا  
وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (٢) .

وقد كان بعض المنافقين يخوّفون المسلمين من المشاركة في هذه الغزوة ، وكانوا يقولون في  
هذا الصدد : تحسبون قتال بنى الأصفر كقتال غيرهم ، والله لكأنا بكم غدا مقرّنين في  
الحيال؟! (٣) .

### اكتشاف شبكة جاسوسية في المدينة :

كان رسول الله ﷺ كما أسلفنا يولي مسألة تحصيل المعلومات عن العدو وتحركاته  
اهتماما كبيرا ، وكان أكثر انتصاراته تعود إلى حسن استخدامه لهذه الوسيلة وبالتالي معرفته  
الدقيقة بتحركات العدو ونشاطاته ، وعلى

(١) التوبة : ٤٩ .

(٢) التوبة : ٨١ و ٨٢ .

(٣) امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤٥٠ .

هذا الاساس كان يقضي على الكثير من المؤامرات في مهدها.

ولقد بلغ رسول الله ﷺ أن ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت « سويلم » اليهودي ، ويخططون لتثييط المسلمين عن رسول الله ﷺ في هذه الغزوة ، فبعث رسول الله ﷺ « طلحة بن عبيد الله » في نفر من أصحابه لإرهاب اولئك المتآمرين حتى يكفوا عن التآمر ، وأمره بأن يحرق عليهم بيت « سويلم ». ففعل طلحة ذلك إذ اقتحم البيت بغتة ، وهم يخططون ، ويدبرون مؤامرة ، واحرق البيت ، وفرّوا وسط ألسنة اللهب ، وأعمدة الدخان ، وافلتوا ، وانكسرت رجل أحدهم حين الفرار.

وقد كان هذا الاجراء مفيدا في ردع المنافقين المشاغبين عن العودة إلى مثلها حتى قال أحد رءوسهم وهو « الضحّاك بن خليفة » :

كادت وبيت الله نار محمّد يشيط بها الضحّاك وابن أبيرق وظلت وقد طبقت كبس سويلم أنوء على رجلي كسيرا ومرفقي سلام عليكم لا أعود لمثلها أخاف ومن تشمل به النار يحرق<sup>(١)</sup>

٣ . البكاءون : لقد أتى رجال من المسلمين رسول الله ﷺ كانوا يرغبون في الخروج مع رسول الله ﷺ إلى هذه الغزوة ، وطلبوا منه ما يحملهم عليه من دابة فقد كانوا أهل حاجة فقراء ، فقال لهم رسول الله ﷺ :  
« لا أجد ما أحملكم عليه ».

فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ، ألا يجدوا ما ينفقون .  
فإذا كان بين أصحاب النبي ﷺ رجال نافقوا ، وتركوا الخروج مع رسول الله متعللين بالأعذار السخيفة ، فقد كان إلى جانب ذلك أيضا من كان يبكي بكاء مرّا لعدم تمكنه من المشاركة في الجهاد المقدس حتى عرفوا

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥١٧ .

في التاريخ الاسلامي بالبكائين ، ونزل فيهم قرآن اذ يقول تعالى :  
« وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْا لِيَتَّخِمْهُمْ قُلْتُ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَعَيْنُكُمْ  
تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ » (١).

٤ . المتخلفون : ولقد أبطأ بعض أصحاب رسول الله ﷺ عن الخروج ، وتخلفوا لا عن  
شكّ وارتياب ، أو رغبة عن الجهاد في سبيل الله ، وقد كانوا أهل صدق لا يتهمون في  
إسلامهم ، إنّما تخلفوا حتى يلتحقوا بركب النبي ﷺ بعد أن يفرغوا من الحصاد والقطف  
وهم ( المتخلفون ) الثلاثة حسب تعبير القرآن الكريم الذين فاتتهم غزوة تبوك ، فوبّخهم الله  
تعالى وعاقبهم على تخلفهم ليكون في ذلك عبرة لمن سواهم كما ستعرف تفصيل ذلك عمّا  
قريب .

٥ . المجاهدون الصادقون : الذين لبّوا نداء رسول الله ﷺ وتهيأوا من فورهم للخروج  
معه في شوق بالغ ، ورغبة عظيمة في الجهاد .

#### عدم مشاركة « علي » في غزوة تبوك :

لقد كان من أبرز فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام أنه شارك في جميع المعارك ، ولازم  
رسول الله ﷺ في جميع غزواته ، . وكان هو حامل لوائه في تلك المعارك والغزوات . ما عدا  
تبوك حيث بقي في المدينة بأمر رسول الله ﷺ ولم يشارك في هذا الجهاد المقدس لأن  
رسول الله ﷺ كان يدرك جيّداً أن بعض المنافقين والمتربصين ، والمتحينين الفرص من  
رجال قريش سيستغلّون فرصة غيبة النبي القائد عن المدينة ( مركز الدولة الاسلامية ) فيثيرون  
فيها فتنة ، ويجهزون على الحكومة الاسلامية الفتية بانقلاب أو ما شابه ذلك ، وأن مثل  
هذه الفرصة انما تسنح لهم إذا قصد رسول الله ﷺ

(١) التوبة : ٩٢ .

الله عليه وآله مكانا نائيا ، وانقطع ارتباطه بعاصمة الاسلام ( المدينة )!!  
ولقد كانت « تبوك » أبعد نقطة خرج إليها رسول الله ﷺ في جميع غزواته ، فكان  
يحدث . بقوة . أن تقوم القوى المضادة للاسلام بقلب الاوضاع في غيابه ، ويجمعوا من يروا  
رأيهم ويذهب مذهبهم من شتى أنحاء الحجاز ، ويتحدوا لضرب الدولة الاسلامية والقضاء  
عليها من الداخل.

ولهذا . رغم أنه استخلف « محمد بن مسلمة » على المدينة . قال للامام « علي بن أبي  
طالب » :

« أنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجري وقومي .

يا علي إن المدينة لا تصلح إلا بي وبك .» .

ولقد أزعج بقاء علي عليه السلام في المدينة ، المنافقين الذين كانوا يتربصون بالاسلام الدوائر ،  
ويتحيتون الفرصة ، ويفكرون في انقلاب في غيبة النبي ﷺ لأنهم كانوا يعرفون أنهم لن  
يعودوا يستطيعون مع وجود علي عليه السلام في المدينة ، ومراقبته الدقيقة لتحركاتهم ونشاطاتهم  
فعل أي شيء مما كانوا ينوون القيام به ، ولهذا أرجفوا به ، وبثوا شائعات خبيثة حوله ، بغية  
إجباره على مغادرة المدينة فقالوا : ما خلف رسول الله ﷺ عليا إلا استثقالا له ، وتخففا  
منه ، أو : أن رسول الله ﷺ دعاه إلى الخروج لتبوك ، ولكن عليا امتنع من الخروج بحجة  
الحر الشديد ، وبعد الطريق وإيثارا للدعة والراحة والرفاهية!!

ولإبطال هذه الشائعة الخبيثة ، وتكذيب هذا الكلام ، أخذ علي عليه السلام سلاحه ، وخرج  
حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف ( وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة )  
فقال :

« يا نبي الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني .» .

فقال رسول الله ﷺ حيثذ كلمته التاريخية الخالدة التي تعتبر

من أبرز الأدلة وأقواها وأوضحها على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بلا فصل :

« كذبوا ، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » <sup>(١)</sup> .  
فرجع علي عليه السلام الى المدينة المنورة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سفره <sup>(٢)</sup> .

### جيش الاسلام يتحرك نحو تبوك :

لقد دأب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ خرج لتأديب قوم يكيدون بالاسلام ، ويمنعون من تقدمه وانتشاره أو يقصدون الهجوم على المدينة واجتياحها ، أو إيجاد فتن فيها ، على أن لا ييوح بمقصده ووجهته لجنوده وامراء جيشه ، وأن يسير بالجيش في طريق آخر غير الوجه الذي ينويه باطنا ، حتى لا يعرف به العدو فيهيأ لمواجهته ، وبذلك يتسنى له صلى الله عليه وآله وسلم أن يباغت العدو ، ويحقق الانتصار الساحق عليه <sup>(٣)</sup> .

غير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدل عن هذه السيرة في قضية غزو الروميين الذين اجتمعوا في حدود الشام وهم يتأهبون للهجوم على عاصمة الاسلام .  
فقد بين للناس . منذ أعلن التعبئة العامة . الوجهة التي يقصدها ، وكان السر في ذلك هو أن يعرف المجاهدون أهمية هذا السفر وصعوبته ، وأن يحملوا الزاد الكافي والعدة اللازمة .

(١) امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤٤٩ و ٤٥٠ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٢٠ ، بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ ، ولوقوف على دلالة هذا الحديث على امامة امير المؤمنين عليه السلام راجع كتب العقائد والكلام .

(٣) المغازي : ج ٣ ص ٩٩٠ .

هذا مضافا إلى أن رسول الله ﷺ كان مضطرباً . لتقوية الجيش الاسلامي . إلى أن يستعين بقبائل « تميم » و « غطفان » و « طي » التي كانت تسكن في مناطق بعيدة عن المدينة .

وقد عمد رسول الله ﷺ لهذا الغرض إلى مراسلة زعماء تلك القبائل ، وساداتها كما كتب إلى « عتاب بن اسيد » أمير مكة الشاب دعا فيه رجال تلك القبائل ، وفتيان مكة إلى المشاركة في هذا الجهاد المقدس (١) .

ومثل هذا النوع من الدعوة الصريحة العامة لا ينسجم مع الكتمان والسريّة ، لأنه كان لا بد أن يخبر ﷺ رؤساء القبائل في هذا الموضوع ، ويذكر لهم أهميته ، ليحملوا معهم الزاد والعدة اللازمة الكافية .

### النبي ﷺ يستعرض جيشه :

ولما حان موعد تحرك الجيش استعرض رسول الله ﷺ جيشه في معسكر المدينة العظيم ، المؤلف من المؤمنين الفدائيين الغيارى على الإسلام ، والذين فضّلوا المشقة والموت في سبيل الهدف على الاستراحة في الظلال ، والتجارة ، وكسب المال واكتناز الثروة ، وخرجوا يستقبلون الموت في سبيل الدين بقلوب تفيض إيمانا و يقينا .

لقد كان هذا المشهد جميلا ورائعا جدا ، وكان له أثر قوي في نفس المتفرجين .

وفي هذه المناسبة ألقى رسول الله ﷺ خطبة مهمة ، لتقوية معنويات المجاهدين ، قد شرح فيها هدفه من هذه التعبئة العامة الواسعة .

فبعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله قال :

« أيّها الناس! أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٢٤٤ .



التقوى وخير الملل ملة إبراهيم عليه السلام وخير السنن سنن محمد وأشرف الحديث ذكر الله وأحسن القصص هذا القرآن وخير الامور عواقبها وشر الامور محدثاتها وأحسن الهدى هدى الأنبياء وأشرف القتل قتل الشهداء» .

إلى آخر الخطبة التي وردت بكاملها في المصادر التاريخية والتي ادرج فيها مجموعة كبرى وهامة من التعاليم الاسلامية الهامة فرغب الناس في الجهاد لما سمعوا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١) ثم أصدر رسول الله أوامره للجنود بالتوجه الى ثغور الشام من الطريق الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

### قصة مالك بن قيس :

رجع مالك بن قيس « ابو خيثمة » بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أياما إلى أهله في يوم حار ، فوجد المدينة فارغة ، وعرف بمسير جنود الإسلام ثم دخل في عريش له ، فوجد امرأتين له قد رشتا الماء في العريش ، وبردتا له ماء ، وهياتا له طعاما ، فلما دخل قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه ، وما صنعتا له ، وفكر في ما فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من الحال ، وقد انطلقوا إلى جهاد العدو في شدة الحر فقال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الشمس والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهيا ، وامرأة حسناء في ماله مقيم؟

ما هذا بالنصف .

ثم قال : لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه المجاهدين فهيتا لي زادا ، ففعلتا ثم قدم بعيره فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد لقي في أثناء الطريق أبا خيثمة « عمير بن وهيب الجمحي » وهو يطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢) .

(١) المغازي : ج ٢ ص ١٠١٦ بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٢١٠ . ٢١٢ .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ٥٢٠ وقد ذكر الواقدي هذه القصة باختلاف يسير ونسبها الى عبد الله بن خيثمة .

لقد كان هذا الرجل ممن لم يوفق . في بداية الامر . لمرافقة رسول الله ﷺ إلا أنه التحق بركبه المقدس ونال السعادة العظمى بحسن اختياره الذي يستحق الاكبار والتقدير ، ولم يكن مثل اولئك الذين طلبتهم السعادة ولكنهم رفضوها ، وابتعدوا عنها ، وآثروا البقاء في ضلالهم وشقائهم.

فهذا « عبد الله بن ابي » رئيس المنافقين وكبيرهم الذي عزم على أن يشارك مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة أقام خيمته في معسكر المسلمين ، ولكنه لحبث سريرته ، وعدائه الشديد للاسلام ونبية الكريم ﷺ بدّل رأيه ساعة رحيل الجيش الاسلامي ، وعاد الى المدينة مع أصحابه ليقوم بالشغب ، وحيث إن رسول الله ﷺ كان على علم بنفاقه ، وحبث سريرته وكان يدرك جيدا أن مشاركة هذا العنصر المنافق وجماعته في ذلك الجهاد لن تعود على المسلمين بفائدة ، لذلك لم يهتم ﷺ بانفصاله عن الجيش الاسلامي ورجوعه الى المدينة.

### مصاعب الطريق :

لقد واجه جيش الاسلام في أثناء الطريق متاعب ومشاق كثيرة ، ولهذا سمّي هذا الجيش بجيش « العسرة » ولكن ايمانهم العميق بالله ، وحبهم الشديد للهدف المقدس سهّل لهم تلك المصاعب ، وهوّن عليهم تلك المشاق ، التي استقبلوها بصدور رحبة . وعند ما وصل جيش الاسلام إلى أرض ثمود غطّى رسول الله ﷺ وجهه بثوبه ، واستحثّ راحلته ومرّ على بيوتهم ، وأطلّهم بسرعة وقال لأصحابه :  
« لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم » .  
وهو بذلك يحث أصحابه على التدبر في أحوال من مضى من الاقوام

والشعوب ، والتفكر في مصائرهم وما آلوا عليه بسبب عتوهم وعنادهم ، وتمزدهم على الحق ، فان ضلال الموت التي كانت تحيّم على تلك الربوع ، والأطلال الصامته خير عبرة للأجيال والاقوام الاخرى.

ثم نهى رسول الله ﷺ الناس عن أن يشربوا من مائها شيئا ، وأن لا يتوضئوا به للصلاة ، وأن لا يحاس به حيس ، ولا يطبخ به طعام ، وأن العجين الذي عجن به ، أو الحيس الذي فعل به يعلف الإبل ، وأن الطبخ الذي طبخ به يلقى ، ولا يأكلوا منه شيئا .<sup>(١)</sup>

ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ ثم ان الناس ارتحلوا من تلك المنطقة حتى إذا مضى من الليل بعضه وصلوا إلى البئر التي كان يشرب منها ناقة صالح النبي ﷺ ، فنزلوا عليها بأمر رسول الله ﷺ .

### تعليمات احتياطية :

ثم إن رسول الله ﷺ كان يعرف بالرياح الشديدة والسامة والعواصف القوية التي كانت تهبّ في تلك الأرض بين الحين والآخر ، وتبلغ من الشدة والقوة بحيث ربما تحتل البعير بصاحبه ، وتلقيه في واد آخر.

ولهذا أصدر ﷺ إلى أصحابه تعليمات احتياطية مشددة فأمرهم بأن يعقلوا آبالهم ولا يخرج أحد منهم في تلك الليلة وحده ، بل يخرج من خبائه مع صاحبه.

وقد اثبتت التجارب والاحداث فيما بعد أن التعليمات الاحتياطية النبوية المذكورة كانت مفيدة جدا ، لأن شخصين من بني ساعدة من الذين كانوا في ركب رسول الله ﷺ تجاهلا هذه التعليمات فخرجا منفردين من

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٢١ و ٥٢٢ ، السيرة الحلبية : ج ٣ ص ١٣٤ و ١٣٥ .

خبائهما ليلا ، فاختنق أحدهما لشدة الرياح ، بينما احتملت الريح الرجل الآخر ، وضربت به الجبل ، ولما علم رسول الله ﷺ بذلك انزعج بشدة وقال :  
« ألم أهلكم أن يخرج منكم أحد إلاّ ومعه صاحبه »<sup>(١)</sup> .  
هذا وقد استعمل رسول الله ﷺ على حرس العسكر « عباد بن بشر » فكان يطوف في أصحابه على العسكر .

ثم أصبح الناس ولا ماء معهم ، وحصل لهم بسبب العطش ما كاد يقطع رقابهم ، حتى حمل ذلك بعضهم على نحر إبلهم ليشقوا أكراشها ، ويشربوا ماءها ، بينما صبر آخرون ، وانتظروا حصول الماء على ظمأ شديد ، وقلوب ملتهبة عطشا .  
ولقد أعان الله تعالى الذي كان قد وعد نبيّه الكريم بالنصر أصحابه المسلمين الأوفياء ، مرة اخرى إذ أرسل سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا ما يحتاجون إليه .

### علم رسول الله بالمغيبات :

لا شك في أن في مقدور رسول الله ﷺ أن يطلع على الغيب ممّا يخفى على الناس ، ويخبر به كما يصرح القرآن الكريم بذلك ، إلاّ أنّ هذا العلم لا ريب محدود ، ويحتاج إلى تعليم الله سبحانه . يقول تعالى :

« لِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ »<sup>(٢)</sup> .

من هنا يمكن أن تخفى على رسول الله ﷺ في بعض الاحايين ، أبسط الامور ، كأن يفقد مفتاحا ، أو يضيع مالا ولا يعرف بمكانه ومصيره ، بينما يقدر ﷺ أن يعلم بأخفى الامور الغيبية واشدها غموضا فيثير حيرة

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ١٣٤ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٢٢ .

(٢) الجن : ٢٦ و ٢٧ .

الناس ودهشتهم وعجبهم.

والسبب في كل ذلك هو ما ذكرناه ، فان مشيئة الله سبحانه لو تعلقت بأن يعلم نبيه بشيء من عالم الغيب ويخبر به علم وأخبر ، وإلا كان ﷺ كغيره من أفراد البشر العاديين .

وفي ضوء هذا البيان لا بد أن ننظر الى القصة التالية :

لما كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق إلى تبوك ضلّت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، فقام أحد المنافقين ، وقال : أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته؟

فقال رسول الله ﷺ وهو يكشف النقاب ببيانه الرائع :

« إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم أنه نبيّ ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلّني الله عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها .»  
فذهب بعض الصحابة من فورهم ، وجاءوا بها <sup>(١)</sup> .

إخباره بمغيّب آخر :

لقد تخلف أبو ذر عن رسول الله ﷺ إذ أبطأ به بعيره ، فانتظره المسلمون ريثما يقوم بعيره ، ولكن دون جدوى فترك أبو ذر البعير ، وأخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيا ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازلهم ونزل المسلمون ليستريحوا فيه بعض الوقت ، وفجأة لاح من بعيد رجل ، فلما نظر إليه ناظر من المسلمين قال : يا رسول الله هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٢٣ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤٥٦ .

« رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده »<sup>(١)</sup> .  
وقد كشف المستقبل عن صحة هذه النبوءة ، فقد توفي أبو ذر في صحراء « الريدة » ،  
وعنده ابنته بعيدا عن الناس في حالة مأساوية<sup>(٢)</sup> .

لقد تحققت نبوءة رسول الله ﷺ في معركة تبوك بعد ثلاثة وعشرين عاما ، فقد نفي  
هذا الصحابي المجاهد الصادق إلى الشام ثم إلى الريدة لا لشيء إلا لأنه جهر بالحق ،  
وطالب بالعدل ، وفقد قواه وطاقاته البدنية شيئا فشيئا حتى غدى طريح الفراش ، في تلك  
المنطقة الوعرة.

وفيما كان يمضي الدقائق الاخيرة من حياته الحافلة بالاحداث والتطورات ، وامراته  
جالسة عنده ترمق محياه المشرق المتعب وقد عرق جبينه ، وهي تمسح بيدها العرق وتبكي  
قال لها : ما يبكيك؟

فقالت : أبكي أنه لا يد لي بتغييرك ( أي ليس لي من يعينني على دفنك ، أوليس  
عندي ثوب يسعك كفنا )!

فارتسمت على شفتي أبي ذر ابتسامة مفرقة وقال : لا تبكي عليّ ، فاني سمعت رسول الله  
ﷺ ذات يوم وأنا عنده في نفر يقول : ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده  
عصابة من المؤمنين ( ثم قال : ) فكل من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وقرية ،  
فلم يبق منهم غيري ، وقد أصبحت بالفلاة أموت فراقبي الطريق ، فانك سوف ترين ما  
أقول لك فاني والله ما كذبت ولا كذبت.

قال هذا وفاضت روحه المباركة<sup>(٣)</sup> .

ولقد صدق أبو ذر ، فقد كانت ثمة قافلة من المسلمين تضم شخصيات

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٢٥ .

(٢) المغازي : ج ٣ ص ١٠٠٠ و ١٠٠١ .

(٣) اسد الغاية : ج ١ ص ٣٠٢ ، الطبقات الكبرى : ج ٤ ص ٢٢٣ ، حلية الاولياء : ج ١ ص ٣٠٢ .

كبرى مثل « عبد الله بن مسعود » و « حجر بن عدي » و « مالك الاشتهر » تتقدم نحو تلك المنطقة.

رأى « عبد الله » من بعيد مشهدا عجيبا ... مشهد جسد بلا روح على قارعة الطريق ، وعند ذلك الجسد امرأة وصبي وهما يبكيان .

فعطف « عبد الله » زمام راحلته نحو ذينك الشخصين وتبعه من معه في القافلة أيضا ، وما أن وقعت عينا عبد الله على ذلك الجسد حتى عرف صاحبه ، فهذا هو رفيقه وأخوه في الاسلام أبو ذر!!

فاغرورقت عيناه بالدموع ، ووقف عند جثمان أبي ذر ، وتدكر نبوءة رسول الاسلام ﷺ في غزوة تبوك وقال : رحم الله أبا ذر يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده .«

ثم صلى ابن مسعود على أبي ذر ، ثم واره الثرى ، وبعد أن فرغ من دفنه ، وقف مالك الاشتهر عند قبره وقال :

اللهم إن هذا صاحب رسول الله ﷺ عبدك في العابدين ، وجاهد فيك المشركين ، لم يغيّر ولم يبدّل لكنّه رأى غريبا منكرا فغيّره بلسانه وقلبه ، حتى جفني ونفسي وحرّم واحتقر ثم مات وحيدا غريبا<sup>(١)</sup> .

وقد اشار السبكي في ابيات له إلى هذا كما في السيرة الحلبية :

وعاش أبو ذر كما قلت وحده ومات وحيدا في بلاد بعيدة

---

(١) ذكر المؤرخون قصة وفاة أبي ذر ودفنه بصور مختلفة ، فيستفاد من بعض المصادر التاريخية أن أبا ذر كان على قيد الحياة عند ما قدمت القافلة المذكورة وتحدث مع رجالها ، ولكن بعض المصادر الاخرى تنص على أنه مات قبل قدوم تلك القافلة الى تلك المنطقة كما أنه صرح البعض أن زوجة أبي ذر وابنه حملا جثمانه إلى قارعة الطرق بينما قال آخرون أن زوجته وابنه جلسا على قارعة الطريق ودلا القافلة على محل جثمانه الطاهر ، راجع للوقوف على ذلك الطبقات الكبرى : ج ٤ ص ٣٤ - ٢٣٢ ، والدرجات الرفيعة : ص ٥٣ .

## جيش الإسلام في أرض تبوك :

حلّ جيش التوحيد في مطلع شهر شعبان سنة تسع من الهجرة في أرض تبوك ، ولكن دون أن يرى أثرا عن جيش الروم ، وكأنّ جنود الروم لما علموا بكثرة جنود الاسلام ، وبشهامتهم وتضحيتهم النادرة التي شهدوا نموذجا منها عن كذب في معركة « مؤتة » رأوا من الصالح ان ينسحبوا إلى داخل بلادهم ولا يواجهوا المسلمين ، ويثبتوا بذلك عملياً نبأ اجتماعهم ضدّ المسلمين ، ويتظاهروا بأنه لم تراودهم فكرة الهجوم على المسلمين قط ، وأن هذا النبأ لم يكن إلاّ شائعة لا أكثر ، فيثبتوا من هذا الطريق حيادهم بالنسبة للحوادث والوقائع التي تحدث في الجزيرة العربية (١).

في هذه اللحظة جمع رسول الاسلام ﷺ قادة جيشه الكبار ، وتبعاً للاصل الاسلامي « وشاورهم في الأمر » تحدث معهم حول التقلمّ في أرض العدو أو الرجوع إلى المدينة وشاورهم في ذلك.

فكانت نتيجة التشاور هي أن على الجيش الاسلامي الذي تحمّل مشاق كثيرة في هذه السفرة ، أن يعود إلى المدينة ، ليستعيد نشاطه ، وقواه ، هذا مضافاً إلى أن المسلمين حققوا هدفهم السامي من هذه السفرة وهو تفريق جيش الروم وتبديد اجتماعهم بعد القاء الرعب الشديد في قلوبهم ، وقد يبقى هذا الرعب في قلوب الروميين إلى مدة مديدة بحيث يصرفهم عن فكرة تسيير جيش للهجوم على المسلمين ، وهذا القدر من النتيجة التي من شأنها أن تضمن أمن الحجاز من ناحية الشمال ردحا من الزمن تكفي للمسلمين فعلاً حتى يقضي الله ما يقضي في المستقبل.

---

(١) يكتب الواقدي في المغازي : ج ٣ ص ١٠١٤ و ١٠١٥ أقام رسول الله بتبوك عشرين ليلة وهكذا يقول : إن النبي بعد أن صلى الفجر ذات يوم جمع الناس ، فخطب فيهم خطبة بليغة ضمّنها مواعظ وتعاليم عظيمة كثيرة ثم ادرج نص الخطبة.



ولقد اضاف كبار المشيرين . حفاظا على مكانة الرسول القائد ، وإشعارا بان رأيهم هذا قابل للأخذ والرد . قائلين : إن كنت امرت بالسير فسر (١) .

فقال رسول الله ﷺ :

« لو امرت به ما استشرتكم فيه » .

وهكذا احترم رسول الله ﷺ آراء مشاوريه ورضى بالعودة إلى المدينة (٢) .

وحيث كان هناك حكام وولاة يعيشون في المناطق الحدودية السورية والحجازية لهم نفوذ كبير في قبائلهم ومناطقهم ، وكانوا جميعا نصارى ، ولهذا كان من المحتمل بقوة أن يستغل الروم قواهم ضد الاسلام ، ويحملوا بمساعدتهم على الحجاز .

ولهذا كان يتعين أن يعقد معهم رسول الله ﷺ معاهدة عدم اعتداء ، ليأمن جانبهم ويحصل على أمن أوسع ، فأجرى ﷺ اتصالات مباشرة مع اولئك الحكام والولاة الذين كانوا يعيشون على الشريط الحدودي على مقربة من تبوك وعقد معهم معاهدات عدم تعرض واعتداء بشروط خاصة كما أرسل مجموعات إلى النقاط النائبة عن تبوك ليحقق بذلك مزيدا من الأمن للمسلمين .

لقد اتصل رسول الله ﷺ شخصيا بزعماء « أيلة » و « أذرح » و « الجرياء » ، وتم عقد معاهدة عدم تعرض واعتداء بين الجانبين . و « أيلة » مدينة ساحلية تقع على ساحل البحر الأحمر ، ولا تبعد عن الشام كثيرا ، وكان زعيم تلك المنطقة هو « يوحنا بن روبة » ، فهو يوم اتي به إلى النبي ﷺ وعليه صليب من ذهب على عادة النصارى ، قدّم لرسول الله صلى الله عليه

---

(١) المغازي : ج ٣ ص ١٠١٩ .

(٢) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ١٤٢ .

وآله فرسا أيضا ، وأعلن عن طاعته لرسول الله ﷺ ، فاحترمه النبي وكرمه ، وصالحه ، وكساه بردا يميناً .

وقد قبل « يوحنا » هذا أن يبقى على نصرانيته شريطة أن يدفع للنبي جزية قدرها ثلاثمائة دينار سنويا وعلى أن يحسن إلى من يمر على أيلة من المسلمين وكتب له رسول الله ﷺ كتاب أمان وقّعه الطرفان ، وإليك نص الكتاب المذكور :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا بن رؤبة وأهل أيلة لسفنهم وسياراتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله ولمن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، ومن أحدث حدثا ، فانه لا يحول ماله دون نفسه ، وأنه طيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر وبحر .

هذا الكتاب يكشف عن قاعدة مهمّة في السياسة الاسلامية وهي أن أي شعب أراد أن يسالم المسلمين وفر الاسلام له كل أمن وسلام<sup>(١)</sup> .

ثم إن رسول الله ﷺ صالح بقية الحكام الحدوديين مثل سادة أقوام « أذرج » و « جرباء » التي كانت تتمتع باهمية استراتيجية ، وبذلك ضمن أمن المنطقة الاسلامية من ناحية الشمال .

### بعث خالد إلى دومة الجندل :

على طريق تبوك كانت تقع منطقة عامرة خضراء ذات أشجار وزروع ومياه جارية تضم حصنا منيعا ، وتبعد عن الشام بما يقرب من خمسين فرسخا ، تسمى « دومة الجندل »<sup>(٢)</sup> وكان يحكمها يومذاك رجل مسيحي يدعى « أكيدر بن

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٢٦ ، السيرة الحلبية : ج ٣ ص ١٤١ ، بحار الأنوار : ج ٢١ ص ١٦٠ .

(٢) يقول الواقدي في المغازي : ج ٣ ص ١٠٢٥ تقع دومة الجندل على عشرة اميال من المدينة .

عبد الملك « .

وحيث أن رسول الله ﷺ كان يخشى هجوماً آخر من الروم ، والاستعانة بحاكم دومة المسيحي وبهذا يعرضون أمن الحجاز للخطر ، لذلك رأى ﷺ أن يستفيد من قوته الحاضرة أكبر قدر ممكن فبعث مجموعة من المقاتلين بقيادة خالد بن الوليد إلى المنطقة المذكورة لتطويعها وتطويع حاكمها .

فتوجه خالد مع فرسانه إلى دومة الجندل حتى اقتربوا إلى حصنها ، وكنوا قريباً منه . وفي تلك الليلة خرج « أكيدر » وأخوه « حسان » من الحصن ومعه نفر من أهل بيته للصيد فلما ابتعدوا عن الحصن حاصروهم خيل خالد وأسروا « أكيدرا » بعد قليل من القتال والمواجهة ، وقتل أخوه « حسان » ولجأ البقية إلى الحصن ، واعتصموا به ، فصالح خالد « أكيدرا » على أن يطلب له ولقومه الأمان من رسول الله ﷺ لقاء أن يفتح أبواب الحصن في وجوه المسلمين ويلقي أهلها الأسلحة .

فأمر أكيدر الذي كان يثق بصدق المسلمين واحترامهم لوعودهم وعهودهم ، أمر قومه أن يفتحوا أبواب الحصن ويسلموا للمسلمين ، ويلقوا أسلحتهم ويتركوا القتال ، وكانت الأسلحة تبلغ أربعمئة درع ، وأربعمئة رمح وخمسمئة سيف ثم توجه خالد بأكيدر وقومه وما حصل عليه من الغنائم إلى رسول الله ﷺ فخلبت منظر الديباج المخوص بالذهب عيون جماعة من طلاب الدنيا . فآخذوا يتلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه فقال رسول الله ﷺ وهو لا يكثر بتلك الثياب :

« فوالذي بنفسى لمناديل الجنة أحسن من هذا » .

لقد حضر « أكيدر » عند رسول الله ﷺ وامتنع عن قبول الإسلام إلا أنه رضي بأن يعطي الجزية للمسلمين ، وصالحه النبي صلى الله

عليه وآله على ذلك وكتب له كتابا ، ثم أهدى له ﷺ هدية واستعمل على حرسه «  
عباد بن بشر» ليوصله الى دومة الجندل سالما<sup>(١)</sup>.

### تقييم إجمالي لغزوة تبوك :

إن النبي الاكرم ﷺ وإن لم يلق في هذا السفر الشاق كيذا ولم يواجه العدو ، ولم  
يقاتل إلا أن هذه السفارة عادت عليه بسلسلة من الفوائد المعنوية والروحية هي :

أولا : صعود مكانة وسمعة الجيش الاسلامي ، فقد زاد من عظمته وقوته في قلوب سكان  
الحجاز ، وحكام المناطق الحدودية السورية ، وعرف الصديق والعدو أن المقدرة العسكرية  
الاسلامية بلغت من القوة والعظمة بحيث أصبح في مقدورها أن تواجه أكبر القوى العالمية  
وتقارعها ، وتلقي الرعب والخوف في قلوبها.

إن انتشار هذا الموضوع بين القبائل العربية التي عجنت جبلتها بروح التمرّ والطغيان  
أوجب أن تتخلى عن فكرة الطغيان والمعارضة ، والتأمر ضدّ الاسلام ردحا من الزمن ، وأن  
لا تفكر في هذه الامور.

ولهذا السبب أخذت وفود القبائل التي لم تخضع للاسلام حتى ذلك اليوم تفد تباعا على  
رسول الاسلام ﷺ بعد رجوعه من تبوك الى المدينة ، وتظهر لرسول الله ﷺ طاعتها  
وخضوعها حتى سمي ذلك العام بعام الوفود لضخامة عدد تلك الوفود والبعثات التي قدمت  
المدينة على رسول الله ﷺ.

ثانيا : ضمن المسلمون عن طريق عقد المعاهدات المختلفة المتعددة مع حكام المناطق  
الحدودية الحجازية والسورية أمن هذه المنطقة ، واطمأنوا بسببها إلى أنهم سوف لن يتعاونوا  
مع جيش الروم ، ولن يدخلوا مع تلك الدولة في مؤامرة ضدّ

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٦٦ ، بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٢٤٦.

الاسلام والمسلمين.

ثالثا : مهّد رسول الله ﷺ بهذا السفر الشاق الطريق لفتح الشام ، فقد عرف قادة جيشه طرق هذه المنطقة ومشاكلها ، وعلمهم كيفية تجييش الجيوش الكبرى في وجه القوى العظمى في ذلك العصر ، من هنا كانت الشام وسورية هي أوّل منطقة فتحها المسلمون بعد وفاة رسول الله ﷺ .

رابعا : تميّز المؤمن عن المنافق في هذه التعبئة العامة وحصلت عملية تصفية وفرز كبيرة وعميقة في جماعة المسلمين.

### المنافقون يخطّطون لاغتيال النبي :

أقام رسول الله ﷺ مدة بضعة عشرة يوما في تبوك<sup>(١)</sup> وبعد أن بعث خالد إلى « دومة الجندل » توجه بالمسلمين الى المدينة. ولدى العودة تأمر (١٢) منافقا ثمانية منهم من قريش والباقي من أهل المدينة لاغتيال رسول الله ﷺ في أثناء الطريق وقبل أن يصل إلى المدينة ، وذلك بتنغير ناقة النبي ﷺ في عقبة بين المدينة والشام ليطرحوه في واد كان هناك. وعند ما وصل الجيش الاسلامي إلى بداية تلك المنطقة (العقبة) قال رسول الله ﷺ :

« من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنّه أوسع لكم ».

فأخذ الناس بطن الوادي ، ولكن رسول الله ﷺ أخذ طريق العقبة فيما يسوق « حذيفة بن اليمان » ناقة النبي ، ويقودها « عمار بن ياسر » فبينما هم يسرون إذ التفت رسول الله ﷺ إلى خلفه ، فرأى في ضوء

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٢٧ وذهب ابن سعد في الطبقات انه مكث بتبوك عشرين يوما ( ج ٢ ص ١٦٨ ).

ليلة مقمرة فرسانا متلثمين لحقوا به من ورائه لينقروا به ناقته ، وهم يتخافتون ، فغضب رسول الله ﷺ ، وصاح بهم وأمر حذيفة أن يضرب وجوه رواحلهم. قائلا : اضرب وجوه رواحلهم.

فأرعبهم رسول الله ﷺ بصياحه بهم إرعابا شديدا ، وعرفوا بان رسول الله ﷺ علم بمكرهم ومؤامرتهم ، فاسرعوا تاركين العقبة حتى خالطوا الناس.

يقول حذيفة : فعرفتهم برواحلهم وذكرتهم لرسول الله ﷺ وقلت : يا رسول الله ألا تبعث إليهم لتقتلهم؟ فاجابه رسول الله ﷺ في لحن ملؤه الحنان والعاطفة :  
« إن الله أمرني أن اعرض عنهم ، واكره أن يقول الناس أنه دعا اناسا من قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا له فقاتل بهم حتى ظهر على عدوّه ثم أقبل عليهم فقتلهم ولكن دعهم يا حذيفة فان الله لهم بالمرصاد »<sup>(١)</sup>.

وقد أنزل الله سبحانه إثر هذه الحادثة الآية ٦٥ من سورة التوبة التي قال تعالى فيها : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب »<sup>(٢)</sup>.

### النية تقوم مقام العمل :

ليس ثمة مشهد أعظم جلالا من مشهد جيش فاتح يعود إلى أحضان الوطن ، كما ليس هناك أمر ألدّ وأهنا عند الجندي المجاهد من الغلبة على العدو ، التي تحفظ أمجاده ، وتضمن بقاء كيانه ، وسلامته ، وقد تجلّى هذان الأمران عند عودة الجيش الاسلامي المنتصر إلى المدينة.

لقد دخل الجيش الاسلامي الفاتح المدينة بجلال عظيم بعد أن طوى المسافة

(١) المغازي : ج ٣ ص ١٠٤٢ . ١٠٤٥ ، مجمع البيان : ج ٣ ص ٤٦ بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٢٤٧ ،

الدرجات الرفيعة : ص ٢٩٨ و ٢٩٩ و امتاع الاسماع : ج ١ ص ٤٧٧ .

(٢) راجع مجمع البيان : ج ٣ ص ٤٦ .

بين « تبوك » و « المدينة » ، وكانت تغمر جنود الاسلام فرحة كبيرة ، وتظهر على كلماتهم وأعمالهم أمارات الاعتزاز لما أحرزوه من غلبة على العدو ، ومن أداء لحق الجندية ، وكان السبب واضحا لأتّهم أربعوا دولة قويّة سبق لها أن هزمت الامبراطورية الايرانية ، فهم أخافوا الروم التي انسحبت من تبوك قبل وصول المسلمين إليها ، وهم طوّعوا حكام وزعماء المدن والمناطق الحدودية السورية والحجازية ، وأخضعوهم للدولة الاسلامية .

لا شكّ أنّ الغلبة على العدو فخر عظيم أصاب هذا الجيش ، وكان طبيعيا أن يفتخر أفراد هذا الجيش ويتباهوا على الذين تخلفوا في المدينة من دون عذر ، ولكن حيث أن مثل هذا النمط من التفكير وهذه العودة الظافرة كان من الممكن أن يوجد غرورا لدى البعض فيسيئوا إلى بعض الذين تخلفوا في المدينة الذين بقوا فيها لعذر وقلوبهم مع جنود الاسلام ، ويشاركونهم بافئدتهم في أفراحهم ، وأتراحهم لهذا التفتت رسول الله ﷺ وهم على مشارف المدينة وقد توقّفوا خارج المدينة بعض الوقت :

« إن بالمدينة لأقواما ما سرتم سيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم » .

قالوا يا رسول الله : وهم بالمدينة؟

قال : « نعم ، حبسهم العذر » <sup>(١)</sup> .

أجل أنهم كانوا يتشوّقون إلى الجهاد هذا الواجب الاسلامي الكبير ، ولكن العذر منعهم من الاشتراك فيه .

إن النبي الاكرم بهذه العبارة المقتضية اشار . في الحقيقة . إلى واحد من البرامج الاسلامية التربوية ، وذكر بأن النية الطيبة والفكر الصالح يقوم مقام العمل الصالح الطيب ، وأن الذين يجرمون من القيام بالأعمال الصالحة لافتقادهم القدرة عليها أو فقدان الامكانيات يمكنهم أن يشاركوا الآخرين في

---

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ١٦٣ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٢١٩ .

ثواب العمل الصالح اذا نواوا ذلك ، واشتاقوا إليه قلبيا .

إذا كان الاسلام يهتمّ باصلاح الظاهر ، فانه يهتمّ أكثر باصلاح القلب والفكر ، باصلاح الباطن والسرية ، لأن اصلاح العقيدة وطريقة التفكير هو منبع جميع الاصلاحات ، وأعمالنا كلها وليدة أفكارنا ونوايانا .

إذا خُفّ النبي الاكرم بقوله هذا من غلواء المجاهدين وغرورهم ، وحفظ مكانة المعذورين من المخلفين فلا يلحق بهم هوان إلا أنه قرّر في نفس الوقت أن يوتّخ المتخلفين من دون عذر ويلقّنهم درسا لن ينسوه ، وللنموذج ننقل هنا قصة ثلاثة من المتخلفين .

### أخذ المتخلفين بالعقاب النفسي :

يوم اعلن في المدينة عن التعبئة العامة تخلّف ثلاثة من المسلمين في المدينة هم : « هلال بن أمية » ، و « كعب بن مالك » و « مرارة بن الربيع » فقد حضر هؤلاء عند رسول الله ﷺ لدى خروجه إلى تبوك واعتذروا إليه بمعاذير عن الاشتراك في الجهاد ، فاعتذر أحدهم ، بأن الوقت هو وقت إدراك الثمر ، وأنهم سيلتحقون بجيش الاسلام إذا فرغوا من الحصاد والقطاف .

إن هؤلاء وامثالهم ممن يريدون الدين والدينار ، وهمّهم مصالحهم المادية الشخصية والاستقلال السياسي معا يعانون من نظرة ضيقة وقصيرة تعادل اللذائذ المادية العابرة بالحياة الانسانية الشريفة ، التي تتحقق تحت لواء الاستقلال الفكري والسياسي والثقافي ، بل ربما رجّحوا الاولى على الثانية .

ولهذا كان على النبي ﷺ . بعد العودة . أن يؤدّب مثل هذه العناصر حتى لا تسري عدوى هذه الحالة المرضية إلى الآخرين .

إنهم لم يتخلّفوا عن هذا الجهاد فحسب ، بل لم يعملوا بالعهد الذي أعطوه لرسول الله ﷺ أيضا ، فإنهم انشغلوا بالتجارة ، وجمع المال حتى فوجئوا بعودة رسول الله ﷺ المظفّرة إلى المدينة فبادروا عند



ذلك لملاقاة ما بدر منهم من تخلف إلى الحضور عند رسول الله ﷺ للتسليم عليه وتقديم  
التهاني إليه كما فعل الآخرون.

إلا أن رسول الله ﷺ أعرض بوجهه عنهم ولم يكثر بهم ، وعند ما تحدث رسول  
الله ﷺ بالكلام في ذلك الاجتماع العظيم وسط موجة من الفرح والابتهاج كان أوّ ما  
قاله هو :

« لا تكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة ».

ومع أن عدد المتخلفين كان يقارب التسعين شخصا ، إلا أن أكثرهم حيث كانوا من  
المنافقين ، ولم يكن يتوقع منهم أن يشاركوا المسلمين في جهاد العدو لهذا تركّز ثقل هذه  
القطيعة على هؤلاء المسلمين الثلاثة الذين كان بعضهم سبق منه أن اشترك في غزوة بدر مثل  
« مرارة » و « هلال » ، وكانت لهم شخصية ومكانة بين المسلمين!!

ولقد تركت سياسة رسول الله ﷺ الحكيمة التي كانت جزء لا ينفك من دينه أثرا  
عجيبا ، فقد تعطلت التجارة والأخذ والعطاء مع المتخلفين ، وكسدت بضائعهم ، ولم  
يشتريها أحد ، وقطع أقرب أقرباء المتخلفين روابطهم وعلاقتهم مع المخلفين المذكورين أتباعا  
لأوامر النبي ﷺ ، وتركوا حتى الحديث العابر معهم.

ففعلت مقاطعة الناس للمخلفين فعلتها ، وضغطت عليهم نفسيا بشدة حتى ضاقت  
عليهم الأرض على رحابتها في نظرهم كما يقول القرآن الكريم.

« حَتَّىٰ فِي لِقَاءِ آلِهِمْ الْأَرْضَ بِمَا رَحَّبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ » (١).

ولكن هؤلاء الثلاثة المقرون بفراسة كاملة أدركوا أن العيش في البيئة الاسلامية لا يمكن إلا  
بالالتحاق الحقيقي بصفوف المسلمين ، وأنه لا دوام لحياة الأقلية الصغيرة أمام الاكثرية  
القاطعة ، وبخاصة اذا كانت الأقلية تتألف من

---

(١) التوبة : ١١٨ ، وتذكر التفاسير كيفية توبتهم وإنابتهم على وجه التفصيل فليراجعها من يريده.

جماعة مشاغبة ومغرضة.

هذه المحاسبات من جانب ، والانجذاب الفطريّ من جانب آخر دفعت بمؤلاء المخلفين إلى العودة إلى حظيرة الايمان الواقعي ، وأن يظهرُوا ندمهم على فعلهم القبيح بالتوبة الى الله ، والانابة إليه ، وقبل الله تعالى توبتهم ، وأخبر نبيّه الكريم بعفوه عنهم فبادر النبي ﷺ من فوره إلى الاعلان عن عفوه ورفع المقاطعة عنهم<sup>(١)</sup> .

### قصة مسجد الضّرار :

كانت « المدينة » و « نجران » تعتبران بالنسبة إلى أهل الكتاب منطقتين واسعتين ومركزيتين في شبه الجزيرة العربية ، فقد كانوا يتمركزون في هاتين المنطقتين أكثر من أي مكان آخر ، ولهذا اعتنق فريق من عرب الأوس والخزرج الدين المسيحي واليهودي . ويبدو أن « ابا عامر » والد « حنظله غسيل الملائكة » المستشهد في غزوة احد ، كان قد رغب في الدين المسيحي في العهد الجاهلي ، فانسلك في صفوف الرهبان ، فلما ظهر نجم الاسلام من افق المدينة بعد هجرة النبي إليها ، واحتوى الدين الجديد الأديان الاخرى انزعج « أبو عامر » من هذه الظاهرة بشدة ، فشرع بصدق في التعاون مع منافقي الأوس والخزرج . وقد عرف رسول الله ﷺ بخططهم التخريبية ، وأراد اعتقاله ، فخرج « أبو عامر » من المدينة الى مكة ، ومن مكة الى الطائف ، وهرب من الطائف بعد سقوطها إلى الشام ، واخذ يقود من هناك شبكة تجسّسية لحزب المنافقين .

---

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ١٦٥ ، بحار الأنوار : ج ١٠ ص ١١٩ وهذا النوع من المحاربة التي سلكها النبي مع المخلفين علّم المسلمين درسا كبيرا ومفيدا في مقابل الاقليات الصغيرة ، وهو لا يحتاج إلا إلى الاخلاص والاتحاد والعزم هذا ويذكر الواقدي في المغازي : ( ج ٣ ص ١٠٤٩ . ١٠٥٦ ) قصة هؤلاء المخلفين بصورة أكثر تفصيلا ممّا ذكرناه هذا .

وقد كتب الى المنافقين في المدينة في إحدى رسائلهم ان استعدوا وابنوا مسجدا في قباء في مقابل مسجد المسلمين وصلوا فيه في أوقات الصلاة ليتمكنكم . تحت غطاء أداء الفرائض .  
التحدث حول الامور المتعلقة بالاسلام والمسلمين ، وكيفية تنفيذ المؤامرات الحزبية ضدهم .  
لقد كان « ابو عامر » على غرار أعداء الاسلام في العصر الحاضر يرى أن أفضل وسيلة لهدم واستئصال الدين في بلد يسوده الدين هو الاستفادة من نفس سلاح الدين ، ومن المعلوم أنه يمكن توجيه الضربة إلى الدين باسم الدين أكثر من أي عامل أو وسيلة اخرى .  
لقد كان « ابو عامر » يعلم أن النبي ﷺ لا يسمح لحزب المنافقين بإقامة مركز لهم مطلقا إلا إذا كان لذلك صبغة دينية ، وكان تحت عنوان مسجد .

عند ما كان رسول الله ﷺ يتجهز إلى « تبوك » أتاه جماعة من المنافقين وطلبوا منه ان يسمح لهم ببناء مسجد في محلتهم بقباء بحجة أن ذوي العلة والحاجة لا يمكنهم أن يقطعوا المسافة بين قباء ومسجد النبي للصلاة معه ﷺ في الليلة المطيرة والليلة الشاتية ، فأوكل النبي ﷺ أمر النظر في طلبهم الى ما بعد العودة من تبوك <sup>(١)</sup> .

غير أن حزب النفاق بادروا الى اختيار نقطة من الأرض في قباء ، واسرعوا في اقامة مركز لهم تحت غطاء المسجد ولما عاد النبي ﷺ من تبوك حضروا عنده وطلبوا منه أن يصلي فيه ركعتين ليسبغوا بذلك الشرعية على مركزهم ، وفي هذا الاثناء نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ وأخبره بحقيقة هذا الأمر ، وسمّاه في آيات نزل بها على النبي بمسجد الضرار ، ووصفه بأنه مركز بني لايجاد الفرقة بين المسلمين ، والتأمر عليهم إذ يقول تعالى :

---

(١) المغازي : ج ٣ ص ١٠٤٦ .

« لَدَيْهِ تَخَدُّوا سَعْدًا فَوَراً أَسْفُراً بِتَرْتِيبٍ ۚ الْمُؤْمِنِينَ وَرِصَادًا لِمَنْ حَارَ اللَّهُ  
وَسَبَّوْهُ مِنْ قَبْلِ وَلِيَحْلِفُنَا إِنْ لَرْنَا إِلَّا الْحُسْبَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا  
لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ  
يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ »<sup>(١)</sup>.

فأمر النبي ﷺ فورا بإحراق ذلك المسجد وتسويته بالأرض فحرقَّ وهلمَّ وسيَّ  
بالأرض وتحوَّ مكانه إلى مزبلة فيما بعد<sup>(٢)</sup>.

إن تحريق وهدم مسجد الضرار كانت ضربة قاضية لحزب التَّفَاق فمُنذُذ تلاشت وشائج  
وروابط ذلك الحزب الخبيث ، وهلك حاميتهم الوحيد عبد الله بن أبي بعد شهرين من غزوة  
تبوك.

ولقد كانت غزوة تبوك آخر الغزوات الاسلامية التي شارك فيها رسول الله ﷺ إذ لم  
يشارك ﷺ بعدها في أي قتال.

---

(١) التوبة : ١٠٧ و ١٠٨ .

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٣٠ ، بحار الأنوار : ج ٢٠ ص ٢٥٣ .

## وفد ثقيف في المدينة

انتهت غزوة تبوك بكل مشاكلها ، ومتاعبها الكثيرة وعاد جنود الاسلام المجاهدون الى المدينة بابدان متعبة من وعناء السفر ، وبعد الطريق ، ولم يلق جنود الاسلام كيذا ولم تحصل بينهم وبين الجيش الرومي اية مواجهة كما ولم يواجهوا عدوا طوال ذلك الطريق ، ولم يغموا غنيمة. من هنا اعتبر بعض السبلجّ من المسلمين تسيير هذا الجيش الضخم عملا لغوا وعبثا ، وذلك لأنهم لم يعرفوا بالآثار والنتائج غير المرئية لهذه الحركة العسكرية الواسعة ، ولم يمض وقت كبير إلا واتضح نتائجها ، فقد أسلمت على أثر هذه المناورة العسكرية العظمية أشد القبائل عداء وعنادا للاسلام ، وخضعت لسلطان المسلمين ، بايفاد مندوبيها ووفودها إلى المدينة ، وإظهار الطاعة والاسلام عن طريقها ، كما أنها عمدت الى فتح أبواب حصونها الحصينة في وجه المسلمين ليحطّموا أصنامها وأوثانها ، وينصبوا على حطامها ألوية التوحيد.

ان الجماعات السطحية التفكير القصيرة النظر تهتم . عادة . بالنتائج المرئية الحاضرة ، فمثلا إذا واجه جنود الاسلام خلال الرحلة عدوا ، وقتلوه وقضوا عليه ، وغنموا غنائم من أمواله قالت هذه الجماعة : لقد حققت هذه العملية العسكرية نتائج باهرة!!

ولكن أصحاب الرؤية العميقة والنظرة البعيدة يحلّلون الامور على غير هذا النمط ، فهم يمتدحون أي عمل يخدم الهدف والنتيجة النهائية ويعتبرونه نجاحا باهرا.

ومن حسن الاتفاق أن غزوة تبوك خدمت هدف النبي ﷺ وهو اجتذاب الاقوام العربية الى الاسلام . خدمة كبرى . ، لأنه قد شاع في جميع أنحاء الجزيرة العربية أن الروميين ( الذين غلبوا الايرانيين الذين طالما سادوا نصف المعمورة في ذلك الوقت وحكموا حتى اليمن وما حولها في آخر حروبهم ، واستعادوا منهم صليبيهم واعادوه إلى بيت المقدس ) اربعوا بالقوة الاسلامية الكبرى ، وانصرفوا عن مقابلة جنود الاسلام.

لقد دفع هذا النبأ اشدّ القبائل عنادا ، والتي كانت حتى يوم أمس غير مستعدة للتعايش مع الاسلام والخضوع له ، دفعها إلى أن تغيّر من مواقفها المتعنتة المتصلبة ، وتفكر في التعاون والتعايش مع المسلمين ، ولكي تسلم من عدوان القوى الكبرى في ذلك اليوم ( إيران والروم ) انضوت تحت لواء الاسلام ، واعلنت عن انتمائها إليه . وإليك فيما يلي نموذج من هذه التطورات التي حدثت في مواقف تلك القبائل العربية المعادية للاسلام.

### وقوع الفرقة والاختلاف في قبيلة ثقيف :

كانت قبيلة ثقيف معروفة بطغيانها وعنادها العجيب بين القبائل العربية ، ولقد قاوموا حصار الجيش الاسلامي لهم مدة شهر واحد معتصمين بحصونهم في الطائف ولم يسلموا<sup>(١)</sup> . هذا وكان « عروة بن مسعود الثقفي » وهو أحد سادة ثقيف قد علم بانتصار المسلمين الكبير في أرض تبوك ، فقدم على رسول الله ﷺ قبل أن يدخل المدينة ، وأسلم على يديه واستأذنه في أن يذهب إلى الطائف ، ليدعو قبيلته إلى دين التوحيد فحذره رسول الله ﷺ من مخاطر هذا العمل لأنه ﷺ كان يعرف أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان

(١) المغازي : ج ٢ ص ٩٢٢ - ٩٣٨ .

منهم.

وقال له : انهم قاتلوك.

فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم ، ( أو من أبصارهم ) ، وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً.

ولقد كان قوم عروة وسائر قادة ثقيف لم يدركوا بعد ما أدركه عروة من عظمة الاسلام ، وكان فيهم نخوة وكبر يمنعهم من الخضوع للحق.

ولهذا قرير<sup>١</sup> أن ترشق بالنبال والسهم أول داعية أتاها ليدعوها إلى الاسلام ... وهكذا رشقوا بالنبال « عروة » في الوقت الذي كان يدعوهم إلى الاسلام ، فقال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة : كرامة اكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلي<sup>(١)</sup>.

### وفد ثقيف :

ندم رجال ثقيف . بعد مقتل عروة . على فعلهم هذا بشدة وعرفوا بأن الحياة لم تعد ممكنة وميسرة لهم في قلب الحجاز الذي رفعت على جميع مناطقه ألوية التوحيد وخاصة بعد أن أصبحت جميع المراعي والطرق التجارية تحت رحمة المسلمين ، فقرروا في ندوة مشاورة عقدت لدراسة مشكلاتهم أن يبعثوا مندوباً من قبلهم إلى المدينة ليتفاوض مع رسول الله ﷺ ويعلن له عن استعداد قومه لاعتناق دين التوحيد ضمن شروط معينة ، واتفقوا على إيفاد « عبديالليل » إلى المدينة وإبلاغ رسالتهم إلى رسول الله ﷺ ولكن عبد يالليل رفض القيام بهذه المهمة وقال : لست فاعلاً ذلك حتى ترسلوا معي رجالاً ، لأنه كان لا يتق بثبات رأيهم ، وكان يخشى أن يصنعوا به ما صنعوا بعروة بن مسعود. فاتفقوا ان يبعثوا معه خمسة رجال من ثقيف ليقوموا جميعاً بالقدوم

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٣٧ و ٥٣٨ .

على رسول الله ﷺ والتفاوض معه.

توجه هذا الوفد السداسي إلى المدينة ، ونزلوا بعد طي مسافة خارج المدينة عند قناة فألفوا عندها المغيرة بن شعبة الثقفي يرعى خيولا لأصحاب رسول الله ﷺ .  
فلما رأى المغيرة زعماء قبيلته وعرف هدفهم وثب يشتد الى المدينة ليشير رسول الله ﷺ بعد أن ترك الخيول عند الثقفيين ، وليخبره بقرار قبيلة ثقيف التي طال عنادها ، فلقى أبو بكر قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ فأخبره المغيرة عن ركب ثقيف ، فرجاه أبو بكر أن يسمح له بتبشير النبي ﷺ قبل أن يحدثه المغيرة بالأمر ففعل المغيرة فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ فأخبره بقدمهم عليه وأنهم جاءوا ليعتقوا الاسلام بشروط ، فأمر رسول الله ﷺ باكرامهم ، وضرب لهم قبة في ناحية مسجده ، وكلف خالد بن سعيد بالقيام بشئون ضيافتهم.

ثم حضر وفد ثقيف عند رسول الله ﷺ ومع أن المغيرة كان قد علمهم كيف يجيئون رسول الله ﷺ فانهم حيّوه بتحية الجاهلية تكبرا منهم وغرورا ثم أخبروا رسول الله ﷺ برأي ثقيف وأضافوا أنهم مستعدون لاعتناق الاسلام ضمن شروط خاصة ، سوف يعرضونها عليه في جلسة تالية.

واستمرت مفاوضات وفد ثقيف مع رسول الله ﷺ عدة أيام ، وكان « خالد بن سعيد » هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ في هذه المفاوضات.

### شروط وفد ثقيف :

قبل رسول الله ﷺ كثيرا من شروط ثقيف حتى انه ضمن لاهل الطائف . ضمن ذلك العهد . أمن منطقة الطائف وما يرتبط بالطائفين من



أراض ، ولكن بعض شروطهم كانت غير صحيحة ، ووقحة الى درجة أن النبي ﷺ غضب بسببها ، ولا بأس بأن نتعرض لذكر بعض هذه الشروط :

قال وفد ثقيف : ان قبيلة ثقيف مستعدة لان تعتنق الاسلام شريطة أن يترك بيت أصنامهم على حاله ، وأن يعبدوا « اللات » وهو صنم القبيلة الاكبر مدة ثلاث سنين فأبى رسول الله ﷺ .

فلما رأوا غضب النبي واباءه أخذوا يتنازلون عن المدة التي ذكروها سنة سنة وهو يأبى عليهم حتى سألوها شهرا واحدا ، فأبى عليهم أن يدعها ولا يوما .

ولقد كان مثل هذا الطلب من النبي ﷺ الذي كان نشر التوحيد ، وهدم بيوت الاصنام ، وتحطيم الاوثان يشكل هدفه الاساسي كان طلبا مخجلا جدا ، ولقد كان مثل هذا الطلب يكشف عن أنهم كانوا يريدون إسلاما لا يضر بمصالحهم المادية وميولهم الباطنية ، أما إذا كان غير هذا فلن يقبلوه ولن يرضوا به .

ولهذا عند ما عرف وفد ثقيف بقبح مطلبهم هذا بادروا إلى التعلل والاعتذار بأنهم إنما أرادوا بذلك إرضاء نسائهم وذرائعهم وسفهاء قبيلتهم ، حيث إنهم يكرهون أن يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الاسلام ، فاذا أبى رسول الله ﷺ عليهم ذلك فليعت معهم شخصا من غير قبيلتهم ليهدمها ، فوافق النبي ﷺ على هذا الشرط ، لأن النبي ﷺ كان يريد محو وازالة جميع المعبودات الباطلة عن الحياة البشرية سواء أتم هذا على أيدي الطائفيين أم على أيدي غيرهم .

والشرط الآخر هو أن يعفيهم رسول الله ﷺ من الصلاة .

فلقد كانوا يتصورون أن رسول الله ﷺ يمكنه التصبر في الأحكام الإلهية كما يفعل قادة أهل الكتاب ، حسب زعمهم ، حيث كانوا يكلّفون جماعة بهذه الأحكام ، بينما يعفون جماعة اخرى منها ، وذلك غفلة منهم عن

أنه ﷺ يتبع الوحي الإلهي ، ولا يمكنه التغيير فيه قيد شعرة.

إن هذا الشرط كان يكشف عن انه لم يكن قد ترسّخت في أفئدتهم روح التسليم المطلق بعد ، وأنّ اعتناقهم للاسلام كان نتيجة ظروف ساقتهم إلى اسلام ظاهريّ سطحيّ ، وإلاّ فلا داعي ولا مبرّر للايمان ببعض ما جاء في الاسلام دون بعض ، فيقبلوا شيئاً ويرفضوا شيئاً آخر.

إن الاسلام ، والايمان بالله إن هو إلاّ نوع من التسليم الباطني الروحيّ ، والخضوع القلبي الذي يقبل المرء في ظلّه جميع التعاليم والدرساتير الإلهية عن طواعية ورغبة ، وفي مثل هذه الحالة لا غير لا تجد فكرة التبويض في التعاليم الإلهية طريقاً إلى روح إنسان ومخيّلتته.

ولأجل هذا قال رسول الله ﷺ في جوابهم :

« لا خير في دين لا صلاة فيه »<sup>(١)</sup>.

إن المسلم الذي لا يسجد ولا يركع لله تعالى في اليوم والليلة ولا مرة واحدة ، ولا يذكر ربّه لا يكون مسلماً بالمعنى الصحيح.

هذا وعند ما اتفق الطرفان على شروطهما نظمت معاهدة تشمل المواد والشروط المتفق عليها ، وقع عليها رسول الله ﷺ ، وحينئذ أذن رسول الله ﷺ لوفد ثقيف بالعودة إلى قومهم ، واختار منهم أحدثهم سناً وهو « عثمان بن أبي العاص » الذي كان أحرصهم على التفقه في الإسلام ، وتعلّم القرآن خلال وجوده بالمدينة فأمره عليهم ، وجعله نائباً دينياً ، وسياسياً عنه في قبيلة ثقيف وأوصاه . فيما أوصاه . بأن يصلّي بالناس جماعة مراعيماً أضعفهم قائلاً له :

« يا عثمان تجاوز<sup>(٢)</sup> في الصلاة وأقدر الناس بأضعفهم فان فيهم الكبير

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣١٧ .

(٢) تجاوز : أي خفف الصلاة وأسرع بها .

والصغير والضعيف وذا الحاجة».

ثم كلف رسول الله ﷺ «أبا سفيان بن حرب»، و«المغيرة بن شعبة» بالتوجه إلى الطائف مع وفد ثقيف لهدم الأصنام فيها، أجل إن أبا سفيان الذي كان وحتى يوم أمس من حفظة الأصنام وهو الذي أراق في سبيلها أنهما من الدماء، يمشي الآن إلى الطائف وهو يحمل فأسه ومعه لتهطيم الأصنام فيها، ويجولها إلى تلّ من الحطب، ويبيع ما يتعلق بها من ذهب وفضّة وحليّ ليقضى بأموالها ديون «عروة» و«الأسود» حسب أوامر رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

---

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٣٧-٥٤٣، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢١٦-٢١٨، ولقد وردت قصة وفد ثقيف في كتاب «أسد الغابة»: ج ١ ص ٢١٦ وج ٣ ص ٤٠٦ أيضا.

### إعلان البراءة من المشركين في منى

في أواخر السنة التاسعة من الهجرة نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله ﷺ بعدة آيات من سورة التوبة (سورة البراءة) ، وكلف رسول الله ﷺ بأن يبعث بها رجلا إلى مكة ليتلوها مع عهد ذي أربعة بنود في موسم الحج .  
ولقد رفع الأمان في هذه الآيات عن المشركين ، والغيت جميع العهود (إلا العهود والمواثيق التي التزم بها أصحابها ولم ينقضوها) ، وابلغ إلى رءوس الشرك وأتباعهم أن عليهم أن يوضحوا مواقفهم من الحكومة الإسلامية التي تقوم على أساس التوحيد . وذلك خلال أربعة أشهر ، وإذا لم يتركوا الشرك والوثنية خلال هذه الأشهر الأربعة نزعتم منهم الحصانة ، ورفع عنهم الأمان .

عند ما ينتهي المستشرقون إلى هذه القصة وهذا الفصل من التاريخ الإسلامي يصوبون رماح حملاتهم إلى الإسلام ويعتبرون هذا الموقف الحاسم والحكيم مخالفا لمبدأ الحرية الاعتقادية ، ولكنهم إذا طالعوا صفحات التاريخ الإسلامي من دون أيّ تعصب وانحياز ، ودرسوا الدوافع الحقيقية وراء هذا الاجراء ، والتي ذكرت في هذه السورة ، وفي النصوص التاريخية لسلموا من كثير من هذه الاخطاء ، ولصدّقوا واعترفوا بأن هذا العمل لا يناهز حرية العقيدة التي يحترمها عقلاء العالم ، أبدا وإليك فيما يأتي الدوافع وراء صدور هذا العهد (البراءة) .

١ . كان التقليد السائد عند العرب في العهد الجاهلي هو أن على زائر

الكعبة ان يعطي الثوب الذي يدخل به الى مكة المكرمة للفقير ويطوف بثوب آخر ، واذا لم يكن له ثوب آخر ، فان عليه أن يستعير ثوبا ويطوف به حتى لا يضطرّ إلى الطواف عريانا ، وإن لم يمكنه ان يستعير ثوبا طاف بالبيت المعظم عاريا ، باذي السوأة.

وقد دخلت امرأة ذات جمال كبير ، ذات يوم المسجد الحرام ، وحيث أنّها لم تك تملك ثوبا آخر ، لذلك اضطرّت تبعا لذلك التقليد الجاهليّ الخرافي أن تطوف عارية بالبيت المعظم ، ومن الواضح أنّ مثل الطواف الفاضح أي الطواف بالجسد العاري في أقدس بقعة من بقاع العالم على مرأى من جموع الطائفين بالبيت ينطوى على نتائج سيئة بالغة السوء.

٢ . لقد نزلت الآيات الاولى من سورة التوبة بعد أن انقضت عشرون سنة على بعثة النبي الكريم ﷺ ، وفي هذه المدة كان منطلق الاسلام القوي حول المنع من الوثنية والشرك قد بلغ الى مسامع المشركين في شبه الجزيرة العربية فاذا كانت جماعة قليلة منهم لا يزالون يصرون على الشرك والوثنية لم يكن ذلك إلا عن عصبية وعناد.

من هنا كان الوقت قد جان لأن يستخدم رسول الله ﷺ وسلم آخر علاج لإصلاح ذلك المجتمع المنحرف ، وأن يستعين بمنطق القوّة لضرب كل مظاهر الوثنيّة ، وأن يعتبرها نوعا من العدوان على الحقوق الالهية والإنسانية ، وبهذه الطريقة يقضي على منبع ومنشأ مئات العادات السيئة في المجتمع.

ولكن المستشرقين الذين اعتبروا هذا العمل مخالفا لمبدأ حرية الاعتقاد الذي هو أساس الدين الاسلامي وقاعدة المدنية الراهنة ، قد غفلوا عن هذه النقطة لأن مبدأ حرية العقيدة محترم ما دام لا يضرّ بسلامة الفرد والمجتمع ، إذ في غير هذه الصورة يجب مخالفتها حتما بحكم العقل وسيرة جميع المفكرين.

فإذا كان في أوروبا اليوم مثلا جماعة من الشباب المنحرفين ينادون بحرية العري انطلاقا من افكار منحرفة فاسدة وقاموا . على أساس أن إخفاء بعض

الأقسام من الجسد يثير الفضول ويوجب تحريك الغريزة ويسبب فساد الاخلاق . بتشكيل نوادي العري السرية ، فهل يسمح الفكر الانساني الرشيد بأن يسمح لمثل هذه الجماعة بأن تفعل ما تريد تحت قناع حرية العقيدة ، ويقول : إن الاعتقاد أمر محترم ، أو أن العقل يقضي بان نحارب مثل هذه الفكرة الحمقاء حفاظا على سعادة تلك الجماعة نفسها ، وسعادة المجتمع وهذا الموقف مما لا يتخذه الاسلام فحسب بل هو موقف جميع العقلاء في العالم من جميع الاتجاهات والحركات الهدامة التي تهدد مصالح المجتمع بالخطر ، فهم يحاربونها بلا هوادة ، وهذه الحرب هي في الحقيقة هي محاربة المعتقدات الحمقاء لدى الجماعات المنحطة .

إن الوثنية ليست سوى حفنة من الأوهام والخرافات التي تستتبع مئات العادات الدينية ، وقد بذل رسول الاسلام جهودا كبرى وكافية في سبيل هدايتهم ، وبعد أن انقضى أكثر من عشرين عاما من دعوته كان الوقت قد حان لاستئصال جذور الفساد باستخدام القوة العسكرية كآخر وسيلة .

٣ . ومن جانب آخر فان الحج هو أكبر العبادات والشعائر الاسلامية ولم تكن الصراعات والمواجهات التي وقعت بين الاسلام ورعوس الشرك لتسمح حتى يوم نزول هذه السورة بأن يعلم الرسول الكريم المسلمين مناسك الحج على الوجه الصحيح وبعيدا عن أي نوع من أنواع الشوائب والزوائد .

من هنا كان يتوجب أن يقوم النبي الكريم بنفسه بالمشاركة في هذا المؤتمر الاسلامي العظيم ، ويعلم المسلمين هذه العبادة الكبرى بصورة عملية ، ولكن النبي ﷺ انما كان يمكنه المشاركة في هذه المراسم والمناسك اذا خلّت منطقة الحرم الإلهي ونواحيها من كافة المشركين الذين أعطوا مقام العبودية والعبادة للأصنام الخشبية ، والحجرية ، ويطهرها من كل معالم الشرك والوثنية ، ويصبح الحرم الإلهي خالصا للموحدين والعباد الواقعيين .

٤ . إن جهاد النبي لم يك له أي ارتباط بجرية العقيدة ، فالعقيدة ليست شيئا يمكن أن يفرض على أحد ، ويوجد او يمحي بالقهر . إن روح الانسان ونفسه

هو مركز الاعتقاد ومقرّه ، وظرفه ومكانه ، وهو لا يخضع لأي قهر أو تسخير ، وإن ظهور العقائد في منطقة الضمير يتوقف على سلسلة من المقدمات والأوليات التي توجب حصول العقيدة ، وظهور العقيدة وحصولها من دون تلك المقدمات أمر محال .  
وعلى هذا الأساس فإن مسألة الاعتقاد لا تخضع للقهر ، ولا تقبل الفرض ، بل كان نضال النبي ينحصر في النضال ضد مظاهر هذه العقيدة وهي عبادة الاوثان .  
من هنا هدم كل بيوت الاصنام ، وحطّم الأوثان بينما ترك الانقلاب في العقائد والضمائر لعامل الزمن الذي كان مروره يستتبع . لا محالة . مثل هذا التطور والتحول والانقلاب .

ان العوامل الاربعة المذكورة دفعت برسول الله ﷺ إلى أن يستدعي أبا بكر ثم يعلمه الآيات الاولى من سورة التوبة ويأمره بأن يذهب برفقة اربعين رجلا من المسلمين (١) الى مكة ، ويتلو هذه الآيات التي تتضمن البراءة من المشركين في يوم الأضحى على مسامع الناس .  
فتهياً أبو بكر للقيام باداء هذه المهمة ، وتوجه نحو مكة ، إلا أنه لم يلبث أن نزل أمين الوحي على رسول الله ﷺ برسالة من الله سبحانه وهي :

« إنّه لا يؤدّ عنك إلا أنت أو رجل منك » .

ولهذا استدعى رسول الله ﷺ علياً وأخبره بالخبر ثم قال له : اركب ناقتي العضباء والحق أبا بكر فخذ براءة من يده ، وامض بها الى مكة وانبذ بها عهد المشركين إليهم ، أي اقرأ على الناس الوافدين إلى منى من شتى انحاء الجزيرة العربية براءة بما فيها النقاط الاربعة التالية :

---

(١) وقد ذكر الواقدي انهم كانوا ثلاثمائة ( المغازي : ج ٣ ص ١٠٧٧ ) .

١ . أن لا يدخل المسجد مشرك .

٢ . أن لا يطوف بالبيت عريان .

٣ . أن لا يحج بعد العام مشرك .

٤ . أن من كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته ، أي إنّه محترم ميثاقه وماله ونفسه إلى يوم انقضاء العهد ، ومن لم يكن له عهد ومدة من المشركين فإلى أربعة أشهر فإن أخذناه بعد أربعة أشهر قتلناه ، وذلك بدءاً من هذا اليوم ( العاشر من شهر ذي الحجة ) .

إي إن علي هذا الفريق من المشركين أن يحددوا موقفهم من الحكومة الاسلامية ، فإما أن ينضوا الى صفوف الموحدين ، وينبذوا وراء ظهورهم كل مظاهر الشرك ويحطموها ، وإما أن يستعدوا للقتال مع المسلمين<sup>(١)</sup> .

فخرج علي عليه السلام على ناقه رسول الله ﷺ العضباء مع جماعة منهم « جابر بن عبد الله » الأنصاري حتى ادرك أبا بكر في الجحفة فأبلغه أمر النبي ﷺ فدفع أبو بكر آيات البراءة إلى علي عليه السلام .

ويروي محدثو الشيعة وجماعة من محدثي السنة أن الامام علي بن أبي طالب قال لأبي بكر : أمرني رسول الله ﷺ أن احمي بين أن تسير معي أو ترجع إليه فرجح أبو بكر العودة الى المدينة على المسير مع علي عليه السلام الى مكة ... : بل أرجع إليه ، وعاد إلى النبي ﷺ ، فلما دخل عليه قال : يا رسول الله إنك أهلتني لأمر طالت الاعناق إليّ فيه ، فلما توجهت له رددتني عنه ، ما لي أنزل فيّ قرآن؟!

فقال له النبي ﷺ : لا ولكن الأمين جبرئيل هبط إلي عن الله عز وجل بأنّه لا يؤد عنك إلا أنت أو رجل منك ، وعليّ مني ، ولا يؤدّي عنيّ إلاّ عليّ<sup>(٢)</sup> .

(١) فروع الكافي : ج ١ ص ٣٢٦ .

(٢) الارشاد : ص ٣٧ .



إلا أن بعض روايات أهل السنّة تفيد أنّ أبا بكر أنيط إليه امارة الحجيج في ذلك العام ، بينما كلف علي عليه السلام وحده بمهمة قراءة آيات البراءة والنقاط الاربعة المذكورة على الناس يوم الحج الاكبر بمضى <sup>(١)</sup>.

دخل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مكة وفي اليوم العاشر من شهر ذي الحجة ، صعد على جمرة العقبة وقرأ على الناس الآيات الثلاث عشرة من صدر سورة التوبة ( البراءة ) وأذان رسول الله المتضمن للنقاط الاربعة ، رافعا صوته به ، بحيث يسمعه جميع من حضر ، وذلك بمنتهى الشجاعة والجرأة ، وأخبر المشركين الذين لا عهد ولا مدة لهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن لهم أن يسبحوا في الارض أربعة أشهر ابتداء من يوم قراءة ذلك الاعلان ، فاذا انقضت هذه المدة قتلوا اذا وجدوا على الشرك ، فعليهم أن يبادروا خلال هذا الأجل المضروب إلى تطهير بيئتهم من كل أنواع الوثنية وإلا سلبت عنهم الحصانة ، ورفع عنهم الأمان.

لقد كان أثر هذه الآيات وهذا الأذان النبويّ هو أنه لم يمض على قراءتهما أربعة اشهر إلا وأقبل المشركون على اعتناق عقيدة التوحيد أفواجا افواجا ، وهكذا استأصلت جذور الوثنية في شبه الجزيرة العربية في أواسط السنة العاشرة من الهجرة.

#### تعصّب بغيض في تحليل هذا الحدث :

لا ريب أن عزل أبي بكر عن مقام إبلاغ آيات البراءة ، وتنصيب علي بن أبي طالب مكانه لأداء تلك المهمة بأمر الله تعالى يعد من ابرز فضائل علي ومناقبه المسلمة التي لا تقبل الانكار والشك ، ولكن جماعة من الكتّاب المتعصبين وقعوا في الخطأ والانحراف مع ذلك عند تحليل ودراسة هذه الحادثة.

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٤٦ وراجع للوقوف على المصادر العديدة لهذه القضية الغدير : ج ٦ ص ٣٣٨ . ٣٥٠.

فهذا « الآلوسي البغدادي » يكتب في تفسيره عند دراسة وتحليل هذه الحادثة : النكتة في نصب الامير كرم الله تعالى وجهه مبلغا نقض العهد في ذلك المحفل ان الصديق رضي الله تعالى عنه لما كان مظهرها لصفة الرحمة والجمال كما يرشد إليه ما تقدم في حديث الاسراء ولما كان علي كرم الله وجهه والذي هو أسد الله ومظهر جلاله فوض إليه نقض عهد الكافرين الذي هو من آثار الجلال وصفات القهر (١).

إن هذا التفسير النابع من منبع التعصب لا ينسجم مع كلام رسول الله ﷺ لأنه قال عند الإجابة على أبي بكر : « إن هذه الآي لا يؤدّيها إلا أنا أو رجل مني » أي لا يصلح لأدائها غير هذين الرجلين وليس في هذا الكلام أي اشارة إلى الرأفة والشجاعة. هذا مضافا إلى أن رسول الله ﷺ المظهر الكامل للرحمة والرأفة وبناء على ما قاله الآلوسي يجب أن لا يكلف حتى رسول الله ﷺ بابلاغ هذه الآيات ، على حين أن الوحي قال : هذه الآيات لا يؤدّيها إلا أنت أو رجل منك .»

ولقد برّ جماعة اخرى هذا المطلب بنحو آخر فقالوا : لقد كان التقليد المتبع عند العرب في نقض العهود مهما كانت هو ان يقدم نفس الموقع على العهد أو أحد أنسابه على نبذ العهد ونقضه ، اذ في غير هذه الصورة كان المتعارف عندهم أن يبقى العهد على حاله ، وحيث إن علي بن أبي طالب كان من اقرباء النبي لهذا كلف بابلاغ هذه الآيات التي تضمنت نبذ العهد.

ولكن هذا التفسير والتوجيه غير مقنع ، لأنه كان ثمة بين اقرباء رسول الله ﷺ من هو أقرب إلى رسول الله ﷺ مثل عمّه العباس ، فلما ذا لم يكلف بابلاغ آيات البراءة ، ونبذ العهد الى المشركين.

---

(١) روح المعاني : ج ١٠ ص ٤٥ تفسير سورة التوبة.

ثم لما ذا لم يتبع النبي ﷺ هذه العادة من أول الأمر وهو العارف بتقاليد مجتمعه؟  
إذا أردنا أن نقضي في هذه القضية التاريخية بالقضاء المحايد المنصف وجب أن نقول : إن  
علة هذا العزل ، والنصب لم يكن لا دافع الرغبة في المقام ، والطموح الى السلطة ، ولا  
وشيحة القربى مع علي ؑ بل كان الغرض من هذا التغيير هو الكشف عمليا عن أهلية  
أمير المؤمنين علي ؑ وصلاحيته للقيام بالمهام المتعلقة بالحكومة الاسلامية ، وليعلم الناس  
أنه عدل النبي ﷺ في الجوانب الروحية ، وفي مجال الأهلية ، والصلاحية.  
وانه اذا ما غابت شمس الرسالة بعد حين وجب أن تسلّم مقاليد الحكم ، وازمة التصرف  
في المسائل والامور المتعلقة بشئون الخلافة الى علي ؑ إذ لا يصلح لهذا العمل الخطير سواه  
، وانه يجب أن لا يقع المسلمون بعد وفاة رسول الله ﷺ في الإشكال والتشتت ،  
والاختلاف والحيرة في هذا الأمر ، لأنهم قد رأوا بام عينهم كيف نصب « علي » من  
جانب النبي بأمر الله تعالى لنبذ العهود مع المشركين ، الذي هو من صالحيات واختيارات ،  
الحاكم الاسلامي وشئونه.

### في رثاء الولد العزيز

« يا إبراهيم إنا لن نغي عنك من الله شيئا إنا بك لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ، ولو لا أنه وعد صادق وموعود جامع فانّ الآخر منا يتبع الأول لوجدنا عليك يا إبراهيم وجدا شديدا ما وجدناه »<sup>(١)</sup>.

هذه العبارات قالها رسول الله ﷺ في رثاء ولده العزيز « إبراهيم » في اللحظات التي كان يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة في حجر أبيه الرحيم ، وبينما كان الوالد العظيم واضعا شفثيه على خد ابنه ، ويودّعه بروح ملؤها المشاعر والعواطف ، من جانب ، وراضية بالتقدير الإلهي .

إن حب الأولاد والأبناء من أرفع وأظهر تجليات الروح الانسانية ، كما انه خير دليل على سلامة الروح ولطافتها .

لقد كان رسول الله ﷺ يقول دائما : « اكرموا أولادكم »<sup>(٢)</sup> وذهب إلى أبعد من ذلك إلى درجة أنه اعتبر موؤ الأبناء والعطف عليهم من مكارم أخلاقه ومحاسن سجاياه<sup>(٣)</sup> .  
ففي السنين والأعوام الماضية واجه النبي الاكرم ﷺ مصيبة

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣١١ بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ١٥٧ .

(٢) بحار الأنوار : ج ١٠٤ ص ٩٥ عن مكارم الاخلاق .

(٣) المحجة البيضاء : ج ٣ ص ٣٦٦ .

افتقاد ثلاثة من أولاده هم : « القاسم والطاهر ، والطيب »<sup>(١)</sup> وثلاث من بناته وهن : « زينب » و « رقية » و « أم كلثوم » ولقد حزن لفقدهم حزنا شديدا وكانت « فاطمة » هي البنت الوحيدة التي بقيت له من زوجته الكريمة خديجة .

لقد بعث رسول الله ﷺ في السنة السادسة من الهجرة سفراء إلى البلاد المختلفة خارج الجزيرة العربية وكان من جملة الكتب التي أرسلها إلى الامراء والملوك هي رسالته إلى حاكم مصر يدعوه فيها إلى الاسلام ، وإلى عقيدة التوحيد ، وهذا الحاكم وإن لم يلبّ نداء النبي في الظاهر ، ولم يقبل دعوته إلا أنه اجاب على كتاب النبي باجابة حسنة مضافا إلى أنه أرسل إليه ﷺ هدايا منها جارية تدعى « مارية » .

ولقد نالت هذه الجارية فيما بعد شرف تزوج النبي الكريم بها وولدت له ابنا سماه « إبراهيم » أحبه رسول الله ﷺ حبا شديدا .

ولقد خففت ولادة إبراهيم الكثير من الاحزان التي كان رسول الله ﷺ يعاني منها بسبب افتقاده لأولاده الستة ، واشعلت في نفس النبي ﷺ بصيصا من الأمل ، ولكن هذا البصيص من الأمل سرعان ما غاب بعد ثمانية عشر شهرا ، وانطفأ .

لقد خرج رسول الله ﷺ من بيته ذات يوم لعمل ، وعند ما عرف بتدهور خطير في صحة ولده الحبيب الوحيد « إبراهيم » عاد من فوره الى منزله ، واخذ ابنه من حضن أمه ، وفيما كانت تعلقو ملامحه علامات الغم والاضطراب نطق بهذه العبارات .

إن حزن النبي ﷺ وبكائه في موت ابنه « إبراهيم » دليل حي على عاطفته الانسانية التي استمرت حتى بعد وفاة ذلك الولد الحبيب ، وإن إظهار تلك العواطف والإعراب عن الحزن والأسى كان يكشف عن روح

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ١٦٦ ، ولكن بعض علماء الشيعة قالوا : أولاده الذكور من خديجة اثنان فقط راجع ج ٢٢ ص ١٥١ من بحار الأنوار .

رسول الله ﷺ العاطفية التي كانت تبرز من دون اختيار فيما دل تجنب رسول الله ﷺ التكلم بما يسخط الله في هذه المصيبة المؤلمة على إيمانه ورضاه بالتقدير الإلهي الذي لا مفر لأحد منه.

### اعتراض غير وجيه :

استغرب عبد الرحمن بن عوف الأنصاري من بكاء النبي على ولده « إبراهيم » ، فاعترض على رسول الله ﷺ : أو لم تكن نھيت عن البكاء ، وأنت تبكي؟ إن هذا المعترض لم يكن جاهلا بمبادئ الاسلام وقواعده الرفيعة فحسب ، بل كان غافلا حتى عن العواطف والمشاعر الانسانية الخاصة التي أودعتها يد الخالق في ضميره أيضا. إن جميع الغرائز الانسانية خلقت في الكيان البشري لأهداف خاصة ويجب ان يتحلى كل واحد منها في وقته المناسب وموقعه اللازم ، فالشخص الذي لا يحزن لفقد أحبائه وأعتائه ولا يغتم لفراقهم ، ولا تدمع عيناه لذلك ، وبالتالي إذا لم يظهر من نفسه أية ردة فعل عند فراقهم لم يكن سوى قطعة من الصخر ، ولا يستحق اسم الانسانية. ولكن ثمة نقطة مهمة وجديرة بالانتباه ، وهي أنّ هذا الاعتراض وان كان اعتراضا غير موجّه ، إلا أنه يكشف عن وجود حرية كاملة ، وديمقراطية حقيقية في المجتمع الإسلامي الحديث التأسيس إلى درجة أن شخصا عاديا من الناس تجرّ على أن ينتقد عمل قائده بمطلق الحرية ومن دون خوف أو وجل ، وسمع الجواب.

ومن هنا قال رسول الله ﷺ :

« لا ، إنما هذا رحمة ، ومن لا يرحم لا يرحم »<sup>(١)</sup>.

(١) بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ١٥١.

او قال :

« لا ، ولكن نُهِيت عن خمس وجوه وشقّ جيوب ورنه شيطان »<sup>(١)</sup> .  
ولقد كلف رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> بتجهيز « إبراهيم »  
وغسله وكفنه وتحنيطه ، ثم إن النبي ﷺ شيعه مع جماعة من أصحابه ، ومضى حتى  
انتهى به إلى قبره في البقيع .

ثم إن النبي ﷺ رأى في قبر « إبراهيم » خلا فسمّاه بيده ثم قال :  
« إذا عمل أحدكم عملا فليتقن »<sup>(٣)</sup> .

### مكافحة الخرافات :

عند ما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ انكسفت الشمس فتصورَّ البعض ممن جهل  
سنن الطبيعة وقوانين العالم الطبيعي أن الشمس انكسفت لموت إبراهيم .  
ولا شك أن مثل هذا التصور الباطل وان كان قضية خيالية ووهما سخيفا إلا أنه كان من  
شأنه أن ينفذ النبي ، ويعزز مكانته في المجتمع الذي طالما آمن بالخرافة وعشقها .  
ولو أن رسول الله ﷺ كان قائدا عاديا وماديا لكان من الجائز أن يُؤيد صحة هذا  
التصور ليكتسب من وراء ذلك عظمة وقوة .  
ولكن النبي ﷺ على عكس هذه التوقع رقى المنبر ، وأطلع الناس على حقيقة الأمر  
وقال :

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣١٠ و ٣١١ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ١٥٦ ، وروي في السيرة الحلبية ان رسول الله ﷺ كلف الفضل بن العباس ( ابن عم النبي ) بتجهيز إبراهيم .

(٣) بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ١٥٧ .

« أيُّها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تجريان بأمره مطيعان له فلا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته »<sup>(١)</sup>.

إن النبي الكريم ﷺ على عكس ما يفعله النفعيون الوصوليون الذين لا يكتفون بتفسير الحقائق وتجييرها لمصالحهم ، واستخدامهم لمآربهم ، بل طالما يحاولون استغلال جهل الناس ونزعهم إلى الخرافات لمصالحهم.

إنَّ رسول الاسلام على عكس هذه الجماعة لم يكتفم الحقيقة ، ولم يستفد من جهل الناس وغفلتهم لصالح نفسه.

ولو أن النبي ﷺ كان يسبغ في ذلك اليوم لباس الصحة على مثل هذه الفكرة الباطلة وهذا التصور الخيالي لم يمكنه أن يطرح نفسه قائدا خالدا للبشرية ورسولا مختارا من جانب خالق الطبيعة ، والمؤسس الحقيقي لقوانين العالم الماديّ ، في العالم الراهن الذي كشف فيه القناع عن اسرار الطبيعة ، واتضح فيه قوانين العالم الماديّ ونواميسه ، وعلل الكسوف والخسوف وغيرها من تفاعلات الطبيعة.

إن دعوة النبي الاكرم لم تكن مختصة بجماعة العرب كما أنها لا تخضع لحدود زمانية أو مكانية ، فلو أنه كان نبي الاقوام والاجيال الغابرة ، فهو كذلك نبيّ عصر الفضاء ، وقائد عصر اكتشاف أسرار الطبيعة ورموزها.

إن احاديث هذا النبي العظيم ، وكلماته من القوة ، والمتانة ومن الصحة ، والاتصاف بالواقعية بحيث لم يتطرق إليها أي إشكال حتى مع التطورات العلمية الاخيرة التي قلبت كثيرا من معارف البشر القديمة رأسا على عقب.

---

(١) المحاسن : ص ٣١٣ ، السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣١٠ و ٣١١ .



### وفد نجران في المدينة

تقع « نجران » بقراها السبعين التابعة لها ، في نقطة من نقاط الحجاز واليمن الحدودية ، وكانت هذه المنطقة في مطلع ظهور الاسلام المنطقة الوحيدة التي غادر أهلها الوثنية لأسباب معيّنة واعتنقوا المسيحية <sup>(١)</sup> من بين مناطق الحجاز.

وقد كتب رسول الاسلام كتابا إلى اسقف نجران <sup>(٢)</sup> « أبو حارثة » يدعو أهلها فيه الى الاسلام يوم كتب كتبنا إلى ملوك العالم ورؤسائه. وإليك مضمون هذا الكتاب :

« بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران إن أسلمتم فيني أحمد إليكم الله إله إبراهيم واسحاق <sup>(٣)</sup> ويعقوب أما بعد فيني أدعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فان أبيتم فالجزية ، فان أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام ».

واضافت بعض المصادر التاريخية الشيعية أن النبي الاكرم ﷺ كتب في ذلك الكتاب الآية المرتبطة بأهل الكتاب <sup>(٤)</sup> والتي تدعوهم إلى عبادة الله الواحد القهار.

- 
- (١) ذكر الياقوت الحموي في معجم البلدان : ج ٥ ص ٢٦٦ . ٢٧٧ علة اعتناقهم للمسيحية .  
 (٢) الاسقف معرب كلمة يونانية هي ايسكوب وتعني الرقيب والمناظر وهو اليوم منصب اعلى من منصب القسيس .  
 (٣) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٢٨٥ .  
 (٤) المراد من تلك الآية هو قوله تعالى : « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » ( آل عمران : ٦٤ . الاقبال : ص ٤٩٤ ) .

قدم سفير رسول الله ﷺ نجران وسلّم كتابه المبارك الى أسقف نجران ، فقرأ ذلك الكتاب بعناية ودقة متناهية ، ثم شكّل جماعة للمشاورة وتداول الأمر واتخاذ القرار مكوّنة من الشخصيات البارزة الدينية وغير الدينية ، وكان أحد أعضاء هذه المجموعة « شرحبيل » الذي عرف بعقله ونبله ، وتدبيره وحكمته ، فقال في معرض الاجابة على استشاره الاسقف اياه : قد علمت ما وعد الله ابراهيم في ذرية اسماعيل من النبوة ، فما يؤمنك أن يكون هذا الرجل ، ليس لي في النبوة رأي ، لو كان أمر من امور الدنيا أشرت عليك فيه وجهدت لك . فقرر المتشاورون ان يبعثوا وفدا إلى المدينة للتباحث مع رسول الله ﷺ ، ودراسة دلائل نبوته ، فاختير لهذه المهمة ستون شخصا من أعلم أهل نجران وأعقلهم ، وكان على رأسهم ثلاثة اشخاص من اساقفتهم هم :

١ . « أبو حارثة بن علقمة » اسقف نجران الأعظم والممثل الرسمي للكنائس الروميّة في الحجاز .

٢ . « عبد المسيح » رئيس وفد نجران المعروف بعقله ودهائه ، وتدبيره .

٣ . « الأيهم » وكان من ذوي السن ومن الشخصيات المحترمة عند أهل نجران (١)

قدم هذا الوفد المسيحي المدينة ودخلوا المسجد على رسول الله ﷺ وهم يلبسون أزياءهم الكنسيّة ويرتدون الديباج والحرير ، ويلبسون خواتيم الذهب ويحملون الصلبان في اعناقهم ، فأزعج منظرهم هذا وخاصة في المسجد رسول الله ﷺ فشعروا بانزعاج النبي ولكنهم لم يعرفوا سبب ذلك ، فسألوا « عثمان بن عفان » و « عبد الرحمن بن عوف » وكانت بينهم صداقة قديمة ، فقال الرجلان لعلي بن أبي طالب : ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟

قال : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ثم يعودون إليه .

---

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢١١ و ٢١٢ .

ففعّلوا ذلك ثم دخلوا على النبي ﷺ فسلموا عليه فردّ عليهم ، واحترمهم ، وقبل بعض هداياهم التي أهدوها إليه ﷺ ، ثم إن الوفد . قبل ان يبدءوا مفاوضاتهم مع النبي ﷺ قالوا : إن وقت صلاتهم قدحان واستأذنه في أدائها ، فاراد الناس منعهم ولكن رسول الله ﷺ اذن لهم وقال للمسلمين : دعوهم فاستقبلوا المشرق ، فصلّوا صلاتهم (١) . وبذلك اعطى النبي ﷺ درساً في التسامح الديني يدفع افتئات اعداء الاسلام على هذا الدين .

### مفاوضات وفد نجران مع النبي :

لقد نقل طائفة من كتاب السيرة ، والمحدثين الاسلاميين نصّ الحوار الذي دار بين وفد نجران المسيحي ورسول الله ﷺ ، ولكن المرحوم السيد ابن طاوس نقل نص هذا الحوار وقضية المباحلة بنحو أدق وأكثر تفصيلاً ممّا ذكره الآخرون من المحدثين والمؤرخين . فقد ذكر جميع خصوصيات المباحلة من البداية الى النهاية نقلاً عن كتاب المباحلة لمحمد بن المطلب الشيباني (٢) . وكتاب عمل ذي الحجة للحسن بن اسماعيل (٣) ، غير أن نقل جميع تفاصيل هذه الواقعة التاريخية الكبرى التي قصّر حتى في الاشارة إليها اشارة عابرة بعض أصحاب السير أمر خارج عن نطاق هذا الكتاب ، ولهذا فاننا نكتفي بنقل جانب من هذا الحوار الذي نقله رواه الحلبي في

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢١٢ .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن البهلول بن همام بن المطلب المولود عام ٢٩٧ هـ والمتوفى عام ٣٨٧ هـ .

(٣) من اراد الوقوف على خصوصيات هذه الواقعة التاريخية فليراجع كتاب الاقبال للمرحوم السيد ابن طاوس ص ٤٩٦ . ٥١٣ .

سيرته (١).

عرض رسول الله ﷺ على وفد نجران وتلا عليهم القرآن ، فامتنعوا وقالوا : قد كذبنا مسلمين قبلك .

فقال رسول الله ﷺ : كذبتم ، يمنعكم من الإسلام ثلاث : عبادتكم الصليب ، وأكلكم لحم الخنزير ، وزعمكم أن الله ولدا .

فقالوا : المسيح هو الله لأنه أحيا الموتى ، وأخبر عن الغيوب ، وأبرأ من الأدواء كلها ، وخلق من الطين طيرا .

فقال النبي ﷺ هو عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم .

فقال أحدهم : المسيح ابن الله لأنه لا أب له .

فسكت رسول الله ﷺ عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى :

إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب « (٢) .

فقال وفد نجران : إنا لا نزداد منك في أمر صاحبنا إلا تباينا ، وهذا الأمر الذي لا نقره

لك ، فهلم فلنلاعنك أيّنا أولى بالحق فنجعل لعنة الله على الكاذبين (٣) .

فانزل الله عز وجل آية المباهلة على رسول الله ﷺ :

« فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَبْعُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا

وَنِسَاءَكُمْ وَنَفْسَنَا وَنَفْسَكُمْ ثُمَّ نَبْتِهَلْ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » (٤) .

فدعاهم إلى المباهلة ، فقبلوا ، واتفق الطرفان على ان يقوموا بالمباهلة في اليوم اللاحق .

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢٣٩ .

(٢) آل عمران : ٥٩ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٣٢٠ ، ولكن آية المباهلة ، وكما يستفاد من السيرة الحلبية تفيد ان النبي هو الذي

اقترح المباهلة ابتداء كما تفيد عبارة « تعالوا ندع ابنانا ... » .

(٤) آل عمران : ٦١ .

## خروج النبي للمباهلة :

تعتبر قصة مباهلة رسول الله ﷺ مع وفد نجران من حوادث التاريخ الإسلامي المثيرة والجميلة ، وهي وإن قصّر بعض المفسرين والمؤرخين في رواية تفاصيلها ، وتحليلها ، إلا أنّ ثلة كبيرة ، من العلماء كالزمخشري في الكشاف<sup>(١)</sup> والإمام الفخر الرازي في تفسيره<sup>(٢)</sup> وابن الاثير في الكامل<sup>(٣)</sup> أعطوا حق الكلام في هذا المجال وها نحن ننقل هنا نصّ ما كتبه الزمخشري في هذا المجال :

حان وقت المباهلة ... وكان النبي ﷺ ووفد نجران قد اتفقا على أن يجريا المباهلة خارج المدينة ، في الصحراء ... فاختار رسول الله ﷺ من المسلمين ومن عشيرته وأهله أربعة أشخاص فقط وقد اشترك هؤلاء في هذه المباهلة دون غيرهم ، وهؤلاء الاربعة لم يكونوا سوى على بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ والحسن والحسين لأنه لم يكن بين المسلمين من هو أطهر من هؤلاء نفوسا ، ولا أقوى وأعمق إيمانا .  
طوى رسول الله ﷺ المسافة بين منزله ، وبين المنطقة التي تقرر التباهل فيها في هيئة خاصة مثيرة ، فقد غدا محتضنا الحسين<sup>(٤)</sup> آخذًا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها ، وهو يقول : إذا دعوت فأمتنوا .  
كان زعماء وفد نجران ورؤسائهم قد قال بعضهم لبعض . قبل أن يغدو

(١) ج ١ ص ٣٨٢ و ٣٨٣ .

(٢) مفاتيح الغيب : ج ٢ ص ٤٧١ و ٤٧٢ .

(٣) ج ٢ ص ١١٢ .

(٤) جاء في بعض الروايات أن النبي غدا آخذًا بيد الحسن والحسين تتبعه فاطمة وبين يديه علي (بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٣٣٨) .

رسول الله ﷺ إلى المباهلة : انظروا محمدا في غد ، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلتة ، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فانه ليس على شيء. وهم يقصدون أن النبي إذا جاء إلى ساحة المباهلة محفوبا بأهله مادية ، وقوة ظاهرية ، تحف به قادة جيشه وجنوده فذلك دليل على عدم صدقه ، وإذا أتى بولده وأبنائه بعيدا عن أية مظاهر مادية وتوجه إلى الله بهم وتضرع إلى جنابه كما يفعل الأنبياء دل ذلك على صدقه لأن ذلك أكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه ، حيث استجرأ على تعريض أعزته ، وأفلاذ كبده ، وأحب الناس إليه لذلك ، ولم يقتصر على تعريض نفسه له ، وعلى ثقته بكذب خصمه.

وفيما كان رجال الوفد يتحدثون في هذه الامور اذ طلع رسول الله ﷺ والاغصان الاربعة من شجرته المباركة بوجوه روحانية نيرة فاخذ ينظر بعضهم إلى بعض بتعجب ودهشة ، كيف خرج رسول الله ﷺ بابنته الوحيدة ، وأفلاذ كبده وكبدها المعصومين للمباهلة ، فادركوا أن النبي ﷺ واثق من نفسه ودعوته وثوقا عميقا ، اذ ان المتردد غير الواثق بدعوته لا يخاطر بأحبائه واعزته ويعرضهم للبلاء السماوي.

ولهذا قال اسقف نجران : يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لازاله بها ، فلا تباهلوا فتهلكوا ، ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

---

(١) يروى العالم الشيعي الكبير السيد ابن طاوس في كتاب « الاقبال » : أقبل الناس من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار ، وغيرهم من الناس في قبائلهم وشعاراتهم من راياتهم واحسن شعاراتهم وهيئتهم ... ولبث رسول الله ﷺ في حجرته حتى متع النهار ثم خرج آخذا بيد علي والحسن والحسين أمامه ، وفاطمة عليها السلام من خلفهم فاقبل بهم حتى أتى الشجرتين فوقف بينهما من تحت الكساء على مثل الهيئة التي خرج بها من حجرته ، ثم أرسل الى وفد نجران ليباهلهم.

## انصراف وفد نجران عن المباهلة :

لما رأى وفد نجران هذا الأمر ( وهو خروج النبي باحبته واعزته ) وسمعوا ما قاله اسقف نجران تشاوروا فيما بينهم ثم اتفقوا على عدم مباهلة النبي ﷺ ، معلنين عن استعدادهم لدفع الجزية للنبي كل سنة ، لتقوم الحكومة الاسلامية في المقابل بالدفاع عن أنفسهم وأموالهم ، فقبل النبي ﷺ بذلك ، وتقرر أن يتمتع نصارى نجران بسلسلة من الحقوق في ظل الحكومة الإسلامية لقاء مبالغ ضئيلة يدفعونها سنويا ، ثم قال النبي ﷺ :

« أما والذي نفسي بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ، ولو لاعنوني لمسحوا قرده وخنازير ولأضرم الوادي عليهم نارا ولا ستأصل الله تعالى نجران وأهله .»

عن عائشة : إن رسول الله ﷺ خرج ( أي يوم المباهلة ) وعليه مرط <sup>(١)</sup> مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ، ثم فاطمة ، ثم عليّ ، ثم قال : « **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** » <sup>(٢)</sup> .

ثم يقول الزمخشري في نهاية هذا الكلام : وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام ، وفيه برهان على صحة نبوة النبي ﷺ ، لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك .

## صورة العهد النبوي لأهل نجران :

سأل وفد نجران النبي ﷺ أن يكتب مقدار الجزية التي اتفق على دفعها من قبل أهالي نجران الى النبي ﷺ في كتاب ، وأن

(١) كساء .

(٢) الاحزاب : ٣٣ .

يضمن النبي ﷺ أمن نجران في ذلك الكتاب ، فكتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأمر النبي كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران وحاشيتها ، إذ كان له عليهم حكمة في كل ثمرة وصفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فأفضل عليهم وترك ذلك لهم : ألفي حلة من حلال الأواقي في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة ، كل حلة أوقية ، وما زادت حلال الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب ، وما نقصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب ، وعليهم في كل حرب كانت باليمن ثلاثون درعا ، وثلاثون فرسا ، وثلاثون بعيرا عارية مضمونة لهم بذلك ، وعلى أهل نجران مثواة رسلي ( واستضافتهم ) شهرا فدونه ، ولهم بذلك جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وارضهم واموالهم وبيعهم ورهبانيتهم على أن لا يعشبروا ولا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به فمن أكل الربا منهم بعد ذلك فذمتي منه بريئة » (١).

### أكبر فضيلة :

تعتبر واقعة المباهلة وما نزل فيها من القرآن أكبر فضيلة تدعم موقف الشيعة على مر التاريخ. لأن ألفاظ الآية النازلة في المباهلة ومفرداتها تكشف عن مكانة ومقام من باهل بهم رسول الله ﷺ والذين يتخذهم الشيعة قادة لهم. فهذه الآية اعتبرت الحسن والحسين ابنا لرسول الله ﷺ وفاطمة الزهراء المرأة الوحيدة التي ترتبط برسول الله ﷺ ويصدق عليها عنوان « نساءنا ». وقد عبر عن علي عياش بانفسنا فكان علي عياش تلك الشخصية العظيمة بحكم هذه الآية بمنزلة نفس رسول الله ﷺ ، ترى أية فضيلة أعظم وأسمى من أن ترتفع مكانة المرء من

(١) فتوح البلدان : ص ٧٦ ، امتاع الاسماع : ص ٥٠٢ واعلام الورى : ص ٧٨ و ٧٩.



الناحية المعنوية ارتفاعا وتسمو سمو عظيمًا حتى أنه يوصف صاحبها بأنه بمنزلة نفس النبي  
(١).

أليست هذه الآية شاهد صدق على أفضلية أمير المؤمنين علي عليه السلام على جميع  
المسلمين.

لقد ذكر الفخر الرازي الذي عرف الجميع أسلوبه في الأبحاث الكلامية ومواقفه من  
القضايا المرتبطة بالإمامة ، ذكر استدلال الشيعة بهذه الآية ثم أورد على هذا الاستدلال  
اعتراضًا قليل الأهمية مما لا يخفى جوابه على أرباب العلم وأهل المعرفة.

هذا ويستفاد من الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت أن المباهلة لا تختص بالنبي  
الأكرم بل يجوز أن يتباهل كل مسلم في القضايا الدينية مع من يخالفه ويجادله فيها ، وقد  
جاءت طريقة المباهلة والدعاء المخصوص بها في كتب الحديث ، وللوقوف على هذا الأمر  
يراجع كتاب « نور الثقلين » (٢).

---

(١) وقد استند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الآية في قوله : « علي مني كنفي ».

(٢) نور الثقلين : ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٢ ، وراجع أيضا الكافي ج ٢ كتاب الدعاء باب المباهلة ، وقد اشار  
العلامة الطباطبائي في إحدى رسائله إلى هذه الموضوع أيضا ، ويعتبره من معجزات الاسلام الخالدة.

## تأريخ المباهلة عاما وشهرا ويوما

إن حادثة المباهلة من قضايا التاريخ الاسلامي المعروفة المتواترة التي جاء ذكرها في كتب التفسير ، والتاريخ والحديث بصورة مبسطة ومفصلة مناسبة واخرى ، وتتلخص هذه القصة فيما يلي :

لقد كتب رسول الله ﷺ . يوم راسل ملوك العالم وامراءه يدعوهم الى الاسلام . كتب كتابا الى اسقف نجران « ابو حارثة » دعا فيه أهل نجران إلى الاسلام ولما تسلّم أبو حارثة كتاب رسول الله ﷺ شاور جماعة من اصحابه ، فاشاروا عليه بأن يبعثوا وفدا يمثلون أهل نجران إلى المدينة ، ليتفاوضوا مع رسول الله ﷺ عن كتب.

وفعلا قدم الوفد المذكور المدينة ، والتقى رسول الله ﷺ وبعد مداوات ومفاوضات كثيرة اقترح النبي الاكرم ﷺ على ذلك الوفد المباهلة بأمر الله سبحانه ، بأن يخرج الجميع ( الطرفان ) إلى الصحراء ، ويدعو كل واحد من الجانبين على الآخر فرضوا باقتراح رسول الله ﷺ ، ولكنهم أحجموا عن المباهلة لما شاهدوا ما عليه رسول الله ﷺ من حالة معنوية ، وروحانية عظيمة ، حيث أن رسول الله ﷺ اصطحب معه إلى المباهلة أربعة انفار من أفضل أحبته وأعزته ، وتقرّر أن ينضوي نصارى نجران تحت مظلة الحكومة الاسلامية وهم على دينهم شريطة أن يدفعوا جزية ( وهي مبلغ ضئيل ).

هذه هي خلاصة قضية المباهلة التي لا يستطيع انكارها وإخفاءها أي مفسّر أو مؤرخ على النحو الذي ذكر ، والآن يجب أن نرى متى وفي أي يوم وشهر وعام وقعت هذه الحادثة الاسلامية الكبرى.

### عام المباهلة حسب المشهور :

يقول مؤلف كتاب مكاتيب الرسول في هذا الصدد : لا خلاف عند المؤرخين ان كتاب الصلح كتب سنة عشرة من الهجرة ، فيكون سنة المباهلة نفس هذه السنة أيضا ، لان كتاب الصلح هذا انما كتب عند ما أحجم الوفد النجراني النصراني من مباهلة النبي ﷺ . وقد ادرج نص كتاب الصلح هذا في مصادر عديدة نذكر بعضها في الهامش (١).

### الشهر واليوم الذي وقعت فيه المباهلة :

إن المشهور بين العلماء هو أن المباهلة وقعت في اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة ، وذهب المرحوم الشيخ الطوسي إلى أنها وقعت في اليوم الرابع والعشرين من ذلك الشهر ، وروى في كتابه دعاء خاصا في هذه المناسبة (٢) .  
واما المرحوم السيّد ابن طاوس فقد نقل حول يوم المباهلة أقوالا ثلاثة ، وذكر بأن أصح تلك الأقوال والروايات هو القائل بان يوم المباهلة هو الرابع والعشرون من شهر ذي الحجة ، وقد ذهب البعض إلى أنه اليوم الواحد والعشرون بينما ذهب آخرون إلى أنه اليوم السابع والعشرون (٣) .

(١) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ٦٥ ، الدر المنثور : ج ٢ ص ٣٨ .

(٢) مصباح المتعبد : ص ٧٠٤ .

(٣) الإقبال : ص ٧٤٣ .

ثم انه عليه السلام روى في آخر كتابه <sup>(١)</sup> قصة المباهلة بصورة مفصّلة لم ترد في أي كتاب أو مؤلّف آخر ، ونوّه بأن محتويات هذا الباب اقتبست من الكتابين التاليين :

١ . كتاب المباهلة تأليف أبي المفضل محمّد بن عبد المطلب الشيباني <sup>(٢)</sup> .

٢ . كتاب عمل ذي الحجة تصنيف الحسن بن اسماعيل بن أشناس <sup>(٣)</sup> .

إلى هنا اتضح أن يوم المباهلة على المشهور هو اليوم الرابع والعشرون أو الواحد العشرون أو الخامس والعشرون أو السابع والعشرون من شهر ذي الحجة .

وأما رأينا حول التاريخ الدقيق لهذه الواقعة من حيث العام والسنة .

إن خلاصة القول هي أن هذه الأقوال والآراء حول عام ويوم المباهلة لا توافق النقول التاريخية الاخرى التي يتسم بعضها بطابع القطعية إلى حدّ بعيد ، وإليك ادلتنا على ذلك فيما يلي :

### رأينا حول عام المباهلة :

١ . لقد جاء في ختام الكتاب الذي بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى اسقف نجران عبارة : « وإن أبيتم فالجزية » ، وقد جاءت لفظة الجزية في القرآن الكريم

(١) الاقبال : ص ٧٤٣ .

(٢) لم ينقل المرحوم السيد نسبه بصورة صحيحة ، فقد ذكر النجاشي نسبه على النحو التالي : محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن مجلول بن الهمام بن المطلب وعلى هذا الاساس يكون جده المطلب وليس عبد المطلب كما انه يكون المطلب جده الخامس . وينبغي الاشارة هنا إلى أن لمحمّد بن عبد الله . حسب ما يرى النجاشي . فترتين من الحياة ، كان في إحداها موثوقا به ، وفي الاخرى غير موثوق به وهذا يقول : اجتنب الرواية عنه الا عند ما يروى الثقات عنه ايام استقامته وصلاحه ( راجع فهرست النجاشي ص ٢٨١ . ٢٨٢ ) .

(٣) جاء ذكره في اسناد الصحيفة السجادية وهو من مشايخ الطائفة الامامية وقد توفي عام ٤٦٠ هـ وقد نقل احاديث المباهلة ( راجع الزريعة ج ١٥ ص ٣٤٤ ) .

في سورة التوبة والظاهر أن رسول الله ﷺ استخدم هذه الجملة واللفظة في الكتاب المذكور اتباعاً للآية المذكورة ، وقد نزلت سورة التوبة قبيل غزوة تبوك بقليل ، وقد وقعت هذه الغزوة بعد شهر رجب من السنة التاسعة .  
وبناء على هذا يبعد أن يكون رسول الله ﷺ قد كتب لأهل نجران كتاباً ، بعثوا بجوابه إليه بعد عام ونصف العام على يد وفداهم .  
إن هذه الواقعة التاريخية تحكي عن أن هذه الحادثة قد وقعت في السنة العاشرة من الهجرة .

٢ . اتفق كتاب السيرة على أن رسول الله ﷺ بعث علياً رضي الله عنه إلى اليمن للقضاء وتعليم الاحكام الدينية ، وقد مكث علي رضي الله عنه هناك ردحا من الزمان لأداء مهامه المخولة إليه ، وعند ما علم بتوجه النبي ﷺ إلى مكة للحج ، خرج هو أيضا إلى مكة على رأس جماعة من أهل اليمن ، فلقى النبي بمكة ، وقدم إليه الف حلة من البز كان قد أخذها من أهل نجران من باب الجزية التي فرضت وكتبت عليهم في معاهدة الصلح<sup>(١)</sup> .  
إن هذه القضية التاريخية تفيد ان واقعة المباهلة وكتابة العهد لا ترتبط بالسنة العاشرة من الهجرة ، وذلك لأن أهل نجران تعهدوا في وثيقة الصلح أن يدفعوا الى رسول الله ﷺ في كل سنة ألفي حلة ( مَحِيطة وغير مَحِيطة ) ، الف حلة منها في شهر رجب ، والف حلة اخرى في شهر صفر<sup>(٢)</sup> .

فاذا سلّمنا بأن وثيقة الصلح كتبت في شهر ذي الحجة وجب أن نقول ان المقصود منه هو شهر ذي الحجة من الاعوام السابقة على السنة العاشرة .  
لأنه كيف يمكن أن نقول بأن كتابة وثيقة الصلح ، وتنفيذها بواسطة الامام

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٠٢ و ٦٠٣ ، الارشاد : ص ٨٩ .

(٢) الطبقات الكبرى : ج ١ ص ٣٤٨ ، والارشاد : ص ٩٢ .

علي عليه السلام قد تمّ معا في السنة العاشرة.

وإذا ارتضينا القول المشهور حول اليوم والعام الذي كتبت فيهما وثيقة الصلح ، امكن في هذه الصورة أن يكون عقد الصلح قد تمّ في السنة العاشرة ، ولكن يجب أن نرجع تاريخ كتابته إلى ما قبل شهر رجب لأن الفرض هو أن الامام عليا عليه السلام قد استلم أول قسط من الجزية المقررة في شهر رجب في السنة العاشرة.

والخلاصة أنه مع ملاحظة هذه القضية التاريخية ( وهي أن الامام عليا استلم القسط الاول من الجزية من أهل نجران في شهر رجب وسلمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة في شهر ذي الحجة ) وجب أن نختار احد القولين التاليين :

الف : إذا سلّمنا بان يوم وشهر تنظيم وثيقة الصلح هو شهر ذي الحجة وجب ان نقول إن المقصود منه هو أشهر ما قبل السنة العاشرة.

باء : إذا ترددنا في يوم وشهر كتابة الصلح على نحو التردد في تحديد عامه ، أمكن في هذه الصورة ان نقول بان يوم المباهلة وكذا يوم تنظيم وثيقة الصلح يرتبطان باشهر ما قبل شهر رجب من السنة العاشرة للهجرة.

### زمن المباهلة يوما وشهرا :

إلى هنا اتضح انه من غير الممكن ان يكون عام المباهلة هو السنة العاشرة من الهجرة حتما ، إلا في صورة واحدة وهي أن نغيّر رأينا في اليوم والشهر اللذين تمت فيهما كتابة وثيقة الصلح.

وقد حان الحين الآن لأن نحدّد تاريخ المباهلة من حيث اليوم والشهر في ضوء الاحداث والوقائع التاريخية ، فنقول : إن الشهر واليوم اللّذين وقعت فيهما قضية المباهلة هما . حسب ما هو مشهور بين العلماء كما أسلفنا . شهر ذي الحجة

واليوم الرابع والعشرون أو الخامس والعشرون ، وعلى قول : الحادي والعشرون ، أو السابع والعشرون من ذلك الشهر .

والآن يجب أن نرى هل تنطبق هذه الأقوال على غيرها من الحوادث التاريخية القطعية أم

لا؟

إن الدراسة التالية تثبت لنا أن قضية المباهلة من غير الممكن أن تكون قد وقعت في شهر ذي الحجة من السنة العاشرة مطلقا ، لأنّ رسول الله ﷺ قد توجّه الى مكة المكرمة لتعليم مناسك الحج في السنة العاشرة من الهجرة ، وفي اليوم الثامن عشر من هذا الشهر ( وهو يوم الغدير ) نصب في منطقة غدير خم التي تبعد عن الجحفة (1) بميلين (2) ، عليا خليفة على المسلمين من بعده .

ولم تكن حادثة الغدير بالحادثة التي تنتهي ذيلها في يوم واحد ليتابع النبي سفره الى المدينة فورا لأن النبي . بشهادة التاريخ . أمر بعد نصب علي عليه السلام للخلافة أن يجلس علي في خيمة ، وان يدخل عليه المسلمون الحاضرون ثلاثة ثلاثة ، ويهتفون بالخلافة والإمرة وقد استمر هذا العمل حتى الليلة التاسعة عشرة من شهر ذي الحجة ، وقد هنأت « امهات المؤمنين » عليا عليه السلام في نهاية

---

(1) « الجحفة » على وزن طعمة تقع على بعد ثلاثة منازل من مكة وسبعة منازل من المدينة وتبعد عن البحر الأحمر بستة أميال تقريبا وتقرب من رابع التي تقع الآن على الطريق بين مكة والمدينة راجع كتاب التحرير للنووي والتهذيب له أيضا ، هذا ويقول الياقوت الحموي في مراصد الاطلاع ص ١٠٩ : ان الجحفة تقع على بعد أربعة أميال من مكة وهي ميقات أهل مصر والشام ، وتبعد عن البحر بستة أميال ، وعن غدير خم بميلين . وهي الآن تبعد عن مكة . حسب المقاييس الحديثة . بمائتين وعشرين كيلومترا ويقول المسعودي في كتابه « التنبيه والاشراف » ص ٢٢١ . ٢٢٢ أيضا : أن غدير خم يقرب من الماء المعروف بالخرار بناحية الجحفة ، وولد علي عليه السلام وشيعته يعظمون هذا اليوم .

(2) الميل عبارة عن ثلاثة آلاف ذراع ، والفرسخ عبارة عن تسعة آلاف ذراع وقيل : ان الميل عبارة عن أربعة آلاف ذراع ، والفرسخ عبارة عن اثني عشر الف ذراع ، وعلى أية حال فان الميل ثلث الفرسخ ، وثلاثة اميال تعادل فرسخا كاملا ( راجع القاموس مادة : ميل ) .

مراسيم التهنتة (١) .

من هنا لا يمكن القول بان رسول الله ﷺ غادر ارض غدیر خم في اليوم التاسع عشر ، خاصة ان تلك المنطقة كانت المحل الذي تشعب فيه طرق المدنيين والمصريين والعراقيين ، وبناء على هذا لا بد أن الجماعات المختلفة الاوطان التي كانت تريد التوجه إلى أوطانها قد ودّعت رسول الله ﷺ ، ولا شك أن عملية التوديع هذه قد أوجبت مكث رسول الله ﷺ في أرض الغدير مدة أطول.

وحتى لو فرضنا . افتراضا . أن رسول الله ﷺ توجه نحو المدينة في اليوم التاسع عشر ، فهل يمكن ان نقول . في ضوء المحاسبات التي نملكها من التاريخ حول مقدار طي هذه المسافة - أن رسول الله ﷺ قدم المدينة في اليوم الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين ، واخذ بمقدمات قضية المباهلة ثم كتب وثيقة الصلح بينه وبين أهل نجران؟ ، كلا حتما ، لأن المسافة بين مكة والجحفة كما ذكرنا في الهامش المتقدم هي ثلث المسافة بين مكة والمدينة . ويجب أن نرى الآن كم كان يستغرق من الزمن مجموع سفر القوافل . آنذاك . من مكة المكرمة الى المدينة المنورة؟

لا توجد هنا أية وثيقة توضح ذلك إلا حديث سفر النبي الاكرم ﷺ نفسه الذي وضعه التاريخ تحت تصرفنا فان التاريخ يقول : إن رسول الله ﷺ قطع هذه المسافة عند هجرته من مكة الى المدينة في مدة تسعة أيام (٢) .

(١) جاء تفصيل مراسم التهنتة في موسوعة الغدير : الجزء ١ ص ٢٤٥ . ٢٥٧ .

(٢) غادر رسول الله ﷺ مكة مهاجرا الى المدينة في الليلة الرابعة من شهر ربيع ، ووصل إلى محلة « قبا » حوالي الظهر في اليوم الثاني عشر من نفس ذلك الشهر ، وتدلّ القرائن على أن رسول الله ﷺ قطع هذه المسافة بسرعة بسبب ملاحقة قريش له ( السيرة النبوية : ج ٢ ص ٣٩٩ ، الطبقات الكبرى : ج ١ ص ١٣٥ ) .



كما أن رسول الله ﷺ قطع هذه المسافة في مدة أحد عشر يوماً<sup>(١)</sup> .

وسبب التفاوت بين هاتين الرحلتين هو أن النبي ﷺ قطع المسافة المذكورة في الرحلة الأولى برفقة شخصين ، بينما قطع تلك المسافة في الرحلة الثانية بصحبة جيش قوامه عشرة آلاف رجل ، ومن الطبيعي أن تتم الحركة في الصورة الثانية بصورة أكثر بطؤاً.

ولنفترض أن رسول الله ﷺ غادر أرض « غدیر خم » في اليوم التاسع عشر ، فإننا إذا اتخذنا تسعة أيام مقياساً لتقييمنا وجب أن نقول أن رسول الله ﷺ لا بد أنه قطع المسافة بين الجحفة والمدينة في ستة أيام لأن المسافة بينهما هي ثلثا مجموع المسافة بين مكة والمدينة ، وبالتالي دخل المدينة في اليوم الرابع والعشرين.

وإذا اعتبرنا الثاني ( أي أحد عشر يوماً ) انه هو المقياس وجب أن يقطع تلك المسافة ( أي بين الجحفة والمدينة ) في سبعة أيام ونصف اليوم ، فيكون . حسب القاعدة . قد قدم المدينة في اليوم السادس والعشرين حوالى الظهر منه.

فهل يمكن القول . في ضوء هذه المحاسبة . بأن قضية المباهلة وقعت في اليوم الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين أو السابع والعشرين.

إن بطلان هذا القول ، وخلوّه عن الصحة يتضح أكثر إذا عرفنا بأن وفد نجران قبلوا بالتباهل بعد سلسلة من المفاوضات والمداولات ، وقد انصرفوا عن التباهل في المآل ووقعوا على وثيقة صلح بينهم وبين النبي ﷺ ، تحت شروط خاصة.

فإن أعضاء الوفد المذكور دخلوا المدينة وهم يرتدون ثياباً راقية من الديباج والحرير ، وفي أيديهم خواتيم من ذهب ، وعلى صدورهم صلبان من ذهب ، وتوجه

(١) بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ١٩ .

فور قدومهم . وعلى هذه الهيئة . إلى مسجد النبي ﷺ ولكن النبي واجههم بالكره بسبب الهيئة التي دخلوا بها عليه .

فانتهى هذا اللقاء من دون عمل شيء وتفرق أعضاء الوفد ، وهم في حيرة من موقف النبي ﷺ فالتقى الوفد عليا ؑ وسألوه عن سبب استيائه النبي واعراضه عنهم ، فأخبرهم الامام علي ؑ بأن عليهم أن ينزعوا تلك الثياب والحلي عنهم ، ويدخلوا على رسول الله ﷺ بثياب عادية حتى يرتاح إليهم النبي ويستقبلهم بوجه منبسط .

فعاد أعضاء الوفد ودخلوا على النبي ﷺ ثانية ولكن بثياب عادية خالية عن الزينة والحلي ، فاستقبلهم رسول الله ﷺ ببشاشة خاصة ، ورحب بهم ترحيبا كبيرا ، ثم سألوا النبي ﷺ أن يؤدوا صلاتهم في المسجد ، فاذن لهم رسول الله ﷺ بذلك ، ثم دخلوا مع النبي ﷺ في مناظرات ومناقشات مفصلة ، وبعد مناظرات مفصلة ذكرها أكثر المفسرين والمؤرخين ومنهم ابن هشام في سيرته <sup>(١)</sup> اتفقوا على أن يحسموا الأمر بالمباهلة ، وحيث يوم المباهلة .

ولما كان ذلك خرج رسول الله ﷺ في ذلك اليوم مع ابنته الزهراء وصهره علي بن أبي طالب ، وسبطيه الحسن والحسين ، إلى الصحراء للمباهلة مع وفد نجران .

ولكن وفد نجران بعد أن رأوا النبي ومن معه وما هم عليهم من البساطة والجلال انصرفوا عن الدخول في المباهلة ورضخوا طائعين لدفع جزية سنوية الى رسول الله ﷺ .

فهل هذه الوقائع التي استغرقت . كما يقول بعض المؤرخين . اربعة مجالس يمكن أن تكون قد تمت في يوم واحد؟

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٥٧٥ ، مجمع البيان : ج ١ ص ٤١٠ .

إن المحاسبات تقضي وتفيد بأن مراسيم المباهلة ، وكتابة وثيقة الصلح من غير الممكن أن تكون قد وقعت في اليوم الواحد والعشرين أو الرابع والعشرين ، أو الخامس والعشرين أو السابع والعشرين من شهر ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة.

هذا مضافا إلى أن « نجران » مدينة حدودية بين الحجاز واليمن ، ولا بد أن تردّد القبائل كان من شأنه ان ينقل الى مسامع النجرانيين أنباء وجود رسول الله ﷺ في مكة لاداء مناسك الحج ، ولهذا فان من المستبعد ان يكون وفد نصارى نجران قد اقدم على التوجه إلى المدينة للحضور عند رسول الله ﷺ قبل التأكد الكامل من عودته إلى المدينة والاستقرار الكامل فيها.

### هل كانت قضية المباهلة في السنة التاسعة؟

هنا يمكن أن يقال بأن قضية المباهلة وقعت في شهر ذي الحجة من السنة التاسعة ، وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض المؤرخين أيضا <sup>(١)</sup>.

ولكن المحاسبات التاريخية تثبت أيضا بطلان هذا الرأي ، وذلك لأن الامام عليا الذي كان من الشاهدين لقضية المباهلة ، كما أنه هو الذي كتب وثيقة الصلح بيده الشريفة كان قد كلف في التاسع من شهر ذي الحجة من هذه السنة ( التاسعة ) من قبل النبي ﷺ بمهمة إبلاغ آيات البراءة . على

---

(١) جاء ذكر هذا عند تفسير سورة التوبة. نقل صاحب الغدير : في ج ٦ ص ٣١٨ . ٣٢١ هذا الرأي من اثنين وسبعين شخصا من علماء السنة ، وكأن قضية المباهلة بين النبي ووفد نجران وقعت في آخر هذه السنة ( التاسعة ) ، لأنه ورد أن هذا الأمر قد تم في شهر ذي الحجة بعد فتح مكة ، ولا بد ان المراد بذي الحجة ليس هو ذو الحجة من عام حجة الوداع وهي السنة العاشرة التي وقعت فيها قضية الغدير فاذاً هو ذو الحجة من السنة السابقة على عام الغدير واستغرقت اربعة مجالس ( بتلخيص ).

المشركين في يوم الحج الاكبر بمنى ، وفي الحقيقة كانت السنة الثانية التي كانت قد انيطت  
امارة الحج وادارة امر الحجيج إلى المسلمين ، وكان قد اختير أمير المؤمنين أميراً على الحج  
فيها.

ونحن نعلم أن مناسك الحج تنتهي في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة ، ولا شك  
أن شخصية بارزة ومسئولة كالامام علي عليه السلام الذي كان يرأس الحج في ذلك العام من غير  
الممكن أن يكون قد غادر مكة في اليوم الثالث عشر ويتوجه الى المدينة وهو الذي كانت له  
أقرباء وانسباء كثيرون في مكة ، هذا مضافا إلى أن حركة الحجيج لم تكن في تلك العصور  
حركة انفرادية حتى يستطيع كل واحد منهم أن يقطع الفيافي القفراء والصحاري القاحلة  
الموحشة بمفرده فكان على من يريدون الحج ان يتوجهوا بصورة جماعية الى مكة أو يغادروها  
إلى بلادهم.

ولهذا فان عليا عليه السلام مهما اسرع وجدّ في السير قافلا الى المدينة ، وقطع المسافة بين مكة  
والمدينة بسرعة فائقة فانه من غير الممكن أن يكون قدم المدينة قبل اليوم الرابع والعشرين ،  
ولهذا كيف يمكن أن يقوم بارشاد وفد نجران ودلائتهم على ما يجب ان يفعلوه حتى يستقبلهم  
النبي ببشاشة ويرحب بهم ، ويشهد المباهلة مع المتباهلين.

إن الشواهد والادلة التاريخية تشهد بان النظرية المشهورة حول زمن المباهلة ( يوما وشهرا  
وعاما ) لا تحظى بالاعتبار الكافي ، ولا بدّ . لمعرفة زمن هذه الحادثة التي هي من مسلّمات  
القرآن والتفسير والحديث . من مزيد التحقيق ، ومزيد الدراسة ، والتقصى .

وهنا يبقى سؤال لا بد من الإجابة عليه وهو : كيف اختار المشهورون من العلماء مثل  
هذه النظرية حول يوم المباهلة وشهرها وعامها .

والجواب هو : أن المرحوم الشيخ الطوسي اختار هذا القول استنادا الى رواية مسندة نقلها  
في كتابه ولكن في سند الحديث المذكور رجالا غير ثقات في نظر

علماء الرجال ، نظراء :

١ . محمّد بن أحمد بن مخزوم استاذ التّلعكبري في الحديث فهو ممن لم يوثّق<sup>(١)</sup> .

٢ . الحسن بن على العدوي وقد ضعّفه العلامة<sup>(٢)</sup> .

٣ . محمّد بن صدقة العنبري وقد وصفه الشيخ الطوسي بالغلو<sup>(٣)</sup> .

وقد ذكر المرحوم السيد ابن طاوس في كتاب « الاقبال » امورا تتعلق بالمباهلة نقلا عن كتاب أبي المفضل وقد ذكرنا في الهامش ( ص ٢٠٧٣ ) أن ابا المفضل له فترتان في حياته ، فهو موثّق في حال وغير موثّق في حال آخر ، ولا يدري في أي حال من الحالين كتب أبو المفضل قضايا المباهلة ، واخذها عنه العلماء.

كما ان السيّد استند في كتابه المذكور ( ص ٧٤٣ ) على حديث مرفوع ( وهو ما فيه نقص في رجال سنده ) ، وذكر في ضوئه ان يوم المباهلة هو اليوم الرابع والعشرون على حين لا تقوم مثل هذه الرواية بأثبات المدعى.

---

(١) وان حاول المامقاني في تنقيح المقال توثيقه لكونه استاذ حديث.

(٢) تنقيح المقال : ج ١ ص ٢٩٤ .

(٣) رجال الشيخ الطوسي : ص ٣٩ .

## ١ . تقييم البراءة من المشركين

### ٢ . وفود القبائل في المدينة

تركت البراءة القوية التي أعلنها امير المؤمنين علي عليه السلام في موسم الحج في السنة التاسعة بمضى بامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي أعلن فيها بصراحة وبصورة رسمية ان الله ورسوله بريهان من المشركين والوثنيين ، وأن على المشركين أن يضعوا حدًا لشركهم خلال أربعة أشهر فيما أن يسلموا ويكفوا عن عبادة الاصنام ويهجروها ، وإما أن يستعدوا لمواجهة شاملة .

لقد ترك إعلان هذه البراءة الصريحة أثرها العميق والسريع ، فقد ارتبكت القبائل العربية القاطنة في شتى أنحاء الجزيرة العربية التي كانت بسبب عنادها ولجاجتها ترفض الخضوع لمنطق القرآن والاستجابة لنداء التوحيد وتصر على المضي في عاداتها الشنيعة ، والعكوف على الاوهام والخرافات وعبادة الاصنام والأوثان .

لقد ارتكبت هذه القبائل ، على اثر تلك البراءة الصريحة القوية ، فعمدت إلى إيفاد وفود ومندوبين من جانبها إلى المدينة عاصمة الإسلام ، وقد دار بين كل واحد من هذه الوفود وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوار خاص .

وقد ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى <sup>(١)</sup> مواصفات وخصوصيات اثنين

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٩١ - ٣٣٠ .

وسبعين وفدا من تلك الوفود.

إن توافد هذه البعثات والوفود العجيب وخاصة في أعقاب إعلان البراءة يكشف عن أن مشركى العرب فقدوا في السنة العاشرة من الهجرة كل حصين يمنهم عن رسول الله ﷺ ، والآن لكانوا يلحئون إليه ، ويتظاهرون على رسول الله ﷺ .

ولم تنته المدة المضروبة ( اربعة أشهر ) بعد إلا ودخلت كل مناطق الحجاز وكل أقوامها تحت راية التوحيد ، ولم يبق في الحجاز بيت تعبد فيه للاصنام والاثان ظاهرا حتى أن فريقا من سكان اليمن والبحرين واليمامة انتبهوا الى الاسلام فاقبلوا عليه واعتنقوه.

### محاولة اغتيال النبي :

عرفت قادة بني عامر من بين القبائل العربية . يومئذ . بالشر والطغيان ، وقد اعتزم ثلاثة اشخاص منهم هم : « عامر » و « أريد » و « جبار » على أن يدخلوا المدينة راس وفد من بني عامر ، ويتظاهروا بالتفاوض مع رسول الله ﷺ ، ثم يغدروا به في المجلس ويغتالوه . وكانت الخطة تقضى : بأن يتحدث « عامر » الى رسول الله ﷺ ويفاوضه ، وفيما هو يفعل ذلك يبادر « أريد » الى ضرب رسول الله ﷺ بسيفه .

ولم يخبر بقية اعضاء الوفد بنوايا هؤلاء الثلاثة وخطتهم ، ولهذا أعلنوا لرسول الله ﷺ عن رغبتهم الصادقة في الاسلام ، ووفائهم لشخص النبي ﷺ ، ولكن « عامرا » احجم عن أي نوع من انواع

التظاهر بالإسلام في ذلك المجلس وكان يصبر على رسول الله ﷺ أن يخلو به في مكان آخر ليتحدث معه على انفراد تمهيدا لتنفيذ الخطة المشؤومة وهو ينظر الى أريد وينتظر منه ما كان أمره به واتفقا عليه ، ولكنه لا يزداد نظرا إلى « اريد » إلا ويزداد « اريد » حيرة ودهشة هذا ورسول الله ﷺ يقول لعامر كلما قال : خالني : لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له.

فلما أيس « عامر » من « اريد » ، وكأن « اريدا » كلما عزم أن يجرد سيفه ويهجم على رسول الله ﷺ هاب النبي ، ومنعته عظمتة ومهابته ، فانصرف عن نيته ، قال عامر وهو يترك مجلس النبي ﷺ : أما والله لأملأنَّها عليك خيلا ورجالا وهو بذلك يكشف عن عناده وعتوه.

فقابله رسول الله ﷺ بحلم كبير ، ولم يرد على كلامه وتهديده وانما اكتفى بأن دعا عليه وعلى صاحبه بعد أن غادر مجلس النبي ﷺ .

ولقد استجاب الله لدعاء نبيه سريعا فقد خرج هو وصاحبه راجعين إلى بلادهم حتى اذا كانوا في اثناء الطريق بعث الله الطاعون في عنق « عامر » فقتله ذلك المرض الوبيء في بيت امرأة من بني سلول في صورة فضيحة ، وحالة سيئة.

وأما « اريد » فارسل الله عليه وعلى جملة صاعقة وهو في الصحراء فاحرقتهما ، وقد تسببت هاتان الحادثتان الفضيعتان اللتان أصابتا عدوين لدودين من أعداء النبي ﷺ في أن يزداد تعلق بني عامر برسول الله ﷺ ويتضاعف حبهم له ﷺ .

### أمير المؤمنين في ربوع اليمن :

لقد مكّن اقبال اهل الحجاز على الاسلام ، وأمن النبي ﷺ



جانب القبائل العربية ، مكّن النبي من العمل على مدّ شعاع الاسلام إلى البلاد المتاخمة للحجاز.

فكان أول ما فعل ﷺ في هذا الصعيد هو بعث أحد أصحابه العلماء وهو « معاذ بن جبل » الى اليمن ليبلّغ إلى اهلها نداء التوحيد ويشرح لهم معالم الاسلام وتعاليمه المقدسة ، وقد أوصاه بوصايا كثيرة ومفصلة منها قوله ﷺ .

« يسّر ولا تعسّر وبشّر ولا تنفّر وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك ما مفتاح الجنة : فقل شهادة أن لا إله الا الله وحده لا شريك له .»

ويبدو أن معاذًا رغم انه كان ملتمًا بالكتاب العزيز والسنة النبوية وتعاليمها واحكامها ، إلا انه لما سأله امرأة عن حق الزوج على الزوجة لم يملك لها جوابًا مقنعًا ، ولهذا رأى رسول الله ﷺ بأن يوجه الى اليمن تلميذه المتميز « علي بن أبي طالب » حتى يتمكن في ضوء دعوته الدائبة ، واحاديثه المبرهنة ، وما يمتلك من شجاعة أدبية نادرة ، وقوة عقلية متميزة من نشر الإسلام العظيم في تلك الربوع.

هذا مضافًا إلى أن النبي ﷺ كان قد بعث « خالد بن الوليد »<sup>(١)</sup> الى اليمن من قبل ليزيل المشكلات التي كانت تعرقل تقدم الاسلام في تلك الديار ولكنه لم يوفّق في مدة بقائه لعمل شيء في هذا المجال<sup>(٢)</sup>.

فاستدعا النبي ﷺ عليًا عليه السلام وأخبره بأنه يريد أن يذهب الى اليمن ليدعو أهلها إلى الإسلام ، وليخمس ركازهم ، ويعلمهم

(١) صحيح البخاري : ج ٥ ص ١٦٣ .

(٢) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٢٦٤ .

الاحكام ، ويبين لهم الحلال والحرام ، وإلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم ، فقال علي عليه السلام بتواضع بالغ :  
« يا رسول الله تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء » أي ما فعلته قبل هذا.

فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده في صدر علي عليه السلام وقال :  
« اللهم اهد قلبه وثبت لسانه ».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« يا علي لا تقاتلن أحدا حتى تدعوه وأيم الله لمن يهدي الله على يدك رجلا خيرا لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا علي ».

ثم أوصاه صلى الله عليه وآله وسلم بوصايا أربع هامة إذ قال :

يا علي أوصيك :

١ . بالدعاء فإن معه الإجابة.

٢ . بالشكر فإن معه المزيد.

٣ . وإيتاك أن تخفر عهدا أو تعين عليه.

٤ . وأنهاك عن المكر ، فإنه لا يحقق المكر السيئ إلا بأهله ، وأنهاك عن البغي ، فإنه من بغي عليه لينصرنه الله ».

ولقد بقي علي عليه السلام يقوم بالقضاء طيلة أيام إقامته في اليمن بصورة عجيبة محيرة ، وقد دونت أكثر اقصيته في كتب التاريخ والحديث.

هذا ويروي « البراء بن عازب » وكان من الذين صحبوا عليا عليه السلام في سفره هذا الى اليمن انه لما انتهى علي عليه السلام ومن معه إلى أوائل أهل اليمن ، وبلغ القوم الخبر ، فخرجوا إليه صف علي عليه السلام الجنود الذين كانوا

قد استقروا هناك من قبل بقيادة خالد بن الوليد ، ثم صلى بهم صلاة الفجر ، ثم دعا قبيلة همدان كلها ، وكانت أكبر القبائل اليمنية ، ليقرا عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، فحمد الله ، واثى عليه ، ثم قرأ على القوم كتاب رسول الله ﷺ فاسلمت همدان كلها في يوم واحد متأثرة بجلال المشهد ، وحلاوة البيان ، وعظمة المنطق النبوي ، فكتب امير المؤمنين علي بن ابي طالب بذلك إلى رسول الله ﷺ فلما قرأ كتابه استبشر وابتهج وخر ساجدا شكرا لله تعالى ثم رفع رأسه وجلس وقال :

« السلام على أهل همدان. السلام على أهل همدان ».

ثم تتابع . على أثر اسلام همدان . أهل اليمن على الاسلام<sup>(١)</sup> .

---

(١) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ٣٠٥ ، بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٣٦٠ - ٣٦٣ .

## حجة الوداع

تعتبر مراسيم الحج ومناسكه من أعظم العبادات الاسلامية الجماعية التي يؤديها المسلمون ، جلالا واهمة ، وذلك لأن أداء مراسيم الحج ومناسكه في كل سنة مرة واحدة يمثل بالنسبة للامة الإسلامية أكبر مظاهر الاتحاد ، والوحدة ودليلا كاملا على الترفع على المناصب والدرجات وتكون نموذجا بارزا للمساواة بين جميع أبناء البشر ، وسبيلا إلى تقوية أواصر الاخوة المتينة بين المسلمين ، فاذا كان المسلمون لا ينتفعون بهذه المائدة الكبرى التي منحها ربه لهم ، واذا كانوا لا يستفيدون من هذا المؤتمر الاسلامي السنوي العظيم ( الذي يمكنه بحق أن يجيب ويعالج الكثير من مشكلاتنا الاجتماعية ، ويكون نقطة تحول عميق في حياتنا ) استفادة كاملة لاثقة ، فإن ذلك ليس . وبدون ريب او شك . ناشئا من قصور في القانون الاسلامي ، بل هو دليل على قصور قادة المسلمين وتقصير حكامهم الذين لا يولون هذه المراسم وهذا الموسم العظيم اهتماما مناسبا ، ولا يفكرون في استغلاله على الوجه المطلوب .

فمنذ أن فرغ إبراهيم الخليل عليه السلام من اقامة صرح الكعبة المعظمة ودعا الموحدين إلى زيارتها ، والحج إليها لم تزل هذه البنية الشريفة كعبة القلوب ، ومطاف الشعوب والاقوام والجماعات الموحدة التي تأتي إليها كل عام من شتى نقاط العالم ، ومن مختلف انحاء الجزيرة العربية ، ويؤدّون عندها المناسك التي علّمها إياهم النبي العظيم إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا السلام.

ولكن تقادم العهد ، وانقطاع شعب الحجاز عن قيادة الأنبياء ، وأنانية قريش ، وسيادة الوثنية على عقول العرب أوجب أن تتعرض مراسم الحج ومناسكه . من حيث الزمان والمكان . لعملية تحريف وتغيير ، وان تفقد صبغتها الحقيقية ووجهها الواقعي .

لهذه الجهات امر رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة ، ومن قبل الله سبحانه ان يشارك في مراسم الحج شخصيا ، ويقوم بتعليم مناسك الحج للناس ، ويوقفهم على واجباتهم في هذه العبادة الكبرى عمليا ، كما يقوم بإزالة كل ما علق بها من زوائد طيلة السنوات الغابرة ، ويعين حدود « عرفات » و « منى » ويوم الإفاضة منها ولهذا فان السفر كان سفرا ذا طابع تعليمي ، قبل أن يكون ذا طابع سياسي واجتماعي .

أمر رسول الله ﷺ في الشهر الحادي من العام العاشر للهجرة ( أي شهر ذي القعدة ) بأن ينادى في المدينة وبين القبائل بأن رسول الله ﷺ يقصد مكة للحج هذا العام ، فحدث هذا الاعلان شوقا وابتهاجا عظيمين في نفوس جمع كبير من المسلمين ، فتهيأ عدد هائل منهم لمرافقة رسول الله ﷺ وضربت مضارب وخيم كثيرة خارج المدينة المنورة بانتظار حركة النبي ﷺ وتوجهه الى مكة (١) .

وفي اليوم السادس والعشرين من شهر ذي القعدة خرج رسول الله ﷺ من المدينة متوجها الى مكة وقد استخلف مكانه في المدينة أبا دجانة الانصاري ، وقد ساق معه ما يزيد عن ستين بدنة .

وعند ما بلغ الموكب النبوي العظيم إلى « ذي الحليفة » ( وهي نقطة فيها مسجد الشجرة أيضا ) أحرم بلبس قطعتين عاديتين من القماش الأبيض من مسجد الشجرة ، ودخل الحرم ، ولبي عند الاحرام قائلا :

---

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣٨٩ .

« لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ».

وهو بذلك يلبي نداء إبراهيم ، كما أنه ﷺ كان يكرّر هذه التلبية كلّما شاهد راكبا ، أو علا مرتفعا من الأرض ، أو هبط واديا .  
ولما شارف مكة قطع التلبية المذكورة .

وفي اليوم الرابع من شهر ذي الحجة ، دخل مكة المكرمة وتوجّه نحو المسجد الحرام رأسا ، ثم دخله من باب بني شيبه وهو يحمد الله ويشني عليه ويصلي على إبراهيم عليه السلام .

ثم بدأ من الحجر الأسود فاستلمه <sup>(١)</sup> أولا ، ثم طاف سبعة أشواط حول الكعبة المعظمة ، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم وعند ما فرغ من صلاته سعى بين الصفا والمروة <sup>(٢)</sup> ثم التفت إلى حجاج بيت الله الحرام وقال :

« من لم يسق منكم هديا فليحل وليجعلها عمرة ( أي فليقتصر أي يأخذ من شعره وظفره فيحل له ما حرم عليه بالاحرام ) ومن ساق منكم هديا فليقيم على إحرامه » .  
وقد كره البعض هذا واعتذروا بأنه يعز عليهم ( أولا يلذ لهم ) أن يخرجوا من الاحرام فيحل لهم ما يحرم على المحرم فيلبسوا الثياب ويقربوا النساء ويتدهنوا ورسول الله ﷺ على إحرامه أشعث أغبر .

---

(١) المراد من الاستلام هو مسح الحجر الاسود باليدين قبل الشروع بالطواف وفلسفة هذا العمل هي أن هذا الحجر كان يقف عليه ابراهيم لدى بناء جدران الكعبة واقامتها ورفعها ، واستلامه نوع من تجديد الميثاق مع الخليل عليه السلام والعمل على نصره عقيدة التوحيد على نحو ما فعل ابراهيم .

ولقد اعتمر رسول الله ﷺ في الفترة المدنية مرتين ، إحداها في السنة السابعة والاخرى في السنة الثامنة بعد فتح مكة ، وكانت هذه ثالث عمرة يقوم بها رسول الله ﷺ مع الحج ( الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٧٤ ) .

(٢) الصفا والمروة جبلان على مقربة من المسجد الحرام والسعي هو المشي بينهما ابتداء من الصفا وانتهاء بالمروة .

وربما قالوا : لا يصحّ هذا ، كيف تقطر رءوسنا من الغسل <sup>(١)</sup> ونحن زمر بيت الله؟  
فالتفت النبي ﷺ الى عمر وكان ممن بقى على احرامه وقال له : ما لي أراك يا عمر  
محرمًا؟ أسقت هديا؟

قال عمر : لم أسق.

فقال النبي : فلم لا تحل وقد أمرت من لم يسق بالإحلال؟

قال عمر : والله يا رسول الله لا أحللت وأنت محرم.

فغضب النبي لموقف الناس المتلكي هذا وقال :

« لو كنت استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم ».

وهو ﷺ يعني : أنني لو كنت أعلم بالمستقبل ولو عرفت بموقف الناس المتردد  
وخلافهم هذا من قبل لما سقت الهدي ، ولفعلت ما فعلتموه من عدم سوق الهدي ، ولكن  
ما ذا عساي أن أفعل الآن وقد سقت الهدي ، ولا يمكنني الإحلال من الإحرام ، فيجب  
علي أن أبقى على إحرامي « حتى يبلغ الهدي محله » أي أنحر هديي بمضى كما أمر الله  
سبحانه ، وأما أنتم فمن لم يسق الهدي منكم فإنّ عليه أن يحلّ إحرامه ، واحسبوها عمرة ،  
ثم أحرموا للحج مرة اخرى <sup>(٢)</sup>.

### الامام علي يعود من اليمن :

لما علم علي عليه السلام بتوجه رسول الله ﷺ الى مكة

(١) هذه العبارة كناية عن مقارنة الأزواج وغسل الجنابة لان مقارنتهن هي أحد محرمات الحرام وترتفع هذه الحرمة  
بالتقصير وهو أخذ شيء من شعر الرأس أو اللحية أو تقليم الظفر.

(٢) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٣١٩ ، وهذه القصة توقفنا على تعنت فريق من الصحابة وتمردهم على تعليمات  
النبي وأوامره الاكيدة وهم يعلمون أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وثمة شواهد وموارد اخرى كثيرة  
على الموضوع ، وقد جمعها المغفور له العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي في كتاب اسماء « النص  
والاجتهاد ».

للمشاركة في مراسم الحج خرج هو وجنوده وقد ساق معه (٣٤) هديا للمشاركة في الحج ، واصطحب حلالا من بز اليمن وحريرها قد أخذها من اهل نجران وهي الجزية التي تقرّ دفعها الى النبي ﷺ .

ولقد تعجل علي عايشا إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جنده الذين خرجوا معه إلى الحج رجلا من أصحابه لقيادتهم حتى مكة ، فالتحق برسول الله ولقيه على مشارف مكة فسر رسول الله ﷺ به ، وبما أحرزه من نجاحات في مهمته التي بعثه بها إلى أرض اليمن ، وقد أخبر بها النبي ﷺ على وجه التفصيل.

فلما فرغ من بيان اخبار سفره قال له رسول الله ﷺ : انطلق فطف بالبيت ، وحلّ كما حل أصحابك.

فقال علي : يا رسول الله إني اهلت كما أهلت.

فسأله النبي ﷺ عن كيفية إهلاله ساعة أحرم للحج فقال علي عايشا : يا رسول الله إني قلت حين أحرمت : اللهم إني اهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد ﷺ .

قال النبي وقد أخبره بانه يشاركه في الحكم ما دام أهلّ بهذه الكيفية : فهل معك هدي؟ قال علي : نعم وهو يشير إلى الهدي الذي ساقه معه من اليمن.

فاشركه رسول الله ﷺ في الحكم ، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتى فرغا عن الحج ونحر رسول الله ﷺ الهدي عن نفسه ، كما نحر علي هديه أيضا (١).

ثم إن رسول الله ﷺ أمر عليا عايشا بأن يرجع إلى جنوده الذين فارقهم ، ويصطحبهم إلى مكة ، فلما رجع علي عايشا إليهم

---

(١) الارشاد : ص ٩٢ ، ان هذا يدل على أن النية الاجمالية كافية ولا يلزم وقوف الناوي على تفاصيل العمل وجزئياته.



وجد أن الرجل الذي استخلفه على اولئك الجنود قد عمد فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان قد أحذه علي من أهل نجران ليسلمها الى رسول الله ﷺ فانزعج من هذا التصريح غير المشروع وقال له : ويلك ما هذا؟

قال : كسوت القوم ليتحملوا به اذا قدموا في الناس بمكة فقال علي عليه السلام : ويلك! أنزع قبل أن تنتهي إلى رسول الله ﷺ ، فانتزع ذلك الرجل الحلل من الجنود ، وردّها إلى مكائها مع الأشياء الاخرى من جزية أهل نجران.

فانزعج جماعة من اولئك الجنود ممن يزعمهم العدل والنظام دائما ويريدون أن تسير الامور وفق أهوائهم ومشتهياتهم وان خالفت سنن الحق ومبادئ العدالة ، وأبدوا شكواهم من ما صنع بهم من استرداد الحلل والثياب.

ولما قدموا على رسول الله ﷺ بمكة اشتكوا عليا عليه السلام فقام رسول الله خطيبا في الناس وقال :

« أيها الناس ، لا تشكوا عليا ، فوالله إنه لأحشن في ذات الله (أو في سبيل الله) من أن يشكى »<sup>(١)</sup>.

### مراسم الحج تبدأ :

انتهت أعمال العمرة ، وكان النبي ﷺ يكره أن ينزل ويمكث في دار أحد في المدة التي بين العمرة والحج ولهذا أمر بأن تضرب له خيمة خارج مكة .  
لقد حلّ اليوم الثامن من شهر ذي الحجة ، فخرج زهّر بيت الله الحرام في ذلك اليوم من مكة إلى أرض عرفات ليقفوا في اليوم التاسع وهو يوم عرفة من ظهر ذلك اليوم وحتى الغروب منه .

---

(١) السيرة النبوية : ح ٤ ص ٦٠٣ وفي البحار : ج ٢١ ص ٣٨٥ : أمر النبي ﷺ مناديا أن ينادي في الناس : « ارفعوا ألسنتكم عن علي فانه حشن في ذات الله غير مداهن في دينه ».

وقد قصد النبي عرفات أيضا في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة (الذي يدعى يوم التروية أيضا) من طريق منى ، وتوقف في « منى » إلى طلوع الشمس من اليوم التاسع ثم ركب بعيره ، وتوجه نحو عرفات ، ونزل في خيمة كانت قد ضربت له في مكان يدعى « نمره » .

وقد ألقى في ذلك الاجتماع الهائل خطابا تاريخيا هاما وهو على ناقته.

### خطاب النبي التاريخي في حجة الوداع :

... في ذلك اليوم الذي كانت عرفات تشهد فيه اجتماعا عظيما وحشدا بشريا هائلا ، لم يشهد مثله شعب الحجاز من قبل حتى ذلك اليوم ، كان نداء التوحيد وشعار الاسلام يديوي في ربوع تلك المنطقة التي كانت فيما مضى من الزمان موطن المشركين ومسكن الوثنيين ولكنها قد تحولت الآن إلى قاعدة الموحدين ، وملتقى عباد الله المؤمنين . في هذه المنطقة بالذات ( أي أرض عرفات ) نزل رسول الله ﷺ وصلى الظهر والعصر وهو يوم مائة الف ، ثم خطب فيهم خطابه التاريخي وهو راكب على راحلته ، وكان أحد اصحابه . وكان رفيع الصوت قويه . يكرر كلماته ﷺ ليسمعه آخر من في ذلك الحشد .

لقد بدأ رسول الله ﷺ ذلك الخطاب هكذا :

« أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا .

أيها الناس إن دماءكم واموالكم <sup>(١)</sup> عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم .  
وتأكيدا لحرمة أموال المسلمين ودمائهم قال ﷺ لربيعة بن أمية :

---

(١) في الخصال : ج ٢ ص ٤٨٧ أيضا : وأعراضكم .

« قل يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول : هلا تدرون أي شهر هذا ؟ »  
فاجابوا : الشهر الحرام الذي يحرم فيه القتال وارقة الدماء. فقال النبي ﷺ لربيعة :  
« قل لهم : إن الله قد حمّ عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم  
هذا ».

ثم قال ﷺ لربيعة :

« قل : يا أيها الناس إن رسول الله يقول هل تدرون أي بلد هذا؟ »  
فاجابوا جميعا : البلد الحرام ، الذي يحرم فيه القتال والعدوان. فقال رسول الله  
ﷺ لربيعة :

« قل لهم : إن الله قد حمّ عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم  
هذا ».

ثم قال ﷺ لربيعة :

« قل لهم : هل تدرون أي يوم هذا؟ ».

فأجابوا بأجمعهم : يوم الحج الاكبر.

فقال رسول الله ﷺ لربيعة :

« قل لهم : إن الله قد حمّ عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم  
هذا ».

أيها الناس : إن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة  
بن الحارث ( وكان من أقرباء النبي ) ».

وهكذا ألغى رسول الله ﷺ عادة الثارات الجاهلية المشؤومة وبدأ بأقربائه.

ثم قال ﷺ :

« إنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كانت

عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها.

أيّها الناس إن كل ربا موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله.

أيّها الناس إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به ممّا تحقرون من أعمالكم (أو رضي منكم بمحقّرات الأعمال) ، فاحذروه على دينكم.

أيّها الناس إن النسيء <sup>(١)</sup> زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلّونه عاما ويحرّمونه عاما ليواطئوا حتّى ما حرّم الله فيحلّوا ما حرّم الله ويحرّموا ما أحلّ الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متوالية (ذو القعدة وذو الحجة وشهر المحرم ورجب).

أيّها الناس إن لكم على نساءكم حقا ولهن عليكم حقا :

لكم عليهم أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه (أي لا تضيّفن في بيوتكم من تكرهونه).

وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرّح ، فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فإنّهنّ عندكم عوان لا يملكن لأنفسهنّ شيئا ، وإنكم انما أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيّها الناس قولي فاني قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبدا أمرا بيّنا كتاب الله وسنة نبيّه <sup>(٢)</sup> أيّها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلّمن أن كل مسلم أخ للمسلم وإن

(١) شرحنا النسيء في ص ٨٣ من هذا الكتاب فراجع.

(٢) لقد اوصى رسول الله ﷺ الأمة في هذه الخطبة التاريخية بالكتاب والسنة ،

المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم ألا فليبلغ شاهدكم غائبكم لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم<sup>(١)</sup>.

« ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع »<sup>(٢)</sup>.

وهنا قطع النبي ﷺ خطابه ، ورفع سبّابته نحو السماء (كعلامة على الشهادة) وهو ينكتها الى الناس وقال :

« اللهم اشهد

اللهم اشهد

اللهم اشهد »<sup>(٣)</sup>

ولقد مكث رسول الله ﷺ في عرفات حتى غروب اليوم التاسع ، وعند ما اختفى قرص الشمس عن الافق ، واطلمّ الغضاء بعض الشيء ركب ناقته ، وافاض إلى المزدلفة وامضى فيها شطرا من الليل ولم يزل واقفا من الفجر إلى طلوع الشمس في المشعر ، ثم توجه في اليوم العاشر إلى « منى » وأدّى مناسكها من رمي الجمار والذبح والتقصير ثم توجه نحو مكة لأداء بقية مناسك الحج.

ولكنه أوصى في خطبة الغدير وفي اخريات حياته بالكتاب والعترة ، وحيث ان هذين الحديثين وردا في واقعتين فلا تنافي بينهما ، لانه يصح ان يجعل النبي ﷺ السنة عدلا للكتاب في واقعة ، ويوصى بالعترة والخلفاء من أهل بيته في موضع آخر ويؤكد على اتباعهم الذي هو أخذ بالسنة أيضا.

وقد تصور بعض اعلام السنة كالشيخ محمود شلتوت في تفسيره ان النبي ﷺ تحدث بمثل هذا الكلام في واقعة واحدة فقط ، ولهذا جعل لفظ « عترة » في الهامش نسخة بدل في حين لا نحتاج الى مثل هذا التصحيح ابدا لانه لا تعارض بين النقلين أساسا ليعالج بهذه الطريقة.

(١) الخصال : ص ٤٨٧ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٤٠٥ .

(٣) امتناع الاسماع : ج ١ ص ٥٢٣ والطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٨٤ .

وهكذا علّم رسول الله ﷺ الناس مناسك الحج بصورة عملية ، وحدّد أو أكّد على مشاعره بصورة دقيقة .

ويطلق على هذه الحجّة التاريخية في كتب التاريخ والحديث « حجة الوداع » تارة ، و « حجة البلاغ » اخرى ، و « حجة الإسلام » ثالثة ، وإنما يطلق كل عنوان من هذه العناوين على هذه الحجّة لمناسبة لا تخفى على القارئ البصير <sup>(١)</sup> .

هذا ونلفت نظر القرّء الكرام في خاتمة هذا الفصل إلى أن المشهور بين المحدثين هو أن رسول الله ﷺ ألقى هذا الخطاب التاريخي الخالد في يوم عرفة ولكن يذهب بعض المؤرّخين إلى أن هذه الخطبة القيت في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة ، ويرى آخرون أن النبي ﷺ خطب خطبا عديدة في هذه الحجّة مستغلا كل فرصة سانحة لابلاغ مبادئ رسالته الإلهية .

هذا وقد وقعت في أثناء هذه الرحلة المقدسة قضايا ووقائع لطيفة وجديرة بالدرس والتأمل والتملي ، وقد تركنا ذكرها هنا رعاية للاختصار <sup>(٢)</sup> .

---

(١) راجع امتاع الاسماع : ج ١ ص ٥١٠ هذا ولعلّ الوجه في تسمية هذه الحجّة بالوداع لانها آخر حجة للنبي ﷺ وبالبلّاغ هو نزول قوله تعالى « يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » في أعقابها وبالتمام والكمال هو نزول قوله تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » .

(٢) راجع بحار الأنوار : ج ١ ص ٣٧٨ - ٤١٣ ، امتاع الاسماع : ج ١ ص ٥١٠ - ٥٣٤ .

## إكمال الدين الإسلامي بتعيين

### الخليفة

الخلافة حسب عقيدة علماء الشيعة الإمامية منصب إلهي يعطى من قبل الله تعالى لأفضل أفراد الامة ، وأصلحهم ، وأعلمهم ، والفرق الواضح بين الامام والنبى هو : أن النبي مؤسس قواعد الشريعة ، وهو الذي يوحى إليه ، وينزل عليه الكتاب من السماء ، والامام وان كان لا يتمتع بأي واحد من هذه الشؤون إلا أنه مضافا إلى شؤون الحكومة والقيادة هو المبين لما جاء به رسول الله من الدين ممّا لم يوفق . بسبب الظروف المعاكسة او عدم الفرص المناسبة . لبيانه أو اظهاره ، وترك مهمة بيانه على عاتق اوصيائه وخلفائه .

وعلى هذا الاساس فان الخليفة . من وجهة نظر عقيدة الشيعة الإمامية ليس مجرد حاكم زمي للمسلمين وليس المطبق لقوانين الشريعة المقدسة والحافظ للحقوق الاجتماعية ، والحارس لثغور المسلمين وحدود بلادهم المدافع عنها ، فحسب بل هو علاوة على كل ذلك الموضح لما خفي من معالم الدين ، والمكتمل المبين لذلك الجانب من أحكام الشريعة وقوانينها الذي لم يبين من قبل مؤسس الشريعة لبعض الاسباب .

أما الخلافة في عقيدة أهل السنة فهي منصب عادي وليس الهدف منها إلا حفظ الكيان الظاهري والشؤون المادية للامة الإسلامية ، ولخليفة لا ينصب إلا باختيار الناس وانتخابهم أحدا لشغل منصب الحكم والقضاء وإدارة الامور السياسية والاقتصادية وما شابهها ، وذكر تفصيل ما بيّنه صاحب الشريعة من

الأحكام على نحو الاجمال.

وأما بيان ما لم يوفق النبي لبيانه لأسباب خاصة فهو يرتبط بعلماء الإسلام وفقهاء المسلمين فهم يعالجون ما يستجد للناس من مشكلات فقهية ودينية من هذا النوع عن طريق الاجتهاد ، والرأى.

وعلى أساس هذا الاختلاف في الموقف من قضية الخلافة وحقيقتها والنظرة إليها انشطت الامة الاسلامية إلى طائفتين واتجاهين لا يزالان باقيا إلى هذا اليوم.

وبناء على النظرية الاولى يكون الامام مشاركا للنبي في بعض شئونه ، فيشترط في الإمام أيضا ما يشترط في النبي . وإليك الشروط المعتمدة في النبي ، التي تشترط في الإمام أيضا :

١ . يجب أن يكون النبي معصوما ، يعني أن لا يحوم حول الإثم والمعصية طول حياته أبدا ، ولا ينزل أو يخطأ في بيان أحكام الدين وحقائقه ، وعند الاجابة على أسئلة الناس واستفساراتهم الدينية ، ويشترط في الامام ذلك أيضا ، والدليل في الموردين واحد.

٢ . يجب أن يكون النبي أعلم الناس بالشرعية ، ويجب أن لا يخفى عليه شيء من مسائل الشرعية مطلقا ، وهكذا يجب أن يكون الامام اعلم الناس باحكام الدين ومسائله لكونه مكملا أو مبينا لما لم يبين من مسائل الشرعية في زمن النبي.

٣ . إن النبوة منصب تعييني وليس منصبا انتخابيا ، بمعنى أنّ النبي لا يكون نبيا إلا إذا عينه الله وابتعثه ، ونصب في مقام النبوة من جانبه سبحانه ، لأنه تعالى دون سواه يميز المعصوم عن غير المعصوم ، وهو سبحانه دون غيره يعلم من بلغ درجة العصمة عن الخطأ والمعصية في ظل العناية الربانية الغيبية الخاصة ، بحيث يعرف كل تفاصيل الدين وجزئياته . إن هذه الشروط الثلاثة كما هي معتبرة في النبي ، كذلك هي معتبرة ومشترطة في خليفته والقائم مقامه .



ولكن بناء على النظرية الثانية لا يشترط أيّ شيء من هذه الشروط المعتمدة في النبي ، في الخليفة فلا تجب العصمة ، ولا العدالة ، ولا يجب العلم والاحاطة بالشرعية ولا يشترط فيه التعيين من جانب الله ، والارتباط بعالم الغيب ، بل يكفي في استحقاق الخلافة أن يكون الشخص قادرا في ظلّ ذكائه ، ومشورة المسلمين على حفظ الكيان الاسلامي ، وقادرا على إقرار الأمن في البلاد بتطبيق قوانين الشرعية الجزائية ، كما ويتمكن من توسيع رقعة الأرض الاسلامية في ظل الدعوة الى الجهاد.

وعلينا الآن ان نعالج هذه المسألة ( أي هل الخلافة والامامة منصب تنصيصي أو انتخابي وهل على النبي ان يعيّن نفسه من يخلفه ، أو يوكل الامر الى الامة لتختار من تريد ). وندرسها في ضوء المحاسبات الاجتماعية ليلمس القارئ بوضوح أن الأحوال والظروف الاجتماعية كانت توجب أن يقوم النبي ﷺ بتعيين خليفته في حياته ويحل بذلك مشكلة الخلافة من بعده ، ولا يوكل الأمر إلى الأمة. وإليك توضيح هذا القسم وبيانه :

#### اقتضاء المحاسبات الاجتماعية في مسألة الخلافة :

لا شك في أن الدين الاسلامي دين عالمي ، وشرعية خاتمة ، وقد كانت قيادة الامة الاسلامية من شئون النبي الاكرم ﷺ ما دام على قيد الحياة ، وكان عليه أن يوكل مقام القيادة من بعده إلى أفضل أفراد الامة واكملهم.

إن في هذه المسألة وهي هل أن منصب القيادة بعد النبي ﷺ هل هو منصب تنصيصي تعيني أو انه منصب انتخابي اتجاهين : فالشيعة يرون أن مقام القيادة منصب تنصيصي ولا بد أن يتعين خليفة النبي من جانب الله سبحانه.

بينما يرى أهل السنة أن هذا المنصب منصب انتخابي جمهوري ، أي أن على الأمة أن تقوم بعد النبي باختيار فرد من أفرادها لادارة البلاد.

إن لكل من الاتجاهين المذكورين دلائل ذكرها أصحابهما في الكتب العقائدية ، إلا أن ما يمكن طرحه هنا هو تقييم ودراسة المسألة في ضوء دراسة وتقييم الظروف السائدة في عصر الرسالة فإن هذه الدراسة كفيلة بإثبات صحة هذا الاتجاه أو ذلك.

إن تقييم الأوضاع السياسية خارج المنطقة الاسلامية وخارجها في عصر الرسالة يقضي بأن خليفة النبي كان لا بد أن يعين من جانب الله تعالى ولا يترك الأمر من دون مثل هذا التعيين الالهي ، فإن المجتمع الاسلامي كان مهتداً على الدوام من جانب الخطر الثلاثي ( الروم . إيران . المنافقون ) بشنّ الهجوم الكاسح ، وإلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين.

كما أن مصالح الأمة كانت توجب أن يوجّد صفوف المسلمين في مواجهة الخطر الخارجي وذلك بتعيين قائد سياسي من بعده ، وبذلك يسدّ الطريق على نفوذ العدو في جسم الأمة الاسلامية والسيطرة عليها ، وعلى مقدراتها.

وإليك بيان وتوضيح هذه المطلب :

لقد كانت الامبراطورية الروميه احد اضلاع المثلث الخطر الذي يحيط بالكيان الاسلامي ويتهدده من الخارج والداخل.

وكانت هذه القوة الرهيبة تتمركز في شمال الجزيرة العربية ، وكانت تشغل بال النبي القائد على الدوام حتى إن التفكير في امر الروم لم يغادر ذهنه وفكره حتى لحظة الوفاة ، والالتحاق بالرفيق الأعلى.

وكانت اولى مواجهة عسكرية بين المسلمين ، والجيش المسيحي الرومي وقعت في السنة الهجرية الثامنة في أرض فلسطين وقد آلت هذه المواجهة إلى مقتل القادة العسكريين البارزين الثلاثة وهم : « جعفر الطيار » ، و « زيد بن حارثة » و « عبد الله بن رواحة ».

ولقد تسبّب انسحاب الجيش الاسلامي بعد مقتل القادة المذكورة إلى تزايد جرأة الجيش القيصري المسيحي فكان يخشى بصورة متزايدة أن تتعرض عاصمة الاسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش.

من هنا خرج رسول الله ﷺ في السنة العاشرة للهجرة على رأس جيش كبير جدا إلى حدود الشام ليقود بنفسه أئمة مواجهة عسكرية ، وقد استطاع الجيش في هذه الرحلة الصعبة المضنية أن يستعيد هيئته الغابرة وتجدّد حياته السياسية.

غير أن هذا الانتصار المحدود لم يقنع رسول الله ﷺ فأعد قبيل مرضه جيشا كبيرا من المسلمين وأمير عليهم « اسامة بن زيد » وكلّفهم بالتوجه إلى حدود الشام ، والحضور في تلك الجبهة.

أما الضلع الثاني من المثلث الخطير الذي كان يتهدد الكيان الاسلامي فكان الامبراطورية الايرانية ( الفارسية ) وقد بلغ من غضب هذه الامبراطورية على رسول الله ﷺ ومعاداتها لدعوته أن أقدم امبراطور ايران « خسرو ابرويز » على تمزيق رسالة النبي ، وتوجيه الاهانة الى سفيره باخراجه من بلاطه والكتابة إلى واليه وعميله باليمن بان يوجه إلى المدينة من يقبض على رسول الله ﷺ ، أو يقتله ان امتنع!!

و « خسرو » هذا وإن قتل في زمن رسول الله ﷺ إلا أن موضوع استقلال اليمن . التي رزحت تحت استعمار الامبراطورية الايرانية ردحا طويلا من الزمان . لم يغيب عن نظر ملوك إيران آنذاك ، وكان غرور اولئك الملوك وتجبرهم ، وكبرياؤهم لا يسمح بتحتمل منافسة القوة الجديدة ( القوة الاسلامية ) لهم.

والخطر الثالث كان هو خطر حزب النفاق الذي كان يعمل بين صفوف المسلمين في صورة الطابور الخامس ، على تقويض دعائم الكيان الاسلامي من الداخل إلى درجة أنهم قصدوا اغتيال رسول الله ، في طريق العودة من تبوك إلى

المدينة .

فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخطر يقول في نفسه : ان الحركة الاسلامية سينتهي أمرها بموت رسول الله ﷺ ورحيله وبذلك يستريح الجميع (١) .

ولقد قام أبو سفيان بن حرب بعد وفاة رسول الله ﷺ بمكيدة مشعومة لتوجيه ضربة الى الامة الاسلامية من الداخل ، وذلك عند ما أتى عليا ؑ وعرض عليه ان يبايعه في مقابلة من عينه رجال السقيفة ، ليستطيع بذلك تشطير الامة الاسلامية الواحدة إلى شطرين متحاربين متقاتلين فيتمكن من التصيد في الماء العكر .

ولكن الامام عليا ؑ أدرك بذكائه البالغ نوايا أبي سفيان الخبيثة ، فرفض مطلبه وقال له كاشفا عن دوافعه ونواياه الشريرة :

« والله ما أردت بهذه إلا الفتنة وانك والله طالما بغيت للإسلام شرا ... لا حاجة لنا في

نصيحتك »!! (٢) .

ولقد بلغ دور المنافقين التخريبي من الشدة بحيث تعرّس القرآن لذكرهم في سور عديدة هي سورة آل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والانفال ، والتوبة ، والعنكبوت ، والاحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والمجادلة ، والحديد ، والمنافقين ، والحشر .

فهل مع وجود مثل هؤلاء الاعداء الخطرين والاقوياء الذين كانوا يتربصون بالاسلام الدوائر ، ويتحينون الفرص للقضاء عليه يصحّ أن يترك رسول الله ﷺ امته الحديثة العهد بالاسلام ، الجديدة التأسيس من دون ان يعيّن لهم قائدا دينيا سياسيا .

إن المحاسبات الاجتماعية تقول : انه كان يتوجب ان يمنع رسول الاسلام

---

(١) الطور : ٣٠ .

(٢) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ٢٢٢ ، العقد الفريد : ج ٢ ص ٢٤٩ .

بتعيين قائد للامة ، من ظهور أيّ اختلاف وانشقاق فيها من بعده ، وان يضمن استمرار وبقاء الوحدة الاسلامية بايجاد حصن قوى وسياس دفاعى متين حول تلك الامة .  
إنّ تحصيل الامة ، وصيانتها من الحوادث المشؤومة ، والحيلولة دون حدوث ظاهرة مطالبة كل فريق الزعامة لنفسها دون غيرها ، وبالتالي التنازع على مسألة الخلافة والزعامة لم يكن ليتحقق إلاّ بتعيين قائد للامة ، وعدم ترك الامور للقدر .

إنّ المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحة نظرية « التنصيب على القائد بعد رسول الله » ، ولعلّ لهذا الجهة ، ولجهات اخرى طرح رسول الاسلام مسألة الخلافة في الايام الاولى من ميلاد الرسالة الاسلامية وظلّ يواصل طرحها والتذكير بها طول حياته حتى الساعات الأخيرة منها حيث عيّن خليفته ونصّ عليه بالنص القاطع الواضح الصريح في بدء دعوته ، وفي نهايتها أيضا .

وإليك بيان كلا هذين المقامين :

#### ١ . النبوة والامامة توأمان :

بغض النظر من الأدلة العقلية على صحة المحاسبة الاجتماعية التي تثبت حقانية الرأى الأول بصورة قطعية هناك أخبار وروايات وردت في المصادر المعتبرة تثبت صحة الموقف والرأى الذي ذهب إليه علماء الشيعة ، وتصدقه ، فقد نص النبي ﷺ على خليفته من بعده في الفترة النبوية من حياته مرارا وتكرارا ، واخرج موضوع الامامة من مجال الانتخاب الشعبي ، والرأى العام .

فهو لم يعين ( ولم ينص على ) خليفته ووصيه من بعده في اخريات حياته فحسب ، بل بادر إلى التعريف بخليفته ووصيه في بدء الدعوة يوم لم ينضو تحت راية رسالته بعد سوى بضع عشرات من الاشخاص ، وذلك يوم أمر من جانب الله العلي القدير أن ينذر عشيرته الاقربين من العذاب الالهي الاليم ، وأن يدعوهم

إلى عقيدة التوحيد قبل ان يصدع برسالته للجميع ويبدأ دعوته العامة للناس كافة.  
فجمع أربعين رجلا من زعماء بني هاشم وبني المطلب ثم وقف فيهم خطيبا فقال :  
« أيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ». .  
فاحجم القوم ، وقام عليّ عليه السلام ، واعلن مؤازرته وتأييده له ، فاحذ رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم برقبته والتفت الى الحاضرين وقال :  
« إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم » <sup>(١)</sup> .

وقد عرف هذا الحديث عند المفسرين والمحدثين بـ : « حديث يوم الدار ، و « حديث  
بدء الدعوة » .

على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكتف بالنص على خليفته في بدء رسالته ، إنما صرح في  
مناسبات شتى ، في السفر والحضر ، بخلافه علي عليه السلام من بعده ولكن لا يبلغ شيء من  
ذلك في الأهمية والظهور والصراحة والحسم ما بلغه حديث الغدير .

## ٢ . قصة الغدير :

لما انتهت مراسم الحج ، وتعلم المسلمون مناسكهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قرّر رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم الرحيل عن مكة ، والعودة الى المدينة ، فأصدر أمرا بذلك .  
ولما بلغ موكب الحجاج العظيم إلى منطقة « رابغ » <sup>(٢)</sup> التي تبعد عن

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٢١٦ ، الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ وقد مر مفصله في هذه الدراسة  
فراجع .

(٢) رابغ تقع الآن على الطريق بين مكة والمدينة .

« الجحفة » <sup>(١)</sup> بثلاثة أميال نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله ﷺ بمنطقة تدعى « غدِير خم » وخاطبه بالآية التالية : « لَمْ يَكُنْ لِمَهْمُولٍ بِعَمٍّ لَمْ يُنْزَلِ لَيْتَ نَبِيٌّ كَلِمًا لِيَوْمِ ٱلْأَمْرِ تَفْعَلُ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ مَلَأَ اللَّهُ بَعْضُكُمْ مِنَ النَّاسِ » <sup>(٢)</sup>.

إن لسان الآية وظاهرها يكشف عن أن الله تعالى ألقى على عاتق النبي ﷺ مسؤولية القيام بمهمة خطيرة ، وأي أمر أكثر خطورة من أن ينصب عليا عليه السلام لمقام الخلافة من بعده على مرأى ومسمع من مائة ألف شاهد.

من هنا أصدر رسول الله ﷺ أمره بالتوقف ، فتوقفت طلائع ذلك الموكب العظيم ، والتحق بهم من تأخر.

لقد كان الوقت وقت الظهيرة ، وكان الجو حارا الى درجة كبيرة جدا ، وكان الشخص يضع قسما من عباءته فوق رأسه والقسم الآخر منها تحت قدميه ، وصنع للنبي ﷺ مظلة وكانت عبارة عن عباءة القيت على أغصان شجرة ، ( سمرة ) وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحاضرين الظهر جماعة ، وفيما كان الناس قد احاطوا به صعد ﷺ على منبر اعدّ من أحجاج الإبل وأقتابها ، وخطب في الناس رافعا صوته وهو يقول :

« الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، الذي لا هادي لمن ضل ولا مضل لمن هدى وأشهد ان لا إله إلا هو وأن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد ، أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف الذي قبله ، وإني أوشك أن ادعى فأجيب وأني مسعول وانتم مسئولون فما ذا انتم قائلون؟

(١) من مواقيت الاحرام وتنشعب منها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين.

(٢) المائة : ٦٧ .

قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيرا قال ﷺ :  
« أستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن حنّته حق وأن الساعة  
آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟ »

قالوا : بلى نشهد بذلك.

قال ﷺ :

« اللهم اشهد ».

ثم قال ﷺ :

« إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً ».

فنادى مناد : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، وما الثقلان؟

فقال ﷺ :

« كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكوا به والأخر عترتي وإن  
اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا  
عنهما فتهلكوا ».

وهنا أخذ بيد « علي » عليه السلام ورفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه الناس اجمعون ثم  
قال :

« أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من انفسهم؟ ».

قالوا : الله ورسوله أعلم.

فقال ﷺ :

« إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من انفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه  
(١) ، اللهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه وانصر من نصره ، واخذل من خذله واحب من  
احبه وابغض من ابغضه وادر الحق معه حيث دار » (٢).

(١) لقد كرر النبي ﷺ هذه العبارة ثلاث مرات دفعا لأي التباس أو اشتباه.

(٢) راجع للوقوف الكامل على مصادر هذا الحديث المتواتر موسوعة الغدير للعلامة الاميني.



## واقعة الغدير خالدة الى الأبد :

لقد تعلقت المشيئة الربانية بأن تبقى واقعة الغدير التاريخية في جميع القرون والعصور كتاريخ حيّ يجتذب القلوب والافئدة ، ويكتب عنه الكتاب الاسلاميون في كل عصر وزمان ويتحدثون حوله في مؤلفاتهم المتنوعة في مجال التفسير والتاريخ والحديث والعقائد ، كما يتحدث حوله الخطباء في مجالس الوعظ ومن فوق صهوات المنابر ، ويعتبرونها من فضائل الإمام « علي » الذي لا يتطرق إليها أي شك أو ريب.

ولم يقتصر هذا على الكتاب والخطباء بل استلهم الشعراء من هذه الواقعة الكبرى التي فجرت بالتفكير حول هذه الحادثة ، وبالاخلاص لصاحب الولاية ينابيع التعبير في وجودهم فأنشئوا أروع القصائد ، وجادت قرائحهم بأنواع مختلفة من القصيد الجميل ، وخلفوا لمن بعدهم وبلغات مختلفة آثارا أدبية ولائية خالدة.

ولهذا قلّما نجد حادثة تاريخية حظيت في العالم البشري عامة وفي التاريخ الاسلامي والامة الاسلامية خاصة بمثل ما حظيت به واقعة الغدير ، ولما استقطبت اهتمام الفئات المختلفة من المحدثين والمفسرين والكلاميين والفلاسفة ، والشعراء والأدباء ، والكتّاب والخطباء ، وارباب السير والمؤرخين كما استقطبت هذه الحادثة ، وقلّما اعتنوا بشيء مثلها اعتنوا بها.

إن من أسباب خلود هذه الواقعة الكبرى ودوام هذا الحديث هو : نزول آيتين من آيات القرآن الكريم فيها <sup>(١)</sup> ، فما دام القرآن الكريم باقيا مستمرا يتلى آناء الليل وأطراف النهار تبقى هذه الحادثة في الاذهان والنفوس ولا تمحو خاطرتها من العقول والقلوب.

---

(١) المائدة : ٦٧ و ٣.

وحيث أن المجتمع الاسلامي في العصور الغابرة وكذا الطائفة الشيعية كانوا يعتبرون هذا اليوم عيداً كبيراً من الأعياد الدينية ، وكانوا يقيمون فيها ما يقيمونه من المراسيم في الاعياد الاسلامية لهذا فان هذه الحادثة التاريخية ( حادثة الغدير ) قد اتخذت طابع الابدية والخلود الذي لا تمحي معه خاطرتها من الأذهان والخواطر .

هذا ويستفاد من مراجعة التاريخ بوضوح أن اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام كان معروفاً بين المسلمين بيوم عيد الغدير وكانت هذه التسمية تخطى بشهرة كبيرة إلى درجة أن ابن خلكان يقول حول « المستعلي بن المستنصر » : فبوع في يوم غدير خم وهو الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ٤٨٧ (١) .

وقال في ترجمة المستنصر بالله العبيدي : وتوفي ليلة الخميس لا ثني عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، قلت : وهذه هي ليلة عيد الغدير اعني ليلة الثامن عشر من شهر ذي الحجة وهو غدير خم (٢) .

وقد عدّه ابو ریحان البيروني في كتابه « الآثار الباقية » ممّا استعمله أهل الاسلام من الأعياد (٣) .

وليس ابن خلكان وابو ریحان البيروني ، هما الوحيدان اللذان صرّحا بكون هذا اليوم هو عيد من الاعياد ، بل هذا الثعالبي قد اعتبر هو الآخر ليلة الغدير من الليالي المعروفة بين المسلمين (٤) .

إن عهد هذا العيد الاسلامي وجذوره ترجع إلى نفس يوم « الغدير » لأن النبي ﷺ أمر المهاجرين والانصار بل أمر زوجاته ونساءه في ذلك

(١) وفيات الأعيان : ج ١ ص ٦٠ .

(٢) وفيات الأعيان : ج ١ ص ٦٠ .

(٣) ترجمة الآثار الباقية : ص ٣٩٥ الغدير : ج ١ ص ٢٦٧ .

(٤) ثمار القلوب : ص ٥١١ .

اليوم بالدخول على « علي » عليه السلام وتحدثه بهذه الفضيلة الكبرى.  
يقول زيد بن ارقم : كان أول من صافق النبي صلى الله عليه وسلم وعلياً : أبو بكر وعمر وعثمان  
وطلحة والزبير وباقي المهاجرين والانصار وباقي الناس <sup>(١)</sup>.

### الدلائل الاخرى على ابدية الغدير :

ويكفي في أهمية هذا الحدث التاريخي أن هذه الواقعة التاريخية رواها مائة وعشرة صحابي ،  
على أن هذه العبارة لا تعني أنّ رواية هذه الواقعة اقتضت على هؤلاء المائة والعشرة من  
ذلك الحشد الهائل بل يعني أن هؤلاء جاء ذكرهم في كتب أهل السنة ومصنفاتهم.  
صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقى خطابه المذكور الذي تضمن نصب علي عليه السلام  
للخلافة في مائة الف او يزيدون من الناس ولكن كثيرا منهم كانوا قد أتوا من مناطق نائية من  
الحجاز ولهذا لم يرو عنهم هذا الحديث ، كما ان كثيرا من الذين حضروا ذلك المشهد التاريخي  
العظيم رووا ونقلوا للآخرين هذا الحديث ولكن التاريخ لم يوفق لذكر أسمائهم ، أو إذا تمّ  
ذلك لكن لم يصل إلينا.  
ثم إنّه روى هذا الحديث في القرن الثاني الاسلامي وهو عصر التابعين تسعة وثمانون  
تابعيا.

وقد بلغ عدد من روى حديث « الغدير » في القرون اللاحقة في كتابه من علماء أهل  
السنة وفضلائهم ثلاثمائة وستون شخصا ، وصحّحه جمع كبير منهم واعترفوا بتواتره.  
ففي القرن الثالث رواه اثنا وتسعون عالما.  
وفي القرن الرابع رواه أربعة واربعون.

(١) راجع مصدره في الغدير : ج ١ ص ٢٧٠.

أربعة وعشرون.	وفي القرن الخامس رواه
عشرون.	وفي القرن السادس رواه
واحد وعشرون.	وفي القرن السابع رواه
ثمانية عشر.	وفي القرن الثامن رواه
سنة عشر.	وفي القرن التاسع رواه
أربعة عشر.	وفي القرن العاشر رواه
اثنا عشر.	وفي القرن الحادي عشر رواه
ثلاثة عشر.	وفي القرن الثاني عشر رواه
اثنا عشر.	وفي القرن الثالث عشر رواه
عشرون عالماً.	وفي القرن الرابع عشر رواه

ولم يكتف البعض بنقل ورواية هذا الحديث في كتبهم ومؤلفاتهم بل ألفوا حوله رسائل أو كتباً مستقلة.

وقد ألف المؤرخ الإسلامي الكبير « الطبري » كتاباً في هذا المجال أسماه « الولاية في طرق حديث الغدير » روى فيه هذا الحديث عن النبي بخمس وسبعين سنداً. ولقد روى « ابن عقدة » في رسالة « الولاية » هذا الحديث بمائة وخمسين حديثاً. وروى أبو بكر محمد بن عمر البغدادي المعروف بالجمعي هذا الحديث بخمس وعشرين سنداً.

كما روى من علماء الحديث هذه الواقعة نظراء :

ب ٤٠ سنداً	أحمد بن حنبل الشيباني
ب ٢٥ سنداً	ابن حجر العسقلاني
ب ٨٠ سنداً	الجزري الشافعي
ب ١٢٠ سنداً	أبو سعيد السجستاني

ب ٤٠	الأمير محمد اليمني
ب ٢٥٠ سندا	النسائي
ب ١٠٠ سندا	أبو العلاء الهمداني
ب ٣٠ سندا	أبو العرفان الحبان

وبلغ عدد من ألف رسالة خاصة أو كتابا مستقلا حول هذه الواقعة وخصوصياتها وتفصيلها ٢٦ شخصا ولعل هناك غيرهم ممن ألف كتابا أو رسالة مستقلة حول هذه الحدث التاريخي الهام لم يذكر التاريخ أسماءهم ، أو ضاعت مؤلفاتهم مع التطورات التي طرأت على الأمة الإسلامية وضيعت الكثير من تراثها الفكري خلال عمليات الاغارة والنهب أو الهدم والإحراق ( ولقد اقتبسنا كل هذه الاحصاءات من كتاب الغدير الجزء الاول ).

ولقد كتب علماء الشيعة كتبا قيمة حول هذه الواقعة أجمعها واشملها كتاب « الغدير » بقلم العلامة الجليل والكاتب الاسلامي القدير المرحوم آية الله الشيخ الأميني رحمته الله ، والذي يقع في أحد عشر مجلدا في ما يقرب من ستة آلاف صفحة ، وقد استفدنا كثيرا من تلك الموسوعة في تنظيم الفصل الحاضر.

ثم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يلبث ان نزل عليه قوله تعالى بعد نصبه عليا لإمرة المسلمين في تلك الواقعة :

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا » <sup>(١)</sup>.

فكبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصوت عال ثم أضاف قائلا :

« الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي ، وولاية علي بن أبي طالب من بعدى ».

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك المنبر المصنوع من حداثج

(١) المائدة : ١ و ٣.

الابل وأمر امير المؤمنين علياً عليه السلام أن يجلس في خيمة وأمر أطباق الناس وكل من حضر المشهد من امته ومنهم الشيخان ومشيخة قريش ووجوه الأنصار كما أمر امهات المؤمنين بالدخول على أمير المؤمنين عليه السلام وتهنئته على تنصيبه لمنصب الامامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ففعل الناس ذلك وانكبوا على « علي » عليه السلام بايديهم وكان أول من صافق وهناً علياً أبو بكر وعمر واصفين إياه بالولاية.

وهنا قام « حسان بن ثابت الأنصاري » شاعر الاسلام واستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أن ينشد شعراً بهذه المناسبة ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : قل على بركة الله .

فقام حسان وقال :

يناديهم يوم الغدير نبينهم	بخدم وأسمع بالنبي مناديا
وقد جاءه جبريل عن أمر ربه	بأنبك معصوم فلا تك وانيا
وبلغهم ما انزل الله بهم	إليك ولا تخشى هناك الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفيه	بكف علي معلن الصوت عاليا
فقال فمن مولاكم ووليكم	فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا	ولن تجدن فينا لك اليوم عاصيا
فقال له : قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه	وكن للذي عادى علياً معاديا
فيا رب انصر ناصريه لنصرهم	امام هدى كالبدر يجلو الدياتيا

ولقد كان هذا الحديث على مدى التاريخ الاسلامي اكبر دليل على أفضلية علي عليه السلام على جميع صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كافة ، حتى أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام احتج به مرارا فقد احتج به في مجلس الشورى الذي عقد لتعيين الخليفة عقيب وفاة الخليفة الثاني ، وفي أيام خلافة عثمان وفي أيام

خلافته عليه السلام أيضا ، كما أن شخصيات كثيرة من وجوه المسلمين احتجوا به على منكري حق عليّ وأفضليته وكان ذلك دأبهم دائما وأبدا.

١ . المتنبئون كذبا <sup>(١)</sup> ] أذعياء النبوة

[

٢ . التفكير في أمر الروم

بعد الانتهاء من مراسم تعيين الخليفة في « غدیر خم » انفصلت جموع الحجيج المشاركة في مراسم « حجة الوداع » من الوافدين من الشام ومصر ، عن النبي ﷺ في أرض الجحفة والذين شاركوا في هذه المراسم من « حضرموت » و « اليمن » انفصلوا عنه في هذه النقطة أو في نقطة سابقة وفضلوا راجعين إلى أوطانهم .

ولكن العشرة آلاف الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ عادوا مع النبي ﷺ إلى المدينة ، ووصلوها قبل أن تأتي السنة العاشرة من الهجرة على نهايتها .

كان رسول الله ﷺ والمسلمون فرحين جدا لانتشار الإسلام في شتى نقاط الجزيرة العربية ، ولانتهاء عهد الحاكمية الوثنية والشرك في كل مناطق الحجاز ، وبالتالي لزوال جميع الموانع والعراقيل التي كانت تحول دون نفوذ الإسلام ، وانضواء الناس تحت لوائه المبارك .

لم يكن ذي الحجة من السنة العاشرة قد انتهت بعد يوم قدم نفران من « اليمامة » المدينة ، وسلما كتابا من « مسيلمة » الذي عرف فيما بعد بـ « مسيلمة

---

(١) كانت مراسلة مسيلمة للنبي ﷺ في نهايات السنة المحجربة العاشرة وكذا ادعاء الاسود العنسي للنبوة ، وقد دمجنا ذكرهما في حوادث الفصل الثالث والستين تقريبا لفصول هذا الكتاب .



الكذّاب « إلى رسول الله ﷺ .

ففتح أحد كتاب النبي ﷺ الرسالة وقرأها عليه فكان مضمونها ان شخصا باليمامة يدعى « مسيلمة » يدّعي النبوة ويشرك نفسه مع رسول الإسلام في أمر الرسالة ، ويريد من خلال كتابه أن يبلغ النبي ﷺ بذلك ، ويعرّفه بنبوته.

وقد اثبتت كتب السير والتواريخ الاسلامية نص الكتاب المذكور.

ويوحى اسلوب الرسالة المذكورة بأن صاحبها اراد تقليد الاسلوب القرآني في البيان والتعبير ولكن محاولته باءت بالفشل فلم يستطع تقليده ، واتى بعبارات خاوية خالية من روح ، يفوقها الكلام العادي في القوة بدرجات.

فلقد كتب « مسيلمة » في كتابه هذا : (١).

أما بعد ، فاني قد اشركت في الأمر معك ، وان لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الارض ، ولكنّ قريشا قوما يعتدون.

ولما وقف رسول الله ﷺ على مضمون الرسالة ، التفت إلى من حملها إليه وقال : « أما والله لو لا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما لأنكما أسلمتما من قبل وقبلتما برسالتني فلم اتبعتما هذا الاحمق وتركتما دينكما ».

ثم ان رسول الله ﷺ أملى على كاتبه كتابا إلى مسيلمة قصير المحتوى ، مفحم المفاد. وإليك نص رسالة النبي ﷺ :

« بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » (٢).

(١) ومن شدة جهله أنه لم يبدأ كتابه باسم الله ، بل ولم يفعل ما فعله حتى المشركون في العهد الجاهلي.

(٢) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٠٠ و ٦٠١ وتكفي مقارنة بين نص الكتابين في معرفة حقيقة الشخصين.

## لمحة عابرة عن هوية مسيلمة :

كان مسيلمة من الأشخاص الذين وفدوا على رسول الله ﷺ في المدينة في السنة العاشرة من الهجرة وأسلم في من اسلم ، ولكنه بعد أن عاد إلى موطنه ادّعى النبوة ، وأجابه طائفة من السدّج والبسطاء ، وربما من المتعصبين من قومه. ولم يكن نجاح دعوته الباطلة في « اليمامة » دليلاً على شخصيته الواقعية ، بل التفّ حوله فريق ممن تبعه تعصبا وحمية مع أنهم علموا بكذبه ، وزيف دعوته إذ كانوا يقولون : « كذّاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر » وقد قال هذه العبارة أحد اتباعه لما سأله مسيلمة ذات مرة : من يأتيك؟ قال : رحمان ، قال : أفي نور أو في ظلمة؟ فقال : في ظلمة ، فقال أشهد أنّك كذاب وأنّ محمّداً صادق ولكن كذّاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر<sup>(١)</sup>.

إن من المسلّم أنّ الرجل قد ادعى النبوة ، وتبعه على ذلك فريق من قومه ، ولكنه لم يثبت قط أنه تصدّى لمعارضة القرآن ، وما اثر عنه . في النصوص التاريخية . من عبارات وجمل في معارضة القرآن لا يمكن أن تكون من كلام رجل فصيح كمسيلمة لأن عباراته العادية واحاديثه الأخرى في غاية البلاغة والإتقان ، فكيف تصدر منه هذه العبارات الضعيفة . ولهذا يمكن القول بأن ما نقل عنه . على غرار ما نقل عن معاصره « الاسود بن كعب العنسي » الذي ادعى النبوة معه في اليمن . إنما هي امور نسبت إليه ، والصقت به الصاقاً لاسباب خاصّة لان عظمة القرآن وبلاغته الفائقة في حد لا يجزأ معها أحد على التفكير في معارضة القرآن ومقابلته ، ويعلم كل عربي بحكم فطرته الالهية أن هذا الاسلوب الجذّاب وأن عظمة المعاني القرآنية وسموها تجعل القرآن الكريم فوق حدود الطاقة البشرية ، فكيف يحاول أحد معارضته ومقابلته .

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٥٠٨ ويقصد بالاول مسيلمة والثاني رسول الله ﷺ .

ثم ان مواجهة المرتدين من العرب كان أول ما قام به الخلفاء بعد رسول الله ﷺ ولهذا حوصرت منطقة « مسيلمة » من قبل جنود الاسلام ، وضيق عليه الحصار شيئا فشيئا ، حتى اذا اتضحت هزيمة ذلك الكذاب ، قال له بعض اتباعه السذج : أين ما كنت تعدنا ( من النصر الالهي ) فقال مسيلمة : أما الدين فلا ، قاتلوا عن أحسابكم .  
ولكن الدفاع عن الاحساب والكرامة لم يجد مسيلمة ولا اتباعه شيئا ، فقد قتل هو وفريق منهم في بستان على أيدي المسلمين ، وانتهت بذلك خرافة نبوته المدعاة<sup>(١)</sup> .  
إن هذه العبارة القصيرة تكشف عن انه كان رجلا فصيحاً وناطقاً بليغاً ، كما انها تفيد انه لم يكن صاحب تلك العبارات الباردة الخاوية التي نسبت إليه . في التاريخ والسيرة . في معارضة القرآن الكريم .

### التفكير في أمر الروم :

مع أن ظهور مثل هؤلاء المتنبيين الكذبة في شتى مناطق الحجاز كان خطرا على وحدة أهلها الدينية ، فان التفكير في أمر الروم الذين كانت الشامات وفلسطين من مستعمراتهم آنذاك . كان يستأثر باهتمام رسول الله ﷺ أكثر من غيره لأنه كان يعلم بأن القادة اللائقين في الإمامة واليمن قادرين على مواجهة المتنبيين ، ولهذا قضي على « الاسود العنسي » وهو رجل آخر ادعى النبوة كذبا في عهد رسول الله ﷺ وذلك بعد يوم من وفاة النبي على والي اليمن .

لقد كان رسول الله ﷺ متيقنا وواثقا من أن الدولة الرومية التي تلاحظ اتساع رقعة النفوذ الاسلامي الصاعد ، والتي رأت كيف أن رسول

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٥١٤ . ٥١٦ .

الاسلام استطاع أن يقتلع جذور اليهودية من الحجاز ، وفرض الجزية على فريق النصارى يدفعونها للحكومة الاسلامية ، غاضبة لذلك اشد الغضب .

لقد كان النبي ﷺ منذ أمد بعيد يعتبر خطر الروم خطرا جديا لا يمكن التغاضي عنه واحتقاره ، ولهذا السبب نفسه وجه في السنة الثامنة من الهجرة جيشا كبيرا قوامه ثلاثة آلاف بقيادة « جعفر بن أبي طالب » و « زيد بن حارثة » و « عبد الله بن رواحة » إلى تخوم الشام حيث يسيطر الروم ، وقد استشهد في هذه المعركة القادة الثلاثة ، وقفل الجيش الاسلامي راجعا إلى المدينة من دون انتصارات بتدبير من خالد بن الوليد .

وفي السنة التاسعة عند ما بلغه نبأ استعداد الروم لمهاجمة الحجاز وهو آنذاك في المدينة خرج ﷺ بشخصه على رأس جيشه قوامه ثلاثون ألفا إلى تبوك ، وعاد من دون مواجهة إلى المدينة .

ولهذا كان هذا الخطر جديا في نظر النبي ﷺ .

ومن هنا فانه ﷺ لما عاد من « حجة الوداع » الى المدينة هيا جيشا من المهاجرين والانصار اشرك فيه اشخاصا معروفين بارزين مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد بن الوقاص و . و . وأمر بأن يشارك فيه كل من هاجر إلى المدينة خاصة <sup>(١)</sup> .

ثم ان رسول الله ﷺ لتحريك مشاعر المجاهدين عقد بيده <sup>(٢)</sup> لواء لأسامة بن زيد الذي أمره على ذلك الجيش . وقال له :

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٤٢ ، النص والاجتهاد : ص ١٢ .

(٢) يذهب كتاب الستة إلى أن النبي عقد اللواء المذكور في ٢٦ صفر ، وحيث أن وفاة النبي ﷺ حسب روايتهم كانت في ١٢ ربيع الاول لهذا فان من الممكن ان تقع الحوادث التي سيأتي ذكرها مستقبلا تدريجا في مدة ١٦ يوما ، ولكن حيث أن الشيعة يرون تبعا لما رواه عترة النبي أن وفاة النبي ﷺ كانت في ٢٨ صفر لهذا يجب أن يكون عقد اللواء قد تم قبل ٢٦ صفر بمدة ليتمكن وقوع كل هذه الحوادث الكثيرة في هذه المدة .

« سر الى موضع قتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش ، فاغز صباحا وشنّ الغارة على أهل ابني » (١) .

فاعطى « اسامة » اللواء الى « بريدة » وعسكر بالجرف (٢) ليلتحق به جنود الاسلام أفواجا أفواجا ، وليتحرك الجميع في وقت واحد.

لقد اختار رسول الله ﷺ لقيادة هذا الجيش شابا في مقتبل العمر ، وأمره على طائفة كبيرة من شيوخ الانصار والمهاجرين ، ولقد أراد ﷺ من فعله هذا أمرين :  
أولا : أن يجبر . من خلال ذلك . ما لحق من المصيبة باسامة بسبب مقتل والده « زيد بن حارثة » الذي استشهد في معركة مؤتة مع الروم ، وليرفع من شخصيته.

ثانيا : أراد أن يؤكد قانونه في مجال التوصيف وتوزيع المناصب والمسئوليات ويجعل ذلك على اساس الكفاءة والشخصية القيادية ان المناصب والمسئوليات الاجتماعية لا تحتاج إلى غير الكفاءات والمؤهلات ولا ترتبط بحال بالعمر والسن. لقد فعل النبي ذلك حتى يهيى الشباب الذين يتمتعون بالمؤهلات الكافية لتسلم المسئوليات الاجتماعية الثقيلة ويحملوا أن المناصب والمهام . في النظام الاسلامي . ترتبط ارتباطا مباشرا بالكفاءة والمؤهلات القيادية ، لا العمر والسن.

ثم ان الاسلام الواقعي هو الانضباطية الشديدة والانقياد الكامل تجاه التعاليم الالهية السامية ، والمسلم الحقيقي هو من ينقاد لتعاليم الله تعالى واوامره تعاليمه ويقبل بها من كل قلبه كجندي في ساحة القتال ، سواء أكانت له فيها نفع أم لا ، وسواء أكانت تضر به أم لا ، وسواء أكانت مطابقة لأهوائه ومطامحه أم لا .

---

(١) « ابني » من مناطق اللقاء وتقع في الأراضي السورية وقرب مؤتة بين « عسقلان » و « الرملة » .

(٢) منطقة واسعة على بعد ثلاثة أميال مدينة من جانب الشام .

ولقد بين الامام علي عليه السلام حقيقة الاسلام في عبارة موجزة ولكن بليغة ومعبرة اذ قال :  
« الاسلام هو التسليم » <sup>(١)</sup>.

إن الذين يؤمنون ببعض تعاليم الاسلام دون بعض ، كلما واجهوا ما لا يوافق اهواءهم  
الباطنية منها اعترضوا عليه وحاولوا التملّص من المشاركة في تنفيذه بشتى المعاذير والحجج .  
لا شك أن هذا الفريق يفتقر إلى روح الانضباطية ، والتسليم الواقعي والانقياد الكامل  
الذي يمثل روح الاسلام وأساسه .

لقد كان تأمير قائد شاب يدعى « اسامة بن زيد » الذي لم يكن يتجاوز يومذاك .  
العشرين عاما <sup>(٢)</sup> شاهد صدق على ما نقول ، لأنّ تأميره على لفيف من الصحابة يكبرون  
عنه في العمر أضعافا شقّ على البعض ، لأنهم اعترضوا على الاجراء ، وطعنوا في اسامة ،  
واطلقوا عبارات تكشف جميعها عن افتقارهم لروح الانقياد والطاعة والتسليم الذي يجب أن  
يتحلى بها الجندي المسلم تجاه قائد الاسلام الأعلى ( النبي ) ، واوامره وتعييناته .

ولقد كان محور كلامهم هو أن النبي أمر شابا صغير السن على شيوخ من الصحابة <sup>(٣)</sup> .  
ولكنهم غفلوا عن المصالح والأهداف التي توخاها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من هذا الإجراء ،  
وكانوا يقدّرون كل عمل بعقولهم الضيقة المحدودة ، ويقيسونه بمقاييسهم الشخصية .  
فرغم أنهم لمسوا من قريب كيف أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يحرص على تعبئة هذا الجيش وبعثه  
، ولكن عناصر مشبوهة أخرت حركة الجيش المذكور

(١) نخج البلاغة : قصار الحكم ١٢٥ .

(٢) ذهب البعض مثل السيرة الحلبية إلى انه كان في السابعة عشرة من عمره وذهب آخرون إلى انه كان في الثامنة  
عشرة من عمره . المهم أنهم اتفقوا على انه لم يتجاوز العشرين سنة .

(٣) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٩٠ .

من معسكر « الجرف » وتوجهه إلى النقطة المطلوبة ، وكانت تسعى لعرقلة هذه المهمة .  
وبعد يوم من عقد رسول الله ﷺ اللواء لاسامة تمرّ ﷺ بشدة وأصابه صداع  
شديد تركه طريح الفراش واستمر هذا المرض عدة أيام حتى قضى صلوات الله عليه .  
وقد علم رسول الله ﷺ في مرضه أن هناك من تخلف عن جيش اسامة وأن هناك من  
يعرقل توجهه نحو المنطقة التي عينها ، وأن هناك بالتالي من يطعن في اسامة فغضب  
ﷺ لذلك غضبا شديدا ، وخرج وهو يلتحف قطيفة ، وقد عصّب جبهته بعصابة إلى  
مسجده ليتحدث إلى المسلمين من قريب ، ويحذّره من معبّة هذا التخلف ، فصعد المنبر  
على ما هو عليه من حمّى شديدة وبعد أن حمد الله واثني عليه قال :

« أمّا بعد أيّها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة ، ولغن طعنتم في  
إمارتي اسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله وأيم الله كان للإمارة خليقا وإن ابنه من بعده  
لخليق للإمارة ، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ وأتّهما لمخيلان لكل خير ، واستوصوا به خيرا  
فانه من خياركم » .

ثم نزل ﷺ ودخل بيته واشتدت به الحمى ، فجعل يقول لمن يعود من أصحابه :

« أنفذوا بعث اسامة » <sup>(١)</sup> .

ولقد بلغ من إصرار رسول الله ﷺ على بعث جيش اسامة انه كان يقول وهو في  
فراش المرض :

« جهزوا جيش اسامة ، لعن الله من تخلف عنه » <sup>(٢)</sup> .

وقد تسببت هذه التأكيدات في أن يحضر جماعة من المهاجرين والأنصار

---

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٩٠ .

(٢) الملل والنحل : ج ١ المقدمة الرابعة ص ٢٣ .

عند رسول الله ﷺ للتوديع والخروج عن المدينة تلقائياً والالتحاق بجيش اسامة في معسكره بالجرف.

وفيما كان اسامة يتهيأً للتوجه بجيشه إلى حيث أمر الرسول الكريم ﷺ بلغ بعض الصحابة الحاضرين في الجيش انباء عن تدهور صحة النبي ﷺ فتسببت في عدولهم عن الحركة حتى كان يوم الاثنين ، فحضر اسامة عند رسول الله ﷺ ليودّعه فرأى آثار التحسن بادية على ملامح النبي ﷺ .

فقال له رسول الله ﷺ حاثاً اياه على المبادرة والمساعدة في الخروج :  
« اغد على بركة الله » (١).

فعاد اسامة إلى المعسكر وأمر بالتحرك فوراً ، ولكن الجيش لم يكن قد غادر « الجرف » بعد ، حتى جاء نبأ من المدينة بأن رسول الله ﷺ يحتضر ، فعمد من كانوا يبحثون عن حجة للتخلف عن جيش اسامة ، والذين حاولوا خلال ستة عشر يوماً أن يعرقلوا توجهه بشتى المعاذير والحجج إلى التوسل هذه المرة بقضية احتضار النبي ﷺ وعادوا إلى المدينة فوراً ، وعاد الجيش برمته هو الآخر إلى المدينة متجاهلين . جميعاً . أوامر النبي ﷺ بالخروج . ولم يتحقق أحد آمال النبي الاكرم ﷺ في أيام حياته بسبب اللانضباطية التي ابداهما فريق من شيوخ القوم واعيان الجيش .

### الاعذار غير المقبولة :

إن خطأ كبيراً كهذا ارتكبه بعض من تسلّم أمور الخلافة بعد رسول الله

---

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ١٩٠ .



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسموا أنفسهم خلفاء النبي لا يمكن أن يبرّ أبداً.  
ولقد أراد بعض علماء السنة أن يبرّوا هذا التخلف بطرق ووجوه مختلفة إلا أنهم عجزوا .  
رغم ذلك . أن يخرجوا عذراً مقبولاً ودليلاً مرضياً لأولئك المتخلفين عن جيش اسامة .  
وللاطلاع على ما نحت لذلك من أعدار سقيمة راجع « المراجعات »<sup>(١)</sup> . و « النص  
والاجتهاد »<sup>(٢)</sup> .

### الاستغفار لأهل البقيع :

كتب فريق من اصحاب السيرة ان رسول الله ﷺ خرج في الليلة التي توفي في  
صبيحتها مع أبي مويهبة خادمه إلى البقيع مع ما كان عليه من شدة الحمى والوجع ليستغفر  
لأهل البقيع<sup>(٣)</sup> .

ولكن المؤرخين الشيعة يرون أن النبي ﷺ يوم أحس بالوجع اخذ بيد « علي » عَائِشَةَ  
وخرج معه إلى البقيع وخرج خلفه جماعة فقال لمن خرج معه :  
« إني امرت أن استغفر لأهل البقيع » .  
وعند ما جاء البقيع سلّم على أهل القبور هناك وقال :  
« السلام عليكم أهل القبور ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه اقبلت الفتن  
كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا يتبع آخرها أولها » .  
ثم استغفر ودعا لأهل البقيع طويلاً ثم التفت إلى علي عَائِشَةَ وقال : يا علي إني خير  
بين خزائن الدنيا والخلود فيها أو الجنة فاخترت لقاء ربي والجنة . إن جبرئيل كان يعرض علي  
القرآن كل سنة مرّاً وقد عرضه علي العام مرّتين ولا

(١) المراجعة ٩٠ و ٩١ .

(٢) ص ١٥-١٦ .

(٣) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٠٤ .

أراه إلا لحضور أجلي» <sup>(١)</sup>.

ان الذين ينظرون إلى الكون من المنظار المادي البحت ويحصرّون كل الوجود في إطار المادة وآثارها ، فالوجود عندهم يساوق المادة قد يتزددون في قبول هذا الأمر ، ويقولون : كيف يمكن مخاطبة الأرواح؟ وكيف يمكن الاتّصال بهم؟ كيف يمكن أن يعرف المرء بموته وأجله؟

ولكن الذين كسروا جدار المادية هذا واعتقدوا بوجود الروح المجردة عن البدن المادي العنصري لا ينكرون مسألة الارتباط والاتصال بالارواح <sup>(٢)</sup> ، ويعتبرونه امرا ممكنا وواقعيًا. ثم ان النبي الذي يتحلّى بالعصمة في مجال ارتباطه بعالم الوحي والعوالم المجرّدة من المادة ، يمكنه . على وجه القطع واليقين . أن يخبر عن حلول أجله بأمر الله واذنه وإخباره إياه.

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ٤٦٦ و ٤٧٢ ، الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٠٤ .

(٢) طبعا نحن لا نعتزف بكل ما يدعيه ادعاء الاتّصال بالارواح فان لذلك طريقه الصحيح ، وأسلوبه المشروع.

### الكتاب الذي لم يكتب

تعد الايام الاخيرة من حياة رسول الاسلام ﷺ من أكثر حقول التاريخ الاسلامي أهمية وحساسية ودقة.

لقد مرّ الاسلام والمسلمون في تلك الايام بساعات مؤلمة ، وحرجة. إن مخالفة بعض الصحابة الصريحة لاوامر النبي ﷺ وتخلّفهم عن جيش اسامة كل ذلك كان يكشف عن نشاطات سرية تنبئ عن عزمهم المؤكّد على الاستيلاء على زمام الحكومة والإمارة والقيادة السياسية في المجتمع الاسلامي بعد رحيل النبي ﷺ وإزاحة الخليفة الذي نصبه رسول الله ﷺ في الغدير للإمارة عن مسند الحكم. ولقد كان النبي ﷺ نفسه عارفا بنواياهم على نحو الاجمال ولهذا كان يصبر على خروج جميع أعيان الصحابة في جيش اسامة ومغادرة المدينة فورا لمقاتلة الروم ، لكي يعطل بذلك خطتهم.

ولكن دهاة السياسة اعتذروا عن الخروج مع اسامة بحجج ومعاذير معينة ، لكي يستطيعوا من تنفيذ خططهم بل وعرقلوا مسير الجيش المذكور حتى توفي رسول الله ﷺ . فعادوا إلى المدينة . بعد توقّف دام ١٦ يوما . على أثر تدهور صحة النبي واحتضاره ، فلم يتحقق ما كان يريد رسول الله ﷺ من تفرّغ المدينة منهم ، فلا يكون أحد منهم فيها يوم وفاته ليستطيع خليفته المنصوب للإمارة

يوم غدير خم (نعني الامام عليا) من تسلم زمام الحكم دون منازع ومزاحم من المعارضين السياسيين.

إنهم لم يكتفوا فقط بالعودة إلى المدينة بل حاولوا أن يحولوا دون أي عمل من شأنه أن يؤدي إلى دعم وتثبيت منصب الامام علي وخلافته لرسول الله بلا فصل ، فحاولوا منع النبي ﷺ وصرفه عن البحث في هذه المسألة بشتى الوسائل ، والسبل.

فعمد رسول الله ﷺ الذي عرف بنشاط بعض زوجاته من بنات بعض اولئك الصحابة ، المشين ، عمد إلى الخروج إلى المسجد مع ما كان عليه من الحمى والوجع ، ووقف إلى جانب المنبر وقال للناس بصوت عال سمع خارج المسجد :

« أيها الناس سعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإني والله ما تمسكون عليّ بشيء ، اني لم احلّ إلا ما أحلّ الله ، ولم احرم إلا ما حرم الله » (١).

إن هذه العبارة تكشف عن القلق الشديد الذي كان يحمله النبي ﷺ على مستقبل الاسلام بعد وفاته ، فما هو المقصود . ترى . من النار التي سعرت؟

أليس هي فتنة الاختلاف والافتراق التي كانت تنتظر المسلمين ، والتي اشتعلت بعد وفاة رسول الله ﷺ وتعالى لهيها ، ولا يزال ذلك اللهيب مشتعلا ، وتلك النار مستعرة؟!

### ايتوني بقلم وقرطاس :

كان رسول الله ﷺ يعرف بما يجري من نشاطات خارج

---

(١) السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٥٤ ، الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢١٥ و ٢١٦ .

منزله للسيطرة على مقاليد الحكم ، ولهذا قرر بغرض الحيلولة دون انحراف مسألة الخلافة من محوره الأصلي والحيلولة دون ظهور الاختلاف والافتراق . أن يدعم مكانة علي ويعزز امارته وخلافته وخلافة أهل بيته ، وذلك بأن يثبت الأمر في وثيقة حيّة وخالدة تضمن بقاء الخلافة في خطها الصحيح.

من هنا يوم جاء بعض الصحابة لعيادته اطرق برأسه إلى الارض ساعة ثم قال بعد شيء من التفكير وقد التفت إليهم :

« ايتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده ».

فبادر عمر وقال : ان رسول الله قد غلبه الوجد ، حسبنا كتاب الله <sup>(١)</sup>.

فناقش الحاضرون رأى الخليفة ، فخالفه قوم وقالوا : هاتوا بالدواة والصحيفة ليكتب النبي ما يريد ، وناصر آخرون عمر وحالوا دون الاتيان بما طلبه النبي ، ووقع تنازع بينهم وكثر اللغط فغضب رسول الله ﷺ بشدة لتنازعهم ولما وجه إليه من كلمة مهينة ، وقال :

« قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع »

قال ابن عباس بعد نقل هذه الواقعة المؤلمة المؤسسة : « الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله » <sup>(٢)</sup>.

إن هذه الواقعة التاريخية قد نقلها فريق كبير من محدثي الشيعة والسنة ومؤرخيهم وتعتبر روايتها . حسب قواعد فن الدراية والحديث . من الروايات المعتمدة الصحيحة غاية ما في الأمران اغلب محدثي أهل السنة نقلوا كلام « عمر » بالمعنى لا باللفظ ، ولم يورد نص الكلمات الجارحة النابية التي نطق بها في ذلك

---

(١) الملل والنحل : ج ١ المقدمة الرابعة ص ٢٢ . طبعا لم يكن الهدف من « اكتب » أن يكتب النبي بيده ذلك الكتاب فالنبي لم يكتب شيئا في حياته أبدا كما هو مبحوث في اجاث أمية النبي بل المقصود هو الإملاء على كاتب.

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم : ج ١ ص ٢٢ وج ٢ ص ١٤ ، صحيح مسلم : ج ٢ ص ١٤ مسند أحمد : ج ١ ص ٣٢٥ ، الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٤٤ ، الملل والنحل : ج ١ ص ٢٢ .

المجلس المقدس.

ولا يخفى أن الإحجام عن نقل نص عبارته ليس لأجل أن العبارات التي تفوه بها تعدّ إهانة لمقام النبوة ، بل ان هذا التصرف لأجل الحفاظ على مقام الخليفة ومكانته حتى لا يسيء الآخرون النظرة إليه اذا عرفوا بما قاله في حق رسول الله ﷺ .

من هنا عند ما بلغ أبو بكر الجوهري مؤلف كتاب « السقيفة » في كتابه إلى هذا الموضوع من القضية قال عند نقل كلام عمر هكذا : وقال عمر كلمة معناها أن الوجد قد غلب على رسول الله (١) .

ولكن بعضا آخر عند ما يريد نقل ما قاله الخليفة لا يصحّ باسمه حفظا لمقامه فيقول : فقالوا : هجر رسول الله (٢) .

إن من المسلم ان مثل هذه العبارة الجارحة النابية لو صدرت عن أي شخصية مهما كان مقامها لعدّ ذنبا لا يغتفر لأن النبي ﷺ بنص القرآن مصون من أي نوع من انواع الخطأ والاشتباه والهذيان فهو لا ينطق إلا بالوحي .

إن اختلاف الصحابة لدى رسول الله الطاهر المعصوم ﷺ وفي محضره كان عملا سيئا ، ومشينا إلى درجة أن احدى أزواجه ﷺ اعترضت على هذه المخالفة وقالت من وراء حجاب : ألا تسمعون النبي ﷺ يعهد إليكم؟ اتوا رسول الله ﷺ بحاجته . فقال عمر : اسكتن فانكن صويحبات يوسف . اذا مرض عصرتن اعينكن . واذا صح أخذتن بعنقه (٣) .

(١) شرح فتح البلاغة الحديدي : ج ٢ ص ٢٠ .

(٢) صحيح مسلم : ج ١ ص ١٤ ، مسند أحمد : ج ١ ص ٣٥٥ .

(٣) كنز العمال : ج ٣ ص ١٣٨ ، الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٤٤ . وفي الطبقات : ان النبي قال ( في الرد على عمر ) هن خير منكم

ان بعض المتعصبين وان التمسوا لمخالفة الخليفة لطلب النبي اعذارا<sup>(١)</sup> في الظاهر إلا أنهم خطئوا كلامه الذي قال فيه « حسبنا كتاب الله » ، واعتبروه كلاما غير صحيح ، وصرّحوا جميعا بأن الركن الاساسي للاسلام هو السنة النبوية ، ولا يمكن أن يغني كتاب الله الامة الاسلامية عن احاديث رسول الاسلام ﷺ واقواله.

ولكن الاعجب من كل ذلك أن الدكتور « هيكل » مؤلف كتاب « حياة محمد »<sup>(٢)</sup> ضمن دفاعه عن الخليفة كتب يقول : ما فتى ابن عباس بعدها يرى أنهم أضاعوا شيئا كثيرا بأن لم يسارعوا إلى كتابة ما أراد النبي إملأه. أمّا عمر فظل ورأيه أن قال الله في كتابه الكريم : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »<sup>(٣)</sup>.

فلو أنه لاحظ ما قبل هذه الجملة القرآنية وما بعدها لما فسرهما بمثل هذا التفسير ، ولما أيد الخليفة في مقابل نصّ النبي المعصوم المطاع ، لأن المقصود من الكتاب في الآية هو الكتاب التكويني ، وصفحات الوجود ، فان لكل نوع من الانواع في عالم الوجود صفحة من كتاب الصنع ، وتشكل كل الصفحات غير المعدودة كتاب الخليفة والوجود وإليك نص الآية :

« وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا أَنْزَلْنَا لَهَا رِزْقًا مِنَ السَّمَاءِ لَقِيبًا مِثْلُ نَضْدٍ الْعَنْبِقِ ۗ وَلَا تَأْكُلُ أَرْضُهَا وَلَا يُتَبَّرُ فِيهَا جَبَلٌ لِيُكَلِّمَهُنَّ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُنَّ مَا قَرَأْنَ فِي الْكِتَابِ لَنَقُولَنَّ لهنَّ أَمْثَلُكُمْ مَا قَرَأْنَ فِي الْكِتَابِ ۗ وَمَنْ يَعْصِ أَمْرًا ظَاهِرًا لَنَا فَلَا يَفْرَطْ بِهِ ۗ وَمَنْ يَفْرَطْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ سَاءَ أَلْفَاظُ يَدْعُونَ »<sup>(٤)</sup>.

وحيث أن ما قبل الجملة التي استدلت بها يرتبط بخلقة الدواب والطيور ، ويرتبط ما بعدها بموضوع الحشر في يوم القيامة يمكن القول بصورة قاطعة بان المراد من الكتاب في الجملة المستدل بها والذي لم يفترط فيه من شيء هو الكتاب التكويني ، وصفحة الخلق.

(١) رد العلامة المجاهد السيد شرف الدين في كتاب المراجعات المراجعة ٨٦ جميع هذه الاعذار بصورة رائعة.

(٢) حياة محمد : ص ٥٠١.

(٣) الانعام : ٣٨.

(٤) الانعام : ٣٨.

ثم اننا لو قبلنا بأن المقصود من الكتاب هو القرآن الكريم فان من المسلم أن فهم هذا الكتاب . وبحكم تصريحه . يحتاج إلى بيان النبي وهداياته كما يقول :

« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم »<sup>(١)</sup> .

تأمل في هذه الآية فانها لا تقول « لتقرأ » بل تقول بصراحة : « لتبين » .

وعلى هذا الاساس اذا كان كتاب الله كافيا لم نحتاج إلى توضيح النبي وبيانه احتياجا شديدا<sup>(٢)</sup> .

ولو كان حقا أن الامة الاسلامية لا تحتاج إلى النبي فلما ذا كان حبر الامة وعالمها الكبير ابن عباس يقول : يوم الخميس وما ادراك ما يوم الخميس ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خده كأنها نظام اللؤلؤ وقال : قال رسول الله ايتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا ... فقالوا ...<sup>(٣)</sup> .

فمع هذا الحزن الذي كان يديه ابن عباس ، مضافا إلى الاصرار الذي أظهره رسول الله كيف يمكن القول بان القرآن يغني الامة الاسلامية من هذه الوصية ( أو الكتاب ) الذي كان النبي يريد كتابته .

والآن إذا كان النبي لم يوفق لكتابة الكتاب واملائه فهل يمكن ان نحسد . في ضوء القرائن القطعية . ما ذا كان ينوي النبي كتابته في هذه الرسالة؟

### ما ذا كان الهدف من الكتاب؟

إن الطريقة الجديدة والقويمة في تفسير القرآن الكريم التي اصبحت اليوم موضع عناية المحققين والعلماء في هذا العصر هو رفع إبهام الآية واجمالها في موضوع معين بواسطة آية اخرى تتحدث عن ذلك الموضوع ذاته ولكنها أوضح من الاولى

(١) النحل : ٤٤ .

(٢) ان بيان مدى حاجة القرآن إلى بيان النبي خارج عن نطاق هذه الرسالة ، فاطلبه في محله .

(٣) مسند احمد : ج ١ ص ٣٥٥ . صحيح البخاري : كتاب الجزية ج ٤ ص ٦٥ و ٦٦ .



دلالة ومفادا ، وبعبارة اخرى الاستعانة في تفسير آية بأية اخرى .

إن هذه الطريقة لا تختص بتفسير آيات القرآن بل تنسحب على الأحاديث والروايات الاسلامية أيضا اذ يمكن رفع الاجمال عن حديث بحديث مشابه ، لأن القادة الكبار يتحدثون في موضوع مهم وخطير بصورة مؤكدة ومكررة لا تتشابه ولا تتحد في دلالتها ، فقد تكون دلالتها على الآية واضحة وقد يكون المقصود فيها بالاشارة والكناية حسب مقتضيات .

قلنا ان النبي ﷺ طلب من اصحابه وهو في فراش المرض دواة وصحيفة ليملي عليهم شيئا لا يضلون بعده أبدا ثم تسبب التنازع الذي حدث بين الحاضرين في ان ينصرف من كتابة ما اراد .

يمكن أن يسأل سائل : ما ذا كان يريد رسول الله ﷺ كتابته في ذلك الكتاب . إن الاجابة على هذا السؤال واضحة لأنه مع أخذ الأصل الذي ذكرناه في مطلع البحث بنظر الاعتبار يجب القول بأن هدف النبي لم يكن الا تعزيز الوصيّة ودعم خلافة الامام أمير المؤمنين علي عايناه وامرته والتأكيد على لزوم اتباع اهل بيته الذي صرح به النبي ﷺ في الغدير وغيره .

وهذا المطلب يستفاد من حديث الثقلين المتفق عليه بين محدثي السنة والشيعة ، لأن النبي ﷺ قال في شأن الكتاب الذي نوى كتابته : انه يتبغي كتابة شيء لا يضلون بعده ابدا . وقد جاءت هذه العبارة بعينها في حديث الثقلين اذ يقول رسول الله ﷺ معتبرا عدم الضلال بعده معلولا لاتباع الكتاب والعترة اذ قال :

« إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي »

(١)

---

(١) صحيح الترمذي : ج ٥ ص ٣٢٨ ح ٣٨٧٤ جامع الاصول : ج ١ ص ١٨٧ راجع المراجعات : المراجعة

ألا يمكن بعد ملاحظة هذين الحديثين والتشابه الموجود بينهما الحدس . بصورة قطعية . بان ما كان يهدفه رسول الله ﷺ من طلب الدواة والصحيفة هو مفاد كتابة حديث الثقلين ، أو ما هو أعلى مما يفيد حديث الثقلين وهو تعزيز ودعم ولاية الامام علي عليه السلام وخليفته مباشرة وبلا فصل وهو الذي عينه للإمارة والخلافة في الثامن عشر من شهر ذي الحجة عند مفترق طرق الحجاج المدنيين والعراقيين والمصريين والحجازيين وأعلن عن ذلك بصورة شفاهية.

هذا مضافا إلى أن مخالفة من شكّل شورى الخلافة في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة رسول الله ﷺ ورشح رفيقه القديم للخلافة بصورة خاصة بعد رحيل رسول الله إلى ربّه ، وحصل هو بدوره على اجرته عند موت الأروء بصورة نقدية وعينه للخلافة خلافا لجميع القواعد والاصول ، خير شاهد على أن القرائن التي كانت في مجلس النبي وكلامه كانت تكشف عن أن النبي ﷺ كان يريد أن يملي علي كاتبه امرا يتعلق بخلافة المسلمين والامارة والقيادة التي اثبتها لعلي واهل بيته الطاهرين في احاديثه وخطبه.

ولهذا خالف القوم الحضور هذا المطلب بشدة وحالوا دون الاتيان بالقلم والقرطاس بوقاحة ، وخالفوا كتابة شيء ، وإلا فلما ذا أصروا في مخالفتهم ... وارتكبوا ما ارتكبوا.

### لما ذا لم يصر النبي في كتابة الكتاب؟

كان في إمكان رسول الله ﷺ رغم معاكسات جماعة من أصحابه أن يطلب كاتبه ويكتب الكتاب الذي كان يريد ، فلما ذا لم يتصرف هكذا ، ولم يستغل مكانته القويّة بل امتنع عن ذلك؟

إن الاجابة على هذا السؤال واضحة : فلو أن النبي كان يصر على كتابة الكتاب لأصرّ في الاساءة الى النبي الذي قالوا عنه انه غلبه الوجع أو هجر ،

ولعمد أنصارهم إلى اشاعة وبثّ هذا الأمر الرخيص ، وصنعوا لاثباته الافاعيل فكانت تتسع رقعة الاساءة إلى رسول الله ﷺ في هذه الحالة وتستمرّ ، فتفقد الرسالة أثرها المنشود. من هنا عند ما قال البعض للنبي . ملافاة لما لحق به من الأذى . أبعد الذي قلتكم؟ فقال : « أبعد الذي قلتكم؟ لا ولكن اوصيكم بأهل بيتي خيرا »<sup>(١)</sup>.

### ملافاة الأمر وتداركه :

إن مخالفة بعض الصحابة الصريحة وإن صرفت النبي عن الكتابة إلا انه بلّغ مقصوده من طريق آخر ، فهو . بشهادة التاريخ . بينما كان يعاني المرض ، والوجع الشديدين ، خرج إلى المسجد وهو متوكئ على « علي بن أبي طالب » و « ميمونة » مولاته فجلس على المسجد ثم قال :

« يا أيّها الناس إني تارك فيكم الثقلين ».

وسكت ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ما هذان الثقلان؟ فغضب حتى احمر وجهه ثم سكن ، قال :

« ما ذكرتهما إلاّ وأنا اريد أن أخبركم بهما ولكن ربوت فلم استطع ، سبب طرفه بيد الله ، وطرف بايديكم ، تعلمون فيه كذى ، ألا وهو القرآن ، والثقل الأصغر أهل بيتي ».

ثم قال :

« وأتم الله إني لأقول لكم هذا ورجال في اصلاب أهل الشرك أرجى عندي من كثير منكم ».

ثم قال :

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ٤٦٩ نقلا عن الارشاد واعلام الورى.

« والله لا يحبهم عبد إلا أعطاه الله نورا يوم القيامة حتى يرد عليّ الحوض ، ولا يبغضهم عبد إلا احتجب الله عنه يوم القيامة »<sup>(١)</sup>.

هذا وقد روى ابن حجر العسقلاني تدارك ما فات بصورة اخرى ، ولا تنافي بين الصورتين ، اذ يمكن وقوع كليهما.

انه يقول : قال رسول الله ﷺ لاصحابه وقد امتلأت بهم الحجرة وهو في مرضه الذي قبض فيه :

« أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا ، فينطلق بي ، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إني مخلف فيكم كتاب الله ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي » .  
ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال :

« هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع علي ، خليفتان نصيران ، لا يفترقان حتى يرثي عليّ الحوض فاسألهما ما ذا خلّفت فيهما »<sup>(٢)</sup>.

فمع أن رسول الله ﷺ ذكر حديث الثقلين<sup>(٣)</sup> قبل مرضه في مواضع متعددة وبألفاظ مختلفة ، ولفت نظر الناس إلى أهمية هذين الثقلين ، ولكنه لفت الأنظار مرة اخرى وهو في فراش المرض أمام جمع اصحابه الذين حالوا دون كتابة ما اراد إلى عدم افتراق القرآن والعترة يمكن الحدس بأن الهدف من التكرار هو تدارك ما فات من كتابة الكتاب الذي لم يوفق لكتابته.

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢٢ نقلا عن مجالس المفيد.

(٢) الصواعق المحرقة : الباب ٩ من الفصل الثاني ص ٥٧ وكشف الغمة : ص ٤٣ .

(٣) حديث الثقلين من الروايات المتفق عليها بين الشيعة والسنة وقد نقل عن الصحابة بأكثر من ٦٠ طريقا يقول ابن حجر العسقلاني في الصواعق ص ١٣٦ : وقد خصص المرحوم مير حامد حسين الهندي قسما من موسوعته « العباقيات » بذكر اسناده حديث الثقلين ودلالته . وقد طبعت في ستة أجزاء مؤخرًا .

### تقسيم الدنانير :

دأب رسول الله ﷺ في مجال بيت المال أن يوزع أمواله في أقرب فرصة سانحة بين الفقراء والمحتاجين.

وعند ما كان في فراش المرض تذكّر أن هناك دنانير عند إحدى زوجاته فطلبها فوراً ، فاحضرتها عنده فآخذها ﷺ بيده وقال :

« ما ظن محمد بالله لو لقي الله وهذه عنده؟ انفقيها ».

ثم أمر علياً عليه السلام فتصدّق بها <sup>(١)</sup>.

### غضب النبي من الدواء الذي سقي :

لما كانت أسماء بنت عميس وهي من قريبات « ميمونة » زوجة النبي ﷺ ، والتي اقامت ايام الحجرة زمناً في الحبشة تعلّمت من أهلها صنع عقار مركب من النباتات والاعشاب المختلفة ، فلما اشتكى واغمى عليه تصورت ان الذي دهاه هو داء : « ذات الجنب » ، وكانوا في الحبشة يداوون هذا المرض بذلك العقار ، فعمدت إلى معالجته بذلك الدواء ، بصّب شيء منه في فم النبي ﷺ ولما أفاق وعرف بما صنعوا غضب وقال :

« ما كان الله ليسلّط علي ذات الجنب » <sup>(٢)</sup>.

### وداع النبي مع أهله :

خرج رسول الله ﷺ في أيام مرضه إلى مسجده مراراً يصلّي بالناس ، ويذكّرهم امورا. وذات يوم من أيام مرضه اخرج الى مسجده معصوب الرأس متكئاً على

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٣٨ و ٢٣٩.

(٢) الطبقات : ج ٢ ص ٢٣٥.

« علي » عليه السلام بيمنى يديه وعلى الفضل باليد الاخرى فصعد المنبر فحمد الله واثى عليه ثم قال :

« أما أيها الناس فان قد حان مني خفوق بين اظهركم فمن كانت له عندي عدة فليأتني أعطه اياها ، ومن كان له عليّ دين فليخبرني به .»  
فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله ان لي عندك عدة ، اني تزوجت فوعدتني ان تعطيني ثلاثة أواقي .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم انحلها يا فضل ثم نزل وعاد إلى بيته .  
فلما كان يوم الجمعة . ثلاثة ايام قبل وفاته . صعد المنبر فخطب وقال فيما قال :  
« أي رجل كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رءوس الملائكة والاشهاد .»  
فقام إليه رجل يقال له سودة بن قيس فقال : انك لما اقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء وبيدك القضيب المشقوق فرفعت القضيب وأنت تريد الرحلة فاصاب بطني .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم لبلال : قم الى منزل فاطمة فائتني بالقضيب المشقوق .  
ان طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا بان يقتص منه من له ذلك لم يكن مجرد مجاملة اخلاقية بل كان صلى الله عليه وآله وسلم يريد ان ينبه الناس إلى أهمية مثل هذه الحقوق جدا <sup>(1)</sup> ولما أتى بالقضيب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال صلى الله عليه وآله وسلم : اين الشيخ؟ قال سودة : ها انا ذا يا رسول الله باي أنت وأمي فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

---

(1) هذا مضافا إلى ان ضرب بطن سودة بالقضيب من قبل النبي لم يكن عمدا ولهذا لم يكن له الحق إلا في اخذ الدية دون القصاص ، مع ذلك أراد النبي أن يلبي طلبه لما قال اريد ان اقتص .

« فاقترض مني حتى ترضى ».

فقال سودة : فاكشف لي عن بطنك.

ثم انه وسط دهشة الصحابة وحزنهم وغمهم وبكائهم تقدم سودة إلى النبي وقال : أتأذن لي ان اضع فمي على بطنك؟ فاذن له ، فقال اعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله ، وقبّل بطن النبي وصدره الشريف. فدعا له رسول الله وقال :  
اللهم اعف عن سودة بن قيس كما عفى عن نبيك محمد <sup>(١)</sup>.

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ج ١ ص ٢٣٥.

## اللحظات الأخيرة

كان القلق والاضطراب يلف المدينة المنورة بأسرها فصحابة النبي يحيطون ببیت رسول الله ﷺ بعيون باكية وقلوب حزينة ليطلعوا على صحته ، وكانت تخرج من منزله بين الحين والآخر أخبار عن اشتداد مرضه ، وتفاقم وجعه ، لتقضي على كل أمل بتحسّن حالته ، وتجعل الناس على يقين بانه لم يبق من حياة رسول الله ﷺ إلا سويغات قلائل ، وانه سرعان ما تنطفئ الشعلة المقدسة ، التي أنارت العالم بضئائها.

كان فريق من الصحابة يودّ أن يزوروا نبيّهم وقائدهم من قريب ولكن تدهور صحته ما كان يسمح لذلك ، فلم يكن من الممكن ان يتردد على غرفته إلا أهل بيته خاصة. ولقد كانت ابنته الكريمة ووديعته الوحيدة فاطمة الزهراء ؑ جالسة عند فراش ابيها ، تنظر إلى وجهه المشرق كانت ترى كيف ان عرق الموت يتحدر على جبينه وخده مثل حبات اللؤلؤ ، فراحت تردد أبياتا من الشعر وقلبها يعتصره الحزن ، وبمأ عيونها دموع الاسى والحزن ويكاد يخنقها الغصة :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمّ اليتامى عصمة للارامل  
وفي هذه اللحظات بالذات فتح رسول الله ﷺ عينيه وقال لابنته الزهراء بصوت خافت :

يا بنية هذا قول عمك أبي طالب لا تقولي له ولكن قولي :



« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا مَاتَ وَأَ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ »<sup>(١)</sup>.

### النبي يتحدث مع ابنته الزهراء :

لقد كشفت التجربة عن ان عواطف الشخصيات الكبرى تجاه ابنائهم تتضاءل اثر تراكم النشاطات وتزايد الاهتمامات والهموم ، لأنّ الاهداف الكبرى ، والاهتمامات العالمية تشغل بالهم وفكرهم إلى درجة لا تترك لهم مجالاً لمشاعرهم العاطفية بالظهور والتجلي ، بيد أنّه يستثنى الشخصيات الروحانية والمعنوية الكبرى من هذه القاعدة فهم مع ما يشغل بالهم من الاهداف الكبرى ، والاهتمامات العالية ، والشواغل اليومية الكثيرة يمتلكون روحاً كبرى ونفسية طيبة سامية فلا يمنعهم عمل عن آخر ، ولا يشغلهم شغل عن آخر ، فلا مكان للضمور العاطفي عندهم ، ولا مكان للجمود الاحساسي في حياتهم الاجتماعية والعائلية .

إن محبة النبي ﷺ لابنته الوحيدة فاطمة كانت من ابرز التجليات العاطفية الانسانية في شخصية النبي الاكرم ﷺ ، ولهذا لم يعهد أن يسافر رسول الله من دون أن يودع ابنته ، كما لم يعهد أن يرجع المدينة من دون ان يزور ابنته قبل أي أحد ، كما كان يحترمها عند زوجاته احتراماً لا يثق بها ويقول لاتباعه :

« فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني »<sup>(٢)</sup>.

كما أن رؤية فاطمة كانت تذكرة بأشد نساء العالمين طهراً ووفاءً ، وعطفاً ولطفاً ، ( خديجة ) التي تحملت في سبيل أهداف زوجها المقدس متاعب كبيرة ،

(١) آل عمران : ١٤٤ .

(٢) صحيح البخاري : ج ٥ ص ٢١ .

وبذلت ثروتها كلها في سبيل تلك الاهداف باخلاص ورغبة.

كانت فاطمة الزهراء عليها السلام تلازم فراش والدها النبي صلى الله عليه وآله وسلم طوال ايام مرضه ، ولا تفارقه لحظة واحدة ، وفجأة أشار النبي إلى ابنته يطلب منها ان تقرب رأسها إلى فمه ليحدثها ، فانحنت فاطمة حتى صار رأسها قريبا من فمه الشريف ثم راح النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحدثها بصوت ضئيل ولم يعرف من كان هناك ما ذا قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابنته الطاهرة في تلك النجوى . وانما شاهدوا الزهراء تبكي بشدة لما انتهى والدها من حديثه وسالت دموعها بغزارة ، ولكنهم شاهدوا ان النبي اشار إليها مرة اخرى وحدثها بشيء فسرت فاطمة وتهللت اسارير وجهها ، وتبسمت مستبشرة.

فأثارت هاتان الحالتان المتضادتان المتزامنتان الحضور ويعتتهم على التعجب والدهشة ، فلما سألوها عن سر ذلك الحزن ، وهذه الفرحة ، وطلبوا منها ان تذكر لهم علة هاتين الحالتين المتضادتين قالت :

« ما كنت لافشي سرّه .»

ثم بعد أن قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كشفت الزهراء عليها السلام عن الحقيقة بناء على اصرار عائشة وقالت : اخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قد حضر اجله وانه يقبض في وجعه هذا ، فبكيت ، ثم اخبرني أبي أول اهله لحوقا به فضحكت <sup>(١)</sup>.

**مسواك النبي قبيل وفاته :**

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستاك كل ليلة قبل النوم كما كان يستاك بعد ان يستيقظ من نومه وكان مسواك النبي من شجرة الأراك التي تنفع

---

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٤٧ ، الكامل ، ج ٢ ص ٢١٩ .

جدا في تقوية اللثة ، وإزالة الاوساخ وبقايا الطعام عن الاسنان .  
وذات يوم دخل اخو عائشة عبد الرحمن على رسول الله ﷺ ليعوده ويبيده سواك  
اخضر فنظر النبي إليه . وهو في يده . نظرا عرف أنه يريد فقال عبد الرحمن : يا رسول الله  
تريد أن أعطيك هذا السواك . فقال نعم ، فقدمه إلى النبي فورا فاخذه ﷺ واستاك به  
أحسن استياك ، ونظف اسنانه به بدقة وعناية بالغة <sup>(١)</sup> .

### وصايا النبي ﷺ قبيل رحيله :

كان رسول الله ﷺ خلال فترة مرضه ووجعه يولي إعطاء التعاليم والتذكير بما فيه  
هداية الناس اهتماما بالغا ، فقد كان يوصي بالصلاة ورعاية الرقيق في الايام الاخيرة من  
حياته الشريفة ويقول :

« الصلّاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ، ألبسوا ظهورهم وأشبعوا بطونهم وألينوا لهم القول  
» <sup>(٢)</sup> .

وقد سأل كعب الاحبار عمر بن الخطاب بعد وفاة رسول الله وفي ايام خلافة الأخير ما  
كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ فقال عمر : سل عليا . فسأل عليا <sup>(٣)</sup> :

فقال امير المؤمنين <sup>(٣)</sup> :

« أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكي فقال : الصلاة الصلاة .

فقال كعب : كذلك آخر عهد الأنبياء وبه امروا وعليه يبعثون <sup>(٣)</sup> .

وقد فتح النبي ﷺ عينيه في آخر لحظة من حياته الشريفة وقال :

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٣٤ ، السيرة النبوية : ج ٢ ص ٦٥٤ .

(٢) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٥٤ .

(٣) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٦٢ .

« أدعوا لي أخي ».

فعرف الجميع بأنه يريد علياً فدعوا له علياً فقال :

« ادن مني ».

فدنا منه علياً فاستند إليه فلم يزل مستنداً إليه يكلمه<sup>(١)</sup>.

فلم يلبث أن بدت عليه علامات الاحتضار.

سأل رجل ابن عباس : هل توفي رسول الله في حجر أحد قال : توفي وهو مستند إلى

صدر علي.

فقال السائل : قلت : فان عائشة قالت : توفي رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى.

فكذبها ابن عباس وقال : أتعقل؟ والله لتوفي رسول الله ﷺ وأنه لمستند إلى صدر علي

وهو الذي غسله ، وأخي الفضل بن عباس<sup>(٢)</sup>.

وقد صرح أمير المؤمنين علياً في إحدى خطبه حيث قال :

« ولقد قبض رسول الله وإن رأسه لعلى صدري ... ولقد وليت غسله والملائكة أعواني »

<sup>(٣)</sup>.

وينقل بعض المحدثين أن آخر جملة قالها رسول الله ﷺ في آخر لحظة من حياته

الشريفة هي جملة : « لا ، إلى الرفيق الأعلى » ، وكأن ملك الموت خيرته عند قبض روحه

الشريفة في أن يصح من مرضه ويبقى أو يلبي دعوة ربه ، ويلتحق بالرفيق الأعلى ، فعبر

بجملته هذه عن رغبته في اللحاق بربه ، ليعيش مع الذين أشار إليهم قوله سبحانه :

« قُلْ لِّكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِّقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

(١) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٢) المصدر : ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٣) فتح البلاغة : الخطبة ١٩٧ .

مَلْصًا لِحَيْنٍ وَحَسَنٌ وَأُنْثَى رَفِيقًا» (١).

قال النبي ﷺ هذا ولفظ أنفاسه الشريفة (٢).

### يوم الوفاة :

في منتصف يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر صفر (٣) طارت روح النبي الأكرم المقدّسة إلى بارئها ، وإلى جنان الخلد ، فسجى ببرد يماني ، ووضع في حجرته بعض الوقت ، وارتفعت صرخات العيال ، وعلا بكاء الأقارب فعرف من كان في خارج المنزل أن النبي ﷺ قد قضى ، فلم يلبث أن انتشر نبأ وفاته في كل أنحاء المدينة التي تحولت بسرعة إلى مناخ كبرى ، ومأتم عظيم.

فصاح الخليفة الثاني خارج البيت ولأسباب خاصة أن النبي لم يمت إنما عرج بروحه كما عرج بروح موسى ، وأنه لا يموت رسول الله ﷺ! وأصر على هذا الموقف وهدي كل من يخالف ذلك ، وكاد أن يوافق عليه فريق من الناس لو لا أن أحد الصحابة تلا عليه قول الله سبحانه :

« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا مَاتَ وَأَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

».

حتى فرغ من الآية ، فسحب عمر موقفه ، مستغريا من وجود مثل هذه الآية قائلا : هذا في كتاب الله؟ (٤)

ثم قام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بتغسيل جسد النبي الطاهر وكفنه لأن النبي ﷺ كان قد قال : « يغسلني أقرب

(١) النساء : ٦٩ .

(٢) إعلام الوری : ص ٨٣ .

(٣) وهو ما اتفق عليه محدثو الشيعة ومؤرخوهم ، ونقل في السيرة النبوية ج ٢ ص ٦٥٨ بصورة : قيل .

(٤) الطبقات الكبرى : ج ٢ ص ٢٦٧ .

الناس إلى « ولم يكن ذلك سوى علي عليه السلام .

ولما فرغ « علي » من تغسيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كشف الازار عن وجهه صلى الله عليه وآله وسلم وقال والدموع تنهمر من عينيه الشريفتين :

« بأبي أنت وأمي طببت حيًا وطببت ميتا ، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والانباء. ولو لا أنك أمرت بالصبر ، ونهيت عن الجزع لأنفذنا عليك ماء الشؤن وكان الداء مماطلا ، والكمد محالفا وقلاً لك ، ولكبه ما لا يملك رده ولا يستطيع دفعه! بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك ، واجعلنا من بالك؟ » <sup>(١)</sup>.

ثم ان الامام أمير المؤمنين « علي بن أبي طالب » عليه السلام كان أوّ من صلّى على جثمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم صلّى عليه المسلمون جماعة جماعة ، ثم تقرر دفنه صلى الله عليه وآله وسلم في حجرته المباركة.

فقام أبو عبيدة الجراح وزيد بن سهل بحفر قبر له صلى الله عليه وآله وسلم وإعداده ثم دفن صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الحفرة على يد أمير المؤمنين علي عليه السلام يساعده في ذلك الفضل والعباس. وهكذا غربت شمس أعظم شخصية غير مسار التاريخ البشري بتضحياته الكبرى وجهوده المضنية ، واعظم رسول الهي فتح امام الانسانية صفحات جديدة ومشرقة من الحضارة والمدنية.

ولكن ظهرت على الساحة برحيله مشكلات عديدة كان لها أثر في استمرار رسالته ، ومواصلة أهدافه التي من أهمها مسألة الخلافة وموضوع القيادة في المجتمع الاسلامي وقد بدت بعض بوادر الاختلاف في الاوساط الاسلامية حتى قبل رحيله. غير أن هذا القسم وإن كان قسما مهما وخطيرا من تاريخ الاسلام ، فهو

---

(١) نصح البلاغة : الخطبة رقم ٢٣٥ .

خارج عن اطار بحثنا هذا ( وهو دراسة وتحليل الشخصية المحمدية وحياة النبي الرسالية والسياسية والعسكرية ).

من هنا فاننا نختتم حديثنا هذا بالشكر لله تعالى على هذه النعمة الكبرى ، والحمد لله رب العالمين <sup>(١)</sup>.

قم المقدّسة . الحوزة العلمية

جعفر السبحاني

شعبان المعظم ١٣٩٠ هـ

---

(١) ثم تدوين هذه المحاضرات وتوثيقها وتحقيقها في شهر شعبان المعظم عام ١٤٠٩ هجرية في مدينة قم والحمد لله رب العالمين.

جعفر الهادي





## الفهارس

- ١ . فهرس الآيات القرآنية
- ٢ . فهرس الاحاديث الشريفة
- ٣ . فهرس الأشعار
- ٤ . فهرس الأعلام
- ٥ . فهرس القبائل والامم
- ٦ . فهرس الكنى والألقاب
- ٧ . فهرس الوقائع والايام
- ٨ . فهرس الاماكن والبلدان
- ٩ . فهرس المذاهب والأديان ونظم الحكم
- ١٠ . فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمنا
- ١١ . فهرس المصادر
- ١٢ . فهرس المواضيع



(١)

## فهرس الآيات القرآنية

### البقرة . ٢

الصفحة	رقمها	الآية
٢٠١	١١٥	( فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ )
٥١	١٤٢	( سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ )
٤٩	١٤٣	( وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا )
٥٠	١٤٣	( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ )
٤٨	١٤٤	( قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ )
١١٣	٢٠٧	( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْجُرِ نَفْسَهُ )
٤٠	٢١٧	( يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ )
٢١٨	٢١٩	( يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْحُمْرِ وَالْمَيْسِرِ )
٢٢٠	٢١٩	( هُمُّهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا )

### آل عمران . ٣

١٢٢	١٢	( قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرَةٌ وَتُحْشَرُونَ ) ..
٩٦	١٣	( رَأَى لَكُمْ بَيْتَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِمُ الْتَقْنَا ) ..
٦٠٤	٥٩	( إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ) ..
٦٠٤	٦١	( فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ) ..
٤٠٥	٦١	( فَقُلْ تَعَالَوْا نَعْبُدْ أَبْنَاءَنَا إِنَّا وَبْنَاءَكُمْ ) ..
٦٠١	٦٤	( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ )
١٥١	١٢١	( هُوَ غَيْبٌ مِّنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ )

٩٠	١٢٧-١٢٣	( وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَكَلَّةٌ .. )
٦٨١ ، ١٦٣ ،	١٤٤	( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ )
٦٨٥		
١٦٣	١٥٢	( فَإِذَا تَصَاعَدُونَ وَلَا تَلُونُ عَلَيَّ أَحَدٌ )
١٦٢	١٥٤	( وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ )
١٦٣	١٥٥	( يَا الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ )

#### النساء . ٤

٢٢١ ، ٢١٩ ،	٤٣	( لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى )
٢٢٥ ، ٢٢٣		
٢٤٩	٥١	( لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ وَافَّوْا نَصِيْبًا مِنَ الْكِتَابِ )
٤٩٨	٥٨	( يَا اللَّهُ يَا مَلَكُوكُمْ إِنَّ نَسْرًا وَالْأَمَانَاتِ )
٦٨٤	٦٩	( فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ )

#### المائدة . ٥

٦٥٣	٣٠١	( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ .. )
٦٢	٢٤	( فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا )
١٢٧	٣٢	( مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا )
١٢٦	٥٣-٥١	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى )
٦٤٧	٦٧	( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ )
٢١٩	٩٠	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ... )
٣٨٠	١١٠	( ذِئْلًا لِلَّهِ مَا يَشَاءُ مِنْ شَيْءٍ أَدُّكُمْ )

#### الأنعام . ٦

٦٧٧	٣٨	( مَرَانٍ أَيْدِيَهُمْ لَأَنْصُرَهُ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ .. )
-----	----	--

#### الأعراف . ٧

٢٣٠	٣٣	( قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا )
٧٨٣	٤٤	( فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا )

## الأفعال . ٨

٦٢	٥	( كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ )
٦٢	٦	( يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ ... )
٩٦	٩	( فَمَنْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ )
٩٨	١٢	( فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا )
٩٦	١٢ . ١١	( فَمَنْ يُعَشِّبِكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ ... )
٩٨	١٣	( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ )
٢٨٧	٢٧	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَلَا رَسُولَهُ )
١٣٦	٣٦	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا )
٩٥	٤٣ . ٤٢	( فَمَنْ أَنْتُمْ بِالْعُلُوهِ الدُّنْيَا )
٩٧	٤٢	( وَوَعَدْتُمْ لَأَخْتَلِفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ )
٩٧	٤٤	( وَمَنْ يُرِيدْكُمْ مَوْتًا فَمَنْ التَّقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا )
٩٨	٤٧	( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ )
٩٨	٤٨	( وَمَنْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ )
٩٥	٧٠	( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى )
٩٥	٧١	( فَمَنْ يُرِيدُ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ )
٦٨	٨٧	( بِإِذْنِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ )

## التوبة . ٩

١١٣	١٩	( أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ )
٥٨٠	١٠٨ . ١٠٧	( مَلَذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا )
٥١٤	٢٥	( لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ )
٥٥٠	٣١	( اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَهَبَانَهُمْ رُءُوبًا )
٣٥٥	٣٣	( هُوَ الَّذِي رَأْسَلْ رَسُولَهُ بِالْهُدَى )
٥٥٥	٤٩	( وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ اقْتُلْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي )

٥٧٤	٦٥	( وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ )
٥٥٥	٨٢ - ٨١	( وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ )
٥٥٧	٩٢	( وَلَا عَلَى الَّذِينَ فِيهَا مَا أَوْتُوا لِيَتَحْمِلَهُمْ )
٥٥٦	٩٢	( تَوَلَّوْا وَعَيْنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ )
٢٨٧	١٠٢	( وَأَخْرَجُوا عَتَرْتُهُمْ بِدُنُوبِهِمْ خَلَطُوا .. )
٥٧٧	١١٨	( تَى ذَا يَلْقَى لَهُم مِّنَ الْأَرْضِ بِمَا رَحِبَتْ )

#### يوسف . ١٢

٤٧٩	٩١	( قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَيْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا )
٤٧٩ و ٤٩٦	٩٢	( قَالَ لَا تَتْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ )

#### النحل . ١٦

٦٧٢	٤٤	( وَمَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ )
٢١٨	٦٧	( وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا )
٥٣١	٩٨	( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ )
١٨٣	١٢٦	( بِئِنَّ عَاقِبَتَكُمْ فَعَاقِبَتُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ )

#### الإسراء . ١٧

٤٢٣	٢٦	( وَرَتِمْ الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَلِمَسْكِينٍ ... )
-----	----	--

#### مريم . ١٩

٤٢٨	٦	( يَرْبِي وَيُزِيهِ مِنَ آلِ يَعْقُوبَ )
٤٢٨	٧١	( بِئِنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِثُهَا )

#### الحج . ٢٢

٥٦	٣٩	( لِّلَّذِينَ يُفَاتِلُونَ بِيَوْمِهِمْ ظَلَمُوا )
----	----	--

#### النور . ٢٤

٣١٨ و ٣١٦	١١	( بِئِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ )
٢١٩	١٤ - ١٢	( لَوْ لَا فِيهِ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ )
١٠٠	٣٢	( وَمَنْكَرُوا الْآيَامَ مِنْكُمْ وَلِصَّالِحِينَ )

٣١٣	٣٣	( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ )
٢٥٤ و ١٤٨	٦٢	( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ )
النمل . ٢٧		
٤٢٨	١٦	( وَثَّ سُلَيْمَانَ دَاوُودُ )
القصص . ٢٨		
٤٩٥	٨٥	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَيِّرْ عَالِيكَ الْقُرْآنَ لِرَادِّكَ )
العنكبوت . ٢٩		
١٧	٨	( يَا جَاهِدَا لِنِسْوَتِ بِي )
الروم . ٣٠		
١٤٨	٣١	( يُخْرِجِ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ )
الأحزاب . ٣٣		
٢٧٦	٢٥ . ٩	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ ... )
٢٨٧	١٣	( نُبَيِّنَا عِزَّةً ... )
٢٩٥	٢٧ . ٢٦	( فَانزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُواهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... )
٦٠٧ و ٤٢٥	٣٣	( إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ )
٢٣٢	٣٧ . ٣٦	( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ ... )
٢٤٣	٣٧	( وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ )
٢٤٣	٣٧	( فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا )
٢٤٤ و ٢٣٦	٣٩ . ٣٨	( مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حِجْرٍ فِيمَا قَرَأَ اللَّهُ لَهُ ... )
٢٣٦	٤٠	( مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ )
سبأ . ٣٤		
٣٥٥	٢٨	( وَمَا رَأَسْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ )
يس . ٣٦		
٣٥٥	٧٠	( لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ )

#### الفتح . ٤٨

٣٤٨	١	( إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا )
١٤٧	١٧	( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ )
٣٣٤	١٨	( لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ )
٣٤٧	٢٢	( وَرَوَّاهُ بِرَدَّتْ فَرَفُوهَا فِي الْأَدْبَارِ )
٤٣٧	٢٧	( لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا )

#### الحجرات . ٤٩

٤٧٦	١	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمِعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا يُدْعَىٰ لِيَوْمٍ لَّيْسَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ )
٣١٢	٦	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ )

#### الحشر . ٥٩

٢١٤	٢	( هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ )
٢١٢	٥	( مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ وَآتَيْتُمْوهَا قَائِمَةً )
٢١٣	٧	( مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى )
٢١٢	١٤ - ١١	( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ )

#### المتحنة . ٦٠

٤٧٥	٩ . ٦	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي )
٣٥١	١٠	( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ )
٥٠٧	١٢	( أَلَا لَا يُشْرِكُنَّ بِاللَّهِ )

#### القلم . ٦٨

٣٥٥	٥٢	( وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ )
-----	----	---

#### العاديات . ١٠٠

٤٥٩	٢٠ . ١	( هَلْ عَادِيَاتٍ ضَبِحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا )
-----	--------	---

#### النصر . ١١٠

٥٤٥	٣٠ . ١	( إِذْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَفُتِحَتْ ... )
-----	--------	--



(٢)

## فهرس الأحاديث الشريفة

الصفحة	القائل	نص الحديث
٥٥٤	( النبي )	أبا وهب هل لك العام تخرج معنا
٤١٨	( النبي )	أ تسمون قاتلكم ثم تحلفون عليه
١٢٠	( النبي )	أحب الناس الي من الرجال علي
٥٣٢	( النبي )	أخبروا مالكا انه إن اتاني مسلما
٢٠٩	( النبي )	اخرجوا من بلادي فقد أجلتكم عشرا
٣٩٥	( النبي )	أخرجها من العسكر ثم صح وارمها
٦٨٤	( النبي )	ادعوا لي أخي
١٨٤	( النبي )	ادفنوا هذين المتحابين في قبر واحد
١٠٣	( النبي )	إذا خطب إليكم كفو فزوجوه
٤٨٣	( النبي )	اذهب يا عباس الى رحلك
٤٠٩	( النبي )	اذهبت منك الرحمة
٣٦٨	( النبي )	ارجعا حتى تأتياني غدا
١٨٧	( النبي )	ارجعن يرحمكن الله
٤٥٧	( النبي )	أرسلته كرارا غير فرار
٤٥٩	( النبي )	اركب فان الله ورسوله عنك راضيان
١٧٧	( النبي )	استفدت يا أم عمارة
٨٧	( النبي )	استوصوا بالاسارى خيرا

٦٨٣	( علي )	أسندته الى صدري فوضع رأسه على منكبي
٦٢٧	( علي )	السلام على أهل همدان
٦٦٥	( علي )	السلام عليكم يا أهل القبور
١٧٩	( علي )	اشتد غضب الله في دم وجه نبيه
٥٩٦	( النبي )	أكرموا اولادكم
٦٨٣	( النبي )	الصلاة الصلاة وما ملكت إيمانكم
١٠٩	( النبي )	الصلاة يا أهل البيت
١٣٢	( النبي )	اطلبوا العلم ولو بالصين
٤٤٠	( النبي )	اغزوا باسم الله وادعوهم الى الاسلام
٦٦٤	( النبي )	اغد على بركة الله
٤٩٥	( النبي )	الحمد لله الذي صدق وعده
٥٣٩	( النبي )	الحمد لله الذي وفق رسول الله
٦٤٧	( النبي )	الحمد لله ونستعينه ونؤمن به
٥٠٣	( النبي )	ألا إن كل مال ومأثرة ودم في الجاهلية
٢٨٩	( النبي )	ألا ترضون يا معشر الاوس
١٨٠	( النبي )	الله أعلى وأجل
٢٥٨	( النبي )	الله أكبر ابشروا يا معشر المسلمين
٣٩٢	( النبي )	الله أكبر خريت خيير
١٨١	( النبي )	الله مولانا ولا مولى لكم
٦٤٨	( النبي )	ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله
٥٦٤	( النبي )	ألم أنهكم ان يخرج منكم أحد
١١٥	( النبي )	اللهم ائتني بأحب خلقك إليك
١٠٨	( النبي )	اللهم اجمع شملهما وآلف بين قلوبهما
٥٣٦	( النبي )	اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار
٧٩	( النبي )	اللهم إن تهلك هذه العصاة

١٨٦	( النبي )	اللهم انزل عليهم رجسك
٢٦٤	( النبي )	اللهم إنك اخذت مني عبيده
٣٦٥	( النبي )	اللهم إنك قد عرفت حالهم
٥٠٨	( النبي )	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد
١٨٦	( النبي )	اللهم أني أسألك الأمن يوم الخوف
١٨٥	( النبي )	اللهم أني أسألك كله
٦٢٦	( النبي )	اللهم اهد قلبه وثبت لسانه
١٠٦	( النبي )	اللهم بارك لقوم جل آنتهم الخزف
٤٧١	( النبي )	اللهم خذ على قريش أبصارهم
٤٧١	( النبي )	اللهم خذ العيون والاحبار عن قريش
٣٩٠	( النبي )	اللهم رب السماوات وما اظللن
٤٠٥	( النبي )	اللهم هؤلاء اهل بيتي
٧٢	( النبي )	اللهم هذه قريش قد أقبلت
٦٤٨	( النبي )	اللهم وال من والاه
١٤٦	( النبي )	إلي يا فلان إلي يا فلان أنا رسول الله
٤٩٧	( النبي )	اليوم يوم المرحمة
١٤٧	( النبي )	أما أنت فقد عذرك الله
٦٧٨	( النبي )	أما أيها الناس فانه قد حان خفوق مني
٦٦٣	( النبي )	أما بعد أيها الناس ما مقالة بلغتني
٦٠٧	( النبي )	أما والذي نفسي بيده لقد تدلى العذاب
٥٣٠	( النبي )	أما ما لي وبني عبد المطلب فهو لكم
٥٣٥	( النبي )	أما والله لو شتم لقلتكم فصدقتم
١٧٧	( النبي )	أمك امك اعصب جرحها
١١٩	( النبي )	أحب أهلي إلي فاطمة
٥٣١	( النبي )	ان أحببت فاقيمي عندنا محبة

١٣٠	( النبي )	أنا أحق بذلك منك
٥١٩	( النبي )	أنا النبي لا أكذب ...
٣٢٩	( النبي )	إنا لم نجئ لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين
٣٤٣	( النبي )	أنا لم نرض
٥٠٦	( النبي )	أنت بالخيار فيه أربعة عشر
٥٥٨	( النبي )	أنت خليفتي في أهل بيتي
٦٣٢	( النبي )	انطلق فطف بالبيت
١٤٥	( النبي )	انظروا الى ما امرتكم به
٥٧٥	( النبي )	ان بالمدينة لا قواما
١٧٦	( النبي )	إن حسن التبعل يعدل ذلك كله
٣٦٨	( النبي )	إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا
٥٦٥	( النبي )	إن رجلا قال هذا محمد يخبركم أنه نبي
٥٤٤	( الصادق )	إن رسول الله كان يغير الأسماء القبيحة ...
٦٣٥	( النبي )	إنكم ستلقون ربكم فيسألكم
١١٨	( النبي )	إن الله اختار من أهل الارض رجلين
٥٧٤	( النبي )	إن الله امرني ان اعرض عنهم
٢٧٣	( النبي )	إنما أنت فينا رجل فخذل عنا
٥٩١	( النبي )	إنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك
١٥٣	( النبي )	إنها مشية يبغضها الله إلا ...
٦٤٦	( النبي )	إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم
٦٦٥	( النبي )	إني امرت ان استغفر لأهل البقيع
٦٧٣ ، ٦٤٨	( النبي )	إني تارك فيكم الثقلين.
٢٧١	( النبي )	إني رأيت العرب رمتكم
٣٠٨	( النبي )	أو ما بلغك ما قال صاحبكم
٢٢٢	( الباقر )	أوحى الله تعالى الى رسول الله إن أشكر لجعفر

٤٧٦	( النبي )	اولئك العصاة
٦٦٨	( النبي )	ايتوني بقلم وقرطاس
٦٦٩	( النبي )	ايتوني بدواة وصحيفة
٢٩	( النبي )	أي رجل الحصين بن سلام فيكم
٥٢٦	( النبي )	أي عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر
٢٦٣	( النبي )	أيكم يبرز الى عمرو وأضمن له الجنة
٣٩٨	( النبي )	أين علي؟ ايتوني بعلي
٦٣٤	( النبي )	أيها الناس اسمعوا قولي
٥٦٠	( النبي )	أيها الناس أما بعد فان أصدق الحديث
٦٠٠	( النبي )	أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان
٦٣٦	( النبي )	أيها الناس إن كل ربا موضوع
٦٦٨	( النبي )	أيها الناس سعرت النار واقبلت الفتن
٥٠١	( النبي )	أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة
٣٥٦	( النبي )	أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة
٤٥٥	( النبي )	أيها الناس ان هذا عدو الله وعدوكم
٦٣٣	( النبي )	أيها الناس لا تشكوا عليا
٥٣٣	( النبي )	أيها الناس والله ما لي في فيئكم
٦٧٦	( النبي )	أيها الناس يوشك أن اقبض
٣٠٢	( النبي )	بئس ما جزيتها
١٠٨	( النبي )	بارك الله في ابنة رسول الله ...
١٧٨	( النبي )	بارك الله عليكم من أهل بيت
٢٦٤	( النبي )	برز الایمان كله الى الشرك كله
٦٠١	( النبي )	بسم إله ابراهيم واسحاق ويعقوب
٣١٠	( النبي )	بل تترفق به وتحسن صحبته
٣٩٣	( النبي )	بل هو الرأي أنظر لنا منزلا بعيدا

١٩	( النبي )	تآخوا في الله
١٠١	( النبي )	تزوجوا فاني مكاتر بكم الامم
٦٦٢	( النبي )	جهزوا جيش اسامة
٤٩٩	( النبي )	خذها يا ابن ابي طلحة تالدة
١١٥	( النبي )	خير رجالكم علي بن ابي طالب
١١٥	( النبي )	خير نساءكم فاطمة بنت محمد
١٤٩	( النبي )	رأيت الملائكة تغسل حنظلة
٥٤٠	( النبي )	دعه عنك فانه جاء تائباً
٣٠٥	( النبي )	دعوها فانها منتنة
٥٦٦	( النبي )	رحم الله ابا ذر يمشي وحده
٤٣٥	( النبي )	رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة
١٨٤	( النبي )	رحم الله سعدا نصرنا حيا ...
٢٥٣	( النبي )	سلمان منا أهل البيت
٢٦٧	( النبي )	ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين
١١٦	( النبي )	علي أحبهم الي وأحبهم الي الله
١١٦	( النبي )	علي خير البشر فمن ابى فقد كفر
١١٥	( النبي )	علي خير من اتركه بعدي
١١٦	( النبي )	علي مني بمنزلة الرأس من بدني
١١٦	( النبي )	علي مني بمنزلة من ربي
١١٦	( النبي )	علي مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن
١٧٥	( النبي )	غيب عني وجهك فلا ارينك
٦٨٢	( النبي )	فاطمة بضعة مني فمن اغضبها فقد اغضبني
٣١١	( النبي )	فاين البعيران اللذين غيبتهما بالعقيق
٣٤٩	( النبي )	فان الله سيجعل لك مخرجاً
٦٧٩	( النبي )	فاقتص مني حتى ترضى

٣٠٧	( النبي )	فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل
١٨٩	( النبي )	فلذلك الجمل لا يمضي
٦٣١	( النبي )	فلم لا تحل وقد أمرت من لم يسبق
٥٧١	( النبي )	فو الذي بنفسي لمناديل الجنة أحسن
٥٠٥	( النبي )	قد اجرنا من أجزت وآمنا من أمنت
٣٠٨	( النبي )	قد استعملتك على هؤلاء النفر
٢٢٥	( علي )	قد علمتم موضعي من رسول الله
٥٤٨	( النبي )	قد فعلت فلا تعجلي بخروج
٢٩٠	( النبي )	قوموا الى سيدكم
٦٦٨	( النبي )	قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع
١٦٨ و ٧٢	( علي )	كنا اذا أحرر البأس اتقينا برسول الله
٦٠٤	( النبي )	كذبتهم ، يمنعكم من الاسلام ثلاث
٥٥٩	( النبي )	كذبوا ، ولكنني خلفتك لما تركت
٣١٠	( النبي )	كيف ترى يا عمر ، اما والله لو قتلته
٩٢	( النبي )	لا امثل به فيمثل الله بي وان كنت نبيا
٥٥٦		لا اجد ما اهلكم عليه
٥٩٦		لا إنما رحمه
٣٩٩		لئن يهدي الله بك رجلا واحدا
٣٨٨	( النبي )	لا تخرجوا معي الا راغبين في الجهاد
٣٢٨	( النبي )	لا تدعوني قريش اليوم الى خطبة ..
٤٥١	( النبي )	لا تغفلوا آل جعفر
١٤٦	( النبي )	لا تقتلوه فهذا الاعمى أعمى القلب ..
٥٧٧	( النبي )	لا تكلمن أحدا من هؤلاء
٤٧٩	( النبي )	لا حاجة لي بهما ، اما ابن عمي
٥٨٦	( النبي )	لا خير في دين لا صلاة فيه

١٨١	( النبي )	لا سواء قتلتنا في الجنة وقتلاككم في النار
٣٩٧	( النبي )	لاعطين الراية غدا
١٤٧	( النبي )	لا عليكم ان لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة
٢٥٢	( النبي )	لا عيش إلا عيش الآخرة
١٨٦	( النبي )	لكن حمزة لا بواكي له
٣٦٧	( النبي )	لكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي
٢٦٤	( علي )	لكنني ما أكره والله ان اهريق دمك
٣٣٤		لا نبرح حتى نتاجر القوم
٤٣٢		لا ندخلها إلا كذلك
٥٩٩	( النبي )	لا ولكن نهيته عن خمش وجوه
٥٣٨	( النبي )	لا يحتج محتج منك في مخالفته
١١٧	( النبي )	لا يذهب بما إلا رجل مني وأنا منه
١١٧	( النبي )	لحمك لحمي ودمك دمي والحق معك
٢٨٧	( النبي )	لقد تيب على ابي لبابة
٥٦٩	( النبي )	لو امرت به ما استشرتكم فيه
٦٣١	( النبي )	لو كنت استقبلت من امري ما استدبرت
٨٣	( النبي )	ما انتم باسمع لما اقول منهم
٤٦٨	( النبي )	ما أجد لك شيئاً أمثل من ان تقوم
٤٩٦	( النبي )	ما ذا تقولون وما ذا تظنون
٥٤٤	( النبي )	ما ذكر لي رجل بفضل من العرب
٦٧٧	( النبي )	ما ظن محمد بالله لو لقي الله وهذه عنه
٦٣٠	( النبي )	ما لي أراك يا عمر محرماً
٦٧٧	( النبي )	ما كان الله ليسلط علي ذات الجنب
١٣	( النبي )	ما لهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار
١١٧	( النبي )	ما من نبي إلا وله نظير في امته



١٨٢	( النبي )	ما وقفت موقفا قط اغيظ إلي
١٤٥	( النبي )	ما ينبغي لني اذا لبس لامته أن
١٩٤	( النبي )	المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين
١٠١	( النبي )	من أحب ان يلقي الله طاهرا مطهرا
٥٠٧	( النبي )	من ارادت ان تباع فلتدخل يدها
٣٤٠	( النبي )	من جاءهم منا فابعده الله
٤٨٤	( النبي )	من دخل دار ابي سفيان فهو آمن
٤٨٩	( النبي )	من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن
٥٧٣	( النبي )	من شاء منكم ان يأخذ بطن الوادي
١١٦	( النبي )	من لم يقل علي خير الناس فقد كفر
١٥٣	( النبي )	من ياخذ هذا السيف بحقه
٣٦٥	( النبي )	من محمد رسول الله الى كسرى
٣٧٠	( النبي )	من محمد بن عبد الله الى المقوقس
٣٧٦	( النبي )	من محمد بن عبد الله الى ملك الحبشة
٣٨٢	( النبي )	من محمد رسول الله الى الحارث بن ابي شمر
٣٨٢	( النبي )	من محمد رسول الله الى هوزة بن علي
٦٥٧	( النبي )	من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
١٥٦	( علي )	نشدتكم بالله هل فيكم احد قتل
٤٦٦	( النبي )	نصرت يا عمرو بن سالم
٤٩٨	( النبي )	هاك مفتاحك يا عثمان
٣٣٦	( النبي )	هذا ما صالح عليه رسول الله
٦٠٨	( النبي )	هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران
٢٨٣	( النبي )	هل أخزاكم الله وانزل عليكم نعمته
٢٠٨	( النبي )	همت اليهود ...
٢٦٧	( النبي )	هو لكم لا نأكل ثمن الموتى

٥٠٨	( النبي )	وانك لهند بنت عتبة
٦٧٥	( النبي )	وأيم الله ابني لأقول لكم هذا
٤٠٨	( علي )	وردنا مع رسول الله خبير
٧٧	( علي )	وعندي السيف الذي اعرضته
١٧١	( علي )	وكان مني في ذلك ما على الله عز وجل ثوابه
٦٧٦	( النبي )	والله لا يحبهم عبد إلا أعطاه الله
٦٤٤	( علي )	والله وما اردت بهذه إلا الفتنة
٢٠	( النبي )	والله ما أنا أمرت بذلك ولكن الله أمر بسد ابوابكم
٥١١	( النبي )	والله ما يسرني يا علي أن لي
٧٩	( النبي )	والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم
٤١١	( النبي )	والذي نفس محمد بيده ان شملته
٤٧٤	( النبي )	وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على اهل بدر
٤٨٥	( النبي )	ومن اغلق بابه فهو آمن
١٧٧	( النبي )	ومن يطبق ما تطيقين يا أم عمارة
١٣	( النبي )	ويح ابن سمية ... انما تقتلك الفئة الباغية
٥٣٤	( النبي )	ويحك اذا لم يكن العدل عندي
٤٨٢	( النبي )	ويحك اسلم واشهد ان لا إله إلا الله
٤٨٢	( النبي )	ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك
٨٣	( النبي )	يا أهل القليب بئس عشيرة النبي
٥١٨	( النبي )	يا أنصار الله وانصار رسوله
١٥٢	( النبي )	يا أيها الناس أوصيكم بما اوصاني الله
٦٧٥	( النبي )	يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين
٤٩٤	( النبي )	يا علي اصعد على منكي
٣٣٨	( النبي )	يا علي أنك أبيت أن تمحو اسمي
٦٢٦	( النبي )	يا علي لا تقاتلن أحدا حتى تدعوه الى الاسلام

٤٥٩	( النبي )	يا علي لو لا أني أشفق أن تقول طوائف
٢٦٥	( علي )	يا عمرو انك كنت تقول في الجاهلية
٢٣١	( النبي )	يا من حضر أشهد هذا ان زيدا ابني
٥٣٥	( النبي )	يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم
٣١	( النبي )	يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية
١٢٢	( النبي )	يا معشر يهود احذروا من الله
٣٢٧	( النبي )	يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب
٦٢٥	( النبي )	يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر
٤٠٣	( النبي )	يفتح الله على يديه

(٣)

### فهرس الأشعار

٩١	أتبكي أن يضلل لها بعير
٤٤٣	إذ يهتدون بجعفر ولو أنه
١١٢	إذا استقبلت وجه أبي تراب
٢١٨	إذا مت فادفني الى جنب كرمة
٤٢٤	أصبح وجه الزمان قد ضحكا
٢٧٠	أعلي تقتحم الفوارس هكذا
٤٩٦	اليوم يوم الملحمة
٢٠١	الى الله أشكو غربتي ثم كربتي
٥٣٩	امن أم أوفى دمنة تكلم
٤٠٠	أنا الذي ستمتني أمي حيدرة
١٥٤	أنا الذي عاهدني خليلي
٥٤١	بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
١٠٥	بيضاء تسحب من قيام شعرها
١٠٧	حسدوا الفتا اذا لم ينالوا فضله
٤٣٣	خلّوا بني الكفار عن سبيله
١٠٨	سرن بعون الله جاراتي
٤٤٣	فلا يبعدن الله قتلي تتابعوا
٤٠٠	قد علمت خير أني مرحب

٥٥٦	كادت وبيت الله نار محمد
١٢	لئن قعدنا والنبي يعمل
٢٦٤	لا تعجلن فقد أتاك مجيب
١٣	لا يستوي من يعمر المساجد
٤٨٠	لعمرك أي يوم أحمل راية
٤٤١	لكني أسأل الرحمن مغفرة
٤٤٢	لو أن عندي يا ابن حرب جعفرًا
٢٧٠	لو كان قاتل عمر وغير قاتله
٥٣٢	ما أن رأيت ولا سمعت بمثله
١٥٧	نحن بنات طارق
٦٨٠	وابيض يستسقى الغمام بوجهه
٤٩٥	وصعود غارب أحمد فضل له
٥٦٧	وعاش أبو ذر كما قلت وحده
٣٩٧	وما أنس لا انس اللذين تقدما
٢٦٣	ولقد بححت من النداء
٣٧٧	والله لو لا الله ما اهتدينا
٤٤٦	يا حبذا الجنة واقترابها
٤٦٥	يا رب ابي ناشد محمدا
١٥٦	يا طلح إن كنتم كما نقول
٨٤	يناديهم رسول الله لما
٦٥٤	يناديهم يوم الغدير نبيهم

(٤)

## فهرس الأعلام

.أ.

اريد ( العامري ) ٦٢٣

أزهر ٣٤٨ .

آزم ٥٦٩ ، ٥٧٠ .

آرشه تونك ( الدكتور ) ٢١٦ .

ابان بن سعيد بن العاص ٣٣٣ .

ابراهيم بن رسول الله (ص) ٥٤٢ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ .

ابراهيم الخليل ( النبي ) ٤٩ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٥٦١ ، ٥٩٩ ، ٦٠٢ ، ٦٢٨ ،

٦٣٠ .

ابن أبي أحمد ١٦٤ .

ابن أبي الحديد ٩٤ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ، ٢٦٥ ، ٣٩٧ ، ٤٢٣ ،

٤٨٧ ، ٤٢٦ .

ابن أبي الحقيق ٢٩٧ .

ابن ابي سيرة ١٦٢ ، ١٦٤ .

ابن الأثير ٣٧ ، ٤٧ ، ١٣٥ ، ١٧٠ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،

٣٢١ ، ٣٦٠ ، ٣٩٣ ، ٤٠٤ ، ٤٤٢ ، ٥١١ ، ٦٠٥ .

ابن اسحاق ٧ ، ١٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٧٠ ، ٢٦٨ .

ابن أم مكتوم ١٢٨ ، ١٩٢ ، ٢١١ ، ٣٠٠ .

ابن بابويه ١٠٧ .

ابن تيمية ( الحراني ) ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

- ابن جرير ٢٤٠ .
- ابن حجر العسقلاني ٣٢٢ ، ٣٦٧ ، ٦٥٢ ، ٦٧٦ .
- ابن حذيفة ٧٦ .
- ابن الجوزي ٢٠ .
- ابن خلكان ٦٥ .
- ابن رواحة ٤١٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٦٦٠ .
- ابن سعد ( صاحب الطبقات ) ٧١ ، ١٨٩ ، ٢٠٥ ، ٣٨٩ ، ٤٣٨ ، ٤٩٨ .
- ابن سلامة ٤٥٠ ، ٥٢٧ ، ٥٣٤ ، ٥٧٣ ، ٦٢٢ .
- ابن سهيل ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ .
- ابن شماس ٢١٤ .
- ابن طلحة ١١٢ .
- ابن عباس ١٥٥ ، ٦٦٩ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٨٤ ، ٦٨٦ .
- ابن عبد ربه ١١٢ .
- ابن العرندس ٤٩٥ .
- ابن عقدة ٦٥٢ .
- ابن العوام ٤٩٣ .
- ابن كثير الشامي ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٥١٢ .
- ابن قميئة الليثي ١٦٦ ، ١٧٦ .
- ابن مزاحم ١٤ .
- ابن مسعود ٦١ ، ١١٦ .
- ابن مسلمة ( محمد ) ٤٣ ، ١٣٣ ، ١٦٤ ، ٢٠٩ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ ، ٤٣٢ ، ٤٩٣ ، ٥٥٨ .
- ابن هشام ٧ ، ١٣ ، ١٩ ، ٣٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨٣ ، ١٣٠ ، ١٦١ ، ٢٨٩ ، ٢٦٨ ، ٢٤٦ ، ٢٢٧ ، ٢١١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ١٩٨ ، ١٧٢ ، ١٦٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٤٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ،

٥٢٣ ، ٥١٩ ، ٥٠٤ ، ٤٨٠ ، ٤٧٣ ، ٤٧٢ ، ٤٤٤ ، ٤١٤ ، ٤٠٤ ، ٤٠١ ، ٤٠٠  
٦١٨ ، ٥٢٧ ، ٥٢٣ ،  
ابن واضح الاخباري ٣٦٦ .  
أبي بن خلف ١٦٥ .  
أحمد بن حنبل ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٨٤ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ٣٦٦ ، ٤٩٥ ، ٦٦٢ ،  
٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧٢ .  
أحمد بن أبي خيثمة ٢٢٤ .  
الاحنس بن شريق ٣٤٨ .  
اريد ٦٢٣ ، ٦٢٤ .  
أرمي بن الاصحم ٣٨١ .  
اساف ( صنم ) ٤٩٣ .  
اسامة بن زيد ١١٥ ، ١٤٥ ، ٣١٩ ، ٤٩٤ ، ٦٤٣ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ،  
٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٧ .  
اسرافيل ( الدكتور ) ٢٤٩ .  
اسكندر المقدوني ٣٥٦ .  
اسماعيل ( النبي ) ٦٠٢ .  
الاسود الثقفي ٥٨٧ .  
الاسود بن عبد الاسد المخزومي ٧٥ ، ٧٦ .  
الاسود بن كعب ٦٥٦ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ .  
الاسود بن المطلب ٩٠ ، ٩١ .  
اسيد بن حضير ١٢ ، ١٨٦ ، ٢٦٢ ، ٣٠٨ ، ٣٢١ ، ٥٢٠ .  
الاقرع بن حابس ٥٣٠ .  
أكيدر بن عبد الله ٥٧٠ ، ٥٧١ .  
أمية بن خلف ٣٧ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٩ .  
أمية بن المغيرة ٤٧٨ .



أنس بن مالك ١٠٩ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ .  
انس بن النضر ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .  
أنو شيروان ٢٦٤ ، ٣٧٥ .

. ( ب ) .

باذان ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩  
بجير بن زهير ٥٣٩ ، ٥٤٠ .  
بديل بن ورقاء ٣٢٨ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ .  
بريدة ١١٥ ، ١١٦ ، ٣٠٤ ، ٦٦١ .  
البراء بن عازب ٦٢٦ .  
بشير بن البراء بن معرور ٤١٦ .  
بشير بن سفيان ٤٨٦ .  
بلال بن الحارث ٤٨٦ .  
بلال الحبشي ٨١ ، ١٠٤ ، ٤٠٩ ، ٤٣٤ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٦٧٨ .

( ت )

تغودوز الكبير ٣٥٧ .

( ث )

ثابت بن أرقم ٤٤٧ .  
ثابت بن قيس ٢١٤ ، ٢٩٤ .  
ثمالة الثقفي ٥٣٢ .

( ج )

جابر بن عبد الله الانصاري ١٨٨ ، ٣٠٠ ، ٥٩٢ .  
جبار ( العامري ) ٦٢٣ ، ٦٢٤ .  
جبرائيل ( الملك ) ٢٠ ، ٥٢ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، ٤٥٥ ، ٤٧٢ ،  
٥٩٢ ، ٥٩٧ ، ٦٤٧ ، ٦٦٥ .  
جد بن قيس ٥٥٤ .

- جديمة بن عامر ٩٠٥ .  
 جعفر بن أبي طالب ١٠٨ ، ٢٢٢ ، ٢٩٨ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ،  
 ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٦٤٢ ، ٦٦٠ .  
 جعفر الصادق ( الامام ) ١٢٦ ، ١٣٨ ، ٣٤٧ ، ٥٤٤ .  
 جميع بن عمير ١١٧ .  
 جندب بن زهير ١١٥ .  
 جهجاه بن مسعود ٣٠٥ .

### ( ح )

- الحارث بن ابي شمر الغساني ٣٥٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٥٢٩ .  
 الحارث بن أبي ضرار ٣٠٤ .  
 الحارث بن الحارث ٥٣٣ .  
 الحارث بن زمعة ٩٠ ، ٩١ .  
 الحارث بن عمير الازدي ٤٣٩ .  
 الحارث بن الصمة ١٦٥ ، ٢٠٥ .  
 الحارث بن طلال ٤٩٠ .  
 الحارث بن هلال ٥٠٤ ، ٥٢٣ .  
 الحارث ( اخو مرحب ) ٣٩٩ .  
 حاطب بن بلتعة ٣٠٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ .  
 الحافظ بن حنان ١١٢ .  
 الحباب بن منذر ٦٩ ، ١٣٩ .  
 الحجاج بن علاط السلمي ٤١٩ ، ٤٢٠ .  
 الحجاج بن يوسف الثقفي ١٧ .  
 حجر بن عدي ٥٦٧ .  
 حرب بن أمية ٤٦٦ .  
 حذيفة بن اليمان ٥٧٣ .

الحسن بن اسماعيل ٦٠٣ ، ٦١٣ .  
الحسن بن علي ( الامام ) ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٦٨ ، ٦٠٥ ،  
٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦١٨ .  
الحسن بن علي العلوي ٦٢١ .  
الحسن بن موسى ١٥٥ .  
حسان بن ثابت ١٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٢٠٢ ، ٢٥٩ ، ٤٤٣ ، ٥٧١ ، ٦٥٤ .  
الحسبان الخزاعي ٨٨ .  
الحسين بن علي ( الامام ) ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ٢٢٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٦٨ ،  
٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦١٨ .  
الحكيم بن حزام ٧٤ ، ٧٦ ، ٢٣١ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٥٣٣ .  
الحكيم بن كيسان ٣٩ .  
الحلس بن علقمة ٣٢٩ ، ٣٣٠ .  
حمزة بن عبد المطلب ٢٤ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٨ ، ١٤٢ ،  
١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٢٦٤ ، ٤٤٢ ، ٤٩٠ ، ٥٠٨ .  
حنظلة بن ابي سفيان ٧٨ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .  
حنظلة ( غسيل الملائكة ) ٥٧٨ .  
حويرث بن نقيذ ٤٩٠ .  
حيبي بن اخطب ٢٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٨٣ ،  
٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣٩٤ .

( خ )

خالد بن اسيد ٤٣٤ .  
خالد بن ثعلب ١٧١ .  
خالد بن رياح ١٦٤ .  
خالد بن سعيد ٥٨٤ .  
خالد بن الوليد ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ٢١٢ ، ٢٢٧ ، ٢٦٢ ، ٣٤٦ ،  
٤٣١ ،

٤٣٩ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٨٦ ، ٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٧ ،  
٥٧١ ، ٦٢٦ ، ٦٦٠ .

حبيب بن علي ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ .

خراش بن أمية ٣٣١ .

خزيمة بن ثابت ١٤ .

خرخسره ٣٦٦ ، ٣٦٨ .

خسرو پرويز ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٩ ، ٦٤٣ .

خلاء بن عمرو بن الجموح ١٨٨ .

خيثمة ٥٦ ، ١٤٢ .

( د )

داود بن قابوس ٤٠٣ .

دحية الكلبي ٢٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٨٢ .

دعبل ٤٢٤ .

دعشور ١٢٩ .

دريد بن الصمة ٥١٥ .

( ذ )

ذو الخويصرة التميمي ٥٣٤ .

ذو الفقار ١٧٢ ، ٣٩٩ .

ذو الكلاع الحميري ١٤ ، ١٥ .

( ر )

رافع بن مكيث ٤٨٦ .

ربيع بن ابي الحقيق ٤٠٢ .

ربيعة بن الحارث ( ابن ) ٦٣٥ .

ربيعة بن عبد شمس ٧٦ .

رفيده ٢٩٠ .

(ز)

زاذان ٢٢٤.

الزبير بن باطا ٢٥٧ ، ٢٩٤ ، ٣٣٣.

الزبير بن العوام ٦٤ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ٤٧٣ ، ٤٨٦ ، ٤٩٣ ، ٦٥١.

زهير بن أبي سلمى ٥٣٩.

زهير بن أبي أمية ٦٠.

زهير بن صرد ٥٢٩.

زيد بن أرقم ١١٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٦٥١.

زيد بن حارثة ٣٧ ، ٩٠ ، ١٣١ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ،

٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٩٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ،

،

٤٤٧ ، ٤٥١ ، ٦٤٢ ، ٦٦٠ ، ٦٦١.

زيد بن الخيل ٥٤٤.

زيد بن دثنة ١٩٩ ، ٢٠٠.

زيد بن سهيل ٢٠٠.

(س)

السائب ٣٦.

سراقة بن جعشم ٥٨.

سعد بن أبي وقاص ٣٦ ، ٤٤ ، ٦٤ ، ٨٦ ، ٤٠٥ ، ٦٦٠.

سعد بن معاذ ٣٦ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ١٨٦ ، ٢١٣ ، ٢٥٨ ، ٢٧١ ، ٢٨٩ ،

٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢.

سعد بن عبادة ٣٦ ، ١٤٤ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٥٨ ، ٢٧١ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٤٩٧ ،

٥٣٥ ،

سعيد بن خيثمة ٥٦ ، ١٤٣ ، ٥٦١.

سعيد بن زيد ٥٤.

سعيد بن الربيع ١٨٤ ، ١٨٥.

سعيد بن زيد الأشهلي ٣٠١ ، ٥٠٩ .  
سفيان الثوري ٢٢٣ ، ٢٢٤ .  
سلمان الفارسي ١٠٨ ، ١١٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ .  
سلام بن ابي الحقيق ٢٤٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ .  
سلام بن مشكم ١٢٨ ، ٢١١ ، ٤١٦ .  
سلمة بن عمرو بن الاكوع ٣٠١ .  
سليمان بن سحيم ٤٥ .  
سليط بن عمرو ٣٨٣ .  
سليط بن النعمان ١٣١ .  
سمرة ٦٤٧ .  
سنان ٣٠٥ .  
سواد بن غزيه ٧٨ ، ٧٩ .  
سواده بن قيس ٦٧٨ ، ٦٧٩ .  
سواع ( صنم ) ٥٠٩ .  
سويد بن صخره ٤٨٦ .  
سهيل بن حنيف ١٧٣ ، ٣١٣ .  
سهيل بن عمرو ٨٣ ، ٩١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ ، ٤٣٤ ، ٤٩١ .  
سيد قطب ٢٢٥ .

### ( ش )

شاس بن قيس ٣٠ ، ٢٨٨ .  
شجاع بن وهب ٣٨١ .  
شرحبيل ٦٠٢ .  
شيبه بن ربيعة ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ١٧٤ .  
شيرويه ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(ص)

صفوان بن أمية ٣٨ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٢٩ ، ٣١٧ ، ٤٣٤ ، ٤٨٤ ،  
٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٥٠٥ ، ٥١٦ ، ٥٣٣ .

(ض)

الضحاك بن خليفة ٥٥٦ .

ضرار بن الخطاب ٢٦٣ .

ضمضم بن عمرو الغفاري ٥٧ .

(ط)

طالب ٦٨ .

الطاهر ٥٩٧ .

طلحة بن أبي طلحة ٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٤ .

طلحة بن عبد الله ٥٤ ، ١٦١ ، ١٧٣ ، ٥٥٦ .

طفيل بن عمرو الدوسي ٥٢٣ .

الطيب ٥٩٧ .

(ع)

العاص بن هشام ٥٧ ، ٨٧ .

عاصم بن ثابت ١٧٣ .

عامر بن الحضرمي ٧٤ ، ٧٥ .

عامر بن الطفيل ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

عامر بن مالك بن جعفر ٢٠٤ .

عباد بن بشير ٢٢٧ ، ٤٠٧ ، ٥٧٢ .

عبادة بن الصامت ١٧ ، ١٢٦ .

عباس بن عبد المطلب ٤٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ٣٠٧ ،

٤٣٦ ، ٤٧٧ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٥١٨ ، ٦٨٦ .

- عباس بن مرداس ٤٨٦ ، ٤٨٨ .
- عبد الجبار بن احمد ٩٤ .
- عبد الحسين شرف الدين ( السيد ) ٦٣٢ .
- عبد الرحمن بن عوف ٨٠ ، ٨١ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٤١٨ ، ٥٠٩ ، ٥٨٩ ، ٦٠٢ ، ٦٨٣ .
- عبد الله بن أبي سلول ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٨٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٧٠ ، ٤٧٨ ، ٤٩٠ ، ٥٦٢ .
- عبد الله بن ابي رافع ١٣٥ ، ٣٣٨ .
- عبد الله بن أم كلثوم ٥٥ .
- عبد الله بن بدر ٤٨٦ .
- عبد الله بن جحش ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٧٤ ، ٤٥٣ .
- عبد الله بن جدعان ٢٢٢ .
- عبد الله بن حارثة ٦٤٢ .
- عبد الله حبيب ٢٢٣ .
- عبد الله بن حجل ١١٥ .
- عبد الله بن حدرد الاسلمي ٥١٦ .
- عبد الله بن حذافة السهمي ٣٦٥ .
- عبد الله بن حزام ١٤٩ .
- عبد الله بن حسن ٤٢٧ .
- عبد الله بن حميد ١٦٥ .
- عبد الله بن حنظلة ١٤٩ ، ٤٨١ .
- عبد الله بن الخزرج ٣٠٩ .
- عبد الله بن خبير ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .
- عبد الله بن رواحة ٧٦ ، ٩٠ ، ٤١٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ .
- عبد الله بن الزبيرى ٤٩٠ .



- عبد الله بن سلام ٢٨ ، ٢٩ .
- عبد الله بن سهيل ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ .
- عبد الله بن شهاب ١٦٥ .
- عبد الله بن طارق ١٩٩ .
- عبد الله بن العباس ١١٥ .
- عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ٤٨٩ .
- عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٤٥ ، ٤١٩ ، ٤٨٦ .
- عبد الله بن عمرو ١٨٣ ، ١٨٨ .
- عبد الله بن عمرو بن حزام ١٧ ، ١٨٩ .
- عبد الله بن عمرو بن العاص ١٧ .
- عبد الله بن عمرو بن مخزوم ٥٠٩ .
- عبد الله بن قمئة الليثي ٢٢ .
- عبد الله بن كعب المازني ٨٥ ، ١٧٧ .
- عبد الله بن مسعود ٥٦٧ .
- عبد الله بن موسى ٤٢٤ .
- عبد الله بن هاشم ١١٥ .
- عبد العزيز ٤٢٧ .
- عبد المطلب ١٠٧ ، ١٨٢ ، ٢٠٦ ، ٢٣٢ ، ٢٦٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٤٧٨ ، ٥٨٠ ، ٦١٢ ،
- عبد ياليل ٥٨٣ .
- عبيد الله بن أبي رافع ٦ .
- عبيدة بن الحارث ٣٤ ، ٣٦ ، ٧٧ .
- عبيد الله بن بهلول ٦١٢ .
- عتاب بن اسيد ٥١٣ ، ٥٣٨ ، ٥٦٠ .
- عتبة بن ابي الوقاص ١٦٥ .
- عتبة بن ربيعة ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٥٠٨ .

عثمان بن حنيف ٤٢٤ .  
 عثمان بن أبي العاص ٥٨٦ .  
 عثمان بن طلحة ٤٣٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٨ .  
 عثمان بن عبد الله ٣٩ .  
 عثمان بن عفان ١٢ ، ١٣ ، ٨٨ ، ١٦٥ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٥٠٥ ، ٦٠٢ .  
 عثمان بن مظعون ٦٥١ .  
 عدي بن حاتم ١١٥ ، ٣٥٩ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ .  
 عروة بن الزبير بن العوام ٦ ، ١٣٥ .  
 عروة بن مسعود الثقفي ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٧٤ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ .  
 عطاء بن السائب ٢٢٣ ، ٢٢٤ .  
 عقبة بن أبي معيط ٥٧ ، ٨١ .  
 عقبة بن الحارث ٢٠١ .  
 عقيل ٩٠ ، ١٠٨ .  
 عكرمة بن أبي جهل ١٣٦ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٨٠ ، ٢٦٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ،  
 ٤٩١ ، ٥٠٥ .  
 العلاء بن جارية ٥٣٣ .  
 علي بن ابراهيم ١٣٧ .  
 علي بن أبي طالب عليه السلام ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٣٧ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٧١ ،  
 ٧٣ ، ٨٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ،  
 ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ،  
 ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٩٠ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،  
 ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،  
 ٢٧٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ،  
 ٣٨٨ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ،  
 ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٤١

٤٩٤ ، ٤٧٩ ، ٤٧٤ ، ٤٧٣ ، ٤٦٩ ، ٤٦٨ ، ٤٥٩ ، ٤٥٨ ، ٤٥٥ ، ٤٥٣ ، ٤٤٢  
، ٥٩٣ ، ٥٩٢ ، ٥٥٨ ، ٥٥٧ ، ٥٤٥ ، ٥٣٥ ، ٥١٨ ، ٥١١ ، ٥١٠ ، ٥٠٤ ،  
٦١٨ ، ٦١٥ ، ٦١٤ ، ٦٠٩ ، ٦٠٨ ، ٦٠٧ ، ٦٠٥ ، ٦٠٢ ، ٥٩٩ ، ٥٩٥ ، ٥٩٤  
، ٦٤٧ ، ٦٤٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٣ ، ٦٣٢ ، ٦٢٧ ، ٦٢٦ ، ٦٢٢ ، ٦٢٠ ، ٦١٩ ،  
٦٨٤ ، ٦٨٣ ، ٦٧٨ ، ٦٧٥ ، ٦٧٤ ، ٦٧٣ ، ٦٦٨ ، ٦٦٥ ، ٦٦٢ ، ٦٥٤ ، ٦٥١  
، ٦٨٦ ، ٦٨٥ ،

علي الاحمدي ( الشيخ ) ٣٨٥ ، ٣٥٣ .

علي بن تقي ٤٢٦ .

علي بن الحسين ( الامام ) ٤٢٣ .

علي بن الفارقي ٤٢٧ .

علي بن الهلالي ١١٨ .

عمار بن ياسر ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٣٧ ، ١٠٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،  
٥٧٣ .

عمارة ٣٥٠ .

عمر بن الخطاب ٦٠ ، ٦١ ، ٧١ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٩ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،  
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٦٩ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣٣٣ ، ٣٩٨ ، ٤١٩ ،  
٤٢٦ ، ٤٥٦ ، ٤٧٤ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٦٣١ ، ٦٦٠ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٨٣ ،  
٦٨٥ .

عمر بن عبد العزيز ١٣٤ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

عمرو بن امية ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٩٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨٤ ، ٤١٢ .

عمرو بن الجموح ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .

عمرو بن جحاش ٢٠٧ .

عمرو بن حزم ١٥ .

عمرو بن الحضرمي ٣٩ ، ٤٤ ، ٧٤ .

عمرو بن الحمق ١١٥ .

عمرو بن سالم ٤٦٥ .

- عمرو بن العاص ١٤ ، ١٥ ، ١٣٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٤٣١ ، ٤٣٨ ،  
٤٤٣ ، ٤٥٦ ، ٥٠٩ .
- عمرو بن عبد ود العامري ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،  
٢٦٨ ، ٢٧٢ .
- عمرو بن عثمان ٤٢٧ .
- عمير الفارس ٧٤ .
- عمير الحمام ٧٩ .
- عمير بن وهب ٧٣ ، ١٦١ ، ٥٠٥ .
- عيسى بن مريم ( النبي ) ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،  
٣٨٤ ، ٥٥١ .
- العيص ٣٥٠ .
- عيننة بن حصن الفزاري ٣٠١ ، ٥٣٠ .
- غ .
- غالب بن عبد الله ١٢٨ .
- غافل بن البكير ٥٤٤ .
- ف .
- الفاكة بن المغيرة ٥٠٩ .
- فرانسيز فريديناند ( الارشيدوق ) ١٢٤ .
- الفخر الرازي ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٦٠٥ ، ٦٠٩ .
- فرعون ٢٠٠ ، ٢٩٩ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .
- فيروز ٣٦٦ .
- الفضل بن العباس ٢٤٠ ، ٥١٨ ، ٥٩٩ ، ٦٨٤ ، ٦٨٦ .
- فهم ٥٣٢ .
- ق .
- القصواء ( الناقة ) ٤٩٢ .

القاسم بن رسول الله ٥٩٧ .  
قيصر ٢٣١ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ،  
٣٨٢ ، ٣٨٧ ، ٤٤٤ .

.ك.

كارليل (توماس) الانجليزي ٤٧٨ .  
كرز بن جابر ٣٧ .  
كسرى ٣٣١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٧ .  
كعب بن الاسد ٢٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٩١ ، ٤٦٧ .  
كعب بن الاشرف ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٤٠٢ .  
كعب بن زهير ١٠ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ .  
كعب بن زيد ٢٠٣ .  
كعب بن مالك ١٧٨ ، ٤٤٢ ، ٥٧٦ .  
كنان بن الربيع ٤١٠ .

.م.

المأمون ٤٢٤ ، ٤٢٧ .  
مالك بن ابي ٢١١ .  
مالك الاشر ١١٥ ، ٥٦٧ .  
مالك بن الدخشم ١٨٤ .  
مالك بن عوف ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٧٥ ، ٥١٥ ، ٥٢٣ ، ٥٢٨ ، ٥٣٢ .  
مالك بن قيس ٥٦١ .  
مالك بن نويرة ٥١٢ .  
محمد بن اسحاق ٦ ، ١٧١ .  
محمد بن ابي بكر ١١٥ .  
محمد بن احمد المخزومي ٦٢١ .  
محمد بن بشارة ٢٢٢ .

- محمد بن جرير ١٣٠ .
- محمد بن عبد الله ٦٠٣ ، ٦١٢ .
- محمد بن عمر البغدادي ٦٥٢ .
- محمد بن سعيد ٧١ ، ٥٤٣ .
- محمد بن مسلمة ١٣٣ .
- محمد بن المطلب الشيباني ٦٠٣ ، ٦١٢ .
- محمد بن صدقة العنبري ٦١٢ .
- محمد بن علي الباقر ( الامام ) ٢٢٢ .
- محمد بن معد العلوي ١٦٤ ، ١٧٧ .
- محمد الثاني ( السلطان ) ٣٥٨ .
- محمد حسين هيكل ٦٧١ .
- محمد حميد الله ( البروفيسور ) ٣٥٣ .
- محمد عادل ( الاستاذ ) ١١٠ .
- محمد عثمان كريم ١١١ ، ١١٨ .
- محمد الفاتح ٣٥٨ .
- محمد اليميني ( الامير ) ٦٥٣ .
- محمد المهدي ( العباسي ) ٤٢٧ .
- محمود شلتوت ( الشيخ ) ٦٣٧ .
- محمود بن سلمة ٣٩٣ ، ٤١٠ .
- مجاة بن مرارة ٣٨٥ .
- مجدة بن عمرو ٣٤ ، ٤٤ ، ٦٦ .
- مخرمة بن نوفل ٦٨ .
- المخيريقي ٢٧ ، ٢٩ .
- مربع بن قيض ١٤٦ .
- مرحب ٤٠٠ ، ٤٠١ .

مرارة بن الربيع ٥٧٦ ، ٥٧٧ .  
مرتد بن ابي مرتد ١١٤ ، ٢٠٥ .  
مرة بن مروان ٤٠٢ .  
مروان بن الحكم ٤٢٧ .  
المستعلي بن المستنصر ٦٥٠ .  
مسلمة بن اسلم ٢٦٠ .  
مسيلمة الكذاب ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٩ .  
مصعب بن عمير ٥٥ ، ١٥٥ ، ١٦٠ .  
مطعم بن جبير ١٣٧ .  
مقداد بن عمرو ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٤٧٣ ، ٤٨٦ .  
معاذ بن جبل ٥١٣ ، ٥٣٩ ، ٦٢٥ .  
معاوية بن ابي سفيان ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٥١ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٣٣٨ ،  
٤٢٤ ، ٥٠٧ ،  
٥٣٢ ، ٥٤١ .  
مقيس بن صبابة الكندي ٤٩٠ .  
معبد بن ابي معبد الخزاعي ١٩٢ ، ١٩٣ .  
معبد بن خالد ٤٨٦ .  
معقل بن سنان ٤٨٦ .  
المغيرة بن شعبة ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٥٨٤ ، ٥٨٧ .  
المقوقس ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٥٤٢ .  
مكرز بن حفص ٣٢٩ ، ٤٣٢ .  
مناة ( صنم ) ٥٠٩ .  
منذر بن عمرو ٢٠٢ .  
منذر بن محمد ٢٠٥ .  
ميسرة ٢٢٤ .  
موسى ( النبي ) ٢٠ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٢٩٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٨ .

موسى الهادي بن المهدي ٤٢٧ .

. ن .

نائلة ( صنم ) ٤٩٣ .

ناپليون بونابرت ٣٥٦ .

النضر بن الحارث ٨١ ، ٨٧ .

النعمان بن المقرن ٤٨٦ .

النعمان بن المنذر ٥٢٩ .

نعيم بن مسعود ٢٢٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥ ، ٤٠٧ ، ٤٨٦ .

نميلة بن عبد الله الليثي ٣٨٨ .

نوفل بن عبد الله ٢٦٣ ، ٢٦٦ .

. ه .

هارون ٤٢٧ .

هاشم بن عتبة ١١٥ .

هبار بن الاسود ٤٩٠ .

هبل ( صنم ) ١٦٧ ، ١٨٠ ، ٤٩٣ .

هرقل ١٥١ .

هبيرة بن وهب ٢٦٣ .

هلال بن أمية ٥٧٦ ، ٥٧٧ .

هوذة بن علي ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

. و .

واقد بن عبد الله ٣٩ .

وحشي بن حرب ١٣٧ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٤٩٠ .

الوليد بن عقبة بن ابي معيط ٣١٢ .

الوليد بن عتبة ٧٦ ، ٧٧ .

ويليم مويير ( السير ) ٣٥٤ .



- ياسر ١٥ .
- يحيى بن عمار ١٥٥ .
- يحيى بن معين ٢٢٤ .
- يزيد بن الخصيب ٤٨٦ .
- يزيد ١٧ ، ٤٢٧ .
- يوحنا بن رؤبة ٥٦٩ .
- يوشع بن نون ٤٢١ .
- النساء : .
- آمنة بنت وهب ١٣٨ .
- أسماء بنت عميس ٤٥١ ، ٦٧٧ .
- جميلة ( بنت عمر ) ٥٤٤ .
- جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار ٣١١ .
- حليمة السعدية ٥٢٩ ، ٥٣١ .
- خديجة بنت خويلد ٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٠ ، ٢٣١ ، ٣٥٦ ، ٥٩٧ ، ٦٨١ .
- رقية بنت رسول الله ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١٨ ، ٥٩٧ .
- زينب بنت جحش ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
- ٢٤٢ .
- زينب بنت رسول الله ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٨ ، ٥٤٢ ، ٥٩٧ ..
- سلمى ٥٤٢ .
- شيماء بنت الحارث ٥٣١ .
- صفية بنت حيي بن أخطب ( زوجة النبي ) ٣٩٤ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٧ .
- صفية بنت عبد المطلب ( عمه النبي ) ١٨٣ ، ٢٥٩ .
- عائشة بنت ابي بكر ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ،
- ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٦٠٧ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ .
- عاتكة ٤٨٨ .
- عاصية ٥٤٤ .

فاطمة بنت أسد ٢٢٩.

فاطمة الزهراء بنت رسول الله ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،  
١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٩٠ ،  
٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٥٧ ، ٤٦٨ ، ٤٩٧ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ،  
٦٠٨ ، ٦١٨ ، ٦٧٨ ، ٦٨٠ ، ٦٨٢ .

مارية القبطية ( زوجة النبي ) ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٥٤٢ ، ٥٩٧ .

مريم بنت عمران ١٢٠ ، ٣٧٦ ، ٤٤٢ .

ميمونة ( زوجة النبي ) ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٦٧٥ ، ٦٧٧ .

نسيبة المازنية ١٦٥ ، ١٧٦ .

هند بنت عتبة ٦٣ ، ١٥٤ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ٤٨٩ ، ٥٠٧ ،

٥٠٨ ،

(٥)

### فهرس القبائل والامم

- أذرح (قبيلة) ٥٦٩ .  
أسد (قبيلة) ١٩٦ ، ٤٧٢ .  
الوس (قبيلة) ٩ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٢ ،  
٥٥ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٥٨ ، ٢٨١ ،  
٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ .  
أيلة (قبيلة) ٢٩٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٥٦٩ ، ٥٧٨ .  
ثمالة (قبيلة) ٥٣٢ .  
بنو اسرائيل ٦٠ ، ٦٢ ، ٢٥٧ ، ٢٩٤ .  
بنو أسد ١٩٧ ، ٢٥٠ .  
بنو اشجع ٢٥٠ ، ٤٨٦ .  
بنو الأصفر ٣٦٢ ، ٥٥٥ .  
بنو أمية ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٤ .  
بنو بكر ٥٩ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ .  
بنو ثعلبة ٢٤ ، ٢٢٦ .  
بنو جذيمة ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ .  
بنو جشم ٢٢ ، ٢٤ .  
بنو الحارث ٢٢ ، ٢٤ .  
بنو الحجاج ٦٥ .

- بنو حسن ٤٢٧ .
- بنو خزاعة ١٩٣ ، ٣٣١ ، ٣٤١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٨١ .
- بنو الزهراء ٤٢٧ .
- بنو زهرة ٦٨ .
- بنو ساعدة ٢٢ ، ٢٤ ، ٥٦٣ ، ٦٧٤ .
- بنو سعد ٥٢٩ ، ٥٣٢ .
- بنو سلمة ٧٣ .
- بنو الشطيبة ٢٤ .
- بنو سليم ١٢٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٣٠٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٧٢ ، ٤٨٥ ،
- ٥١٧ .
- بنو شيبان ٥١٤ .
- بنو ضمرة ٣٦ ، ٤١ .
- بنو عامر ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٧٠ ، ٣٤٩ ، ٦٢٣ .
- بنو العاص ٥٩ .
- بنو عبد الاشهل ١٨٦ ، ١٩٢ .
- بنو عبد الدار ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .
- بنو عبد المطلب ٤٩٩ ، ٦٤٦ .
- بنو عبد مناة ١٧٠ .
- بنو عدى ٣٣٣ .
- بنو عمرو بن عوف ٢٢ .
- بنو عوف ٢٢ ، ٢٤ ، ٨٠ .
- بنو غسان ٣٥٩ ، ٥٥٣ .
- بنو غطفان ١٢٩ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ، ٢٥٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ،
- ٣٠١ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٧ ، ٥٦٠ .
- بنو غفار ١٣٨ ، ٣٠١ ، ٣٩٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٤٨٦ .
- بنو فزارة ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣٨٩ .

بنو قريظة ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٣٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ،  
٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ،  
٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ ،  
٣٢١ .

بنو قينقاع ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ٢٠٩ ، ٢٤٨ ،  
٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣٠٤ ، ٣٨٦ .

بنو كنانة ٥٨ ، ١٣٧ ، ١٧٠ ، ٢٦٣ ، ٣٤١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٨٦ ،  
بنو كعب ٤٧٢ .

بنو لحيان ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ .

بنو ليث ٤٨٦ .

بنو مالك ٣٢١ .

بنو مدالج ٣٧ ، ٤١ .

بنو المصطلق ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ .

بنو مرة ٢٥٠ ، ٢٥٤ .

بنو النبيت ٢٢ .

بنو النجار ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٨٩ .

بنو النضير ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،  
٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٣٠٤ ، ٣٨٦ ،  
٤١٠ .

بنو مزينة ٤٨٦ .

الخرج ( قبيلة ) ٩ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٥٥ ، ١٣٩ ،  
٢١٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ ، ٣٢١ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ،  
٤٩٧ ، ٥٧٨ .

بنو وائل ٢٤٧ .

جرباء ( قبيلة ) ٥٦٩ ، ٥٧٠ .

تميم ( قبيلة ) ٤٧٢ ، ٥٦٠ .

ثقيف ( قبيلة ) ١١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٩ ، ٥٢١ ،  
٥٢٤ ، ٥٢٥ .

.٥٨٧ ، ٥٨٥ ، ٥٨٤ ، ٥٨٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٢ ، ٥٢٧ ، ٥٢٦

جهينة ( قبيلة ) ٤٧٢ .

جذام ( قبيلة ) ٥٥٣ .

خزاعة ( قبيلة ) ١٣٩ ، ٣٠٤ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

دوس ( قبيلة ) ٥٢٣ .

ربيعة ( كذاب ) ٦٥٨ .

سلمة ( قبيلة ) ٥٣٢ .

سويلم ( قبيلة ) ٥٥٦ .

طي ( قبيلة ) ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٦٠ .

لخم ( قبيلة ) ٥٥٣ .

فهم ( قبيلة ) ٥٣٢ .

قريش ( قبيلة ) ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ،  
٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ،  
٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ،  
٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٢١ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،  
١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،  
١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،  
٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،  
٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،  
٣٠٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،  
٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ،  
٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،  
٣٨٨ ، ٤٠٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ،  
٤٤٣ ، ٤٤٨ ، ٤٥٣ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ،  
٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ،

٤٨٥ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٥ ، ٥٠١ ، ٥١٤ ، ٥٢٦ ، ٥٤٢ ، ٦١٦ ، ٦٢٩ ،  
٦٥٧ ،

قيس (قبيلة) ٤٧٢ .

بنو هاشم ٦٨ ، ٨٠ ، ١٥٥ ، ٢٣٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٩٩ ،  
٦٤٦ .

هوازن (قبيلة) ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٩ ،  
٥٣١ ، ٥٣٢ .

ولد اسماعيل ٢٥٧ ، ٣٢٥ .

(٦)

## الكنى والألقاب

« الكنى » الرجال :

- أبو الاسود الدؤلي ١١٢ .  
أبو أيوب الأنصاري ١١٨ ، ٤١٧ .  
أبو البائت ٤٠٣ .  
أبو البحري ٨٨ ، ١٥٥ .  
أبو البراء العامري ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ .  
أبو بكر بن أبي قحافة ٦٠ ، ٦١ ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ٣٣٠ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٢٦ ،  
٤٢٧ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥٢٤ ، ٥٦٣ ، ٥٨٤ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٤ ،  
٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٤ ، ٦٦٠ .  
أبو بكر الجوهري ٦٧٠ .  
أبو بكر بن حزم ٥٥ ، ١٣٤ .  
أبو بصير ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ .  
أبو تراب ٤٠٥ .  
أبو جعفر البصري ٩٤ .  
أبو جعفر المنصور ٤٢٧ .  
أبو جندل ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ .  
أبو جهل ٣٣ ، ٣٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ١٣٦ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٦٣ ،  
٤٨٤ ، ٥٤٤ .



ابو جهم العبيدي ١٦٢ .  
ابو حاتم ٢٢٤ .  
ابو حارثة ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦١٠ ، ٦٨٠ .  
ابو الحسن ٩٤ ، ١٠٤ ، ٤٠٨ .  
ابو الخير الحاكمي ١١٤ .  
ابو العقيق ٣٩٤ .  
ابو حمراء بن سفيان ١٧١ .  
ابو الخير ٢٦٥ .  
أبو دجانة الانصاري ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ٢١٣ .  
ابو ذر الغفاري ٤٨٦ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ .  
ابو رافع ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٥ ، ١٣٥ ، ١٧٠ ، ٤٣٧ .  
ابو ريحة ٤٨٩ .  
ابو سعيد بن خيثمة ١٤٨ .  
ابو سعيد السجستاني ٦٥٢ .  
ابو سفيان بن الحارث ٤٧٨ ، ٥١٨ .  
ابو سفيان ١٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ،  
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ،  
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،  
٢٦٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٠٧ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٤٦٦ ،  
٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ،  
٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٨ ، ٥١٤ ،  
٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٣٣ ، ٥٤٤ ، ٥٨٧ ، ٦٤٤ .  
ابو سلمة ٣٧ ، ١٩٧ .  
ابو الشعثاء بن سفيان ١٧١ .  
ابو طالب ٩٠ ، ٣٣٣ ، ٣٥٦ ، ٤٤٢ ، ٤٨٥ ، ٤٩٢ ، ٥٠٤ .

- ابو طلحة ١١٨ .
- ابو العاص ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ٥٤٢ .
- ابو عامر ١٤٨ ، ١٥٤ ، ٢٥٠ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ .
- ابو العباس السفاح ٤٢٨ .
- ابو عبيدة الجراح ١٦٥ ، ١٦٩ ، ٦٨٦ .
- ابو العرفان الحبان ٦٥٣ .
- ابو عزيز ٨٧ .
- ابو عزة الحمحي ٨٢ ، ١٩٤ .
- ابو عمرة ١١٥ .
- ابو العلاء الهمداني ٦٥٢ .
- ابو الفضل ٤٨١ ، ٤٨٨ ، ٦١٢ .
- ابو لبابة ٥٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
- ابو لهب ٥٧ ، ٨٩ ، ٤٧٨ .
- ابو المفضل ٦٢١ .
- ابو موسى الاشعري ٥٢١ .
- ابو نائلة ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .
- ابو واقد الليثي ٤٨٦ .
- ابو الوليد ٧٤ ، ٧٦ .
- النساء :**
- ابنة حاتم الطائي ٥٤٩ .
- أم أنس ( بن مالك ) ١١١ .
- أم أيمن ٤٢٥ ، ٤٢٦ .
- أم حبيبة ٤٦٧ .
- أم سلمة ١٠٨ ، ١١٧ ، ٢٨٧ ، ٢٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

- أم سليم بن ملحان ٥٢٠ .  
أم عامر ١٧٣ .  
أم الفضل ٨٩ ، ٤٣٦ .  
أم كلثوم بنت رسول الله ٥٩٧ .  
أم كلثوم بنت عقبة ٣٥٠ .  
أم هاني ٥٠٤ .

« الألقاب »

- الآلوسي ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٥٩٤ .  
ابن طاوس ( السيد ) ٦٠٣ ، ٦٠٦ ، ٦١١ ، ٦٢١ .  
الافندي صاحب كشف الظنون ٦ .  
الاميني ١١١ ، ١٢٠ ، ٦٤٨ ، ٦٥٣ .  
البحراني ( المحدث ) ٣٢٣ .  
البخاري ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .  
البخترى ٨٠ ، ٨١ .  
البروجردى ( السيد ) ٢١٦ .  
الترمذى ( الحافظ ) ١١٢ .  
التلعكبرى ٦٢١ .  
الثعالبي ٦٥٠ .  
الجزري الشافعي ٦٥٢ .  
الحلبي ٣٩٧ ، ٤٢٦ ، ٦٠٣ .  
الحموي ( الياقوت ) ٦٠١ .  
الحميدى ٢٢٤ .  
الخجندى ( الحافظ ) ١٠٩ .  
الدولابى ١٠٧ .

- الدينارية ( المرأة ) ١٨٧ .
- الرضي ( السيد ) ٧٢ .
- الزخشري ٦٠٥ ، ٦٠٧ .
- السيوطي ٦ .
- شرف الدين ٦٧١ .
- الطباطبائي ( العلامة ) ٢١٦ ، ٢٤٣ ، ٦٠٩ .
- الطبري ٥٢ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧١ ، ٢٣٩ ، ٣٣٧ ، ٤٠٤ ، ٦٥٢ .
- الطوسي ( الشيخ ) ٧ ، ١٣٧ ، ٦١١ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ .
- كعب الاحبار ٦٨٣ .
- القندوزي ١٩ .
- العامري ٣٤٩ .
- العاملي ( الحر ) ٥٢ ، ١٣٨ .
- العراقي ( الحافظ ) ١١٢ .
- العقاد ( عباس محمود ) ١١٨ .
- المامقاني ٦٢١ .
- المجلسي ( العلامة ) ٥٤ ، ٧٣ ، ١٤٨ ، ١٥٧ .
- المسعودي ٦١٥ .
- المطهري ( الاستاذ ) ٧ .
- المفيد ( الشيخ ) ١٥٥ ، ٢١٤ ، ٢٩٠ ، ٤٠١ ، ٤٥٥ .
- المقريزي ٦٠ ، ١٣١ ، ١٦٧ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٥٤ .
- النجاشي ٢٣١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٤١٢ ،
- ٤٤٢ ،
- ٦١٢ .
- النسائي ٦٥٣ .
- الهيثمي ١١٨ .

الواقدي (صاحب السيرة المتوفى ١٥١) ٧، ٦١، ٦٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٥١،  
١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ٢٠٧، ٢٦٣، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٧٤، ٤٣٨،  
.٥٦١

الواقدي (صاحب الطبقات المتوفى ٢٣٠) ٧.

(٧)

### فهرس الوقائع والايام

- الاحزاب ( معركة ) ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٥ ، ٢٦١ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،  
٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٥٢٢ .
- بيعة العقبة ٤٥ ، ٥٩ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ .
- بنو المصطلق ( غزوة ) ٣١٥ ، ٣٢١ .
- تبوك ( غزوة ) ٤٠٤ ، ٤٤٥ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٨ ، ٥٦١ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ،  
٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ،  
٦١٣ .
- حجة الوداع ( البلاغ ) ٦١٩ ، ٦٣٨ ، ٦٥٦ .
- حمراء الاسد ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .
- الخنديق ( معركة ) ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،  
٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ،  
٣٠٤ ، ٣٨٧ ، ٥٢٢ .
- خيبر ٣٥ ، ١٢١ ، ١٧٥ ، ٢١٣ ، ٢٤٧ ، ٢٧٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٨٦ ،  
٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ،  
٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ .
- ذات الرقاع ( غزوة ) ٢٢٦ .
- ذات السلاسل ( سرية ) ٤١٦ ، ٤٥٤ .
- صفيين ( معركة ) ١٤ ، ١٥ ، ٤٤٣ .
- قرقرة الكدر ( غزوة ) ١٢٨ .
- مؤتة ( معركة ) ٤٣٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٦٨ .

(٨)

## فهرس الأماكن والبلدان

آسيا الصغرى ٣٥٧ ، ٣٦٤ .

احد ٩٠ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،  
١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧١ ،  
١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،  
١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٢٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ،  
٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٤٥ ، ٤٥٣ ، ٤٩٣ ، ٥٠٨ ، ٥٧٨ .

آديس أبابا ٣٧٥ .

الاردن ٢٦٥ .

الاسكندرية ٣٦٠ .

أبني ٦٦١ .

أوريا ٣٥٧ .

أوطاس ٥٢١ .

إيران ١٣٢ ، ٢١٦ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ ،  
٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٦٤٢ .

بئر معونة ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٥٦٣ .

باريس ٣٥٢ .

البحر الأحمر ٦٤ ، ٦٧ ، ٥٦٩ ، ٦١٥ .

البحرين ٣٥٦ ، ٦٢٣ .

بدر ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ،  
٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٢١ ،  
١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ٢٠١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٦٩ ، ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٤٠٢ ،  
٤٧٢ ، ٥٠٥ ، ٥٤٢ ...

بصرى ٣٥٩ .

البصرة ٤١٤ .

بغداد ١١٣ ، ١١٦ ، ١٦٤ ، ٤٢٧ .

البيع ١٣٤ ، ١٣٥ .

بكين (عاصمة الصين) ٣ .

بلجيكا ١١٨ .

البلقاء ٥٥٣ .

بيت الله الحرام ٤١ ، ٤٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٨ ، ٤٦٤ ، ٤٩٢ ، ٥٨٩ ،  
٦٣١ ، ٦٣٣ .

بيت المقدس ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٨١ ،  
٥٨٢ .

تبوك ٥٥٢ ، ٦٤٣ ، ٦٦٠ .

تھامة ٥٠٩ .

ثنية أذاخر ٤٩١ .

ثنية المرة ١٧ .

ثنية الوداع ٣٠١ ، ٤٤٠ ، ٥٥٤ .

الجزيرة العربية ٤ ، ١٨ ، ٢١ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ١٢١ ، ٢١٧ ، ٢٢٦ ، ٢٥٠ ،  
٣٢٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ،  
٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٣٤ ، ٤٦٣ ، ٤٧٨ ، ٤٩٣ ، ٥٠٣ ، ٥٢٣ ، ٥٢٧ ، ٥٤٣ ،  
٥٤٤ ، ٥٥٢ ، ٥٥٩ ، ٥٦٨ ، ٥٧٨ ، ٥٨٢ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٧ ، ٦٢٢ ،  
٦٢٨ ، ٦٤٢ ، ٦٥٦ .

الجحفة ٣٢٧ ، ٦١٧ ، ٦٤٧ ، ٦٥٦ .



الجرف ٤٤٠ ، ٥٥٨ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ .  
الجعرة ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٢ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ .  
الجنبدل ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ .  
الجولان ٣٨١ .  
الحبشة ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٥٦ ، ١٧٤ ، ٢٩٨ ، ٣٥٦ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ،  
٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٤١٢ ، ٤٤٢ ، ٦٧٧ .  
الحجاز ٤٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٩ ، ٤٣٨ ، ٤٤٢ ، ٥٠٥ ،  
٥٢١ ، ٥٢٥ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٨ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ،  
٥٧٢ ، ٥٧٥ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦١٩ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٩ ، ٦٣٤ ،  
٦٥١ ، ٦٥٦ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٧٤ .  
حجر ٥٥٢ .  
الحجر الاسود ٦٢٠ .  
الحديبية ١١٨ ، ٣٢٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،  
٣٧٤ ، ٣٨٨ ، ٤٣٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٨٣ ، ٤٨٩ .  
حزرموت ٦٥٦ .  
حراء ( غار ) ٣ .  
حنين ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ،  
٥٢٩ ، ٥٣٢ .  
الحيرة ٣٥٦ .  
خيبر ٣٥ ، ٣٩٣ ، ٤٠١ .  
دار الندوة ٣٤٥ .  
دمشق ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٣٨١ .  
ذو الحليفة ٣٢٦ ، ٦٢٩ .  
ذو طوى ٤٩٠ .

الريذة ٥٦٦ .  
الرملة ٦٦١ .  
رابغ ٦٤٦ .  
الرجيع ٣٩٣ ، ٣٨٩ .  
روضة الخاخ ٤٧٣ .  
زمزم ( بئر ) ٨٣ ، ٤٩٤ .  
سطح ( قلعة ) ٣٩٠ .  
سقيفة بني ساعدة ٦٧٤ .  
سورية ٥٦٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٦٦١ .  
الشام ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ،  
١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ٢١٣ ، ٢٤٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،  
٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٨٦ ، ٤٢٣ ، ٤٣٣ ،  
٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٦٤ ، ٤٧٥ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٦٦ ،  
٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٣ ، ٥٧٨ ، ٦١٥ ، ٦٤٣ ، ٦٥٦ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ .  
الشق ( حصن ) ٣٩٠ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ .  
الصفاء ( جبل ) ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٦٣٠ .  
الصفراء ٨٧ .  
صفين ١٤ ، ٣٣٨ .  
الصين ١٢٦ .  
الطائف ٣٨ ، ٤١ ، ٤٤ ، ١٧٥ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٧ ،  
٥٢٨ ، ٥٣٢ ، ٥٤٠ ، ٥٧٨ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٧ ، ٦٧٨ .  
طهران ٧ .  
طيسفون ٣٦٤ .  
الظهران ٤٣٢ ، ٤٨٠ .  
العراق ١٥ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ٣٥٧ ، ٦١٦ ، ٦٧٤ .

عرفات ٦٢٩ ، ٦٣٦ .  
عسغان ٣٠٠ .  
عسقلان ٦١٦ .  
العقبة ٥٧٣ .  
عكاظ ( سوق ) ٢٣١ .  
فدك ٩٤ ، ٢٤٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ .  
فرنسا ١٢٦ .  
فلسطين ٦٤٢ ، ٦٥٩ .  
القادسية ٥٥٠ .  
القاهرة ٢٤١ .  
قبا ٥٧٩ ، ٦١٦ .  
قسطنطينية ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٥٥٣ .  
قم ١٣١ ، ٢١٦ .  
القموص ( حصن ) ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٤٠٩ .  
الكديد ٤٢٦ .  
كربلاء ٤٢٣ .  
الكعبة المعظمة ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٢٠١ ، ٣٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ،  
٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٣٩ ، ٥٨٩ ، ٦٣٠ .  
الكوفة ٤٢٦ .  
لبنان ٧ .  
لندن ٧ .  
المدائن ٣٦٤ .  
المدينة ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣١ ،  
٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ،  
٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ،  
٩١ ،

، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ٩٣  
١٥٠ ، ١٤٨ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٦ ، ١٣٥  
، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٧١ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥١ ،  
٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٨٩ ، ١٨٨  
، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢١٣ ، ٢١١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ،  
٢٧٢ ، ٢٧١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٦  
، ٢٩٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨ ،  
٣١٧ ، ٣١٥ ، ٣١٤ ، ٣١٣ ، ٣٠٨ ، ٣٠٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٠ ، ٢٩٨  
، ٣٥٨ ، ٣٥٠ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٤ ، ٣٣٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٥ ، ٣١٨ ،  
٤١٠ ، ٣٨٩ ، ٣٨٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٣٧٦ ، ٣٧٢  
، ٤٤٦ ، ٤٤٠ ، ٤٣٨ ، ٤٣٦ ، ٤٣٥ ، ٤٣١ ، ٤٢٤ ، ٤٢١ ، ٤١٨ ، ٤١٢ ،  
٤٦٨ ، ٤٦٧ ، ٤٦٦ ، ٤٥٨ ، ٤٥٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٤ ، ٤٥٣ ، ٤٥٢ ، ٤٥٠ ، ٤٤٨  
، ٥٤٠ ، ٥٣٧ ، ٥٣٦ ، ٥٢٢ ، ٥١٤ ، ٤٩٢ ، ٤٨٨ ، ٤٧٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٣ ،  
٥٦٠ ، ٥٥٩ ، ٥٥٨ ، ٥٥٧ ، ٥٥٤ ، ٥٥٣ ، ٥٤٩ ، ٥٤٧ ، ٥٤٥ ، ٥٤٣ ، ٥٤٢  
، ٥٧٨ ، ٥٧٦ ، ٥٧٥ ، ٥٧٣ ، ٥٧٢ ، ٥٦٩ ، ٥٦٨ ، ٥٦٥ ، ٥٦٢ ، ٥٦١ ،  
٦١٥ ، ٦١٠ ، ٦٠٦ ، ٦٠٥ ، ٦٠٢ ، ٥٩٢ ، ٥٨٩ ، ٥٨٤ ، ٥٨٣ ، ٥٨١ ، ٥٧٩  
، ٦٥٦ ، ٦٤٦ ، ٦٤٤ ، ٦٤٣ ، ٦٢٩ ، ٦٢٣ ، ٦٢٠ ، ٦١٩ ، ٦١٧ ، ٦١٦ ،  
٦٨٦ ، ٦٨١ ، ٦٨٠ ، ٦٧٤ ، ٦٦٧ ، ٦٦٤ ، ٦٦١ ، ٦٦٠ .

المروة ( جبل ) ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٦٣٠ .

المسجد الاقصى ١١٣ .

المسجد الحرام ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ١١٩ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ،

٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٦٢٨ .

مسجد الأحزاب ٤٥٧ ..

مسجد الشجرة ٦٢٩ .

مسجد ضرار ١٤٨ ، ٥٦٩ .

مسجد العريش ٦٧ .

مصر ( بلاط ) ٣٣٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ،

٣٧٧ ، ٤٤٢ ، ٥٤٢ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦٤٧ ، ٦٥٦ ، ٦٧٤ .

مكة المكرمة ٣ ، ٨ ، ٩ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ،

٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ،

٩٢ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،

١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

٢٣١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٩٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،

٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،

٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٦٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ،

٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٥٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ،

٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ،

٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ،

٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ،

٥١٦ ، ٥١٩ ، ٥٢١ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٢ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤ ، ٥٦٠ ، ٥٧٨ ،

٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢٩ ،

٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٤٦ .

منى ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٣٤ ، ٦٣٧ .

ناعم ( حصن ) ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٠٢ .

نجد ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٥٠ ، ٢٩٤ ، ٣٨٣ ، ٤٤٥ ، ٥٤٨ .

نجران ٤٠٥ ، ٥٧٨ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ .

القطاة ( حصن ) ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ،

٦١٤ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢٦ ، ٦٣٣ ، ٦٣٦ .

الهند ١١١ .

وادي الرمل ٤٥٥ .

وادي ذفران ٥٧ ، ٥٨ .

وادي القرى ٣٥ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ٣٨٦ ، ٤١٨ ، ٤٢١ ، ٤٣٩ .

وادي اليابس ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

يثرب ٩ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٤٢ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ١٢١ ، ١٤٠ ، ٢٠٩ ،

، ٢٥١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

اليزموك ٣٨١ .

اليمامة ٣٥٦ ، ٣٨٤ ، ٦٢٣ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ .

اليمين ١٧٥ ، ٣٣٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٥٠٥ ،

٥٠٩ ، ٥٣٩ ، ٥٤٩ ، ٦٠١ ، ٦١٣ ، ٦١٩ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٣٢ ،

، ٦٣٧ ، ٦٤٣ ، ٦٥٦ ، ٦٥٩ .

(٩)

## فهرس المذاهب والأديان ونظم الحكم

- الامامية ( الشيعة ) ١٧٢ ، ٦١٢ ، ٦٦٠ .
- الروم ( الامبراطورية الرومية ) ٢١ ، ٩٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،  
٤٣١ ، ٣٨٧ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٧٩ ، ٣٧٦ ، ٣٧٣ ، ٣٦٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٢ ،  
٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٤ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٦٨ ، ٥٧١ ،  
٥٧٢ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٦٠٢ ، ٦٣٢ ، ٦٤٢ .
- الساسانيون ٣٥٧ ، ٣٦٤ .
- السنة ( أهل ) ١٧٢ ، ٤٢٣ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٧ .
- الصائبون ٥٥٠ .
- العباسيون ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٥٤١ .
- الغساسنة ٣٨٢ ، ٣٨٣ .
- الفاطميون ١١٨ ، ٣٣٨ ، ٤٢٧ .
- الفرس ٩٣ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٥٧٥ ، ٦٤٣ .
- القياصرة ( الروم ) ٦٤٣ .
- المستشرقون ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ١١٠ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ٢٠٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ،  
٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٩٦ ، ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤٧٨ ، ٥٠٦ ، ٥٨٨ ،  
٥٨٩ .
- النصارى ( المسيحيون ) ٤ ، ٢٨ ، ١٢٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٣٠٤ ، ٣٥٢ ، ٣٦٤ ،  
٣٧١ ، ٣٨٠ ، ٤٠٥ ، ٤١٥ ، ٤٤٢ ، ٥٤٧ ، ٥٥٢ ، ٥٥٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٨ ، ٦٠٢ ،  
٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦١٠ ، ٦١٩ ، ٦٢٩ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ .

اليهود ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٩ ،  
٤٣ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،  
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،  
٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ،  
٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،  
٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٢١ ،  
٣٧٧ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ،  
٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ،  
٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨ ، ٤٤٢ ، ٥٢٣ ، ٥٥٦ ،  
٥٧٨ ، ٦٦٠ .



(١٠)

### فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمنا

- ١ . مميزات النهضة الالهية وخصائصها ٣
- ٢ . دور المساجد في الاسلام ٩
- ٣ . خطأ المستشرقون في تفسير المناورات العسكرية ٤٢
- ٤ . كرامة علمية لرسول الله في مسألة القبلة ٥١
- ٥ . اهمية الزواج في الاسلام ومشاكل الزواج المعاصرة وعلاجها ١٠٠
- ٦ . المستشرقون والاساءة الى النبي (ص) في قصة زينب ٢٣٧
- ٧ . عالمية الرسالة المحمدية ٣٥٤
- ٨ . فدك وحكم الاراضي المفتوحة بلا قتال ٤٢٢
- ٩ . نوعية علم رسول الله (ص) بالمغيبات ٥٦٤
- ١٠ . مكافحة الاسلام للخرافة ٥٩٩
- ١١ . الخلافة من منظار السنة ، والشيعية ٦٣٩
- ١٢ . الارتباط بالارواح في ضوء مكالمة أهل البقيع ٦٦٥

(١١)

## فهرس المصادر

- |                     |                                  |
|---------------------|----------------------------------|
| للبيروني            | ١ . الآثار الباقية               |
| لتوماس كارلايل      | ٢ . الأبطال                      |
| للخنيزي             | ٣ . ابو طالب مؤمن قريش           |
| للشبراوي            | ٤ . الإتحاف                      |
| للطبرسي             | ٥ . الاحتجاج                     |
| للغزالي             | ٦ . إحياء العلوم                 |
| لأبي نعيم الاصفهاني | ٧ . أخبار أصفهان                 |
| للدينوري            | ٨ . الاخبار الطوال               |
| للمفيد              | ٩ . الارشاد                      |
| للقسطلاني           | ١٠ . إرشاد الساري                |
| لتقي زاده           | ١١ . از پرويز تا جنكيز           |
| لأبي القاسم الكوفي  | ١٢ . الاستغاثة                   |
| لابن عبد البر       | ١٣ . الاستيعاب                   |
| لابن الاثير الجزري  | ١٤ . اسد الغابة                  |
| لصدر الدين الشيرازي | ١٥ . الاسفار الاربعة             |
| للنوري              | ١٦ . اسلام وجاهليت ( بالفارسية ) |
| لابن سينا           | ١٧ . الاشارات والتنبيهات         |
| لابن حجر            | ١٨ . الإصابة في تمييز الصحابة    |

- ١٩ . أصالة روح ( بالفارسية )  
٢٠ . الاضنام  
٢١ . اعلام النساء  
٢٢ . إعلام الورى بأعلام الورى  
٢٣ . أعيان الشيعة  
٢٤ . الأغاني  
٢٥ . الاقبال  
٢٦ . الامالي  
٢٧ . الامالي  
٢٨ . الامامة والسياسة  
٢٩ . إمتاع الاسماع  
٣٠ . الاحوال  
٣١ . الانجيل  
٣٢ . أنيس الاعلام  
٣٣ . اوائل المقالات  
٣٤ . ايران در عهد ساسانيان ( بالفارسية )  
( ب )  
٣٥ . بحار الانوار  
٣٦ . البداية والنهاية  
٣٧ . برهان رسالة ( بالفارسية )  
٣٨ . بلوغ الادب في معرفة احوال العرب  
( ت )  
٣٩ . التاج الجامع للاصول  
٤٠ . تاريخ اجتماعي ايران ( بالفارسية )  
٤١ . تاريخ الامم والملوك
- لصاحب الدراسة  
للكلي  
لكحالة  
للطبرسي  
للسيد محسن العاملي  
للراغب الاصفهاني  
لابن طاوس  
للطوسي  
للصدوق  
لابن قتيبة  
للمقرئزي  
لابن سلام  
لفخر الاسلام  
للمفيد  
ارتو كريستن سن  
للمجلسي  
لابن كثير  
صاحب الدراسة  
للالوسي  
لناصف  
لجماعة من المؤلفين  
للطبري

للبيضاوي	٤٢ . تاريخ بغداد
لذبيح الله صفا	٤٣ . تاريخ تمدن ايران در عهد ساسانيان ( بالفارسية )
للسيوطي	٤٤ . تاريخ الخلفاء
للديار بكري	٤٥ . تاريخ الخميس
لحمزة الاصفهاني	٤٦ . تاريخ سني ملوك الارض والأنبياء
لفيلب	٤٧ . تاريخ العرب
لصفا	٤٨ . تاريخ علوم وادبيات در ايران ( بالفارسية )
للزنجاني	٤٩ . تاريخ القرآن
لليعتوبي	٥٠ . تاريخ اليعقوبي
للصدر	٥١ . تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام
للعلامة الحلبي	٥٢ . تحرير الاحكام
للتنوي	٥٣ . التحرير
لابن شعبة الحراني	٥٤ . تحف العقول
للكابلي	٥٥ . تحفة الأجلة في معرفة القبلة
لسبط ابن الجوزي	٥٦ . تذكرة الخواص
للكثاني	٥٧ . التراتيب الدراية
للمنذري	٥٨ . الترغيب والترهيب
	٥٩ . تفسير ابو الفتوح الرازي
للبحراني	٦٠ . تفسير البرهان
للطوسي	٦١ . تفسير التبيان
للالوسي	٦٢ . تفسير روح المعاني
صاحب الدراسة	٦٣ . تفسير صحيح آيات مشكلة ( بالفارسية )
للسيوطي	٦٤ . تفسير الدر المنثور
للطبري	٦٥ . تفسير الطبري
للفخر الرازي	٦٦ . تفسير مفاتيح الغيب

للزمخشري	٦٧ . تفسير الكشاف
للعياشي	٦٨ . تفسير العياشي
لفرات الكوفي	٦٩ . تفسير فرات الكوفي
لسيد قطب	٧٠ . تفسير في ظلال القرآن
للقرطبي	٧١ . تفسير القرطبي
للقمي	٧٢ . تفسير القمي
للطبرسي	٧٣ . تفسير مجمع البيان
لعبده . رشيد رضا	٧٤ . تفسير المنار
للطباطبائي	٧٥ . تفسير الميزان
للحويزي	٧٦ . تفسير نور الثقلين
لحافظ العراقي	٧٧ . التقريب
للبيضاوي	٧٨ . تقييد العلم
للمسعودي	٧٩ . التنبيه والاشراف
للمامقاني	٨٠ . تنقيح المقال
	٨١ . التوراة
لصاحب الدراسة	٨٢ . تهذيب الاصول
للنووي	٨٣ . تهذيب الاسماء واللغات
للعسقلاني	٨٤ . تهذيب التهذيب

( ث )

للتعالبي	٨٥ . ثمار القلوب
----------	------------------

( ج )

الفقيهي	٨٦ . جغرافياى كشورهاى اسلامى ( بالفارسية )
لصفوة	٨٧ . جمهرة خطب العرب
لشهيده المطهرى	٨٨ . جهان بينى اسلامى ( بالفارسية )

(ح)

- ٨٩ . حجة الذهاب الى ايمان ابي طالب  
٩٠ . حلية الاولياء  
٩١ . حياة محمد
- لفخار بن معد  
لاي نعيم الاصفهاني  
لهيكل

(خ)

- ٩٢ . الخرائج والجرائح  
٩٣ . الخصائص  
٩٤ . الخصال
- للراوندي  
للسائي  
للصدوق

(د)

- ٩٥ . دائرة المعارف  
٩٦ . در مكتب وحي  
٩٧ . الدرجات الرفيعة  
٩٨ . الذريعة الى تصانيف الشيعة  
٩٩ . ديوان أبي طالب
- وجدي  
لصاحب الدراسة  
للسيد علي خان المدني  
لآغا بزرك الطهراني

(ذ)

- ١٠٠ . ذخائر العقبي
- للطبري

(ر)

- ١٠١ . بزرك رسالت ( بالفارسية )  
١٠٢ . رجال الشيخ الطوسي  
١٠٣ . الروض الانف  
١٠٤ . روضة الكافي  
١٠٥ . روضة المتقين  
١٠٦ . الرياض النضرة
- لصاحب الدراسة  
للسهيلي  
للكليني  
للمجلسي  
لمحب الدين الطبري

(ز)

- ١٠٧ . زاد المعاد
- لابن القيم

( س )

للقيمي	١٠٨ . سفينة البحار
لابي بكر الجوهري	١٠٩ . السقيفة ( كتاب )
لليهقي	١١٠ . سنن البيهقي
لعمر بن محمد	١١١ . سيرة الملائني
لابن هشام	١١٢ . السيرة النبوية
لدحلان	١١٣ . السيرة النبوية
للحلي	١١٤ . السيرة الحلبية

( ش )

لابن أبي الحديد	١١٥ . شرح نهج البلاغة
-----------------	-----------------------

( ص )

للبخاري	١١٦ . صحيح البخاري /
لترمذي	١١٧ . صحيح الترمذي /
مسلم	١١٨ . صحيح مسلم / ل
	١١٩ . الصحيفة السجادية / للامام السجاد (ع)
للهيثمي	١٢٠ . الصواعق المحرقة /

( ط )

لابن سعد	١٢١ . الطبقات الكبرى
----------	----------------------

( ع )

لمير حامد	١٢٢ . عبقات الانوار
للطوسي	١٢٣ . عدة الاصول
لابن عبد ربه	١٢٤ . العقد الفريد
للصدوق	١٢٥ . علل الشرائع
لابن المهنا	١٢٦ . عمدة الطالب
للصدوق	١٢٧ . عيون اخبار الرضا

لابن سيد الناس

١٢٨ . عيون الاثر

١٢٩ . عيون المجالس

( غ )

للتقفي

١٣٠ . الغارات

للاميني

١٣١ . الغدير

( ف )

للبلاذري

١٣٢ . فتوح البلدان

للوفاقي

١٣٣ . فتوح الشام

للجويني

١٣٤ . فرائد السمطين

لابن الصباغ

١٣٥ . الفصول المهمة

للنجاشي

١٣٦ . الفهرست

لابن النديم

١٣٧ . الفهرست

( ق )

للفيروزآبادي

١٣٨ . القاموس المحيط

للحميري

١٣٩ . قرب الاسناد

للحنفي

١٤٠ . قرّة العيون المبصرة

( ك )

لابن الاثير

١٤١ . الكامل في التاريخ

للكليني

١٤٢ . الكافي اصولا وفروعا

لخليفة

١٤٣ . كشف الظنون

للاريلي

١٤٤ . كشف الغمة

للعامة الحلبي

١٤٥ . كشف المراد

للعامة الحلبي

١٤٦ . كشف اليقين

للكنجي

١٤٧ . كفاية الطالب



للكراچكي	١٤٩ . كنز الفوائد
للمناوي	١٥٠ . كنوز الحقائق
للمناوي	١٥١ . كنوز الدقائق

( ل )

للسيوطي	١٥٢ . اللغالى المصنوعة
لابن حجر	١٥٣ . لسان الميزان
للفاضل المقداد	١٥٤ . اللوامع الالهية

( م )

للدوي	١٥٥ . ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين
لابي المفضل الشيباني	١٥٦ . المباهلة ( كتاب )
للملا صدرا	١٥٧ . المبدأ والمعاد
للفيض	١٥٨ . المحجة البيضاء
للطوسي	١٥٩ . مجالس ابن الشيخ
للمفيد	١٦٠ . المجالس
للبيهقي	١٦١ . المحاسن والمساوى
لمحمد بن حبيب	١٦٢ . المحبر
للمسعودي	١٦٣ . مروج الذهب
لشرف الدين	١٦٤ . المراجعات
لابن حنبل	١٦٥ . المسند
للحاكم النيسابوري	١٦٦ . المستدرک على الصحيحين
للدمايطي	١٦٧ . مصباح الظلام
للطوسي	١٦٨ . مصباح المتهدد
للجنابذي	١٦٩ . معالم العترة
للحموي	١٧٠ . معجم البلدان
للدكتور جواد علي	١٧١ . المفصل في تاريخ العرب

للخوارزمي	١٧٢ . مقتل الخوارزمي
للواقدي	١٧٣ . المغازي
لصاحب الدراسة	١٧٤ . مفاهيم القرآن
لابي الفرج الاصفهاني	١٧٥ . مقاتل الطالبين
	١٧٦ . مقدمة ابن خلدون
للأحمدي	١٧٧ . مكاتيب الرسول
للطبرسي	١٧٨ . مكارم الاخلاق
لشهرستاني	١٧٩ . الملل والنحل
للصدوق	١٨٠ . من لا يحضره الفقيه
لابن شهر آشوب	١٨١ . مناقب آل أبي طالب
للخوارزمي	١٨١ . المناقب
للزرقاني	١٨٢ . مناهل العرفان
لابن تيمية	١٨٣ . المنتقى
لابن تيمية	١٨٤ . منهاج السنة
للقسطلاني	١٨٥ . المواهب اللدنية
للإيجي	١٨٦ . المواقف
لجماعة من المؤلفين	١٨٧ . الموسوعة العربية الميسرة
للذهبي	١٨٨ . ميزان الاعتدال

( ن )

لسيهر	١٨٩ . ناسخ التواريخ
للصفوري	١٩٠ . نزهة المجالس
للسيد شرف الدين	١٩١ . النص والاجتهاد
لابن الاثير	١٩٢ . النهاية
للشريف الرضي	١٩٣ . نهج البلاغة
للسبلنجي	١٩٤ . نور الابصار

( و )

للبروفيسور حميد الله

للحر العاملي

للسمهودي

لاين خلكان

لابن مزاحم

للطبري

١٩٥ . الوثائق السياسية

١٩٦ . وسائل الشيعة

١٩٧ . فاء الوفاء

١٩٨ . وفيات الأعيان

١٩٩ . وقعة صفين

٢٠٠ . الولاية في طرق حديث الغدير

( هـ )

للبلأغي

٢٠١ . الهدى الى دين المصطفى

( ي )

للقندوزي

٢٠٢ . ينابيع المودة

(١٢)

## فهرس المواضيع

٢٦. أوّ عمل ايجابي للنبي في المدينة  
وقائع السنة الاولى من الهجرة  
٣٢. ٩
- عقد ميثاق تعايش بين المسلمين وغيرهم ٩
- ١٢ مع عمار بن ياسر في بناء المسجد النبوي  
ضئر أراف من والده ١٦
- التأخي ؛ أو أعظم معطيات الايمان ١٨
- منقبتان عظيمتان ١٩
- منقبة أخرى لعلي ٧ ٢٠
- ٢١ معاهدة الدفاع المشترك بين المسلمين ويهود يثرب  
أعظم معاهدة تاريخية ٢٢
- ممارسات اليهود الإجهاضية ٢٧
- ٢٩ خطة أخرى للقضاء على الحكومة الاسلامية  
٢٧. مناورات عسكرية واستعراضات حربية  
وقائع السنة الثانية من الهجرة  
٤٦. ٣٣
- ٣٤ تهديد خطوط قريش التجارية
- ٣٦ النبي ٩ يلاحق قريشا بنفسه
- ٤١ ما ذا كان الهدف من المناورات العسكرية

- ٤٢ نظرية المستشرقين حول هذه المناورات  
٢٨ . تحويل القبلة  
من بيت المقدس الى الكعبة  
٥٢ . ٤٧
- ٥١ كرامة علمية لرسول الله ٩  
٢٩ . معركة بدر  
٩٩ . ٥٣
- ٥٥ النبي يتوجه الى منطقة ذفران  
٥٨ المشكلة التي كانت تواجهها قريش  
٥٩ النبي يعقد شورى عسكرية  
٦٠ إخفاء الحقائق وكتماؤها
- ٦٢ قرار الشورى الحاسم أو رأي زعيم الأنصار  
٦٣ تحصيل المعلومات حول العدو  
٦٦ كيف هرب أبو سفيان
- ٦٨ علم المسلمين بإفلات قافلة قريش  
٦٨ إختلاف قريش في القتال  
٧٠ « العريش » أو غرفة القيادة  
٧٠ نظرة الى مسألة العريش  
٧٢ تحرك قريش باتجاه بدر  
٧٢ قريش تتشاور في القتال
- ٧٤ إختلاف قادة قريش في امر القتال  
٧٥ ما الذي حتم القتال؟  
٧٦ المبارزات الفردية أولا
- ٧٧ أي القولين هو الأصح حول المبارزين؟  
٧٨ الهجوم العام

- رعاية الحقوق ٨٠
- مصراع أمية بن خلف ٨٠
- خسائر بدر في الأرواح والاموال ٨١
- ما أنتم باسمع منهم ٨٢
- الشعر يخلد هذه القصة ٨٣
- بعد معركة بدر ٨٥
- قتل أسيرين في اثناء الطريق ٨٧
- المكيون يعرفون بمقتل أسيادهم ٨٨
- بشائر النبي الى المدينة ٨٨
- اشترك العباس عم النبي في بدر ٨٩
- المنع من النوح والبكاء في مكة ٩٠
- القرار الأخير حول مصير الاسارى ٩١
- رسول الاسلام ومكافحة الامية ٩٣
- كلام لابن أبي الحديد في المقام ٩٤
- القرآن يتحدث عن بدر ٩٥
- ٣٠ . زواج سيده النساء
- ١٠٠ . ١٢٠
- مشاكل الزواج في العصر الحاضر ١٠١
- رسول الاسلام يكافح هذه المشاكل عمليًا ١٠٢
- جهاز فاطمة ١٠٥
- مراسم الزواج تقام ببساطة ١٠٧
- ٣١ . جرائم بني قينقاع ( اليهود )
- ١٢١ . ١٣١
- لهيب الحرب يبدأ من شرارة ١٢٣
- تقارير جديدة تصل الى المدينة ١٢٧

- غزوات في هذه السنة ١٢٧
- ١ . غزوة قرقرة الكدر ١٢٨
- ٢ . غزوة السويق ١٢٨
- ٣ . غزوة ذي أمر ١٢٩
- قريش تعيّر مسير تجارتها ١٣١
- ٣٢ . الدفاع عن الحرية (أو معركة احد)
- حوادث السنة الثالثة من الهجرة
- ١٣٢ . ١٩٥
- سرية محمد بن مسلمة لاغتيال كعب بن الأشرف ١٣٢
- اغتيال مفسد آخر ١٣٥
- قريش تتكفل نفقات الحرب ١٣٥
- الاستخبارات ترفع تقريراً الى النبي ١٣٧
- جيش قريش يتحرك باتجاه المدينة ١٣٨
- منطقة احد ١٣٩
- المشاورة في كيفية الدفاع ١٤٠
- الاقتراع من أجل الشهادة ١٤٢
- حصيلة الشورى ١٤٤
- النبي يخرج من المدينة ١٤٥
- جنديان فدايان ١٤٦
- العسكران يصطفان ١٥٠
- رفع معنويات الجنود وتقوية عزائمهم ١٥١
- العدو ينظّم صفوفه ١٥٢
- الإثارة النفسية وإلهاب الحماس ١٥٣
- القتال يبدأ ١٥٤
- المقاتلون بدافع الشهوة ١٥٧

- الهزيمة بعد الانتصار ١٥٨
- شائعة مقتل النبي ١٦٠
- ١٦١ هل يمكن أن ينكر أحد فرار البعض
- ١٦٢ القرآن يكشف عن بعض الحقائق
- التجارب المرة ١٦٤
- ١٦٥ خمسة يتحالفون على قتل النبي
- ١٦٩ الدفاع الموفق أو النصر المجدد
- حمزة بن عبد المطلب ١٧٣
- ١٧٩ العدو يحاول استغلال الفرصة
- نهاية المعركة ١٨١
- ١٨٤ آخر ما نطق به سعد بن الربيع
- النبي يعود الى المدينة ١٨٥
- ١٨٧ ذكريات مثيرة عن امرأة مؤمنة
- ١٨٧ نموذج آخر من النسوة المجاهدات
- ١٩٠ لا بد من ملاحقة العدو
- حمراء الأسد ١٩٢
- لا يخدع مؤمن مرتين ١٩٤
- ١٩٥ ميلاد الامام الحسن السبط
- ٣٣ . فاجعة فريق المبلّغين
- ٢٠٥ . ١٩٦
- ١٩٧ خطة ماكرة للفتك بالمبلّغين
- ١٩٨ الغدر بالدعاة الى الإسلام وقتلهم
- ٢٠١ دور حزب النفاق أيضا
- ٢٠٢ جريمة بئر معونة



- كيد المستشرقين ٢٠٣
- المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ٢٠٤
- ٣٤ . غزوة بني النضير
- ٢١٥ . ٢٠٦
- ٢٠٨ بما ذا يجب أن تقابل هذه الجريمة
- المستشرقون ودموع التماسيح ٢١٠
- ٢١٣ مزارع بني النضير تقسم بين المهاجرين فقط
- ٣٥ . تحريم الخمر
- غزوة ذات الرقاع ، غزوة بدر الصغرى
- ٢٢٩ . ٢١٦
- ١ . تحريم الخمر ٢١٦
- ٢٢٠ وقفة عند « البيان الشافي » في الخمر
- رواية مختلقة ٢٢١
- ٢ . غزوة ذات الرقاع ٢٢٥
- مواقف خالدة في هذه الغزوة ٢٢٧
- الحمس الصامدون ٢٢٧
- ٣ . غزوة بدر الثانية ٢٢٨
- ٢٢٩ ولادة السبط الأصغر لرسول الله
- ٣٦ . من أجل تحطيم التقاليد الخاطئة
- حوادث السنة الخامسة من الهجرة
- ٢٤٥ . ٢٣٠
- ٢٣٠ زواج النبي (ص) بمطلقة دعيه زيد
- من هو زيد بن حارثة ٢٣١
- ٢٣٢ زيد يتزوج ببنت عمه النبي ( زينب بنت جحش )
- زيد يطلق زوجته زينب ٢٣٣

- ٢٣٤ زواج النبي بمطلقة متبناه لاباطال سنة جاهلية
- ٢٣٧ المستشرقون وقضية تزوج النبي بزينا
- ٢٣٩ توضيح الحقيقة ورد الشبهة
- ٣٧ . غزوة الأحزاب
- بعض غزوات السنة الخامسة
- ٢٤٦ . ٢٨٠
- ١ . غزوة دومة الجندل ٢٤٦
- ٢ . غزوة الخندق ( الأحزاب ) ٢٤٧
- ٢٥٠ استخبارات المسلمين ترفع تقريراً للقيادة
- ٢٥٣ القولة النبوية الخالدة في شأن سلمان
- ٢٥٤ مقاتلوا العرب واليهود يحاصرون المدينة
- ٢٥٤ العدد الدقيق لقوات الطرفين
- ٢٥٥ خطر البرد ، وتناقص الغذاء والعلف
- ٢٥٨ النبي يعرف بنقض بني قريظة للعهد
- ٢٥٩ تجاوزات بني قريظة الاولية
- ٢٦٠ الإيمان في مواجهة الكفر
- ٢٦٢ أبطال من العرب يعبرون الخندق
- ٢٦٦ تصاول البطلين
- ٢٦٧ ضربة علي (ع) لعمرو وقيمة هذه الضربة
- ٢٦٧ لما ذا التنكر لهذا الموقف؟
- ٢٦٩ مروءة علي ٧ وشهامته
- ٢٧٠ جيش العرب يتفرق في موقفه
- ٢٧٢ العوامل التي فرقت كلمة الاحزاب
- ٢٧٤ مبعوثو قريش يمشون إلى بني قريظة
- ٢٧٥ آخر العوامل لهزيمة الكفار

- القرآن الكريم ومعركة الاحزاب ٢٧٦
- ٣٨ . سقوط آخر اوكار الفساد والمؤامرة  
٢٨١ . ٢٩٥
- قوات الاسلام تحاصر بني قريظة ٢٨٢
- اليهود يتشاورون حول الموقف ٢٨٣
- خيانة أبي لبابة ٢٨٦
- إلى أي مدى ذهب الطابور الخامس في مشاغبته؟ ٢٨٨
- حكم سعد في بني قريظة وتقييم ما استند إليه ٢٩٠
- ٣٩ . أعداء الاسلام تحت المراقبة المشددة  
حوادث السنة السادسة من الهجرة  
٢٩٦ . ٣٠٢
- ٢٩٨ أهل الرأي من قريش يهاجرون الى الحبشة
- الوقاية من تكرار التجارب المرة ٢٩٩
- النذر غير المشروع ٣٠٢
- ٤٠ . تمرّ بني المصطلق  
٣٠٣ . ٣١٢
- غزوة بني المصطلق ٣٠٤
- منافق حاول إشعال الموقف ٣٠٦
- صراع بين الايمان والعاطفة ٣٠٩
- ٤١ . قصة الإفك  
٣١٣ . ٣٢٣
- الفاسق يفتضح ٣١٣
- ٣١٤ المنافقون يتهمون شخصا نقي الجيب
- أبرز النقاط في آيات الإفك ٣١٧
- الزوائد في هذه القصة ٣١٨

- ١ . منافاتها لمقام النبوة والعصمة ٩ ٣١٨
- ٢ . سعد بن معاذ توفي قبل حادثة الإفك ٣٢٠
- ٤٢ . رحلة سياسية دينية ٣٥١ . ٣٢٤
- مندوبو قريش عند النبي ٩ ٣٢٨
- ٣٣١ رسول الله يبعث مندوبا الى قريش
- ٣٣٢ النبي يبعث سفيرا آخر الى قريش
- ٣٣٥ سهيل بن عمرو يفاوض رسول الله
- التاريخ يعيد نفسه ٣٣٧
- نص صلح الحديبية ٣٣٩
- نشيد الحرية ٣٤٠
- ٣٤١ آخر الجهود للحفاظ على عملية الصلح
- والقصة التالية تشهد بما نقول ٣٤٢
- تقييم عاجل لصلح الحديبية ٣٤٤
- ٣٤٨ قريش تصر على إلغاء أحد بنود المعاهدة
- ٣٥٠ النساء المسلمات لا يسلمن إلى قريش
- ٤٣ . النبي يعلن عن رسالته العالمية
- حوادث السنة السابعة من الهجرة ٣٨٥ . ٣٥٢
- ٣٥٤ الرسالة المحمدية كانت عالمية
- ٣٥٥ آيات تدل على عالمية الرسالة المحمدية
- ٣٥٦ رسل الاسلام الى المناطق النائية
- ٣٥٧ أوضاع العالم أيام إبلاغ الرسالة العالمية
- ٣٥٨ رسول النبي ٩ في أرض الروم

- قيصر يحقق حول النبي ٣٦٠
- أثر رسالة النبي إلى قيصر ٣٦٣
- سفير النبي في البلاط الإيراني ٣٦٣
- نظرية يعقوبي ٣٦٦
- سفير النبي في أرض مصر ٣٦٩
- المقوقس يكتب كتابا الى النبي ٣٧٢
- ٣٧٥ سفير النبي ٩ في أرض الذكريات « الحبشة »
- ٣٧٧ محاورة سفير النبي وحاكم الحبشة
- ٣٧٨ تقييم سريع لمراسلة النبي ٩ قادة العالم
- ٣٨١ كتاب رسول الله الى أمير الغساسنة ( بالشام )
- ٣٨٣ سادس السفراء في أرض اليمن
- ٣٨٥ رسائل اخرى لرسول الله ٩
- ٤٤ . قلعة خيبر أو بؤرة الخطر
- ٤٢٠ . ٣٨٦
- ٣٩٠ احتلال النقاط والطرق الحساسة ليلا
- ٣٩٢ متاريس اليهود تتهاوى
- ٣٩٤ التقوى في ظروف المخمصة الشديدة
- ٣٩٦ فتح الحصون الواحد تلو الآخر
- ٣٩٩ الانتصار الكبير في خيبر
- ٤٠١ تحريف الحقائق
- ٤٠٤ ثلاث نقاط مشرقة في حياة علي ٧
- ٤٠٥ عوامل الانتصار
- ٤٠٦ ١ . التخطيط والتكتيك العسكري الدقيق
- ٤٠٧ ٢ . تحصيل المعلومات حول العدو
- ٤٠٨ ٣ . تفاني امير المؤمنين

- الرحمة في ساحة القتال ٤٠٩
- مصراع كنانة بن الربيع ٤١٠
- تقسيم غنائم الحرب ٤١٠
- ٤١٢ قافلة من أرض الذكريات ( الحبشة )
- ٤١٣ حجم الخسائر وعدد القتلى
- ٤١٣ العفو بعد الانتصار
- ٤١٦ سلوك اليهود المتعجرف
- ٤١٩ حيلة مجازة
- ٤٥ . قصة فدك
- ٤٢١ . ٤٢٩
- ٤٢٢ حكم الاراضي المفتوحة بلا قتال
- ٤٢٥ قصة فدك بعد رسول الله ٩
- ٤٢٨ فدك في محكمة التاريخ
- ٤٢٩ السيطرة على وادي القرى
- ٤٦ . عمرة القضاء
- ٤٣٠ . ٤٣٧
- ٤٣٣ النبي يدخل مكة
- ٤٣٦ النبي يغادر مكة
- ٤٧ . معركة مؤتة
- السنة الثامنة من الهجرة
- ٤٣٨ . ٤٥١
- ٤٣٩ حادثة أفجع من سابقتها
- ٤٤١ خلاف حول من هو الامير الاول
- ٤٤٤ جيشا الروم والاسلام يتواجهان
- ٤٤٧ حيرة المقاتلين المسلمين بعد مقتل القادة

- ٤٤٨ الجنود المسلمون يعودون الى المدينة
- ٤٤٩ اسطورة بدل التاريخ الصحيح
- ٤٥٠ النبي يبكي بشدة لمقتل جعفر
- ٤٨ . غزوة ذات السلاسل
- ٤٥٢ . ٤٦١
- ٤٥٤ تفاصيل هذه الغزوة
- ٤٥٧ الامام علي ينتدب لقيادة العملية
- ٤٥٧ عوامل انتصار الامام علي في هذه الموقعة
- ٤٥٩ اعتراض وجواب
- ٤٩ . فتح مكة
- ٥١٢ . ٤٦٢
- ٤٦٣ تفاصيل فتح مكة
- ٤٦٦ قريش تتوجس خيفة من رد النبي
- ٤٦٩ جاسوس يكتشف
- ٤٧٥ النبي يتحرك باتجاه مكة
- ٤٧٧ العفو عند المقدرة
- ٤٨٠ تكتيك رائع لجيش الاسلامي
- ٤٨٢ العباس يصطحب أبا سفيان إلى خيمة النبي
- ٤٨٣ أبو سفيان بين يدي رسول الله ٩
- ٤٨٥ مكة تستسلم من دون إراقة دماء
- ٤٨٨ أبو سفيان يرجع إلى مكة
- ٤٩٠ القوات الاسلامية تدخل مكة
- ٤٩٢ كسر الاصنام وغسل الكعبة
- ٤٩٤ علي ٧ على كتف النبي
- ٤٩٧ النبي يعلن عن العفو العام

- ٤٩٧ بلال يرفع الأذان على سطح الكعبة
- ٤٩٩ النبي يتحدث إلى أقاربه
- ٥٠٠ خطاب النبي التاريخي في المسجد الحرام
- ٥٠١ التفاخر بالنسب
- ٥٠١ التفاضل بالقومية
- ٥٠٢ لجميع أبناء البشر لا لبعض دون بعض
- ٥٠٢ الحروب الطويلة والاحقاد القديمة
- ٥٠٣ الاخوة الاسلامية
- ٥٠٤ معاقبة المجرمين
- ٥٠٥ قصة عكرمة وصفوان
- ٥٠٦ مبايعة النبي نساء مكة
- ٥٠٩ هدم بيوت الاصنام بمكة وما حولها
- ٥١١ جرائم اخرى لخالد
- ٥٠ . معركة حنين
- ٥٢٠ . ٥١٣
- ٥١٤ جيش قليل النظر
- ٥١٤ تحصيل المعلومات العسكرية
- ٥١٦ تجهيزات المسلمين
- ٥١٧ استقامة النبي ومن ثبت من أصحابه
- ٥١٩ لقطتان من الخلق النبوي العظيم
- ٥١ . غزوة الطائف
- ٥٣٦ . ٥٢١
- ٥٢٣ شذخ جدار الحصن بالمنجنيق
- ٥٢٤ ضغوط اقتصادية ونفسية
- ٥٢٦ آخر محاولة لفتح حصن الطائف



- جيش الاسلام يعود الى المدينة ٥٢٦
- حوادث ما بعد الحرب ٥٢٨
- اسلام مالك بن عوف ٥٣٢
- تقسيم الغنائم ٥٣٣
- رسول الله يعتمر ٥٣٦
- ٥٢ . لامية كعب بن زهير المعروفة  
٥٤٢ . ٥٣٧
- حزن قارن فرحا ٥٤٢
- ٥٣ . علي بن أبي طالب في أرض طي  
حوادث السنة التاسعة من الهجرة  
٥٥١ . ٥٤٣
- إسلام عدي بن حاتم الطائي ٥٤٣
- هدم بيوت الاصنام ٥٤٦
- علي في أرض طي ٥٤٧
- ٥٤ . غزوة تبوك  
٥٨٠ . ٥٥٢
- ٥٥٣ تعبئة المقاتلين وتهيئة نفقات الحرب  
المتخلفون عن القتال ٥٥٤
- ٥٥٥ اكتشاف شبكة جاسوسية في المدينة
- ٥٥٧ عدم مشاركة « علي » في غزوة تبوك
- ٥٥٩ جيش الاسلام يتحرك نحو تبوك
- ٥٦٠ النبي ٩ يستعرض جيشه
- ٥٦١ قصة مالك بن قيس
- ٥٦٢ مصاعب الطريق
- ٥٦٣ تعليمات احتياطية

- علم رسول الله (ص) بمغيبات واخباره بها ٥٦٤
- جيش الإسلام في أرض تبوك ٥٦٨
- بعث خالد إلى دومة الجندل ٥٧٠
- تقييم إجمالي لغزوة تبوك ٥٧٢
- المنافقون يخطّطون لاغتيال النبي ٥٧٣
- النية تقوم مقام العمل ٥٧٤
- أخذ المتخلفين بالعقاب النفسي ٥٧٦
- قصة مسجد الضّرار ٥٧٨
- ٥٥ . وفد ثقيف في المدينة  
٥٨١ . ٥٨٧
- وقوع الفرقة والاختلاف في قبيلة ثقيف ٥٨٢
- شروط وفد ثقيف ٥٨٤
- ٥٦ . إعلان البراءة من المشركين في منى  
٥٨٨ . ٥٩٥
- ٥٩٣ تعصّب بغيض في تحليل هذا الحدث
- ٥٧ . في رثاء الولد العزيز
- حوادث السنة العاشرة من الهجرة
- ٥٩٦ . ٦٠٠
- ٥٩٨ اعتراض غير وجيه
- ٥٩٩ مكافحة الخرافات
- ٥٨ . وفد نجران في المدينة  
٦٠١ . ٦٠٩
- ٦٠٣ مفاوضات وفد نجران مع النبي
- ٦٠٥ خروج النبي للمباهلة
- ٦٠٧ انصراف وفد نجران عن المباهلة

- صورة العهد النبوي لأهل نجران ٦٠٧  
 أكبر فضيلة ٦٠٨  
 ٥٩ . تأريخ المباهلة عاما وشهرا ويوما  
 ٦١٠ . ٦٢١  
 عام المباهلة حسب المشهور ٦١١  
 الشهر واليوم الذي وقعت فيه المباهلة ٦١١  
 رأينا حول عام المباهلة ٦١٢  
 زمن المباهلة يوما وشهرا ٦١٤  
 هل كانت قضية المباهلة في السنة التاسعة؟ ٦١٩  
 ٦٠ . تقييم البراءة من المشركين  
 وفود القبائل في المدينة  
 ٦٢٢ . ٦٢٧  
 محاولة اغتيال النبي ٦٢٣  
 أمير المؤمنين في ربوع اليمن ٦٢٤  
 ٦١ . حجة الوداع  
 ٦٢٨ . ٦٣٨  
 الامام علي (ع) يعود من اليمن ٦٣١  
 مراسم الحج تبدأ ٦٣٣  
 خطاب النبي التاريخي في حجة الوداع ٦٣٤  
 ٦٢ . إكمال الدين الاسلامي بتعيين الخليفة  
 ٦٣٩ . ٦٥٥  
 اقتضاء المحاسبات الاجتماعية في مسألة الخلافة ٦٤١  
 الوقائع التاريخية تؤيد المحاسبات ٦٤٥  
 النبوة والامامة توأمان ٦٤٥  
 قصة الغدير ٦٤٦

- واقعة الغدير خالدة الى الأبد ٦٤٩
- ٦٥١ الدلائل الاخرى على أبدية الغدير  
٦٣ . المتنبئون كذبا  
التفكير في أمر الروم  
٦٥٦ . ٦٦٦
- ٦٥٨ لحة عن مسيلمة الكذاب  
التفكير في أمر الروم ٦٥٩  
الاعذار غير المقبولة ٦٦٤  
الاستغفار لأهل البقيع ٦٦٥  
٦٤ . الكتاب الذي لم يكتب  
حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة  
٦٦٧ . ٦٧٩
- ٦٦٨ ايتوني بقلم وقرطاس  
٦٧٢ ما ذا كان الهدف من الكتاب؟  
٦٧٤ لما ذا لم يصبر النبي في كتابة الكتاب؟  
٦٧٥ ملافاة الأمر وتداركه  
٦٧٧ تقسيم الدنانير  
٦٧٧ غضب النبي من الدواء الذي سقي  
وداع النبي مع أهله ٦٧٧  
٦٥ . اللحظات الأخيرة  
٦٨٠ . ٦٨٧
- ٦٨١ النبي يتحدث مع ابنته الزهراء  
٦٨٣ وصايا النبي ٩ قبيل رحيله  
٦٨٥ يوم الوفاة  
٦٨٩ الفهارس